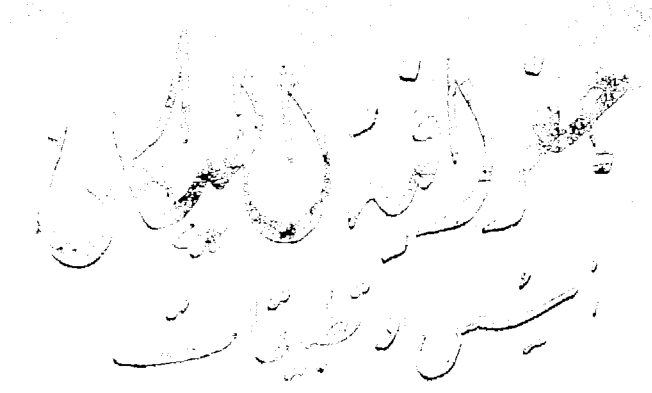
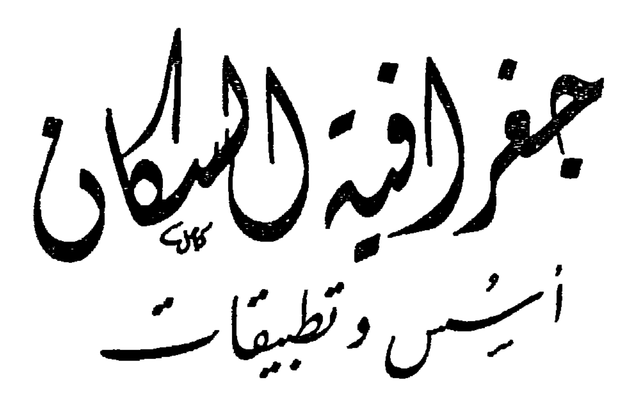


جغرافيـــة الســكان

اسس وتطبيقــات



دكتور
فتحي محمد أبو عيانة
أستاذ الجغرافيا البشرية
وكيل كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

الطبعة الرابعة
مزيدة ومنقحة

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
الاسكندرية

تصـــدير الطبعة الرابعة

هذه هى الطبعة الرابعة لكتاب جغرافية السكان ـ تحمل فى ثناياها تغيرا جذريا فى البناء والمحتوى والعرض ، فمن نافلة القول أن السكان أصبحوا يمثلون محور كثير من الدراسات الاجتماعية والانسانية بل أصبح الكثير من مشكلات الحياة المعاصرة فى العالم شرقه وغربه ، شماله وجنوبه يرتبط ارتباطا مباشرا ـ أو غير مباشر ـ بالكتلة البشرية التى يموج بها هذا العالم والتى قدر حجمها بنحو خمسة مليـارات ونصف المليار نسمة سنة ١٩٩٢ ، وعندما يهل القرن الحادى والعشرون ـ باذن الله ـ يكون هذا الرقم قد ازداد مليارا آخر من السكان ، مع ما يحمله ذلك من تبعات واجهاد لهذا الكوكب وموارده ٠

وقد شهدت المكتبة السكانية تدفق سيل ـ من الكتابات والبحوث ـ فى عقد الثمانينيات ـ كان من الضرورى أن يعكسها هـذا الكتـاب فى ثوبه الجديد ٠ وقد واكب هـذا ـ وربما شجع عليه ـ ثورة المعلومات التى يحياها عالم اليوم ـ وكذا تقدم فنون الطباعة مما سهل عملية الاضافة الى الطبعة السابقة ـ أو الحذف منها مما يراه القارىء المدقق ان شاء المقارنة٠

وقد شهدت الطبعة الرابعة من هذا الكتاب ثلاثة تغييرات جوهـرية لعـل أبرزها اضافة القسم الثانى الذى يضم بين جنباته دراسات وبحوث تطبيقية لمشـكلات سكانية على مستوى العـالم العـربى ـ كله أو بعض أقطاره ـ أما التغيير الثانى فيتمثل فى تحـديث بيانات الطبعـة السابقة ورصد التغـيرات التى اعترت مسـار الكتلة السـكانية ومكوناتها اقليميا وعالميا ٠ ثم يأتى التغيير الثالث والذى يتمثل فى اضافة خرائط ورسـوم بيانية ـ جـاء بعضها ملونا ـ لبعض التوزيعـات السـكانية التى وردت بالكتـاب ٠

ولست فى حاجة الى سرد محتوى الكتاب العلمى وعرض فصوله فذلك أمر يمكن الوقوف عليه من الفهرس ، بيد أننى أود الاشارة الى أن ماورد فى الكتاب من تحليل واضافة فى المتن أو فى الاشكال التوضيحية فى قسمى الكتاب انما جـاء فى وقت تزداد فيه الحاجة الى تقـديم المادة العلمية

بطريقة منظمة ـ وباسلوب يشجع على القراءة والتعمق فى ادراك جوانب الظاهرات السكانية ومقارنتها أفقيا ورأسيا ٠

وهنا ـ اجد لزاما على أن أتوجه بالشكر الجزيل الى مستحقيه ـ وهم كثر على رأسهم الصديق الوفى محمد محمود فرحات اخصائى رسم الخرائط ـ المشرف الادارى على وحدة الحاسب الآلى بالكلية ، والى السيد/صابر محمد عبد الكريم صاحب ومدير دار المعرفة الجامعية ٠

والله ـ أسأل ـ أن يهدينا الى سواء السبيل وهو الموفق والمستعان ٠

الاسكندرية فى ١٩٩٢/١٠/٢٦ **فتحى محمد أبو عيانة**

تصـــدير الطبعة الثانية

من المعروف أن عالم اليوم يمر فى مرحلة تزايد سكانى كبير لم يسبق أن مر بها فى تاريخه من قبـل ، ولذا فان مشكلة السكان منـذ أن بدأت ارهاصات الحديث عنها فى عهد «توماس مالثوس» فى أواخر القرن الثامن عشر٠لم تحظ باهتمام كبير اقليميا وعالميا فى أى عصر من عصور البشرية كما تحظى به فى الوقت الحاضر ٠

وقد أصبحت المجتمعات تناضل فى سبيل حفـظ التوازن بين أعـداد سكانها ومواردها المتاحة،فى ضوء استمرار تضخم حجم السكان فى المستقبل بدرجة قد يصعب على هذا الجيل أن يتصورها أحيانا ، ليس فى المـدى البعيد فحسب ــ بل حتى بعد عدة عقود فقط ٠ كما أن الكثير من الاقاليم النامية ــ ان لم يكن كلها ــ سيتضاعف حجم سكانها الحالى فى مطلع القرن الحادى والعشرين بدرجة ستنوء معها موارد هـذه الاقاليم عن الوفـاء بالمتطلبات الاساسية لهذه الاعداد فى ظل ماهو معروف عن هذه الموارد فى الوقت الحاضر ٠

وقد كانت هذه المعضلة السكانية مدعاة للكثير من الاهتمام العلمى فى السنوات الاخيرة ، وشهدت تدفق كثير من الدراسات والبحوث والمؤتمرات المتخصصة بقصد تحليل تطور النمو السكانى ومكوناته ونتائجه المتعددة، وقد نشطت بعض المعاهد العلمية ومراكز الابحاث المحلية والعالمية فى ذلك الميدان ــ وأثمرت كل هذه الجهـود ومازال فى اثراء المكتبـة السكانية بالكثير من الكتب العـامة والابحاث النوعيـة عن بعض جوانب السكان وتحليلها احصائيا واجتماعيا وبيئيا بغية الوصول الى أحكام سليمة عن ايقاع النمو السكانى ومكوناته ومؤثراته على المستويين الاقليمى والعالمى٠

وقد واكب علم الجغرافيا هذه الدراسات السكانية وأصبحت جغـرافية السكان من فروعه الهامة التى تعنى بالتحليل البيئى المقـارن للظاهرات الديموغرافية مثـل توزيع السـكان وعوامله والنـمو الطبيعى ومكوناته والهجرة وأنواعها ونتائجها ، ثم التركيب السكانى بعناصره المختلفة،كل ذلك فى اطار بيئى يأخذ فى الاعتبار أوجه التشابه والتباين بين البيئـات

المختلفة وتأثير الظاهرة الديموغرافية وتأثرها بظروفها الجغرافية السائدة، وذلك أملا فى الوصول الى فهم دقيق لمكونات هذه الظاهرة وتقويم نتائجها المتعددة فى الزمان والمكان .

ورغم أن المكتبة العربية تحوى كتبا عن جغرافية السكان أسهم بها أساتذة رواد فى هذا المجال ، فقد يكون من المفيد الاسهام فى ذلك بكتاب آخر يحوى منهجا معقولا لدراسة جغرافية السكان معتمدا بقدر ما على أسلوب احصائى مبسط ودون تعقيد قد يحجب الحقيقة عن القارىء أحيانا .

ولما كانت جغرافية السكان من العلوم الحيوية التى تشهد جوانب تغير مستمرة سواء فى مادتها أو حتى فى منهج دراستها ، فقد حرصت على أن يشمل هذا الكتاب فى طبعته الثانية بعض مظاهر هذا التغير خاصة فى الاطار الكمى ، ولذلك فقد احتوت هذه الطبعة تنقيحا فى المادة العلمية وتحديثا فى البيانات الديموغرافية وتحليلا لبعض هذه البيانات خاصة فى مجال التوزيع السكانى ومكونات النمو الطبيعى .

كذلك فقد أضفت لهذا الكتاب فصلين أحدهما عن بعض أساليب التوزيع السكانى والعلاقات المكانية ، والاخر عن بعض النظريات السكانية وذلك حتى يمكن الاسهام فى متابعة الفكر السكانى وتطوره ومدى ارتباطه بمستويات التنمية والتقدم فى المجتمعات المختلفة .

ويحوى هذا الكتاب فى طبعته الثانية خمسة أبواب تضم سبعة عشر فصلا ، ويتناول الباب الاول توزيع السكان فى العالم : أنماطه وعوامله المختلفة،أما الباب الثانى فيدرس نمو السكان الطبيعى بعنصريه الخصوبة والوفيات ثم يحلل منحنى هذا النمو ومؤثراته ودوراته .

ويتطرق الباب الثالث الى دراسة الهجرات السكانية الدولية والداخلية ويتناول بعض أساليب القياس الاحصائى للهجرة والاسباب الكامنة والنتائج المترتبة على هذه الظاهرة .

ويدرس الباب الرابع أنماط التركيب السكانى خاصة التركيب العمرى النوعى ، ثم التركيب الاقتصادى وبعض أنماط التراكيب الاخرى مثل التركيب العرقى والدينى واللغوى وغير ذلك،ويدلف الى دراسة الخصائص الديموغرافية لسكان المدن على اعتبار أن مراكز العمران الحضرى تجمع بين ظهرانيها مجتمعا ذا سمات مميزة .

ويتعرض الباب الخامس ـ بايجاز للعلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية فى محاولة لتحديد أوجه العلاقة وتقويمها ـ منتهيا الى محاولة تقسيم العالم الى أقاليم سكانية اقتصادية لكل منها خصائصه البارزة ، ثم يختم بدراسة عن بعض النظريات السكانية فى العصر الحديث .

وقد حرصت على تزويد الكتاب بالخرائط والرسوم البيانية حتى يمكن متابعة الحقائق الواردة فى متن الفصول ، ولا أدعى أن الكتاب مكتمل دون نقائص ، فليس فى وسع باحث مهما أوتى من قدرة أن يحقق الكمال ـ الذى هو لله وحده ، ولكنها محاولة قد تفيد المهتمين بهذه الدراسة أرجو من خلالها أن أكون قد وفقت .

والله الموفق والمستعان

فتحى أبو عيانة

الطبعة الاولى فى ١٩٧٧/١١/١ .

الطبعة الثانية فى ١٩٨٠/١١/١ .

المحتـــويات

القسم الأول
أسس جغرافية السكان

الباب الاول
توزيع السكان ـ أنماطه وعوامله

الباب الثانى
نمو السكان

الباب الثالث
الهجرات السكانية

الباب الربع
أنماط التركيب السكانى

الباب الخامس
السكان والموارد الاقتصادية

القسم الثانى
تطبيقات سـكانية
مشكلات السكان فى الوطن العربى

القسم الأول

أسس جغرافية السكان

مقدمة

لماذا ندرس السكان ؟ وماهى مصادر الدراسة ؟

من الحقائق الهامة فى العلوم الانسانية أن السكان هم المحور الرئيسى الذى تدور حوله وتنبع منه كثير من الدراسات فى شتى المجالات،ولاجدال فى أن عالم اليوم يعيش مرحلة تزايد سكانى كبير لم يسبق أن مر بها فى تاريخه من قبل ، فقد وصل عدد سكان العالم الى ٥٣٨٠ مليون نسمة سنة ١٩٩١ ويزيد سنويا بمعدل يصل الى نحو ٩٠ مليون نسمة ، وسوف يتضاعف عدد سكان العالم بعد حوالى ٤٠ سنة فقط .

ومن هنا تصبح دراسة السكان ذات اهمية قصوى حيث تتأثر حياة المجتمعات بعضها ببعض وترتبط الظواهر السكانية فى معظم أقطار العالم ان لم يكن كلها ، بالسياسات الاقليمية والدولية التى تتشابك فى نهاية الامر لتكون صورة عالمية ذات علاقات متبادلة بين أجزائها ، ولذلك فان معرفة الحقائق السكانية تعد أساسا هاما لفهم الكثير من المتغيرات الدولية ـ بل لا غنى عنها لطالب الدراسات الاجتماعية .

ويبدأ دارس علم السكان بثلاثة أسئلة رئيسية تكون فى الواقع مجال الدراسة واطارها العام ، وهى :

١ ـ كم عدد السكان الذين يعيشون فى منطقة محددة ويكونون مجتمعا ذا صفات مميزة ؟

وماهى التغيرات التى تطرأ على هذا الحجم السكانى وتؤثر فيه بالزياة أو النقصان ؟ ويقصد بها المواليد والوفيات والهجرة .

٢ ـ مانوع السكان الذين تضمهم المجموعة السكانية وماهى مظاهر اختلافهم عن غيرهم من المجموعات الاخرى ، وبالتالى ماهى خصائصهم السكانية الكمية ـ ويقصد بذلك كله تركيب السكان وتقسيمهم حسب فئات طبيعية أو مكتسبة (التركيب العمرى ـ والنوعى ـ والاقتصادى ـ والعرقى ـ واللغوى ... الخ) .

٣ _ كيف يتوزع السكان فى المنطقة التى يعيشون بها ؟ وما هى العوامل والتغيرات المرتبطة بهذا التوزيع ؟

وتكمن أهمية دراسة حجم السكان ومكوناته ليس فقط فى محاولة معرفة العدد الحالى ونموه فى الفترات السابقة بل وفى تحديد التزايد السكانى فى المستقبل وبالتالى تقدير عدد السكان فى سنوات مقبلة ، ولذلك أهمية كبرى للمخططين فى الدولة والذين يضعون خطط التنمية المتعددة الجوانب وفق حجم السكان فى السنوات المعنية ٠

وفى محاولة لتعليل التغيرات السكانية ومكونات النمو فى المستقبل يسعى الباحث فى مجال السكان (الديموغرافى) الى معرفة أسبابها ، وهذه المكونات ثلاث : المواليد (الخصوبة) والوفيات والهجرة ، وهى تتأثر بالعديد من العوامل المتشابكة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، ومحاولة فهم هذه التغيرات تعين على فهم احتمالات التزايد أو التناقص فى المستقبل وبالتالى الوصول الى حجم تقريبى للسكان فى سنوات مقبلة ٠

أما التركيب السكانى فيعنى ببساطة جميع الخصائص السكانية التى يمكن قياسها رقميا مثل نسبة الصغار أو الكبار أو نسبة القادرين على العمل أو نسبة الامية فى المجتمع وغير ذلك ٠

ويعد تركيب السكان حسب العمر والنوع أكثر أنواع التركيب تداولا فى دراسة السكان حيث تنسب اليه الكثير من العمليات الديموغرافية (السكانية) الاخرى فى مجال المواليد أو الوفيات أو الهجرة ٠

ومن الخصائص السكانية الهامة الاخر فى مجال التركيب السكانى نمط المعيشة الممثلة فى الموطن الريفى أو الحضرى ثم الحالة الزواجبة والمهنة والتعليم والدىن واللغة ولكل واحدة من هذه الخصائص ارتباط بعدد المواليد والوفيات فى منطقة معينة وكذا بعدد من يهاجرون الى المنطقة ومن ينزحون عنها ، فدارس السكان لايدرس فقط التركيب السكانى فى وقت معين فحسب بل ويتناول أيضا التغيرات التى تحدث فى التركيب وأسباب هذه التغيرات وتأثيرها على حياة المجتمع ، ولاريب فى أن التركيب الديموغرافى لشعب من الشعوب يؤثر فى بقية العمليات الديموغرافية _ وهذه بدورها تؤثر فى هذا الشعب عن طريق التجديد المستمر للاجيال المتعاقبة حسب السن والنوع ٠

أما السؤال الثالث،وهو اين يتوزع السكان ؟ فيهتم بأمرين : العدد _

والمكان ، وقد يتحدد المكان بمنطقة صغيرة مثل القـــرية أو الشياخـة أو المدينـة أو المحافظة أو القطـر أو حتى القارة بأكملها ، فحين ننظر الى التوزيع الداخلى لشعب مثل الشعب المصرى ـ تبرز عدة أسئلة مثل : كم من المصريين يعيشون فى الريف ، وكـم منهم فى الحضر ، وكم يعيشون فى الوادى ـ والدلتا والصحراء ـ وماهى عوامل تغير التوزيع فى السـنوات الاخيرة ـ وماهى استراتيجية اعادة توزيع السكان فى المستقبل ـ سـواء فى الحضر أو الريف أو الصحراء ـ ويهم الباحث باستمرار الوقوف على أسباب التوزيع ومؤثراته وماهى معدلات النمو العـــددى للسكان ـ ثم فى النهاية ماهى النتائج التى تترتب على اعـــادة التوزيع ســـواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ٠

ولكى نقف على اجابات كل الاسئلة السابقة فلا مناص من دراسة حجم السكان وتركيبهم وتوزيعهم ، وأن نفهم ديناميكية النمو والوفاة والهجـرة وأن نبحث المغـــزى الاجتماعى الذى تنطوى عليه كل هـــذه العمليات الديموغرافية بالنسبة لحياة الانسان والمجتمع ٠

وجدير بالذكر أن دراسة السكان تعتمد أساسا على الارقام المستقاة من مصادرها المختلفة ، الا أن الرقم بذاته ليس ذا معنى ويجب ربطه بأرقـام أخرى فاذا قلنا مثلا أن سكان مصر سنة ١٩٨٦ هو ٥٠ مليون نسمة فان هذا الرقم لا يكتسب معنى الا اذا قارناه بمثيله سنة ١٩٦٦ (٣٠ مليون) أو سنة ١٩٦٠ (٢٦ مليون) أو فى سنة ١٩٤٧ (١٩ مليون نسمة) ومن هنـا يجب أن نعى فى ذاكرتنا أرقـــاما رئيسية معينة لانهـا تضفى معنى على أرقام أخـــرى ، ومن أمثلة الارقام الرئيسية التى من هـــذا القبيل نسبة سكان الحضر ، ومعدل المواليد ومعـــدل الوفيات وهكذا ٠ وبالاضافة الى ذلك ينبغى أن يكون الباحث فى مجـال الســكان على دراية ببعض المصـادر الرئيسية التى يستطيع أن يجد فيها بسرعة أبرز الحقائق السـكانية التى يحتاج اليها ٠

وتعرف الدراسة العلمية للسكان باسم علم الديموغرافيا Demography أو علم السكان ، وهى كلمة تتكون من مقطعين اغـريقيين هما Demos وتعنى شعب أو سكان و graphia وتعنى وصف،وبذلك يكون معنى الكلمة باكملها وصف السكان والكتابة عنهم ، وأبسـط تعريف للديموغرافيا أنها علم احصائى يهتم بدراسة حجم وتوزيع وتركيب السكان ومكونات التغـير الافقى والرأسى فى هذه العناصر الثلاثة مثل المواليد والوفيات والهجرة ثم التغير الاجتماعى للفرد فى المجتمع بصـــوره المتعددة اجتماعيا وثقـافيا واقتصاديا ٠

ماهو مفهوم جغرافية السكان ؟

جغرافية السكان فرع حديث من فروع الجغرافيا البشرية التى تدرس العلاقات المتعددة القائمة بين الانسان وبيئته ، والسكان هم المحور الرئيسى الذى تدور حوله ومن خلاله كثير من العلوم فى شتى المجالات سواء كانت علوما انسانية أو تطبيقية ٠

وقد شهدت السنوات الاخيرة تزايدا كبيرا فى الكتابات حول جغرافية السكان والمشكلات المرتبطة بها ، وذلك كانعكاس للاهتمام الذى لقيه هذا العلم الاجتماعى على يد كثير من الباحثين المعاصرين ، وأبرز هؤلاء تريوارتا (Trewartha) الذى أماط اللثام فى خطابه الذى ألقاه أمام اتحاد الجغرافيين الامريكيين فى عام ١٩٥٣ عن مغزى جغرافية السكان ومحتواها وعند ذلك التاريخ فان ماكتب عن هذا العلم قد تزايد كما ونوعا وبدأ يأخذ طريقه فى منهج مستقل فى أقسام الجغرافيا كفرع من فروعها البشرية الهامة٠

وقد أوضح تريوارتا فى تعريفه لجغرافية السكان أن مضمونها يتركز فى فهم التباينات الاقليمية فى الغطاء السكانى للارض ، ويشمل ذلك دراسة العوامل المؤثرة فى هذا الغطاء بهدف الوصول الى هذا الفهم ، وهناك باحث أمريكى مرموق آخر فى جغرافية السكان هو زيلنسكى Zelinsky يعرف هذا العلم بأنه «العلم الذى يدرس أساليب تكون الشخصية الجغرافية للأمكنة وانعكاسها على مجموعة الظاهرات السكانية التى تتباين فى الزمان والمكان ، كما أنها تتبع قوانينها السلوكية متفاعلة الواحدة مع الاخرى ومع الظاهرات الديموغرافية المتعددة»(١) ، ويحدد زيلنسكى ثلاثة أنماط من الاهتمامات فى ترتيب تصاعدى حسب أهميتها : الوصف المبسط لموقع الاعداد والخصائص السكانية (أى أين توجد ؟) ، ثم تفسير الاختلافات المكانية لهذه الاعداد والخصائص (أى لماذا توجد ؟) ، ثم التحليل الجغرافى للظاهرات السكانية (العلاقات المتبادلة بين الاختلافات المكانية للسكان مع باقى العناصر الجغرافية لهذا المكان)(٢) ٠

وتحدد السيدة بيجو ـ جارنيير (Madame Beaujeu Garnier) ـ وهى

---

(1) Zelinsky, W. A Prologue to Population Geography. Prentice. Hall International, Inc., London, 1970, p. 5.

(2) Ibid., pp. 5-6.

باحثة جغرافية فرنسية ـ مهمة الجغـــرافى السكانى فى بحث الحقـــائق الديموغرافيا فى بيئتهـا الحـالية ودراســة الاسباب وخصـائصها الاصلية ونتائجها المترتبة عليها ، وتبين هى الاخرى ثلاثة مستويات من المشكلات تتضمن توزيع السكان على سطح الارض ، وتطور المجتمعات البشرية ثم درجة النجاح والتقدم الذى حققته(١) . كذلك يذكر كلارك (Clarke) أحـد الجغرافيين الانجليز أن جغرافية السكان تهتم بتحليل الاختلافات المكانية فى التوزيع والتركيب والهجـرات والنمو السكانى وعـلاقتها بتبـــاين الخصـــائص البيئية ، ويميز «كلارك» بذلك بين جغـــرافية الســـكان والديموغرافيا Demography فى أن الاولى تهتم بفهم التباين فى المتغيرات الديموغرافية وعلاقتها بباقى المتغـــيرات المرتبطة بها ، والتمييز الثانى بينهما يكمن فيما ذكره من أن الديموغرافى يكرس جهده للارقام ويعتمـد بالدرجة الاولى على الاساليب الاحصائية بينما الجغـــرافى السكانى يربط الارقام بالاماكن ويعتمد على الخرائط(٢) .

وبايجاز فان العامل المشترك فى آراء الباحثين عن جغرافية السكان هو التباين المكانى وذلك ابتداء من المشاهدة وتحليل أنماط التوزيعات المكانية حتى محاولات حل مشكلات العلاقات الثابتة بين المتغيرات المتعـددة التى تفسر قدرة السكان على التغيير والتغير .

وفى ضوء مجالات الدراسة الســكانية فى البيئات المختلفة فانه يمكن تعريف جغرافية السكان بأنها «**ذلك الفرع من الجغـــرافيا البشرية الذى يعالج الاختلافات المكانية للخصائص الديموغـرافية للمجتمعات السـكانية ويدرس النتائج الاقتصادية الاجتماعية الناجمة عن التفاعل المرتبط بينهـا وبين الظروف الجغرافية القائمة فى وحدة مساحية معينة**» . وبالاضافة الى ذلك فان جغرافية السكان بخلاف بعض الفروع الاخرى تعد أكثر حساسية للبعد الزمنى ، فتاثير الزمن يعد ذا أهمية كبيرة فى دراسة تطور الجوانب السكانية المختلفة فى وقت محدد أو على امتداد فترة زمنية معينة .

العلاقة بين جغرافية السكان والديموغرافيا :

تتناول الدراسة الجغرافية للســكان ثلاثة جوانب رئيسية هى نمـو السكان ، وتوزيع السكان على سطح الارض ، ثم تركيب السكان بعد ذلك،

---

(1) Eeaujeu - Garnier, J. (Mme) Geography of Population Translated by Beaver, S. H., Longmans, London, 1968, pp. 3-4.

(2) Clarke, J., Population Geography, Pergamon Press, London, 1969, p. 5.

والاساس فى هذه الدراسة هو العلاقات المكانية التى تميز جغرافية السكان عن الديموغرافيا ذلك العلم الذى يتناول السكان رقميا كموضـوع مستقل عن البيئة ، ففى الوقت الذى يهتم فيه الديموغرافى بالارقام ويعتمد أساسا على الطرق الرياضية والاحصائية فان الباحث فى جغـرافية السكان يربط هذه الارقام بالبيئة الجغرافية ويعتمد فى تحليله على الخرائط المتعددة .

على أن مجـالات البحث لكل من العـلمين : الجغـرافيا السكانية والديموغرافيا ـ لاتعنى فصلا تاما بينهما ، بل أن هناك علاقة تكاملية بين العلمين فى الواقع ، حيث يتناول كل منهما الظاهرة السكانية الواحدة من جوانب مختلفة ،فالديموغرافيا تتناول الجانب الرقمى والجغرافيا الجانب التحليلى بغية تحديد الاطـار المكانى الصحيح وتوضيح مختلف العوامل التى تحكم علاقات السكان ببيئتهم داخل حدود هذا الاطار .

وازاء ذلك فان جغـرافية السكان بمفهومها الحـديث لاتستطيع أن تتغافل دور الديموغرافيا ذلك لان العلاقة بينهما متبادلة فى الواقع ،وتقوم الطرق الرياضية والاحصائية بدور الوسيط بينهما ، ومن هنا فان الفصـل بينهما يعد أمرا صعبا من ناحية ولايساعد على مواكبة جغرافية السـكان لركب التطور العلمى الحديث من ناحية أخرى ،ذلك لان معظم الجغرافيين يدركون مدى الاهمية والعلاقة بين البحث الديموغرافى والجغرافى ، وقـد ظهر هذا الاتجاه جليا فى السنوات الاخيرة عندما بدأ الجغرافى يوسع رؤيته للعلاقات المختلفة بحثا عن اجابات لحركة السـكان داخل الاقليم وعوامل هذه الحركة معتمدا على التحليل الرقمى كأساس وقاعدة .

ومن أبرز ملامح الارتباط الديموغرافى ـ الجغرافى ـ أو الديموجغرافى ـ دراسة التطور السكانى والعـوامل الرئيسية التى أسهمت فيه ثم تحـديد مراحل هذا النمو وارتباطها بالظروف الجغـرافية السائدة التى تؤثر فى توزيع السكان تركزا وتشتتا عمريا واقتصاديا فى اطار جغرافى ذى صفـات بشرية وطبيعية محددة ، وتعد دراسة الهجرة السكانية وفودا أو نزوحا من أبرز ملامح الارتباط العضوى بين العلمين : الديموغرافيا والجغرافيـا ذلك لان الهجرة ظاهرة ديموغرافية تتحكم فيها مجمـوعة من العوامل التى تتطلب فى تحليلها أساسا احصائيا وفى تعليلها أساسا جغـرافيا تفسر من خلاله أسباب الوفود ودوافع النزوح الكامنة فيها .

كذلك فان من مظاهر الارتباط بين هـذين العـلمين دراسة مستقبل السكان وتخطيط مواردهم ، ويعد الجغرافى فى الواقع أقدر الباحثـين فى

مجال التخطيط على تحديد اتجاه النمو السكانى داخل رقعة الاقليم معتمدا فى ذلك على دراسة الظروف المحلية التى تؤدى الى توفر عوامل الجذب والطرد فى حركة السكان وتطورها على مستوى الوحدات الصغرى داخل الاقليم ، ولقد حدا ذلك الارتباط القوى ببعض الباحثين الى أن يطلق على جغرافية السكان الجغرافية الديموغرافية Demographic Geography (١) ـ أو الديموجغرافيا بمعنى آخر ٠

ويبدو أن المستقبل سيحمل بين طياته تزايد الاهتمام بدراسة حركة السكان وعواملها لما لذلك من أهمية كبرى فى التخطيط الاقليمى والعمرانى ، ويقود ذلك تلقائيا الى القول بأن الاهتمام بالكم فى جغرافية السكان سيتزايد فى المستقبل حيث يعالج الاختلافات المكانية لتوزيع السكان فى اطار زمنى محدد ٠

وباختصار فانه يبدو أن جغرافية السكان ستحاول أن تحدد ملامح الظاهرات السكانية وأثرها فى احداث تغير ما فى زمن ما وفى مكان ما اعتمادا على تحليل البيانات السكانية المتاحة بأسلوب كمى Quantitative أكثر تطورا وفهما لحقائق الارقام بغية الوصول الى فهم حقيقى للغلاف السكانى على رقعة الارض ومكونات هذا الغلاف واحتمالات تزايده فى المستقبل وعلاقته بالموارد المختلفة ٠

---

(1) Ackerman, E. A; Geography and Demography, The Study of Population, edited by Hauser, P. M. and Duncan O. D., Chicago, 1959 pp. 717-727.

مصادر دراسة السكان :

تعتمد الدراسات السكانية على مجموعة من المصادر الاحصائية المختلفة ، ذلك لانها تتناول دراسة أحوال السكان فى وقت معين بما فى ذلك توزيعهم الجغرافى وتركيبهم المتعدد الجوانب ، كذلك تدرس حركة السكان الطبيعية وغيرالطبيعية وما ينتج عنها من زيادة أو نقصان فى حجم السكان.

ويمكن تقسيم مصادر دراسة السكان الى مجموعتين رئيسيتين هما :

١ ـ مصادر البيانات الثابتة :

وهى التى تدرس توزيع السكان وتركيبهم فى تاريخ محدد وتمثلها التعدادات والمسح بالعينة .

٢ ـ مصادر البيانات غير الثابتة :

وهى التى تدرس حركة السكان فى المجتمع مثل سجلات المواليد والوفيات وحالات الزواج والطلاق وسجلات الهجرة .

أولا ـ مصادر البيانات الثابتة :

١ ـ التعداد Census :

تعد التعدادات السكانية المصدر الرئيسى فى جميع دول العالم لدراسة توزيع السكان وتركيبهم فى تاريخ محدد وفى منطقة محددة ، وبالرغم من أن نظام التعداد قد عرف فى الازمنة القديمة كما كان الحال فى مصر الفرعونية والدولة الرومانية ، الا أن أقدم تعداد فى العصر الحديث قد أخذ فى اسكنديناو وبعض الولايات الايطالية والالمانية خلال القرن الثامن عشر ، فقد أخذ أول تعداد فى ايسلندا سنة ١٧٠٣ والسويد سنة ١٧٤٩ وسكسونيا وهانوفر سنة ١٧٤٤ والنرويج سنة ١٧٦٠ والدنمرك فى سنة ١٧٦٩ واسبانيا سنة ١٧٨٧ ، وفى الولايات المتحدة الامريكية أخذ أول تعداد سنة ١٧٩٠ بالرغم من أن هناك بعض ولايات أخرى قد سبقت فى تعداداتها هذا التاريخ ، وفى سنة ١٨٠١ أخذت بريطانيا وفرنسا أول تعداداتها ، وقد تبع ذلك وخلال القرن التاسع عشر كل الدول الاوربية فى فترات زمنية دورية محددة ، وفى مصر أخذ أول تعداد شامل فى سنة ١٨٨٢ وان كانت قد سبقته عدة محاولات لتقدير السكان بها بل ان هذا التعداد ذاته يدور حوله الكثير

من الجدل مما يجعله تقديرا أكثر منه تعدادا ، وفى خلال القرن العشرين وخاصة منذ الحرب العالمية الاولى ازداد عدد الدول التى أخذت بنظام التعداد السكانى حتى أصبح يغطى معظم دول العالم فى الوقت الحاضر ٠

تعريف التعداد : يمكن تعريف تعداد السكان بأنه «العملية الكلية لجمع وتجهيز وتقويم وتحليل ونشر البيانات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بكل الافراد فى قطر أو جزء محدد المعالم من قطر وفى زمن معين»(١) ٠

والتعداد الشامل للسكان ينبغى أن تتوفر به عدة خصائص هى العد الفردى ، والشمول داخل منطقة جغرافية محددة والآنية ، ثم أن يتم اجراؤه فى فترات دورية محددة ، والعد الفردى يعنى أن يعد كل فرد على حدة وأن تسجل خصائص الفرد منفصلة عن غيره من الافراد وذلك حتى يمكن تصنيف السكان فيما بعد حسب هذه الخصائص مثل التصنيف حسب العمر والحالة التعليمية والنشاط الاقتصادى وغير ذلك تصنيفا متقاطعا فى جدوال التعداد النهائية ٠

أما الشمول داخل منطقة محددة فيعنى أن التعداد ينبغى أن يشمل منطقة محددة بدقة مثل قطر بأكمله أو وحدات ادارية محددة داخل هذا القطر على أن يشمل العد كل الافراد داخل هذه الوحدات ، والآنية تعنى أن كل شخص يشمله التعداد يجب أن يعد فى وقت أقرب مايمكن الى نفس اللحظة الزمنية المعينة التى يجب أن تحدد جيدا ، كما يجب أن تستند البيانات التى تم جمعها الى فترة زمنية معرفة تعريفا دقيقا كأن تكون فى يوم محدد يختار بعناية داخل الدولة أو المكان وتكون حركة السكان خلاله أقل مايمكن حتى تعبر البيانات عن توزيع السكان بدقة ٠

وتعنى الدورية المحددة فى التعدادات أنها يجب أن تجرى على فترات منتظمة حتى تتاح المعلومات القابلة للمقارنة فى تتابع زمنى معين يمكن من خلاله مقارنة الحاضر بالماضى وكذلك تقدير المستقبل على أساس هذا التطور ٠

وتختلف الدول فى تعداداتها السكانية فى بعض الوجوه مثل الفترة

---

(١) الامم المتحدة : المكتب الاحصائي ـ مبادىء وتوصيات لتعداد السكان لعام ١٩٧٠ ـ ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ـ القاهرة١٩٦٧ ص٣ ٠

الدورية للتعداد أو طريقة آخذه ، فهناك بعض الدول تاخذ تعدادهــا كل خمس سنوات مثل فرنسا واليابان والدنمرك وهندوراس والبعض الاخــر كل عشر سنوات مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وكندا والمكســيك ومصر فيما بين تعدادى ١٨٩٧ و ١٩٤٧ والهند وبلجيكا واسبانيا وبورمــا وشيلى ، وفريق ثالث ليست الفترات التعدادية محددة عنده ســواء عشر سنوات أو حتى عشرين سنة مثل البرازيل ، أو خمس أو عشر سنوات مثل فنزويلا • ويرجع هذا التفاوت الى مجموعة من العوامل قد تكون أهمها العوامل السياسية التى تؤثر فى السلسلة التعدادية مثل فرنسا التى لم يؤخذ بها تعداد سنة ١٩١٦ ولا تعداد سنة ١٩٤١ بسبب الحربين العالميتين الاولى والثانية على التوالى ، كذلك مصر التى أجلت تعداد سنة ١٩٥٧ بســبب العدوان الثــلاثى عليها فى سنة ١٩٥٦ ــ ثم اجلت تعــــداد ١٩٧٠ بسبب العدوان الاسرائيلى فى سنة ١٩٦٧ وماترتب عليه من تهجير لسكان منطقة القناة غير ولاشك خريطة السكان فى البلاد ، ولكنها أخذت تعدادا شــاملا فى أواخر سنة ١٩٧٦ بعد حرب أكتوبر (تشرين) بثلاث سنوات عــاد فيها سكان القناة الى ديارهم •

كذلك فان هناك بعض الدول ليست لديها فترات تعدادية منتظمة ــ ففى الاتحاد السوفيتى السابق الشاسع المساحة فان آخر تعداداته هى تلك التعدادات الستة التى أخذت فى سنوات ١٨٧٩ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٩، ١٩٥٩، ١٩٧٠ ، ١٩٨٩ ، كذلك فان هناك دولا سارت على فترات تعدادية منتظمة ثم تخلت عنها بعد ذلك ، مثل مصر بين ١٨٩٧ ــ ١٩٤٧ ، ثم هناك دول لم تأخذ تعدادا واحدا فى تاريخها الحديث مثل سلطنة عمان •

وقد يحدث ألا يشمل التعداد كل سكان الدولة بنفس الطريقة التى يتم بها ، ففى جنوب افريقيا يتم عد الاوربيين كل خمس سنوات والافريقيين كل عشر سنوات ، وخلال الفترة الاستعمارية فان الســـكان الاوربيين فى معظم الدول الافريقية كان يتم عــــدهم بانتظام بينما يتم تقدير الســكان الوطنيين تقديرا يشوبه الكثير من الخطأ ، وفى أمريكا اللاتينية فــانه فى بعض الحالات لايدخل السكان الهنود الذين يعيشون بالمناطق الغابية ــ فى التعداد اطلاقا •

وبالاضافة الى ذلك فان طريقة أخذ التعداد تختلف أحيانا من دولة لأخرى فهناك طريقة العد الفعلى de Facto التى يقصـــد بها عــد السكان فى المكان الذى يوجدون به يوم التعداد بصرف النظر عن مواطنهم الدائمة ويتبع هذه الطريقة كثير من دول العالم مثل بريطانيا ومصر وغــيرها •

والطريقة الاخرى هى طريقة العد حسب مكان الاقامة المعتاد de Jure وليس تبعا لأماكن تواجدهم يوم التعداد وتتبع هذه الطريقة بعض الدول مثل الولايات المتحدة ، كما أن هناك دولا تتبع الطريقتين معا مثل البرازيل .

ولا تختلف دول العالم فى دورية التعدادات بها ولا فى طريقة أخذها فحسب ، بل أنها تختلف فى تقسيم السكان حسب التركيب العمرى أيضا، فالفئة العمرية الخمسية هى الغالبة فى معظم تعدادات العالم ، وان كانت بعض الدول تتبع الفئات العمرية العشرية وخاصة الاعمار الوسطى والكبيرة .

ويسجل التعداد السكانى خصائص متعددة للسكان،مثل توزيع السكان والعمر والنوع والحالة المدنية ومحل الميلاد والديانة والحالة التعليمية والمهن والنشاط الاقتصادى وغير ذلك ، وقد أوصت الامم المتحدة التى قامت وتقوم بدور كبير فى مجال الدراسات السكانية ـ بأن يشمل التعداد البيانات الرئيسية التالية(١) :

١ ـ مجموع عدد السكان
٢ ـ النوع والسن والحالة المدنية .
٣ ـ مكان الميلاد والجنسية ومحل الاقامة .
٤ ـ التركيب الاسرى .
٥ ـ اللغة الاصلية والحالة التعليمية والدينية .
٦ ـ النشاط الاقتصادى .
٧ ـ نمط العمران (حضر ـ ريف) .
٨ ـ الخصوبة .

وقد يظهر عند استخدام هذه الخصائص مشاكل من نوع خاص وذلك لان بعض السكان قد يصعب وضعهم فى فئات معينة ، مثل النشاط الاقتصادى ، وحتى تحديد سن الشخص يكون عادة موضع شك ، ففى كل بلدان العالم يدلى أناس كثيرون باجابات متناقضة فيما يتعلق بأعمارهم، وخاصة الاناث وكبار السن ويترتب على ذلك مشكلات متعددة فى دراسة باقى خصائص السكان كما سيبدو فيما بعد .

---

(١) المرجع السابق ص ٣ وما بعدها .

ويمكن تمييز دول العالم حسب الدقة فى بياناتها الاحصائية فدول غرب أوربا والولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلندا والارجنتين واليابان والاتحاد السوفيتى تتميز احصاءاتها بالشمول والدقة ، كما أن هناك دولا أخرى تسير فى طريق تحسين بياناتها بشتى الطرق ، ومع ذلك فانها ماتزال تعانى من عدم الدقة فى تلك البيانات مثل معظم دول امريكا اللاتينية وبعض دول الشرق الاوسط مثل مصر والكويت وبعض دول شمال افريقيا مثل تونس . وهناك فريق ثالث من الدول ماتزال بياناته ـ ان توفرت ـ تحمل فى طياتها كثيرا من الخطأ والغموض مثل معظم الدول الافريقية وبعض دول الشرق الاوسط وبعض الدول الاسيوية .

وتتعدد أوجه استخدام التعدادات السكانية ـ ذلك لان تعداد السكان هو المصدر الاول للبيانات الاساسية اللازمة عن السكان للاغراض الادارية ولكثير من نواحى البحث والتخطيط الاقتصادى والاجتماعى،ويعد توفير الحقائق الاساسية بالنسبة للادارة والسياسة الحكومية هدفا أصليا من أهداف التعداد مثل تقسيم القطر الى مناطق انتخابية وتخصيص التمثيل فى الهيئات الحاكمة الذى يعتمد على التوزيع الجغرافى للسكان ، وتعد معرفة التوزيع السكانى على رقعة الدولة أو الوحدة الجغرافية ضرورة من ضرورات التخطيط الاقتصادى والاجتماعى بغرض تنمية المجتمع ، مثل تخطيط القوى العاملة والهجرة والاسكان والتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية والعديد من الجوانب الاخرى فى حياة المجتمع البشرى .

كذلك فان فائدة التعداد تظهر فيما يقدمه من بيانات للبحوث المختلفة التى تدرس تركيب السكان وتوزيعهم ونموهم فى الحاضر والمستقبل والانماط المتغيرة للمجتمعات الحضرية والريفية ونمو مناطق الحضر وتوزيع السكان جغرافيا حسب خصائصهم المتعددة مثل المهنة والتعليم والتركيب واختلاف مستويات الخصوبة والوفاة للفئات العمرية المختلفة .

وهناك استخدامات أخرى للتعداد السكانى منها أهميته فى التجارة والصناعة حيث تتوقف التقديرات التى يمكن الثقة بها عن طلب المستهلكين على السلع والخدمات التى تتزايد تنوعها باستمرار،على معلومات دقيقة عن حجم السكان فى أجزاء القطر وتوزيع هؤلاء السكان حسب العمر والنوع على الاقل لان هذه الخصائص تؤثر بشدة على الطلب على الاسكان والتموين والملابس ومرافق الترفيه والخدمات الصحية ، وبالاضافة الى ذلك مدى توفر الايدى العاملة محليا لانتاج وتوزيع هذه السلع والخدمات على الوحدات الجغرافية المختلفة .

٢ ـ المسح بالعينــة Sample Survey :

أصبح استخدام المسح بالعينة من العوامل المكملة للتعدادات السكانية فى سبيل الحصول على بيــانات توضح كل أو بعض خصــائص الســكان ، وتستخدم على المستويين القومى والمحلى لهذا الغرض ، كما هى الحــال فى سبيل الحصــول على بيــانات توضح كل أو بعض خصــائص السكان ، الدراسات النظرية والتطبيقية ٠

والعينة جزء من المجتمع تختلف عما يسمى بالحصر الشامل ، الذى يشمل كل أفراد المجتمع ويتمثل فى التعداد القومى ، ولكنها تتميز عنــه ببعض النواحى أهمها أن استخدام العينة يوفر جزءا من الجهد والنفقات كذلك تكون البيانات التى تنتج عن العينــة دقيقة ، كما أن كثــيرا من الاخطاء التى قد تقع أثناء التعداد مثل حــذف بعض الوحدات و عــد البعض الاخر مرتين أو أكثر يمكن الحكم عليها بعد اجراء التعــداد باخذ عينة منها ودراستها لمعرفة مدى دقة التعداد ، ففى تعداد السكان بالهنــد سنة ١٩٥٠ حذف ١١ فى الالف من السكان المعدودين وقدرت نسبة الحذف فى تعداد السكان سنة ١٩٥٠ بالولايات المتحدة بنحو ٣ر٢٪

ولقد مزجت بعض الدول حديثا ـ بين اجراء التعداد وأسلوب العينة بقصد الحصول على بيانات اضافية من الصعب الحصول عليها من التعداد خشية عدم دقتها مما يلزم اختيار عينة من السكان وتوجيه مجمــوعة من الاسئلة الاضافية الى أفرادها كما حدث فى تعداد السكان بالعينة فى مصر سنة ١٩٦٦ ، وكذلك فى تعداد سنة ١٩٨٦ ٠

وتصمم العينــــة للحصول على بيانات تطبق على المجتمــع السكانى بأكمله ، ولتحقيق ذلك فانها يجب أن تسحب طبقا لقواعد محددة ودقيقة دون أن يكون فيها تحيز من أى نوع ، واذا ما اتبعت قواعد المعاينة بأمانة ودقة فان العينة حينئذ تكون ممثلة لاجمالى السكان[١] ٠

---

(١) توجــد أنواع مختلفة من العينـــات أهمها العينات العشــوائية البسيطة والعينة الطبقية والعينة المنتظمة والعينة المتعددة المراحل ٠

راجع أ ـ أحمــد عباده سرحان ـ مقدمة فى الاحصــاء الاجتماعى ـ الاسكندرية ـ ١٩٦٣ ص ٢٩٤ ٠

ب ـ حسن محمد حسين ـ البحث الاحصائى : أسلوبه وتحليل نتائجه ـ القاهرة ١٩٦٤ ص ١٩٠ وما بعدها ٠

جـ ـ Gregory, S., Statistical Methods and The Geographer, Longman, London, 1971, pp. 100-142.

ثانيا ـ مصادر البيانات غير الثابتة :

١ ـ الاحصاءات الحيوية Vital Statistics :

ليس من السهل دراسة العوامل المؤثرة فى حجم السكان باستخدام بيانات التعداد فقط ذلك لان التعدادات دورية وليست سنوية كما أن بيانات العناصر الحيوية للسكان لاتتوفر كثيرا بها ولذلك فان الاعتماد الاساسى يكون على الاحصاءات الحيوية والتى تكون فى معظم دول العالم قائمة على التسجيل الحيوى الاجبارى بحكم القانون والذى يشمل تسجيل المواليد والوفيات والزواج والطلاق .

وتعد احصاءات المواليد من أهم الاحصاءات الحيوية حيث يمكن من خلالها معرفة حركة النمو الطبيعى للسكان،وتختلف البيانات التى تسجل للمولود من بلد لاخر حسب مستواه الحضارى،ولذلك تختلف دول العالم فى البيانات الحيوية المتوفرة لديها ، ففى بعضها يوجد ٥٠ عنصرا فى السجل الحيوى للمواليد والوفيات والزواج والطلاق ، والبعض الاخر ينخفض لديه هذا العدد الى أربعة عناصر فقط ، ولاشك أن الحالة الاولى تعطى ثروة احصائية يمكن تحليلها بدرجة كبيرة أكثر من الحالة الثانية التى لاتكاد تغطى الحد الادنى من البيانات المطلوبة والتى غالبا ما تتمثل فى ديانة الوالدين وأعمارهم ومواطنهم وصناعاتهم وحالتهم التعليمية .

وبالرغم من أن دولا كثيرة تتوفر لديها احصاءات حيوية دقيقة الا أن هناك دولا خرى لا تملك حتى البيانات الاولية ، فاحصاءات الوفيات الدقيقة توجد لدى حوالى ربع سكان افريقيا ونصف سكان آسيا وأمريكا الجنوبية و ٨٥٪ من سكان أوروبا و ٨٧٪ من سكان الاوقيانوسية و٩٨٪ من سكان أمريكا الشمالية ، وليست احصاءات المواليد بأحسن حالا من ذلك، فتصل هذه النسبة الى ٧٥٪ من سكان نيكاراجوا و ٨٠٪ فى بيرو و ٥ر٨٦٪ فى بورتوريكو و ٩٨٪ فى كندا والولايات المتحدة ، وعلى العموم فانه يمكن القول بأن معدل المواليد والوفيات ليس من السهل الحصول عليه بدقة كاملة لحوالى نصف سكان العالم .

وتعد الصين من أكبر دول العالم سكانا والتى لاتتوفر عنها بيانات دقيقة ، كما أن هناك دولا أخرى قليلة الحجم السكانى تشاركها فى ذلك ، ومن أبرزها فيتنام وكوريا وأفغانستان والمملكة السعودية ولبنان واليمن فى آسيا وتشاد وأثيوبيا وملاوى وسيراليون والصومال فى افريقيا .

٢ ـ سجلات الهجرة :

تعد بيانات الهجرة أقل قيمة من بيانات الاحصاءات الحيوية وذلك

لعدة أسباب منها أن تعريف المهاجر يختلف من مكان لاخر أحيانا ، كذلك قد يكون التصنيف القائم على مدة الهجرة والمسافة التى يقطعها المهاجر غير واضح ، كما تزداد صعوبة الحصول على بيانات الهجرة اذا كانت داخلية بين مناطق القطر المختلفة مما يلزم دراستها اعتمادا على بيانات التعداد حيث يقارن تعدادان متتابعان ثم يعرف نصيب الزيادة الطبيعية فى حجم السكان والباقى يمثل الهجرة سواء كانت سالبة أو موجبة .

وتتوفر بيانات الهجرة الدولية لدى كثير من دول العالم حيث تقوم بذلك نقط الجمارك والجوازات والجنسية فى الموانىء والمطارات وأماكن العبور ، ويمكن من خلالها تتبع تدفق المهاجرين من والى القطر سنة بعد أخرى بما فى ذلك التقلبات التى تحدث استجابة للظروف الاقتصادية أو السياسية ، وتتوفر هذه البيانات فى سجلات العبور التى تكشف عن الحركة وحجمها فى كلا الاتجاهين .

ولكن الملاحظ أن معظم خصائص المجموعات المهاجرة يتغير ، ذلك لان السكان يغيرون بصفة مستمرة من نشاطهم الاقتصادى وحالتهم المدنية والتعليمية مما لايظهر فى سجلات العبور ، ولذلك فانها ليست دائما محل ثقة فى البحث عن أسباب الهجرة ودوافعها مما يجعل الباحث يتجه الى مصادر احصائية أخرى لدراسة هذه الظاهرة السكانية .

تقويم مصادر الدراسة السكانية :

تتفاوت مصادر الدراسة الجغرافية للسكان من حيث مدى الحصول عليها من ناحية ومدى الوثوق فى صحتها ودقتها من ناحية أخرى ، ذلك لان هناك أسبابا كثيرة للاخطاء وعدم الدقة سواء فى التعدادات أو فى الاحصاءات الحيوية ، منها الحذف أو العد أكثر من مرة لاغراض خاصة أهمها اغراض حكومية أو انتخابية ، كذلك فان استمارات التعداد بعد ملئها يكون فيها نقص فى أعمار الاشخاص وحتى ان ذكرت هذه الاعمار فقد لاتكون بدقة . ولقد ثبت أن أكثر الاخطاء من هذا النوع تكون بين الاشخاص الصغار حيث لا تحسب بعض الاسر أفرادها الصغار ولا تهتم بذكر اعمارهم كما يبالغ بعض الكبار فى أعمارهم حتى يظهروا بمظهر المعمرين من الناس وفى كثير من الدول النامية توجد مبالغة فى الاعمار المنتهية بالصفر وبالخمسة وسنناقش ذلك فى الحديث عن التركيب العمرى فيما بعد .

وتعانى الاحصاءات الحيوية كثيرا من النقص فى بعض الدول ، ذلك

لان المواليد لايسجلون بأكملهم كما هى الحـــال فى المناطق البعيـدة عن المواصـــلات وقد لا يسجل المواليد الاناث فى بعض المناطق لاعتبـــارات اجتماعية مما يؤدى الى عدم الاعتماد كلية على السجلات الحيوية فى هذه المناطق ، وحتى فى الدول المتقدمة لايتم تسجيل الولادات فور حدوثها بل تتفاوت من يوم واحد مثل معظم الولايات المتحدة الى٦٢يوما فى نيوزيلنده ثم الى ٩٠ يوما فى المناطق الوعرة بالبرازيل ٠ كما أن كثيرا من الوفيـات للاطفال الرضع تحـــول دون تسجيلهم سواء ضمن المواليد أو الوفيات ، وكذلك الحال فى تسجيل الوفيات الذى يشوبه الخطأ فى بعض الاحـوال سواء حسب الاعمار أو الاسباب التى أدت للوفاة مما يجعل البيانات تعامل بحذر باستمرار ٠

ولاتقتصر الاخطاء فى المصادر الاحصـــائية الجغرافية للسـكان على التعداد أو سجلات المواليد والوفيات فقط بل تتعداها الى سجلات الهجرة وسجلات الزواج فى الدول الغربية وكذا سجلات القوى العاملة وتصنيفاتها المختلفة ، ويرتبط بعامل الدقة فى المصادر الاحصائية تعريف سكان الحضر والريف والذى يبدو بسيطا فى أول الامر بيد أنه يختلف اختلافا كبيرا بين دول العالم حسب الاسس التى يعرف عليها ، فبعض الدول تعتبر الحضر مرتبطا بالوظيفة الادارية كما هى الحال فى جنوب افريقيا وتونس ومصر والبرازيل والملكة المتحدة وكمنولث الدول المستقلة ، وهناك دول أخرى تأخذ الحجم السكانى كأساس آخر فى تعريف الحضر كحد أدنى له مثـل ٢٥٠ نسمة فى الدنمـــرك و ٢٠٠٠ فى فرنســا و ٢٠٫٠٠٠ فى هولنــــده و ٣٠٫٠٠٠ فى اليابان و ٤٠٫٠٠٠ فى كوريا ، ويستخدم الاساس الادارى والسكانى فى تحديد المراكز الحضرية فى بعض الدول مثل كنـدا والولايات المتحـدة والنرويج ، وهنـــاك مجمـوعة رابعة من الدول تتخذ الوظيفة الاقتصادية أساسا فى التعريف ، كما هى الحـــال فى ايطاليا التى تعتبر المراكز العمرانية الحضرية تلك التى يعمل أكثر من ٥٠٪ من سـكانها فى أعمال غير زراعية ٠

الباب الأول

توزيع السكان ـ أنماطه وعوامله

الفصل الأول

أساليب التوزيع السكانى

بذلت عدة محاولات لتبسيط توزيع السكان توزيعا مساحيا بصورة احصائية ، ومع ذلك فانه من الصعب تحليل التوزيعات المساحية لتباين حجم السكان فى الوحدات الادارية فى ضوء حركة السكان الجغرافية واختلاف تركيبهم العمرى والمهنى والنوعى،ويرتبط ذلك باسلوب توضيح التوزيع السكانى على الخرائط واختيار الطريقة الملائمة لهذا الغرض سواء كانت خرائط التوزيع المتساوى *Isopleths* أو خرائط التوزيع النسبى **Choropleths** والرموز النسبية من ناحية ، والفئات المتساوية (فئات التظليل والتوزيع المتساوى) وحجم ومواقع النقط والرموز من ناحية أخرى ، وهناك كثير من المؤلفات فى فن رسم الخرائط توضح الاساليب المختلفة فى التوزيعات السكانية والطرق المتعددة لابرازها(١) ، ولن نعرض لها هنا الا بقدر ما ترتبط بتحليل العلاقة بين السكان والبيئة كلما كان ذلك ضروريا .

وقد ظهرت خرائط توزيع السكان فى القرن الثامن عشر،ولكن التطور الحقيقى لها بدأ حديثا منذ القرن الماضى عندما أصبحت البيانات الديموغرافية متوفرة عن ذى قبل ، واعتمادا على الوحدات المساحية والطرق المستخدمة ومدى توفر البيانات ومجالات تحليلها فان خرائط السكان يمكن أن توضح الكثافة والتغير والخصائص السكانية فى الوحدات الادارية ذات المساحات المتفاوتة .

وقد ظهرت أقدم خرائط للسكان التى تتمثل فيها رموز مختلفة الحجم

---

(١) راجع مثلا :

أ ـ Monkhouse, F. J. and Wilkinson, H. R., Maps and Diagrams, Methuen, London, 1961, pp. 217-280.

ب ـ محمد محمد سطيحة ـ دراسات فى علم الخرائط ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٢ ـ ص ٣٠١ ومابعدها .

منذ مايقرب من مائتى سنة ، وأقدم الامثلة على ذلك خريطة أوربا التى رسمها كروم A. F. Crome (١٧٨٥) وخريطة فرنسا التى رسمها فرير دى مونتيزون A. Frere de Montizon (١٨٣٠) ، وقد تبع ذلك استخدام كبير للخرائط السكانية فى القرن التاسع عشر بعد أن اتضحت أهميتها كأساس هام لدراسة السكان ٠

وخرائط توزيع السكان تبين التوزيع العددى المطلق فى منطقة ما وفى وقت ما ، أما خرائط الكثافة فانها تنسب السكان الى المساحة،وقد ظهرت أول خريطة لكثافة السكان فى العالم فى لندن سنة ١٨٣٣وقد رسمها سكروب G. P. Scrope كذلك نشر هنرى دروری هـــارنس H. Drury Harness مجموعة من خـــرائط الكثافة السكانية لايرلنده ونشرت فى تقرير هيئـة السكك الحديدية بايرلنده سنة ١٨٣٧(١) ٠

وقد شاع استخدام خرائط التوزيعات المطـلقة والنسبية للسكان بعـد ذلك لتحديد حجم السكان ونسبة تزايدهم أو تناقصهم فى مناطق محـددة ومقارنتها بعضها بالبعض ، وقد تطورت أساليب رسم هذه الخرائط ولكنها تتفق جميعا فى ابراز العلاقة بين السكان وبيئتهم والموارد المتاحـة بهـا كما وكيفا ٠

ورغم أهمية خرائط التوزيعات السكانية النسبية فان هناك عدة صعاب تظهر عند استخدام مقاييس الكثافة المستقاة من هذه الخرائط أبرزها :

أ ــ أن بيانات السكان تتوفر فقط للوحـدات الادارية أو التعـدادية وليست للمناطق المتجانسة اقتصاديا أو سكانيا،ولذلك فان الحدود الادارية تحكم باستمرار فى مجال التوزيع وامتداده فى الوقت الذى تعد فيه هـذه الحدود من أسوأ أنواع الحدود فى دراسة السكان ٠

ب ــ ان الكثافات السكانية هى مجرد متوسطات means بكل مايكمن فى المتوسطات من عيوب احصائية ٠

جـ ــ ان انشاء خرائط الكثافة السكانية يعتمد على اختيـار الفئـات المختلفة التى تتمثل فى مفتـــاح الخريطة ، ومن ثم يمكـــن أن تختلف

---

(1) A - Kormoss I. B. and Kosinski L. A., Population Mapping : International Geographical Union, Bruges, 1973, p. 5.
B - Clarke, J., Op. Cit., p. 28.

خريطتان لكثافة السكان فى منطقة واحدة باختلاف اختيار الفئات التوزيعية فى كل من الخريطتين كما يرتبط بذلك أيضا أسلوب وطريقة تظليل الفئات الكثافية فى الخريطة ٠

مقاييس كثافة السكان وتوزيعهم :

يهتم دارس السكان بمعرفة حجم السكان فى مساحة محددة وذلك بهدف تحليل صورة التوزيع السكانى فى الدولة أو فى الاقليم أو المحافظة أو حتى المركز الادارى ، وذلك لان توزيع السكان لايتوزع بانتظام فى المجتمعات المختلفة ، ويرتبط ذلك بعدد من العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والتى يختلف كل منها فى أهميته النسبية من مكان لاخر ، وتتداخل هذه العوامل مع بعضها البعض فى شكل مترابط ومعقد فى معظم الاحوال فى تحديد تركز السكان فى مجتمع ما وتشتتهم فى مجتمع آخر حتى يبدو سكان منطقة ما نتاجا للتفاعل بين النظم الحضارية وباقى النظم الاخرى فى المجتمع ٠

ويلجأ الباحث السكانى فى محاولة للوصول الى تحديد رقم معين بين العلاقة العددية بين السكان والمساحة التى يعيشون فيها الى استخدام بعض المقاييس البسيطة على النحو التالى :

١ ـ الكثافة الحسابية أو الخام Crude Density :

وهى أبسط أنواع المقاييس المستخدمة فى دراسات السكان و تعنى ببساطة جملة عدد السكان فى وحدة مساحية معينة وتأخذ بذلك الصيغة التالية :

$$\frac{\text{جملة عدد السكان فى منطقة ما}}{\text{المساحة الكلية لهذه المنطقة}}$$

مثال : كثافة السكان فى مصر ١٩٨٦ = $\frac{٥٠٫٤٥٥٫٠٠٠}{١٠٠١٤٤٩}$ = ٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع

وهذا النوع من الكثافة الخام لايعطى الا فكرة بسيطة عن مدى تركز السكان فى الاقليم ، وتتناسب فائدته تناسبا عكسيا مع حجم المساحة الارضية فكلما كبرت المساحة كلما كان مدلول الكثافة الخام سطحيا وعاما ومن هنا فان قيمتها تبدو فى مقارنة المناطق الصغيرة المساحة والمتجانسة فى ظروفها الطبيعية والاقتصادية مثل مقارنة كثافة السكان فى قرى مصر

ومراكزها وأقسامها الادارية أو محافظاتها فى وادى النيل والدلتا حيث تكون الفروق البيئية والبشرية قليلة ، وعلى العموم فان كثافة السكان الخام لايمكن النظر اليها على أنها مقياس ضغط سكانى حيث أنها لا تعبر عن علاقات وظيفية بين السكان والمساحة التى يشغلونها ومن ثم فهى ذات أهمية قليلة فى دراسة العلاقة بين السكان والموارد .

ب ـ الكثافة الفيزيولوجية **Phisological Density** :

أدت العيوب المرتبطة بالكثافة الخام للسكان الى محاولة تنقية كل من البسط أو المقام فى هذه النسبة أو تنقيتهما معا ، ومن ثم محاولة قصر المقام على الاراضى المأهولة بالسكان فقط دون اعتبار للاراضى غير المسكونة أو الخالية من السكان ، وبذا يمكن حساب كثافة السكان فى الاراضى الزراعية فقط والتى تعرف بالكثافة الفيزيولوجية وتكون صيغتها حينئذ كالتالى :

$$\frac{\text{جملة عدد السكان فى منطقة ما}}{\text{مساحة الاراضى الزراعية فى هذه المنطقة}}$$

مثال : الكثافة الفيزيولوجية فى مصر سنة ١٩٨٦ = $\frac{٥٠٫٤٥٥٫٠٠٠}{٣٥٥٨٠}$

= ١٤١٨

نسمة فى الكيلو متر المربع

ومن هنا فان حساب الكثافة الفيزيولوجية يستبعد تماما الاراضى الصحراوية والاراضى البور التى لم تستغل فى الزراعة ومعنى ذلك أننا ننسب حجم السكان الى مساحة الارض الزراعية المنتجة وليس الى المساحة الكلية للارض أيا كانت .

والكثافة الفيزيولوجية تفوق الكثافة الخام للسكان دائما وتعد مصر من الامثلة التقليدية على ذلك فى الدراسات السكانية ، حيث يسكن ٩٩٪ من جملة سكانها البالغ عددهم ٥٠٫٤٥٥٫٠٠٠ نسمة فى تعداد ١٩٨٦ ـ فى مساحة تصل الى ٣٥٥٨٠ كيلو مترا مربعا أى بنسبة ٣٫٥٪ من جملة مساحتها التى تبلغ ١٫٠٠١٫٤٤٩ كيلو مترا مربعا ، ولذلك فان الكثافة الخام لسكان مصر تصل الى ٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع بينما تقفز الكثافة الفيزيولوجية الى ١٤١٨ نسمة فى الكيلو متر لمربع ، وتعد فى الواقع من أعلى الكثافات فى دول العالم . وليس ذلك فقط بل انها فى تزايد مستمر كما تبين الارقام التالية :

تطور كثافة السكان فى مصر

سنة التعداد	الكثافة الخام نسمة فى الكيلو متر مربع	الكثافة الفيزيولوجية نسمة فى الكيلومتر مربع
١٨٨٢	٧	١٩٦
١٨٩٧	١٠	٢٨٠
١٩٠٧	١١	٣٢٥
١٩١٧	١٣	٣٧١
١٩٢٧	١٤	٤١٠
١٩٣٧	١٦	٤٦٦
١٩٤٧	١٩	٥٤٦
١٩٦٠	٢٦	٧٣٣
١٩٦٦	٣٠	٨٤٥
١٩٧٦	٣٨	١٠٧٤
١٩٨٦	٥٠	١٤١٨

ورغم أهمية الكثافة الفيزيولوجية فانه ينبغى التعامل معها بحذر ذلك لان الاراضى غير الزراعية ـ والتى لاتدخل فى المقام قد تكون مستغلة فى أوجه نشاط اقتصادى آخر مثل التعدين أو الغابات أو المراعى وغير ذلك وبالاضافة الى ذلك فان الاراضى الزراعية التى ينسب اليها عدد السكان تتباين فى قدراتها الانتاجية سواء فى نوع المحاصيل المنزرعة وقيمتها وعدد المواسم الزراعية فى السنة الواحدة وغير ذلك ، كذلك فان السكان يختلفون مهنيا وثقافيا وحضاريا مما يصعب معه الوصول الى صورة دقيقة للعلاقة بين توزيع السكان والارض الزراعية ٠ ومع كل ذلك فان الكثافة الفيزيولوجية تعد تطويرا للكثافة الخام وتعطى الملامح العامة لهذه العلاقة ٠

٣ ـ نسبة التركز السكانى **Concentration Ratio** :

يرتبط بدراسة توزيع السكان محاولة التعرف على نمط التركز السكانى فى الاقليم ، أى مدى ميل السكان الى التركز فى منطقة واحدة داخل حدود الاقليم ، أو التشتت داخل هذه الحدود ، ذلك لان دراسة التوزيع السكانى لاتهتم بالتوزيع العددى المطلق للسكان فى أقسام الاقليم بل بدراسة توزيع الكثافة فى هذه الاقسام والتى تلقى الضوء على مدى العلاقة بين التوزيع العددى ومساحة الرقعة المأهولة ٠

ويحسب التركز السكانى باستخدام بعض الطرق الاحصائية من أهمها ما يعرف بنسبة التركز التى تأخذ الصيغة التالية :

نسبة التركز = ½ مج | س ـ ص |

حيث س = النسبة المئوية لمساحة المنطقة الى جملة مساحة الاقليم الكلية .

ص = النسبة المئوية لعدد سكان المنطقة الى جملة سكان الاقليم الكلية .

مج = مجموع الفرق الموجب بين هـذه النسب بعضها وبعض ـ أى مجموع القيم دون النظر للاشارات السالبة .

ومعنى ذلك أن نسبة التركز تساوى احصائيا نصف مجموع الفرق الموجب بين النسبة المئوية للمساحة والنسبة لعدد السكان فى كل منطقة من مناطق الاقليم ، وكلما كبرت هذه النسبة كلما دل ذلك على شدة التركز والعكس كلما قلت فان التركز يبدأ فى القلة ويبدو التشتت مميزا لتـوزيع السكان ويديهى أن توزيع السـكان يكون مثاليـا اذا كانت نسبة التركز تساوى صفرا ، وكلما زادت كلما كان ذلك قرينة للتوزيع غـير المتسـاوى وكلما اتجه التوزيع السكانى نحو التركز وليس نحو التشتت .

ويوضح الجدول التالى طريقـة حساب نسبة التركـز وتطبيقها على مدينة الاسكندرية .

القسم	النسبة المئوية من المساحة الكلية (س)	النسبة المئوية من جملة السكان (ص)	الفرق الموجب (س) ـ (ص)
الجمرك	٣ر٠	٣ر٩	٠ر٩
الرمل	٥ر٣	٤ر١٠	٩ر٦
الدخيلة	٤ر٢١	٥ر١	٩ر١٩
العطارين	٧ر٠	٧ر٤	٠ر٤
اللبان	٦ر٠	١ر٥	٥ر٤
المنتزه	٠ر٦٠	٨ر١١	٢ر٤٨
المنشية	٢ر٠	٨ر٢	٦ر٢
باب شرقى	١ر٥	٨ر١٥	٧ر١٠
كرموز	١ر١	٧ر١٢	٦ر١١
محرم بك	٣ر١	٣ر١٧	٠ر١٦
ميناء البصل	٨ر٥	٦ر٨	٨ر٢
الجملة	١٠٠	١٠٠	٢ر١٢٦

وبتطبيق المعادلة السابقة نجد أن :

نسبة التركز = ½ × ١٣٦ر٢ = ١ر٦٨٪

ومعنى ذلك أن توزيع السكان على رقعة الاسكندرية غير متساو حيث أنه يكون مثاليا اذا كانت هذه النسبة تساوى صفرا ، وكلما ازدادت كلما كان ذلك قرينة التوزيع غير المتساوى وكلما ازداد تركز السكان وليس تشتيتهم وعلى سبيل المثال كانت هذه النسبة فى الاسكندرية ٨٠٪ سنة ١٨٩٧ ثم هبطت الى ٨٥٪ سنة ١٩٢٧ ثم الى ١ر٦٨٪ سنة ١٩٦٠ ثم الى ٦٥٪ سنة ١٩٦٦ ، ومعنى ذلك أن ظاهرة التركز السكانى فى طريقها الى التناقص ولكن ببطء وبدأ السكان يتوزعون فى مساحات أوسع مما كانت عليه فى مطلع هذا القرن ، والاستفادة بهذه النسبة لاتكون كبيرة الا اذا حسبت لعدة تعدادات متعاقبة حتى يمكن الحكم على اتجاهها صعودا أو هبوطا أو ثباتا ، كما أنها تفيد عند المقارنة بين عدة أقاليم للوقوف على نمط التركز السكانى ودرجته بكل منها .

٤ ـ درجة التزاحم السكانى Crowding :

سبق القول بأن كثافة السكان هى عبارة عن العلاقة بين المساحة الكلية وبين عدد السكان ولاشك أن هذا يحمل فى طياته الكثير من المبالغة ولا يؤدى الى معرفة تركز السكان بدقة فى أحد أقسام المدينة أو شياخاتها ، وتعد درجة التزاحم السكانى من أنسب مقاييس تركز السكان فى المدن باقسامها ووحداتها الادارية المختلفة ، وهى أبسط أنواع المقاييس فى حسابها حيث يقصد بها مايخص الحجرة الواحدة من الافراد أىأننانحصل عليها ببساطة بقسمة عدد السكان فى المنطقة على مجموع عدد الغرف التى يتخذها هؤلاء السكان ، وهى تعد من المقاييس الهامة فى الحكم على المستوى الاجتماعى والاقتصادى السائد فى دراسة السكان فى أحياء المدينة الواحدة كما أنها تعد مؤشرا للكثير من المتغيرات الديموغرافية كالخصوبة والوفيات بعامة ووفيات الاطفال الرضع بصفة خاصة .

قياس العلاقات السكانية ـ المكانية :

من المعروف فى جغرافية السكان أن توزيع البشر فى اقليم ما هو دالة لعوامل متشابكة ليس من السهل فصل احداها عن بقية العوامل وبمعنى آخر فان تضافر عوامل متعددة فى بيئة ما هو الذى يحدد شكل التوزيع السكانى والعمرانى ، وقد بذلت عدة محاولات لتبسيط توزيع السكان توزيعا مساحيا بصورة احصائية ، ومع ذلك فانه من الصعب تحليل هذه

التوزيعات تحليلا كميا فى ضوء حركة السكان الجغرافية وتبـاين التركيب الديموغرافى لهم ، ويرتبط ذلك بأسلوب توضيح التوزيع السـكانى على الخرائط واختيار الطريقة الملائمة لهذا الغرض سواء كانت خرائط التوزيع المتساوى ، أو خرائط التوزيع النسبى من ناحية ، والاشكال ذات الفئات المتساوية وحجم ومواقع النقط والرموز من ناحية أخرى •

ورغم أن الجغرافى المبتدىء قد يكون على علم بمقاييس كثافة السكان وتوزيعهم مثل الكثـافة الحسـابية أو الفيزيولوجية أو الزراعيـة لتحديد علاقة السكان بالارض عدديا،فان هناك بعض المقاييس الاخرى التى تفيد الباحث فى محاولة التعرف على نمط التركيز فى منطقة واحدة داخل حدود الاقليم والتشتت داخل هذه الحدود ، ذلك لان دراسـة التوزيع السـكانى لاتهتم فقط بالتوزيع العددى المطلق للسكان فى أقسام الاقليم ، بل دراسة توزيع الكثافة فى هذه الاقسام والتى تلقى الضوء على مدى العـلاقة بين التوزيع العددى ومساحة الرقعة المأهولة •

ويحسب التركز السكانى باستخدام عـدة طرق احصائية من أهمهـا مايعرف بنسبة التركـز التى سبق ذكرهـا وكذلك منحنى لورنز Lorenz Curve وطريقة القرب النسبى أو مايعرف أحيانا بالثقل السكانى الكمى•

منحنى لورنز :

وهو من الطرق المستخدمة لمعرفة مدى التساوى أو عدم التسـاوى فى توزيع السكان فى اقليم محـدود وعلى امتداد فترات زمنيـة متعاقبة وقد استخدم فى الاصل لقياس تركز الدخل والثروة ، ويمكن استخدامه فقـط عندما تنقسم المنطقة المراد دراستها الى وحدات مساحية صغيرة حسب عدد السكان بكل منهـا وفى هذه الحالة ننشىء جـدولا خاصا يوضح توزيع الوحدات المساحية الصغيرة حسب فئـات الكثافة السكانية فى كل فئـة ثم بنسبة كل عدد فى كل من هذين العمودين الى مجموع العمود الذى هو فيه ثم بالضرب فى مائة نحصل على النسب المئوية لكل منهما ومن هنـا يبدو مدى التوزيع السكانى هل هو متساو أو غير متساو ـ فلو تساوت النسبة المئوية للمساحة مع النسب المئوية للسكان كان توزيعـا متساويا ، أما اذا اختلفت النسب مع بعضها كان ذلك دليلا على عدم التساوى فى التـوزيع السكانى على رقعة الاقليم (كما هى الحال فى تحليل نسبة التركز) •

ويمكن مقارنة توزيع السكان فى تعدادات متعاقبة باستخـدام منحنى لورنز ، مع ملاحظـة أنه اذا كانت زيادة السـكان بمعدل واحـد فى كل

الوحدات المساحية فى الاقليم فـان نمط التركز سيظل ثابتا هـو الاخر ، وعموما فان منحنى لورنز لايختلف كثيرا فى طريقة حسابه عن نسبة التركز التى سبق الحديث عنها ، ويكمن الاختلاف بينهما فى امكان دراسة التطور فى الكثافة باستخدام المنحنى أى فى العـلاقة بين المساحـة والسكان على مستوى الاقليم بوحداته الادارية المختلفة .

مثـال تطبيقى :

ـ الغرض من الدراسة :

توضيح العـلاقة السـكانية ـ المكانية سـواء للتركز أو للتناثر وذلك باستخدام منحنى لورنز وتحليل معدل الانحدار الكثافى .

ـ مصدر البيانات : تعداد السكان .

ـ طريقة اجراء الدراسة :

١ ـ تحديد أقسام المدينة وفق حدودها الادارية كما جاء بالتعداد .

٢ ـ حساب جملة السكان ـ وجملة المساحـة الكلية لاقسام المدينـة والمجموع الكلى للسكان والمساحة للمدينة كلها .

٣ ـ حساب نسبة السكان فى كل قسم الى جملة سكان المدينة .

٤ ـ حساب نسبة مساحة كل قسم ادارى الى جملة مساحة المدينة .

٥ ـ ترتيب الاقسام الادارية من الادنى للاعلى (ترتيبا تصـاعديا) حسب نسبتها فى الخطوة الرابعة السابقة ووضع ما يقابلها من نسب السكان لكل قسم .

٦ ـ جمع كل مجموعة من هاتين المجموعتين جمعا تراكميا بحيث تكون أول قراءتين من أدنى نسبة مساحية (خطوة ٤) ومايقابلها من نسبة سكانية (خطوة ٣) ، وهكذا حتى نصل الى آخر قراءتين وستكونان حينئذ أكبر نسبة مساحية وأكبر نسبة سكانية أو ١٠٠٪ لكل منهما .

٧ ـ استخدام النسب التراكمية كمحاور لرسم منحنى لورنز مع وضع نسب السكان على المحور الافقى ونسب المساحة على المحور الرأسى وطبعا سيقسم كل من المحورين الى ١٠٠٪ .

٨ ـ رسم مجموعة من الدوائر المتعاقبة على خريطة المدينة بحيث تكون مركزها واحدا بادئا من مركز المدينة .

٩ ـ رسم هستوجرام (رسم بيـانى ذو مستطيلات رأسية) يوضـح كثافة السكان مقابل المسافة من مركز المدينة ٠

تطبيق على مدينة الاسكندرية :

تتكون الاسكندرية من ١١ قسما اداريا (حسب تعداد ١٩٦٦) وقد تم الاستعانة بتعداد السكان لتحديد النسب المئوية لجملة سكان كل قسم من هذه الاقسام الاحد عشر ، والتى تكون المدينة بأكملها ، وكذلك مساحة كل قسم من جملة المساحة الكلية ، وبعد ذلك نجمع النسب المساحية ـ السكانية تراكميا ، بادئين بأقل نسبة حتى نصل الى أكبر نسبة من المساحة الكلية ونحصـل على المحـورين الرأسى والافقى اللازمين لرسـم منحنى لورنز وستكون أول قيمتين على المحورين الرأسى والافقى هما قيمة قسم الجمرك حيث يعيش ٨ر٥٪ من جملة سكان المدينة فى ٣ر٠٪من جملة المساحة الكلية لها ، وتليها القيمتان ٢٥ر١٪ من السكان يعيشون فى ١ر٦٪ من المساحـة وذلك بعـد اضافة قسم محرم بك الى الجمرك سويا ، وباستمرار جمـع القيم تراكميا بعد ذلك حتى أكبر قيمة أخيرة وهى قسم الدخيلة سـيكون مجموع كل من العمودين ١٠٠٪ ، ويوضح ذلك الجدول التالى ، حيث تم توقيع كل قيمتين متقـابلتين على محورى الرسـم حيث يبين المحـور الافقى نسب السكان تراكميا والمحور الرأسى نسب المساحة تراكميا كذلك، وبتوصيل النقط بعضها ببعض على شكل منحنى يمكن مقارنته بالتـوزيع المثالى (النظرى) الذى يمثله الخط الواقع بزاوية ٤٦° من نقطة الاصـل والذى يوضح التوزيع المتساوى تماما للسكان ، أى أن هذا التوزيع المثالى يفترض مثلا أن ٢٠٪ من السكان يعيشون فى ٢٠٪ من المساحة و ٥٠٪ منهم يعيشون فى ٥٠٪ من المساحة وهكذا ٠ ولكن هذا لايتحقق فى الواقع ،ويبدو الفرق بين التوزيع المثالى والتوزيع الواقعى بمقارنة الخط المثالى الذى يبينه الرسم (الواصل بزاوية ٤٥°) والمنحنى الفعلى النـاتج عن توصيل قيم السكان والمساحة ، ويبين الفرق بينهما ـ بين الخط والمنحنى ـ درجة عدم تساوى التوزيع السكانى فى المدينة ، وعلى الباحث دائمـا أن يفسر الاسباب المحلية لهذه الاختلافات بعد رسم المنحنى المطلوب(شكل رقم ١)٠

وعلى سبيل المثال يبين منحنى لورنز لمدينـة الاسـكندرية أن هناك تركزا سكانيا فى المدينة حيث يتركـز أكثر من ٤٠٪ من جملة سكانهـا فى مساحة تصل الى ٥ر٣٪ فقط من رقعـة المدينة كلها ، وأن حـوالى ثلثى جملة السكان يتركز فى أقل من عشر مساحة المدينة ، ومن هنا يتبادر الى الذهن مباشرة أن هناك نطاقا كبيرا فى المدينة يمكن أن يستوعب أعـدادا أكبر كما أنه يمثل مجالا جغرافيا لاعادة توزيع السكان به ٠

جدول يبين التوزيع المئوى التراكمى للمساحة والسكان
لاقسام مدينة الاسكندرية (١٩٦٦)

القسم	% لجملة السكان	التكرار المتجمع الصاعد	% لجملة السكان	التكرار المتجمع الصاعد
الجمرك	٨ر٥	٨ر٥	٠ر٣	٠ر٣
محرم بك	١٦ر٦	٢٥ر١	١ر٣	١ر٦
المنشية	٢ر٥	٢٧ر٦	٠ر٢	١ر٨
كرموز	١١ر٠	٣٩ر١	١ر١	٢ر٩
اللبان	٤ر٥	٤٣ر٦	٠ر٦	٣ر٥
العطارين	٤ر٢	٤٧ر٨	٠ر٧	٤ر٢
باب شرقى	١٥ر٥	٦٣ر٣	٥ر١	٩ر٣
الرمل	١٦ر٠	٧٩ر٣	٣ر٥	١٢ر٨
مينا البصل	٩ر٤	٨٨ر٧	٥ر٨	١٨ر٦
المنتزة	٩ر٣	٩٨ر٠	٦٠ر٠	٧٨ر٦
الدخيلة	٢ر٠	١٠٠ر٠	٢١ر٤	١٠٠ر٠
الجملة	١٠٠ر٠	—	١٠٠ر٠	—

حساب القرب النسبى أو الثقل السكانى الكمى :

هناك طريقة مبسطة لتحليل توزيع السكان فى الاقليم جاء بها ستيوارت (١٩٤٧) وعدلت فيما بعد على يد كل من ورنتز Warntz ونفت Neft (١٩٦٠)٠وتتلخص هذه الطريقة فى الوقوف على مايعرف بالقرب النسبى للسكان Relative Proximity حول أى مركز عمرانى معلوم ، وتعرف أحيانا بالثقل السكانى الكمى Population Potential ، ويعرف ستيوارت هذا الثقل الكمى لأى مركز محدد بأنه :

«مجموع حاصل ضرب السكان فى المسافة بين هذا المركز العمرانى والمراكز المجاورة» ٠

ويمكن حسابه باستخدام الصيغة التالية :

الثقل السكانى الكمى لأى مركز عمرانى (وليكن أ مثلا) هو :

مـحـ ك × م

حيث :

ك = عدد السكان فى المركز العمرانى الاخر (المجاور) ٠

م = المسافة بين هذا المركز الاخر والمركز العمرانى (أ) ٠

مـحـ = مجموع حاصل الضرب

مثال : المطلوب حساب الثقل السكانى الكمى للمركز العمرانى (أ) فى ضوء علاقته بالمراكز الاربعة المجاورة .

جدول يبين حساب الثقل السكانى الكمى

المركز العمرانى	عدد السكان ك	البعد (المسافة) عن المركز (أ) (م)	ك × م
أ	٢٠٠	—	٢٠٠
ب	٤٠٠	٥	٢٠٠٠
جـ	٥٠	١٠	٥٠٠
د	١٠	٢٠	٢٠٠
هـ	٤٠	٤	١٦٠٠

مجـ ك م = ٣٠٦٠

وهكذا يمكن تكرار نفس الطريقة فى حساب الثقل السكانى الكمى لكل المراكز العمرانية الاخرى ومن ثم رسم خطوط كثافة متساوية Isopleths لنتائج العمليات الحسابية (حيث يكون لكل مركز عمرانى رقم خاص به) .

وقد أدخل كل من ورنتز Warntz ونفت Neft تطويرا على الطريقة السابقة وذلك لاستنتاج مايعرف بنصف القطر الديناميكى Dynamical Radius والذى يمكن الحصول عليه بالمعادلة التالية :

$$\sqrt{\frac{\text{مجـ}\,(\text{ك} \times \text{م}^{2})}{\text{ك}'}}$$

حيث :

ك = عدد السكان فى المركز العمرانى المجاور

م = المسافة بين هذا المركز العمرانى والمركز المراد دراسته

كَ = جملة عدد سكان المنطقة المراد دراستها

ط = نصف القطر الديناميكى

وبتطبيق هذه المعادلة على بيانات الجدول السابق نحصل على :

$$\text{ط} = \sqrt{\frac{(٤٠٠ \times ٢٥) + (٥٠ \times ٢١٠) + (١٠ \times ٢٢٠) + (٤٠ \times ٢٤)}{٧٠٠}}$$

= ٣ر٥ كيلو متر .

وعلى ذلك فانه داخل دائرة نصف قطرها ٣ر٥ كيلو مترا من المركز المراد دراسته يعيش ٩١٪ من سكان الاقليم كله ٠

$$\left[\text{أى } \frac{٦٤٠}{٧٠٠} \times ١٠٠ = ٪٩١ \right]$$

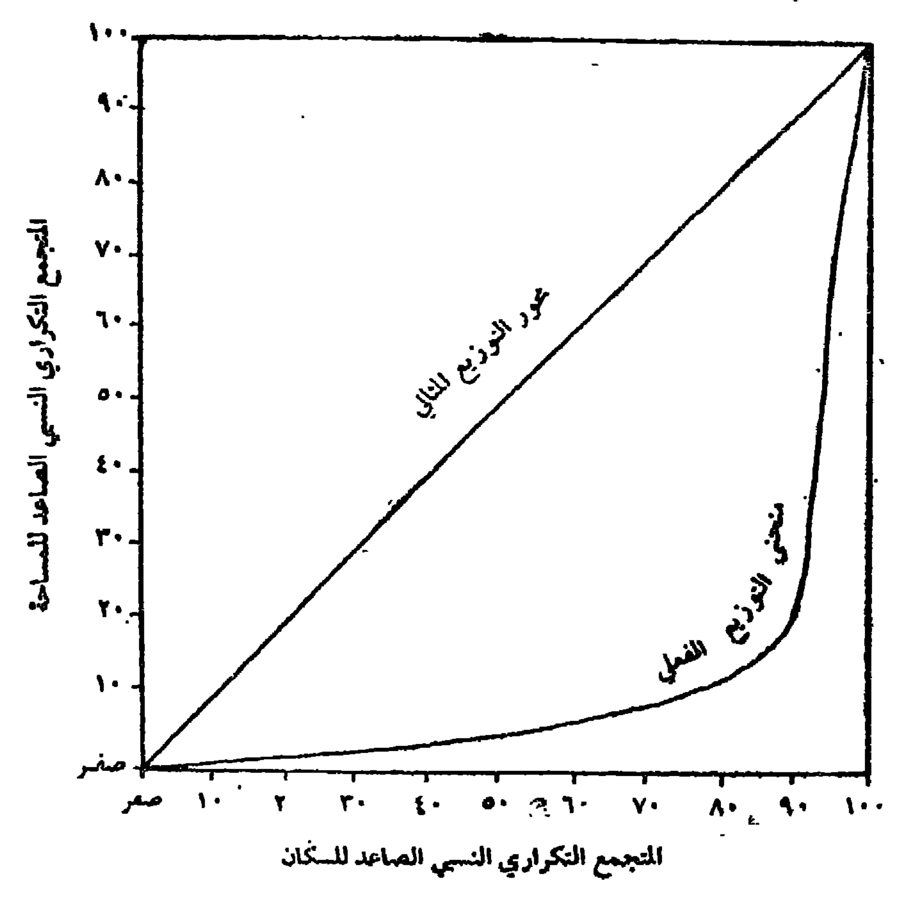
ويلاحظ أن الرقم ٦٤٠ هنا يمثل جملة سكان المراكز العمرانية داخل دائرة تحيط بالمركز العمرانى المراد دراسته ويصل نصف قطرها الى ٣ر٥ كيلو متر ، أو بمعنى آخر فهى جملة عدد سكان الاقليم كله ناقص سكان المركز حـ ، د اللذان يبعدان بأكثر من ٣ر٥ كيلو متر من المركز العمرانى (أ) ٠

النزعة المركزية لتوزيع السكان :

هناك بعض الطرق الاخرى التى تهتم بتجديد مركز الثقل السكانى فى الاقليم ، وقد تطورت هذه الطرق فى العشرينيات وأوائل الثلاثينيات على يد الجغرافى الروسى سفياتلوفسكى Sviatlovsky الذى عنى بدراسة توزيع سكان الاتحاد السوفيتى وتحديد الموضع المركزى لهم،وتسمى نقطة الوسط mean point أو المركز المتوسط mean centre بمركز الجاذبية أو نقطة التساوى السكانى،وهى تعد نقطة ارتكاز التوزيع والتى يفترض أن تكون كل وحدة ذات وزن مساو فى مستوى مسطح افتراضى ، والتى يمكن أن تتحدد بتعيين نقطة التقاطع للمحورين الرأسى والافقى التى يكون المستوى عندها متعادلا تماما ، وبعبارة احصائية أخرى فهى النقطة التى يكون مجموع مربع المسافات ذات التوزيع السكانى حولها فى أدنى قيمة ممكنة والمركز المتوسط يكون حينئذ مساويا للتوزيع المساحى للوسط الحسابى للتوزيع الخطى ٠

ومن بين المقاييس المتعددة للنزعة المركزية ـ يعد المركز المتوسط أكثرها فائدة فى دراسة التغير السكانى فى المساحات المختلفة فى فترة زمنية محددة ، ومثله مثل الوسط الحسابى فى التوزيع الطولى ـ فان عيبه الرئيسى هو تاثره بالقيم المتطرفة الى حد كبير ، كذلك فهناك المركز الوسيط median centre والمركز المنوالى modal centre لتوزيع السكان وكلاهما يرتبط بالوسيط والمنوال فى الاحصاء ، وببساطة يشير المركز المنوالى الى أقصى كثافة فى رقعة الاقليم ، ويرتبط موضعه فى هذا المسطح الاقليمى بأحجام المساحات المدروسة ، وتتميز كثير من الدول بمراكز سكانية أحادية المنوال Uni - modal centres مثل انجلترا (لندن) وفرنسا

(باريس) والارجنتين (بوينس ايرس) ومصر (القاهرة) كأمثلة واضحة، فى الوقت الذى تبدو فيه معظم العواصم الافريقية عكس ذلك تماما، وهناك دول ثنائية المنوال bi - modal centre مثل ساوباولو وريو دى جانيرو فى البرازيل وسدنى وملبورن فى استراليا ومونتريال وتورنتو فى كندا، ويقل عدد الدول ذات التوزيع السكانى ـ متعـدد المنوال mean centre وذلك بالرغم من وجـود ميل نحو هـذا الاتجـاه فى بعض الدول مثل الهنـد ونيوزيلندا وهولنده • وترتبط الخصـائص الرياضية للمقاييس السـابقة بالمواقع والاستخدامات المختلفة لكل منها ، ففى الولايات المتحـدة تغير موقع المركز المتوسط multi - modal لتوزيع السكان بثبات نحو الغـرب على امتداد خط عرض ٣٩° نتيجة عوامل الجذب السكانى المتوفـرة فى هذا الاتجـــاه •



شكل رقم (١٨)

العلاقة بين المساحة والسكان فى الاسكندرية باستخدام منحنى لورنز

الفصل الثانى

انماط التوزيع السكانى فى العالم

يتوزع سكان العالم البالغ عددهم ٥٣٨٤ مليون نسمة (سنة ١٩٩١) على سطح اليابس الذى تبلغ مساحته ١٤٣ مليون كيلو متر مربع ،ويتباين توزيعهم من قارة لاخرى ــ بل وفى داخل القارة الواحدة حيث تتميز بعض المناطق بتركز سكانى شديد والبعض الاخر بندرة سكانية واضحة ،وكقاعدة عامة فان توزيع السكان على سطح الارض يعد توزيعا غير متجانس سواء فى التوزيع العددى المطلق أو فى نسبته أو كثافته .

وتوضح الارقام التالية صورة التوزيع السكانى على مستوى القارات سنة ١٩٩١(١) .

القـــــارة	عدد السكان بالمليون	٪ من سكان العالم
آسيا (بدون كومنولث الدول المستقلة)	٣١٥٥	٥٨ر٦
أوربا (بدون كومنولث الدول المستقلة)	٥١٥	٩ر٥
افريقيـــــا	٦٧٧	١٢ر٦
أمريكا اللاتينيـــــة	٤٥١	٨ر٤
أمريكا الشمـــالية	٢٨٠	٥ر٢
الاوقيانوســـية	٢٧	٠ر٥
كومنولث الدول المستقلة	٢٧٩	٥ر٢
الجمـــــلة	٣٥٨٤	١٠٠ر٠

ومن هذه الارقام ومن شكل رقم (٢) يبـدو أن معظم سكان العـالم يتركزون فى العالم القديم ، حيث تضم قارتا آسيا وأوربا مجتمعتين نحو

---

(١) مصدر الارقام المطلقة :
I.N.E.D., Population et Sociètés, Numéro 259, Juillet - Août, 1991.

ثلاثة أرباع السكان بل أن قارة آسيا بمفردها ـ بالكومنولث أو بدونه ـ تضم أكثر من النصف ، أما اوربا بما فيهـا الكومنولث فيعيش بهـا عدد يفوق مثيله فى العالم الجديد ، ويقطن أفريقيا ٥ر١٢٪ فقط من سكان الارض ، أما العالم الجديد فلا يعيش به سوى ١٤٪ ٠

ويختلف التوزيع السكانى حسب دوائر العرض اختلافا جوهريا وذلك لان أقل من ١٠٪ من سكان العالم يعيشون فى نصف الكرة الجنوبى ومثل هذه النسبة تعيش بين خط الاستواء ودائرة عرض ٢٠° شمالا وما يقـرب من ٥٠٪ بين دوائر عرض ٢٠° شمالا ، ٤٠° شمالا ، كذلك يعيش ٣٠٪ بين دائرتى ٤٠ ، ٦٠° شمالا ، وأقل من نصف فى المائة شمال دائرة العـرض ٦٠° شمالا ٠ وبمعنى آخر فان حوالى أربعة أخماس البشر يعيشـون بين دائرتى عرض ٢٠ ، ٦٠° شمالا وبالرغم من أن هذا النطاق يشمل معظم صحـارى نصف الـكرة الشمالى ويضم سلاسـل جبلية وهضـابا مرتفعـة كالهميلايا والتبت فانه يشمل منطقتى التركز السكانى الرئيسيتين للبشر : الاولى فى جنوب شرق آسيا حيث يعيش نصف سكان العالم فى حوالى ١/٢٠ من مساحة الارض ، والثانية فى أوروبا ـ بما فيها روسيا الاوربية ـ حيث ١/٥ سكان العالم ويشغلون نسبة ضئيلة من مساحة المعمور فى الارض تقدر بأقل من ١/٢٠ منها فقط ٠

ويبـدو التباين فى توزيع السـكان وكثافتهم على المستوى القـومى بوضوح ففى آسيا توجد خمس دول يعيش بهـا ٢٤٦٣ مليون نسمة وهى جمهورية الصين الشعبية والهند وروسيا الاتحادية واندونيسيا واليابان ، ويشكل سكان هذه الدول الخمس مجتمعة أقل قليلا من نصف سكان العالم بأسره سـنة ١٩٩١ ٠ وعلى النقيض من ذلك فان سـكان افريقيا البـالغ عددهم ٦٧٧ مليون نسمة يتوزعون على ٥٤ دولة ، وتتميز افريقيا بتعدد الوحـدات السـياسية التى يقـل سـكان كل منها عن مليونى نسمة ومنها سوازيلاند وليسـوتو وبتسوانا والجـابون والكونغو وافريقيـا الجنـوبية الغربية وغينيا الاستوائية وغينيا بساو وغامبيا وموريتانيا ، وليست هذه الجيوب السكانية قاصرة على افريقيا بل ان أوربا تشمل عددا منهـا مثل لختشتين وموناكو وايسلندا ولكسمبرغ واندوره ومدينة الفاتيكان ،وكقاعدة عامة فانه فى الوقت الذى يتركز فيه حوالى نصف سكان العالم فى ٥ دول فقط فان النصف الاخـر يتوزع على ١٩٥ دولة ووحـدة سياسية من دول العـــالم ٠

وعلى ذلك فانه يبدو أن هنـاك اختلافا واضحـا فى الحجم السكانى

للدول يمكن معه تقسيمها الى فئات سكانية على نمط الفئات المساحية (جدول رقم ١) ، (شكل رقم ٢) فهناك الدول العملاقة وهى التى يزيد عدد السكان بكل منها على ١٠٠ مليون نسمة مثل الصين (١١٥١ مليون نسمة) والهند(٨٥٩) والولايات المتحدة (٢٥٣) وأندونيسا (١٨١)

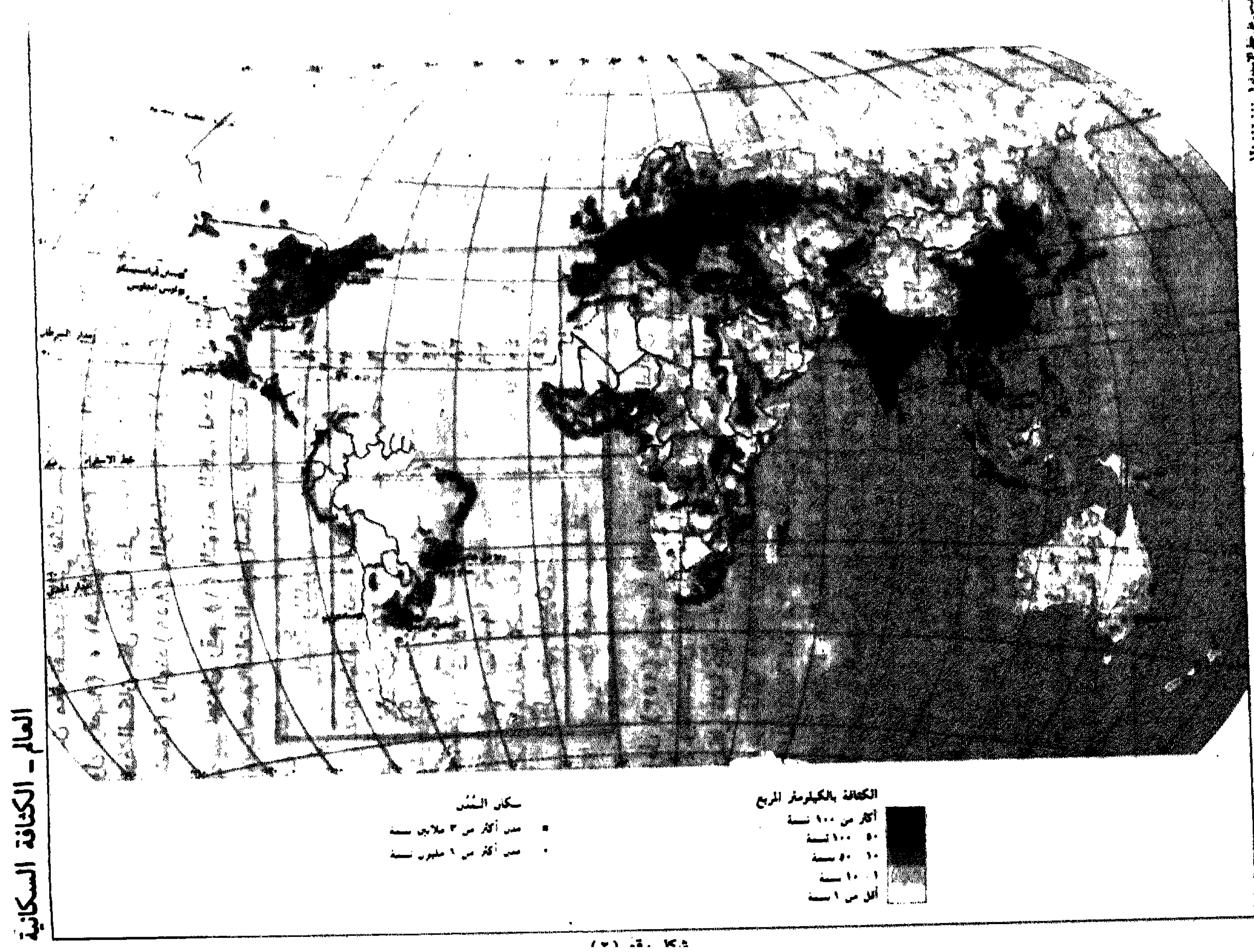
جدول رقم (١) التوزيع الكلى لعدد دول العالم
حسب فئات الحجم السكانى (منتصف سنة ١٩٩١)(١)

الفئة بالمليون	عدد الدول
٢٥٠ مليون نسمة فأكثر	٣
١٠٠ ــ ٢٥٠	٦
٥٠ ــ ١٠٠	١٥
٢٥ ــ ٥٠	١٤
١٠ ــ ٢٥	٢٨
٥ ــ ١٠	٢٩
١ ــ ٥	٤٠
أقل من مليون	٤١
الجملة	١٧٦

والبرازيل (١٥٣) وروسيا الاتحادية (١٤٧) واليابان (١٢٣) ونيجيريا (١٢٢) وباكستان (١١٧) ، والدول الكبيرة وهى التى يتراوح عدد السكان بكل منها بين ٥٠ ــ ١٠٠ مليون نسمة مثلا بنغلاديش (١١٦)والمانيا (٧٩) وبريطانيا (٥٧) وايطاليا (٥٧) والمكسيك (٨٥) وفرنسا (٥٧)، والدول المتوسطة من ٢٥ ــ ٥٠ مليون نسمة ، وقد بلغ عددها فى سنة ١٩٩١ أربع عشرة دولة منها الفلبين وتايلاند وتركيا ومصر وأسبانيا وبولنده وكوريا الجنوبية وايران وبورما واثيوبيا ــ ثم الدول الصغيرة التى يتراوح سكانها بين ٥ ــ ٢٥ مليون نسمة وعدد هذه الدول ٥٧ دولة من بينها الارجنتين وكندا ورومانيا والمغرب والسودان والجزائر وبيرو واستراليا وهولنده وتنزانيا وكينيا وفنزويلا والمجر وغيرها ، ثم الدول القزمية وهى التى يقل عدد سكانها عن ٥ مليون نسمة وعددها ٨١ وحدة سياسية ومعنى ذلك أن أربعة مليارات من السكان أى ما يعادل ثلاثة أرباع سكان العالم يعيشون فى ٢٠ دولة فقط ، أما الربع الباقى فيتوزع على حوالى ١٥٦ وحدة سياسية أخرى وذلك فى منتصف سنة ١٩٩١ ٠

(1) INED., Ibid.

العالم ـ الكثافة السكانية



ويبدو واضحا من دراسة خريطة توزيع السكان فى العالم أنها تتباين من قارة لاخرى تباينا واضحا كما سبق القول ، كذلك فان مدى التباين فى داخل القارة الواحدة كبير هو الاخر ، ففى أمريكا الشمالية توجد أكثف المناطق فى وسط شرقها وفى أمريكا الجنوبية توجد فى منطقة البمبا وجنوب شرق البرازيل وبعض نويات العمران فى المرتفعات الغربية ، وفى افريقيا تتمثل بؤرات التركز السكانى فى مصر ونيجيريا أما فى أوربا فان الاقليم الشمالى الغربى بها هو أكثف الاقاليم على الاطلاق خاصة فى تلك المساحة الممتدة من الجزر البريطانية الى وسط المانيا وتتمثل مناطق الكثافةالعالية فى الاتحاد السوفيتى فى منطقة أوكرانيا ، أما آسيا فان شرقها وجنوبها يعدان أكثر مناطقها بل أكثر المناطق فى العالم ازدحاما ، وفى استراليا يعيش معظم السكان فى جنوبها الشرقى قرب السواحل ٠

واذا كانت دول العالم تتباين حسب حجم السكان بكل منها ، فانها تختلف أيضا حسب مستوى التقدم الحضارى الذى يعكسه متوسط نصيب الفرد من الخدمات والدخل القومى ، ويمكن أن ينقسم العالم بصفة عامة فى هذا المجال الى قسمين غير متساويين يتمثل أحدهما فى الدول المتقدمة والتى يعيش بها ١٢١٩ مليون نسمة (٢٢٫٦٪ من جملة سكان العالم) والاخر فى الدول النامية ـ أو دول العالم الثالث ـ ويعيش بها ٤١٦٥ مليون نسمة (٧٧٫٤٪ من سكان العالم) ، وتدل المؤشرات الديموغرافية أن نصيب الدول النامية من جملة سكان العالم آخذ فى التزايد بدرجة كبيرة ٠

وبالرغم من أن العالم يمكن تقسيمه الى عدة مناطق متفاوتة فى درجة الكثافة والتوزيع العددى للسكان بها ، الا أنه يمكن النظر الى صورة التوزيع السكانى على الارض من خلال نطاقين رئيسيين أحدهما يتميز بالتشتت والتبعثر والاخر بالتركز والازدحام ، وفيما بينهما توجد مناطق انتقالية تعد امتدادا لكلا النطاقين ٠

أقاليم التوزيع السكانى المبعثر :

تعد المناطق الجافة والغطاءات القطبية والجبال المرتفعة والغابات الكثيفة أقاليم التبعثر السكانى على خريطة العالم ، فتبدو الصحارى مناطق بيضاء شاسعة على خريطة السكان لندرة المياه وبالتالى ندرة الحياتين النباتية والحيوانية وهناك اقليمان صحراويان شاسعان فى نطاق الرياح التجارية فى كل من نصفى الكرة وان كانت صحراء النصف الشمالى أكبر من مثيلتها فى النصف الجنوبى ٠ ولايتوزع السكان فى هذه الصحارى

الا فى جيوب منعزلة تتوفر بها المياه كما فى مصر التى تبدو كواحة طولية تعتمد على مياه النيل وهى بالرغم من كثافة السكان العالية بها فانها لا تمثل الا منطقة ضئيلة للتركز السكانى فى الصحارى،ذلك لان الصحارى بصفة عامة تعد أقل مناطق العالم كثافة للغاية حتى أن بعض مناطقها تصل الكثافة بها الى فرد واحد لكل عشرة كيلو مترات مربعة ، ومع ذلك ففى بعض الواحات يتركز السكان بدرجة عالية من الكثافة لاتتمشى معمواردها المحلية ، ويحدث ذلك عندما توجد المياه بكميات وفيرة ٠

وتساعد الامطار التى تسقط فى بعض المناطق الجافة على قيام حياة رعوية تمد أعدادا قليلة من السكان باحتياجاتهم الرئيسية ، ففى استبس القرغيز تتفوق أعداد الحيوانات على عدد السكان ، وحتى على حواف الصحراء الاسترالية فان القطعان الضخمة من الاغنام التى تزيد على ٥٠٫٠٠٠ راسا لا تتطلب سوى عمل حوالى ١٥ شخصا فقط ٠ وفى بعض الحالات القليلة يجذب استخراج المعادن السكان الى قلب الصحراء حيث تنشا مدن صغيرة تعدينية فى هذه البيئة القاحلة وحيث يعتمد العاملون فى هذه المدن على جلب احتياجاتهم من الغذاء والماء من خارج هذه البيئة، وقد ساعد التعدين على خلق مدن صحراوية وتضخمها مثل تعدين الذهب فى الصحراء الاسترالية (كالجورلى) والولايات المتحدة (كريبل كريك Cripple Kreek) ، كذلك فى شرق صحراء شبه الجزيرة العربية حيث ساعد استخراج النفط على قيام مراكز عمرانية مشابهة ٠

أما البرودة فان تاثيرها على توزيع السكان أقل من الجفاف ومع ذلك فان شعوب القنص والصيد البدائية فى النطاق القطبى قليلة العدد وتقل أعدادها بالاتجاه شمالا حتى أن عددا قليلا من الاسكيمو الذين يصيدون عجول البحر لديهم القدرة على اختراق الاصقاع الشمالية حتى خط عرض ٨١° شمالا ٠ أما فى نصف الكرة الجنوبى فان العمران البشرى يبتعد كثيرا عن القطب الجنوبى حيث تبتعد تيراد لفويجو عن القارة المتجمدة الجنوبية بحوالى ٦٠٠ أو ٨٠٠ كيلو مترا ٠

وعلى النقيض مما سبق فان المحلات العمرانية التعدينية لا تخضع لظروف البرودة أو لظروف الجفاف حيث أنشئت فى كليهما مراكز تعدين طالما توفرت مقومات حرفة التعدين فى هذه المناطق ، وقد كان الحديد الخام مثلا سببا فى نشاة العمران فى اللابلاند السويدى (جيليفير Gellivare) وخلق الذهب مدنا مثل دوصن سيتى (Dawson City) فى وادى يوكن فى كندا وفيربانكس (Fairbanks) وفورت يوكون (Fort Uukon) فى الاسكا ،

وكذلك كان اليورانيوم والمعادن الاستراتيجية أو النفيسة سببا فى انشاء يلونيف (Yellownife) ونورمان ويلز (Norman Wells) ، وفى سيبيريا الروسية أدى اكتشاف الذهب والبترول والفحم والمعادن النادرة الى انشاء سلسلة من المدن على امتداد الساحل القطبى من مور مانسك حتى أمبارشك (Ambaerchick) وهذه المدن عبارة عن محلات عمرانية صغيرة يسكنها عدد قليل من الرجال يعتمدون على المناطق الاخرى الى الجنوب منها فى الاتحاد السوفيتى .

وتتمثل مناطق التركز البشرى فى الشمال البارد لدى بعض الجماعات مثل الاسكيمو واللاب والصامويد وغيرها ـ ولا يتجاوز عدد السكان شمال خط عرض ٦٥° شمالا مليون نسمة فقط وتبلغ مساحة النطاق القطبى وشبه القطبى قرابة ٢٧ مليون كيلو مترا مربعا ، ومن هذا النطاق الاسكا ومساحتها ٦ر١ مليون كيلومتر مربع وسكانها ١٣٠,٠٠٠ نسمة وشمال كندا ومساحتها ٦ مليون كيلو متر مربع وسكانه اقل من ١٠٠,٠٠٠ نسمة وجرينلاند ومساحتها ٢ر٢ مليون كيلو متر مربع وسكانها ٢٥,٠٠٠ نسمة والنطاق القطبى الروسى ومساحتها ٦ مليون كيلو متر مربع وسكانه قرابة نصف مليون نسمة وانتاركتيكا فى الجنوب ومساحتها ١٢ مليون كيلو متر مربع ولايسكنها الا عدد محدود من علماء الارصاد الجوية وبعض رجال القواعد العسكرية ومعنى ذلك كله أن حوالى ٢٠٪ من جملة مساحة اليابس لا يقطنه سوى ٠٫٠٢٪ من جملة سكان العالم(١) .

وترجع ندرة السكان فى النطاقات القطبية الى قسوة مناخها وعدم ملاءمته للظروف الفسيولوجية للجسم البشرى فى الاحوال العادية ، فهذه المناطق تعد اقاليم شتاء دائم ولايتعدى أكثر الشهور حرارة بها ١٠ درجات مئوية فوق الصفر ـ وتظل الحرارة من ـ ٣٠° الى ـ ٦٠° مئوية فى معظم شهور السنة .

وعلى الحواف الجنوبية للنطاق البارد فى نصف الكرة الشمالى توجد مراكز عمرانية هامة قرب خط عرض ٦٠° شمالا فى أوربا الغربية مثل ليننجراد التى يقرب عدد سكانها من ٤ مليون نسمة واستكهلم ـ مليون نسمة وهلسنكى وأوسلو ٦٠٠,٠٠٠ ، ٥٠٠,٠٠٠ نسمة على الترتيب ، أما

---

(1) George, P., Geographie de la Population, que - sais Je ?, 1187 Presses Univeritaires de France, Paris, 1973, p. 8.

المدن الهامة فى كندا فهى كويبيك على دائرة عرض٤٧° شمالا بسكان يقلون عن ٢٠٠ر٠٠٠ نسمة ، وكذلك فى الشرق الروسى الاقصى حيث توجد خاباروفسك Khabarovsk (٤٨° شمالا) أوفلاديفوستك (٤٣° شمالا) ٠

اما فى الجبال فيقل عدد السكان بالارتفاع ، ولذا فان الجبال الشاهقة غير معمورة دائما فلا يعيش فى هضبة التبت سكان على مستويات أعلى من ٥٠٠٠ مترا ، وفى سويسرا فان المناطق التى تعلو على ١٠٠٠ متر لاتحوى سوى ٥٪ فقط من جملة سكان البلاد والمناطق التى تزيد على ١٥٠٠ متر لا يعيش بها سوى ٥ر٠٪ من السكان ٠ وفى البيئة الباردة فان عدد السكان يتناقص فى مناسيب ارتفاعات أقل من البيئات الاخرى ، ففى سكوتلاند وويلز تبدأ ندرةالسكان علىارتفاع عدة مئات منالاقدام علىٰ سطح البحر ٠

وعلى ذلك فان الجبال تتباين فى دورهنا فى توزيع السكان حسب العروض التى توجد بها حيث يتركز السكان فى المناسيب التى تلائم ظروفها الطبيعية معيشتهم وقد يكون استخراج المعادن من المناطق الجبلية المرتفعة سببا فى جذب السكان وتركزهم فى هذه المرتفعات ، ففى بيرو يتم استخراج المعادن الثمينة فى مدينة سيرو دى باسكو (Cèrro de Pasco) (٤٧٠٠ متر) وبوتوسى (Potosi) (٤٤٥٠متر) وأورورو (Oruro) (٤٤٥٠ متر) ، وكانت مناجم الذهب عند منابع نهر السند فى توك شالونج (Tok Dschalung) سببا فى نشأة العمران على رتفاع ٥٣٠٠ مترا فوق منسوب سطح البحر ٠

وتشجع ظروف الحرارة والامطار فى المناطق الجبلية العالية فى البيئة المدارية على تركز السكان ، كما فى المكسيك وكولومبيا وبيرو ،ففى المكسيك تصل الكثافة فى أناواك (Anahuac) الى أكثر من ١٩٠ نسمة فى الكيلو متر المربع مقابل ٧٠ نسمة فى الشريط الساحلى وفى أثيوبيا فان أكبر المدن فى البلاد هى أديس بابا على ارتفاع ٢٦٢٤ مترا ،وتجذب الجبال فىالنطاقات الجافة بعض السكان اليها مثل المناطق الداخلية فى جنوب غرب آسيا حيث توجد المراكز العمرانية فى الاقاليم الجبلية مثل صنعاء (٢٣٠٠ مترا) فى اليمن وطهران (٩٠٠ مترا) فى ايران ٠

كذلك فان هناك مناطق جبلية لعبت دورا هاما فى جذب اللاجئين اليها وأدى ذلك الى ارتفاع الكثافة السكانية بصورة غير عادية كما فى جبال القبائل فى الجزائر وجبال الالب الترانسلفانية ، ومع كل ذلك فانه رغم

جذب الجبال فى بعض الاقاليم للسكان فانها تدخل ضمن المناطق المبعثرة على خريطة السكان فى العالم .

أما المناطق الغابية فيصعب اقامة مراكز عمرانية بها ، وكانت غابات النطاق المعتدل خالية من السكان يوما ما ، واليوم فان غـابات الامازون الشاسعة لايوجد بها الا عدد قليل للغاية من السـكان نسبيا بالمقـارنة مع المناطق المرتفعة الخالية من الغابات والتى تتراوح كثافة السكان بهـا من ٤٠ ــ ٨٠ نسمة فى الكيلو متر المربع ، ويمكن ملاحظة نفس التناقض فى الفلبين حيث تكون الجبال المغطـاة بالغـابات غير مسكونة بينمـا تكون السهول الخالية من الغابات والتى تسود فيها الزراعة كثيفة السكان .

وتتميز كل هذه الاقاليم المبعثرة السكان بملمح مشترك هو العمـران غير المنتظم ذو النمط المشتت ، ومثل هذا التبعثر يجعل من الحديث عن الكثافة امرا غير ذى معنى وذلك لان هناك مساحات واسعة غـير مسكونة على الاطلاق ــ بينما توجد نقط صغـيرة هى التى يتركـز فيها السكان ، وأحسن الامثلة على ذلك البـؤرات الكثيفـة السكان الممثلة فى الواحـات المبعثرة فى صحارى افريقيا وغرب آسيا وهذه مناطق تتصف بمزايا تعوضها عن الجفاف السائد فهى ذات تربات خصبة فيضية منقولة أو محلية وبمناخ مشمس ودافىء أو بتوافر مورد للميـاه ، وهى سمات يتميز بهـا نطـاق الواحـات الذى يمتد من البنجـاب حتى بكتريانا (Bactriana) شمال افغانستان وفى غرب آسيا من العراق حتى ساحل سوريا ولبنان (الهـلال الخصيب) ، وفى مصر التى عرفت الزراعة منذ عهود قديمة وشهدت ثورة اقتصادية فى القرن التاسع عشر تمخضت عنها زيادة ضخمة فى عدد السكان من ٤ر٤ مليون نسمة سنة ١٨٤٦ الى ١٤ مليون سنة ١٩٢٧ الى ٣٨ مليون سنة ١٩٧٦ . ثم الى ٥٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٦ .

اقاليم التوزيع السكانى الكثيف :

تبدو على خريطة العالم أربع مناطق كثيفة السكان تفصلها عن بعضها البعض صحارى أو بحار وهذه المناطق هى شرق الولايات المتحدة الامريكية وأوربا والهند والصين واليابان وتقع كلها فى نصف الكرة الشمالى وبالتحديد بين مدار السرطان وخط عرض ٦٩° شمالا وهى تحوى أكثر من ثلاثة أرباع سكان العالم ، ومن بين هذه المناطق نشات الولايات المتحدة منـذ قـرابة مائتى عام فقط ، وفيما عدا اليابان فان هذه المناطق تتميز بسمة مشتركة فى انها كلها مناطق ذات سهول واسعة تتكون فى أودية نهرية مثل الهوانجهو

واليانجتسى كيانج والجانج وسهل شمال وشرق اوروبا ثم أودية المسيسبى وروافده ، كذلك فهى دول أنهار كبرى وقريبة من البحر وأصبحت كلها من مناطق انتاج الحبوب بوفرة خاصة القمح والذرة والارز ، وتعد أوربا وأمريكا الشمالية منطقتين للتركز السكانى يفصلهما المحيط الاطلسى الشمالى ولكنهما فى الواقع امتداد لبعضهما لان سكان أمريكا الشمالية من أصول أوربية ولهم نفس المستوى الحضارى ٠

توزيع السكان فى أوربا :

أوربا من القارات التى يأخذ توزيع السكان فيها نمطا متدرجا منتظما حيث منطقة الكثافة العظمى بها فى الشمال الغربى وتقل بالاتجاه شمالا وشرقا وجنوبا ، وباستثناء سكان كومنولث الدول المستقلة فان عدد سكانها يبلغ ٥١٥ مليون نسمة يعيش ثلثا هذا الرقم فى مناطق عالية الكثافة، وليست هناك مساحات واسعة خالية السكان أو فجوات متسعة ذات تخلخل سكانى واضح كما تبدو صورة السكان فى شبه القارة الهندية مثلا ، وهذا التجمع السكانى الاوربى الضخم كان منبعا للهجرة الخارجية من القارة والتى غيرت من صورة التوزيع السكانى فى العالم الجديد وفى الامريكتين واستراليا بل وفى بعض مناطق افريقيا كذلك ٠

وبالرغم من الحقيقة المعروفة من أن أوربا قد شهدت هجرة خارجة على نطاق واسع فى القرنين الاخيرين - بخلاف أى قارة أخرى الا انها أكثر القارات ازدحاما (تعد آسيا أكثر سكانا الا أن بها مناطق واسعة تخلو من السكان) وقد يكون ارتفاع كثافة السكان فى أوربا راجعا الى انها لا تضم مناطق صحراوية جافة ، مع صغر المساحة الواقعة فى النطاق البارد فى شمالها ثم توافر الموارد المعدنية الطبيعية والغابات والتربة الخصبة فى نطاق العروض الوسطى ٠ كذلك فان سكان القارة موزعون توزيعا غير عادل ومع ذلك فانها أكثر القارات تجانسا فى توزيعهم بالمقارنة بباقى القارات ، ويرجع ذلك الى ضآلة مناطق التخلخل السكانى فيها وبصفة عامة فان منطقة الكثافة السكانية العالية بها تمتد من وسط بريطانيا عبر شمال شرق فرنسا والاراضى المنخفضة وتستمر حتى الحدود الغربية للكومنولث الجديد وهناك مناطق أخرى ذات كثافة عالية مثل حوض البو فى ايطاليا وحوض الرون الادنى فى فرنسا ٠

وتبدو درجة التباين فى مستويات الكثافة اذا ما قورنت بعض الدول بغيرها ، فتعتبر هولنده أكثر الدول كثافة حيث تصل بها الى ٤٠٠ نسمة

فى الكيلو متر المربع وتليها بلجيكا (٣٣٠) ثم بريطانيا (٢٣٥) والمانيـا (٢٢٢) وايطاليا (١٩٢) ثم فرنسا (١٠٣) ٠

ويرتبط توزيع السكان فى أوربا بعامل التضاريس حيث تعد المنـاطق السهلية اكثر ملاءمة للسكنى مما ترتب عليه تركز واضح للسكان ، وأوضح الامثلة على ذلك تلك المنطقة السهلية الممتدة من غرب فرنسا عبر الاراضى المنخفضة وشمال المانيا مشتملة على أجزاء من جنوب شرق انجلترا وكذلك فى مناطق السهول الصغرى مثل سهل البو وسهل الرون ومنخفضات جنوب أسبانيا ، وقد تكون بعثرة السكان وتخلخلهم فى المرتفعات الاوربية هضابا كانت أم جبالا ناتجة عن برودتها بالنسبة للسهول المجاورة ، مما يجعلها أقل ملاءمة للزراعة ومن ثم للتركز السكانى،كذلك يبدو أن هناك ارتباطا قويا فى شمال غرب أوربا بين توزيع السكان وحقول الفحم والتى تتصل اتصالا سهلا بمناجم الحديد ونتناول ذلك بتفصيل أكثر فيما بعد ٠

على أن المناطق المبعثرة الســكان والقليلة الكثافة فى أوربا تشـغل مساحات قليلة فى القارة ويرتبط بعضها مباشرة بعامل الارتفاع والبعض الاخر بسوء التصريف المائى أو فقـر التربة وتتمثل فى مرتفعـات الالب والبرانس والكربات ومعظم المرتفعات الاخرى ، ومن الصعب أن نقرر أن قلة سكان هذه المناطق راجع الى طبيعة سطحها أو مناخها البارد ، بل أن هناك عوامل متعددة تشارك فى هذه الظاهرة ويبدو أثر التضاريس واضحا فى البرتغال واسبانيا ، باستثناء منطقـة مدريد فان أعلى كثافـة سكانية تتركز فى النطاق الهامشى فى المنخفضات الفيضية ٠

ويمكن اتخاذ ايطاليا كمثل لتوزيع السـكان فى دولة أوربية كثيفـة السكان حيث يصل عددهم الى ٥٨ مليونا من البشر ويتوزعون توزيعا غير عادل فـوق رقعتها التى تتبـاين من السهـول المستنقعية الى المرتفعات الالبية ، وتتكون ايطاليا فى معظمهـا من أراض تلالية ومرتفعـات جبلية وكلاهما لايساعد على الزراعة الكثيفـة ، وبالرغم من الموارد المحـدودة والهجرة نحو الخارج ومعدل المواليد المنخفض فان سكان ايطاليا يتزايدون بمعدل ١٠ فى الالف سنويا اذا استمر المعدل على ماهو عليه فان سكانهـا سيتضاعفون خلال ٧٢ سنة ٠

ويتركز سكان ايطاليا فى سهل البو شمـالا ، كما يوجد مناطق ثانوية لتركزهم فى الجنوب وخاصة فى سهول نابلى وفى بعض المناطق السـاحلية فى جزيرة صقلية ، ويعد عامل السطح هاما فى تفسير هذا التوزيع ولـكن

كمية الامطار الساقطة وموارد المياه الاخرى تعد عاملا فى هذا المجال ففى سهل البو يتميز السطح فى هـذا الاقليم الفيضى الفسيح بالاسـتواء حيث تغذيه روافد النهر التى أوجدت بيئة سهلية مناسبة للزراعة ، كـذلك فـان كمية الامطار الساقطة هنا كبيرة وأكثر من مثيلتها فى باقى ايطاليا وخاصة فى فصل الصيف عندما تساعد الظروف على الزراعة آنذاك ، كما تسـاعد الروافد النهرية التى تتغذى من الثلوج الذائبة من مرتفعات الالب على قيام الزراعة مساعدة كبيرة ، كما قامت بهذا السهل صناعات متعددة يمكن تفسير تركزها بسهولة الحصول على الطاقة الكهربائية المولدة من المـاء وعوامل أخرى كتوفر القوى العاملة المدربة صناعيا ٠

ومع ان كثافة السكان تزيد على ٢٠٠ شخص فى الكيلو متر المربع فى سهل البو ـ الا أن هناك مناطق صغيرة فى هذا الحـوض قليلة السـكان وتشمل الضفاف القريبة من المجرى والتى كانت الفيضانات ومايننتج عنها من آثار مدمرة وأوبئة قبل تحكم الانسان فيها من أهم الاسباب التى أدت الى ابتعاد التركز السكانى عنها واتجاهه شمالا وجنوبا ٠

وكانت ايطاليا من المناطق الرئيسية للهجرة الخارجة فى الماضى وذلك للتزايد السريع فى السـكان وضغطهم على الارض الزراعيـة مما جعـل الكثيرين يتجهون للهجرة الى أقطار أخرى وخاصة الولايات المتحدة حيث يوجد بها فى الوقت الحاضر قرابة المليـون من مواليد ايطاليـا وملايين أخرى من أصول ايطاليا كذلك هاجر الايطاليون الى فرنسا وشمال افريقيا والبرازيل والارجنتين باعداد كبيرة٠٠

وفى النطاق شبه الجـزرى جنوبا وفى الجزر الايطالية مثـل صقـلية وسردينيا فان مظاهر الحياة تختلف عن مثيلتها فى سهل البو ـ ذلك لان هذهالمناطق وان كان يوجد بها أقاليم تزيد كثافة السكان بها على٢٥٠نسمة فى الميل المربع ـ الا أن معظم الاراضى جبلية المظهر وعرة التضاريس وتقل فيها المساحات الصالحة للزراعة والتى تقتصر على منـاطق من السـهل الساحلى ومع ذلك فهى كثيفة الانتاج الزراعى ومتعددة المحاصيل،وجدير بالذكر أن معظم الهجرات الخارجة من ايطاليا خرجت من هذه المناطق واتجه بعضها الى سهل البو والاخر الى دول أخرى ٠

سكان كومنولث الدول المستقلة : تبلغ مساحة كومنولث الدول المستقلة حوالى ٢٢ مليون كيلو مترا مربعا ويصل عدد سكانه الى ٢٧٩ مليون نسمة فى أواخر سنة ١٩٩١ ، ويبدو عدم التسـاوى السـكانى على رقعـة دول

الكومنولث الى حد كبير كما يبلغ متوسط الكثافة العامة ١٣ نسمة فى الكيلو متر المربع ، وتعد منطقة غـرب أوكرانيا وغرب روسيا الاوربية من أكثر المناطق كثافة ، وتمتد الكثافات المتوسطة خـلال الاجـزاء الوسطى عن روسيا الغربية وفى مناطـق مبعثرة على امتداد الطـرف الشرقى للبحـر الاسود وفى مناطق الزراعة القائمة على الرى فى التركستان ، ويبـدو أثر المناخ فى الكومنولث واضحا فى توزيع السكان حيث لايلائم المناخ السكان فى كثير من المناطق وأهمها نطاق التندرا فى شمال أوراسيا وكذلك معظم نطاق الغابات الصنوبرية ، ونطاق الاراضى الجافة فى تركسـتان وفى أقصى جنوب شرق روسيا الاوربيـة وقـد أدى امتداد خـط السكك الحـديدية السيبيرى من لننجراد حتى فلاديفوستك الى خلق شريط سـكانى حوله فى سيبيريا .

وقد كان لارتفاع معدل المواليد فى دول الكومنولث أثر واضح فى تزايد السكان به ، وقد حدا ذلك بالحكومة الروسية أن تتجه لاستغـلال أراض جديدة لزراعتها بعد أن تركز السكان فى الاراضى المنتجة فى روسيا الاوربية وقد أضافت برامج التنمية مساحات كبيرة للاراضى الزراعيـة فى النطـاق الصحراوى فى تركستان الذى تعتمد الزراعة فيه على الرى،وكذلك استغلت أراضى واسعـة فى شرق سيبيريا وأصبحت مناطق تركـز سكانى ثانوى فى الوقت الحاضر وساعـد على ذلك استغلال الثروات المعـدنية فى سيبيريا وانشاء طرق النقل المختلفة لهذا الغرض .

وتعتبر جمهورية أوكرانيا الممتدة من بولنده الى نهر الدن من أكبر مناطق الكومنولث كثافة فى السكان حيث تزيد فيها على ٨٦ نسمة فى الكيلو متر المربع وتشترك فى ذلك مع المناطق الكثيفة فى أقصى غرب الكومنولث وفى النطاق الصناعى فى الشرق ، وقد ارتبط التركز السكانى فى أوكرانيـا بتوفر المقومات الجغرافية للانتاج الزراعى ، لذلك يعد هذا الاقليم من أكثر جهات الكومنولث صلاحية للزراعة . فبالرغم من الامطـار القليلة فانهـا أكثر من أجزاء أخرى كثيرة فى روسيا ، فيصل متوسـط الامطـار الساقطة على كييف مثلا ٢٤ بوصة سنويا كما تلائم الحرارة الانتاج الزراعى الى حد كبير حيث تصل الى ١٩°م فى شهر يوليو كما أن الشتاء ليس طويلا ويتميز الصيف بالاعتدال ، وبالاضافة الى ذلك فان تربة اللويس التى تتمـيز بها أوكرانيا تعد أكثر التربات خصوبة بالمقارنة بالانواع الاخرى للتربات فى دول الكومنولث وتنتج هذه الجمهورية كميات كبيرة من القمح والبنجر.

وقد اتسعت أوكرانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية عن طـريق

اكتساب أراض من جنوب شرق بولنده وشرق تشيكوسلوفاكيا ونتيجة لذلك فقد أضيفت اليها أراضى زراعية خصبة،وعلى امتداد رقعة دول الكومنولث فان هناك ارتباطا قويا بين تركز السكان وكثافة الزراعة وذلك فيما عدا المناطق الصناعية كما هى الحال فى اقليم الدونباس الذى يعتبر الاقليم الصناعى فى حوض نهر الدن ، والذى يعد اقليما صناعيا زراعيا – ويرجع تقدمه الصناعى الى توفر عوامل الصناعة مثل حقول الفحم الى الشمال الغربى للدن الادنى مباشرة ، كذلك فان خام الحديد يتركز فى منطقة قرب كريفوى رج عند الثنية الكبيرة لنهر الدنيبر وتخدم هذا الاقليم وسائل نقل متعددة تتمثل فى النقل المائى عن طريق القنوات والانهار وكذلك النقل البحرى والبرى ، ويتميز سكان شرق أوكرانيا بالحضرية أكثر من سكان غرب أوكرانيا الريفيين حيث قامت الصناعة فى الشرق فى ثنية الدنيير الكبرى بصفة أساسية على خام الحديد والفحم والتقدم الكبير فى استغلال المياه لتوليد الطاقة الكهربائية ٠

توزيع السكان فى أمريكا الشمالية :

تعد الولايات المتحدة امتدادا أوربيا فى أمريكا الشمالية وقد شهدت زيادة سكانية كبيرة فىالقرن ونصف القرنالاخيرين كما تبين الارقامالتالية:

السنة	عدد السكان
١٨٠٠	٥ر٣١٠ر٠٠٠
١٨٥٠	١٧ر١٠٠ر٠٠٠
١٩٠٠	٧٦ر٠٠٠ر٠٠٠
١٩٥٠	١٥١ر٧٧٢ر٠٠٠
١٩٦٠	١٨٠ر٥٠٠ر٠٠٠
١٩٧٠	٢٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠
١٩٩١	٢٥٢ر٨٠٠ر٠٠٠

وتتميز الولايات المتحدة الامريكية – مثل أوربا – بالمناخ المعتدل الذى ساعد على تركز السكان وكذلك الثقافة الاوربية فى بيئة ملائمة طبيعيا دون حاجة لجهد ضخم لتغيير ظروفها ، ويتركز ثلاثة أرباع سكانها فيما بين خطى حرارة ٤٥°ف (٧° مئوية) و ٦٠°ف (٥ر١٦ مئوية) حيث تتراوح كمية الامطار من ٣٠ الى ٥٠ بوصة ، وكما فى أوربا فان تربة السهول

تتكون من رواسب غرينية خصبة فى معظم الاحوال أو تكون نتاجا لركام جليدى خصب أيضا وقد تحولت أقاليم الغابات الواسعة الى مناطق عظيمة من المزارع كذلك فقد ساعدت الثروة المعدنية وموارد القوى والوقود بعد ذلك على التركز والاستقرار اعتمادا على توفر مقومات الصناعة التى تطورت تطورا كبيرا فى خلال عدة أجيال فقط اعتمادا على الخبرة الاوربية.

وبالرغم من تشابه البيئتين الاوربية والامريكية الشمالية الا أن الاخيرة تتمتع بمميزات تفوق أوربا حيث توجد بها أراض واسعة يمكن أن تستوعب أعدادا اضافية من السكان ، كذلك فان أوربا التى تقطعها هضاب قديمة وسلاسل البية تختلف عن أمريكا الشمالية التى لاتميزها عوائق طبيعية فى التضاريس ولذا فان المناخ البارد فى كندا يتحول تدريجيا الى مناخ شبه مدارى فى لويزيانا حيث نطاق شاسع من زراعة القمح والذرة والقطن ، كذلك فان هناك امتدادا للمؤثرات المدارية التى تحمل الهواء الدافىء الرطب نحو الشمال فى الصيف وتجعل زراعة الذرة ممكنة حتى نطاق البحيرات العظمى .

وقد كانت أمريكا الشمالية شبه خالية من السكان قبل وفود افواج المهاجرين الشبان اليها وبخلاف أوربا التى نما سكانها نموا طبيعيا أى بسبب الزيادة الطبيعية فقط ، فان سكان الولايات المتحدة تزايدوا بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة فقد بلغ نصيب هذه الزيادة فيما بين سنتى ١٨٢٠ ، ١٩٢٠ ـ ٧٣٪ من جملة الزيادة الكلية(١) . وقد توزع السكان على رقعة الولايات المتحدة ولكن توزيعهم كان غير متساو بين ولاياتها ففى الغرب مثلا يوجد نطاق واسع من الاراضى الجافة والجبلية والتى تنخفض فيها الكثافة السكانية الى شخصين فى الكيلو متر المربع وتزيد الى ١١ شخص على ساحل المحيط الهادى . وهناك أربع مناطق ذات كثافة سكانية متوسطة وهى بجت سوند (Puget Sound) ووادى كولومبيا الادنى واقليم سان فرنسيسكو واقليم لوس انجلوس والمناطق المزروعة على الرى حول دنفر (Denver) أما فى الشرق فباستثناء ولايتى مين وفلوريدا ـ لا يقل متوسط الكثافة عن ١٢ شخص فى الكيلو متر المربع .

وبصفة عامة فان هناك نطاقا من الكثافة العالية التى تصل الى ٦٥ نسمة فى الكيلو متر المربع يمتد من بوسطن على امتداد ساحل نيوانجلند

---

(1) Perpillou, A. V. Human Geography, Longman Group Ltd., London, 1971, p. 352.

حتى المصبات الخليجية الكبرى جنوبا حيث توجد فيلادلفيا وبلتيمور وواشنطن ، ثم يتفرع عبر بنسلفانيا الى البحيرات العظمى حيث شيكاغو وملووكى وهذا التركز السكانى غير العادى يرتبط - كما فى أوربا - بنشاط تجارى ضخم وقد تتابعت موجات من المهاجرين من هذا الجزء الشرقى عبر المسيسبى نحو الغرب والجنوب الغربى والباسفيكى .

توزيع السكان فى آسـيا :

تتميز قارة آسيا بتركز معظم سكانها فى مساحات قليلة وكذلك بتشتت السكان فى مساحات واسعة مما يعطيها نمطا عاما مميزا ، وتتمثل المناطق الشاسعة ذات التبعثر السكانى فى أواسط آسيا الجـاف أى فى غرب الصين ومنغوليا وكذلك فى الاقطار الجنوبية الغربية بل وفى بعض المناطق المدارية مثل بورينو وبعض الجزر المجاورة ، أما الصورة العكسية للتشتت السكانى فتبدو فى تركز السكان بدرجة كبيرة فى أقاليم صغيرة المساحة مثل اليابان وجاوه وشرق الصين وسهول الجانج وساحل مالابار فى الهند .

ويعيش معظم سكان آسيا فى سهول تتوفر بها المياه سواء مياه الانهار أو الامطار مثل نهرى اليانجتسى والجانج الادنى ، والبعض الاخر يعتمد على الامطار الموسمية الصيفية كما أن السهول ذات المياه الوفـيرة وذات فصل النمو الطويل يمكن أن تنتج محصولين أو ثلاثة فى نفس رقعة الارض فى العام الواحد مما يكفى احتياجات السكان فى معظم الاحوال .

وبالرغم من أن الشرق الاقصى تقطعه الصحارى والجبال والبحار الا أنه يمثل تجمعا سكانيا هائلا على خريطة العالم ، وترتفع معدلات زيادة السكان به زيادة كبيرة عن التجمع الاوربى أو الامريكى ، ويعتمد هـذا الاقليم على الزراعة اعتمادا رئيسيا وتساعد ظروف البيئة الطبيعيـة على توفر أقصى الظروف لانتاج محاصيل الغذاء فالمناخ الموسمى يتميز بامطار دورية منتظمة الى حد كبير وتتركز فى فصل واحد يكون مرتفـع الحرارة كذلك يتميز جنـوب شرق آسيا على امتداد سواحـله بالسهول الفسيحـة والدلتاوات النهرية ذات التربة الخصبة ، وقد استطاع الانسان فى كل هذه الاقاليم أن يتحكم فى المياه لاستخـدامها فى الرى وانتـاج حبوب الغـذاء وخاصة الارز ومع ذلك فان التركز السكانى فى الهند وفى الصين وفى الجزر المجاورة يتباين عن بعضه البعض فى خصائصه وظروفه .

وتعد الهند دولة زراعية ، وباستثناء قلة من المدن الكـبرى وبعض المراكز الحديثة للصناعات الهندسية فان الصناعة تلعب دورا محـدودا فى

اقتصاد البلاد وحتى الزراعة تعد حرفة غير كاملة لان الماشية ليس لها مكان رئيسى بها • وتعتمد الزراعة على الامطار الموسمية وتوفر التربات الخصبة فى السهول والاودية النهرية ونتيجة لذلك فان الكتلة السكانية الضخمة التى تعتمد اعتمادا كليا على ظروف البيئة الطبيعية تتوزع بدقة حسب توزيع الظاهرات الطبيعية وخاصة الامطار ، ويتمشى توزيع الكثافات العالية تماما مع مناطق الامطار الغزيرة التى تؤدى الى انتاج المحاصيل بكميات وفيرة ، وتوضح الارقام التالية والشكلان (٣ ، ٤) العلاقة بين الامطار وكثافة السكان فى الهند(١) •

الاقليم	متوسط الامطار السنوية بالبوصة	كثافة السكان فى الميل المربع
دلتا الجانج	٧٨	٥٥١
السهل الساحلى الشرقى	٤٧	٤٨٩
السهل الجنوبى الشرقى	١٠٢	٣٣١
الدكن	٢٩	١٥٠
الاقليم الشمالى الغربى الجاف	١١	٦٤

ويعتمد نمو المحاصيل والحصاد الدورى عاما وراء عام على انتظام سقوط الامطار الموسمية ، ويبدو ذلك بوضوح فى البنغال حيث يزرع محصولان عادة أو ثلاثة محاصيل أحيانا من الارز فى العام الواحد أحدهما فى الفترة من يولية حتى سبتمبر والثانى من نوفمبر حتى ديسمبر والثالث فى ابريل ومايو •

ويتباين توزيع السكان فى شبه القارة الهندية تباينا كبيرا بمتوسط كثافة يصل الى أكثر من ٣٠٠ نسمة فى الميل المربع وتصل الكثافة أقصاها فى وادى الجانج ــ والذى تربو الكثافة فيه على مثيلتها فى بلجيكا مثلا وفى مساحة تقل قليلا عن مساحة فرنسا ، ويحوى هذا الاقليم ٦٠٪ من جملة سكان الهند بكثافة تزيد على ٥٠٠ نسمة فى الميل المربع فى الاقاليم التى تزرع الارز ثلاث مرات فى العام الواحد وبين ١٠٠ ــ ٢٥٠ نسمة فى الاقاليم التى تزرعه مرتين ، ومن ١٠٠ ــ ٢٥٠ نسمة أيضا فى نطاق زراعة القطن ومن ٥٠ الى ١٠٠ فى الهضاب والمرتفعات الداخلية(٢) (انظر الشكلين رقم

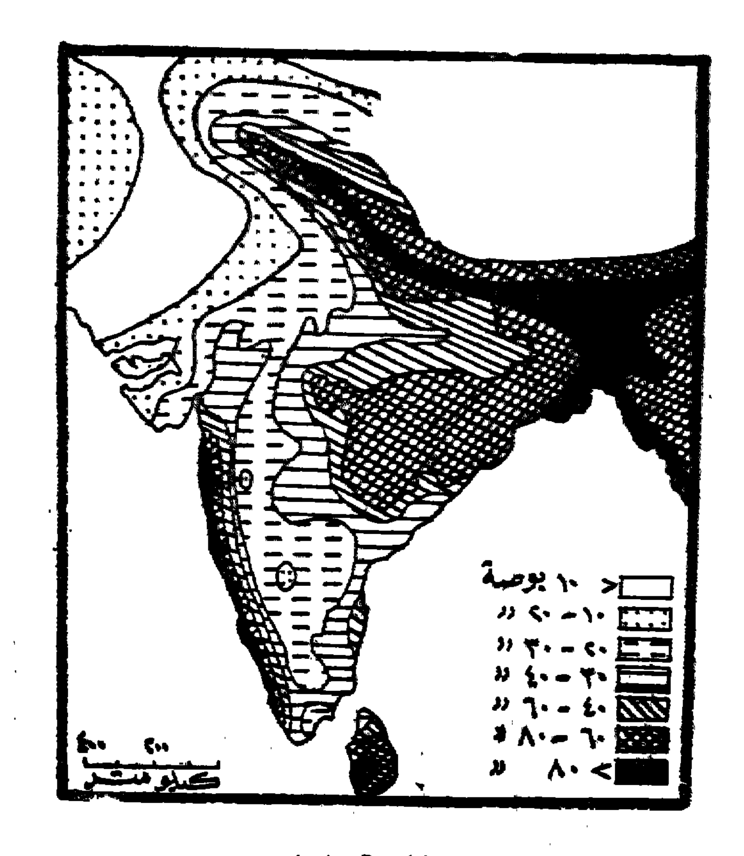
(1) Perpillou, A. V., Ibid., p. 354.
(2) Ibid., p. 355.

٣ ، ٤) وتزيد الكثافة فى بعض المناطق فى هذه الاقاليم بسبب تركز الصناعة والتجارة بالاضافة الى الزراعة فتصل الكثافة مثلا فى منطقة نيودلهى الى أكثر من ١٠٠٠ نسمة فى الميل المربع وفى بنجلاديش تزيد على ١٧٠٠ نسمة وينعكس التركز السكانى الكبير على الاحجام الصغيرة للمزارع والحقول التى تعيش الاسر التى تزرعها على محاصيلها الغذائية ٠

ويتشابه التركز السكانى فى الصين مع مثيله فى الهند فى خصائص كثيرة ، فهى تعد دولة زراعية أساسا ولكنها أقل مدارية من الهند وتتيح ظروفها تعدد الاقاليم الانتاجية المحصولية بها حيث توجد مساحات كبيرة ذات تربات خصبة وتتركز مناطق الانتاج الزراعى فى التربة الصفراء فى الشمال الغربى والسهول الدلتاوية للانهار الكبرى حيث قامت بها الزراعة منذ عهود بعيدة معتمدة على جهود البشر وعلى التسميد العضوى ويعتمد الانتاج الزراعى على محصولين غذائيين همـا القمح فى الشمال والارز فى الجنوب ــ وبالاضافة الى ذلك يزرع الفلاح الصينى بعض المحاصيل النقدية الاخرى مثل الشاى والقطن وأشجار التوت لتربية دود الحرير على اوراقها ٠

وليس عدد السكان فى الصين معروفا بدقة ، ولكن تقدره الامم المتحدة بنحو ١١٥١ مليون نسمة فى سنة ١٩٩١ ــ وكما هى الحال فى الهند فان سكان الصين لا يتوزعون بالتساوى على رقعة بلدهم الشاسعة ذلك لانهم يتركزون بدرجة كبيرة فى الاراضى الزراعية مما يؤكد الارتباط الوثيق بين عددهم وظروف البيئة الطبيعية ، فى الوقت الذى يتبعثر فيه السكان فى النطاقات الداخلية الجافة والجبلية حيث نادرا ما تزيد الكثافة فى يونان وكوانجسى فى الجنوب الغربى على ٧٥ نسمة فى الميل المربع وهى منـاطق تتميز بالمظهر التلالى والجبال المنخفضة بالرغم من المشروعات الحديثة للتعدين والرى فيها ٠ أما الكثافة العظمى فتسود فى الشمال حيث تزيد على ٦٠٠ نسمة فى الميل المربع فى شانتنج وفى وادى يانجتسى وتصل الكثافة الى ٩٠٠ نسمة فى الميل المربع فى سهل شنجتو (Chengtu) والى أكثر من ٢٠٠٠ نسمة فى الميل المربع ــ بل أن هناك بقعا فى دلتا اليانجتسى الادنى تصل الكثافة بها الى رقم نادر يصل الى ٣٨٨٠ نسمة للميل المربع ٠

وتسود ظروف مماثلة فى توزيع السكان فى الجزر فى الشرق والجنوب الشرقى ، فيتركز السكان فى السهول الدنيا حيث زراعة الارز بعكس الاجزاء الداخلية التى مازالت غابية المظهر وقليلة السكان وتسود بها الزراعة الواسعة التى تساعد على تركز سكانى كثيف ، ففى الفلبين على سبيل



شكل رقم (٣)
توزيع كمية الامطار السنوية فى شبه القارة الهندية

شكل رقم (٤)
توزيع كثافة السكان فى شبه القارة الهندية

المثال ترتفع الكثافة السكانية فى وادى لوزون (Luzon) الاوسط وفى منخفضات الجزر الجنوبية أما باقى جزرها فقليلة السكان للغاية ٠

أما فى جزر الهند الشرقية واليابان فهناك عاملان يختلفان عن باقى مناطق التركز السكانى الاسيوية ، فكثافة السكان العالية فى جاوة التى تزيد على ١٠٠٠ نسمة فى الميل المربع يمكن تفسيرها فى ضوء الانتاج العالى من المحاصيل الزراعية فى الاراضى ذات التربة الغنية ويتمثل فى هذه الجزيرة المناخ الحار الرطب وتقل مساحتها عن مساحة ولاية فلوريدا الامريكية ومع ذلك يعيش عليها قرابة ٧٠ مليون نسمة بكثافة تصل الى ١٢٠٠ نسمة فى الميل المربع ٠

وفى اليابان التى يزيد عدد سكانها على ١٢٠ مليون نسمة بمتوسط كثافة يصل الى ٨٠٠ نسمة فى الميل المربع فان تغذية هذا العدد الضخم من سكان تلك الجزر التى تبلغ مساحة الاراضى الجبلية الغابية بها ثلثى المساحة الكلية تعتمد على أسلوب علمى متقدم فى فنون الانتاج الزراعى والصناعى يشبه مثيله فى أوربا وفى الولايات المتحدة الامريكية ، ويتباين توزيع السكان على الجزر اليابانية فتزيد الكثافة فى مناطق زراعة الارز وفى الاقاليم الصناعية بينما تقل الكثافة قلة واضحة فى الاقاليم التلالية والجزء الشمالى من الارخبيل حيث لايلائم زراعة الارز ٠

توزيع السكان فى افريقيا :

يعيش حوالى ٤٨٠ مليون نسمة من سكان افريقيا فيما بين دائرتى عرض ٢٠° شمال وجنوب خط الاستواء ، وتعد نيجيريا ومصر والجزائر واثيوبيا وجمهورية جنوب افريقيا أكبر الوحدات السياسية سكانا ، كما أن نيجيريا ومصر من أكثرها كثافة فيزيولوجة ، وتتمثل المناطق غير المأهولة أو المبعثرة السكان فى النطاق الصحراوى العظيم فى الشمال والجنوب الغربى وبعض المناطق فى النطاق المدارى ٠

ويمكن اتخاذ نيجيريا كمثال لتوزيع السكان فى القارة الافريقية حيث تعد أكبر دولها سكانا ، فقد وصل عدد سكانها الى ١٢٢ مليون نسمة فى سنة ١٩٩١ ويعيشون فى مساحة تبلغ ٣٣٩١٦٩ ميلا مربعا،ويتركز السكان بها فى منطقتين رئيسيتين : الاولى فى الجنوب قرب دلتا نهر النيجر والاخرى فى الشمال حول مدينة كانو ، ويمكن تقسيم نيجيريا الى الاقليم الجنوبى ذى السطح المنخفض والامطار الغزيرة التى تزيد على ١٠٠بوصة سنويا ثم النطاق الاوسط ذى السطح المتوسط الارتفاع «٢٠٠٠ قدم فى

المتوسط» والامطار المعتدلة (من ٤٠ ـ ٥٠ بوصة سنويا) ثم الاقليم الشمالى ذى السطح المرتفع نسبيا والامطار القليلة (من ٢٥ ـ ٤٠ بوصة). وقد نتج عن هذا الاختلاف فى الاقاليم الطبيعية اختلاف فى الاقاليم السكانية حيث يرتبط توزيع السكان بالاقاليم الزراعية ارتباطا وثيقا ٠ ففى الجزء الجنوبى تسود الزراعة المتنقلة للمحاصيل المعاشية مثل اليام والحبوب والكاسافا والموز ، أما فى الوسط فتنتج محاصيل مشابهة وان اختلفت طرق الزراعة لخلو هذه الاقاليم من ذبابة تسى تسى ، أما الاقليم الشمالى والذى يعد أكبر الاقاليم الثلاثة فتربى فيه الماشية وتقوم الزراعة المستقرة المرتبطة بتركز سكانى كبير ٠

توزيع السكان فى أمريكا الجنوبية :

يعتبر توزيع السكان فى أمريكا الجنوبية هامشيا الى أبعد الحدود فيتركز السكان فى المناطق الواقعة فى هوامش القارة الشمالية والشرقية والغربية ، ويتميز النطاق الغربى للقارة بتركز السكان فى المرتفعات الغربية ـ فيما عدا شيلى التى يتركز سكانها فى نطاقها الاوسط بينما يتوزع سكان باقى القارة فى مناطق ساحلية كما هى الحال فى جنوب شرق البرازيل ومنطقة البمبا بالارجنتين ٠ وفى هذه الاقاليم يتركز السكان حول نويات مركزية تمثلها عادة مدن كبرى مثل ريو دى جانيرو فى البرازيل وبوينس أيرس فى الارجنتين وعواصم باقى دول القارة ومدنها الرئيسية وتتميز القارة فى معظمها بمناخ حار رطب يعوق تركز السكان وانتشارهم فى المناطق التى تخضع له ـ ولعل فى حوض الامازون مثل واضح على ذلك حيث يتبعثر السكان فى هذا النطاق العظيم تبعثرا شديدا ٠

ويرتبط توزيع السكان فى القارة بالتضاريس ارتباطا كبيرا حيث يعيش معظم السكان فوق مناطق مرتفعة باستثناء أرجواى وبارجواى وشيلى والارجنتين وهى دول المنطقة المعتدلة فى القارة ومن أمثلة سكان المرتفعات مانلاحظه فى فنزويلا وبيرو وكولومبيا واكوادور وشرق البرازيل ، ويسهم المناخ فى تركز السكان فى هذه المناطق الواقعة فى النطاق المدارى بالقارة وتعتبر شيلى مثلا واضحا للعلاقة بين السكان والعوامل الطبيعية فى أمريكا الجنوبية فتمتد هذه الدولة من دائرة عرض ١٧ ـ ٥٧ درجة جنوبا ويصل متوسط ارتفاعها عن سطح البحر الى ٤٠٠ متر ٠ كما يتفاوت المناخ من صحراء قاحلة فى الشمال الى مناخ بحر متوسط فى الوسط ثم الى تندرا فى الجنوب ويعيش سكان شيلى البالغ عددهم ١٣ مليون نسمة فى القطاع الاوسط من البلاد حيث الظروف المناخية معتدلة ومواتية للاستقرار البشرى

ويختلف التركيب السكانى عنصريا حيث يمثل الهنود الاصليون ١٠٪ من السكان والسكان ذوى الاصول الاسبانية ٢٥٪ والباقى وهم ٦٥٪ من السكان فهم من عناصر المستيزو (خليط من الاسبان والهنود الحمر) ، وقد وجد الاسبان فى هذا النطاق ظروفا مناخية مشابهة لظروف جنوب اسبانيا مما أسهم فى أستقرارهم بدرجة كبيرة فيه ، وفى الوقت الحاضر يتركز حوالى ٩٠٪ من سكان شيلى فى هذا الاقليم الاوسط بكثافة تصل الى ٢٢٥ نسمة فى الميل المربع كما يعيشون فى وادى منخفض بين المرتفعات شرقا والساحل الباسفيكى غربا ـ وتغذى هذا الاقليم الانهار المنحدرة من الانديز ـ وفى جنوب وسط شيلى مباشرة توجد منطقة رطبة تشبه فى مناخها مناخ شمال غرب أوربا ـ وكانت تغطيها الغابات الكثيفة وقد استقر فيها الالمان الذين وفدوا الى هذا الاقليم ووجدوا فيه ظروفا مشابهة لبيئتهم الاصلية ، أما شمال شيلى وجنوبها ـ فيكاد يخلو من السكان حيث يمثل الاول صحراء مدارية جافة ـ أما الاخر فصحراء باردة .

وتبين الارقام التالية التطرف فى الكثافة العامة بين الدول فى قارات العالم (الارقام توضح عدد السكان فى الكيلو متر المربع سنة ١٩٩١) .

القارة	أعلى الدول كثافة		اقل الدول كثافة	
آسـيا	سنغافورة	(٢٨٠٠)	منغـوليا	(١)
أوربـا	هولنـده	(٤٠٥)	أيسلنده	(٢)
افريقيـا	موريشيوس	(٥٥٠)	بتسـوانا	(٢)
أمريكا الشمالية	الولايات المتحدة	(٢٧)	كنـدا	(٣)
أمريكا الوسطى	بورتوريكو	(٣٦٧)	نيكاراجوا	(٣٠)
أمريكا الجنوبية	اكوادور	(٣٨)	بوليفيـا	(٧)
استراليشيا	نيوزيلنده	(١٣)	استراليـا	(٢)

الفصل الثالث

توزيـع السـكان

سبق القول بان سكان العالم لايتوزعون بانتظام على سطح الارض ، ويرتبط ذلك بعدد من العوامل الطبيعية والحضارية التى يختلف كل منها فى أهميته النسبية من مكان لاخر وتتداخل هذه العوامل مع بعضها البعض فى شكل مترابط معقد فى معظم الاحوال،وان كانت طبيعة الدراسة تتطلب تقسيمها الى ثلاث مجموعات هى العوامل الطبيعية والعوامل الاقتصادية ثم العوامل الحضارية والثقافية ، وليس من اليسير تحديد مدى اهمية كل من هذه العوامل فى توزيع السكان فى بيئة من البيئـات وان كانت هناك آراء ترى فى العوامل الحضارية المؤثر الرئيسى فى تحـديد حجم وتوزيع السكان وكذا التركيب الاقتصادى والنظم الاجتماعية السائدة(1) ولكن ذلك لاينفى فى النهاية أن سكان منطقة ما هم نتاج للتفاعل بين النظم الحضارية وباقى النظم الاخرى فى البيئة الجغرافية .

وقد تاثرت خريطة العالم السكانية نتيجة الخروج الاوربى نحو بقية قارات العالم تاثرا كبيرا منذ القـرن السـادس عشر ، فقد كان لهجـرة الاوربيين نحو العالم الجديد واستعمارهم لمناطق كثيرة فى العالم القديم خارج قارتهم ونقلهم للافكار والاساليب المتقدمة فى الاستغلال الاقتصادى - دورا أساسيا فى التغير الجذرى للمستوى الحضارى فى كثـير من اقـاليم العالم حتى أصبحت «أوربة» العالم Europeanization من الظـاهرات العالمية فى العصر الحديث ، وقد تباين تاثير الاوربيين فى العـالم زمانيـا ومكانيا ، فقد بقى البرتغاليون فى مستعمراتهم الافريقية قرابة أربعة قرون بينما لم يبق الايطاليون فى اثيوبيا سوى ٥ سنوات فقط ، كذلك فقد خلت مناطق فى العالم القديم من تغلغل النفـوذ الاوربى بهـا الا اذا اقتضت

---

(1) Zelinsky W., A Prologue o Population Geography, Op. Cit., p. 34.

المتطلبات العسكرية ذلك ، وتعد نيبال والتبت وأفغانستان وأثيوبيا (حتى سنة ١٩٣٥) ومعظم شبه الجزيرة العربية دليلا على ذلك ، ومع هذا فان المؤثرات الحضارية الاوربية قد تخللت أقاليم العالم المختلفة سواء في صور الحضارة المادية أو المعنوية ، وما أن وافى عام ١٩٤٥ حتى كانت المؤثرات الاوربية قد وصلت الى أصغر القبائل البعيدة والمنعزلة باستثناء بعض الجماعات المبعثرة القليلة بين ثنايا حوض الامازون أو مرتفعات نيوغينيا التى يصعب الوصول اليها ٠

وعلى ذلك فان الباحث لايمكنه التغاضى عن المؤثرات الحضارية فى توزيع السكان ذلك لان الاحوال الاجتماعية والديموغرافية والاقتصادية والسياسية والتاريخية تعد مؤثرات متشابكة فى هذا التوزيع فى اطار الظروف الطبيعية السائدة،ومن هنا فان دور الجغرافى يتحدد فى اختلاف هذا التوزيع فى ضوء تلك المؤثرات ، وليس ذلك فى فترة زمنية محددة بل كجزء متكامل فى فترة تاريخية كبيرة حيث يعد توزيع السكان عملية ديناميكية مستمرة تختلف أسبابها ونتائجها فى الزمان والمكان ، ويبدو ذلك من استعراض معظم هذه المؤثرات الجغرافية العامة وان كانت دراسة التوزيع السكانى فى البيئة الواحدة يمكن أن تشمل دراسة لعوامل محلية أخرى ذات دور هام فى هذا التوزيع ٠

المؤثرات الطبيعية :

ليس من اليسير اعتبار دور العوامل الطبيعية بأنه الدور المحدد الرئيسى فقط فى توزيع السكان فى مختلف البيئات الجغرافية ذلك لان هناك عوامل حضارية استطاع الانسان من خلالها ان يغير من ظروف بيئته وتعديلها بدرجات متفاوتة حسب متطلبات حياته ، وقد يكون هذا التغير كثيرا فى بعض البيئات وطفيفا فى البعض الاخر ، ومعنى ذلك أن المؤثرات الطبيعية لاتوجه بمفردها توزيع السكان بل أنها تتداخل وتؤثر مجتمعة مع العوامل الاخرى الاقتصادية والحضارية ، معتمدة على القدرات البشرية المدربة التى يمكن أن تحسن من خصائص التربة مثلا أو تعمل على صرف وتجفيف المستنقعات وتهذيب الانهار - بل وتقتطع من البحر مساحات تضيفها للرقعة الزراعية كما حدث فى هولنده ٠

القارية والجزرية :

يبدو من خريطة توزيع سكان العالم أنهم يميلون الى التركز فى

هوامش القارات بينما يتميز داخل القارات بالتشتت السكانى ، ويقدر أن حوالى ثلاثة أرباع سكان الارض يعيشون فى حيز من اليابس يمتد لمسافة قدرها ٦٠٠ ميلا من البحر ، بل ان ثلثى السكان يعيشون فى امتداد يقدر بنحو ٣٠٠ ميلا فقط فيما بين الساحل والداخل(١) مما يدعو الى القول بأن السواحل تجذب السكان والقارية تطردهم،ولا ريب فى ان ذلك يرتبط بالعوامل المناخية والطبيعية والحضارية والتى تعد مؤثرات جوهرية فى هذا التوزيع .

ويمكن القول بصفة عامة بان موقع وشكل وحجم القارات له أثر سياسى فى توزيع السكان والامتداد الواسع للقارات فى العروض العليا الشمالية وما يتخلله من بحار قليلة جعلها بيئات منفرة للتركز السكانى، كذلك فان الامتداد الواسع عند خط الاستواء فى أمريكا الجنوبية وأفريقيا عند مدار السرطان فى أفريقيا كان من المؤثرات المباشرة فى توزيع السكان المشتت حيث يرتبط هذا الاتساع بغابات مدارية مطيرة من ناحية وصحارى جافة من ناحية أخرى .

ويقابل هذه القارية كعامل مؤثر فى توزيع السكان - ظاهرة الجزرية Insularity التى تميل الى الارتباط بالتركز السكانى الواضح على الاقل فى العروض الوسطى والدنيا ، وأمثلة ذلك متعددة منها الجزر البريطانية واليابان وسيلان ومالطة وأندونيسيا والفلبين وفرموزا وجزر الهند الغربية وجزر كنارى ، بيد أنه من الملاحظ أن الارتباط بين الجزرية والتركز السكانىليس ارتباطا مباشرا أو بسيطا - ذلك لان الحجم والموقع والعوامل التاريخية والجغرافية والامكانيات الاقتصادية تعد كلها ذات أثر فعال وحاسم ، والا فكيف نفسر مثلا حقيقة ملموسة تبدو فى أن جزيرة مالطة البالغ مساحتها ١٢٠ ميلا مربعا يعيش عليها سكان أكثر من جزيرة كورسيكا البالغ مساحتها ٣٣٦٠ ميلا مربعا ؟

ولكن ينبغى القول بأن السواحل تختلف فى ظروف جذبها للسكان مما يؤدىالى عدم تساويها فى هذا المجال ويجعل سكانالسواحل غير متناسقين فى توزيعهم حيث يتركزون فى نويات متقطعة Sporadic nuclei حول الموانى أو فى المواقع المناسبة كما هى الحال فى الساحل الشرقى لامريكا

---

(1) Clarke, J. Population Geography, Op. Cit., p. 19.

الجنوبية مثلا ، وبالاضافة الى ذلك فانه بالرغم من أن الاقاليم الساحلية مناطق جذب سكانى متزايد بصفة عامة الا أنها ليست كذلك بالضرورة فى جميع الاحوال ففى عهود القراصنة طردت سواحل البحر المتوسط السكان وكذلك الحال فى سواحل غرب افريقيا التى شـهدت طردا سكانيا كبـيرا عندما كانت تجارة الرقيق فى أوجها ٠

ولاتعمل المؤثرات القارية والجزرية فى فراغ ذلك لانها مرتبطة بعوامل متشابكة أخرى مما يؤدى الى كثير من الاستثناءات فى القاعدة العامة ـ كما يبدو فى الكثافة العالية فى دولتى رواندا وبورندى الداخليتين فى شرق أفريقيا ، وكذا فى حوض ستشوان فى الصين وحـوض موسكو فى روسـيا الاتحـادية ، وعلى النقيض من ذلك فان الكثـافة المنخفضة فى بورينـو وتسمانيا وايسلنده ٠

اشـكال السـطح :

حاول أحـد الباحثين وهـو ستافسكى Staszewski دراسة وتحليل العلاقة بين توزيع السكان ومظاهر سطح الارض ، وقد أوضح فى دراسته عن التوزيع الرأسى للسكان أن أعدادهم وكثافتهم تتناقص بالارتفاع وذلك للصعوبات الناتجة عن استغلال البيئات الجغرافية المرتفعة والتكيف معها، وقد أظهرت هذه الدراسة أن ٥٦٫٢٪ من سكان العالم يعيشون بين مستوى البحر ، ٢٠٠ متر فوق هذا المستوى حيث يشغل هذا الارتفاع (بين صفر و ٢٠٠ متر فوق سطح البحر) نحو ٢٧٫٨٪ فقط من مساحـة اليابس ، وتبلغ كثافة السكان عند هذا المنسـوب المنخفض ضعف متوسط الكثـافة العالمية ، كذلك أوضح أن أربعة أخماس البشر يعيشون دون منسوب ٥٠٠ متر فوق سطح البحر وعلى مساحة قدرها ٥٧٫٣٪ من مساحة اليابس[1] المتباين فى مظاهره بين جبال وهضاب وسهول (شكل رقم ٥) ٠

ويلعب سكان قارة آسيا دورا كبيرا فى التاثير على نسب سكان العالم على المنحنى الهبسـومترى Hypsometric Curve [2] وذلك لان النسـب

---

(1) Clarke, J. Ibid., p. 17.

(٢) المنحنى الهبسـومترى أو الهبسوغرافى ـ هو ذلك الخط الذى يبين منحنيات الارتفاع للقارات ومنحنيات الاعمال للمحيطات بالنسـبة للمساحات القارية والبحرية وذلك حسب ارتفاعها أو انخفاضها عن سطح البحر ، ويوضح حقائق هامة منها أن الارتفاعات أقل من ١٠٠ مترا تشغل ٧٣٪ من مساحة القارات أى أن متوسط ارتفاع القارات يبلغ حوالى ٨٤٠ مترا فوق منسوب سطح البحر ٠

العالم - طبيعية

شكل رقم (٥)

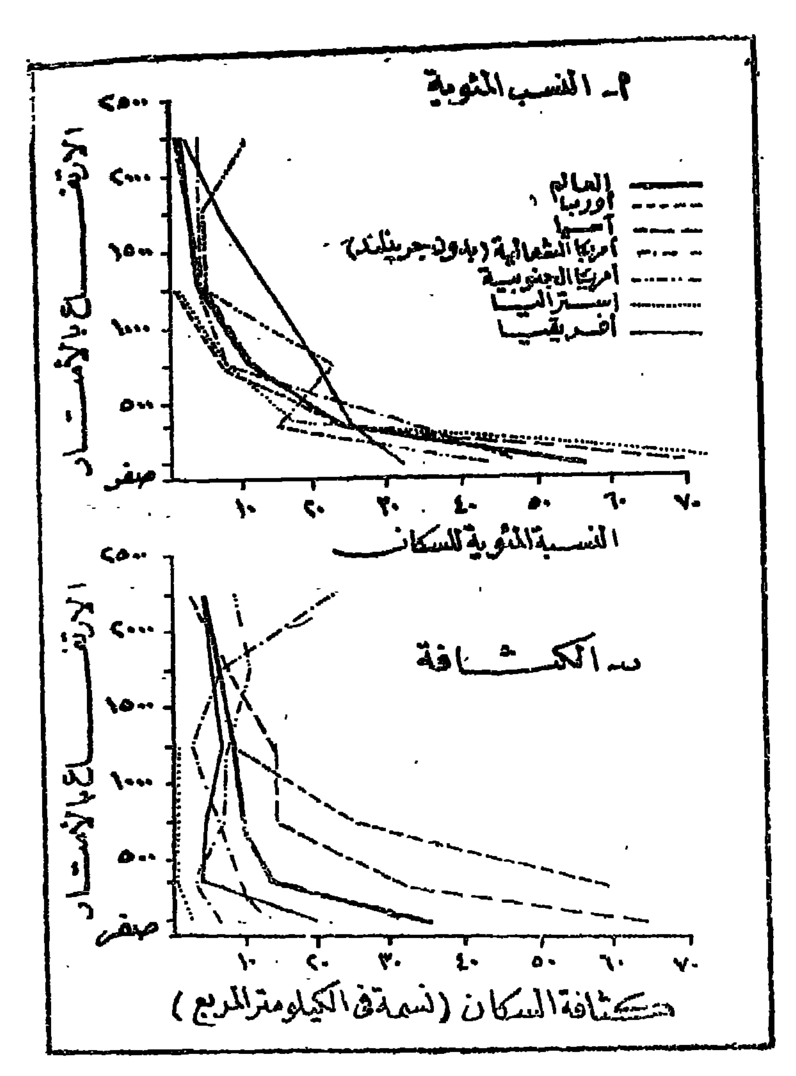
مظاهر السطح فى العالم

المئوية لسكان آسيا على ارتفاع معين تتشابه الى حد كبير مع مثيلتهـا فى العالم ككل ، ولعل فى بريطانيا دليل على ذلك حيث يعيش أربعة أخماس سكانها بين منسوبى صفر و ١٠٠ متر فوق سطح البحـر ، وقد استنتـج ستافسكى بعد أن رسم منحنيـات هبسومترية مختلفـة (شكل رقم ٦) أن المنسـوب المتوسـط mean level للتوزيع الرأسى للسكان فى مختلف قارات العالم كما يلى :

القارة	المنسوب المتوسط	القارة	المنسوب المتوسط
أمريكا الجنوبية	٦٤٤ مترا	أوربـــا	١٦٨ مترا
أفريقيـــا	٥٩٠ مترا	استراليـــا	٩٥ مترا
أمريكا الشمالية	٤٣٠ مترا	متوسط العالم	٣٢٠ مترا
آســيا	٣١٩ مترا		

ويفرض الارتفاع فى أشكال السطح حدا فيزيولوجيا على سكنى الانسان وذلك للنقص العنيف فى الضغط الجوى وما يترتب عليه من خطورة على التنفس ، وتتطلب ظروف السكنى فى المناطق المرتفعة ملاءمة خاصة تسمح بالاستقرار على ارتفاعات تصل الى ٥٠٠٠ مترا كما فى الهملايا والانديز، وفيما بين هذا الارتفاع ومستوى ٧٠٠٠ مترا تعتبر حدودا حرجة للسكنى الدائمـــة .

وليس من السهل فصل الارتفاع عن الموقع بالنسبة لخط الاستواء ودور ذلك فى توزيع السكان ، ففى العروض الدنيا يمكن أن يكون الارتفاع ذا مزايا لسكنى البشر وذلك للظروف المناخية الملائمة فى هذه المناطق المرتفعة وأوضح الامثلة على ذلك تلك الكثافة العالية نسبيا للسكان فى المرتفعـات الاثيوبية ـ حيث تقع أديس أبابا فى قلب منطقة زراعية غنية على ارتفاع نحو ٢٦٦٠ مترا تقريبا . وكذلك فى أمريكا اللاتينية حيث تكون المناطق المرتفعة أكثر ملائمة للسكنى من السهول وتتميز المدن هنا بارتفاعهـا عن سطح البحر مثل لاباز Lapaz التى تقع على ارتفاع ٤٠٠٠ مترا وكيتـو Quito على ارتفـــاع ٣١٠٠ مترا وبوجـــوتا Bogota (٢٨٩٠ مترا) ومكسيكو سيتى (٢٥٧٠ مترا) ، وعلى العكس من ذلك فان أكـثر المدن البريطانية ارتفاعا عن سطح البحر هى مدينة بكستون Buxton التى تقع على ارتفـاع ٣٣٠ مترا ، وذلك لان سكنى المرتفعات غـير ملائم فى العروض العليا بعكس العروض الدنيا .



شكل رقم (٦)
التوزيع الرأسى للسكان فى قارات العالم

الرسم (أ) يوضح النسبة المئوية لعدد السكان فى الارتفاعات المختلفة
الرسم (ب) يوضح كثافة السكان على هذه الارتفاعات

ومن الواضح أن المنحدرات والوعورة فى مظاهر السطح لاتساعد على الاستقرار البشرى بها فبالرغم من أن التقدم التكنولوجى للانسان يمكنه من التغلب على بعض العقبات اذا توافرت بها مقومات اقتصادية فانها لاتقترن فى الغالب باستقرار بشرى مركز بها ، وقد تميزت بعض مناطق الصعوبة فى الاقاليم الجبلية بكثرة السكان الذين ارتبط وجودهم بعوامل اقتصادية أو بعوامل الامن الذى توفره مثل هذه المناطق كما هى الحال فى جبال الاطلس فى شمال غرب افريقيا التى تتمثل فيها أنماط متعددة من حياة البشر تتراوح بين البداوة والزراعة التى تنتشر فى بعض المواقع حيثما تسهم الظروف الطبيعية فى ذلك ، وقد لجأ كثير من السكان الى تلك المناطق فى أوقات الخطر وعدم الامن ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة فى أقاليم جبلية أخرى مثل البلقان وتركيا وايران ، وفى العالم العربى مثلا أدى الاضطهاد الدينى فى بلاد الشام الى التجاء الموارنة الى جبل لبنان والعلويين الى جبال النصيرية والدروز الى جبل العرب كما اعتصمت بعض قبائل البربر بجبال القبائل وأوراس بالجزائر بعد دخول العرب شمال افريقيا(١) ٠

وعموما فان الكتل الجبلية تعد عاملا حاسما فى توزيع السكان خاصة فى العروض الوسطى والعليا حيث يكون الانتقال المفاجىء من الجبل الى السهل عاملا مؤثرا فى تباين كثافة السكان ، والامثلة عديدة على ذلك منها جبال الروكى واسكتلنده والالب ، فعلى سبيل المثال توضح الخرائط التفصيلية لتوزيع السكان أنه بينما يتركز السكان فى سهل البو بكثافة تربو على ٣٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع فانهم يقلون بشكل ظاهر فى جبال الالب حيث تقل الكثافة عن ستة أشخاص فى الكيلو متر المربع ٠

وتعتبر الآودية طرق اختراق ومناطق تركز سكانى فى الاقاليم الجبلية كما تكون شرايين لها وأحيانا جيوبا بشرية داخلها،ويبدو ذلك فى الخرائط التفصيلية لتوزيع السكان فى سكوتلنده وتسمانيا وغيرها ، وتعد مناطق البيدمونت Piedmont أى مقدمات الجبال نقاط تلاق بين بيئات مختلفة كما أنها بداية لنطاق كثافة سكانية كما هى الحال فى وسط اسكتلنده وشمال شرق انجلترا ونوتنجهام ولانكشير ، كذلك فى نطاق اللويس فى شمال أوربا

---

(١) عبد الفتاح وهيبة ـ فى جغرافية السكان ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧١ ـ ص ٤٨ ٠

ومدن خط المساقط فى الولايات المتحدة التى تعد أمثلة واضحة لنقاط الكثافة السكانية فى مناطق البيدمونت .

أما عن العلاقة بين السهول وتوزيع السكان ، فانها ظاهرة معقدة ليس من السهل التوصل فيها الى علاقة ايجابية فى جميع الحالات ذلك لانه بالرغم من أن السهول تعد مناطق طبيعية ذات مزايا خاصة لسكنى الانسان أكثر من الجبال الا أن أكبر سهول العالم لسبب أو لاخر ـ ليست مناطق التركز السكانى العالمى كما هى الحال فى سهول الامازون والكونغو وسهول الصحراء الكبرى وسيبيريا وحوض بحيرة ايرى باستراليا،فظروف التصريف النهرى وطبيعة التربة ومدى خصوبتها ربما تكون ضوابط ومؤثرات أكثر أهمية من الطبيعة السهلية وذلك بشرط أن تكون الاحوال المناخية ملائمة وكذلك ربما كان للغطاء النباتى أثر لا يقل أهمية عن أثر التربة وظروف صرف المياه والمناخ .

وتجذب الانهار دائما سكنى البشر وذلك من خلال ماتقدمه من مزايا متعددة كموارد للمياه ووسائل النقل وهى تؤثر أحيانا تأثيرا مباشرا فى الاستقرار البشرى على ضفافها أو عند نقط تلاقيها أو فى مناطق الجزر بها حيث تنشأ القناطر أو الكبارى ، أو عند انحناءة نهرية فى منطقة تلالية حيث يكون النهر سهولا فيضية أو عند وصوله الى مستوى قاعدة محلى أو عام ، وتعد الانهار فى المناطق الصحراوية أكثر العوامل جذبا للسكان حيث يمكن اعتبارها واحات شريطية بها ـ ولعل فى شريط وادى النيل الفريد فى العالم ما يؤكد هذه الحقيقة .

بيد أن الانهار ليست فى كل الحالات عوامل مشجعة على التركز السكانى بل قد تكون عوامل منفرة تؤدى الى تبعثر النمط السكانى وذلك لما تجلبه من فيضانات وما يترتب على ذلك من تدمير ، أو قد تكون فى أقاليم مناخية غير ملائمة للسكنى كأنهار الامازون والكونغو وغيرها من أنهار المستنقعات والمناطق المدارية .

ومن ذلك يبدو انه ليست هناك قاعدة لتاثير أشكال السطح على توزيع السكان فى العالم الا أن الجغرافى لايمكن أن يتجاهل دورها سلبا كان أم ايجابا فى هذا التوزيع،ويستطيع بالدراسة التحليلية أن يوضح هذا الدور بدقة فى الاقاليم الصغرى على وجه الخصوص .

التربة :

من الصعب أن تنفرد التربة بتاثيرها على توزيع السكان مثلها فى ذلك

مثل باقى عناصر البيئة الطبيعية ـ فالتربة الفيضية الخصبة فى دلتاوات الانهار فى جنوب شرق آسيا وهى دلتا النيل ـ يتركز بها سكان زراعيون بنسبة عالية ، وتقوم التربات البركانية وتربة التشرنوزم فى نطاق حشائش الاستبس بدور مماثل فى تركز السكان ، وكذلك الحال فى التربة السمراء فى نطاق الغابات التى يمكن زراعتها بمختف المحاصيل وماتؤديه من تركز سكانى •

وعلى العكس من ذلك فان تربة البودزل فى المناطق المعتدلة يمكن أن تساعد على تركز سكانى بعد تعديل ظروف زراعتها ، ففى كندا يبدو التناقض واضحا بين سكان نطاق التربة الصلصالية السمراء ونطاق البودزل المجاور ، وكذلك فان تربات اللاتريت الحمراء فى المناطق المدارية الرطبة لاتتوفر لها مقومات التركز السكانى •

وتؤدى أحوال التربة كعامل محلى الى التأثير فى توزيع بعض الحاصلات الزراعية فى مناطق واسعة وبالتالى تؤثر فى توزيع السكان وهناك أمثلة عديدة على ذلك كما فى نيجيريا وموريشيوس وتسمانيا ، وينبغى أن ندرك أن أثر التربة يعتمد على الفنون المختلفة التى يمارسها الانسان لاستغلال هذه التربة •

وتعتبر تعرية التربة Soil erosion من العوامل المؤثرة فى توزيع السكان ، ويذكر البعض أن هذا العامل قد ينتج عن قلة السكان الذين لا يهتمون كثيرا بالارض كما هى الحال فى نطاق البرارى والحشائش المعتدلة فى العالم الجديد ، أو قد ينتج عن زيادة السكان وضغطهم على الارض كما هى الحال فى نطاق المعازل الوطنية فى جنوب افريقيا لذلك فان العدد الامثل للسكان على التربة يمكن أن يكون عاملا فى منع تعريتها •

المنـــــاخ :

يعد تاثير المناخ فى توزيع السكان ذا أهمية بالغة ليس فقط من خلال تأثيره المباشر على الوظائف العضوية للانسان بل بطريق غير مباشر على التربة والحياة النباتية والزراعة ، وقد رأى بعض الباحثين ومنهم هنتنجتون Huntington أن المناخ هو المنبع الرئيسى للحضارة وموجه الهجرات البشرية ومحدد لطاقات الشعوب وشخصيتها(١) •

---

(1) Huntington, E. Principles of Human Geography, London, 1951, pp. 399-416.

وقد سبق القول بأنه لا المناخ الحار ولا المناخ البارد بمناسبين للتركز السكانى ، فالاقاليم الباردة فى العروض العليا والتى تبلغ مساحتها حوالى عشر مساحة اليابس لايسكنها سوى عدة آلاف من البشر الذين تلاءموا مع ظروف البيئة الطبيعية فى هذه الاقاليم ، وقد كان عدم ملاءمة هذه البيئة للزراعة من أهم الاسباب التى أدت الى تبعثر السكان وتشتتهم بها وذلك لان قرابة ٦ر٤مليون ميل مربع من سطح الارض بارد بدرجة لاتسمح بنمو المحاصيل به ، ومن ناحية أخرى فان درجة الحرارة المرتفعة والمقترنة بالرطوبة العالية لاتشجع على سكنى الانسان كما يبدو فى المناطق المدارية المطيرة ، أما المناطق الجافة الصحراوية فتغطى حوالى خمس مساحة اليابس ولا يعيش بها الا قرابة ١/٢٥ من جملة سكان العالم ، وتعتمد الحياة فيها على موارد المياه ولذا فان نويات الاستقرار البشرى بها تظهر حول مصادر المياه سواء حول الانهار التى تكون منابعها خارج الصحراء مثل نهر النيل ونهر السند ، أو حول منابع المياه الجوفية ، ومع ذلك فان هذه النويات تتميز بقلة سكانها ، وقد أسهمت التكنولوجيا الحديثة التى أخذت الشعوب بأساليبها المختلفة على وجود بعض مناطق التركز السكانى حول مناطق التعدين والصناعة سواء فى الاقاليم المناخية الحارة أو الباردة.

ومن المعلوم أن الانسان ككائن حى يتأثر بعناصر المناخ المختلفة والتى تتمثل فى الضغط الجوى والاشعاع الشمسى ودرجة الحرارة والرطوبة والرياح ويعد التغير فى الضغط الجوى أقل أهمية بالمقارنة مع باقى العناصر ذلك لان التغيرات فى الضغط الجوى قرب مستوى سطح البحر لا يترتب عليها أى تغيرات فيزيولوجية ظاهرة فى الانسان(١) الا أن تناقص الضغط الجوى بالارتفاع يؤثر على الانسان تأثيرا مباشرا ، فعلى ارتفاع ٥٣٠٠ مترا ينخفض الضغط الى نصف ماهو عليه عند سطح البحر حيث يصل الى ٥٠٠ ملليبارا ، أما على ارتفاع ٩١٠٠ مترا يصبح الضغط ما بين ثلث الى ربع مثيله عند سطح البحر ، وبالرغم من قلة مساحة الاراضى المرتفعة الا أن هناك شعوبا قليلة استوطنت مثل هذه المناطق كما هى الحال فى مرتفعات الانديز فى بيرو وكذلك فى التبت حيث تعيش بعض الجماعات على ارتفاع يصل الى ٤٥٠٠ مترا أو يزيد ، وأحيانا ما تصل القطعان التى يرعاها سكان هذه المناطق الى ٥٥٠٠ مترا . ومن المعروف أن الانسان اذا ارتفع عن سطح البحر حتى ارتفاع ٣٣٠٠ مترا فانه يصاب

---

(1) Lebon, J. H., An Introduction to Human Geography, Hutchinson University Library, London, 1969, p. 42.

بدوار الجبل Mountain Sickness وبضيق فى التنفس والصداع وبالاعياء والاغماء ، واذا ارتفع عن ذلك بكثير فانه يصاب بانهيار تام قد تعقبه الوفاة ، ولقد كان الاعتقاد السائد قديما أن وفاة الانسان فى الجبال العالية مرجعه سكنى هذه الجبال بالاشباح الشريرة الى أن فسر الاب أكوستا Acosta اليسوعى السبب الحقيقى وراء ذلك فى سنة ١٥٩٠(١) ومنذ ذلك الوقت أثبتت التجارب أن دوار الجبل ينشأ من النقص فى الاوكسجين، وكذلك أكدت أنه فى ارتفاعات معينة يستطيع الجسم البشرى أن يتلاءم نسبيا مع النقص فى الاوكسجين ولعل فى سكان المكسيك والانديز مثل على ذلك .

أما درجة الحرارة فهى عنصر مناخى هام ومؤثر فى حياة الانسان ، وتبلغ حرارة الجسم البشرى ٣٧° مئوية (٩٨٫٤° فهرنهيت) سواء هبطت درجة حرارة الهواء المجاور الى - ٦٨° مئوية (- ٩٠°ف) كما فى شمال سيبيريا شتاء أو ارتفعت الى ٦٠° مئوية (١٤٠° فهرنهيت) كما فى الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية صيفا ، وفى الاقاليم المناخية قاسية البرودة يكون الكساء أمرا ضروريا بالرغم من أنه ليس كذلك فى المناطق الباردة نوعا كما هى الحال عند جماعات الاكالوف Alacaluf البدائية فى أقصى جنوب شيلى والذين يعيشون عراة فى مناطق تتراوح درجة الحرارة بها بين - ٤° مئوية (٢٥° ف) ، ٩° مئوية (٤٨° ف) فى نطاق الرياح الغربية الانتاركتيكية، وقد تلاءمت هذه الجماعات فيزيولوجيا مع درجات الحرارة المنخفضة .

وعلى ذلك فانه يمكن القول بأن أنواع المناخ (شكل رقم ٧) يمكن أن تنقسم الى فئتين كبيرتين من حيث علاقتها بتوزيع السكان :

أ - أنواع ملائمة للتجمعات السكانية الكبيرة :

وتتمثل هذه الانواع فى المناخ المعتدل والموسمى بأقسامها المحلية وفيها توجد أعظم مناطق التركز السكانى العالمى فى شرق آسيا وغرب أوربا وشمال شرق أمريكا الشمالية والمناطق المعتدلة فى أمريكا الجنوبية واستراليا .

ب - أنواع مناخية غير ملائمة للتركز السكانى :

وهى المناخ البارد بانواعه المختلفة فى العروض العليا والمناطق

---

(1) Ibid., p. 43.

العالم - الاقاليم المناخية

شكل رقم (٧) الاقاليم المناخية فى العالم

المرتفعة ، وكذلك المناخ الجاف والرطب فى النطاق المحصور بين المدارين وترتبط هذه الانواع من المناخ بمناطق التبعثر السكانى بصفة عامة على خريطة توزيع السكان فى العالم ٠

المؤثرات الاقتصـــادية :

اذا كانت العوامل الطبيعية ذات أثر جوهرى فى التوزيع السكانى على سطح الارض فان العوامل البشرية تسهم فى هذا التوزيع بدرجات متفاوتة هى الاخرى ، مثل النظم الاقتصادية السائدة والتقدم الصناعى وطـرق النقل والميراث الحضارى والنظم السياسية والاجتماعية وغيرها والواقـع أن الانسان ليس عاملا سلبيا فى بيئته الطبيعية ولكنه عامل جغرافى ايجابى يؤثر فى هذه البيئة بمهارته المختلفة وقدراته المتعددة وأعداده الكبـيرة ، ولذلك فان الميراث الحضـارى للانسان وتراكم المعـارف لديه تمكنه من استغلال ظروف البيئة والتأثير على مناطق التركز والتشتت السـكانيين ، ومن هنا فان دراسة العوامل الاقتصادية قد تلقى الضوء على أثرهـا فى توزيع السكان وارتباط هذا التوزيع بمظاهر الانتاج الاقتصادى ٠

الزراعـة والســكان :

تعد الزراعة من الحرف الرئيسية فى العالم التى ترتبط بتوزيع السكان فمن المعروف أن دور الانسان فى المجتمعات البدائية يقل قلة ملحوظة فى التاثير على بيئته ومن ثم فان أعداد السكان فى هذه المجتمعـات يحددها الامكانيات السهلة المتاحة فى البيئة المحلية حيث يعتمد السكان على ماتجود به الطبيعة من مأكل ومسكن وملبس مع تعديلات طفيفة قد يدخلها الانسان عليها ، ولذلك فان التوازن بين أعداد السكان واستهلاك الموارد المتاحـة هو السمة الديموغرافية الغالبة لهذهالمجتمعات والتى قدد تتعرض لمجاعات على امتداد سنوات متعاقبة وتقوم هذه المجاعات بدور الضبط الطبيعى للتزايد السكانى بها ٠

وتبدو أمثلة هذه المجتمعات فى جماعات الصـيد والقنص والجمـع والالتقاط حيث تعد الموارد فى بيئاتها محدودة كما أن السكان يجهـلون الوسائل الفنية لاستخدام هذه الموارد وتنميتها ولعل فى وسـائل الصـيد البدائى عند أقزام الغاباتالاستوائية وهنود حوضالامازون أو الاستراليين الاصليين ما يوضح ذلك ، وتمـارس بعض الجمـاعات الزراعة البدائيـة بمظاهرها المتعددة وكذلك تربية الحيوان ورعيه فى بعض الصحارى وعلى

حوافها ، وتعكس الزراعة البدائية ارتباطا مباشرا بين الانسان والتربة وحتى ان كانت زراعة متنقلة أو زراعة الحريق حيث تتعرض التربة للاجهاد السريع نتيجة نقص المخصبات وبدائية الوسائل الزراعية وضعف القوى العاملة مما يؤدى الى اتباع دورات زراعية كل عدة سنوات كما فى أفريقيا المدارية وفى الاقليم الداخلى شمال شرق البرازيل حيث يعقب زراعة الارض لمدة خمس سنوات فاقل ـ فترة راحة تترك فيها مدة طويلة قد تصل الى اثنتى عشرة سنة فى افريقيا وعشرين سنة فى شرق البرازيل الجاف . ويعتبر المانيوق (الكاسافا) فى البرازيل وأفريقيا الاستوائية والذرة الرفيعة فى السودان وهضبة الدكن فى الهند المحاصيل الرئيسية لغذاء السكان فى هذه الاقاليم . ولايرتبط هذا النمط فى الزراعة البدائية بكثافة سكانية عالية حيث تصل فيه الكثافة الى أقل من ١٠ أشخاص فى الكيلو متر المربع كما هى الحال فى زيمبابوى ومن ١٠ ـ ٢٠ شخصا فى أفريقيا الوسطى .

ولكن فى بعض المجتمعات الريفية الاخرى فان المهارات الاولية فى استغلال التربة قد أدت الى زيادة كثافة السكان فيها بالمقارنة مع النوع البدائى السابق ، وقد تمارس هذه المجتمعات بالاضافة الى الزراعة ـ حرفة الرعى وتربية الحيوان وتعرف تسميد الارض بالسماد العضوى كما هى الحال فى بعض مجتمعات غرب أفريقيا مما يؤدى الى ازدياد الكثافة لتصل فى بعض الاحيان الى ١٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع .

على أن لمحصول الارز دور بارز فى الارتباط بكثافة السكان العالية ، ولعل فى شرق وجنوب شرق آسيا مثل واضح على ذلك مما يجعلها من أكثر مناطق العالم كثافة فى السكان تتراوح بين ٣٠٠ ـ ١٠٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع . وتلائم الارز كثير من أنواع التربات ولايعوق زراعته ازدياد الاملاح فى التربة أو المياه بدرجات معينة وكذلك ينمو فى المناطق الحارة التى ترتفع فيها الرطوبة فى فصل الانبات والنمو مما يجعل احتياجاته الانباتية تتمشى مع ظروف الاقاليم الموسمية حتى أن زراعته تستمر على مدار السنة فى بعض مناطق الصين ويندر ألا توجد مناطق تحصده فى أى وقت من السنة . وتسهم الانهار فى هذه الاقاليم بتعويض الخصوبة للتربة بما تجلبه من مواد عضوية فى رواسبها ، كذلك فان الارز يتميز بوفرة محصوله اذا ماقورن بغيره من المحاصيل حيث يبلغ انتاج الفدان منه مرتين ونصف بالمقارنة مع القمح وأكثر من انتاج الشعير بمقدار الثلثين ومن الذرة بمقدار الثلث . وذلك بالاضافة الى قيمة الارز الغذائية المرتفعة

ر.يحتويه من مواد بروتينية ومعادن يحتاجها جسم الانسان ، ومن ثم فانه المحصول الذى يسمح بتركز أعداد كبيرة من السكان ويقيم أودهم اذا كان هذا التركز فى مساحة أصغر كما أن نمط زراعته يعد أحد العوامل الهامة فى الكثافة الريفية للسكان .

ويمكن القول بصفة عامة أنه فى كل أشكال الاستغلال الريفى فان السكان يعتمدون بصفة رئيسية على انتاج التربة المحلية ، أما دور النقل والتجارة وأوجه النشاط المرتبطة بها والتى خلقها العمران الحضرى فانه يبدو ضئيلا أمام التربة بالرغم من تداخل هذه العوامل الاخيرة فى الانتاج الزراعى .

ويختلف توزيع السكان فى المناطق المتقدمة فى العالم ـ حيث تقل العلاقة بدرجة كبيرة بين الكثافةالسكانية وانتاجيةالتربة والجهد الزراعى ـ ذلك لان الانتاج الزراعى لايمثل عصب الاقتصاد فى هذه المجتمعات المتقدمة والمعقدة ففى فرنسا لايمثل انتاج الزراعة سوى ١٣٪ من جملة الناتج القومى كما لايمثل السكان الزراعيون سوى ٢٦٪ من جملة السكان العاملين وتصل هذه الارقام فى الولايات المتحدة الى ٧٪ ، ١٠٪ على الترتيب وفى المملكة المتحدة الى ٤ر٤٪ ، ٥٠٪ ، وعلى ذلك فان كثافة السكان الزراعيين تكون منخفضة اذا ماقورنت بكثافة السكان العاملين جميعا ففى فرنسا تصل هذه الكثافة الى ١٠ و ٣٤ نسمة فى الكيلو مترالمربع على التوالى وفى الولايات المتحدة ١ر٧ وفى بريطانيا ٥ر٤ نسمة فى الكيلو متر المربع وبمقارنة ذلك باقتصاد متخلف أو نامى يبدو الفرق بينهما ، ففى البرازيل تصل نسبة العاملين فى الزراعة الى ٦١٪ من جملة القوى العاملة ويكون الناتج الزراعى ٦ر٢٦٪ من جملة الناتج القومى كما أن كثافة السكان الزراعيين تصل الى ١٢ نسمة/كم٢ بالمقارنة مع ٢٠ نسمة/كم٢ لجملة القوى العاملة .

ويبدو أثر التنمية فى الاقتصاد الحديث القائم على الصناعة والتجارة فى تركيب الحياة الريفية ، ويبدو هذا التركيب فى بعض المجتمعات النامية والتى تسير فى مرحلة التحول الاقتصادى كما هى الحال فى بعض المجتمعات الافريقية والاسيوية واللاتينية ويمكن ادراك مدى هذا التحول بدراسة أرقام النمو والتركيب السكانى فيها ومدى التغير الذى اعترى هذا التركيب .

وفى المجتمعات المتقدمة فان التعقيد فى وسائل الحضارة ومظاهرها

قد امتد الى استغلال التربة وقد مر ذلك فى عـدة مراحل كانت المرحـلة الاولى مرتبطة بتطبيق وسائل جديدة فى الزراعـة مما نتج عنه نمـو فى السكان الريفيين ، وقد تجلى ذلك فى تحسن الدورات المحصولية والوسائل المختلفة وازدياد استخدام الاسمدة مما أدى الى زيادة السكان الريفيين فى السهول الاوربية فى القرنين السابع عشر والثـامن عشر وكذلك أدى الى تقليل ثم ازالة أخطار المجاعات فى هذه الاقاليم .

أما المرحلة الثانية لهذا التطور فى الزراعة فقد تميزت بازدياد الكثافة فى الاراضى الزراعية مما حدا بالسكان الزائدين الى الاتجاه نحو أوجـه نشاط أخرى غير زراعية ، كذلك فان استمرار التطور فى الوسائل والادوات الزراعية أدى الى احلال الآلة محل كثير من الايدى العاملة الزراعيـة مما أدى الى اتجاه الفائض الى الهجرة ، وقد ارتبط ذلك ببداية التطـور فى الصناعة التى بدأت تستوعب الكثير من الذين لفظتهم الارض الزراعية ، وقد حدث ذلك فى غرب أوربا خلال القرن التاسع عشر .

ثم تأتى المرحلة الاخيرة والتى تتمثل فى أن التقدم الآلى حل محـل القوى العاملة البشرية وأدى ذلك الى نتائج مختلفة منها ارتفاع مستوى الافراد المعيشى ـ وكذلك التأثير فى السكان الريفيين الذين وجدوا أنفسهم أمام ثلاثة اختيارات اما منفصلة أو مرتبطة : اما أن يزيدوا مساحة الارض الزراعية واما أن يزيدوا الانتاج الزراعى أو يحسنوا خصائص طبيعة هذا الانتاج حتى يستطيعوا أن يلائموا بين متطلبات الصناعة والانتاج الزراعى وقد مرت دول شمال غرب أوربا بهذه المرحلة فى الزراعة .

وتستطيع الزراعة فى مرحلة التقدم الفنى أن تلبى احتياجات السكان فى أنواع مختلفة من الكثافة ففى أراضى القمح فى ليون (Léon) بأسبانيا حيث الوسائل مازالت تقليدية تبلغ الكثافة ٧٥ نسمة فى الكم٢ بينمـا فى مناطق القمح الشاسعة فى شمال وسط الولايات المتحدة تهبط الكثافة الى ١٠ نسمة/كم٢ ، ويقدر أنه لكى يزرع هكتار من القمح (٢ر٤٧ فدان) فانه يتطلب بين ٨و١٥ يوما من العمل بالوسائل التقليدية ـ بينما تنخفض هذه المدة الى يوم واحد باستخدام الميكنة الكاملة ، وفى الولايات المتحدة فان كثافة السكان فى أراضى القطن فى الجنوب ذى الايدى العاملة الملونة تزيد ثمان مرات عن مثيلتها فى كاليفورنيـا حيث تستخدم الميكنـة فى زراعـة القطن بدرجة عالية،ويقدر كذلك أن الكيلو جرام الواحد من الارز يتطلب ثلاثة ساعات عمل فى الشرق الاقصى فى آسيا مقابل ٦ر١ دقيقة فى لويزيانا بالولايات المتحـدة .

وباختصار فانه يمكن القول بالنسبة للمجتمعات الزراعية أو المجتمعات التى تبدو الزراعة فيها ثانوية بأن هنـاك عوامل عـديدة تلعب دورا فى تحديد كثافة السكان ، ففى المجتمعات الزراعية يلاحظ أن العامل الرئيسى فى هذا المجال هو قدرة الاقليم الزراعى تحت الظروف التكنولوجيةالراهنة على الوفاء باحتياجات عدد معين من السكان من الغذاء • واذا تزايد هذا العدد فان الارض ينبغى أن تنتج من المحاصيل مايكفى لاحداث التوازن بين السكان والغذاء ، وقد كانت المجاعات فى العهود الماضية تتولى احداث هذا التوازن ـ بيد أن الانسان توصل الى حلول حديثة منظمة منها توسيع الرقعة الزراعية بمختلف الطرق والسبل (وهذا يفسر حركة ازالة الغابات واستصلاح أراضيها فى غرب أوربا فى العصور الوسطى والزيادة الكبيرة فى حقول الارز فى الشرق الاقصى خلال القرن الماضى الذى كان مواكبـا لنمو السكان) وكذلك زيادة الانتاج بتحسين خواص التربة (بالتسميد واتبـاع دورات زراعيـة) أو بالاهتمـام بوسـائل الرى والصرف ثم أخيرا بهجرة السكان الزائدين فى المناطق الزراعية[1] •

أما فى المجتمعات المتقدمة والتى لاتسهم الزراعة فى الانتاج القـومى بها الا بنصيب ثانوى فان التوازن بين السكان والغذاء تكون أسسه مختلفة عن المجتمعات الزراعية حيث تتولى كثير من عناصر الانتاج غير الزراعى الاخرى احداث هذا التوازن الذى يرتبط بمستوى المعيشة فى الدولة كلها، وفى الدول الفقيرة ـ ذات الدخل القومى المنخفض ـ فان التقدم الزراعى يكون بدرجة ضئيلة يؤدى الى هجـرة كثير من السكان خاصـة فى المدن الكبرى ، كذلك قد تحدث هجرة عكسية خـلال الازمات الاقتصادية كمـا حدث فى الولايات المتحدة فى الفترة (١٩٢٩ ـ ١٩٣٥) حيث عـاد قـرابة المليونين من سكان المدن الى الاراضى الزراعية •

وفى الدول ذات المستوى المعيشى المرتفع والتى تكـون فيها الزراعـة نسبة عالية من الدخل فان السكان تزيد كثافتهم فى المناطق الريفية حيث الاستغلال الكثيف للارض ، كما هى الحال فى الدانمرك وهولنده وفى بعض مناطق ذات أنماط زراعية خاصة مثل زراعة الخضر والفاكهـة والزهور، ففى هذه المناطق تزداد كثافة السكان بدرجة ملحوظـة (٣٧٥ نسمـة فى الكيلو متر المربع فى هولنده) بينما تقل الكثافـة الى ثلاثة أشخـاص فى مناطق الزراعة الواسعة فى الولايات المتحدة ، ولكن فى كلتا الحالتين فان

---

(1) Beaujeu-Carnier, J., Op. Cit., p. 58.

سكان هذه الاقاليم الزراعية يكونون نسبة غير قليلة من جملة السكان تصل الى ١٤٪ فى هولنده ، ١٣٪ فى الولايات المتحدة .

وينعكس مستوى المعيشة على نمط الزراعة فى الاقطار المختلفة ، فبالنسبة للارز مثلا فى الشرق الاقصى والولايات المتحدة يلاحظ أن زراعة هكتار واحد منه فى دلتا تونكين بفيتنام الشمالية تتطلب أكثر من ٤٠٠ يوم عمل يدوى شاق بينما تتطلب هذه المساحة فى الولايات المتحدة سبعة أيام بالآلات المختلفة . وفى شرق آسيا فان عددا يتراوح بين ٥٠٠ ــ ٦٠٠ نسمة يعيشون على انتاج مساحة من الارض الزراعية مقابل خمسة أو ستة أشخاص يعيشون على مساحة مماثلة فى الولايات المتحدة .

ويبين ذلك كله العلاقة بين الزراعة والتوزيع السكانى حتى يمكن القول بأن قيمة الحياة الريفية (Quality) تشمل المظاهر الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والنفسية والتى تتداخل معها عوامل متعددة تخلق فى النهاية الصورة العامة للاقليم وشخصيته السكانية .

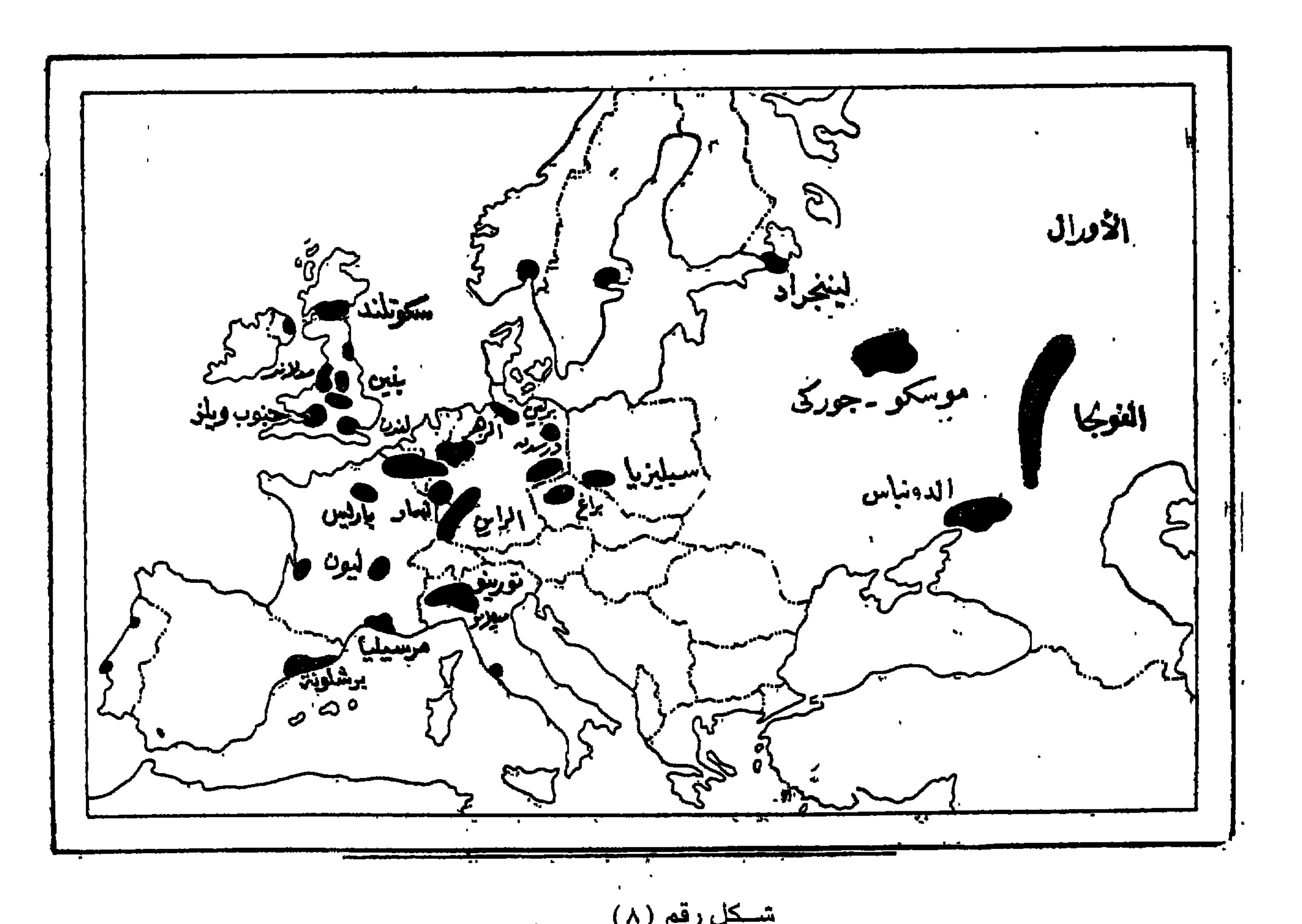
الصناعة والسكان :

يبدو أثر الصناعة فى توزيع السكان فى مظهرين أحدهما مباشر ويرتبط بالتركز السكانى حول الاقاليم الصناعية والاخر غير مباشر ويتمثل فى أن الصناعة التى كثيرا ما تتوطن فى المدن تجذب اليها كثيرا من مهاجرى الريف مما يؤدى الى احداث «تعرية» سكانية فى المناطق الريفية مقابل «ارساب» سكانى فى مناطق الحضر وتلك ظاهرة عالمية تتميز بها المجتمعات النامية والمتقدمة على حد سواء . وقد شهدت أوربا ظاهرة الخروج الريفى هذه منذ بدأ الانقلاب الصناعى بها حيث تضخمت كثير من المدن الصناعية على حساب الريف ــ وأبرز الامثلة على ذلك أن القرى التى كانت متخصصة فى اعداد الخيوط الصوفية والكتانية أو القنب تركزت بها مصانع نسيج فى القرن التاسع عشر ــ وبدأت فى التوسع شيئا فشيئا على المواد الخام المستوردة من أقاليم انتاجها فيما وراء البحار مثل القطن والصوف والجوت وقد تركزت هذه المصانع فى مقدمات جبال البنين وفى الفلاندرز وساكسونيا ولمبارديا حيث فقد الريف كثيرا من سكانه فى الوقت الذى تضاعفت فيه أحجام المدن الصناعية ، فمدينة روبيه (Roubaix) مركز الصناعات الصوفية الفرنسية تزايد عدد سكانها من ٨٠٠٠ نسمة فى سنة ١٨٠٢ الى ١٢٤٫٠٠٠ فى سنة ١٩٠١ ــ حيث كان ثلثا هؤلاء من المهاجرين اليها ، ولقد أسهم الفحم بدور قوى فى التقدم

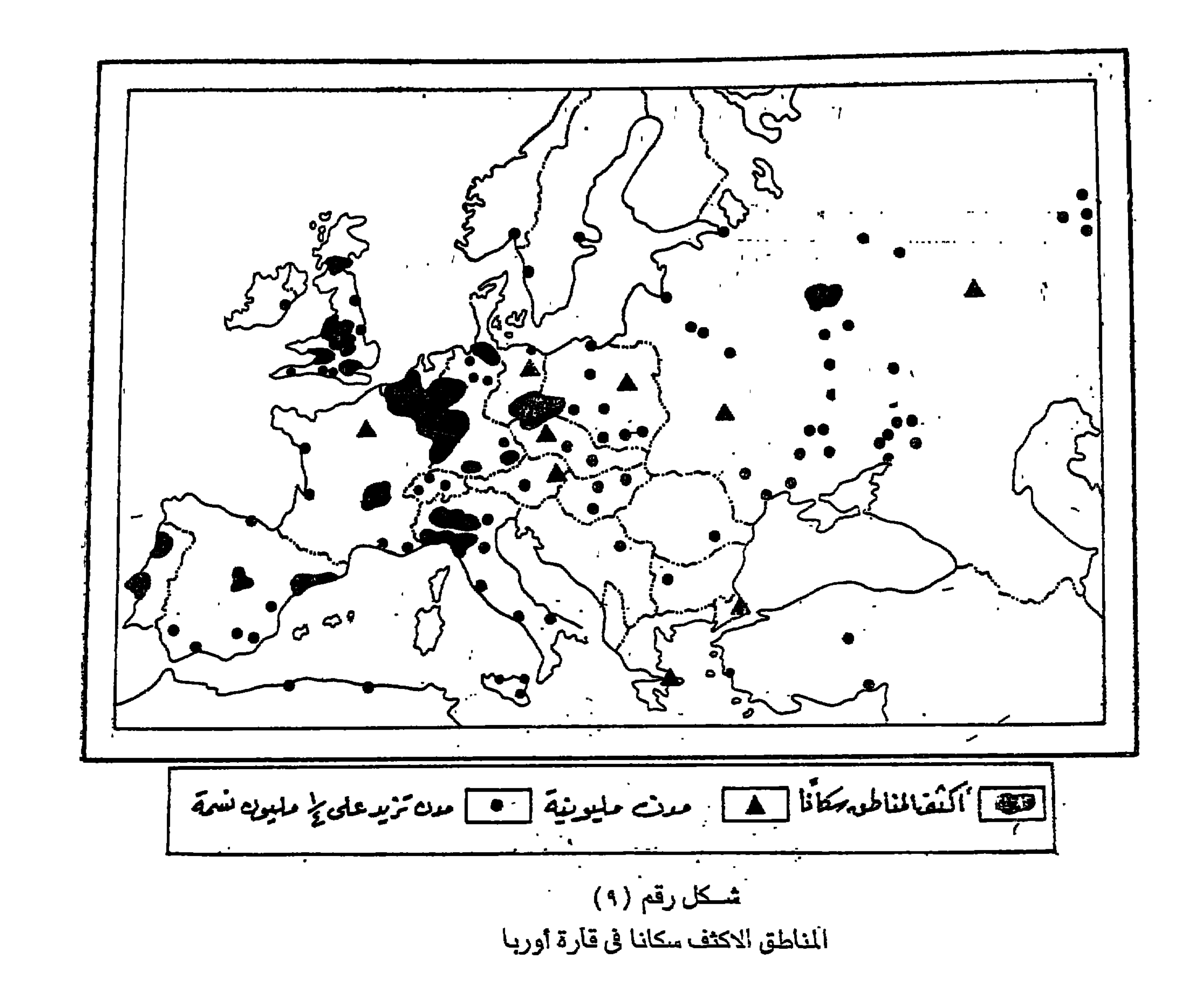
الصناعى الحديث ، وليس من الغريب أن الدول التى أخذت بناصية الانقلاب الصناعى كانت حقول الفحم بها من أكبر عوامل قيام الصناعات المختلفة ، فقد شاركت كل حقول الفحم فى شمال غرب أوربا فى هذا المجال حيث ظهرت تجمعات سكانية كبيرة فى المدن الصناعية مما أدى الى تزايد كثافتهم زيادة كبيرة (شكل ٨ وشكل ٩) وفى هذه الاقطار التى تمتد من لانكشير الى الرور ومن سيليزيا الى سانت اتين (St. Etienne) تزيد الكثافة على ١٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع فى كثير من مناطقها . وتشبه هذه الاقاليم منطقة حوض الدونتز والاورال فى روسيا كذلك حواف الابلاش فى الولايات المتحدة حيث توجد مراكز صناعية عظمى .

وهناك معادن أخرى خارج نطاق الفحم - أسهمت بدور ملحوظ فى التركز السكانى مثل خام الحديد الذى يجذب كثيرا من القوى العاملة وكذلك الذهب والماس اللذين شهدا اندفاعا بشريا نحوهما مما أدى الى تعمير كثير من المناطق التى لم تكن ظروف العيش فيها مشجعة ، ففى منطقة اللورين الفرنسية تغير مظهرها السكانى بعد سنة ١٨٧٩ عندما أصبح استخدام خامات الحديد الفوسفورية ممكنا فى صناعة الصلب،وترتب على ذلك قيام ونمو كثير من المدن التعدينية والصناعية فى هذه المنطقة ، ولقد كان الذهب احد العوامل القوية التى جذبت الايبريين الى أمريكا اللاتينية وشجعتهم على اختراق القارة وبناء بعض المدن التى من أشهرها أوروبريتو (Ouro Preto) بالبرازيل ، وكذلك كان الذهب من عوامل جذب السكان الى مرتفعات غرب أمريكا الشمالية كما كان مسئولا عن الزيادة الديموغرافية المفاجئة فى استراليا حيث وصل اليها ٥٥٤٫٠٠٠ شخصا فيما بين ١٨٥١ - ١٨٦٠ فقط . كذلك عمر الذهب منطقة الراند (Rand) فى جنوب افريقيا - فقد وصل عدد سكان جوهانسبرج واثنتى عشرة مدينة مجاورة - الى حوالى ١٫٥ مليون نسمة منهم ٣٥٠٫٠٠٠ نسمة يعملون فى مناجم الذهب وعلى بعد نحو مائتى ميل من هذا الاقليم ونحو الجنوب الغربى توجد حقول الماس فى بلومفنتين وكمبرلى والفال الادنى حيث تزداد كثافة السكان بها أكثر من المناطق الزراعية المجاورة .

وتختلف الصناعة - كما هى الحال فى الزراعة - فى طبيعتها ، ففى الصناعات الاستخراجية أو الاعمال الانشائية يكثر عدد السكان العاملين بها ولكن تتفاوت أعدادهم من وقت لاخر - ولايتميزون بالنمو الثابت أو المتزايد - وذلك لارتباطهم بكمية المعدن فى المناجم أو استمرار الاعمال الانشائية وبامكانية بيع وتبادل الخام المنتج ، ففى دول أمريكا الجنوبية



شـكل رقم (٨)
المناطق الصناعية الرئيسية فى قارة أوربا



شكل رقم (٩)
المناطق الاكثف سكانا فى قارة أوربا

تعانى مناجم المعادن اللافلزية وكذلك مناجم النحاس وغيرها تقلبات واسعة فى مجال العمالة التى تعكس حالة السوق العالمية نظرا لاعتماد هذه المعادن على التصدير الخارجى ، وكذلك فان العمالة فى حفر آبار البترول وانشاء السدود وغير ذلك تتميز بالتغير وعدم الاستقرار .

وعلى النقيض من ذلك فان الصناعةالتحويلية تختلف اختلافا جوهريا فى تأثيرها على توزيع السكان ، فمناطق صناعة النسيج والصناعات الهندسية والخفيفة تتميز بتركز السكان بها وتأخذ شكل المجمعات المدنية بتوابع صناعية ذات مصانع صغيرة ، ذلك لان هذه الصناعات تحتاج الى أيد عاملة كثيرة سواء من الذكور أو الاناث ، ومن أمثلة هذه المناطق اقليم صناعة النسيج فى لانكشير وجنوب انجلترا ووسط هنشو باليابان والتى تتميز بكثافات سكانية عالية فى مساحات كبيرة .

ويرتبط بذلك المراحل التاريخية للصناعة فى أى قطر ، ففى الدول التى أخذت بالصناعة مبكرا تميزت المرحلة الاولى بأنها مرحلة أصحاب الحرف المبعثرين ثم تطورت بعد ذلك الى مرحلة نمو النويات الصناعية المنعزلة القائمة على الفحم والمواد الخام الاساسية الآخرى بعد ذلك ثم على خطوط النقل الرئيسية . وقد تبع ذلك انشاء مصانع متتالية فى مناطق التوطن الصناعى التى تزايدت بعد ذلك وكونت مراكز صناعية واسعة أسهمت فيها الاختراعات الحديثة والتقدم فى وسائل النقل والمواصلات ووسائل الإنتاج والتدريب وغير ذلك ، ولقد جذبت المراكز الصناعية القائمة على الطاقة الكهربائية فى المناطق الجبلية كثير منالسكان كما هى الحال فى بعض دول أوربا .

وفى الدول الصناعية حديثا فان كثيرا من المناطق الريفية تشهد اقامة صناعات بها على المواد الاولية سواء كانت معدنية أو نباتية أو التى تساعد وسائل النقل على الحصول عليها ، ولعل أوضح الامثلة العالمية على ذلك النطاق الصناعى العظيم فى روسيا الاسيوية الذى يشمل منطقة الكوزباس وكاراجندا وأركوتسك ، وقد أنشئت المدن فى هذا النطاق الذى كان قبل هذا التحول الصناعى منطقة استبس واسعة خالية أو تكاد من السكان وتغطيه الان مزارع الحبوب والقطن ، وفى الصحراء الكبرى وصحراء بلاد العرب أنشئت المدن فى مناطق انتاج البترول ، وفى صحراء أتكاما وجبال الانديز اقيمت كثير من المراكز العمرانية فى مناطق التعدين .

النقــل والســكان :

يعد النقل ووسائله من العوامل الاساسية فى التوزيع الحالى للسكان على سطح الارض ، حيث أثر بطريق مباشر أو غير مباشر على التجمعات البشرية كلها دون استثناء كما غير من خريطة العالم فى القرنين الماضيين، فقد أتاح النقل البحرى فرصة اكتشاف أراض جديدة وتأسيس طرق تجارية رخيصة تمتد لمسافات طويلة مما أدى الى نشأة ونمو كثير من المــوانى الكبرى ــ وتبدو هذه العلاقة فى دراسة خريطة توزيع المدن الرئيسية فى العالم حيث يبدو من خلالهما تأثير القرب من البحر • ولقد خلق التقدم فى النقل عبر القارات حضارة جديدة من خلال التركز (Concentration) وما صاحبه من تجميع المواد الخام ووسائل الانتاج والمواد الغـذائية ونمو وتزايد الموارد ، وبالتالى نمو السكان وتركزهم ، ولقـد كانت السـكك الحديدية والطرق الملاحية من أبرز عوامل تزايد أحجام المدن حيث تمتد الرقعة المدنية متبعة طرق النقل المؤدية الى المدينة وتبدو فى شكل أشرطة عمرانية فى اتجاهات طرق النقل الرئيسية •

ولم يقتصر تأثير النقل على الجانب الاقتصادى فحسب ، بل أدى الى تزايد حركة السكان واختلاطهم مما أثر فى كثير من العلاقات البشرية بين الاجناس ، وسقطت كثير من أسوار العزلة بين الجمــاعات السـكانية فى البيئات المختلفة وأصبح التبادل المستمر الناتج عن سهولة الاتصال سمــة مميزة لهذا العصر • واذا كان النقل قد خلق كثيرا من الاحتياجات الجديدة للسكان الا أنه أسهم فى تحقيق هذه الاحتياجات ــ فقد ساعد علىالتخصص فى الانتاج بين الاقاليم المختلفة وقد ظهر هذا التخصص وأصبح واضحا فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بين المناطق التى خدمها النقل الحديث بل والمناطق الاخرى التى لم تتأثر كثيرا به ، وقد أصبحت الاولى مظهرا لكثير من أوجه النشاط حيث لعبت الصناعة دورا كبــيرا فى اقتصــادها ، وتضخم كثير من مدنها ، وأدى ذلك الى الحصول على المواد الخام من مناطق انتاجها فى أجزاء العالم المختلفة ــ وذلك عن طريق النقل البحرى الرخيص مقابل تصدير المعدات والآلات الصناعية والمنتجـات المصـنعة المختلفة الى هذه المناطق ، ولقد مارس غرب أوربا هذا الدور مبكرا مع مناطق أخرى مثل الولايات المتحدة التى برزت فى هذا المجال بعد ذلك، وقد أثر هذا التطور فى باقى أجزاء العالم وان كان ذلك بدرجات متفاوتة•

ولقد كان للنقل دور بارز فى المناطق التى خضعت للاستعمار الاوربى، فقد أدى الى خلق كثير من المدن الساحلية والموانى الحديثة التى تتصـل

بباقى أجزاء العالم بطريق النقل البحرى والجوى ، وهـذه تختلف عن غيرها من المدن الريفية الداخلية فى نمط الحياة اختلافا كبيرا ، وفى الفترة الاستعمارية امتدت كثير من خطوط النقل من الساحل نحو الداخل ، أى ارتبطت موانى التصدير بمناطق انتاج المواد الخام اللازمة للصناعات فى الدول الاوربية .

كذلك فـان الاختـلاف بين أجزاء العـالم ـ بل وبين أجـزاء الدولة الواحدة ـ قد أدى الى حركات سكانية كبيرة تتمثل فى الهجرة ، ففى كل يوم ينتقل آلاف السكان فى تيـارات مستمرة من الريف الى المـدن ومن الاقاليم الفقيرة الى الاخرى الغنية وكذلك من البلاد ذات الاقتصاد المتخلف الى تلك البلاد المتقدمة ، وفى كل هذه الحركات السكانية تقـوم طـرق المواصلات بدور شريانى هام حتى ان امتداد خطوط النقـل فى المنـاطق حديثة التعمير هو الذى يحدد مراحل هذا التعمير وتطـوره ، ذلك لان التعمير يتبع طرق النقل فى البداية ثم ينتشر على محاوره بعد ذلك امتدادا شريطيا،ولقد كان الحال كذلك فى الطرق العابرة للقارة فى أمريكا الشمالية حيث كان امتداد المواصلات موازيا لحركة تعمير الاراضى ، وكذلك الحال فى خط سكة حديد سيبيريا عبر روسيا الاسيوية وأيضا على خطوط النقل الحديثة فى الصين الشعبية وبالرغم من أن المناطق التى تخترقها خطوط المواصلات تكون آهلة بالسكان فى الغالب الا أن تركز السكان يبدو واضحا على طول هذه الخطوط كأشرطة سكانية كثيفة بصفة عامة .

أما فى الدول القديمة العمران حيث مدت خطوط السكك الحديدية عبر مناطق ريفية آهلة بالفعل وذات اقتصاد تقليدى خاص،فان أثر المواصلات يبدو مختلفا ، حيث يبدو تركز السكان فى المدن الاكثر أهمية على امتداد خط المواصلات ، بينما تكون المراكز العمرانية فى المواقع المتوسـطة أقل سكانا وتتأثر المناطق القريبة من السكك الحديدية بنقص السكان بينمـا لاتحدث مثل هذه الظاهرة فى المناطق البعيدة .

وتلعب القنوات والطرق البرية دورا فى توزيع المراكز العمرانية حيث يتميز التوزيع السكانى بملامح معينـة ، ويعتبر المصب الخليجى لنهـر التيمز مثلا واضحا على ذلك حيث أقيمت على هذه الجبهة المائية صناعات مختلفة تحتاج لوسائل مواصلات تنقل كمية ضخمة مثل صناعة الاسمنت والورق ومعامل تكرير البترول ، وقد أدى ذلك الى تركز السكان فى هذه المناطق بدرجة أكثف من الاقاليم المجاورة .

وعلى ذلك فان دور النقل فى توزيع السكان يتحدد تبعا للبيئات المختلفة ، ومثال ذلك أنه فى استراليا الشمالية حيث يبلغ متوسط الكثافة السكانية ثلاثة أشخاص فى كل ١٠٠ كيلو متر مربع يوجد مركزان عمرانيان رئيسيان هما داروِن كمينان واليس سبرنجر على نهاية خط السكة الحديد الذى يخدم منطقة الرعى الجنوبية ، ويتركز فى هذين المركزين العمرانيين ٨٠٪ سكان الاقليم ، والباقى يتوزع فى مناطق قريبة منهما أو مناطق سهلة الاتصال بخط السكة الحديدية ، وكذلك الحال فى داخل البرازيل حيث اقترن مد السكك الحديدية بانشاء بلدان صغيرة على امتدادها وباستمرار عمليات التنمية فى هذا الاقليم سواء بالتعدين أو الزراعة تزايد حجم هذه البلدان الواقعة على شرايين النقل وأصبحت مدنا كبيرة .

المؤثرات التاريخية والسياسية :

بالرغم من الدور الهام الذى تمارسه المؤثرات الطبيعية والاقتصادية المختلفة فى توزيع السكان كما سبق القول الا أنه من الواضح أن التوزيع السكانى فى الماضى له تأثير على توزيعهم فى الحاضر والمستقبل ، فهناك كثير من البيئات يمكن تفسير توزيع السكان بها فى ضوء ظروفها الماضية، فقد أسهمت الحضارات الاسيوية وطوال الفترة الزمنية التى استغرقتها فى تحديد أنماط التوزيع السكانى الحالى ، فعلى سبيل المثال جذبت السلاسل الجبلية فى جنوب غرب آسيا الجماعات التى لجأت اليها هربا من الغزاة وبذا تميزت بازدحام سكانى واضح . وشبيه بذلك توزيع السكان فى الامريكتين حيث يدين فى كثير من ملامحه الى عمليات الاستعمار الاوربى خاصة مد السكك الحديدية ، كذلك فان توزيع السكان فى غرب وشرق أفريقيا سيظل مدة طويلة متأثرا بتجارة الرقيق التى ابتليت بها هذه المناطق ، وباختصار فان التوزيع السكانى لايمكن تفسيره فى ضوء فترة زمنية محددة ذلك لانه فى تغير مستمر مستجيبا فى ذلك للمؤثرات والقيم البشرية .

ويتاثر التوزيع السكانى بالهجرت والحركة الطبيعية للسكان وأحيانا ماتتفوق الهجرة على الزياد الطبيعية أو العكس ولكن كل العوامل الاجتماعية والسياسية تؤثر فى هذين المكونين مثل الاختلاف الثقافىوالدينى والنمط الاجتماعى والطبقى والخدمات الاجتماعية والتقدم الطبى والمستوى التعليمى ومكانة المرأة والسياسات السكانية القومية والتغيرات فى الحدود السياسية وغير ذلك .

وقـد أظهرت دراسـة مؤثرات التوزيع السـكانى المختلفـة أنه ليس بالضرورة أن تكون المناطق التى شهدت تعميرا قـديما هى الاعلى كثافة دائما ذلك لان هناك أقاليم فى كثير من الدول تتمشى مع هذا «القـانون» البسيط • ويمكن تفسير قلة الكثافة فى المناطق ذات العمران القديم بأسباب متعددة لتوضيح العوامل التى جعلت مناطق آهلة فى العصور القديمة قليلة السكان فى الوقت الحاضر •

ولعل فى دورات تعمير سهول وسط وجنوب ايطـاليا مايعطى مثـلا واضحا على ذلك ، فهـذه المناطق كانت مزروعـة ومشهورة فى الفـترة الرومانية القديمة ، ولكنها تدهـورت بالتدريج بعـد ذلك نتيجـة لنظم الزراعة التى لم تلائم ظروف البيئة ، ثم انتشار الاوبئة وخاصة الملاريا، وأهملت هذه الاراضى فى العصور الوسطى وأنشئت القرى فى مناطق التلال وقد اتبعت سياسة احياء هذه الاراضى خلال القرن والنصف القرن الاخيرين وساعد ذلك على اعادة تعميرها • وهناك دورة تطورية مشابهة فى أراضى مابين النهرين (ميزوبوتاميا) والتى كانت مشهـورة فى الازمنة القـديمة بخصوبتها ومدنها ، الا أنها تعرضت لاهمال بعد ذلك تسبب عنه تعرضها لزحف الصحـارى وتبذل جهـود فى الوقت الحاضر لرى واستصلاح هـذه الاراضى لاحيائها مرة أخرى ، وهناك مناطق أخرى لم تحظ بهذا الاهتمام مثل شبه جزيرة يوكاتان التى تنتشر فيها أطلال قديمة تشهد على حضارة مزدهرة لجماعات المايا الهندية فى أمريكا الوسطى •

ولقد حاول كثير من الباحثين ارجاع تدهور كثير من المناطق المماثلة لتغيرات مناخية وخاصـة فى شمـال أفريقيا فى فترة ماقبـل التـاريخ بل والعصور القديمة ـ وحتى الوقت الحاضر وهناك آثار مشابهة لهذا التغير المناخى فى آسيا ـ فقد تغير مركز جاذبية السكان فى سريلانكا حيث كان السكان يتركزون قديما فى المنطقة الجافة وكانوا يمارسون زراعة الارز من خلال نظام الخزانات المائية الصغيرة وقد دمرت هذه الخزانات خلال غزو التاميل Tamil فى منتصف القرن الثالث عشر وترتب على ذلك أن أصبحت المنطقة موبوءة بالملاريا وأهملت المدن لكى تطغى عليها الغابات وفى هذه المناطق يوجد ٢٨ شخصا فقط فى الكيلو متر المربع ، ومن ناحية أخـرى فقد استطاع الاستعمار الحديث أن يعمل على تنمية المنحدرات والسـهول الساحلية الغربية لاستغلالها فى زراعة الشاى والمطاط وتبلغ كثافة السكان بها فى الوقت الحاضر ٣٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع •

وقد تبدو التغيرات بسرعة واضحـة فى بعض الاقاليم كما حـدث فى

الاراضى التى سلمتها المانيا الى بولنده سنة ١٩٤٥ ، وماتبع ذلك من اجلاء سكانها واحلال سكان بولنديين محلهم وقد نتج عن ذلك انخفاض فى الكثافة بل وتغير فى نمط التوزيع السكانى حيث حلت الملكيات الصغيرة محل الاقطاعيات الكبيرة ٠

وأخيرا فانه فى العالم الجديد حيث امتد التعمير الى أراضى جديدة ، شهدت أقطاره بذلك أولى مراحل العمران - أو أولى دورات التوزيع السكانى التى ترتبط بمقدمات الاستقرار البشرى فى هذه المناطق وما يرتبط به من تركز أو تشتت ٠

أما العوامل السياسية فيبدو تاثيرها فى توزيع السكان واضحا فى المهاجر مثل الولايات المتحدة واستراليا حيث تطبق الحكومات قوانين لتنظيم الهجرة الوافدة اليها ، فقد بدأت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الاولى فى تطبيق نظام الحصص للحد من عدد المهاجرين ، كما طبقت استراليا سياسة عرفت بالسياسة الاسترالية البيضاء (White Australian Policy) والتى تحرم دخول العناصر الملونة الى القارة خوفا من طغيانها العددى ومنافستها للبيض فى مجالات العمل وأدى ذلك الى استمرار استراليا بمساحتها التى تبلغ ٧٫٦ مليون كيلو متر مربع من أصغر قارات العالم فى عدد السكان حيث يعيش بها ١٧٫٥ مليون نسمة فى الوقت الذى تعانى فيه معظم دول جنوب شرقى آسيا القريبة تضخما سكانيا مزمنا ٠

وبالاضافة الى كل العوامل السابقة والمتشابكة التى تؤثر فى توزيع السكان ، هناك عوامل أخرى ترتبط بقدرة الانسان على التغيير فى ظروف بيئته نحو الاحسن وتوسيع النطاق المعمور من سطح الارض وما تقوم به الحكومات من مشروعات تهدف الى اعادة توزيع السكان على رقعة بلادها ويقابل تلك العوامل الايجابية عدة عوامل سلبية تؤثر فى تشتت السكان ونقصهم Depopulation سواء ما ارتبط بها من الحروب وما تحمله من خراب وتدمير لوسائل العيش أو طرد السكان الاصليين من مواطنهم واحتلالها بالقوة ٠

على أنه ينبغى القول فى النهاية بأن تفسير العوامل المؤثرة فى توزيع السكان وانماطه المتغيرة ليست عملا سهلا حيث يتطلب ذلك تحليلا جيدا للخرائط الطبوغرافية والبيانات المناخية والاقتصادية والاجتماعية ومعرفة عميقة بالماضى البعيد والقريب والاهتمام الدقيق بالاطار الكلى لتضافر كل هذه العوامل مجتمعة وليس بعامل واحد فقط دون غيره ٠

الباب الثاني

نمو السكان

الفصل الرابع

خصوبة السكان

خصوبة السكان لفظ يطلق للدلالة على ظاهرة الانجاب فى أى مجتمع سكانى والتى يعبر عنها بعدد المواليد الاحياء ، وينبغى التمييز هنا بينها وبين لفظ القدرة على التوالد Fecundity وهى التى يقصد بها المقدرة الفسيولوجية على الانجاب أو القدرة الطبيعية على حمل الاطفال،ويمكن التحقق من الخصوبة Fertility من احصاءات المواليد،الا أنه لايستدل منها على مستوى القدرة على التوالد أو الخصوبة الفسيولوجية والتى لا يوجد لها قياس مباشر ٠

وتختلف الخصوبة من مجتمع لاخر كما أنها تختلف من مكان لاخر ومن مجموعة سكانية لاخرى داخل المجتمع الواحد وذلك نتيجة عدة عوامل اجتماعية واقتصادية وبيئية ، ومن هنا تكون أهمية دراستها حيث يؤدى هذا الاختلاف فى مستويات الخصوبة من بيئة لاخرى الى أثر بالغ فى حركات السكان وفى نواح شتى من حياتهم وخاصة بعد أن أمكن السيطرة على الوفيات الى حد كبير ٠

وللخصوبة أثر عميق فى تركيب السكان العمرى ، وذلك لان ارتفاع مستواها يؤدى الى زيادة التراكم العددى فى قاعدة الهرم السكانى واتساعها ووجود مايعرف بظاهرة التجديد (الاشباب) Rejuvenation ـ ويؤدى هذا بالتالى الى انخفاض مستوى نسبة كبار السن الى مجموع السكان ، وهذا الاتساع فى القاعدة والضيق فى قمة الهرم السكانى يؤدى الى نتائج اقتصادية واجتماعية متعددة تنعكس على معدلات النمو السكانى فى المجتمع(١) ٠

وتعد الخصوبة من العناصر الرئيسية فى دراسة السكان ، ليس فقط

---

(١) راجع فصل التركيب العمرى النوعى للسكان ٠

لانها غالبا ماتفوق الوفيات والهجرة وبالتالى فهى المحدد الرئيسى لنمـو السكان بل لانها أيضا أكثر صعوبة فى فهمها عن الوفيات ، فبينما تتمـيز الوفاة بأنها حتمية بالضرورة ولايمكن تجنبها فان الخصوبة ليست كذلك، ومن ثم فهى أقل ثباتا • ويمكن التنبؤ بها كما يمكن التحكم فيها ، كذلك فانها تكون أكثر تأثرا بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسيةوالنفسية وغيرها ، وبالاضافة الى ذلك فان الوفاة ـ والتى تحـدث فى أى عمر ـ تختلف عن الخصوبة فى أن النساء يلدن فى فترة زمنية محددة من أعمارهن ومن ثم فان زيادة عدد المواليد فى عام لايعنى أنه ستعقبه زيادة مماثلة فى العام التالى وتبعا لذلك فان الخصوبة تتعرض لتغيرات على مدى قصـير أكثر مما تتعرض له الوفيات •

مقاييس الخصـــوبة :

تقاس خصوبة السكان بعدة مقاييس حسابية تختلف فيما بينهـا تبعا للعمليات الاحصائية المتبعة للحصول عليها ، كمـا أن لكل منهـا مزاياه وعيوبه سواء من حيث سهـولة الحصـول عليه أو من حيث الدلالة التى يبرزهـــا •

١ ـ معدل المواليد الخام Crude Birth Rate :

يعد هذا المعدل أبسط هذه المقاييس جميعا ـ وهو عبارة عن النسـبة بين عدد المواليد الاحياء المسجـلين فى السنة واجمـالى عدد السـكان فى منتصف السنة ، وهو معدل خام لانه يبين الظاهرة الحيوية منسـوبة الى المجتمع ككل دون النظر الى التركيب السكانى المتباين من حيث العمـر والنوع والنشاط والخصائص الديموغرافية الاخرى ، ولذلك فـانه نظـرا لبساطة هذا المعدل الخام ـ فان له عيب جوهرى هو أنه يمزج مجموعات سكانية كثيرة تختلف الخصوبة فميا بينها اختـلافا واضحـا ولا يميز بين طبقاتها المختلفة ومدى تباينها فى هذا الصدد •

وقد أصبح هذا المقياس شائعا ومعروفا لمناقشة المستوى العام للخصوبة وذلك لمزاياه الكثيرة رغم ذلك ، منها أنه يبين مستوى الخصوبة لمجتمع باكمله على مسـتوى القطـر أو الاقليم ، ويمكن حسـابه بسـهوله ويسر ولايتطلب سوى الحد الادنى من البيانات لحساب أى معدل حيوى •

ويكتب معدل المواليد الخام على الصورة التالية :

$$\text{معدل المواليد الخام} = \frac{\text{عدد المواليد أحياء فى السنة}}{\text{عدد السكان فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

مثـــــال :

$$\text{معدل المواليد الخام فى مصر سنة ١٩٨٦} = \frac{١٫٩٥٠٫٠٠٠}{٤٩٫٦٠٩٫٠٠٠} \times ١٠٠٠$$

= ٣٩ فى الالف

٢ ــ معدل الخصوبة العام General Fertility Rate :

وهو عبارة عن النسبة بين العدد السنوى للمواليد الى جملة عـدد الاناث فى سن الحمل والتى تقع بين فئتى العمر ١٥ ــ ٤٩ سنة ، والغرض من ذلك هو تحديد مقـام المعـدل الى الاناث المحتمـل أن يكن أمهـات باستبعاد جميع الذكور ومجموعات أخرى من الاناث خارج فترة الحمل الطبيعيـة ٠

وعلى ذلك فان هذا المعدل يأخذ الصيغة التالية :

$$\text{معدل الخصوبة العام} = \frac{\text{عدد المواليد أحياء فى السنة}}{\text{عدد الاناث فى مرحلة العمر (١٥ ــ ٤٩) فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

مثـــــال :

$$\text{معدل الخصوبة فى مصر سنة ١٩٧٦} = \frac{١٫٣٨٤٫٠٠٠}{٨٫٥٨١٫٩٣٦} \times ١٠٠٠$$

= ١٦١٫٣ فى الالف

٣ ــ معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة :

Age - Specific Fertility Rate

وهو النسبة بين جملة عدد المواليد لامهات فى أعمار معينة الى عـدد الاناث فى كل فئة عمرية وعادة ماتكون فئة خمسية (أى كل خمس سنوات) وهو أدق من المعدلين السابقين وذلك لان عدد المواليد يختلف باختـلاف أعمار الامهات بدرجة كبيرة ٠

والبيـانات اللازمة لحساب هذا المعدل هى عـدد المواليد المسجلين المبوبين حسب عمر الأم ، وعدد السكان الاناث فى كل فئة عمرية فى المدى العمرى ١٥ ــ ٤٩ مبوبة فى نفس فئات عمر الأم وهو بذلك يأخذ الصيغة التـالية :

معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة =

$$\frac{\text{عدد المواليد خلال السنة للاناث (الوالدات) فى فئة عمرية}}{\text{عدد الاناث فى نفس الفئة العمرية فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

مثال : معدل الخصوبة فى مصر سنة ١٩٧٦ هو :

الفئة العمرية (١)	جملة عدد المواليد حسب أعمار الأمهات (٢)	جملة عدد الاناث فى كل فئة عمرية فى منتصف السنة (٣)	معدل الخصوبة العمرية فى الالف $\frac{(٢)}{(٣)} \times ١٠٠٠$	% من الجملة
١٥ — ١٩	٤٠٤٠٠	١٨٤٩٩٥٢	٢٢	٩ر١
٢٠ — ٢٤	٢٩٢٠٠٠	١٥٦١١٦٩٨	١٨٧	٥ر١٦
٢٥ — ٢٩	٤٢٣٥٠٠	١٣٦٢٩١١٦	٣١١	٤ر٢٧
٣٠ — ٣٤	٣٠٠٠٠٠	١٠٩٢١٧٣	٢٧٥	٣ر٢٤
٣٥ — ٣٩	٢١٣٠٠٠	١٠٣٠٠٩٠	٢٠٧	٣ر١٨
٤٠ — ٤٤	٨١٤٠٠	٩٤٦٩٠٤	٨٦	٦ر٧
٤٥ — ٤٩	٣٣٨٠٠	٧٣٨٢٠٣	٤٦	٠ر٤
الجمـــــلة	١٣٨٤٠٠٠	٨٥٨١٩٣٦	١١٣٤	٠ر١٠٠

٤ ـ معدل الخصوبة الكلية Total Fertility Rate :

ويرتبط بمعدل الخصوبة الخاصة مقياس آخر هو معدل الخصوبة الكلية ، وهو مجموع معدلات الخصوبة الخاصة للمرأة الواحدة (أو لألف امرأة) مضروبا فى ٥ (طول الفئة العمرية) ، ويعنى هذا المعدل فى الواقع متوسط عدد المواليد الذين يمكن أن تنجبهم المرأة الواحدة طوال سنوات قدرتها على الانجاب ، ومثال ذلك أن معدل الخصوبة الكلية فى مصر سنة ١٩٧٦ يساوى :

$$\frac{١١٣٤ \times ٥}{١٠٠٠} = \text{٧ر٥ مولودا}$$

وتعد دراسة الخصوبة الخاصة محاولة للتعمق فى اظهار المستوى الحقيقى للخصوبة ومقارنته مع غيره من المقاييس ، وذلك لان معدل المواليد الخام الذى سبق الحديث عنه ليس فى الواقع سوى مقياس أولى للخصوبة لانه ينسب عدد المواليد فى فترة معينة الى عدد السكان التقديرى

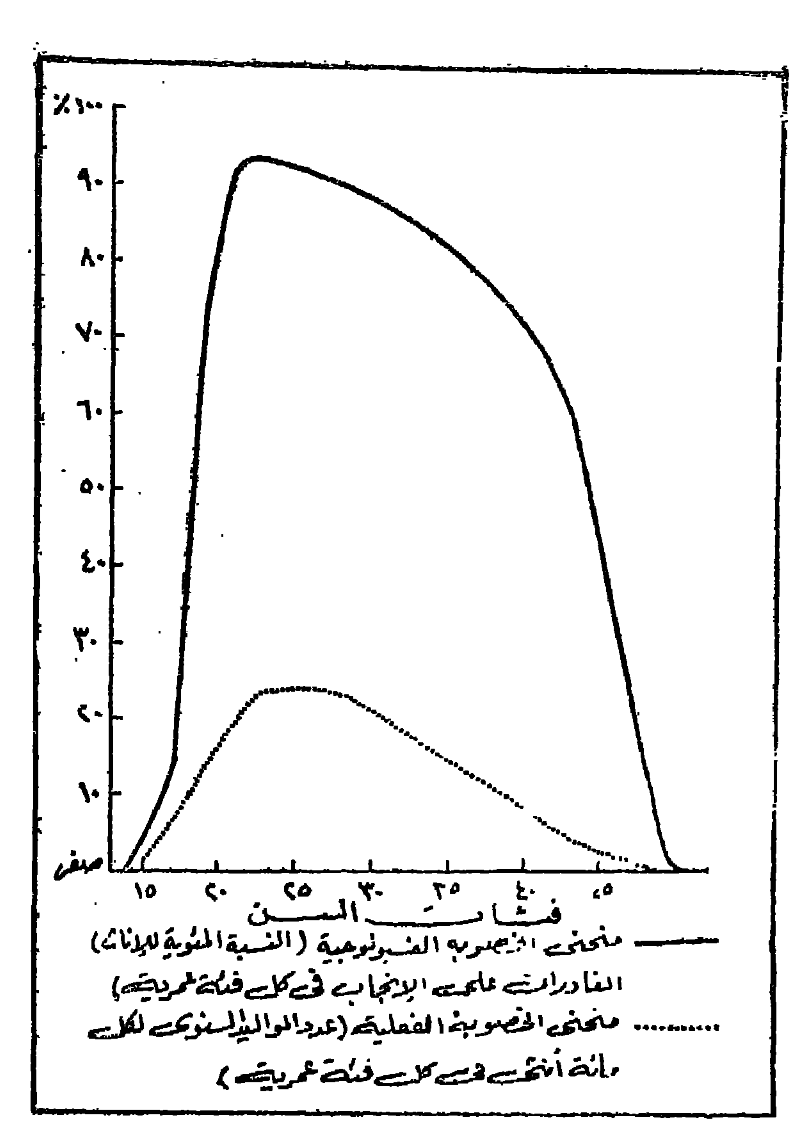
فى خلال هذه الفترة ، ومن الواضح أن المواليد ليسوا نتاجا لكل سكان المجتمع ولكنهم نتاج مجموعة سكانية لها خصائصها الديموغرافية المميزة وخاصة فى مجال التركيب العمرى الذى تختلف فيه كثير من المجتمعات وليس تساوى معدلين للمواليد فى مجتمعين قرينا بتساوى نمط الخصوبة بينهما ، ذلك لان التركيب السكانى له تأثير كبير ، فاذا كان أحدهما يتمتع بنسبة عالية من الاناث فى سن الحمل أو حتى قبيل بلوغ هذه السن فان احتمالات الزيادة فى عدد سكانه فى المستقبل بسبب النسل تكون أكبر من مثيلتها فى مجتمع آخر يتميز بقلة نسبة الاناث فى سن الانجاب ـ ولعل مرجع ذلك هو أن الانثى هى المصدر الرئيسى للخصوبة والموضع الحقيقى لها ، وتبدو هذه الظاهرة بوضوح تام فى المجتمعات التى تعرضت للهجرة وفودا أو نزوحا .

والغرض الاساسى من تحديد عدد المواليد فى كل فئة عمرية الى الاناث فى نفس الفئة هو محاولة تحديد اختلاف اسهام الاناث فى الخصوبة حسب الاعمار ، وذلك لان فترة الحمل لاتتساوى فيها قدرة المرأة على الانجاب طوال سنوات هذه الفترة التى تبدأ من سن البلوغ وتنتهى عند سن اليأس ويذهب بعض الباحثين الى أن هذه الفترة قد تتسع لمدة زمنية فيما بين الخامسة عشرة أو اقل قليلا الى سن الخمسين أو حول هذه السن وقد جرى العرف الديموغرافى على اتخاذ المدى العمرى ١٥ ــ ٤٩ كمجال طبيعى للحمل ـ وذلك حسب البيانات التى تتيحها الاحصاءات الحيوية فى المجتمع .

وبالرغم من أن قدرة المرأة الفسيولوجية على الانجاب تصل الى ٣٥ عاما فيما بين ١٥ ــ ٤٩ سنة الا أن هناك نسبة من الاناث عقيمات طبيعيا خلال هذه الفترة وليس من المعروف تماما نسبة العقم الطبيعى للاناث حسب الفئات العمرية ولكن بعض الدراسات(١) استنتجت أن هناك نموذجا افتراضيا للقدرة على الانجاب يدل على أن نسبة الاناث القادرات على الانجاب ترتفع من ١٪ عند سن ١٤ لتصل الى الحد الاقصى وهو ٩٣٪ عند السن ٢٢ ثم تبدأ فى الهبوط التدريجى بعد ذلك بالتقدم فى العمر حتى سن ٥٠ لتصل مرة أخرى الى ١٪ فقط (انظر الشكل رقم ١٠) .

أما نسبة الانجاب لدى الاناث فى كل فئة عمرية فى المدى العمرى

(1) U. N., Population Bulletin of the United Nations, No. 1963 New York, 1965, p. 101.



شكل رقم (١٠)

منحنى الخصوبة الفسيولوجية والفعلية للاناث

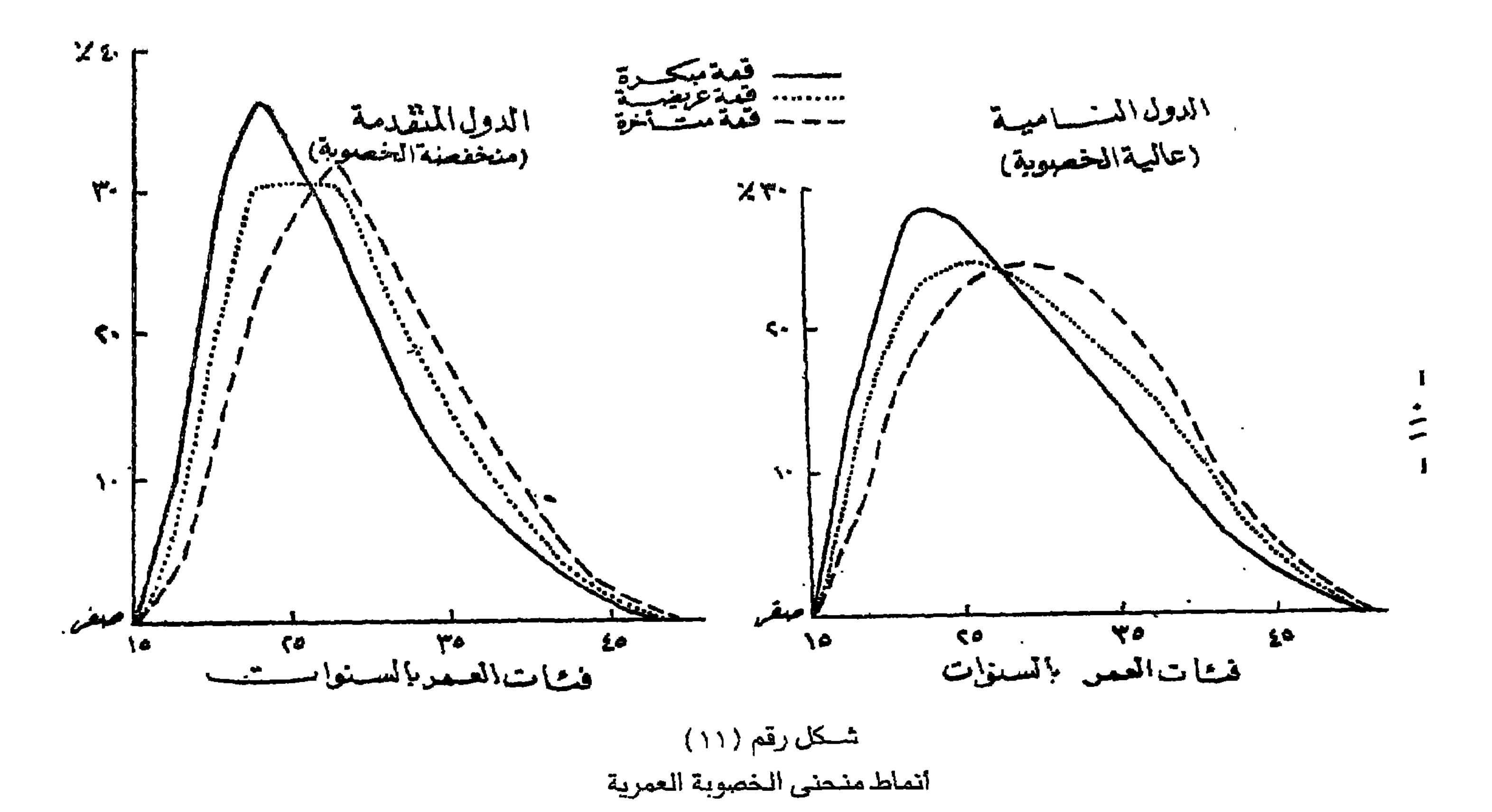
المذكور والتى تعرف بمعدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة فتختلف من شعب لاخر نتيجة عدة عوامل من أبرزها متوسط السن عند الزواج للانثى ونسبة الترمل للاناث اللائى فى سن الخصوبة ومعدل زواج الارامل منهن ثم مدى ممارسة وسائل تنظيم الانجاب ، واذا وزعنا معدل الخصوبة العمرية النوعية على رسم بيانى بحيث يكون المحور الافقى ممثلا للفئات العمرية للاناث والرأسى لمعدلات الخصوبة فان المنحنى الناتج يكون على شكل ناقوس Bell Shaped Curve ويعرف بالمنحنى العمرى للخصوبة .

ويعد منحنى الخصوبة العمرى منخفضا عند الاعمار التى تقل عن ٢٠ سنة حيث تكون نسبة قليلة من الاناث قد بدأت الانجاب ـ ثم يرتفع بعد ذلك ليصل الى قمته فى العشرينيات من العمر (أو أوائل الثلاثينيات) عندما تكون الغالبية العظمى من الاناث قد تزوجت ويكن بذلك فى قمة القدرة على الخصوبة الطبيعية ، ثم مايلبث المنحنى أن ينخفض بعد ذلك بسرعة فى بعض المجتمعات وببطء فى بعضها الاخر معتمدا فى ذلك على معدلات العقم وممارسة وسائل تنظيم الانجاب وغير ذلك من العوامل .

ويتباين شكل منحنى الخصوبة العمرى من دولة لاخرى بل قد يتغير فى المجتمع الواحد بين كل فترة زمنية وأخرى ، ويعد شكل هذه المنحنيات ذا أهمية خاصة فى دراسة الخصوبة حيث تدل مقارنة مقاييس الخصوبة العمرية النوعية بين الدول على اختلاف منحنى الخصوبة العمرى بين الدول عالية الخصوبة من ناحية ومنخفضة الخصوبة من ناحية أخرى بل بين أقطار كل مجموعة من هذه الدول ، وتبدو هذه الفروق فى أمرين هما: السن الذى يصل فيه معدل المواليد العمرى النوعى الى أقصاه ثم درجة تركيز الخصوبة فى فئات عمرية عند قمة المنحنى أو بالقرب منها .

ويمكن تمييز ثلاثة أنواع رئيسية من المنحنيات للسن الذى تصل فيه الخصوبة الى قمتها ، وهى نوع القمة المبكرة Early - Peak حيث تصل الخصوبة أقصاها فى الفئة العمرية (٢٠ ـ ٢٤) ونوع القمة المتأخرة Late - Peak حيث يكون الحد الاقصى فى الفئة (٢٥ ـ ٢٩) وأخيرا نوع القمة العريضة Broad - Peak حيث تصل معدلات المواليد أقصاها فى الفئتين (٢٠ ـ ٢٤) و (٢٥ ـ ٢٩) كما يبين الشكل رقم (١١) .

وليس هناك اختلاف كبير بين الدول عالية الخصوبة ومنخفضة الخصوبة فى توزيع قمة الخصوبة العمرية ، ولكن يلاحظ على الدول المتقدمة ذات الخصوبة المنخفضة أن فترة الانجاب تميل الى التركز فى



شكل رقم (١١)

أنماط منحنى الخصوبة العمرية

مدى أضيق من الاعمار أكثر من الدول النامية عالية الخصوبة ، وكقاعدة عامة فان ٧٧٪ أو أكثر من الخصوبة الكلية فى الاقطار التى يقل فيها معدل التكاثر الاجمالى عن ٢٫٠ تنتج عن مواليد لاناث بين ٢٠ ـ ٣٤ سنة،أما فى الدول عالية الخصوبة فان الاناث اللائى تعدين سن ٣٥ سنة من العمر يكونون ١٥٪ أو أكثر من الخصوبة الكلية ، يقابل ذلك نسبة ضئيلة من هذه الاعمار فى دول الخصوبة المنخفضة ، كذلك فان اسهام الاناث أقل من ٢٠ سنة يعد أكبر فى الدول النامية منه فى الدول المتقدمة ويعكس هذا مدى الاختلاف فى متوسط السن عند الزواج ٠

وفى الدول منخفضة الخصوبة تسود القمة المبكرة بوضوح فى معظم أجزاء وسط وجنوب أوربا وخاصة بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولنده ورومانيا ، وعموما فان المواليد للامهات من ٢٠ ـ ٢٤ سنة تكون من ٣٥ ـ ٤٠٪ من الخصوبة الكلية فى هذه الاقطار،ويميل العمر عند الزواج نحو التبكير فى هذه الاقطار عنها فى شمال وغرب وسط أوربا ، وبالاضافة الى ذلك فان اباحة الاجهاض فى هذه الاقطار أدى الى تخفيض كبير فى خصوبة الاناث الاكبر سنا ، أما النمط العمرى السائد فى شمال وغرب أوربا وبين السكان الاوربيين فيما وراء البحار فيتميز بانه ذو قمة عريضة وينتمى كومنولث الدول المستقلة الى هذه الفئة أيضا ، ويعد متوسط السن عند الزواج فى هذه المجموعة أعلى منه لدى المجموعة الاولى ذات القمة المبـــــكرة ٠

أما نمط القمة المتاخرة فيسود غالبا فى جنوب أوربا (اليونان وايطاليا واسبانيا) دون غيرها من الدول منخفضة الخصوبة الاخرى وفى شمال غرب وسط أوربا تتميز جمهورية ألمانيا وايرلنده وهولنده وسويسرة بهذا النوع ٠ كذلك تتميز به بعض الدول الاسيوية منخفضة الخصوبة وهى اليابان وتايوان ، وقد ساعد تأخير سن الزواج على ظهور هذه القمة المتاخرة حيث أن نسبة الاناث اللائى يتزوجن قبل سن ٢٥ فى هذه الاقطار تعد أقل النسب فى العالم ٠

أما فى الدول ذات الخصوبة العالية فان معظم البيانات تدل على قمة مبكرة مما يدل على ارتفاع الخصوبة فى الاعمار ٢٠ سنة فأكثر ، ويعد الزواج المبكر شائعا فى هذه الدول خاصة الهند التى تعد من أوضح الدول التى تتميز بالزواج المبكر ٠

أما النمط ذو القمة العريضة فيسود فى أمريكا اللاتينية ٠ كذلك بعض

أقطار جنوب شرق آسيا • وفى موريشيوس وبين ملونى جنوب افريقيا فى القارة الافريقية • أما القمة المتأخرة فهى واسعة الانتشار كذلك بين الدول عالية الخصوبة ، وفى بعض الحالات كما فى سرى لانكا وتايوان وسنغافورة وشيلى فان متوسط السن عند الزواج يعلو بكثير عن مثيله فى باقى الدول النامية الاخرى ، ومع ذلك فهناك قمة متأخرة فى بعض الدول بالرغم من انخفاض متوسط السن عند الزواج ، وهذه الحالة تنطبق على مصر فى تعدادى سنة ١٩٦٠ و ١٩٧٦ ومع كل هذا فان نمط الخصوبة العمرى فى الدول النامية يحتاج لدراسة تفصيلية توضح حقيقته وهل هو حقيقى كما تدل عليه البيانات أم انه متاثر بعدم دقتها •

وعلى ذلك فان متوسط السن عند الزواج يعد عاملا هاما فى تحديد النمط العمرى للخصوبة وبصفة عامة فان القمة المبكرة تتفق مع الزواج المبكر بينما تتفق القمة المتأخرة مع الزواج المتاخر ، ومن ناحية أخرى فان الزواج المبكر يسود بدرجة أكبر فى الدول النامية ذات الخصوبة العالية عنه فى الدول المتقدمة ذات الخصوبة المنخفضة •

٥ ـ معدل التكاثر الاجمالى Gross Reproduction Rate :

لما كانت الخصوبة الكلية المحسوبة من الخصوبة العمرية النوعية الخاصة تمثل عدد الاطفال الذى تنجبه الانثى التى تمر بفترة الحمل ، فان هذا العدد يشمل المواليد الذكور والاناث ، وحيث أن دراسة الخصوبة تتركز حول الاناث باعتبارهن الموطن الحقيقى للخصوبة فقد اتجهت الدراسات الديموغرافية الى محاولة تقدير عدد أمهات المستقبل عن طريق دراسة المواليد الاناث وذلك بغية التعرف على عدد ما تنجبه الانثى التى تجتاز فترة الحمل من اناث تمثل كل واحدة منهن حلقة فى سلسلة البقاء للجنس البشرى •

والمقياس المستخدم فى ذلك الغرض هو معدل التكاثر الاجمالى ، وهو تطوير بسيط لمعدل الخصوبة الكلية ، والتمييز الوحيد بينهما هو أن معدل التكاثر الاجمالى يخص المواليد الاناث بدلا من جملة المواليد،ويمكن حسابه بسهولة للاناث حسب فئات أعمارهن وبنفس طريقة معدل الخصوبة الكلى اذا كانت البيانات تعطى للمواليد الاناث منفصلة عن الذكور حسب عمر الأم،واذا لم تتوفر مثل هذه البيانات فمن المعتاد أن نبدأ أولا بحساب معدل الخصوبة الكلية باستخدام جملة المواليد من النوعين ثم نضرب هذا

المعدل الناتج فى نسبة النوع عند المولد (وهى نسبة الذكور الى الاناث والتى تساوى غالبا ١٠٥ ـ أى أن كل ١٠٥ من المواليد الذكور يقابلهم ١٠٠ من المواليد الاناث) .

ويعبر معدل التكاثر الاجمالى عن عدد الاناث للمرأة الواحدة أى عدد الاناث اللاتى تلدهن المرأة الواحدة فى المدى العمرى ١٥ ـ ٤٩ سنة وذلك بافتراض بقاء هذا العدد المولود من الاناث على قيد الحياة طوال مدة الانجاب التى تتراوح بين ٣٠ ـ ٣٥ سنة ، وكذلك بفرض بقاء معدل الخصوبة العمرية الخاصة ثابتا كما هو عليه فى سنة الاساس .

مثال : معدل التكاثر الاجمالى فى مصر سنة ١٩٧٦ =

∵ معدل الخصوبة الكلية = ٥ر٧ ونسبة النوع فى مصر سنة ١٩٧٦ = ١٠٤

أى ١٠٤ مولود من الذكور مقابل كل ١٠٠ مولود من الاناث .

$$\therefore \text{معدل التكاثر الاجمالى} = \frac{٥ر٧}{١٠٤ + ١٠٠} = \frac{٥ر٧}{٢ر٠٤} = ٢ر٨$$

أى أن الانثى التى تجتاز فترة الحمل فى مصر تنجب حوالى ثلاث اناث يمكن أن يواصلن الانجاب فى المجتمع من بعدها ، وهو معدل مرتفع اذا ما قورن بالبلاد المتقدمة مثلا الولايات المتحدة التى يصل فيها الى ٨ر١ أو اليابان ويصل الى ٠ر١ فقط .

ولكن هذا القول يكون صحيحا اذا استطاعت كل أنثى من اللاتى سيخلفن أمهاتهن أن تجتاز فترة الحمل كلها دون أن يحدث لها وفاة ، ولكن ذلك لا يحدث فى الواقع لان عامل الوفاة له أثر واضح فى تقليل أعدادهن بتقدمهن فى السن أثناء هذه الفترة ، لذلك فان هناك مقياسا آخر لتقدير عدد الامهات فى المستقبل يأخذ فى الاعتبار عامل الوفاة ويعرف هذا المقياس بمعدل التكاثر الصافى Net Reproduction Rate وهو يحسب بطريقة خاصة تعتمد على استخدام مايعرف بجدول الحياة Life Table ، الذى يوضح كم من جيل الاناث البالغ عدده ١٠٠٠٠٠ أنثى عند المولد سيتبقى عند كل فئة عمرية من فئات الانجاب بتأثير عامل الوفاة ، وقد بلغ معدل التكاثر الصافى فى مصر ٣ر٢ مقابل ٥ر١ فى الولايات المتحدة الامريكية .

٦ ـ نسبة الاطفال الى النساء فى سن الحمل Child - Woman Ratio :

وهو مقياس شائع الاستخدام ويعتمد على بيانات التعداد السكانى حيث

نحصل عليه بقسمة عدد الاطفال الذين يقل عمرهم عن ٥ سنوات على عدد النساء فى سن الانجاب وهو يستخدم فى حالة عدم وجود احصاءات حيوية كاملة يمكن منها اشتقاق المعدلات السابقة،ويرتبط هذا المقياس بالتعداد السكانى كما سبق ولذلك فان الدقة فى بيانات التعداد تؤثر تاثيرا كبيرا على دقة هذا المقياس ، وان كان أبرز عيوبه هو أن البسط ـ أى عدد الاطفال دون الخامسة ـ يمثل الباقى على قيد الحياة من جملة الذين تم انجابهم خلال الخمس سنوات السابقة على التعداد ، وعلى ذلك فان النسبة بينهم وبين النساء فى سن الحمل لن تنتج مقياسا دقيقا وتكون دلالتها فى الغالب غير مباشرة وتستخدم فى مقارنة مستويات الخصوبة بصفة عامة فى مختلف الاقاليم على مستوى الاقليم أو القطر أو بين بعض الاقطار .

التوزيع الجغرافى للخصوبة فى العـــالم

يختلف توزيع الخصوبة بين دول العـالم اختلافا كبيرا حيث يتراوح معدل المواليد بين ١٠ ـ ٥٥ فى الالف ، وتتركز المعدلات المرتفعة للخصوبة فى الدول النامية بصفة عامة مثل دول أمريكا اللاتينية باستثناء الارجنتين وارجـواى وفى الدول الافريقية وكذلك فى قـارة آسيا باستثناء اليـابان وتايوان ، ومن سوء الحظ فان الدول ذات الخصوبة العالية تعـانى من نقص البيانات الاحصائية الحيوية ومن ثم فان اجراء تقدير لمعدل المواليد يكون أمرا ضروريا وكثيرا ماتعطى البيانات المنشورة مستوى عال للخصوبة قد يشك فى أمره أحيانا ، فيزيد المعدل على ٥٠ فى الالف فى غينيا والنيجر وساحل العـاج وبعض الدول الافريقية الاخـرى وكـذلك فى دول أمريكا اللاتينيةالتى نتج عن ارتفاع الخصوبة بها وتدفقالمهاجرين اليها وانخفاض معدل الوفيات ارتفاع كبير فى معدل الزيادة الكلية ، ففى سنة ١٩٢٠ كان سكان أمريكا اللاتينية ٩١ مليون نسمة قفز عددهم الى ٤٥١ مليون نسمة فى سنة ١٩٩١ أى تضاعف عددهم خمس مرات فى سبعين سنة .

ولعل أكثر العوامل أثرا فى زيادة السكان فى العالم على الاطلاق هـو ذلك الارتفاع الكبير فى مستويات الخصوبة فى الدول النامية التى يكـون سكانها ثلثى سكان العالم ويصل معدل المواليد فى معظمها الى ٤٠ فى الالف بل ويزيد على ذلك فى بعض دولها،ويبدو الاختلاف واضحا فى هذا المجال بين الدول المتقدمة والدول النامية أكثر من وضوحه فى مستوى الوفيـات حيث تتميز الخصوبة فى الدول المتقدمة بالانخفاض وتصل الى حوالى٢٠فى الالف ـ وتقل عن ذلك فى معظم دول هذه المجموعة .

ويوضح الجـدول رقم (٢) مقارنة بين مناطق العـالم الرئيسية فى مستوى الخصوبة فى سنتى ١٩٦٠ ، ١٩٩١ ، ويبـدو من أرقامه أن هناك مناطق كبـيرة فى العـالم تتميز بارتفاع الخصـوبة ، وقد كان لانخفاض الوفيات الذى شهدته معظم دول العالم النامى أثره الواضح فى الخصوبة ذلك لان هذا الانخفاض أدى الى تزايد أعداد الاناث واطالة أعمار من فى سن الانجاب منهن ، ويعد ارتفاع معدلات الخصوبة وانخفاض معـدلات الوفـــاة فى الدول النامية فى الوقت الحـــاضر من الاسباب الرئيسية بل الجوهرية التى أدت الى تزايد معدل النمو السكانى بها وذلك لان الزيادة الطبيعية ـ وهى الفـــرق بين المواليد والوفيات ـ يزيد حجمها ويرتفع معدلها كلما تزايد هذا الفرق بين معدل المواليد والوفيات ٠

جـدول رقم (٢)

معدل المواليد الخام فى أقاليم العالم فى السنوات ١٩٦٠، ١٩٧٦، ١٩٩١(١)

(المعدل فى الالف)

الاقـليم	١٩٦٠	١٩٧٦	١٩٩١
١ ـ العالم النامى :	٤٢	٣٩	٣١
أفريقيـــا	٤٨	٤٨	٤٤
آسيا (بدون اليابان)	٤١	٣٧	٢٧
أمريكا اللاتينيـة	٤١	٣٧	٢٨
٢ ـ العالم المتقـدم :	٢٢	١٦	١٥
أوربـــــا	١٩	١٦	١٣
أمريكا الشمالية	٢٤	١٥	١٦
الاوقيانوســـية	٢٤	٢٢	١٩
كومنولث الدول المستقلة	٢٥	١٨	١٨
اليـــــابان	١٧	١٦	١٠
جمـــــلة العـالم	٣٦	٣٣	٢٧

(1) U. N., Population Bull. No. 7. 1963, p. 1.

— U. S. Department of Commerce, Op. Cit., p. 14.

— INED., Population of Socièlés, 1991.

وبالرغم من أن هناك قلة من الدول النامية قد شهدت انخفاضا طفيفا فى معدل المواليد بها ، الا أن ذلك ليس بالوضوح الكامل الذى يمكن ادراكه بالنسبة لكثير من الدول المتقدمة حيث هبط معدل المواليد بها هبوطا ملموسا فى العقود الزمنية القليلة الماضية ، ولعل فى اليابان مثل واضح على ذلك حيث هبط معدل المواليد من ٣٤ فى الالف فى سنة ١٩٤٧ الى ١٧ فى الالف فقط فى سنة ١٩٦٢ وذلك من خلال سياسة حازمة للحد من تزايد المواليد عن طريق تنظيم الانجاب بمختلف الوسائل ٠

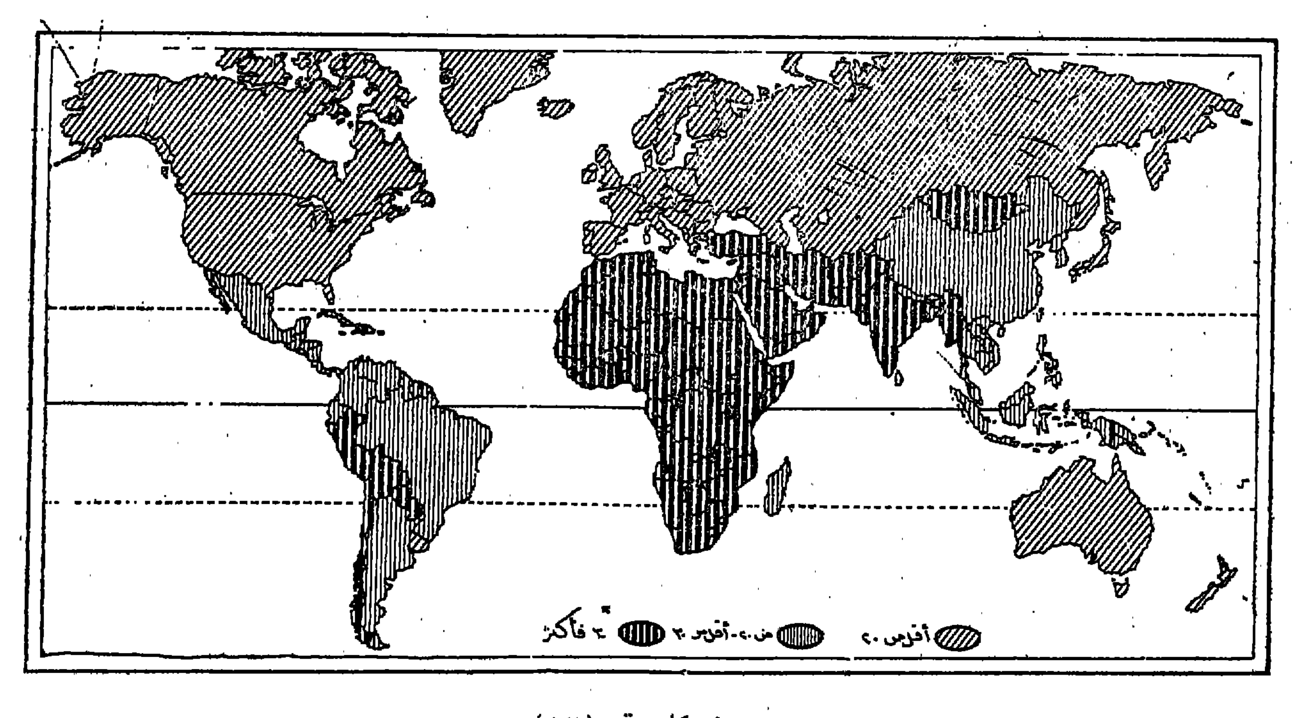
وعلى ذلك فان توزيع الخصوبة فى العالم يمكن أن ينقسم الى نمطين كبيرين أحدهما نمط الخصوبة المرتفعة فى الدول النامية فى قارات افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ـ والاخر نمط الخصوبة المنخفضة ممثلا فى الدول المتقدمة فى أوربا وأمريكا الشمالية والاقيانوسية وذلك بالاضافة الى كومنولث الدول المستقلة (الكومنولث الجديد) واليابان (شكل رقم ١٢)٠

أولا ـ الخصوبة فى الدول النامية :

١ ـ فى الدول الافريقية :

بالرغم من أن افريقيا مازالت ضمن مناطق العالم التى لاتتوفر عنها بيانات ديموغرافية كاملة ـ الا أنه يمكن رسم صورة تقريبية لمستويات الخصوبة فى معظم دولها بفضل التعدادات السكانية المتوفرة لدى بعض دولها أو بفضل العينات التى تمت للسكان فى البعض الاخر ، وتبدو هذه الصورة فى توزيع معدل المواليد فى دول القارة حسب أحدث بيانات متاحة عنها ويوضح ذلك الجدول رقم (٣) ، وأبرز نتائج هذا الجدول الارتفاع الواضح فى مستويات الخصوبة بالقارة من ناحية وتباين مستوى الخصوبة بين دولها من ناحية أخرى ٠

وفى سنة ١٩٦٠ كان بالقارة ثلاثة أقطار فقط ذات تسجيل حيوى مكتمل لكل سكانها وهى موريشيوس وريونيون وتونس ، وتعد جمهورية جنوب افريقيا ضمن الدول التى تتميز باكتمال بياناتها بالنسبة للبيض والملونين والاسيويين فقط فيما عدا البانتو الذين يكونون غالبية السكان، وعلى العموم فان هناك بيانات متوفرة سواء كانت مكتملة أو غير مكتملة عن ٣٧ دولة افريقية تكون ٨٥٪ من جملة سكان القارة ، أما الدول التى تعانى نقصا كبيرا فى بياناتها بطريقة لاتساعد على تقدير مستوى الخصوبة بها فهى اثيوبيا والصومال وملاوى وغينيا الاستوائية وبتسوانا وناميبيا وسوازيلاند ٠



شــكل رقم (١٢)
نسبة الخصوبة فى العالم ١٩٩١ (معدل المواليد فى الالف)

ومن الملاحظ على التقديرات الحيوية المشتقة من التعداد أو المسح بالعينة فى الاقطار الافريقية انها لاتخلو من أخطاء ولذا فان الاعتماد عليها غير مؤكد تماما ، ومرجع ذلك الى طبيعة البيانات الاصلية التى تحمل فى ثناياها أخطاء التسجيل الحيوى أو التعدادات . ففى حالة المسح بالعينة الذى يتم فى بعض الاقطار كما حدث فى الكاميرون والسودان لا تمثل البيانات مستوى الخصوبة فى كل أجزاء الدولة ، كذلك فمن الشائع فى التعدادات الافريقية عدم انتظام التركيب العمرى فى معظم الاقطار بسبب الهجرة الخارجة أو الوافدة ومن ثم فان افريقيا تعد أقل قارات العالم قيمة فى بياناتها التى يعتمد عليها لاستخراج المقاييس الحيوية(1) .

ويعد شمال افريقيا اقليما ديموغرافيا متجانسا الى حد كبير ويبدو ذلك فى مستوى الخصوبة به وان كانت السودان أعلى أقطاره خصوبه حيث يزيد معدل المواليد بها على ٤٥ فى الالف(2) ، وهى تشبه فى ذلك بعض دول غرب القارة التى يعلو المعدل بها على ٤٥ فى الالف كذلك مثل بنين والنيجر ومالى ، بل ان معدل التكاثر الاجمالى فى نيجيريا والذى يتراوح بين ٣ و ٣ر٥ يعد واحدا من أعلى المعدلات فى العالم .

ولا تختلف الصورة كثيرا فى باقى القارة أى فى الشرق والوسط والجنوب ، ذلك لانه بالرغم من عدم توافر بيانات عن بعض دولها الا أن السمة الغالبة هى تزايد مستوى الخصوبة معبرا عنه بارتفاع معدل المواليد وان كانت هناك بعض الدول التى ينخفض فيها هذا المعدل بشكل ملحوظ مثل موريشيوس (٢٠ فى الالف) والجابون (٣٩ فى الالف) .

وتبدو صورة الخصوبة فى التباين الاقليمى لها على رقعة افريقيا المدارية ، فيوجد نطاق من الخصوبة العالية فى شرق القارة عبر رواندا وبورندى وأجزاء من تنزانيا وعبر الولايات الجنوبية والشرقية لزائير حتى زامبيا وجنوب روديسيا والولاية الجنوبية فى موزمبيق وتصل الخصوبة الكلية فى هذا الشريط الطولى الى ٥ر٦ أو أكثر ، ويقابل ذلك نطاق من الخصوبة المنخفضة نسبيا على امتداد الساحل الشرقى لافريقيا من الولاية الساحلية فى كينيا حتى الجزء الشمالى من موزمبيق ، أما أقل

(1) U. N. Population Bulletin, No. 7., Op. Cit., p, 15

(2) Abou-Aianah, F. et al. "Geographic Variations of Fertility Rates in Arab countries" Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University - Vol. XXV - 1971, p. 111.

المناطق خصوبة فى أفريقيا المدارية فهو ذلك الاقليم الممتد من الساحل الغربى للجابون عبر الولايات الشمالية الوسطى والشمالية الغربية من

جدول رقم (٣)

معدل المواليد الخام فى الدول الافريقية سنة ١٩٧٦[1] و ١٩٩١

(فى الالف)

الدولة	١٩٧٦	١٩٩١
شمال افريقيا		
المغرب	٤٨	٣٤
الجزائر	٥٠	٣٥
تونس	٣٧	٢٩
ليبيا	٤٨	٣٧
مصر	٣٩	٣٨
السودان	٤٩	٤٤
غرب افريقيا		
بنين	٥٢	٤٩
غامبيا	٤٩	٤٧
غانا	٤٨	٤٤
غينيا	٥٠	٤٧
كوت ديفوار	٤٨	٥٠
ليبيريا	٥٠	٤٧
مالى	٥٢	٥١
موريتانيا	٤٥	٤٦
النيجر	٥٥	٥١
نيجيريا	٥٠	٤٤
السنغال	٤٦	٤٦
سيراليون	٤٤	٤٨
توجو	٥٠	٥٠
بوركينافاسو	٤٩	٥٠
شرق أفريقيا		
بورندى	٤٦	٤٧
كينيا	٥٠	٤٦
مدغشقر	٤٨	٤٥
موريشيوس	٢٦	٢٠
موزامبيق	٤٥	٤٥
رواندا	٥٠	٥١
زيمبابوى	٤٨	٤١
تنزانيا	٤٨	٥٠
أوغندا	٤٨	٥٢
زامبيا	٤٩	٥١
وسط أفريقيا		
أنغولا	٤٧	٤٧
الكاميرون	٤٢	٤٢
أفريقيا الوسطى	٤٦	٤٤
تشاد	٤٨	٤٤
زائير	٤٥	٤٦
الكونغو	٤٥	٤٣
الغابون	٤٥	٣٩
جنوب أفريقيا		
ليسوتو	٤٠	٤١
جنوب افريقيا	٤٠	٣٥

(1) U. S. Department of Commerce, Op. Cit., pp. 28-136.
INED., Population of Sociètés, 1991.

زائير حتى الاقليم الجنوبى الغربى للسودان ، وتمتد هذه الحافة من الخصوبة المرتفعة حتى الساحل الغربى لافريقيا عبر الولايات الجنوبية لزائير والولايات الشمالية من أنجولا ، كذلك يوجد قطاع آخر ذو خصوبة عالية غير عادية على امتداد الساحل فى غرب أفريقيا ممتدا من النطاق الساحلى النيجيرى حتى كوت ديفوار مع تفرعه شمالا عبر الجزء الغربى من نيجيريا وفى أجزاء من النيجر وفولتا العليا(١) .

وليس من السهل تحديد العوامل المؤثرة فى التباين الاقليمى للخصوبة على مستوى القارة وذلك لنقص الدراسات بها عن أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى ذلك، ولكن المؤكد أن مستويات الخصوبة ترتبط بالمستويات الاقتصادية والاجتماعية ، ومنها مثلا الفروق فى نسبة الاناث المتزوجات فى الفئة العمرية (١٥ ــ ١٩) والتى توضح مدى التبكير فى الزواج فى بعض الدول الافريقية ونسبة الامية خاصة بين الاناث فى سن الانجاب .

ويسود فى معظم افريقيا نظام تعدد الزوجات Polygamy ، وهناك آراء ترى فى هذا النظام عاملا من عوامل انخفاض الخصوبة وذلك مرجعه انخفاض متوسط المعاشرة الزوجية للزوجات اللائى يضمهن هذا النظام أكثر من الزوج الاحادى للمرأة ، ومن البديهى أن الميل نحو تخفيض الخصوبة يكون كبيرا اذا قلت عدد مرات المعاشرة لكل الزوجات ومن ثم يصبح احتمال الحمل والانجاب لديهن قليلا ، وقد أظهرت بعض الدراسات فى بعض مناطق افريقيا وغيرها انخفاض منحنى الخصوبة العمرية النوعية للاناث اللائى يضمهن نظام تعدد الزوجات أكثر من اللائى يضمهن نظام الزوجة الواحدة Monogamy (٢) وان كانت هناك دراسات أخرى لم تظهر مثل هذا الفرق الجوهرى بين النظامين ، وعلى كل حال فان البيانات عن نظام تعدد الزوجات فى أفريقيا غير متاحة لكثير من أقطارها بطريقة تجعل الوصول الى علاقة دقيقة بينه وبين الخصوبة أمرا صعبا .

وتتميز بعض مناطق القارة الافريقية بهجرة مغادرة يكون لها تأثير واضح على خصوبة السكان المهاجرين وذلك لانتقال الذكور المتزوجين الى حيث أماكن عملهم تاركين زوجاتهم فى مواطنهم الاصلية وخاصة فى بعض

---

(1) Coale A. J. Estimates of Fertility and mortality in Tropical Africa, in : The Population of Tropical Africa, edited by Caldwell J. C. and Dkonjo C., London, 1968, pp. 185-186.

(2) U. N. Pop. Bull Op. Cit., p. 22,

الاقطار التى تتعرض لهجرة مغادرة على نطاق واسع مثل بتسوانا التى تصل هجرة القوى العاملة بها نسبة كبيرة (على سبيل المثال فى سنة ١٩٥٦ كان نصف عدد الذكور فى سن الانتاج خارج البلاد) وربما كان ذلك سببا وراء انخفاض نسبة الخصوبة بها اذا قورنت بمعظم الاقطار الافريقية(١).

وهناك كثير من الكتابات الانثروبولوجية تؤكد معرفة وسائل منع الحمل والاجهاض بين الجماعات القبلية والعرقية فى أفريقيا،كذلك فهناك بعض القبائل التى تهتم بتوسيع الفترة الزمنية بين المواليد حيث تحتم التقاليد بأن لا يعاشر الزوج زوجته عقب الانجاب حتى يقوى الطفل المولود ويقدر على المشى،أو بعد بلوغه سن الفطام (انقطاعه عن الرضاعة) ويكون ذلك ممكنا وشائعا حيث تتعدد الزوجات ، كذلك فمن الشائع اطالة فترة الرضاعة فى كثير من أجزاء أفريقيا . وذلك بسبب النقص فى الغذاء المتوفر للاطفال الرضع ويترتب على ذلك بطبيعة الحال اطالة الفترة بين مرات الحمل والانجاب وبالتالى تقل الخصوبة ، على أن هذه المحددات للانجاب تقل عند بعض الشعوب الافريقية كما فى بانتو الحضر فى جنوب أفريقيا ، والاشانتى فى شمال غانا حيث ترتفع معدلات الخصوبة بينها لقلة القيود المؤثرة فى الخصوبة .

تطور الخصوبة :

يعترض دراسة تطور الخصوبة فى دول أفريقيا نفس مايعترض دراسة مستواها من مشكلات أبرزها النقص الكبير فى البيانات المتاحة من ناحية، وعدم دقة أو اكتمال البيانات المتوفرة عنها من ناحية أخرى،ومن الغريب أن دولة موريشيوس الجزرية الصغيرة تعد الدولة الافريقية الوحيدة - واحدى الدول النامية القلائل التى يتوفر لديها تسجيل حيوى مكتمل للمواليد ، وفى تونس لم يبدأ التسجيل الحيوى الا حديثا ، وفى مصر فان دراسة تطور الخصوبة يمكن أن يعتمد على مقارنة بعض المقاييس المشتقة من الاحصاءات الحيوية ومن التعدادات المتعاقبة بها وخاصة مقارنة التركيب العمرى للسكان ، أما بالنسبة لبقية الدول الافريقية فان دراسة تطور الخصوبة يعد أمرا صعبا وان لم يكن مستحيلا .

ولا توضح مقارنة المعدلات الحيوية فى كل من الجزائر وتونس ومصر تغيرا كبيرا فى مستوى الخصوبة بها خلال العقود القليلة الاخيرة وذلك

(1) Ibid., p. 22.

بالرغم من التغير الاجتماعى والاقتصادى وانتشار المؤثرات الحضارية الاوروبية المشجعة على تنظيم النسل خاصة فى مدن شمال أفريقيا ، الا أن وسائل هذا التنظيم غير مستعملة على نطاق كبير سوى لدى الطبقة الاكثر تعليما من سكان المدن ، أما فى الريف فمازالت الافكار التقليدية وأنماط السلوك الخصوبى مؤثرة فى ارتفاع الخصوبة مثل نظرة الريفيين الى الكثرة العددية ودور الصغار فى النشاط الزراعى ومساعدة ذويهم ٠

ومع ذلك فهناك علامات تدل على تغير فى الافكار السائدة فى بعض دول شمال افريقيا وأثرها فى الخصوبة منها التشريعات الاجتماعية المباشرة لرفع مكانة المرأة من خلال تنظيم الطلاق وتقييد تعدد الزوجات وتحديد سن أدنى للزواج كما هى الحال فى تونس التى لوحظ أن بها تغيرا ملحوظا فى الافكار التقليدية المؤثرة فى الخصوبة والاتجاه نحو الاسر قليلة الحجم، كما أن هناك ادراكا لمدى خطورة التزايد السكانى والاعباء الاقتصادية التى يلقيها على عاتق حكومات القارة ، ولذا فقد بدأت الحكومتان التونسية والمصرية فى تبنى سياسة تنظيم الاسرة لتخفيض معدل المواليد بها حيث أباحت الحكومة التونسية استخدام وسائل تنظيم النسل منذ يناير ١٩٦١ وساعدت وسائل الاعلام بها على انتشار استخدامها ، أما فى مصر فانه بالرغم من ارتفاع أصوات كثيرة منذ سنة ١٩٥٣ بخطورة مشكلة السكان فلم تبدأ السياسة الرسمية لتنظيم النسل الا فى يناير سنة ١٩٦٥ بتعميم مراكز تنظيم الاسرة ونشر الافكار والمبادىء التى تدعو لذلك ، وقد نجحت مصر فى ذلك الى حد ما وان كان معدل المواليد لم يهبط هبوطا كبيرا كما كان مأمولا (من ٤٢ فى الالف سنة ١٩٦٥ الى ٣٨ فى الالف سنة ١٩٩١) ٠

فى الدول الاسيوية :

يتباين مستوى الخصوبة فى الاقطار الاسيوية تباينا أكبر من مثيله فى الدول الافريقية ، حيث يصل معدل المواليد فى أندونيسيا مثلا الى ٤٨ فى الالف وهو بذلك أعلى المعدلات فى القارة بينما يصل هذا المعدل الى ١٦ فقط فى اليابان ، وتعد قارة آسيا بصفة عامة ذات مستوى مرتفع من الخصوبة حيث يتجاوز معدل المواليد ٤٠ فى الالف فى ١١ دولة من دولها الثلاث والعشرين الرئيسية ويبين ذلك الجدول رقم (٤) ٠

وينبغى الاشارة هنا الى ذلك النقص الكبير فى بيانات السكان فى آسيا وخاصة عن الدول الكبرى مثل الصين التى بلغ سكانها ١١٥١ مليون نسمة

فى سنة ١٩٩١ بنسبة وصلت الى قرابة ٣٦٪ من جملة سكان آسيا باستثناء الكومنولث الجديد وكذلك مثل باكستان وأندونيسيا وبنجلاديش التى يعد معدل المواليد المقدر بها متأثرا بأخطاء التعداد وخاصة ما يرتبط منها بالتركيب العمرى ، كذلك فان قلة البيانات عن الدول العربية فى جنوب غرب آسيا يعد عائقا فى سبيل تحديد مستوى الخصوبة بدقة بها ذلك لان السجلات الحيوية تعد ناقصة فى كل دول هذه المنطقة باستثناء الاردن والكويت ، ويتوفر فى بعض الدول العربية الاسيوية عدة تعدادات مثل الكويت التى بدأت سلسلة التعدادات منذ سنة ١٩٥٧ والتى يتوفر بها نظام دقيق للتسجيل الحيوى ، كما أن بعضها الاخر لم يأخذ تعدادات سكانية بعد مثل سلطنة عمان ، وبالرغم من ذلك فان قيمة البيانات الاسيوية لاستخراج معدلات للخصوبة فى آسيا تفوق مثيلتها فى أفريقيا حيث يتميز عدد ليس بالقليل من الدول بالتسجيل الحيوى الكامل مثل تايوان وقبرص وماليزيا وهونج كونج وفلسطين المحتلة واليابان وسنغافورة وسريلانكا والكويت .

والملاحظ على توزيع الخصوبة فى آسيا أن هناك منطقتين تتميزان بارتفاع الخصوبة ، الاولى فى جنوب القارة وتضم العراق والاردن وسوريا وباكستان وايران ويزيد المعدل بها عن ٤٠ فى الالف ، والمنطقة الثانية من جنوب شرق آسيا حيث يزيد المعدل أيضا على ٤٠ فى الالف وتضم الفلبين وكمبوديا ويقابل هذه المناطق أقاليم أخرى تتميز بخصوبة منخفضة أبرز أمثلتها اليابان فى الشرق(١) وقبرص وفلسطين المحتلة فى الغرب ويصل معدل المواليد فى اليابان الى ١٠ فى الالف بينما فى قبرص وفلسطين المحتلة يتراوح بين ١٨ ـ ٢٢ فى الالف ، ويمكن القول بأن هذه الدول الثلاث قد وصلت فى مستوى خصوبتها الى مستوى كثير من الدول الاوربية والولايات المتحدة واستراليا والكومنولث الجديد ، أما باقى دول القارة الاسيوية فيمكن اعتبارها متوسطة الخصوبة نسبيا حيث يتراوح معدل المواليد بها من ٢٥ ـ ٣٥ فى الالف وان كانت هناك دول آسيوية انخفض معدلها بصورة واضحة مثل سرى لانكا وتايوان .

ويرتبط الانخفاض فى الخصوبة عند سكان اليابان وفلسطين المحتلة وقبرص بتقدم حضارى لسكانها يفوق كثيرا مثيله فى بقية دول القارة ،

---

(١) لاتدخل اليابان فى عداد الدول النامية ـ ونظرا لموقعها فى القارة الاسيوية فقد شملها الحديث المقارن .

ويبدو ذلك من مقارنة بعض المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية مثل درجة التعليم ومستوى التحضر العمرانى ونسبة العاملين فى الحرف غير الزراعية ثم نصيب الفرد من الدخل القومى •

جدول رقم (٤)
تطور معدل المواليد فى آسيا
بين سنتى ١٩٧٦ و ١٩٩١(١)

القطر	١٩٧٦	١٩٩١
جنوب غرب آسيا		
قبرص	٢٠	١٨
العراق	٤٨	٤١
فلسطين المحتلة	٢٨	٢٢
الاردن	٤٧	٤٦
الكويت	٤٣	٣٢
سوريا	٤٧	٤٣
تركيا	٣٧	٣٠
اليمن	٤٨	٥١
وسط جنوب آسيا		
سرى لانكا	٢٧	٢١
الهند	٣٧	٣١
ايران	٤٢	٤١
بنغلاديش	٤٨	٣٧
باكستان	٤٥	٤٣
جنوب شرقى آسيا		
بورما	٣٩	٣٢
كمبوديا	٤٨	٣٨
أندونيسيا	٤٨	٢٥
لاوس	٤٤	٣٧
ماليزيا	٣١	٢٩
الفلبين	٣٥	٣٣
سنغافورة	١٩	١٨
تايلاند	٣٤	٢٠
شرق آسيا		
الصين	٣٢	٢١
تايوان	٢٦	١٦
هونغ كونغ	١٨	١٢
اليابان	١٦	١٠
كوريا الشمالية	٤٣	٢٤
كوريا الجنوبية	٢٦	١٥
منغوليا	٣٧	٣٦

ومع أن هناك فوارق واضحة بين الدول فى المستوى الحضارى الا أنه يمكن القول بأنه من الصعب تحديد العوامل المسئولة عن الاختلاف فى

---

(١) المصدر :

U. S. Department of Commerce, Op. Cit., pp. 142-226.

INED., Tous les Pays du Monde (1991) Numéro, 259, Août, 1991.

مستويات الخصوبة بينها فاذا كانت الفوارق الاقتصادية والاجتماعية مثلا ذات دور فى هذه الاختلافات فان أثرها ليس واحدا فى كل الدول فعلى سبيل المثال فان المستوى المعتدل للخصوبة حاليا فى هونج كونج يمكن أن يعزى جزئيا الى الحقيقة القائلة بأن سكانها حضريون Urban تماما وأن اقتصادها يقوم على أساس تجارى وصناعى وليس زراعى ـ ومن ثم فان نصيب الفرد من الدخل القومى يكون مرتفعا عن مثيله فى كثير من الاقطار الاسيوية ولكن سنغافورة ذات الاقتصاد المماثل تقريبا والتى يكون نصيب الفرد فيها أعلى من مثيله فى هونج كونج تتميز بخصوبة أعلى .

وقد يكون لتباين الكثافة السكانية أثر فى مستويات الخصوبة بقارة آسيا ، فمن الملاحظ أن الكثافة السكانية العالية ربما تكون مسئولة جزئيا عن انخفاض مستوى الخصوبة باليابان ذلك لان هذه الكثافة غالبا ماتكون مرتبطة بضغط سكانى كبير على الموارد ، وعلى العموم فان هذا القول يكون أصدق بالنسبة للدول المتقدمة واليابان منها ـ عنه فى الدول النامية التى لا ترتبط الكثافة السكانية العالية بها بانخفاض الخصوبة .

تطور الخصوبة فى آسيا :

من الملاحظ أن مستوى الخصوبة فى الدول الاسيوية الثلاث : اليابان شرقا وقبرص وفلسطين المحتلة غربا كان منذ عدة عقود مضت أعلى مما هو عليه الان ، ففى قبرص قبل الحرب العالمية الاولى كان معدل المواليد الخام حوالى ٣٨ فى الالف وانخفض بعد ذلك تدريجيا حتى الخمسينات والتى تعد فترة تميزت بتزايد فى المستوى الاقتصادى والاجتماعى بما فى ذلك النمو الحضرى وارتفاع مستوى المعيشة والتعليم ، وقد ثبت معدل المواليد منذ سنة ١٩٥٢ عند حوالى ٢٧ فى الالف (جدول رقم ٥) وعلى العموم فان مستوى الخصوبة القبرصى يشبه مثيله فى جنوب أوربا خلال النصف الاول من هذا القرن ، كذلك فان قبرص تبدو أوربية أكثر منها آسيوية فى الخصائص الديموغرافية حيث تسود المؤثرات اليونانية بدرجة كبيرة بالرغم من وجود أقلية تركية بها .

أما فلسطين المحتلة فيتميز اليهود بانخفاض خصوبتهم عن العرب وقد انخفض معدل المواليد لديهم منذ العشرينيات بنسبة الثلث تقريبا ووصل الى ٢٢ فى الالف سنة ١٩٩١ ، وكان هذا النقص راجعا الى التغير فى التركيب العمرى النوعى للسكان الناجم بدوره عن الهجرة الوافدة التى تدفقت على فلسطين ، والملاحظ أن هناك تشابها بين خصوبة الوافدين وخصوبة الدول التى وفدوا منها وخاصة من غرب أوربا .

أما اليابان فهى مثال فريد فىانخفاض الخصوبة الى مستوياتها الحالية فى فترة زمنية قصيرة فى التطور الديموغرافى وخاصة أنها دولة آسيوية ذات حضارة شرقية ، ولقد كانت الخصوبة مرتفعة فى اليابان فى العشرينيات من هذا القرن ثم هبطت فى الثلاثينيات وبدأ الارتفاع بعد ذلك خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ـ حتى أن معدلها فى سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ كان فى مستوى مشابه لمثيله فى العشرينيات تقريبا ، ثم بدأ الهبوط الحاد فى سنة ١٩٥٠ واستمر حتى سنة ١٩٥٧ عندما وصل معدل التكاثر الاجمالى الى واحد صحيح ، وهو يعد واحدا من أقل المعدلات فى العالم ، وقد هبط معلال المواليد بها من ١٦ فى الالف سنة ١٩٧٦ الى ١٠ فى الالف فقط سنة ١٩٩١ ٠

الا أن أبرز مظاهر الهبوط فى الخصوبة الاسيوية هو ماطرأ على معدل المواليد بالصين ٠ فقد اتبعت سياسة حازمة لتقليل الانجاب معتمدة على فكرة الاسرة ذات الطفل الواحد ، ورغم ما واجهته من مشكلات الا أن الصين نجحت فى الهبوط بمعدل المواليد بشكل يدعو للاعجاب فى هذا المجتمع الضخم الذى يمثل نحو خمس سكان العالم ، فقط هبط المعدل من ٣٢ فى الألف سنة ١٩٧٦ الى ٢١ فى الالف سنة ١٩٩١ ٠

جدول رقم (٥)

تطور معدل المواليد الخام فى اليابان وقبرص وفلسطين المحتلة(١)

السنة	اليابان	قبرص	فلسطين المحتلة(٢)
١٩٠٠ ـ ١٩٠٤	٣٢ر٢	٢٩ر٤	—
١٩٠٥ ـ ١٩٠٩	٣٢ر٣	٣٠ر٩	—
١٩١٥ ـ ١٩١٩	٣٢ر٥	٣٠ر٩	—
١٩٢٥ ـ ١٩٢٩	٣٤ر١	٢٧ر٤	٢٤ر٣
١٩٣٥ ـ ١٩٣٩	٢٩ر٣	٣١ر٨	٢٧ر١
١٩٤٥ ـ ١٩٤٩	٣٠ر١	٣١ر٢	٢٩ر٠
١٩٥٥ ـ ١٩٥٩	١٨ر٢	٢٥ر٩	٢٥ر٦
١٩٦٥ ـ ١٩٦٩	١٨ر٠	٢٥ر٣	٢٥ر٢
١٩٨٥ ـ ١٩٨٩	١٢ر٠	٢٠ر٠	٢٣ر٠

(١) المصدر : أ ـ U. N. Pop. Bull. 1963, Op. Cit., p, 49,

ب ـ U. N. Demographic Year Book., 1970.

(٢) ويلاحظ أن المعدل بالنسبة لفلسطين المحتلة هو السكان اليهود فقط ٠

INED., Population et Sociètés, 1987.

وكان هذا الهبوط فى خصوبة اليابانيين راجعا الى عدة عوامل أبرزها اتباع سياسة حازمة لخفض الانجاب ، فقبل وأثناء الحرب العالمية الثانية كانت الحكومة اليابانية تشجع الانجاب حتى سنة ١٩٤٨ عندما اتجهت نحو سياسة عكسية تماما ، فمنذ تلك السنة سنت تشريعات لمناهضة التزايد فى المواليد وأدت الى نتائج ايجابية سريعة ، فقد انشات مراكز تنظيم النسل فى أنحاء البلاد وشنت حملة قومية واسعة للتعريف بطرق ومزايا تنظيم الانجاب وأباحت الاجهاض تحت ظروف خاصة ، وعملت على عدم تشجيع الزواج المبكر حتى أن نسبة الاناث غير المتزوجات فى الفئة ٢٠ ـ ٢٤ سنة ارتفعت من ٥٥٪ فى سنة ١٩٥٠ الى ٦٨٪ فى سنة ١٩٦٠ ٠

وبالاضافة الى هذه السياسة الحكومية لتخفيض معدل المواليد فقد شهدت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية تطورا اقتصاديا واجتماعيا كبيرا أسهم فى تحبيذ فكرة الاسرة صغيرة الحجم وانتشار معرفة واستخدام الوسائل المختلفة لبلوغ هذه الغاية ، وقد تمثل ذلك التغير الاقتصادى والاجتماعى فى ارتفاع نسبة التعليم وزيادة سكان الحضر وزيادة قطاع العمالة غير الزراعية وارتفاع نصيب الفرد من الدخل القومى ، وقد كانت هذه الظروف مشجعة على تقبل وتطبيق أفكار تنظيم الاسرة مما أدى الى انخفاض الخصوبة حتى ولو لم تكن هناك سياسة حكومية تتبنى ذلك ٠

ويمكن أن نضيف الى هذه العوامل المتعددة عادات الشعب اليابانى وحضارته وذلك لان فكرة تحديد عدد الاطفال ليست جديدة فى الفكر اليابانى ، لذلك فقد كانت الخصوبة دائما فى مستويات أقل من الشعوب الاسيوية الاخرى قبل الهبوط الحاد الذى طرأ عليها منذ الخمسينيات من هذا القرن ٠ ولاريب فى أن هذه الافكار غذاها ضغط سكانى كبير على أراضى تلك الدولة الجزرية ذات الموارد الاقتصادية المحلية المحدودة ٠

٣ ـ الخصوبة فى دول أمريكا اللاتينية :

يوضح الجدول رقم (٦) مستوى الخصوبة فى دول أمريكا اللاتينية، وجدير بالذكر أن نصف عدد دول هذه القارة يتميز باكتمال الاحصاءات الحيوية لديه ، ولذا فانه يمكن الاعتماد عليها فى حساب معدل المواليد مباشرة ، وهناك منطقتان رئيسيتان فى أمريكا اللاتينية تتصفان بارتفاع الخصوبة نسبيا بهما احداهما فى أمريكا الوسطى وتشمل جواتيمالا وهندوراس والسلفادور ونيكاراجوا ـ والاخرى فى أمريكا الجنوبية المدارية وتشمل بيرو واكوادور وبوليفيا ٠ ويصل معدل التكاثر الاجمالى فى دول هاتين المنطقتين الى ٢ أو أكثر ٠ وكذلك يلاحظ أن باراجواى من دول

الخصوبة العالية مثل الاقطار المدارية الاخرى فى القارة ، وبالرغم من أنها تقع جغرافيا ضمن النطاق المعتدل ، وهى تتشابه مع تلك الاقطـار فى المستوى الاقتصادى والاجتماعى ، كذلك فمن الملاحظ أن دولتين فقط من دول نطـاق الخصـوبة المرتفع نسبيـا فى أمريكا اللاتينية وهى المكسيك والبرازيل يضمان قرابة نصف سكان القارة ويزيد معدل المواليد الخام فى تلك الدول على ٢٥ فى الالف .

وتأتى الارجنتين وأرجواى على طرف النقيض حيث يعدان منطقـة الخصوبة المنخفضة فى أمريكا الجنوبية وقد وصل معدل التكاثر الاجمـالى فى الارجنتين الى واحد صحيح وهى تشبه كثيرا من الدول الاوربية فى ذلك كذلك فان نمط الخصوبة الارجنتينى يعد مشابها لمثيله فى اسبانيا حيث يؤدى الزواج المتأخر الى خفض معدل المواليد ، أما فى أرجواى فالمستوى أقل وضوحا وذلك لانه حتى أكتوبر سنة ١٩٦٣ لم يؤخذ بها تعـداد منـذ عشرات السنين ولكن التسجيل الحيوى مع تقديرات السكان المتوفرة يدل على مستوى منخفض للخصوبة لا يختلف عن مثيله فى الارجنتين حيث لم يزد معدل المواليد بكل منهما على ٢١ فى الالف .

ويرتبط انخفاض الخصوبة فى الارجنتين وأرجواى بارتفـاع المستوى الاقتصادى والاجتماعى لدرجة يصل معها الى مستوى بعض دول جنوب أوربا وتأتيان بذلك فى مقدمة دول أمريكا اللاتينية. ، فعلى سبيل المثـال تعد نسبة المتعلمات ودرجة العمران الحضرى ونسبة العاملين فى مهن غير زراعية ــ أعلى فى الارجنتين عنها فى باقى دول القارة ولاتختلف أرجواى كثـيرا عن ذلك .

وتعـد شـيلى وكوبا وبورتوريكو من الدول ذات الخصـوبة المنخفضة حيث يتراوح معدل المواليد بها بين ١٨ ــ ٢٣ من الالف ، وهى تتفوق فى متوسط المؤشرات المرتبطة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية،ومن الواضح أن ماحققته هذه الدول فى الماضى من تعليم وزيادة فى سكان المـدن ومن تصنيع وزيادة فى متوسـط الدخـل القـومى أدى الى تخفيض مسـتوى الخصوبة لتصل الى ماهى عليه فى الوقت الحاضر ،كذلك فان من المؤثرات الثقافية الهامة فى بورتوريكو استمرار الهجرة الى الولايات المتحدة والوفود منها مما أدى الى سيادة مفهوم الاسرة الصغيرة وانتشار وسـائل تنظيم الانجـــاب .

أما بالنسبة لباقى دول القارة فليست هناك علاقة قوية بين مسـتويات

الخصوبة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بها ، ولكن يبدو أن هناك علاقة عكسية بين الخصوبة وكثافة السكان فى الدول التى يصل فيها معدل التكاثر الاجمالى الى ٢ر٥ فاكثر .

جـدول رقم (٦)

معدل المواليد الخام فى دول أمريكا اللاتينية سنة ١٩٧٦ وسنة ١٩٩١(١)

الدولة	١٩٧٦	١٩٩١	الدولة	١٩٩١	١٩٧٦
أمريكا الوسطى			ترنداد وتوباجـو	٢٨	٢٣
كوستاريكا	٢٩	٢٨	**أمريكا الجنـوبية**		
السلفادور	٤٢	٣٥	بوليفيـــا	٤٦	٣٨
غواتيمالا	٤٠	٣٨	البرازيـــل	٣٩	٢٧
هندوراس	٤٦	٣٩	كولومبيـــا	٣٤	٢٦
المكســـيك	٤١	٢٩	اكـــوادور	٤٢	٣١
نيكاراجوا	٤٦	٤٢	جـــويانا	٢٦	٢٥
بنمـــا	٣٣	٢٦	بــــيرو	٤١	٣١
كـــوبا	٢٠	١٨	فـــنزويلا	٣٦	٢٨
جمهورية الدومينكان	٣٨	٣٠	الارجنتـــين	٢٣	٢١
هـــايتى	٤٢	٤٥	شـــيلى	٢٢	٢٣
جمـــايكا	٢٩	٢٥	باراجـــواى	٤١	٣٤
بورتوريكو	٢٣	١٨	أرجـــواى	٢١	١٨

وقد يكون التركيب العرقى والميراث الحضارى للسكان من العـوامل المؤثرة فى تباين الخصوبة بين أقطار أمريكا اللاتينية ، فعلى سبيل المثال تعد الخصوبة أعلى فى جواتيمالا عنها فى بوليفيا واكوادور وبيرو ، ويمكن أن يعـزى هذا الفرق جـزئيا الى السمات الحضـارية التقليدية للشعوب الاصلية والتى تكون نسبة عالية من سكان هذه الدول وفى بعض الاقطـار الاخرى حيث يسود اختلاط بشرى بين الجماعات الوافدة والسكان الاصليين

---

(١) المصـــدر :

أ ـ U. S. Department of Commerce, Op. Cit., pp. 232-318.

ب ـ INED., Population et Sociètés, 1991.

فان خصائص الشعوب الاصلية وكذلك الحضارة الاوربية والافريقية الوافدة تكون ذات أثر واضح على مستويات الخصوبة ويكون أحفاد الرقيق الاوائل ذوى الاصل الافريقى أغلبية السكان فى عدد من جزر البحر الكاريبى وشمال أمريكا الجنوبية مثل جواديلوب وهايتى وجمايكا والمارتنيك وترنداد وتوباجو ، كذلك فقد جلب كثير من الهنود الشرقيين الى جويانا وترنداد للعمل بها فى القرن التاسع عشر بعد الغاء تجارة الرقيق وتتميز هذه الجماعات بارتفاع مستوى الخصوبة لديها عن باقى السكان •

تطـور الخصـوبة :

من الواضح أن هناك هبوطا ملموسا فى مستوى الخصوبة حدث تقريبا فى فترة زمنية واحدة خلال النصف الاول من هـذا القـرن فى بعض دول أمريكا اللاتينية وبالتحديد فى الارجنتين وشيلى وأورجـواى وكوستاريكا وكولومبيا وكوبا •

ومن الملاحظ أن تطور الخصوبة فى الارجنتين وربما فى أورجواى أيضا كان مماثلا لتطورها فى كثير من الاقطار الاوربية منذ أوائل القرن العشرين فقد هبط معدل الوفيات بثبات حتى الثلاثينيات ثم ارتفع قليلا فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، ثم مالبث أن هبط بعـد ذلك حتى وصل الى مستواه الحالى وظل ثابتا عليه فى السنوات الاخيرة،وقد ارتبط ذلك باتجاه كبير نحو التنمية الاقتصادية والتعليم وتزايد سكان المـدن ، وكانت الارجنتين واورجواى أسبق دول أمريكا اللاتينية فى الاخـذ بهذه الاساليب ، ومن المؤكد أن تدفق المهاجرين الاوربيين الى هـذه الاقطار — والذين كان مبدأ الاسرة الصغيرة سائدا بينهم — كان عاملا اضافيـا أدى الى تخفيض الخصوبة •

واذا استثنينا الارجنتين وأورجواى بخصوبتهما المنخفضة بالفعل ، فـان باقى دول القارة يمكن أن تنقسم الى فئتين(١) : الاولى فئـة الدول التى هبطت خصوبتها منـذ أوائل الستينيات بنسبة ٣٠٪ وأكثر ومنها دولتـا كوستاريكا وشيلى وقد هبط المعدل بهما بنسبة ٣٠٪ فى سنة ١٩٧٠ عما كان عليه فى سنة ١٩٦٠ ودول هذه الفئة كوستاريكا وشيلى وكولومبيا وكـوبا

---

(1) Conning, A. M., "Latin American fertility Trends and Influencing Factors, "International Population Conference, Liege, 1973. Vol. pp. 125-140.

واكوادور وجواتيمالا والسلفادور والبرازيل وبنما وفنزويلا وبيرو • أما الفئة الثانية فهى التى لم تظهر معدلات المواليد بها هبوطا فى الستينيات وبذلك ظلت خصوبتها مرتفعة بمستواها السابق وتتمثل فى الدومينكان وهندوراس والمكسيك ونيكاراجوا وبوليفيا وهاييتى وبارجواى ولكنها مالبثت أن هبطت منذ منتصف السبعينات حتى أوائل التسعينات •

كلمة أخيرة عن مستوى الخصوبة بالدول النامية :

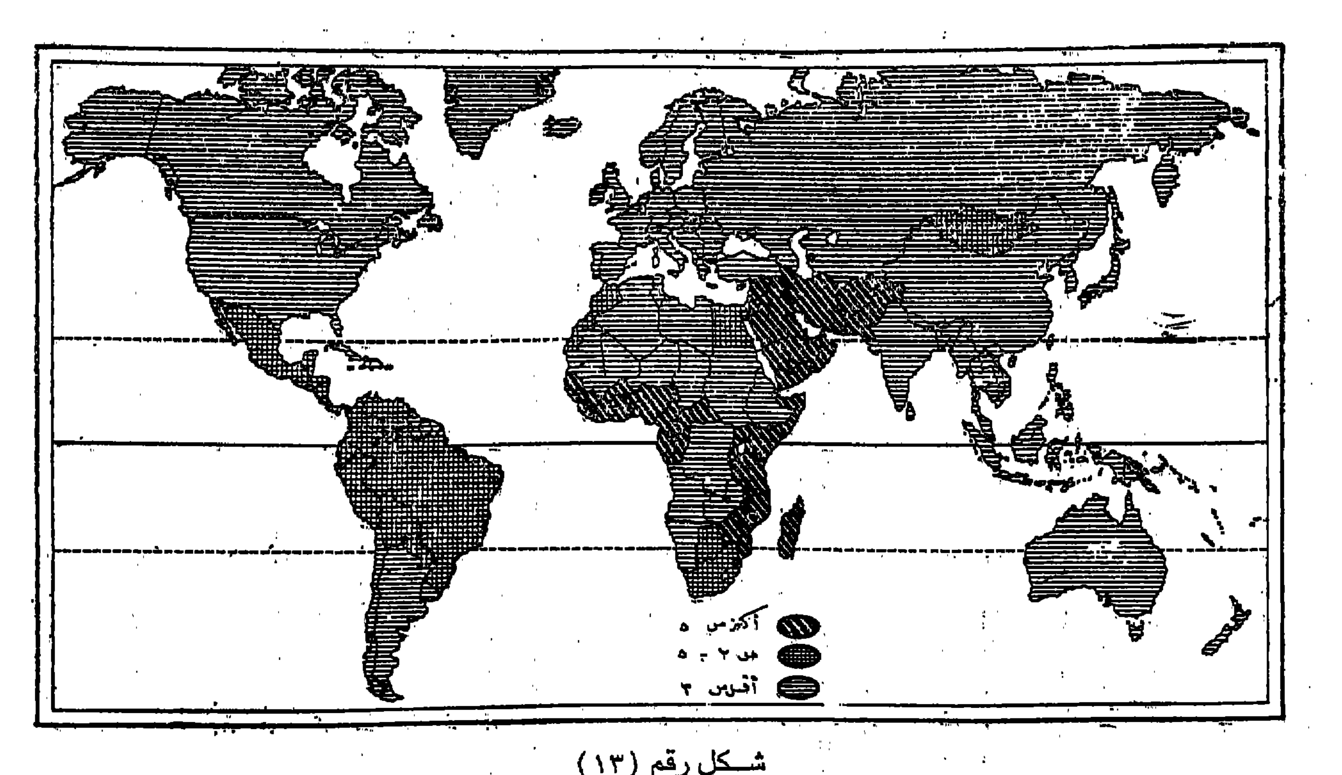
سبق القول بأن هناك فرقا جوهريا فى مستوى الخصوبة بين الدول النامية والدول المتقدمة ، والواقع أن معدل المواليد يعد مقياسا ملائما للتفرقة بين التقدم والتخلف ذلك لان قلة من الدول النامية فقط يقل معدل المواليد بها عن ٣٠ فى الالف أو دولة متقدمة بمعدل مواليد يزيد على هذا الرقم والاستثناءات القليلة لهذه القاعدة توجد فى قلة من الدول ذات نسبة عالية من سكان الحضر وتعيش حاليا فى منتصف دورة الانتقال السكانى مثل تايوان فى شرق آسيا ، وحتى باستخدام معدل الخصوبة الكلية فان الفارق يبدو جليا بين الدول النامية والدول المتقدمة (شكل رقم ١٣) •

وهناك مؤشرات غير مباشرة فى عدد من الدول النامية التى يمكن الوثوق ببياناتها تدل على هبوط معدل المواليد هبوطا قليلاً ومتفاوتا من دولة الى أخرى ،ذلك لان نتائج تعدادات ١٩٧٠ فى معظم الدول أعطت أرقاما للسكان أقل من الرقم الذى سبق تقديره لهم فى ضوء مستويات الخصوبة السائدة آنذاك ، مثل غانا والهند وأندونيسيا والفلبين وكوريا الجنوبية والبرازيل وشيلى والمكسيك •

ويمكن الاستدلال على هبوط المواليد بدراسة البيانات الحيوية لعدة دول نامية تتميز بالدقة فى تلك البيانات •

وكنتيجة عامة يمكن الاستنتاج أن الستينيات قد شهدت بداية انخفاض الخصوبة فى العالم النامى وان كان هذا الهبوط ليس كبيرا من ناحية وليس مؤكدا فى كل الدول النامية من ناحية أخرى •

ويعد تنظيم الاسرة (Family Planning) من أبرز العوامل التى أدت الى هبوط مستوى الخصوبة فى الدول النامية حيث اتبعت بعض هذه الدول سياسة رسمية لتنظيم الانجاب فى السنوات الاخيرة ، وذلك للحد من الارتفاع الكبير فى معدلات المواليد بها وكانت هذه السياسة نابعة من خطط



شكل رقم (١٣)
مستوى الخصوبة الكلية في دول العالم (عدد الاطفال للمرأة الواحدة)

التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى اتبعتها هذه الدول لتخفيض معدل النمو السكانى فى فترة زمنية محددة ٠

وتختلف قارات العالم النامى فيما بينها من حيث سياسة تنظيم الاسرة ففى أفريقيا تسير سبع دول على سياسة رسمية لتخفيض معدل النمو السكانى بها ، وقد بدأت كلها هذه السياسة فى الستينيات وهذه الدول هى تونس (١٩٦٤) ومصر (١٩٦٥) والمغرب (١٩٦٨) ، وموريشيوس (١٩٦٥) وكينيا (١٩٦٦) وغانا (١٩٦٩) وبتسوانا (١٩٧٠) ٠ وعلى الرغم من أن الهدف واحد لهذه الدول وهو تخفيض معدل النمو الا أن الاساليب تختلف فى سبيل الوصول الى هذه الغاية ، ويعد برنامج تنظيم الاسرة فى تونس أكثر تقدما بالنسبة لباقى الدول فى شمال القارة ، فقد ارتبطت بعدة تشريعات ساعدت عليه أهمها اباحة بيع وسائل منع الحمل وتحديد الاعانات التى تمنح للانجاب لتشمل الاربعة اطفال الاوائل فقط وزيادة الحد الادنى لسن الزواج وجعله ٢٠ سنة للذكور و ١٧ للاناث ثم اباحة الاجهاض للمرأة التى لديها خمسة أطفال أحياء أو أكثر - أو لاسباب صحية لحماية صحة المرأة ، وبالاضافة الى ذلك فقد قيدت الحكومة من تعدد الزوجات ونظمت الطلاق وحققت مساواة للمرأة فى كثير من الحقوق٠

أما فى قارة آسيا فقد بلغ عدد الاقطار التى تتبع سياسة رسمية لتنظيم الاسرة ١٦ دولة والاوقيانوسية دولتان فقط وتعد الهند أولى الدول الاسيوية بل أولى دول العالم النامى - التى سارت على سياسة تخفيض معدل النمو السكانى منذ وقت مبكر نسبيا (١٩٥٢) ثم تلتها الباكستان وكوريا الجنوبية (١٩٦١) والصين الشعبية (١٩٦٢) وسنغافورة وسرى لانكا وتركيا وماليزيا ونيبال وايران واندونيسيا وتايوان والفلبين وبنجلاديش ولاوس - وكلها فى الستينيات وأوائل السبعينيات - أما فى الاوقيانوسية فقد اتبعت حكومة جزر فيجى سياسة تنظيم الاسرة (١٩٦٢) وتبعتها جزر جلبرت واليس سنة ١٩٧٠ ٠

وتنتهج بعض الدول الاسيوية بعض الاساليب لتنظيم الانجاب ساعدتها على تنفيذ سياستها مثل تعقيم الذكور الذى يتم فى الهند والذى يعد الوسيلة الرئيسية لتخفيض معدل المواليد بها ، وقد ارتبط بذلك سياسة توفير وتقديم باقى خدمات تنظيم الاسرة باسلوب اعلامى ضخم وملائم للمجتمع الهندى ، وتتجه الهند فى كل ذلك الى الوصول بمعدل المواليد من ٣٩ فى الالف سنة ١٩٦٨ الى ٢٥ الالف فقط سنة ١٩٨٠ ومع ذلك لم يتحقق لها هذا الهدف حيث وصل معدل المواليد بها الى ٣١ فى الالف سنة ١٩٩١ ٠

كذلك فان تايوان تعد مثلا واضحا على نجاح تنظيم الانجاب حيث تهدف الى تخفيض معدل المواليد من ٢٧٫١ فى الالف فى نهاية سنة ١٩٧٠ الى ٢٤٫٤ فى الالف فقط سنة ١٩٧٦ وكان هناك تأييد قبل سنة ١٩٦٨ لتنظيم الاسرة فى تايوان ساعد على نجاح البرنامج عندما تبنته الحكومة فى تلك السنة مما أدى الى نتائج كبيرة انعكست على هبوط معدل الزيادة الطبيعية بها الى أقل من ٢٪ سنويا سنة ١٩٧٢ بعد أن كان ٣٪ سنة ١٩٦٣، ومعنى ذلك أن هذه النسبة هبطت بمعدل الثلث فى خلال هذه السنوات مما يؤكد نجاح برنامج تنظيم الاسرة فى هذه الجزيرة الصغيرة ذات العشرين مليونا من السكان ٠

أما فى أمريكا اللاتينية فتسير ست دول فقط من مجموع دولها البالغ ٢٩ دولة على سياسة رسمية لتنظيم الاسرة ، كذلك فان نسبة السكان الذين تسير حكوماتهم على تلك السياسة تصل الى ١٢٪ فقط من جملة سكان القارة مقابل ٢٢٪ فى أفريقيا و ٩١٪ فى آسيا ويضاف الى كل ذلك أن هذه الدول لم تبدأ سياسة تنظيم الاسرة رسميا الا حديثا جدا حيث بدأت جمايكا فى سنة ١٩٦٦ وباربادوس فى ١٩٦٧ وترنداد وتوباجو فى ١٩٦٧ وجمهورية الدومينكان فى سنة ١٩٦٨ ثم كولومبيا وبورتوريكو فى ١٩٧٠ ٠

وعموما فانه من بين الدول الكبرى سكانيا لايوجد سوى ثلاث فقط هى البرازيل وبورما واثيوبيا لم تهتم بعد بسياسة تنظيم الانجاب وعلى ذلك فانه فى أقل من عقد واحد من الزمان بدا أن هناك اتفاقا دوليا فى الرأى فى الدول النامية على ضرورة الحد من تزايد عدد السكان بها ويعد ذلك تطورا تاريخيا ضخما رغم تفاوت تأثير برنامج تنظيم الاسرة فى خفض معدلات النمو من ناحية ، وقصر الفترة التى مضت بعد تطبيق هذه البرامج من ناحية أخرى مما يجعل الحكم الكامل على أثرها فى النمو السكانى أمرا صعبا وان كانت توجد شواهد على ذلك ظهرت فى انخفاض معدلات المواليد فى كثير من الدول النامية كما سبق القول ٠

الخصوبة فى الدول المتقدمة :

يقصد بالدول المتقدمة تلك الدول الواقعة فى أوربا وأمريكا الشمالية والاوقيانوسية وذلك بالاضافة الى رابطة كومنولث الدول المستقلة،وتشترك هذه الاقاليم فى ظاهرة انخفاض الخصوبة وفى ارتفاع المستوى الاقتصادى والاجتماعى ودرجة التصنيع ، وليست الاوقيانوسية متجانسة فى خصوبتها ذلك لانها تضم جزرا خارج استراليا ونيوزيلنده ــ تتصف بانخفاض المستوى

الاجتماعى وارتفاع الخصوبة ، ولكن لما كانت استراليا ونيوزيلنده تكونان أكثر من ثلاثة أرباع الاقليم فقد وضع بأكمله فى مصاف الدول المتقدمة ذات الخصوبة المنخفضة ، وبالاضافة الى ذلك فهناك دول متقدمة فى القارات النامية تتميز بانخفاض الخصوبة بها وبارتفاع المستوى الاقتصادى والاجتماعى مثل الارجنتين وأرجواى فىأمريكا الجنوبية واليابان وفلسطين المحتلة فى آسيا وقد تناولنا الحديث عنها فيما سبق ٠

وبدراسة مستوى الخصوبة الحالى فى القارات والدول المتقدمة (جدول رقم ٧) يبدو أن معدل المواليد فى أوربا لايزيد على ١٣ فى الالف فيما عدا ألبانيا ومالطة ، وفى بعض الدول فان معدل المواليد يصل بالكاد الى ١٢ فى الالف ومعدل التكاثر الى أقل من واحد صحيح ٠

وتختلف مناطق قارة أوربا فى مستوى الخصوبة ذلك لان متوسط معدل المواليد فى شمال وغرب القارة يصل الى ١٤ فى الالف وهو يشبه مثيله فى جنوب أوربا الذى يصل الى ١٢ فى الالف ٠

ويتميز وسط أوربا بتباين ديموغرافى عن بقية مناطق القارة ومع ذلك تسود به خصوبة منخفضة حيث يتراوح معدل المواليد من ١٢ فى الالف فى المجر الى ١٥ فى الالف فى بولنده وقد تأثر هذا النطاق بخسائر الحربين العالميتين فى السكان مما أثر بدوره على التركيب العمرى النوعى فى بعض دوله ، ولذلك فان معدل المواليد فى دول شرق أوربا قل بصفة عامة عن مثيله فى شمال وغرب وجنوب القارة وان مال الى التوازن مع بقية القارة بعد ذلك ومنذ أواخر الثمانينيات ٠٠

أما فى الاقاليم منخفضة الخصوبة خارج أوربا فقد تأثر معدل المواليد بها بتباين التركيب العمرى والنوعى للسكان ، فيصل معدل التكاثر الاجمالى الى حوالى ـ ر١ فى نيوزيلنده واستراليا ويعكس ذلك أثر الهجرة الوافدة للسكان فى الاعمار الوسطى الى هاتين الدولتين مما يجعل مستوى الخصوبة أعلى نسبيا من الدول المتقدمة الاخرى ، وفى الكومنولث الجديد كانت الخسائر البشرية الناجمة عن الحرب العالمية الثانية مؤثرة فى نقص عدد الذكور البالغين وانعكس ذلك بدوره على انخفاض خصوبة الاناث حتى أنها تتشابه مع الولايات المتحدة وكندا ٠

أ ـ تطور الخصوبة فى الدول الاوربية :

يمكن بسهولة تتبع منحنى الخصوبة فى الدول الاوربية ذات البيانات الدقيقة على امتداد فترة زمنية طويلة ، وقد لوحظ أن معدل المواليد لم

تطرأ عليه تغيرات كبيرة منذ القرن الثامن عشر وحتى أواخر القرن التاسع عشر ، وباستثناء فرنسا التى تميزت بهبوط واضح فى أوائل القرن التاسع

جدول رقم (٧)

معدل المواليد الخام فى الدول المتقدمة(١)

(حوالى سنة ١٩٧٦ وسنة ١٩٩١)

الدولة	١٩٧٦	١٩٩١
شمال أوربا		
الدانمرك	١٣	١٢
فنلندا	١٤	١٣
ايسلندا	١٩	١٨
ايرلندا	٢٢	١٥
النرويج	١٣	١٤
السويد	١٢	١٤
المملكة المتحدة	١٢	١٤
غرب أوربا		
النمسا	١٢	١٢
بلجيكا	١٢	١٢
فرنسا	١٥	١٤
المانيا	١٠	١١
لوكسمبورج	١١	١٢
هولندا	١٣	١٣
سويسرا	١٢	١٢
شرق أوربا		
لغاريا	١٧	١٣
تشيكوسلوفاكيا	١٩	١٣
المجر	١٨	١٢
بولندا	٢٠	١٥
رومانيا	١٩	١٦
جنوب أوربا		
البانيا	٣٠	٢٥
اليونان	١٦	١٠
ايطاليا	١٤	١٠
مالطة	١٩	١٦
البرتغال	١٩	١٢
اسبانيا	١٨	١١
يوغسلافيا	١٨	١٤
الكومنولث الجديد	١٨	١٨
استراليا	١٦	١٥
نيوزيلنده	١٨	١٧
كندا	١٦	١٥
الولايات المتحدة	١٥	١٧

---

(١) المصدر :

U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, Op. Cit., pp. 326-404.

INED., Population et Sociètés, Janvier, 1992, Num. 264.

عشر ، وايرلنده التى بدأ الهبوط بها منذ أواسط ذلك القرن ، فلم يحدث هبوط مفاجىء فى حركة المواليد فى الاقطار الاوربية حتى بعد سنة ١٨٧٠ ، بل ان كثيرا من الدول لم يبدأ الهبوط بها قبل سنة ١٩٠٠(١) ٠

وقد وصل متوسط معدل المواليد فى أوربا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر الى ٣٩ الالف ، ثم وصل فى حوالى سنة ١٨٨٠ الى نحو ٣٥ فى الالف .ومعدل التكاثر الاجمالى الى ــ ر٢ ، وتعد هذه المعدلات عالية بالمقارنة مع المستوى الحالى للخصوبة بالقارة بالرغم من أنها تعد أقل من المعدلات السائدة حاليا فى الدول المتخلفة ذلك لان معدل المواليد الذى بلغ ٣٥ فى الالف فى أواخر القرن التاسع عشر يعد أقل من متوسط مثيله البالغ ٤٤ فى أفريقيا سنة ١٩٩١ ، ومن المشكوك فيه أن متوسط معدل المواليد فى أوربا ككل فى أى وقت منذ العصور الوسطى كان مشابها لمثيله فى أفريقيا فى الوقت الحاضر ، بالرغم من أن هذه المعدلات كانت سائدة حتى عقود حديثة فى روسيا وأجزاء من أوربا(٢) ٠ كذلك كانت المعدلات مرتفعة فى أمريكا الشمالية واستراليا ونيوزيلنده فى الفترات المبكرة للاستيطان الاوربى بها ٠

وكان شمال وغرب أوربا أول الاقاليم التى شهدت هبوطا فى الخصوبة (جدول رقم ٨) ، ففى الفترة من ١٩٠٦ ــ ١٩٠٩ كان معدل المواليد يتراوح بين ٢٥ ــ ٣٠ فى الالف باستثناءات قليلة ممثلة فى فنلنده حيث كان المعدل ٣١ فى الالف وفرنسا حيث كان يتراوح بين ١٠ ــ ٢٣ فى الالف،وكان متوسط معدل المواليد آنذاك فى وسط أوربا ٣٥ فى الالف متراوحا بين ٤٠ فى بولنده و ٢٦ فقط فى سويسرا ، أما فى جنوب أوربا فقد تراوح المعدل من ٣٣ فى الالف فى اليونان وايطاليا والبرتغال واسبانيا الى حوالى ٤٠ فى بلغاريا ورومانيا ٠

وعلى ذلك كان متوسط الخصوبة فى أوائل هذا القرن مختلفا فى أقاليم أوربا فهو مرتفع فى الجنوب ومعتدل فى الوسط ومنخفض فى الشمال ، كذلك فقد حدث هبوط الخصوبة أولا فى شمال وغرب أوربا ثم بدأ وسط القارة التأثر به بينما لم ينخفض المعدل فى جنوب القارة وكان حتى ذلك الوقت مماثلا لما كان عليه من قبل ٠

---

(1) U. N. Pop. Bull., Ibid., Op. Cit,, 93,
(2) Ibid., p. 94.

جـدول رقم (٨)

تطور معدل المواليد فى بعض الدول المتقدمة[1]

السنة	فى أوربـا				الولايات المتحدة	استراليا	كومنولث الدول المستقلة
	النرويج	فرنسا	المجر	ايطاليا			
١٩٠٠ – ١٩٠٤	٢٨ر٥	٢١ر٢	٣٧ر٤	٣٢ر٦	–	٢٦ر٧	٤٨ر٠
١٩٠٥ – ١٩٠٩	٢٦ر٧	٢٠ر٢	٣٦ر٣	٣٢ر٦	–	٢٦ر٨	٤٥ر٩
١٩١٥ – ١٩١٩	٢٤ر٠	١١ر٤	٢١ر٩	٢٢ر٧	٢٤ر١	٢٥ر٨	٣٢ر٢
١٩٢٥ – ١٩٢٩	١٨ر٥	١٨ر٥	٢٦ر٦	٢٧ر٢	٢٠ر١	٢١ر٦	٤١ر٩
١٩٣٥ – ١٩٣٩	١٥ر٠	١٥ر٠	٢٠ر١	٢٣ر٢	١٧ر٢	١٧ر٢	٣٣ر٨
١٩٤٥ – ١٩٤٩	٢٠ر٨	٢٠ر٢	١٩ر٩	٢١ر١	٢٣ر٤	٢٣ر٥	٢٥ر٨
١٩٥٥ – ١٩٥٩	١٨ر١	١٨ر٣	١٧ر٨	١٨ر٠	٢٤ر٦	٢٢ر٦	٢٥ر٣
١٩٦٥ – ١٩٦٩	١٨ر١	١٧ر٨	١٤ر٦	١٨ر٠	٢٣ر٥	٢٢ر٣	٢٥ر٢
١٩٨٥ – ١٩٨٩	١٢ر٠	١٤ر٠	١٢ر٠	١٠ر٠	١٦ر٠	١٦ر٠	١٩ر٠

(1) U. N. Population Bulletin, Op. Cit., pp. 90-91.
INED., Op. Cit., 1987.

وقد أدت الحرب العالمية الاولى الى اضطراب منحنى اتجاه الخصوبة حيث هبط هذا المنحنى فى كل الدول وخاصة تلك التى اشتركت فى الحرب بدرجة كبيرة وخاصة النمسا وبلجيكا فكان النقص فى عدد المواليد الناجم عن الحرب قليلا وما لبث المنحنى أن ارتفع بعد الحرب مباشرة فى كل هذه الدول بالقارة ٠

وقد استمر معدل المواليد فى الارتفاع فى العشرينات حتى أن معدل التكاثر الاجمالى كان أعلى من ٢٫٠ فى بلغاريا وبولنده والبرتغال ورومانيا ، أى فى أقطار شرق وجنوب أوربا حيث بدأ التطور الصناعى متأخرا بها اذا ماقورنت بشمال وغرب القارة ، ثم تعرض معدل المواليد للانخفاض فى الثلاثينيات متأثرا فى ذلك بفترة الكساد الاقتصادى التى شهدها العالم فى تلك الفترة حيث وصل المعدل الى أدنى درجة فى الفترة من ١٩٣٥ – ١٩٣٩ حيث بلغ ١٦ فى الالف فى شمال وغرب أوربا و ٢٠ فى وسط أوربا ، ٢٥ فى جنوبها ٠

أما الحرب العالمية الثانية فقد كانت ذات تأثير مختلف على الخصوبة فقد استمر معدل المواليد فى الهبوط فى جنوب أوربا – بينما ظل ثابتا فى شمالها وغربها ، فقد شهدت ألمانيا والنمسا تزايدا متواضعا فى معدل المواليد فى الثلاثينيات وفى بعض الاقطار مثل تشيكوسلوفاكيا والدنمرك والنرويج والسويد وسويسره وكان هناك تزايد فى معدل المواليد خلال الحرب بلغ نفس المستوى فى سنتى ١٩٢٥ – ١٩٢٩ ، وشهدت الفترة التالية للحرب مباشرة ارتفاعا فى معدلات المواليد فى الاقطار التى كانت المواليد منخفضة بها من قبل وبصفة عامة كانت قمة منحنى التطور فى الخصوبة بعد الحرب العالمية الثانية فى سنتى ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ وذلك باستثناء بعض الدول مثل النمسا وألمانيا ذلك لان خسائرهما فى الحرب من الرجال واستمرار أسر أعداد من جنودهما فى الفترة التالية للحرب مباشرة أديا الى انخفاض كبير فى معدل الزواج بهما ٠

أما فى السنوات الاخيرة منذ الخمسينات فيمكن توضيح ثلاثة أنماط رئيسية من الاتجاهات فى منحنى المواليد أولها أنه فى شمال غرب ووسط أوربا حيث هبطت الخصوبة الى حد منخفض فى الثلاثينيات فان الاتجاه كان صاعدا وأظهر المنحنى قمة فيما بعد الحرب ، وما لبث أن انخفض بعد ذلك متجها نحو الاستقرار والثبات ٠ وثانيا أنه فى جنوب أوربا (باستثناء البرتغال وأسبانيا) مازال معدل المواليد مستمرا فى الهبوط مع ملاحظة أن ألبانيا من دول جنوب القارة ولكن المعدل مازال مرتفعا بها٠

والامر الثالث أن هناك أقطارا معينة فى شرق ووسط وجنوب أوربا شهدت هبوطا فى معدل المواليد حتى حوالى سنة ١٩٥٦ عندما بدأت حكوماتها فى تبنى سياسة لتشجيع تخفيض حجم السكان بها وذلك بسن تشريعات مختلفة لتنظيم الاسرة وتقليل حجمها .

ب ـ تطور الخصوبة فى أمريكا الشمالية والاوقيانوسية :

من الواضح أن اتجاه الخصوبة على المدى الطويل فى المناطق التى استوطنها الاوربيون فيما وراء البحار يعد مشابها لمثيله فى شمال غرب أوربا الى حد كبير ، ففى الولايات المتحدة بدأ الانخفاض فى معدل المواليد مبكرا فى القرن التاسع عشر ، ففى سنة ١٨٠٠ قدر أن معدل المواليد الخام كان ٥٥ فى الالف وهو يعد أعلى معدل عرف فى أى قارة من قارات العالم واستمر الهبوط منذ ذلك الوقت دون أى تغيرات جوهرية حتى سنة ١٩٢٣ عندما وصل المعدل الى ١٨ فى الالف فقط،ولكن بعد فترة الكساد الاقتصادى بدأ المعدل فى الارتفاع التدريجى ثم وصل هذا التزايد الى قمته وهى ٢٥٫٨ فى الالف سنة ١٩٤٧ واستقر المعدل بعد ذلك على مستواه القريب من القمة التى وصل اليها .

وفى كندا نظرا لعدم اكتمال التسجيل الحيوى بها فيما قبل سنة ١٩٢٠ فمن المحتمل أن الخصوبة كانت مرتفعة للغاية فى القرن التاسع عشر خاصة فى المناطق الناطقة بالفرنسية حتى أن معدل التكاثر الاجمالى بها وصل الى ٣٫٠ ، ولكن انخفض معدل المواليد بعد ذلك حتى وصل الى ٢٨ فى الالف فى الفترة من ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤ واستمر هبوطه حتى وصل الى ٢٠ فى الالف سنة ١٩٣٧ وتشابه مع الولايات المتحدة بعد ذلك حتى وصل الى قمته فى السنوات القليلة التالية للحرب العالمية الثانية ثم استقر على مستواه الحالى تقريبا وهو ٢٨ فى الالف .

أما فى استراليا ونيوزيلنده فقد انخفض معدل المواليد خلال الجزء الاخير من القرن التاسع عشر ثم ارتفع قليلا ليعاود هبوطه بعد ذلك وكان تدفق موجات من المهاجرين فى القرن الحالى ذا أثر كبير فى رفع مستوى الخصوبة واستمر المعدل ثابتا فى استراليا ونيوزيلنده بعد الحرب العالمية الثانية (جدول رقم ٨) .

جـ ـ تطور الخصوبة فى رابطة كومنولث الدول المستقلة :

ليس من السهل دراسة تطور الخصوبة فى الكومنولث الجديد فيما قبل

القرن العشرين وذلك لعدم توفر بيانات يمكن الاعتماد عليها وقد قدر أن معدل المواليد وصل الى ٥٠ فى الآلف خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر وذلك اعتمادا على بيانات التركيب العمرى فى تعداد سنة ١٨٠٧ ، ومن المرجح أن هذا المعدل كان كذلك فى فترة زمنية طويلة من قبل حتى أنه رغم ارتفاع معدل الوفيات بالامبراطورية الروسية فان السكان قد تزايدوا بدرجة أكبر من باقى دول أوربا .

وقد هبط مستوى الخصوبة فى أوائل هذا القرن حتى قدر معدل المواليد فى العقد السابق على قيام الحرب العالمية الاولى بحوالى ٤٥ فى الالف ثم هبط بعد ذلك نتيجةالاضطرابات السياسية والحربية التى تعرضت لها روسيا وكانت الثورة الشيوعية أبرزها،وقد نتج عن ذلك هبوط المعدل الى ٤٣ فى الالف فى سنة ١٩٢٧ الا أن البيانات المنشورة عن تعداد سنة ١٩٢٠ أدت الى الاستنتاج بأن معدل المواليد كان ٣٠ فى الالف فىالثلاثينات وهو هبوط حاد اذا ماقورن بالمعدل السابق لسنوات قليلة سابقة فقط وكانت تلك السنوات فترة تحول كبير فى توزيع السكان والتجميع الزراعى والتصنيع وماترتب عليها من انتقال أعداد كبيرة من السكان،كذلك حدثت تغيرات اجتماعية جذرية أثرت فى انخفاض مستوى الخصوبة ، وبالرغم من أن الحكومة السوفيتية أصدرت فى سنة ١٩٣٦ عدة تشريعات لرعاية الامومة والطفولة والاسرة وغير ذلك من العوامل التى شجعت على تزايد الانجاب ، فان الاتجاه نحو الاسر الصغيرة بدأ يسود نتيجة عوامل التغير الاجتماعى والاقتصادى ممثلة فى التصنيع والتحضر العمرانى واتساع قاعدة التعليم وارتفاع مكانة المرأة .

الا أن التعبئة العسكرية فى الحرب العالمية الثانية وازاحة السكان من مساحات كبيرة والصعاب والخسائر الناجمة عن الحرب أدت الى انخفاض فى معدل المواليد ــ وقد انعكس ذلك على نقص عدد السكان فى الفئات العمرية (١٥ ــ ١٩) فى تعداد ١٩٥٠ ، وقد قدر أن معدل المواليد وصل الى ٢٧ فى الالف سنة ١٩٥٠ ثم هبط الى ٢٥ فى الالف سنة ١٩٦٠ و ١٨ فى الالف سنة ١٩٩١ .

أهم العوامل المؤثرة فى خصوبة السكان :

سبق القول بأن الخصوبة من أهم الظاهرات الديموغرافية التى تؤثر فى هيكل السكان بالتزايد كما تؤثر فيه الوفيات بالتناقص ، واذا كانت الظاهرات الديموغرافية تتاثر بصفة عامة بمجموعة من العوامل المتشابكة

والتى لايمكن الفصل بين بعضها البعض واعتبار أحدها العامل الاوحد فى التأثير عليها ، فان الخصوبة تعد من الظاهرات الهامة التى أولاها الباحثون عناية كبيرة فى دراستها وتحليلها وتوضح العوامل المتشابكة والمعقدة التى تؤثر فيها وتتأثر بها ٠

ولعل من أبرز الدراسات فى هذا المجال ماقام به «دافيز وبليك Davis and Blake » حيث رأيا أن التغيرات التى تحدثها العوامل الاجتماعية والاقتصادية على الخصوبة لايمكن أن تتم الا عن طريق ما تحدثه من أثر على أحد أو بعض ـ ما أسماه الباحثان ـ بالعوامل الوسيطة Intermediate variables والتى تؤثر بالتالى تأثيرا مباشرا على الانجاب ٠

وتنقسم هذه العوامل الى ثلاث مجموعات رئيسية تضم كل منها عاملين أو أكثر على النحو التالى :

أولا ـ عوامل تؤثر فى العلاقة الجنسية وهذه يمكن تقسيمها الى قسمين :

أ ـ عوامل تتحكم فى حدوث أو عدم حدوث الاخصاب فى فترة القدرة على الانجاب وهى تشمل :

١ ـ سن الزواج

٢ ـ نسبة النساء اللائى لم يسبق لهن الزواج

٣ ـ المدة التى تقضيها المرأة فى سن الانجاب خارج الحياة الزوجية وذلك بسبب الطلاق أو الانفصال أو الترمل ٠

ب ـ عوامل تؤثر فى العلاقة الجنسية أثناء الزواج :

١ ـ الابالة التطوعية ٠

٢ ـ الابالة غير التطوعية ـ الناتجة عن مرض أو انفصال مؤقت بين الزوجين لظروف خاصة ٠

٣ ـ عدد مرات الاتصال الجنسى (فيما عدا فترات الابالة) ٠

ثانيا ـ عوامل تتحكم فى التعرض للحمل :

أ ـ القدرة على الانجاب أو عدم القدرة عليه نتيجة أسباب مقصودة أو غير مقصودة ٠

ثالثا ـ عوامل تتحكم فى حياة الجنين :

أ ـ وفاة الجنين نتيجة أسباب غير مقصودة ٠

ب ــ وفاة الجنين نتيجة أسباب مقصودة ٠

ومن الواضح أن الارتباط بين هـذه العـوامل في المجتمعات البشرية يؤدى الى وجود مستويات متباينة للخصوبة بها ، ومن ناحية أخرى فان المجتمعات ــ أو المجموعات السكانية المختلفة والتى تتباين فيها مستويات الخصوبة تباينا واضحا ــ قد يكون لبعض العوامل الوسيطة أثر واضح بها بسبب اختلاف العوامل الاقتصادية والاجتماعية مثل الاختلاف بين خصوبة الريف والحضر وبين البيض والزنوج وبين العمال وأصحاب المهن الفنيـة العلمية وبين الاميين والمتعلمين ٠

وقد أبرزت الدراسات عن الخصوبة أن العوامل المؤثرة فيها تختلف في الدول المتقدمة ذات الخصوبة المنخفضة عن الدول النامية ذات الخصوبة المرتفعة ، فمن العوامل التى أدت الى انخفاض مستويات الخصـوبة في الدول المتقدمة الميراث الحضارى ومظاهره المتعـددة والتصنيع والتحضر وارتفاع نسبة المتعلمين وكذلك ارتفاع مستويات المعيشة وتكاليف تربيـة الاطفال وتغير دور الاسرة وتزايد الحراك الاجتماعى والتغير في الافـكار والقيم وانخفاض معدلات الوفيات نتيجة انخفاض المواليد أما في الدول النامية المرتفعة الخصوبة فقد تكون الاحوال الاجتماعية والاقتصادية عكس ذلك في معظم الاحوال،ثم هناك الميراث الحضارى والافكار والقيم السائدة ودور الاطفال في المناطق الريفية ومركز المرأة الاجتماعى وانخفاض السن عند الزواج وارتفاع نسبة الامية خاصة بين الاناث ٠

وعموما فان العلاقة بين مستوى الخصوبة ودرجة التقـدم الاقتصادى والاجتماعى تبدو في مقارنة معدل المواليد ببعض المؤشرات الهامة مثـل نصيب الفرد من الناتج القومى وبنسـبة الايدى العـاملة في الصناعة ٠ ثم ببعض المؤشرات الصحية مثل أمد الحياة ومعدل وفيات الاطفال والثقافية مثل الحالة التعليمية للاناث ٠

وقد أوضحت نتائج هذه المقارنة أن مستويات الخصوبة العالية تتمشى مع انخفاض درجة التقدم الاقتصادى الاجتماعى والعكس (جدول رقم ٩) حتى أنه يمكن تقسيم دول العـالم بصفة عـامة الى مجموعتين كبـيرتين احـداهما تتميز بخصوبة مرتفعة وتقـدم اقتصـادى واجتماعى منخفض ــ وهى مجموعة الدول النـامية والاخـرى على النقيض من ذلك حيث تنخفض الخصوبة ويرتفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى ــ وهى مجموعة الدول المتقدمة ويبدو ذلك من الارقام التالية التى توضح مقارنة بين الهند كدولة نامية والولايات المتحدة الامريكية كدولة متقدمة ٠

جـدول رقم (٩)
الخصوبة والمستوى الاقتصادى والاجتماعى
فى الهند والولايات المتحدة الامريكية
(متوسط ١٩٨٩ ـ ١٩٩١)[١]

المؤشـــر	الدولة	
	الهند	الولايات المتحدة
ـ معدل المواليد الخـــام	٣١	١٧
ـ معدل الخصوبة الكلية	٥ر٤	٨ر١
(أ) مؤشرات اقتصادية :		
١ ـ نصيب الفرد من الناتج القومى بالدولار	٣٥٠	٢١٠٠٠
٢ ـ نسبة العاملين فى الصناعة (٪ من جملة القوة العاملة)	٩	٢٢
٣ ـ نصيب الزراعة من الناتج القومى (٪)	٤٤	٤
(ب) مؤشرات صحية وثقافية :		
١ ـ أمد الحيـاة بالسنوات	٥٧	٧٥
٢ ـ معدل وفيات الاطفال الرضـع	٩١	٩
٣ ـ نسبة القادرات على القراءة والكتابة من الاناث (١٥ سنة فأكثر)	٢٩	٩٢

وقد حسب معامل الارتباط Coefficient of correlation بين الخصوبة وهذه المؤشرات وتأكدت بموجبه العلاقة القوية بين الخصوبة وكل من هذه المؤشرات الاقتصادية والاجتمـاعية ، ويمكن أن تربط بين هذه النتيجـة ونظرية الانتقال الديموغرافى وتطبيقها فى امكان التنبؤ باتجاهات الخصوبة ونمو السكان فى الدول النـامية فى المستقبل ، وتقوم هـذه النظرية على أساس العلاقة بين المواليد والوفيات وبأن الارتفـاع الملموس فى مسـتوى الخصوبة فى المجتمعات ما قبل الصناعية كان مرتفعا بمستويات حضـارية منخفضة وكلما اتجهت هذه المجتمعات نحـو التصنيع وما يرتبط به من

---

(١) المصـــدر :
INED., Population et Sociètés, 1989-1991.

تنمية اقتصادية وتغير اجتماعى فانها تتجه نحو انخفاض الخصوبة بدرجة قليلة فى بادىء الامر ثم بدرجة كبيرة بعد ذلك حتى تثبت عند مستوى منخفض بوصول المجتمع الى مستوى مرتفع من التقدم الاقتصادى والاجتماعى ٠

ومن الملاحظ أن النتائج السابقة تؤكد هذه النظرية وخاصة عند تطبيقها على الدول الصناعية الحالية كذلك يؤكد هذا القول أيضا أنه بالرغم من أن بعض الدول قد شهدت تنمية اقتصادية واجتماعية فى العقود الاخيرة الا أن الخصوبة لم تهبط بها هبوطا ملموسا وان كان منحناها يأخذ اتجاها هابطا ٠

وتذكر بعض الدراسات الجارية عن المشكلات السكانية أن معظم سكان الدول النامية يتكاثرون بمعدلات تقترب من حدود القدرة الفسيولوجية لهم دون أن يكون هناك تأثير واضح بدرجة أو بأخرى على الانجاب ـ الا أخيرا جداً بعد اتباع بعض الدول لسياسة تنظيم النسل ـ وكانت الخصوبة الطبيعية العالية قاعدة مميزة لكل المجتمعات البشرية فى العالم كله فى الماضى وقبل بدء الثورة الصناعية وبدء تنظيم الانجاب فى الغرب ـ ورغم ذلك فقد كانت هناك فوارق اقليمية سبق الحديث عنها ٠

وقد سبق القول بأن مستوى الخصوبة يتأثر بالعوامل الوسيطة والتى تعد بدورها انعكاسا للظروف البيئية والحضارية مثل التقاليد السائدة فى المجتمعات النامية والتركيب الاسرى بها والنظرة الى الكثرة العددية فى البيئات الزراعية واختلافها عن البيئات الحضرية ولذلك فان هناك فوارق جوهرية فى مستوى الخصوبة بين البيئة الزراعية التى يرتفع فيها معدل المواليد والبيئة الحضرية التى ينخفض فيها هذا المعدل ٠

ومن الواضح أن وسائل التحكم فى مستوى الخصوبة السائد فى المجتمعات المتقدمة مثل تأخير سن الزواج بل وعدم الزواج اطلاقا ـ وكذلك استخدام وسائل منع الحمل ـ تعد عوامل أساسية فى انخفاض معدل المواليد بهذه الدول ، ولكن هذه العوامل ليست سائدة بنفس الدرجة فى الدول النامية مما يجعلها تعيش فى مرحلة الخصوبة الطبيعية Natural fertility وان كان بعضها قد بدأ يأخذ بأسباب التحكم فى الخصوبة منذ سنوات قليلة كما سبق القول وانعكس ذلك على انخفاض معدل المواليد بها كما سبق القول ٠

الفصل الخامس

الوفيـــــات

تعـد الوفيات عنصر هـاما من عنـاصر تغـير السكان حيث تفـوق فى أثرها عامل الهجرة وان كانت الخصوبة تسبقها فى ذلك كما أنها تتناقض مع الخصوبة فى أنها أكثر ثباتا ويمكن التحكم فى مستواها،ولايبدو أثرها فى تغير حجم السكان فقط بل وفى تركيبهم كذلكَ ، خاصة التركيب العمرى حيث ترتبط الوفيات دائما بمستوى التعمر (Ageing) ولذا يلقى التحكم فى الوفيات قبولا أكثر مما يلقاه التحكم فى الخصوبة .

وقد شهدت معظم دول العالم انخفاضا فى مستوى الوفاة بين سكانها فى السنين الاخيرة سواء كانت دولا متقدمة أو نامية ، ويرجع ذلك بالدرجـة الاولى الى التقدم الطبى الذى بدأ فى أجزاء قليلة من العالم ، ثم ما لبث أن انتشر الى أقاليم أوسع فى القارات المختلفة ، ويعد الهبوط فى الوفيات من العوامل الرئيسية التى أدت الى ظاهرة الانفجار السكانى (Population Explosion) والتى تعد أهم ملامح التاريخ البشرى الحديث وخاصـة فى الدول النامية حيث يمثل تحديا ضخما لمواردها .

ويهتم الجغرافى فى مجال دراسة الوفيات بأنماط التوزيع المكانى لها والاسباب الرئيسية المسببة للوفـاة وارتباطها بالظروف البيئية السائدة ، معتمدا فى ذلك على مقاييس الوفاة التى تعد مؤشرات للاحوال الصحيـة السائدة ، ولكن يعوق من اتساع مجالات البحث قلة البيانات عن أسـباب الوفيات فى البيئات المختلفة بالعالم وخاصة فى البيئات النامية أما الدول المتقدمة فقد بدأ التسجيل مبكرا بها ، ففى بريطانيا على سبيل المثال بدأ جون جرانت John Graunt تسجيل الوفيات فى لندن فى القرن السـابع عشر . كذلك فان تسجيل وفيات الاطفال الرضع يعد من المشكلات الرئيسية فى بيانات الوفيات وتمييزها عن وفيات الاجنة (foetal deaths) ولذلك فان بيانات الوفيات تشير دائما الى وفيات الاطفال الذين ولدوا أحيـاء ويستبعد من ذلك المواليد الموتى (Stillbirths) أو وفيات الاجنة .

وتعتمد كثير من دراسات الوفيات حسب العمر والنوع على ما يعرف بجـــدول الحيـــاة Life table وهـو جدول احصائى ينشـأ على أساس

الظروف السائدة للوفاة حيث يبين مستواها عند أى فئة عمرية خلال فترة أساس معينة وتوقع الحياة عند هذه الفئة أو مايعرف بامد الحياة،والغرض من هذه الجداول هو حساب عدد الوفيات لكل فئة عمرية وعـدد الباقين على قيد الحياة ومتوسط عدد السنوات التى يحتمل أن يعيشها كل منهم، وتعتمد دقة هذه الجداول على الدقة فى الاحصاءات الحيوية والتعدادات السكانية ومن ثم فانه من السهل انشاؤها فى الدول المتقدمة وبالرغم من ذلك فان جانبا كبيرا من تحليل الوفاة يتم دون الرجوع اليها ٠

مقاييس الوفـاة :

يمكن الحكم على مستوى الوفيات السائد فى المجتمع عن طريق بعض المقاييس المرتبطة به والتى تتمثل فى معـدل الوفيات الخـام ، ومعـدل الوفيات العمرى النوعى ، ومعـدل وفيات الاطفـال الرضع ثم معـدل الوفيات السببى ٠

١ ـ معدل الوفيات الخام Crude death Rate :

وهو أكثر المقاييس شيوعا حيث يمثل نسبة جميع الوفيات المسجـلة خلال سنة معينة الى عدد السكان الـكلى مضروبا فى ١٠٠٠ ويكتب على الصورة التالية :

$$\text{معدل الوفيات الخام} = \frac{\text{عدد الوفيات المسجلة خلال سنة ميلادية}}{\text{عدد السكان الكلى فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

مثال : معدل الوفيات فى مصر سنة ١٩٨٦

$$= \frac{٤٣٣٠٠٠}{٤٩٦٠٩٠٠٠} \times ١٠٠٠ = ٨٫٧ \text{ فى الالف}$$

ولهذا المعدل مزايا من أهمها أنه يبين مستوى الوفاة لمجتمع باكمله فى سنة ما ، الا أن أبرز عيـوبه أنه يمزج مجموعات سـكانية كثيرة تـختلف الوفيات فيما بينهما اختلافا واضحا حيث يمزج هذه العناصر دون تمييز، ومن الخطورة الوصول الى استنتاجات محددة على أساس دلالة المعـدل الخام للوفاة فقط ، لذلك فان الدراسة المتعمقـة للوفاة تمتـد الى بعض المعدلات الاخرى والتى تعتبر أكثر دقة وتفصيلا عن معدل الوفيات الخام٠

٢ ـ معدل الوفيات حسب العمر Age - Specific Death Rate :

وهو معدل خاص بكل فئة عمـرية حيث ينسب عـدد الوفيات التى حدثت فى كل فئة الى جملة السكان فى نفس الفئة مضروبا فى ١٠٠٠،ومن المفيد أن تحسب هـذه المعدلات للذكـور والاناث وبذلك تصبح معـدلات

عمرية نوعية وهذه المعدلات العمرية تعد أساسية فى المقارنة بين المجتمعات بعضها وبعض أو بين طوائف السكان فى داخل المجتمع الواحد ، وتعد الفئات العمرية ذات الخمس سنوات الصورة الشائعة فى حساب معدلات الوفيات الخاصة بالعمر وهى توضح الانماط الرئيسية لتغير مستوى الوفاة حسب العمر وفى العادة لاتكون البيانات على درجة كافية من الدقة بحيث تبرر استخدام فئات أصغر .

وتتأثر الوفيات بعامل السن والنوع تأثرا كبيرا كذلك فان هناك اعتبارات أخرى تؤثر فى الوفاة بالاضافة الى هذين العاملين البيولوجيين كنمط الحياة فى الريف والحضر والتفاوت الاجتماعى والاقتصادى بين المجموعات السكانية فى البيئة الواحدة .

وبدراسة العلاقة بين الوفاة العمرية ـ أو مايسمى بالمعدلات العمرية للوفاة ـ يلاحظ أن منحنى هذه المعدلات له نمط معروف تبدأ قمته بعد المولد مباشرة ثم يهبط الى حده الادنى فى الفترة من ٥ ـ ١٥ سنة ومايلبث أن يرتفع ببطء بعد ذلك حتى بداية الاعمار المتقدمة ويصل بذلك الى نهايته متخذا بذلك شكل حرف U المعروف وذلك فيما بعد الخامسة والستين أو السبعين ويوضح الجدول رقم (١٠) والشكل رقم (١٤) هذه الحقيقة.

جدول رقم (١٠) معدل الوفيات العمرى النوعى فى سرى لانكا سنة ١٩٧٢(١)

فئات السن	ذكور	اناث
أقل من ١	٥٥ر٧	٤٦ر١
١ ـ ٤	٥ر٤	٦ر٤
٥ ـ ٩	١ر٧	١ر٨
١٠ ـ ١٤	١ر١	١ر٠
١٥ ـ ١٩	١ر٥	١ر٤
٢٠ ـ ٢٤	٢ر٣	١ر٩
٢٥ ـ ٢٩	٢ر٤	٢ر٣
٣٠ ـ ٣٤	٢ر٦	٢ر٥
٣٥ ـ ٣٩	٤ر١	٣ر٢
٤٠ ـ ٤٤	٥ر٢	٣ر٤
٤٥ ـ ٥٤	٨ر٧	٥ر٦
٥٥ ـ ٦٤	١٨ر٣	١٢ر٥
٦٥ ـ ٧٤	٤٢ر٦	٣٥ر٩
٧٥ +	١٥١ر٧	١٤٣ر١
جميع لاعمار	٨ر٥	٧ر١

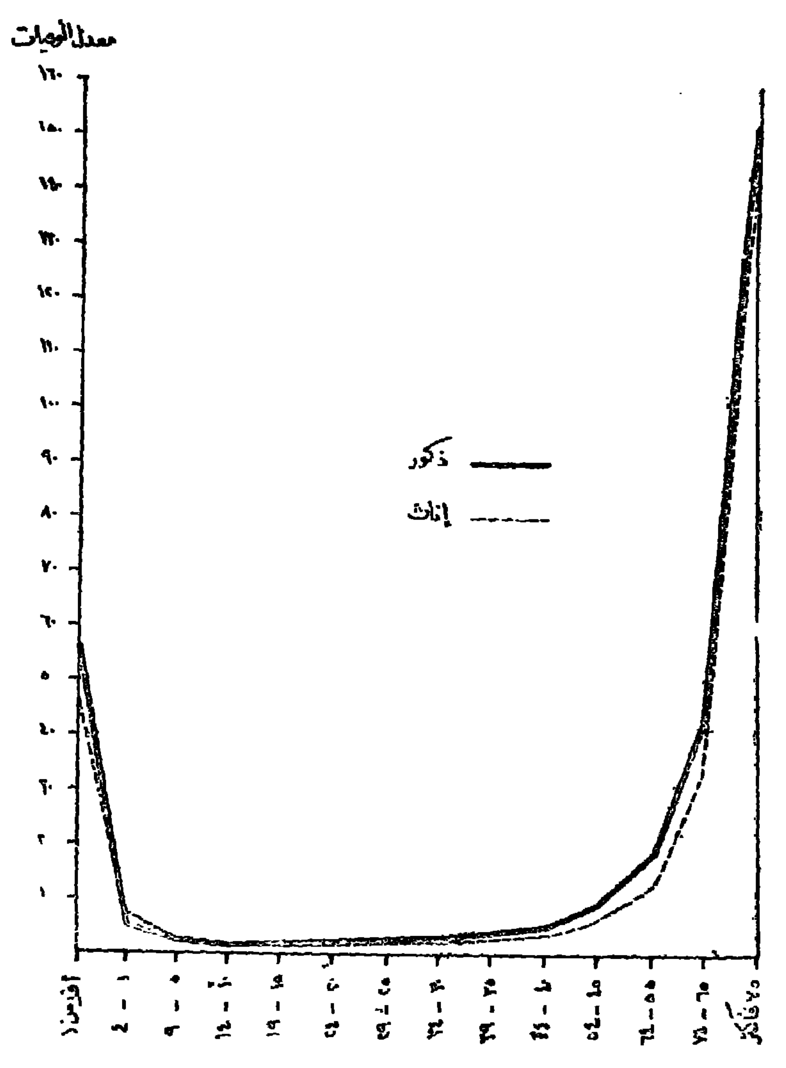
وقد تقسم معدلات الوفيات العمرية هذه الى أربع فترات من فترات العمر وهى فترة الرضاعة وفترة الطفولة وفترة العمل والانجاب ثم الكهولة والشيخوخة .

---

(١) المصدر :
The Population Council, Population and Development Review, Vol. 9, No. 2, June 1983, p. 319.

٣ - معدل وفيات الرضع Infant Mortality Rate :

وهو معدل يختلف فى حسابه عن المعدلين السابقين حيث نحصل عليه بقسمة عدد وفيات الاطفال الذين تقل أعمارهم عن سنة على مجموع عدد الوفيات أحياء خلال نفس السنة مضروبا فى ١٠٠٠ ويكون هـذا المعـدل مرتفعا دائما عن معدل الوفيات الخام - ويعكس مدى ماتقدمه الدولة من خدمات صحية لمواطنيها ، ويكون هبوطه أول خطوة فى هبوط مستوى



شكل رقم (١٤)
معدل الوفيات العمرى النوعى فى سرى لانكا ١٩٧٢

الوفيات ككل فى المجتمع ، وفى كثير من الدول يأتى معدل وفيات الاطفال فى فئة السن ١ ـ ٤ سنوات بعد معدل وفيات الرضع مباشرة ـ حتى أنه فى معظم الدول النامية يكون أكثر من نصف عدد الوفيات بها فى أى سنة ـ لاعمار تقل عن ٥ سنوات ، ولعل فى مصر دليل على ذلك كما يبدو من الجدول رقم (١١) حيث تشكل وفيات الصغار دون سن الخامسة ما يربو على نصف عدد الوفيات بها ، بل انها وصلت الى ثلثى هذا العدد فى سنة ١٩٥٥ • وعلى ذلك فان صيغة معدل وفيات الرضع تكون على النحو التالى :

$$\text{معدل وفيات الرضع} = \frac{\text{عدد حالات الوفاة للاطفال أقل من سنة}}{\text{مجموع عدد المواليد الاحياء فى نفس السنه}} \times ١٠٠٠$$

ويرتبط بهذا المعدل معدلات فرعية أخرى لتحليل الجوانب المنفصلة للوفاة فى السنة الاولى من العمر ، ذلك لان جزءا من وفاة الرضع يتأثر بظروف الميلاد لانها تبدأ مباشرة بعد وقت الولادة ويسمى هذا الجزء بوفاة المواليد المبكرة وجرى العرف على قياسه بمعدلات الوفيات للشهر الاول من العمر ، ويعد ذلك أمرا هاما فى دراسة وفيات الرضع لانه يمثل نسبة كبيرة منها •

جدول رقم (١١) تطور النسبة المئوية للوفيات حسب السن فى مصر فى الفترة من (١٩٣٥ ـ ١٩٦٥)(١)

فئات السن	١٩٣٥	١٩٤٥	١٩٥٥	١٩٦٥
أقل من ١	٣٠ر٥	٣٢ر٤	٣٧ر٥	٢٣ر٥
١ ـ ٤	٢٨ر٧	٢٨ر٦	٣١ر١	٢٣ر٧
٥ ـ ١٤	٤ر٨	٤ر٧	٢ر٨	٣ر١
١٥ ـ ٣٤	٣ر٣	٣ر٦	١ر٨	٢ر٢
٢٥ ـ ٤٤	٨ر٨	٨ر٤	٥ر٠	٥ر٧
٤٥ ـ ٦٤	٨ر٧	٨ر٠	٧ر١	١٠ر٤
٦٥ ـ ٧٤	٥ر١	٥ر٥	٥ر٢	٧ر٥
٧٥ +	١٠ر١	٨ر٨	٩ر٢	١٣ر٩
الجملة	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء مجموعة الاحصاءات الحيوية للجمهورية العربية المتحدة من سنة ١٩٣٠ ـ يوليو ١٩٦٨ ـ ص ١٠٥ ـ ١٣٥ •

وينبغى الاشارة الى أن دقة هذه المعـدلات ترتبط بدقة الاحصـاءات الحيوية وتدل الشواهد فى كل مكان تقريبا على أن تسجيل وفيات الرضع يكون أقل من الواقع وبذلك يكون ناقصا ـ ويتزايد هذا النقص حيثما كانت وفيات الرضع مرتفعة ويكون أكثر شيوعا بين الوفيات فى الساعات والايام الاولى من العمر ، ونتيجة ذلك فان بيانات وفيات الاطفال المبكرة تعـد أقل البيانات ثقة على الاطلاق(١) .

٤ ـ معدل الوفيات حسب السبب :

وهو من المعدلات المستخدمة فى دراسة الوفيات فى المجتمعات المختلفة حيث يبين مستوى الصحة العـامة والامراض السائدة وتفـاوت دورها فى الوفيات التى تحدث للافراد ، ونصنف الوفيات فى كثير من الاقطار حسب الاسباب التى أدت اليها وتعد هذه المعدلات أساسا هاما لمقـارنة الـدول حسب مستواها الصحى السائد .

وتحسب معدلات الوفيات حسب السبب عن طريق نسبة عدد الوفيات فى سنة ما الناجمة عن سبب ما الى جملة سكان منتصف السـنة مضروبا فى ١٠٠٠٠ أو١٠٠٠٠٠ ، وغالبا ما تحسب هذه المعـدلات لكل فئة عمـرية باستخدام نفس الصيغة لكل فئة من الفئات وتكون حينئذ معدلات وفيات عمرية سببية .

وعلى ذلك تكون صيغة هذا المعدل على النحو التالى :

$$\text{معدل الوفيات حسب السبب} = \frac{\text{عدد الوفيات الناتجة عن سبب ما فى سنة معينة}}{\text{جملة عدد السكان فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠٠٠$$

ويلاحظ أن مجموع معدلات الوفيات الخاصـة بالسبب فى المجتمـع يساوى معدل الوفيات به ، وهو فى تلك الحالة يكون لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة .

وبالرغم من أهمية المعدلات الخاصـة بالسبب الا أن البيانات اللازمة لحسابها لاتخلو من أخطاء أبرزها عدم الدقة فى تشخيص سبب الوفاة ، ذلك لان هذا الامر يرجع الى حـكم شخصى مباشر ، ولذا تتأثر بيـانات أسباب الوفاة بتفاوت المهارات الطبية والتوزيع الجغرافى للخدمات الطبية

---

(١) جـورج و. باركلى ـ أسـاليب تحليـل البيـانات السـكانية (مترجم) ـ القاهرة ١٩٦٨ ـ ص ٢١٤ .

فى داخل القطر الواحد أو بين الاقطار بعضها وبعض . ولذلك فان معدلات الوفيات الخاصة بالسبب غالبا ماتحسب لفئات عريضة من الاسباب حيث يمكن تمييز مجموعات رئيسية من الامراض المسببة للوفاة مثل الامراض المعدية والطفيلية وأمراض الجهاز الهضمى وامراض الجهاز التنفسى وأمراض الجهاز الدموى وأمراض الشيخوخة والحوادث .

٥ ـ معدلات الوفيات حسب المهنة والحالة الاجتماعية والاقتصادية :

بالاضافة الى المعدلات السابقة يمكن حساب معدل وفيات خاص بمجموعات سكانية محددة حسب نشاطها الاقتصادى ـ أو حسب المهن التى يمارسها الافراد ولاتختلف فى طريقة حسابها عن المعدل الخام أو العمرى النوعى حيث يكون عدد الافراد فى كل مهنة فى سنة معينة مقاما للصيغة الحسابية وعدد الوفيات من هؤلاء الافراد فى نفس المهنة بسطا لها وعلى ذلك فان صيغته تكون على الوجه التالى :

$$\text{معدل الوفيات حسب المهنة} = \frac{\text{عدد الوفيات فى مهنة معينة فى سنة ما}}{\text{عدد السكان فى نفس المهنة ونفس السنة}} \times ١٠٠٠$$

ويكون من الضرورى فى أغلب الاحيان حساب معدلات الوفيات الخاصة بالمهن لكل فئة عمرية للذكور والاناث كل على حدة .

وترجع أهمية معدل الوفيات المهنى الى تحديد مخاطر الوفاة المرتبطة بالمهن المتعددة التى يشملها النشاط الاقتصادى فى المجتمع فالتعدين والعمل فى المحاجر والصناعات الكيماوية أكثر خطورة من العمل الكتابى أو التجارى ولكن ينبغى الاشارة الى أن الوفيات المهنية ليست ناجمة بأكملها عن ظروف العمل المختلفة بل ترتبط باختلاف المهنة ومستوى الدخل والحالة التعليمية والمستوى الحضارى بصفة عامة ، كذلك فان من الامور الهامة فى معدلات الوفيات المهنية أن تكون خاصة بالعمر والنوع وذلك لاختلاف المهن اختلافا كبيرا فى التركيب العمرى النوعى للعاملين بها .

ومن الواضح أن معدلات الوفيات تختلف فى داخل المجتمع الواحد مرتبطة فى ذلك بتباين التركيب العمرى والنوعى ـ ولعل من مظاهر ذلك ارتفاع معدل الوفيات للذكور عن الاناث فى كل الاعمار وفى معظم الاقطار بالعالم كما أن الفجوة بين منحنى الوفيات العمرى الخاص بالذكور ، والخاص بالاناث تتسع بالتقدم فى العمر ، ويرتبط ذلك بعوامل بيولوجية أساسا .

الا أن تباين الوفيات بين الجماعات العرقية مثل الزنوج والبيض فى الولايات المتحدة والماورى والاوربيين فى نيوزيلنده يدل على أن العوامل البيولوجية ليست هى الاسباب الرئيسية لاختلافات الوفاة بين تلك الجماعات ، فى الوقت الذى تعد فيه العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية مسئولة عن ذلك الى حد كبير ، ولعل أبرز دليل على صحة القول هو هبوط معدل الوفيات فى اليابان - وهى دولة آسيوية - الى نفس مستوى مثيله فى الدول الاوربية .

وتبدو الفوارق العرقية من السمات الهامة لظاهرة الوفيات فى بعض المجتمعات مثل دول جنوب شرق افريقيا ، ففى جنوب افريقيا يختلف مستوى الوفاة بين البيض والاسيويين والافريقيين على النحو التالى(١) :

	معدل الوفيات الخام	معدل وفيات الرضع
الاوربيون	٦ر٨	٤ر٢٠
الاسيويون	٢ر٨	٤ر٦٨
الملونون	٣ر١٦	٩ر١٣١

ويبدو واضحا من مقارنة هذه الارقام مدى التناقض فى الوفيات بين هذه الجماعات حيث يتمتع البيض والاسيويون بمعدلات منخفضة عن الملونين ويرجع ذلك الى عدة عوامل اجتماعية واقتصادية - كما يرجع جزئيا الى التوزيع الجغرافى للسكان غير الافريقيين حيث يتركزون فى المدن وهى التى يتوفر فيها الاطباء وتتركز المستشفيات .

وتعد الفوارق الحضرية الريفية ظاهرة هامة فى اختلاف مستوى الوفيات ، ففى بعض الفترات كانت المدن الكبرى فى انجلترا أقل فى مستواها الصحى عن الريف الانجليزى وعانت كثيرا من ارتفاع الوفيات بها ، الا أن هذه الفوارق قد انتهت فى السنوات الأخيرة نتيجة التقدم الطبى وتحسين ظروف العيش فى المدن وتركز المستشفيات والاطباء بها ، وقد أصبح هذا العامل الاخير سببا فى خفض معدلات الوفيات بالمدن عنها فى الريف فى الوقت الحاضر ويبدو ذلك بوضوح فى الدول النامية التى يقل فيها معدل الوفيات فى الحضر عنه فى الريف ، ومع ذلك فليست هذه هى القاعدة العامة فى تباين الوفيات الحضرى الريفى ذلك لان التناقض بينهما يكون كبيرا فقط فى وفيات الاطفال الرضع .

---

(1) Clarke J. Population Geography. Op. Cit., p. ,16,

اتجاه الوفيات وتطورهـا :

شهد العالم بمختلف قاراته هبوطا فى مستوى الوفيات فى العصر الحديث عما كان عليه من قبل وكان هذا الهبوط سابقا عن انخفاض الخصوبة فى دول العـالم وارتبط فى ذلك بمظاهر التقـدم الحضارى الاجتماعى والاقتصادى وخاصة فى الدول المتقـدمة ، وبالرغم من أن الوفيـات قـد انخفضت فى القارات المتقدمة (أوربا وأمريكا الشمالية واستراليا) مبكرا، الا أنها استمرت فى الانخفاض التدريجى بنسبة أقل من القارات النـامية حتى الستينيات من هذا القرن كما يبدو من مقـارنة الارقام الواردة فى الجدول رقم (١٢) .

جدول رقم (١٢) تطور معدل الوفيات الخام فى أقاليم العالم منـذ سـنة ١٩٣٧(١)

الاقـليم	معدل الوفيات الخام		
	حوالى ١٩٣٧	حوالى ١٩٧٦	١٩٩١
أفريقيـا	٣٠ ـ ٣٥	١٩	١٤
آسـيا	٣٠ ـ ٣٥	١٣	٩
أمريكا اللاتينية	٢٠ ـ ٢٥	٩	٧
أوربا وأمريكا الشمالية وكومنولث الدول المستقلة واستراليـا	١٣ ـ	٩	٩
العـالم	٢٤ ـ ٢٧	١٣	٩

ويمكن تقسيم اتجاه الوفيات فى العالم الى نمطين رئيسيين : نمـط الهبوط فى العالم المتقدم ، والاخر فى العالم النامى ، وقد حـدث الاول منذ فترة مبكرة فى بعض الدول المتقدمة فى القرن الثامن عشر والتاسـع عشر وأوائل العشرين كما فى أوربا وأمريكا الشمالية واستراليا،وقد شهدت الدول الاسكندنافية هبوط الوفيات بها فى القرن الثامن عشر ، وشهد معظم باقى قارة أوربا ذلك فى الربع الاخير من القرن التاسـع عشر ، ومازال

(1) United Nations, World Population Trends, 1920-1947. Population Studies, No. 3 (1949) and Demographic Year book 1978.
NED., Populations et Sociétés. 1991, No. 259.

الهبوط مستمرا فى معدلات وفيات الرضع وان كانت قد وصلت الى مرحلة استقرار فى الوقت الحاضر كما وصل معدل الوفيات الخام الى نفس المرحلة ولم تعد مشكلة هذه الدول مرتبطة بتخفيض وفيات الرضع ولكن محاولة تخفيض معدل وفيات المسنين عن طريق مقاومة الامراض التى تؤدى الى ذلك مثل أمراض الجهاز الدورى الدموى والسرطان حيث شهدت بعض الدول المتقدمة تزايدا فى الوفيات بين كبار السن من هذه الامراض وغيرها، ولاشك أن تزايد معدل الوفيات بالتقدم فى السن أمر حتمى ـ ناتج عن انخفاض الوفيات فى الاعمار المبكرة .

وكانت دول شمال أوربا أولى دول العالم التى شهدت هبوطا فى معدل الوفيات ، حيث انخفض من ٣٠ فى الالف فى المتوسط فى بداية القرن التاسع عشر الى ١٨ فى الالف سنة ١٩٠٠ ثم الى ٩ فى الالف فى الوقت الحاضر ، ويرجع ذلك لمجموعة من الاسباب المتشابكة من أبرزها الاكتشافات العلمية الحديثة فى مقاومة الامراض وتحسين مستويات العيش ، وقبل سنة ١٧٥٠ لم يكن للرعاية الطبية أثر فى تحسين المستوى الصحى العام للشعوب ، ثم أدخلت بعد ذلك دراسات طبية مثل الجراحة والتشريح وغيرها مما كان له اثر فى معرفة بعض أسباب الوفاة ومقاومة بعض الاوبئة والامراض المعدية فبعد سنة ١٧٩٦ وبفضل أبحاث جنر Jenner بدأ التطعيم ضد الجدرى وأصبح معروفا بعد ذلك ، مما أدى الى خفض معدلات الوفيات الناتجة عن هذا المرض والذى كان مسئولا عن حوالى ١٠٪ من جملة الوفيات وحوالى ٣٠٪ من وفيات الاطفال أقل من ٤ سنوات(١) .

وقد واكب الاكتشافات الطبية لمقاومة الامراض تقدم اقتصادى فى نفس الفترة شمل تطورا كبيرا فى وسائل النقل وثورة فى الصناعة وما ترتب على ذلك من تزايد فى علاقات الشعوب ترتب عليها أيضا انتشار الاكتشافات الطبية خارج القارة الاوربية ، كذلك فقد أسهم التقدم الزراعى فى توفير الغذاء لعدد أكبر من السكان .

وقد انخفض منحنى الوفيات فى كثير من دول غرب أوربا انخفاضا ملموسا فى القرن التاسع عشر ، وكان لتصدير الخبرة الاوربية الى خارج أوربا أثر كبير فى تخفيض معدلات الوفيات فى فترة أسرع من مثيلتها فى الدول الاوربية ، ففى الوقت الذى استغرق فيه المعدل قرنا من الزمان لكى

---

(1) Beaujeu - Garnier, J., Geography of Population, Op. Cit.. p.88.

يهبط من ٣ر٢٣ فى الالف سنة ١٨٥٠ الى ٦ر١١ فى الالف سـنة ١٩٦٠ فى بعض الدول الاوربية ، نجد أن ذلك لم يستغرق أكثر من ثلاثين عاما فقط فى اليابان ، حيث انخفض المعـدل بها من ٢٣ فى الالف سـنة ١٩٢٠ الى ٦ر١١ فى الالف سنة ١٩٤٩ ، وقد شهدت الاقطار الاخرى خارج أوربا والتى يسكنها سـكان من أصل أوربى هبوطـا مماثلا كمـا هى الحـال فى كندا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندا ثم تبعتها بعد ذلك دول أخرى كثيرة فى باقى العالم ٠

وعلى النقيض من ذلك فان الهبوط فى الوفيات فى الدول النـامية لم يحدث الا فى العقدين أو الثلاثة عقود الاخيرة فيما بعد الحـرب العـالمية الثانية ، وأدى ذلك الهبوط فى الوفيات مع استمرار معدلات الخصوبة على وضعها الطبيعى الى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بهذه الدول ، وقد انعكس ذلك على تزايد الفئات العمرية الصغرى بها ، وقد كان هذا الهبوط فى مستوى الوفيات ناتجا عن اعتماد هذه الدول النامية على الاسـباب والوسائل الطبية الحديثة التى استوردتها من الدول المتقدمة مما أدى فى النهاية الى استمرار تزايد أمد الحياة(Life expectancy) حتى بدون أن يرتبط ذلك بتقدم اقتصادى كبير فى هذه الدول ٠

ومع ذلك فان الدول النامية لم تشهد كلها هبوطا فى الوفيات بدرجة متساوية حيث كان الهبوط ضئيلا فى بعضها مثل الهند والبرازيل ـ وكثيرا فى البعض الاخر مثل تايوان وسريلانكا وفنزويلا ، وعلى العمـوم فـان التباين فى مستوى الوفيات يكون بصورة أوضح بين الدول النامية أكثر منه بين الدول المتقدمة وخاصة عندما يكون هـذا التباين مرتبطا بالمهنـة أو المستوى الاقتصادى والاجتماعى مثل الفئات المهنية والمجموعات العرقية وبين المجتمعات الحضرية والريفية ٠

المستوى الحالى للوفيات فى العالم :

تقدر الامم المتحدة معدل الوفيات فى العالم سنة١٩٩١بحوالى ٩ فى الالف وتتباين أقاليم العالم فى هذا المعدل تباينا كبيرا حيث يتراوح مداه بين٨الى ١٩ فى الالف (جدول رقم١٣ وشكل رقم ١٥) ويعد المستوى الحالى للوفاة نتاجا لجهود الدول فى الفترة السابقة فى محاولة تخفيض وفيات سـكانها بشتى الوسائل كما سبق القول فقد انخفض المعدل فى الدول المتقدمة على امتداد فترة طويلة ، ولاشـك أن نسـبة الانخفاض فى هذا المعدل ستكون ضئيلة ان حدث هبوط بعـد ذلك كما هو ظاهر فى معظم الدول الاوربية وأمريكا الشمالية واستراليا واليابان والاتحاد السوفيتى ٠

وقد تميز الاتحاد السوفيتى بجهود كبيرة فى سبيل رفع المستوى الصحى لسكانه ، فقد كان هناك طبيب واحد لكل ١٦٥٠ نسمة فى سنة ١٩٣٧ انخفضت هذه النسبة الى طبيب لكل ٦٦٦ نسمة سنة ١٩٥٦ ، وقد استطاع السوفيت التغلب على كثير من الامراض مثل الجدرى والدفتريا والتيفود وغيرها من الامراض المعدية ، كذلك انخفضت حالات الدرن الى ١/١٠ أو ١/١٥ مما كانت عليه من قبل وانشئت كثير من المستشفيات التى أسهمت فى رفع المستوى الصحى ٠

أما الدول النامية والتى شهدت هبوطا كثيرا فى مستوى الوفيات ، فمازال المعدل بها أعلى من مثيله فى الدول المتقدمة ويعد ذلك ناتجا عن عدد من العوامل المتشابكة أهمها تخلف هذه الاقطار الاقتصادى والاجتماعى وفقر البيئة المحلية ، وكثير من الدول تعوزه الارقام الدقيقة عن المستوى العام للوفاة بها وتعتمد فى ذلك على تقديرات لمعدلات الوفاة أجريت فى هذه الدول أو باستخدام أرقام التعدادات بها ، وهذه الاقطار تقع فى النطاق المدارى فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وجنوب شرق آسيا ، بالرغم من أن كثيرا من دول هذا النطاق قد خطا نحو رفع المستوى الصحى خطوات ملحوظة وخاصة فى المدن الا أن كثيرا من قطاعات السكان مازال فى مستوى صحى متخلف وخاصة فى المناطق الريفية ٠

ويبدو من جدول رقم (١٣) أن قارة أفريقيا تعد أعلى القارات فى مستوى الوفيات حتى أن معدل الوفيات الخام بها يصل الى ضعف مثيله فى العالم المتقدم وأكثر من الضعف فى أمريكا اللاتينية ، ومن الملاحظ أن مستوى الوفاة فى قارتى آسيا وأفريقيا هو الذى يحدد معدل الوفيات فى الدول النامية بصفة عامة ذلك لان هاتين القارتين تحويان أكثر من ٨٥٪ من سكان العالم النامى ، كذلك يوضح الجدول مدى التجانس فى مستوى الوفاة بين أقاليم العالم المتقدم والتباين فى الاقاليم النامية والتى يختلف المعدل بها من ٩ الى ١٣ فى الالف ٠

تطور وفيات الرضع :

سبق القول بأن معدل وفيات الاطفال الرضع يبين عدد الوفيات من الاطفال الذين يقل عمرهم عن سنة وذلك من بين كل ١٠٠٠ مولود حى فى السنة نفسها ، وتلقى دراسة وفيات الرضع أهمية خاصة فى الحديث عن الوفيات فى أى مجتمع حيث ترتفع معدلات الوفيات فى هذه المرحلة العمرية ارتفاعا ملموسا وبالتالى فانها تشكل جزءا كبيرا من مجموع الوفيات حيث يكون الاطفال القاعدة العريضة للهرم السكانى بصفة عامة ٠

جـدول رقم (١٣)

معدل الوفيات الخام فى أقاليم العالم فى عامى ١٩٧٦ ، ١٩٩١(١)

الاقـليم	جملة عدد السكان بالمليون سنة ١٩٩١	المعدل فى الالف	
		١٩٧٦	١٩٩١
العالم المتقدم	١٢١٩	٩	٩
أوربا	٥١٥	١٠	١٠
الولايات المتحدة	٢٥٣	٩	٩
كومنولث الدول المستقلة	٢٧٩	٩	١٠
اليـــــابان	١٢٤	٦	٧
كندا واستراليا ونيوزيلندا	٤٨	٩	٧
العـــالم النامى	٤١٦٥	١٤	١٠
أفريقيـــــا	٦٧٧	١٩	١٤
آسيا باستثناء اليابان	٣٠٣٧	١٣	٩
أمريكا اللاتينية	٤٥١	٩	٧
جملة العالم	٥٣٨٤	١٣	٩

ولقد سبق الحديث عن مشـكلات دراسة وفيات الرضـع وخاصـة أن احصاءاتهم الحيوية تكون مبهمة وغير موثوق بها تماما فهناك مثلا مشكلة الاطفال الذين يموتون بعد مولدهم بقليل حيث أنهم قد لايقيدون ضمـن المواليد أو الوفيات ، ويضـاف الى ذلك أن تعـريف المولود الحى (Live birth) يعد مشكلة أخرى حيث يختلف الرأى حول تحديد هـذا التعريف حتى بين الاطباء أنفسهم وليس بين الديموغرافيين فقط الذين يختـلط عليهم الامر أحيـانا فى تحـديد وفيات الرضـع أو المولودين أو حـالات الاجهاض .

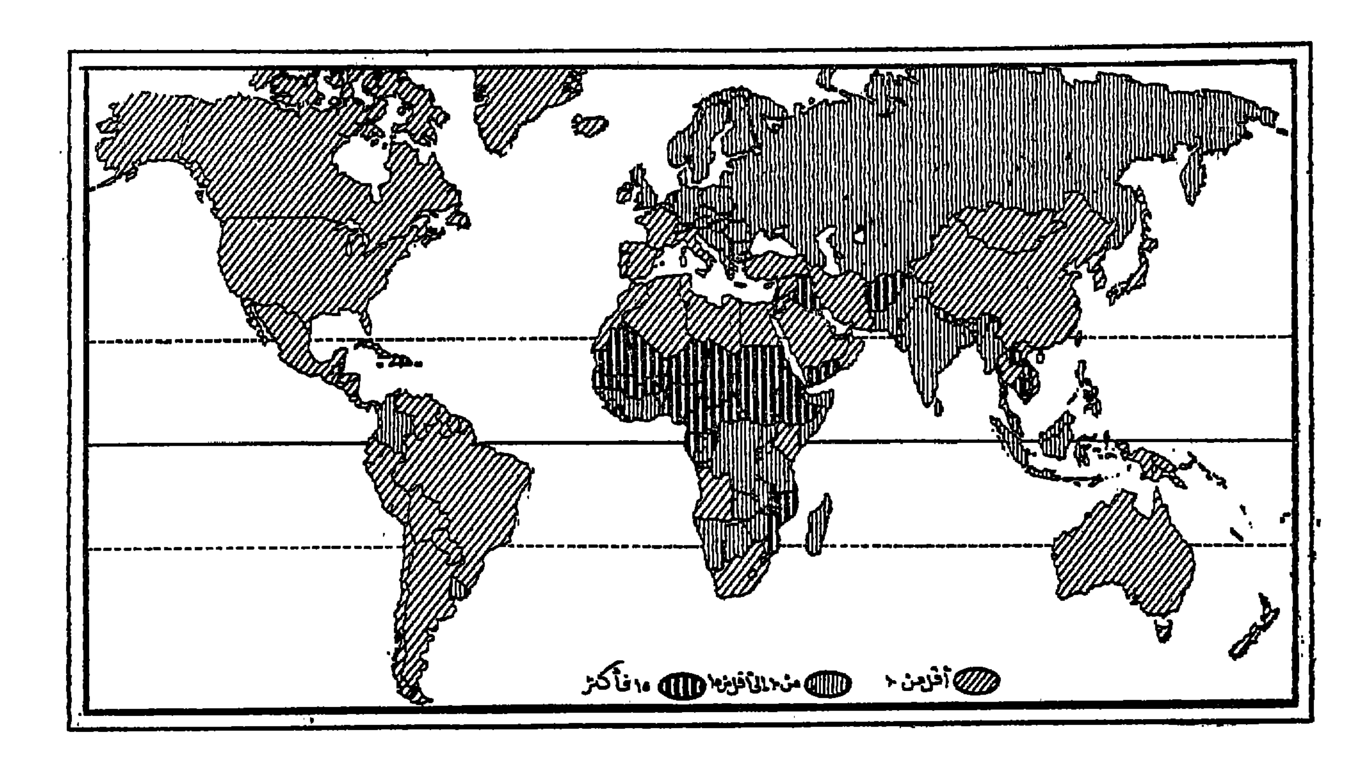
ولقد كانت معدلات وفيات الاطفال الرضع مرتفعة بدرجة ملحوظة فى معظم دول العالم ، فيقدر جون جرونت (John Graunt) أنه فى حوالى سنة ١٦٦٢ لم يكن يعيش من بين كل ١٠٠٠ طفل يولدون فى لندن ســوى

---

(١) المصـــدر :

(1) U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1977, p. 14.

INED., Populations et Sociètés, 1991, No. 259.



شكل رقم (١٥)
مستوى الوفيات فى العالم (المعدل فى الالف)

٦٤٠ فقط حتى سن السادسة وكذلك بالنسبة لفرنسا حيث قدر دوبريه دى سان مور (Duprés de St. Maur) أنه من بين كل ١٠٠٠ طفل يولد لم يعش الى سن الخامسة سوى ٥٤٠ طفلا ، وفى السويد فى نهاية القرن الثامن عشر كان يموت دون السنة الواحدة من العمر ٢٠٠ طفلا من بين كل ١٠٠٠ مولود خلال نفس السنة.وتوضح هذه الارقام أن وفيات الاطفال فى السنوات القليلة الاولى من أعمارهم كانت مرتفعة للغاية فى أوربا قبل أن يصبح للثورتين الصناعية والزراعية تأثير كبير فى اقتصاد دولها،ومع ذلك فقدبدأت هذه المعدلات فىالتناقص فى بعض هذه الدول منذ نهاية القرنالثامن عشر.

ويبين الجدول رقم (١٤) تطور معدل الوفيات للاطفال الرضع منذ أوائل القرن العشرين فى بعض الدول وتبدو منه حقيقتان هامتان . الاولى الانخفاض الكبير الذى شهدته كل الدول دون استثناء وان كان هذا الهبوط بنسب متفاوتة،والحقيقة الثانية أن مستوى وفيات الرضع فى الدول النامية فى الوقت الحاضر يتشابه الى حد كبير مع نفس المستوى للدول المتقدمة فى أوائل هذا القرن وبفارق زمنى يصل الى ستين عاما . شكل رقم (١٦) .

جدول رقم (١٤) تطور وفيات الرضع فى بعض الدول(١)

الدولة	١٨٩٨- ١٩٠٢	١٩١٨- ١٩٢٢	١٩٣٨- ١٩٤٢	١٩٤٨- ١٩٥٢	١٩٥٦- ١٩٦٠	١٩٧٦	١٩٩١
السويد	٩٨	٦٥	٣٨	٢٢	١٧	٨	٦
بريطانيا	١٥٢	٨٥	٥٤	٣١	٢٣	١٤	٨
الدانمرك	١٣١	٨٤	٥٤	٣٢	٢٤	١٠	٨
فرنسا	١٥٤	١١٢	٧٣	٥٣	٣٢	١٣	٧
اليابان	١٥٥	١٧٢	٩٦	٥٨	٣٦	١٠	٥
استراليا	١١١	٦٣	٣٩	٢٥	٢١	١٤	٨
الهند	(*)	٢١٢	١٥٩	١٢٤	٩٨	١٣٤	٩١
شيلى	٣٤٩	٢٥٨	٢١٤	١٤١	١٢٠	٦١	١٩
مصر	(*)	(*)	١٦٠	١٣٢	١١٧	١٠٨	٧٣
تشاد	(*)	(*)	(*)	(*)	(*)	٢٠٠	١٢٧
غينيا	(*)	(*)	(*)	(*)	(*)	٢٢٠	١٤٧

(١) أ ـ تومبسون و ، لويس د. ـ مشكلات السكان ـ ترجمة راشد البراوى ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ ـ ص ٥٥٠ .

ب ـ (*) بيانات غير متوفرة .

جـ ـ U. S. Department of Commerce, Op. Cit.,

د ـ INED., Populations et Sociètés, 1991, No. 259.

أقل من ٥٠ ٪
من ٥٠ - ١٠٠ ٪
أكثر من ١٠٠ ٪

شكل رقم (١٦)
معدل وفيات الرضع

وتتأثر وفيات الرضع بمجموعة من العوامل أهمها العوامل الاجتماعية والاقتصادية للاسرة بل وكذلك الظروف المناخية السائدة،ذلك لان ظروف البيئة المحلية التى يولد فيها الطفل تكون ذات أثر فعال فى حياته ، وقد أثبتت بعض الدراسات أن هناك علاقة عكسية بين معدلات وفيات الاطفال الرضع والحالة الاجتماعية والاقتصادية ، ففى فرنسا وجد أن متوسط وفيات الرضع فى الفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٧٠ يصل الى ٢٠ فى الالف ولكن هذا المعدل يختلف فيما بين الطبقات الاجتماعية حيث يصل الى ١٢ عند الطبقات الاجتماعية العليا و ١٧ عند الطبقات الوسطى وأغلب أفرادها من التجار المهنيين الموسرين و ٢٤ فى الالف بين العمال الزراعيين و ٢٨ بين العمال الحرفيين ومن على شاكلتهم(١) وذلك كله لان حياة الرضيع تتأثر فى أيامها المبكرة بالظروف المحيطة به الى حد كبير ومدى ماتوفره له من أسباب الرعاية الصحية والتغذية السليمة .

كذلك يبدو أثر الظروف المناخية فى تباين معدلات وفيات الرضع،ذلك لان ارتفاع درجات الحرارة يؤثر فى انتقال الامراض المعدية بينما يؤثر انخفاضها فى الجهاز التنفسى للاطفال والذين يكونون أكثر حساسيةللتغيرات المناخية وظروف الطقس .

وتختلف أسباب وفاة الرضع حسب العمر اختلافا جوهريا فهى ترتفع ارتفاعا واضحا فى الايام الاولى ، ففى الشهر الاول تكون أسباب الوفاة داخلية ، كامنة يولد الطفل بها فى الغالب ، أو ترتبط بعملية الميلاد ذاتها، وهى تمثل نسبة عالية من مجموع وفيات الرضع حتى فى البلاد المتقدمة التى تنخفض فيها معدلات الوفيات انخفاضا ملحوظا .

وليست هناك فوارق جوهرية فى معدل الوفيات لأقل من شهر بين الدول كما هى الحال فى الفوارق السائدة فى المعدل السنوى لاقل من سنة، وذلك لان الوفيات خلال الشهر الاول تكون لاسباب كامنة - كما سبق القول وليست بيئية فى الغالب ، ولكن على العكس من ذلك تبدو فى الاحد عشر شهرا التالية الفوارق الجوهرية بين الدول،ذلك لان الاسباب فى خلال هذه الشهور تكون ناتجة عن ظروف البيئة الاقتصادية والاجتماعية مما يمكن تسميته بالاسباب الخارجية ، وهى تشمل الامراض المعدية التى

---

(1) Gerard. M. et Henry, La Mortalité Infantile en France Suivaut Le Mèlieu Social, International Population Conference Liege. 1973. Vol. 3. pp. 171-183.

تساعد ظروف البيئة على انتشارها ، ومن الثابت أنه فى دول مثل فرنسا فان نصف وفيات الرضع تنتج خلال هذه الفترة عن أسباب اجتماعية تتعلق بظروف الاسكان والمستوى الاجتماعى للافراد •

ويمكن القول بأن الاسباب الخارجية المؤثرة فى وفيات الرضع هى التى يمكن التحكم فيها الى درجة كبيرة وهى التى تؤثر فى انخفاض معدلات الوفيات العامة على مستوى الدولة ، أما الاسباب الكامنة فمن الصعب التحكم فيها وقلما يكون هناك تأثير واضح لها على مستوى الوفاة فى الدولة كلها ، ففى اليابان مثلا هبط معدل الوفيات للاطفال الرضع من ٧ر٦١ فى سنة ١٩٤٨ الى ٨ر٣٩ فى سنة ١٩٥٥ ، ورغم ذلك فان معدلات الوفيات للاسبوع الاول بعد الولادة ظلت ثابتة ولم يهبط معدل الشهر الاول الا بمقدار ٦ وحدات فقط (من ٢ر٢٨ الى ٤ر٢٢ فى الالف) بينما بلغ الهبوط فى معدل الاحد عشر شهرا الاخيرة ١٦ وحدة (من ٥ر٣٣ الى ٥ر١٧ فى الالف) •

أسباب الوفيات :

سبق القول بأن بيانات أسباب الوفاة تتأثر ببعض العوامل منها تفاوت المهارة الطبية والتوزيع الجغرافى للخدمات الصحية ومن ثم لا تصبح المقارنات الاقليمية على مستوى واحد من الدقة فى حساب معدلات الوفيات وفضلا عن ذلك فقد يكون هناك سببان أو أكثر مؤديان الى الوفاة دون وجود أساس واضح للاختيار بينهما ، وحتى يمكن تجنب أخطاء البيانات فانه يمكن حساب معدلات الوفيات الخاصة بالسبب لفئات عريضة من الاسباب ، ويمكن تمييز فئات رئيسية معينة من الامراض المعدية ربما الملاريا وأمراض الجهاز التنفسى والهضمى والحوادث ببعض الوضوح، وحتى مع وجود مستوى عال للدقة فان هذه المعلومات من الاهمية بدرجة يجوز معها التجاوز عن بعض أخطاء التشخيص بها(١) •

كذلك فقد سبق القول بأن هناك مجموعتين من الاسباب المؤدية للوفاة احداهما مجموعة الاسباب الكامنة Endogenetic والثانية مجموعةالاسباب الخارجية Exogenetic وتعد المجموعة الاخيرة نتاجا من نتائج البيئة الجغرافية ، وتشمل الامراض الطفيلية والمعدية وأمراض الجهاز الهضمى، وهذه ترتبط أساسا بالميكروبات وبالظروف المناخية وموارد الغذاء وأحوال

---

(١) باركلى — المرجع السابق — ص ص ٢٢٩ — ٢٣١ •

المعيشة ، وعلى العكس من ذلك فان الاسباب الكامنة تعد فى معظمها بيولوجية وهى فى ذلك ترجع الى أسباب خلقية Congenital أو راجعة الى تغير سريع فى التركيب الوظيفى للجسم ، وتعتبر العوامل المؤدية الى وفيات الرضع فى الايام الاولى من حياتهم وكذلك الاورام الخبيثة وأمراض الجهاز الدورى والدموى ضمن هذه الاسباب الكامنة .

وليس الامر كذلك فى الامراض الكامنة التى ارتفع معدل الوفيات بها ارتفاعا ملحوظا ، ويعد السرطان وهو أحدها فى تزايد مستمر بل يقدر أن نسبة الاصابة به قد تضاعفت حوالى ١٥ مرة - ويعزى بعض الباحثين ذلك الى انه يصيب السكان فى الاعمار المتقدمة فى معظم الاحوال ولما كان أمد الحياة فى تزايد مستمر وبالتالى يتزايد عدد السكان فى الاعمار الكبيرة فان حالات الوفاة تكون كثيرة بينهم ومن أسبابها هذا المرض الذى بدأ تشخيصه ومحاولة التصدى له يحظى باهتمام كبير فى دول العالم .

ويبدو من مقارنة معدلات الوفيات حسب الاسباب فى الدول المتقدمة مثل فرنسا ودول الكومنولث الجديد (جدول رقم ١٥) أن أسباب الوفيات الرئيسية بها مختلفة حيث تسهم الاسباب الداخلية بنسبة عالية فى الوقت

جدول رقم (١٥) معدل الوفيات حسب السبب والنوع
(لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة) فى فرنسا والكومنولث الجديد(١)

السبب	ذكور		اناث	
	فرنسا	الكومنولث	فرنسا	الكومنولث
أمراض معدية	١٥	٣٤	٨	١٥
أورام خبيثة	٣٢٠	٢٦٣	١٤٠	١٢٦
أمراض الدورة الدموية	٣٦٣	٨٨٦	٢١٦	٦٠٧
أمراض الجهاز التنفسى	٧٨	١٦٧	٣٣	٧٢
أمراض الجهاز الهضمى	٧٠	٥٣	٣٥	٢٥
أسباب أخرى	١١٦	٢٠٦	٥٣	٥٦
الجملة	١٠٧٨	١٦٨٠	٥٦٩	٩٤٧

---

(١) المصدر :
INED., Population et Socièté́s, Avril 1988, No. 223.

الذى يقل فيه دور الاسباب الخارجية (جدول رقم ١٥) ، وعلى العموم فان دول شمال غرب أوربا ودول الكومنولث تتصف باعلى نسبة فى وفيات الامراض الكامنة الداخلية ، بل أن ثلث الاسباب الداخلية لوفيات الذكور فى فرنسا ونصف وفياتهم فى دول الكومنولث تتعلق بأمراض الدورة الدموية أما الاورام فان تزايد أمد الحياة وتعمر السكان كانا من الاسباب التى أدت الى ارتفاع نسبتها فى هذه الدول ٠

أمد الحياة Expectation of Life :

كان لاستمرار انخفاض معدل الوفيات وخاصة فى الاعمار المبكرة أثره الواضح فى ارتفاع متوسط طول عمر الفرد مما أدى الى تزايد عدد السكان الذين يصلون الى أعمار متقدمة فوق الستين أو الخامسة والستين ، ولقد تزايد متوسط العمر عند الوفاة فى احدى المناطق بفرنسا من ٢٦ سنة فى سنة ١٧٢٧ الى ٣٣ سنة فى سنة ١٧٩٦ ثم الى ٣٨ سنة فى سنة ١٨٢٠ و ٥٢ سنة فى نهاية القرن التاسع عشر حتى وصل الى ٥٧ سنة عند مشارف الحرب العالمية الثانية ، ويعد هذا النمط المتزايد هو المميز لكثير من دول العالم فى الوقت الحاضر ٠

ويقاس أمد الحياة باستخدام أساليب احصائية تعتمد على جدول الحياة ويحسب دائما عند الميلاد أو عند أى فئة عمرية ، وهو ببساطة عبارة عن عدد السنوات التى يتوقع أن يعيشها الفرد الواحد فى أى سن معلومة ، وهو يحسب باستمرار للذكور والاناث كل على حدة(١) ٠

ومن الملاحظ ان توقع الحياة يكون بالنسبة للاناث أكبر منه كثيرا بالنسبة الى الذكور فى كل الفئات العمرية وذلك لما تتصف به الاناث من امكانية البقاء على قيد الحياة لفترة أطول منها عند الذكور ويفسر ذلك الى حد بعيد الزيادة الكبيرة فى عدد الارامل من الاناث عنها فى الذكور وذلك فى المراحل المتأخرة من العمر ٠

كذلك فان من الملاحظ على منحنى توقع الحياة العمرى أنه يكون فى سن الواحد من العمر بالضبط أعلى منه عند الميلاد بالنسبة لكل من الذكور والاناث ويرجع ذلك بوجه عام الى أن وفيات الاطفال الرضع تمثل خطرا كبيرا يتعرض له المولودون حديثا وبذا يكون احتمال الوفاة لديهم أكبر بكثير منه لدى جميع الاطفال والبالغين فى أى سن ابتداء من سن الواحدة

---

(١) تومبسيون ولويس : المرجع السابق : ص ٥٣٦ ٠

حتى سن الخمسين ، ومع هذا فان الانخفاض الكبير فى وفيات الاطفال هو الذى يفسر معظم الزيادة فى توقع الحياة منذ القرن الماضى وبقية هذه الزيادة يفسرها النقص فى معدلات الوفيات بالنسبة الى الاطفال من ١ – ١٤ والشباب من ١٥ – ٢٥ سنة .

ومما له أهمية كبيرة فى دراسة أمد الحياة ، مقارنته على امتداد فترة زمنية طويلة لدراسة مدى التغير الذى اعتراه وما يعكسه ذلك من تطور صحى واجتماعى واقتصادى ولعل فى مقارنة تطور توقع الحياة فى فرنسا مايدل على ذلك (جدول رقم ١٦) حيث ارتفع أمد الحياة بمقدار ثلاثين عاما لكلا الجنسين على امتداد فترة تزيد على ١٢٠ سنة .

جدول رقم (١٦) تطور أمد الحياة فى فرنسا
حسب النوع – منذ سنة ١٧٤٠ – ١٧٤٩(١)

الفترة	أمد الحياة عند المولد بالنسبة: اناث	ذكور	فرق
١٧٤٩–١٧٤٠	٢٥ر٧	٢٣ر٨	١ر٩
١٧٥٩–١٧٥٠	٢٨ر٧	٢٧ر١	١ر٦
١٧٦٩–١٧٦٠	٢٩ر٠	٢٦ر٤	٢ر٦
١٧٧٩–١٧٧٠	٢٩ر٦	٢٨ر٢	١ر٤
١٧٨٩–١٧٨٠	٢٨ر١	٢٧ر٥	٠ر٦
١٧٩٩–١٧٩٠	٣٢ر١	—	—
١٨٠٩–١٨٠٠	٣٤ر٩	—	—
١٨١٩–١٨١٠	٣٧ر٥	—	—
١٨٢٩–١٨٢٠	٣٩ر٣	٣٨ر٣	١ر٠
١٨٣٧–١٨٣٥	٤٠ر٧	٣٩ر٢	١ر٥
١٨٤٦–١٨٤٥	٤١ر٩	٤٠ر٧	١ر٢
١٨٥٧–١٨٥٥	٤٠ر١	٣٧ر٧	٢ر٤
١٨٦٥–١٨٦١	٤٠ر٦	٣٩ر١	١ر٥
١٨٨١–١٨٧٦	٤٣ر٦	٤٠ر٨	٢ر٨
١٨٩٨–١٨٩٨	٤٨ر٧	٤٥ر٣	٣ر٤
١٩١٣–١٩٠٨	٥٢ر٤	٤٨ر٥	٣ر٩
١٩٢٣–١٩٢٠	٥٥ر٩	٥٢ر٢	٣ر٧
١٩٣٣–١٩٢٨	٥٩ر٠	٥٤ر٣	٤ر٧
١٩٣٨–١٩٣٣	٦١ر٦	٥٥ر٩	٥ر٧
١٩٥٦–١٩٤٦	٦٧ر٤	٦١ر٩	٥ر٥
١٩٥٦–١٩٥٢	٧٠ر٩	٦٤ر٧	٦ر٢
١٩٦٤–١٩٦٠	٧٤ر٣	٦٧ر٢	٧ر١
١٩٧٠–١٩٦٦	٧٥ر٢	٦٧ر٧	٧ر٥
١٩٧٧–١٩٧٣	٧٧ر٠	٦٩ر١	٧ر٩
١٩٨٦–١٩٨٤	٧٩ر٥	٧١ر٣	٨ر٢
١٩٩١–١٩٨٩	٨٠ر٦	٧٢ر٤	٨ر٢

(١) المصدر :

INED., Population et Sociétés, Nov. 1988, No. 229.

ويرجع هذا الارتفاع فى متوسط أمد الحياة الى مجموعة من العوامل أبرزها التقدم السريع الذى أحرزته البشرية وخاصة فيما بعد الحرب العالمية الثانية فى مجال مقاومة الامراض وخاصة المعدية منها وذلك فيما يعرف بالمضادات الحيوية وغيرها ، وقد استفادت دول كثيرة ومنها الدول النامية بطبيعة الحال من هذا التقدم الطبى مما انعكس على تزايد أمد الحياة لسكانها فى مختلف الاعمار .

وتختلف دول العالم فى أمدة الحياة لسكانها اختلافا كبيرا مثل اختلافها فى كثير من المقاييس الحيوية الاخرى ـ ويمكن تقسيم هذه الدول الى ثلاث مجموعات رئيسية حسب توقع الحياة عند المولد يبينها الجدول رقم (١٧) والشكل رقم (١٧) .

جدول رقم (١٧) متوسط أمد الحياة فى أقاليم العالم ١٩٩١
(متوسط الجنسين عند المولد)(١)

الاقليم	أمد الحياه بالسنه	الاقليم	أمد الحياه بالسنه
أفريقيا	٥٣	الاوقيانوسية	٧٢
آسيا	٦٤	أمريكا الشمالية	٧٥
أمريكا اللاتينية	٦٧	أوربا (بدون الكومنولث)	٧٥
كومنولث الدول المستقلة	٧٠	متوسط العالم	٦٥

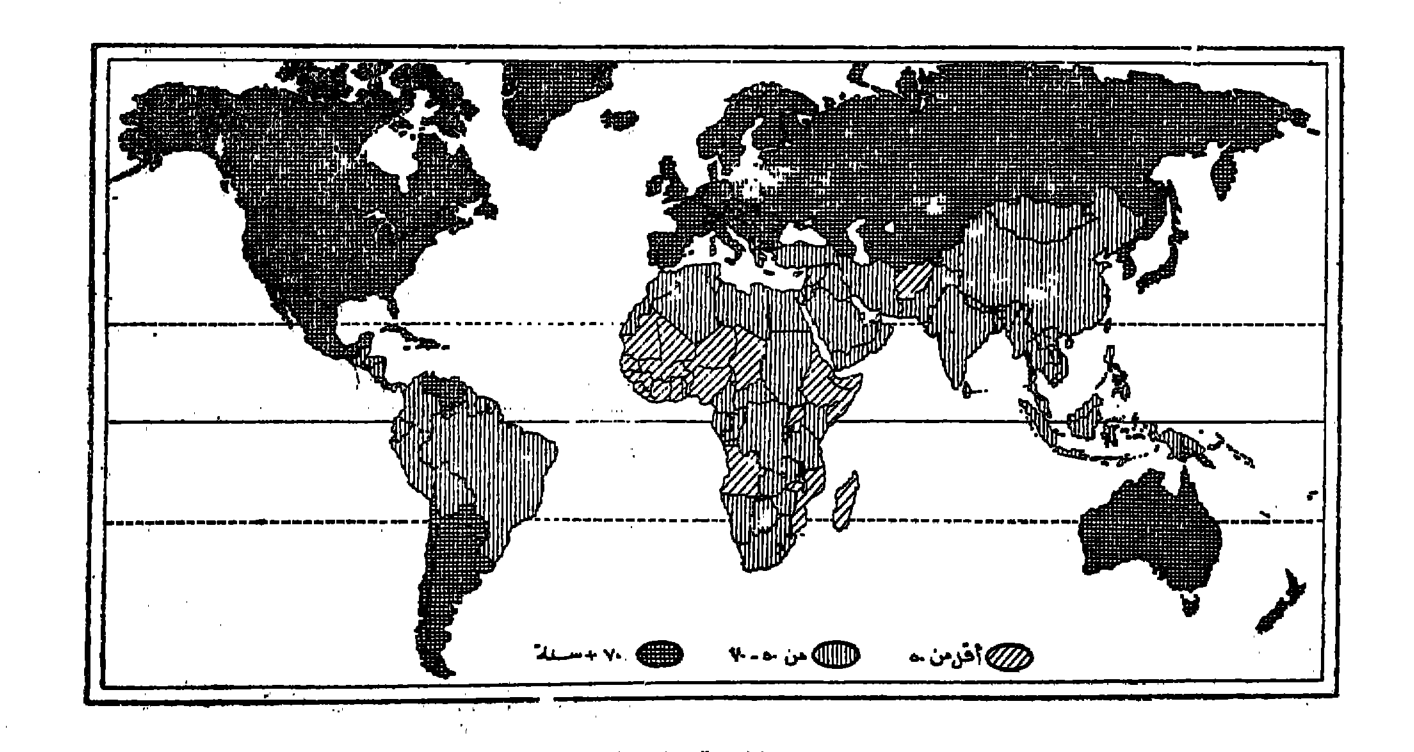
المجموعة الاولى : وهى التى يقل أمد الحياة بها عن ٥٠ سنة وهذه تشمل بعض دول أفريقيا المدارية (وعند كثير من الجماعات البدائية فى البيئات المختلفة) .

المجموعة الثانية : ويتراوح متوسط أمد الحياة بها بين ٥٠ ـ ٧٠ سنة وتشمل الغالبية العظمى من الدول النامية فى أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وأفريقيا .

المجموعة الثالثة : وهى التى يزيد أمد الحياة بدولها على ٧٠ سنة وهى تشمل الدول المتقدمة فى العالم سواء فى أوربا أو أمريكا الشمالية أو أمريكا اللاتينية المعتدلة واستراليا بالاضافة الى كومنولث الدول المستقلة واليابان ، وهذه الدول قد حققت تقدما كبيرا فى العقود الاخيرة ، وبين

---

(١) المصدر :
INED., Population et Sociétés, Juillet - Aout, 1991, Nu. 259.



شكل رقم (١٧)

أمد الحياة (متوسط النوعين معا)

دول هذه المجموعة مايربو أمد الحياة بها على ٧٠ سنة لكلا النوعـين من الذكور والاناث مثل كندا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندا والمملكة المتحدة والدول الاسكندنافية وهولنده ٠

وتبين الارقام التالية أمثلة لامد الحياة فى دول العالم سنة ١٩٩١(١) ٠

دولة نامية		دولة متقدمة	
الدولة	أمد الحياة بالسنة		أمد الحياة بالسنة
أفانستان	٤١	بلجيكا	٧٤
غينيا	٤٢	النمسا	٧٥
غامبيا	٤٣	الولايات المتحدة	٧٥
اثيوبيا	٤٦	كندا	٧٧
الهند	٥٧	فرنسا	٧٧
مصر	٥٧	السويد	٧٨
ايران	٦٥	اليابان	٧٩

(١) المصدر :

INED., Population et Sociètés, 1991, No. 259.

الفصل السادس

النمـــو الطبيعى للســـكان

يعد النمو السكانى فى العالم أبرز الظاهرات الديموغرافية المميزة فى العصر الحديث حيث يمثل تحديا هاما للبشرية وخاصة بالنسبة للشعوب النامية التى يتزايد سكانها بمعدل كبير يزيد على معدل التزايد فى التنمية الاقتصـادية بها وعلى امكانيات توفـير الغذاء لسكانها فى ظـل الظروف الراهنة . ويرتبط نمو السكان بالزيادة الطبيعية ـ وهى الفرق بين المواليد والوفيات دون أن تدخل الهجرة فى حسابها ، ولذلك فان دراسـة النمـو السكانى القائم على أساس الزيادة الطبيعية فى بلد ما يسهم فى تحديد المدة التى يستغرقها هذا البلد فى الوصول الى حجم معلوم اذا استمرت المعدلات بنفس مستواها ، فاذا كان معدل الزيادة الطبيعية فى دولة ما هو ١٠ فى الالف فانه يزيد بمعدل ١ فى المائة سنويا بطبيعة الحال ، واذا استمر هذا المعدل ثابتا فان عدد سكان هذه الدولة يتضاعف فى مدى ٧٠ عاما فقط ، ذلك لان السكان يزيدون وفقا لمبدأ الفائدة المركبة وليس مبـدأ الفـائدة البسيطة أى أن القاعدة وهى حجم السكان فى سـنة الاساس تزيد سـنويا بمقدار الزيادة خلال السنة السابقة .

ويبين الجدول التالى عدد السنوات التقريبى الذى يتطلبه شـعب ما كى يتضاعف عـدده وفقا لمعـدلات سنوية مختلفة للنمـو الطبيعى وذلك بافتراض ثبات هذا المعدل من ناحية وأنه لا وجود لهجرة صافية من البلد أو اليه من ناحية أخرى[1] .

وفى ضوء معدلات النمو السكانى فى العـالم سنة ١٩٩٠ فـان سـكانه سيتضاعفون فى حوالى ٤٠ سنة ، وتختلف قارات العالم النامى والمتقـدم فيما بينها فى هذا الصدد وذلك انعكاسا لتباين معدلات النمو السكانى بها بطبيعة الحال ، وتتراوح المدة اللازمة لتضاعف السكان بين ٣٧ سـنة فى أمريكا اللاتينية و ٢٤ سنة فى أفريقيا و ٤٠ سنة فى آسيا مقابل ١٠٠ سنة فى

---

(1) Thompson W. & Lewis, D., Population Problems, McGraw Hill Book Company. New York, 1965, p. 11.

أمريكا الشمالية ومائتى سنة فى أوربا • أما فيما بين الدول فان أدنى مدة تسـود فى الباكسـتان والفلبين وتايلاند (٢٧) وأعلى مدة تسودفى فنلنده والنمسا (٢٠٠ سنة) •

معدل الزيادة الطبيعية فى المائة سنويا	عدد السنوات اللازمة لتضاعف عدد السكان
٣ر٠	٢٤
٢ر٥	٢٩
٢ر٠	٣٥
١ر٥	٤٧
١ر٠	٧٠
٠ر٥	١٤٠

وتعتمد دراسة النمو السكانى على مقياس هام هو معدل النمو السكانى وهو يعد أساسا لدراسة درجة التغير فى حجم السكان فى اقليم ما فى فترة زمنية محددة ، ويحسب هذا المعدل بطريقتين احداهما هى حساب الفرق بين أعداد السكان فى تعدادينمختلفين والاخرى هى تقدير معدل التغير من سجلات المواليد والوفيات والهجرة •

والطريقـة الاولى التى تعتمد على جمـلة عدد السـكان فى تعدادين مختلفين هى الطريقة الشائعة لحساب معدل تغير السكان فى المجتمعويمكن الحصول على هذا المعدل باستخدام طريقتى المتوالية العددية والمتـوالية الهندسية(١) •

تطور النمو السكانى فى العالم :

بلغ عدد سكان العالم فى سنة ١٩٩١ نحو ٥٣٨٤ مليون نسمة وقد تطور عددهم تطورا كبيرا فى الاجيال الثلاثة أو الاربعة الاخيرة وليس من السهل تقدير عدد سكان العالم فى الفترات التاريخية القديمة قبل سنة ١٦٥٠ التى تعد لدى كثير من الباحثين بداية التقدير المعقول للسكان وذلك اعتمادا على تفسير الحقائق المستقاة من كتابات الرحالة والاجانب الذى امتدت اقامتهم بين الشعوب المختلفة •

وقد اختلف تقدير العلماء لسكان العالم فيما قبل بداية القرنالعشرين

---

(١) راجع الملحق •

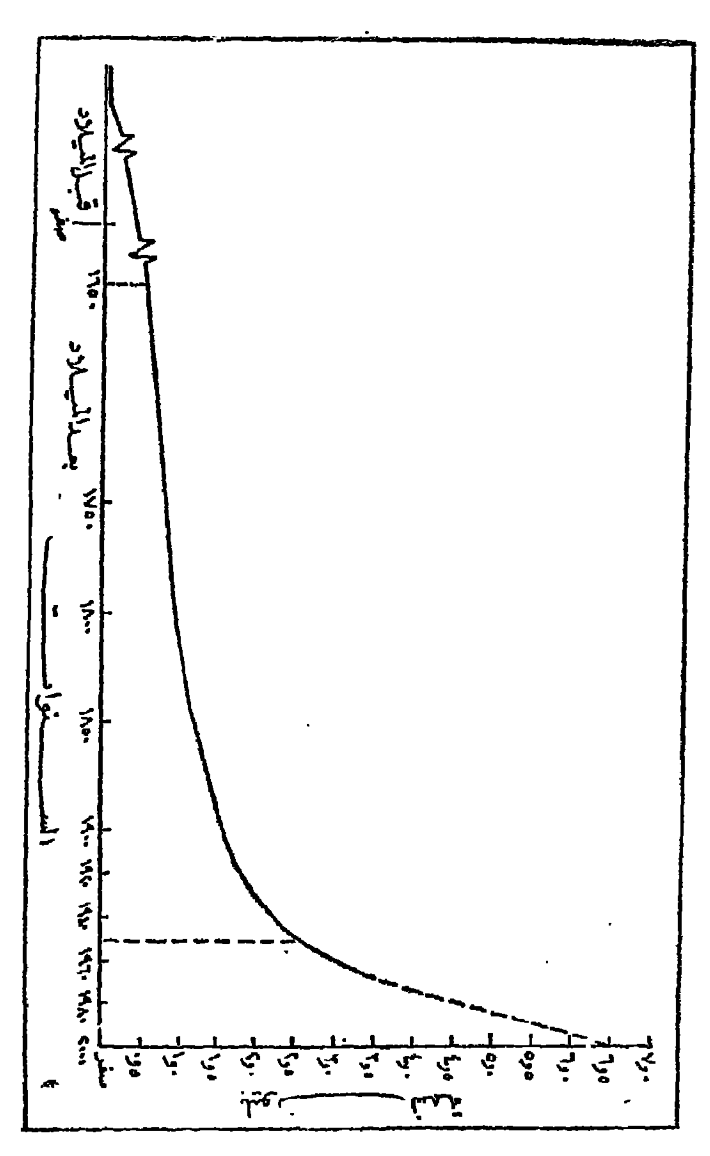
(جـدول رقم ١٨) ويعـــد تقـدير كارســونز Carr-Saunders .وتقـدير ولكوكس Wilcox أبرز هذه التقديرات ، وقد قدر الاول عدد سكان العالم فى سنة ١٦٥٠ بنحو ٥٤٥ مليون نسمة والثانى قدرهم بنحو ٤٧٠ مليونا فى نفس التاريخ ، الا أنه يبدو أن معدل النمو السنوى للسكان قد تضـاعف فيما بين عامى ١٦٥٠ و ١٨٥٠ فتعـدى السـكان الالف مليـون نسمة ثم تضاعف مرة أخرى فى العشرينات من القرن العشرين ثم مرة ثالثة فيمـا بعدها حتى وصل عدد السكان الى ٢٥٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٥٠ ثم ٥٠٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٧(١) ومعنى ذلك أن سكان العالم قد تضاعفوا خلال القرن الحالى وتزايدوا خلال الخمسينات فقط بما يصل الى قرابة ٥٠٠ مليون نسمة وهذا الرقم يعادل اجمالى سكان العـالم فى منتصف القـرن السابع عشر ، وتربو الزيادة السنوية فى الوقت الحاضر على ٩٠ مليـون نسمة فى المتوسط يضافون الى حجم سكان العالم سنويا ، واذا استمر معدل النمو السكانى بمستواه الحالى فان سكان العالم سيتضاعفون حوالى ست مرات خلال مائة عام ، ولقد قدر خبراء الامم المتحـدة أن سكان العـالم سيصل عـددهم الى رقم يتراوح بين ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ مليـون نسمة فى سنة ٢٠٠٠ ٠

ويكون الاسيويون حتى بدون الكومنولث الجديد غالبية سكان العـالم على امتداد الفترات التاريخية المختلفة وحتى الوقت الحاضر ويليهم فى ذلك قارة أوربا بما فيها الكومنولث الجديد وان كانت نسبة الزيادة لدى السكان الاوربيين قد قلت فى العصر الحديث عما كانت عليه من قبل وذلك ناتج عن انخفـاض الزيادة الطبيعيـة لديهم من ناحيـة وتعرض القارة الاوربية لهجرات خارجة الى قارات العالم الجديد من ناحية أخرى ، وقد أسهمت هذه الهجرات فى تزايد أعداد السكان فى هذه القارات والتى تمثلها أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية أوضح تمثيل ابتداء من منتصف القـرن التاسع عشر ثم استراليا فى أواخره كما تبين أرقام الجدول رقم (١٨) ٠

ولقد ارتفع معدل الزيادة فى سكان العالم منذ سنة ١٦٥٠ بدرجـة لم يسبق لها مثيل فى الفترة السابقة (شكل رقم ١٨) وارتبطت هـذه الزيادة الهائلة بعديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية حيث أدى تطور فنون الزراعة الى تزايد قدرة الارض على الانتاج واستيعاب أعداد من السكان، كذلك فقد أدى التصنيع وما صحبه من تحسن فنـون الانتـاج والتنظيم

---

(١) قدر أن سكان العالم وصل عددهم الى ٥ مليار نسمة فى ١١ يولية ١٩٨٧ ـ وقد سمى هذا اليوم ـ بيوم السكان العالمى ـ تحتفـل به الامم المتحدة كل عام على مستوى العالم ٠



شكل رقم (١٨)
تطور نمو السكان فى العالم

الاجتماعى الى تركيز السكان فى بعض الاقاليم وتزايدهم فيها بشكل واضح ذلك لان التنمية الاقتصادية تطلبت توفير أيد عاملة لازمة للانتاج الكبير مع تخصص أكبر فى مختلف الوظائف كما تطلبت أسواقا كبيرة تسهم فى استمرار الانتاج ٠

جـــدول رقم (١٨) تقديرات سكان العالم حسب القارات فى السنوات ١٦٥٠ – ١٩٩١ بالملايين(١)

سنة التقديرات أو التواريخ	أفريقيا	أمريكا الشمالية	أمريكا اللاتينية	آسيا فيما عدا كومنولث الدول المستقلة	أوربا بما فيها كومنولث الدول المستقلة	الاوقيانوسية	جملة العالم
تقديرات ويلكوكس :							
١٦٥٠	١٠٠	١	٧	٢٥٧	١٠٣	٢	٤٧٠
١٧٥٠	١٠٠	١	١٠	٤٣٧	١٤٤	٢	٦٩٤
١٨٠٠	١٠٠	٦	٢٣	٥٩٥	١٩٣	٢	٩١٩
١٨٥٠	١٠٠	٢٦	٣٣	٦٥٦	٢٧٤	٢	١٠٩١
١٩٠٠	١٤١	٨١	٦٣	٨٥٧	٤٢٣	٦	١٥٧١
تقديرات كارسوندرز							
١٦٥٠	١٠٠	١	١٢	٣٢٧	١٠٣	٢	٥٤٥
١٧٥٠	٩٥	١	١١	٤٧٥	١٤٤	٢	٧٢٨
١٨٠٠	٩٠	٦	١٩	٥٩٧	١٩٣	٢	٩٠٦
١٨٥٠	٩٥	٢٦	٣٣	٧٤١	٢٧٤	٢	١١٧١
١٩٠٠	١٢٠	٨١	٦٣	٩١٥	٤٢٣	٦	١٦٠٨
تقديرات الامم المتحدة (ب)							
١٩٢٠	١٤١	١١٧	٩١	٩٦٦	٤٨٧	٩	١١٨١
١٩٣٠	١٥٧	١٣٥	١٠٩	١٠٧٢	٥٣٢	١٠	٢٠١٥
١٩٤٠	١٧٦	١٤٦	١٣١	١٢١٢	٥٧٣	١١	٢٢٤٩
١٩٥٠	٢٠٦	١٦٧	١٦٢	١٣٨٦	٥٧٦	١٣	٢٥١٠
١٩٦٠	٢٥٤	١٩٩	٢٠٦	١٦٧٩	٦٤١	١٦	٢٩٩٥
١٩٧٠	٣٤٤	٢٢٨	٢٨٣	٢٠٥٦	٧٠٥	١٩	٣٦٣٥
١٩٩١	٦٧٧	٢٨٠	٤٥١	٣١٥٥	٧٩٤	٢٧	٥٣٨٤

(١) المصــدر : أ – Thompson, W., Lewis, D., Population Problems, Op. Cit., p. 383.

ب – U. N. Demographic Year book, 1960 and 1970.

جـ – INED., Population et Sociètés, No. 259, 1991.

الضوابط البيئية للنمو السكانى :

سبق القول بأن معدل النمو السكانى فى العالم كان بطيئا للغاية حتى أوائل القرن العشرين وكان هذا الانخفاض راجعا بطبيعة الحال الى ارتفاع مستوى الوفيـات مما ينعكس بدوره على هبـوط الزيادة الطبيعية هبوطا كبيرا عكسته أرقام السكان فى قارات العالم منذ سنة ١٦٥٠ ، وكان هـذا الارتفاع فى مستوى الوفيات مرتبطا بدوره بمجموعة من العوامل البيئية التى كانت ضابطة للنمو ومتحكمة فى حركته بدرجة كبـيرة وأبرز هـذه العوامل ، المجاعات التى كانت تتعرض لها أقاليم كبيرة من العالم القديم ثم الامراض الوبائية التى كانت فنون الانسان وقدراته عاجزة عن مقاومتها وأخيرا الحـروب بين المجتمعات وآثارهـا المباشرة وغـير المباشرة على التناقص العددى للسكان .

أ ـ المجـــاعات :

لم تسلم قارات العالم القديم من حدوث المجاعات الناتجة عن الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات أو نقص الامطـار لعـدة سـنوات متتالية وما يترتب عليها من تناقص كبير فى عدد السكان حتى أن بعض المناطق تفقد سكانها تماما فى أعقاب حدوث هذه الظواهر ،وقد ذكر وولفورد Walford قائمة بالمجاعات التى شـهدها العـالم حتى أوائل هذا القرن بلغت ٣٥٠ مجاعة منها ٢٠١ مجاعة حدثت فى الجزر البريطانية فيما بين سنة ١٠ بعد الميلاد وسنة ١٨٤٦ ، ٧٠ مجاعة أخرى فى أجزاء أخرى من أوربا ، ٣١ مجاعة حدثت فى الهند فيما بين ١٧٦٩ و ١٨٧٨ فقط و ١٧ مجاعة حدثت فى حوض البحر المتوسط الاسيوى والافريقى ، وثلاثون مجاعـة أخـرى حدثت فى أجزاء من العالم وخاصة فى الهند والصين فيما قبل سنة ١٧٦٩، ولعل أبرز المجـاعات التى شهـدتها أوربا فى العصر الحـديث تلك التى تعرضت لها ايرلنده فيما بين سنتى ١٨٤٦ ـ ١٨٥١ (مجاعة البطاطس) وكانت الامراض والاوبئة تعقب هذه المجاعات بدرجات متفاوتة وبالرغم من أن قائمة وولفورد قد تكون كاملة بالنسبة لبريطانيا الا أنها ليست كذلك بالنسبة لباقى الدول حتى أوربا ، ذلك لان هناك بعض الدراسـات التى أظهرت أن الصين مثلا تعرضت لحوالى ١٨٢٨ مجاعة فيما بين سنتى ١٠٨ قبل الميلاد الى سنة ١٩١١(١) .

وكانت هذه المجاعات من المؤثرات الهامة فى تحديد نمـو السكان فى

---

(1) Thompson, W., & Lewis, D. Op. Cit., p. 390.

الاقاليم المختلفة فى العالم ، ولا يعرف الا القليل عن الوفيات التى نجمت عن هذه المجاعات وخاصة تلك التى حدثت فى عهود قديمة بينما هنـاك بعض التقـديرات لبعض المجـاعات التى حـدثت فى فترات حديثة فقـد شهدت الصين أسـوأ المجاعات فى القـرن الماضى نتيجـة الجفـاف الحاد الذى أصاب مناطقها الشمالية الغـربية فى السـنوات ١٨٧٦ حتى ١٨٧٩ وبلغت مساحة الاقليم الذى تعرض للجفاف قرابة ٣٠٠ر٠٠٠ ميلا مربعا وقد قدر عدد ضحايا هذه المجاعة برقم يتراوح بين ٩ الى ١٣ مليون نسمة وهو عدد يصل الى حوالى خمس سكان الاقليم المذكور ، وقـد تعرضت نفس المنطقة للمجاعة فى فترات تالية مثلما حدث فى سنتى ١٩٢٠-١٩٢١ حيث يعتقد أن حوالى نصف مليون نسمة قد لاقوا حتفهم وكذلك فى سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ عندما حل الجفاف • وقدر الذين ماتوا جوعا أو مرضـا فى هذا الاقليم الشمالى الغربى بحوالى أربعة ملايين من البشر،وبالاضافة الى الجفاف كعامل خلاق للمجاعات فى شمال غرب الصين فان فيضان نهر البانجتسى وروافده أدى الى حدوث مجاعات أخرى هو الاخر ، فكثـيرا ماكانت مياهه تطغى على مساحات شاسعة وتتلف المحاصيل وتدمر القرى مليست هناك تقديرات دقيقة عن ضحايا هذه الفيضانات ولكن من الثابت أنها كانت من العوامل الهامة فى ارتفاع معدلات الوفيات حتى أن مالورى (Mallory) لم يبالغ حين ذكر أن معـدل الوفيات العادى فى الصـين كان يشتمل دائما على عنصر ثابت من المجاعات ، ولاتختلف الهند كثيرا عن الصين فى هذا الصدد حيث يعد الجفاف أمرا شائعا وغالبا ما يتعرض اقليم أو أكثر من أقاليم الهند الى نقص الغذاء الناتج عن نقص الامطار ، ففى سنة ١٧٦٩ حتى سنة ١٧٧٠ تعرضت البنغال لمجاعة ضخمة يذكـر بعض الكتاب أنها أودت بحياة ثلث مجموع سكانها أو بما يقدر بنحو ١٠ مليون نسمة ، كذلك شهدت الهند مجاعات ضخمة فى سنوات متتالية مثلما حدث فى سنتى ١٨٠٣ - ١٨٠٤ وفى ١٨٣٧ - ١٨٣٨ وكان ضحاياها بالملايين مما أثر تأثيرا كبيرا على نمو السكان بالهند •

ولم تسلم مصر فى تاريخها السـكانى الطويل من المجـاعات والاوبئة والتى كانت عنصرا هاما من عناصر الوفيات ، وكانت المجاعات مرتبطـة بانخفاض منسوب مياه النيل وعجزها عن الوفاء باحتياجات الزراعة فى البلاد ، وهناك أمثلة كثيرة أبرزها ما عرف بالشدة المستنصرية التى ذكر بعض المؤرخين أنها قضت على ثلثى سكان مصر ولم يعش من بعدها سوى الثلث فقط[1] •

---

(١) ابن أياس بدائع الزهور - جـ١ - ص ٦١ •

ثم تلا ذلك الكارثة البشعة التى شهدها وسجلها البغدادى فى أواخر الدولة الايوبية ووصفها بما يفيد الافناء شبه الكامل ويقول ابن أياس عنها أنها أفنت ثلثى السكان ، وفى القرن الثالث عشر يذكر ابن أياس شدة أخرى مات فيها ثلث السكان أيضا ، وفى القرن الرابع عشر وفد الوباء الاسود من أوربا وأدى الى خسائر بشرية كبيرة فى مصر (٢٠ ألف ميت فى القاهرة وحدها كل يوم و ٩٠٠ ألف فى شهرين)(١) وأدت هذه المجاعات الى انخفاض حاد فى عدد السكان فى مصر - حتى أن عددهم تناقص من ٩ مليون نسمة فى أوائل العصر العربى الى ٢ر٥ مليون نسمة قبل الحملة الفرنسية مع ملاحظة أن هذا الرقم المنخفض لسكان مصر (٢ر٥ مليون) قد تكرر مزارا على الارجح فى تاريخ مصر - ذلك لانها تعرضت لكوارث سابقة أبرزها الكارثة التى وصفها (أيبوير) فى الدولة القديمة التى نتجت عن غياب النيل وأدت الى فناء رهيب للسكان(٢) .

ب - الامراض الوبائية :

كانت الامراض الوبائية Infections diseases والتى يمكن التحكم فيها اليوم من الاسباب التى أثرت فى انقاص حجم السكان فى العالم من قبل وخاصة المناطق التى تميزت بارتفاع الكثافة السكانية وما يؤديه ذلك من سهولة انتقال هذه الامراض وخاصة فى الفترات التى تعقب المجاعات فى المناطق الموبوءة بها ، ومن أبرز تلك الامراض التيفود والجدرى والسل وغيرها ، وقد استمر سكان العالم على هذه الحال حتى المائة وخمسون أو المائتى سنة الاخيرتين ، فقد كان من الشائع أن مايقرب من ربع ثلث عدد الأطفال يتعرضون للوفاة قبل اتمامهم السنة الاولى من العمر ولايسلم الباقى منهم بعد ذلك من أمراض أخرى مثل الحصبة والسعال الديكى والحمى القرمزية والدفتريا وغيرها والتى كانت تودى بنسبة ليست صغيرة من السكان .

ولعل فى بيانات الوفاة فى السويد ما يدل على ارتفاع نسبة وفيات الصغار بدرجة عالية من قبل وهى تعد أوثق البيانات فى منتصف القرن الثامن عشر كما أنه يمكن اعتبارها أدنى المعدلات فى كل أوربا فى ذلك الوقت ، ومع ذلك فهى توضح مدى ارتفاع معدلات وفيات الاطفال بها

---

(١) المرجع السابق ص ٩١ .
(٢) جمال حمدان - شخصيات مصر - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٧٠ - ص ٣٢٨ .

كما تبين الارقام التالية التى توضح متوسط معدلات الوفيات للاطفال أقل من عشر سنوات فى الفترة من ١٧٥١ ـ ١٧٧٠ وذلك مقارنة مع مثيلتها فى سنة ١٩٦٠(١) ويبدو من هذا الجدول أن من كل ١٠٠٠ مولود فى السويد فى الفترة من ١٧٥٠ ـ ١٧٧٠ كان ٧٩٠ منهم يكملون السنة الاولى من العمر بينما فى سنة ١٩٦٠ ارتفع العدد الى ٩٨٣ طفلا يعيشون حتى هذه السن ، وينبغى الاشارة بأن هذه المعدلات الخاصة بالسويد كانت أقل من مثيلتها فى باقى أقطار أوربا وباقى أقطار العالم آنذاك ، وعلى أية حال فقد يكون من المنطقى الافتراض بأنه قبل سنة ١٩٥٠ فان حوالى نصف عدد الاطفال المولودين كانوا يموتون قبل وصولهم سن العاشرة من العمر، وكما سبق القول فان التحكم فى الاوبئة والامراض المعدية فى الطفولة المبكرة كان المسئول الرئيسى عن انخفاض معدل الوفيات فى دول العالم مما انعكس على تزايد النمو السكانى بها بدرجات متفاوتة .

الوفيـــات	١٧٥١ ـ ١٧٧٠ (١)	١٩٦٠ (٢)	نسبة العمود (٢) الى العمود (١) ٪
معدل وفيات الاطفال الرضع (دون سن الواحدة لكل ١٠٠٠ مولـود) .	٢١٠ر٤	١٦ر٥	٧ر٨
معدل وفيات الاطفال من سن ١ر٢ (من كل ١٠٠٠ طفل فى هذا السن)	٥١ر٤٢	١ر٠٤	٢ر٠
معدل وفيات الاطفال من سن ٣و٤ (من كل ١٠٠٠ طفل فى هذا السن)	٢٧ر٢٧	٠ر٦٩	٢ر٥
معدل وفيات الاطفال من سن ٥ـ٩ (من كل ١٠٠٠ طفل فى هذا السن)	١٢ر٨٩	٠ر٤٢	٣ر٢

وقد شهد العالم بعض الاوبئة التى كان لها أثر كبير على نمو سكانه ومن أشهرها الموت الاسود The Brack Death أو مرض الطاعون الذى انتشر فى الفتر ١٣٤٨ ـ ١٣٥٠ فى قارة أوربا وأدى الى تناقص عدد سكانها وخاصة فى لندن والبندقية وفلورنس وباريس ، ويقدر البعض أن هذه المدن فقدت قرابة نصف سكانها فى ذلك الوقت ويعتقد أن ايطاليا فقدت حوالى نصف سكانها كذلك وانجلترا ثلث السكان وفرنسا الثلث أيضا ، ولم تعانى

(1) Thompson, W., Lewis, D., Op. Cit., p. 395.

دول شرق أوربا مثلما عانت دول شمالها الغربى وجنوبها من ذلك المرض وعلى مستوى القارة الاوربية فان الاعتقاد السائد أنها فقدت قرابة ربع سكانها أى حوالى ٢٥ الى ٣٥ مليون نسمة(١) ، وفى العصر الحديث شهد العالم انتشار وباء الانفلونزا فى سنتى ١٩١٨ ـ ١٩١٩ والذى أثر فى كثير من الدول ـ فقد بلغ ضحاياه فى الهند على سبيل المثال حوالى ثمانية ملايين نسمة .

جـ ـ الحروب :

كان أثر الحروب فى تأخير نمو السكان فى مرحلة ماقبل الثورة الصناعية كبيرا فى المجتمعات القبلية حيث كانت تستمر بينها فترات طويلة على امتداد عدة أجيال خاصة فى المجتمعات الرعوية والبدائية،وكانت هذه الحروب تتسبب فى احداث خسائر بشرية ومجاعات تؤدى الى تزايد معدل الوفيات بدرجة ملحوظة لذلك فان الحروب كانت فى نظر مالثوس العامل الثالث مع المجاعات والاوبئة الذى كان يتحكم فى حجم السكان على امتداد فترات طويلة فى الماضى .

وليست هناك تقديرات عن خسائر الحروب فى البشر على امتداد التاريخ ، ولكن أقرب الامثلة ماتعرض له العالم فى العصر الحديث من حروب أبرزها الحرب العالمية الاولى والثانية حيث اختلف أثرهما عما عداها من حروب أخرى فيما قبل الربع الاخير من القرن التاسع عشر وكان أثر الحرب العالمية مباشرا على السكان ونموهم ممثلا فى معدلات المواليد والوفيات فى سنوات الحرب ، وكانت هذه التغيرات مرتبطة بأمرين فى الحرب العالمية الاولى : أحدهما الخسائر فى الارواح والاخر هو الخسائر غير المباشرة الناجمة عن انخفاض معدل المواليد خلال سنوات الحرب بسبب التعبئة الضخمة للشباب فى القوات المسلحة مما أدى الى ابتعادهم عن زوجاتهم من ناحية وتأخير سن الزواج لكثير منهم من ناحية أخرى .

وكانت الخسائر العسكرية فى الحرب العالمية الاولى كبيرة بسبب ضخامة القوات المحاربة ، وقد قدرت الخسائر المباشرة فى المعسكرين فى أوربا ـ غرب روسيا ـ نحو ٦ر٦ مليون نسمة والزيادة فى وفيات المدنيين بحوالى ٥ ملايين نسمة كما بلغ النقص فى عدد المواليد بحوالى ٥ر١٠ مليون مولود ، وعلى ذلك فان النقص فى عدد المواليد يمثل النسبة الكبيرة

---

(1) Ibid., pp. 396-397.

من خسائر الحرب ـ التى قدر اجمالى خسائرهـا البشرية بحـوالى ٢٢ مليون نسمة(١) •

وكانت أكبر الخسائر فى الحرب من نصيب روسيا حيث يقدرها البعض بحوالى مليونى نسمة خسائر مباشرة وباستثناء المدنيين والنقص فى المواليد وقد انعكس ذلك على انخفاض معدل النمو السكانى فى روسيا فيمـا بين سنتى ١٩١٤ ـ ١٩٢٦ وساعد عليه الحرب الاهلية التى أعقبت ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ ثم المجاعة التى شهدتها روسيا فيما بين سنتى ١٩١٨ ـ ١٩٢٢ وانتشار الطاعون الذى صاحب هذه المجاعة حتى أن السكان تزايدوا من ٤ر١٤٠ مليون نسمة سنة ١٩١٤ الى ٠ر١٤٧ مليون نسمة فقط فى سنة١٩٢٦ فى الوقت الذى كان يتوقع فيه أن يصـل عـددهم الى ١٧٥ مليون لو لم تحدث هذه الخسائر فى الحروب والمجاعة ، وعلى العموم فان خسائر أوربا كلها فى الحرب العـالمية الاولى والفترة التى أعقبتها فى روسـيا قللت من معدل النمو العادى للسكان بحوالى خمسين مليون فيما بين سنتى١٩٠٠ ـ ١٩٣٠(٢) •

وفى الحرب العالمية الثانية تعرضت أوربا لخسائر بشرية كبيرة سواء فى صفوف العسكريين أو المدنيين وان كانت خسائر غرب أوربا أقل من خسائرها فى الحرب العالمية الاولى بعكس شرق أوربا وجنوبها التى تأثرت بدرجـة كبيرة من الحرب العالمية الثانية أكثر من تأثرها بالحرب الاولى حيث يقدر أن ضحايا المانيا مثلا (بحدود ١٩٣٧) وصلت الى قرابة ٥ مليـون نسمة فى الحرب العالمية الثانية وأن بولنده أكثر خسارة فقـد فقدت من ٥ ـ ٦ مليون نسمة بنسبة ٢٠٪ من جملة سكانها فيما قبـل الحرب ويوغسـلافيا حوالى ٦ر١ مليون نسمة بنسبة ١٠٪ من سكانها واليونان حـوالى نصف مليون نسمة بنسبة ٧٪ من السـكان وذلك كله دون أن يؤخـذ النقص فى المواليد فى الاعتبار •

ومن بين كل الدول التى اشتركت فى الحرب العالمية الثانية كان كومنولث الدول المستقلة أكثرها فى الخسائر البشرية حيث يقدر أن جملة خسائره فى هذه الحرب بلغت ٥ر٣٧ مليون نسمة منها ٧ مليون خسائر عسكرية و٥ر١٨

---

(١) تومبسون ولويس : المرجع السابق ص ٤٢٢ وانظر الشكل المبين فى نفس الصفحة •

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٤ •

مليون خسائر مدنية و ٩ر١٠ مليون خسائر ناتجة عن النقص في عدد المواليد و ٣ر١ مليون خسائر نتجت عن الهجرة المغادرة وقد انعكست كل هذه الخسائر على نمو السكان فى الكومنولث بعد الحرب العالمية الثانية حتى أن النقص فى عدد الذكور عن عدد الاناث فى تعداد سنة ١٩٥٩ بلغ ٨ر٢٠ مليون نسمة المقارنة مع نقص وصل الى ٨ر٧ مليون فى تعداد ١٩٣٩. ونقص بلغ ١ر٥ مليون فى تعداد سنة ١٩٢٦ ٠

وبصفة عامة فان خسائر أوربا فى الحرب العالمية الثانية لم تكن أقل من خسائرها فى الحرب العالمية الاولى ، ويقدرها البعض بحوالى ٥٠ مليون نسمة ، وقد استمر أثرها فى التركيب السكانى واضحا فى معظم دولها حتى أن النقص الكبير فى عدد الذكور استمر فى بعض الدول مثل المانيا والكومنولث وبولندا ويوغسلافيا وأدى ذلك بدوره الى التأثير فى معدل المواليد حتى أوائل الستينيات •

وكذلك تعرضت دول أخرى خارج أوربا لخسائر فى الحرب العالمية الثانية مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلنده واليابان والفلبين وبورما والصين وتقدر هذه الخسائر بالملايين وان لم يكن هناك رقم دقيق لتقديرها •

وبالاضافة الى هاتين الحربين العالميتين فقد شهدت مناطق أخرى من العالم حروبا اقليمية – أودت بالعديد من أرواح أبنائها وخاصة الحروب الاهلية التى شهدتها بعض الدول مثل اسبانيا والصين والولايات المتحدة والمكسيك ، ويوضح الجدول رقم(١٩) أبرز الحروب والمنازعات وخسائرها البشرية المباشرة وذلك على امتداد الفترة من ١٩٠٠ حتى ١٩٨٩ ومنه يبدو أن العالم قد فقد نحو ٨٧ مليون نسمة خسائر بشرية بسبب الحروب الاهلية – التى تشتعل بين فئات أو طوائف مختلفة فى الدولة الواحدة – أو بسبب الحروب الدولية التى تقوم بين دولتين أو أكثر ويبدو مدى تأثير الحربين العالميتين الاولى والثانية فى هذه الخسائر حيث زادت نسبة الخسائر فى كل منهما عن ١٪ من جملة سكان العالم بل اقتربت من ٢٪ فى عقد الحرب العالمية الثانية •

عوامل النمو السكانى فى العصر الحديث :

تضافرت مجموعة من العوامل أدت الي التزايد السكانى الكبير الذى يشهده العالم فى العصر الحديث كان أبرزها على الاطلاق تلك الثورة الزراعية فى وسائل الانتاج الزراعى وأساليبه فى المجتمعات المختلفة ، وكانت

هذه الاساليب من الوسائل التى استطاع البشر بها أن يواجهوا أثر الكوارث فى تخفيض أعداد السكان ، وقد بدأت الثورة الزراعية الحقيقية فى دول الغرب منذ أوائل القرن الثامن عشر فى انجلترا وبعض الدول الاوربية ثم ما لبثت أن انتشرت نحو دول أخرى فى العالم ـ بل أن هذه الثورة مازالت مستمرة فى بعض الدول النامية التى أخذت بأساليبها حديثا ٠

جدول رقم (١٩) الوفيات أثناء الحروب ١٩٠٠ ـ ١٩٨٩(١)

الفترة	عدد الحروب		عدد الوفيات أثناء الحروب (بالالوف)			٪ من سكان العالم
	أهلية	دولية	الاهلية	الدولية	الجملة	
١٩٠٠ ـ ١٩٠٩	١٠	٦	١٦٦	٢٤٣	٤٠٩	٠ر٠٢
١٩١٠ ـ ١٩١٩	١٥	٩	١٣٢٧	٢٠٥٥٦	٢١٨٨٣	١ر١٣
١٩٢٠ ـ ١٩٢٩	١١	٨	٣٧١	١٠٩	٤٨٠	٠ر٠٢
١٩٣٠ ـ ١٩٣٩	١١	٨	١٧٩٦	١٧٧٠	٣٥٦٦	٠ر١٧
١٩٤٠ ـ ١٩٤٩	١٣	٧	٢١٨٢	٣٩٢٨٥	٤١٤٦٧	١ر٧٠
١٩٥٠ ـ ١٩٥٩	٢٠	٥	١٨٧٩	٣٠٣١	٤٩١٠	٠ر١٧
١٩٦٠ ـ ١٩٦٩	١٢	٩	٣٣٠١	١٢٥٦	٤٥٥٧	٠ر١٣
١٩٧٠ ـ ١٩٧٩	١٨	٧	٤٩٥٧	١٢٤٦	٦٢٠٣	٠ر١٦
١٩٨٠ ـ ١٩٨٩	٢٩	٦	٢٠٨١	١٧٣٣	٣٨١٤	٠ر٠٨
الجملة	١٤١	٦٣	١٨٠٦٠	٦٩٢٢٩	٨٧٢٨٩	٠ر—

وقد واكب هذه الثورة الزراعية انقلاب صناعى فى القرن الثامن عشر أيضا كان له أبرز الاثر فى زيادة الانتاج وتطور وسائل النقل وكان أبرز مظاهر هذا الانقلاب اختراع الالة البخارية سنة ١٦٩٨ وما أدخل عليها من تعديلات فى السنوات التالية ثم مالبث استخدام البخار أن انتشر بعد ذلك كطاقة رئيسية فى الالات ، ولم ينته الربع الاول من القرن التاسع عشر حتى بدأ استخدامها فى النقل بالسكك الحديدية وبالسفن ٠

وكان أثر هذه الوسائل التقنية فى الزراعة والصناعة والنقل فى القرن

(١) المصدر :
البنك الدولى للانشاء والتعمير ـ تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩١ (مترجم) ـ واشنطن ـ ١٩٩١ ـ ص ١٧٦ ٠

الثامن عشر والتاسع عشر بالغا فى زيادة قدرة الانسان على انتاج الغـذاء والضروريات الاساسية الاخرى ، وأهم من ذلك كله ساعد التحسن فى فنون النقـل على فتح أراضى جديدة شاسـعة خاصة فى نصف الـكرة الغـربى والاقيانوسية وماترتب على ذلك من هجرة سكانية ضخمة اليها حتى أن أمريكا الشمالية مثلا كان يسكنها قبل وفود الاوربيين اليها فى القرن السابع عشر والسنين التالية عدد يتراوح بين ٥٠٠ر٠٠٠ الى مليون نسمة من الهنود الحمر ولكنها تحتوى اليوم مايزيد على مائتى مليون نسمة ٠

وفى خلال الفترة من ١٦٥٠ ــ ١٨٥٠ كان تطور الاساليب الجديدة فى الزراعة والصناعة والنقل،والاستقرار السياسى النسبى من العوامل الهامة التى أدت الى تزايد سكان الغرب زيادة جعلت روبرت توماس مالتـوس يكتب نظريته المشهورة فى الفترة من ١٨٠٠ ــ ١٨٠٢ محذرا من عـواقب التزايد السكانى والصراع بينه وبين الموارد الغذائية السائدة ٠

وقد بدأت معدلات المواليد فى دول شمال وغرب أوربا فى الهبوط منذ سنة ١٨٥٠ وبدأت كثير من الدول الاوربية فى التحصين ضد بعض الامراض الوبائية مثل الجدرى كما ساعد النقل على تلبية الاحتياجات الغـذائية فى الاماكن البعيدة وأدى ذلك كله الى انخفاض معدل الوفيات فى هذه الدول الغربية حيث هبط فى دول غرب أوربا من ٢٤ فى الالف سنة ١٨٥٠ الى ١٦ فى الالف سنة ١٩٠٠ مما يعكس التقدم الصحى الذى بدأ يميز هذه الدول٠

ومعنى ذلك أن الطفرة السـكانية فى العصر الحـديث قد نتجت عن الزيادة الطبيعية الكبيرة والتى نتجت بدورها عن انخفاض معدل الوفيات مع بقاء معدلات المواليد ثابتة أو انخفاضها انخفاضا طفيفا فى بعض العالم، ولقد أوضحت الاحصاءات أن الانخفـاض السريع فى معدلات الوفـاة كان سببا رئيسيا للتزايد السـكانى السريع فى العصر الحـديث ، وقد ارتبط انخفاض معدلات الوفاة بارتفاع متوسط أعمار الافراد ، فمنذ مائتى عـام مثلا كان لاينتظر للوليد الجديد أن يعيش أكثر من ٣٥ ــ ٤٠ سنة وذلك حتى فى البلاد التى كانت الظروف الصحيـة ملائمة بهـا ، أما فى الوقت الحاضر فقد ارتفع أمد الحياة وتجاوز ٦٥ سنة فى بلاد متعددة ومازال فى اتجاهه نحو التزايد فى معظم دول العالم بفضل التقدم العلمى الكبير الذى تصدى لكثير من أسباب الوفيات وخاصة فى الاعمار المبكرة والتى تكـون نسبة عالية من جملة الوفيات ٠

وقد بدأ الانخفاض الواضح فى معدلات الوفيات فى دول شمال أوربا فى

وقت مبكر من القرن التاسع عشر ، واستمر هذا الانخفاض بعد ذلك حتى صار المتوسط الحالى للوفيات فى دولها حوالى ١٠ فى الالف ـ وهو يعد أقل من ثلث المعدل الذى كان سائدا فى أوائل القرن التاسع عشر ، كذلك نتج عن انخفاض معدل الوفيات فى أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا بدرجة ملحوظة فى العقود الاخيرة مع ارتفاع معدلات المواليد أن أصبحت هذه القارات تعانى من النمو السريع للسكان حتى ان معدل النمو فى كثير من دولها يبلغ ضعف معدل النمو العالمى .

والواقع أن الدول الاوربية لم تشهد فى تاريخها معدلا للنمو السكانى كالذى تشهده حاليا كثير من الدول النامية ، فقد كانت قمة الزيادة الطبيعية فى انجلترا وويلز ١٤ فى الالف ، وفى اسكنديناوه ١٣ فى الالف وهذه النسبة تصل الى نصف معدل الزيادة الطبيعية السائدة فى كثير من الدول النامية فى الوقت الحاضر ، والسبب الرئيسى كما سبق القول هو الهبوط الكبير فى معدل الوفيات لهذه الدول . ففى موريشيوس مثلا تزايد أمد الحياة من ٣٣ الى ٥١ سنة فى فترة ثمانية أعوام فقط بعد الحرب العالمية الثانية فى الوقت الذى استغرقت فيه السويد ١٣٠ سنة لتحقق هذه النتيجة ، كذلك فان نجاح سرى لانكا فى القضاء على الملاريا قلل من معدل الوفيات بها من ٢٢ الى ١٠ فى الالف فقط فى الفترة من ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ فقط ، وربما يكون الهبوط فى معدل الوفيات مؤثرا فى خفض الخصوبة على المدى الطويل من خلال ارتفاع معدلات البقاء للاطفال .

ونظرا لتباين معدلات المواليد والوفيات بين مناطق العالم الجغرافية فانها تختلف كذلك فى معدلات نمو السكان بها ، ففى خلال الخمسينيات من هذا القرن كان أقل معدل للنمو السكانى (٨ر٠٪ سنويا) سائدا فى أوربا وخاصة فى شمالها وغربها وكذلك فى الكومنولث الجديد(*) وأمريكا الشمالية حيث بلغ معدل النمو واحد فى المائة سنويا .

ومن الجدول رقم (٢٠) والشكل رقم (١٩) يبدو التباين فى معدلات النمو السكانى فى أقاليم العالم المختلفة ، ويمكن تقسيم العالم الى نطاقين كبيرين أحدهما يتمثل فى الدول المتقدمة فى أوربا وأمريكا الشمالية ودول

(*) رابطة كومنولث الدول المستقلة (الاتحاد السوفيتى سابقا باستثناء دول البلطيق وجورجيا) .

الكومنولث الجديد حيث ينخفض معدل النمو السكانى بها،والنطاق الاخر فيتمثل فى القارات النامية آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وتعد قارة أفريقيا أكثر مناطق العالم فى معدل النمو السكانى وتليها أمريكا اللاتينية ثم آسيا حيث يزيد معدل النمو بها على ٢٪ سنويا وهو بذلك يبلغ أكثر من ثلاثة أمثال معدل النمو فى الدول المتقدمة ٠

جدول رقم (٢٠) المعدلات الحيوية فى العالم سنة ١٩٩١(١)

الاقليم	عدد السكان بالمليون	معدل المواليد فى الالف	معدل الوفيات فى الالف	معدل النمو السكانى ٪ سنويا
الاقاليم النامية :	٤١٦٥	٢٩	٩	٢ر٠
أفريقيا	٦٧٧	٣٧	١٠	٢ر٧
آسيا	٣٠٣٧	٢٧	٩	١ر٨
أمريكا اللاتينية	٤٥١	٢٨	٧	٢ر١
الاقاليم المتقدمة :	١٢١٩	١٥	٩	٠ر٦
أوروبا	٥١٥	١٣	١٠	٠ر٣
كومنولث الدول المستقلة	٢٧٩	١٨	١٠	٠ر٨
أمريكا الشمالية	٢٨٠	١٦	٩	٠ر٧
استراليا ونيوزيلندا	٢١	١٥	٧	٠ر٨
اليابان	١٢٤	١٠	٧	٠ر٣
جملة العالم	٥٣٨٤	٢٧	٩	١ر٧

وعلى مستوى دول العالم تتباين معدلات النمو السكانى تباينا كبيرا للغاية ، حتى أن هناك دولا نامية قارب المعدل فيها ٤٪ سنويا (مثل الاردن وكينيا وزامبيا وعمان وسوريا) ٠ وهى تمثل الدول التى تعيش فى قلب مرحلة النمو السكانى المتزايد بسبب الارتفاع فى معدلات المواليد بشكل يصل بها الى المستويات الطبيعية للتوالد البشرى ٠ وعلى طرف نقيض تماما تأتى مجموعة الدول الصناعية فى أوربا سواء فى دول غرب القارة أو حتى فى شرقها لتصل معدلات النمو السكانى بها الى مستويات دنيا لم

...

(١) المصدر :
INED., Population et Sociètés, Juillet-Août 1991, No. 259.

تسجل من قبل ، حتى أن المواليد تكاد تتعادل مع الوفيات فيهـا ليصل السكان الى مرحلة الثبات ـ أى صفر النمو ـ مثل الدنمرك وألمانيا ـ بل ان بيانات سنة ١٩٩١ سجلت تزايدا فى الوفيات عن المواليد فى بعض الدول مثل المجر ليصل معدل النمو الطبيعى بها الى ـ ٢ر٠٪ (ناقص) سنويا. ولعل فى الارقام الواردة بالجدول (٢١) خير مثال على ذلك .

جدول رقم (٢١)

التطرف فى معدلات النمو الطبيعى فى العالم سنة ١٩٩١(١)

أعلى الدول		أدنى الدول	
الدولة	المعدل (٪ سنويا)	الدولة	المعدل (٪ سنويا)
(قطاع غـزة)	٤ر٤	فرنسـا	٤ر٠
الاردن	١ر٤	هولنـده	٤ر٠
(الضفة الغربية)	٩ر٣	اليـابان	٣ر٠
كينيـا	٨ر٣	فنـلنده	٣ر٠
زامبيـا	٨ر٣	سـويسره	٣ر٠
عمـان	٨ر٣	بريطانيـا	٢ر٠
سـوريا	٨ر٣	تشيكوسلوفاكيا	٢ر٠
توجـو	٧ر٣	أسبانيـا	٢ر٠
تنزانيـا	٧ر٣	اليـونان	١ر٠
جزر الملديف	٧ر٣	ايطاليـا	١ر٠
كوت ديفوار	٥ر٣	الدنمـرك	صفر
أوغنـده	٥ر٣	المانيـا	صفر
اليمـن	٥ر٣	المجـر	ـ ٢ر٠
		متوسط العالم	٧ر١

وتسهم هذه الانماط المتعددة فى معدلات النمو السكانى فى تزايد السكان فى أقـاليم العـالم بدرجـات متفـاوتة باستثناءات نادرة متمثلة فى بعض المجتمعات البدائية مثل الفويجيين وبعض قبائل وسط افريقيا والاوقيانوسية وغيرهم من الجماعات التى تتناقص فى أعدادها نتيجـة للتغـيرات التى اعترت حياتها الاقتصادية والبيئية ، ولذلك فان معـدل النمـو السكانى الحالى فى العالم لم يسبق أن شهدته البشرية من قبل على امتداد التاريخ البشرى ، وقد سبق القول بأن سكان العالم قد واصلوا نموهم وتزايدهم من

(١) المصـدر :
INED., Population et Sociètés, Juillet - Août, 1991 No. 259.

١٠٠٠ مليون نسمة سنة ١٨٥٠ الى ٢٠٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٤٠ ثم الى ٣٠٠٠ مليون نسمة سنة١٩٦٠ ثم الى ٥٠٠٠ مليون نسمة سنة١٩٨٧ وتبلغ الزيادة السنوية فى الوقت الحاضر قرابة ٩٠ مليون نسمة ـ أى أن عـددا مشابها لسكان المكسيك يضاف الى سكان العالم سنويا ٠

مراحل النمـو السـكانى :

سبق القول بأن الارتباط بين معدلى المواليد والوفيات هو الذى يؤدى الى تغير حجم السكان بصفة أساسية وذلك لان الفرق بين هذين المعـدلين والذى يعبر عنه بالزيادة الطبيعية ـ هو العامل الاساسى فى نمو السكان، ويزيد معدل المواليد على معدل الوفيات فى كل دول العالم ولكـن الفـرق بينهما يختلف من دولة لاخرى كما أنه يختلف بين أقاليم الدولة الواحدة بل وبين الطبقات الاجتماعية فى داخل الاقليم الواحـد ، ولذلك فان لكل دولة نمط خاص للنمو السـكانى واذا كانت هناك دولتـان تتشابهان فى معدلات النمو بهما فانهما قد وصلتـا الى هذا التشابه نتيجـة ظـروف ديموغرافية متشابهة فى صورتها العامة ولكنها تختلف فى التفاصيل التى أثرت فى اتجاه النمو بها ٠

وقد أدت دراسة النمو السكانى الى محاولة تقسيمه الى مراحل رئيسية أو دورات ـ ديموغرافية تتميز كل منها بسمات خاصة معتمدة على تطور المواليد والوفيات ، وتعرف هذه النظرية بنظرية النمو الطبيعى للسكان أو بالنظرية الديموغرافية الانتقالية Demographic Transitional Theory وقد أقيمت على أساس تجارب بيولوجية معملية فى بادىء الامر أجـريت على بعض الكائنات وقام بها ريموند بيرل Raymond Pearl واستنتج أن النمو الطبيعى يحدث فى دورات مميزة ، ففى خلال الدورة الواحدة وفى مساحة معينة ووسط معـين فان النمو يبدأ بطيئـا ثم ما يلبث أن يتزايد بالتدريج وبنسبة ثابتة حتى يصل الى منتصف الدورة وبعد هذه النقطـة فان الزيادة المطلقة بالنسبة للوحدة الزمنية تصبح أقل حتى نهاية الدورة وقد اتخذ لوصف هذه النظرية قانونا رياضيا مستخدما معـادلة المنحنى اللوجستى Logustic Curve لشرح منحنى النمو السكانى وتحديد دوراته المتتابعـة ٠

وهناك نظرية مشابهة هى التى نادى بها Gini الايطالى وقد رأى أن دورة النمو السكانى تشبه دورة حياة الفرد : تتميز بمرحلة نمو سريع مبكر ثم مرحلة نضج وثبـات وبعد ذلك مرحـلة شيخوخـة ، ويرى كلا

أقل من ١ ٪
من ١ - ٢٫٥ ٪
أكثر من ٢٫٥ ٪

شكل رقم (١٩)
معدل النمو السكانى

الباحثين (بيرل وجينى) أن دورة النمو السكانى تتأثر تأثرا كبيرا بعامل المواليد وهبوطه ، وينتج عن هذه الدورات فى النهاية منحنى يأخذ شكل حرف *S* المائل ، وتختلف ديناميكية كل دورة عن الاخرى حسب الظروف الديموغرافية المؤدية اليها .

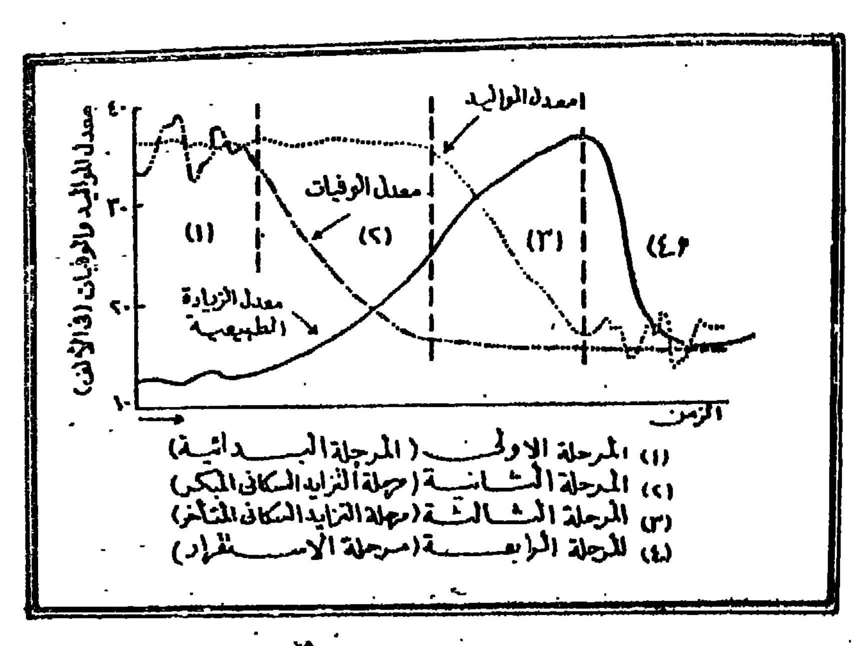
وتعد نظرية الانتقال الديموغرافى من أبرز المظاهر المرتبطة بدراسة السكان وربما حظيت باهتمام كبير يماثل الاهتمام الذى قوبلت به نظرية مالثوس من قبل ، وهى باختصار تمثل العلاقة بين معدل المواليد ومعدل الوفيات وما تنتجه من مؤثرات ديموغرافية تنعكس على معدل النمو السكانى فى المجتمع ، وهى فى ذلك تعتمد على عنصر الزمن لتحديد تطور منحنى النمو وتقسيمه الى مراحل مميزة لكل منها سماتها الخاصة فى هذين العنصرين الحيويين : المواليد والوفيات .

وعلى أساس تباين معدلات المواليد والوفيات فى دول العالم فانه يمكن تقسيمها نظريا حسب هذه النظرية الى أنماط متعددة تضمها المراحل التالية : (شكل رقم ٢٠)

١ - المرحلة الاولى **High Stationary Stage** :

وتعرف أحيانا بالمرحلة البدائية (Primitive Stage) وتتميز بارتفاع معدل المواليد والوفيات ويتعرض السكان فيها لأوبئة ومجاعات ترفع معدل الوفيات الى أرقام كبيرة ، وكذلك ترتفع فيها معدلات وفيات الاطفال الرضع ارتفاعا كبيرا قد يصل الى أكثر من ٢٥٠ فى الالف ، كما أن أكثر من نصف الاطفال يموتون قبل وصولهم سن الخامسة عشرة ، ولقد مرت كل شعوب العالم بهذه المرحلة التى سادت العالم فى كل أجزائه تقريبا حتى القرن السابع عشر الميلادى ولكن قلت المجتمعات التى تتمثل فيها هذه المرحلة فى العصر الحديث قلة واضحة وأصبحت مقصورة على بعض أجزاء وسط أفريقيا وبعض جزر جنوب شرق آسيا وبعض مناطق دول أمريكا اللاتينية حيث يتعدى معدل المواليد والوفيات ٣٠ فى الالف وبالتالى لايزيد معدل النمو السكانى زيادة كبيرة ويظل مرتبطا بظروف التخلف الصحى والاجتماعى السائدة .

وتشبه ظروف هذه المناطق المختلفة ظروف أوربا منذ مائتى سنة ، ولكنها تشمل بعض المجتمعات المنعزلة فى العالم والتى يقدر البعض عدد سكانها بنحو ١٠٠ مليون نسمة ولاشك أن ازدياد اتصالها بالعالم المتحضر سيؤدى الى تقليل معدلات الوفيات بها وبالتالى دخولها فى المرحلة التالية من مراحل الدورة الديموغرافية .



شكل رقم (٢٠)

مراحل النمو السكانى

٢ ـ المرحلة الثانية :

وتعرف بمرحلة التزايد السكانى المبكر (early expanding stage) أو المرحلة الديموغرافية الشابة وتتميز بالنمو المتزايد والسريع للسكان الناتج عن انخفاض معدل الوفيات مع استمرار معدل المواليد مرتفعا ومن ثم تتسع الهوة بين المواليد والوفيات وترتفع نسبة الزيادة الطبيعية، ويتميز الهرم العمرى للسكان باتساع القاعدة أى ارتفاع نسبة الصغار ، وقد انتهت بريطانيا من هذه المرحلة فى السبعينيات من القرن الماضى أو منذ ما يزيد على مائة وعشرين سنة ، وتعيش معظم دول العالم النامى فى هذه المرحلة حيث تسود فى دول أمريكا اللاتينية المدارية وكذلك فى معظم الدول الافريقية والاسيوية ، وقد دخل كثير من هذه الدول تلك المرحلة منذ عقدين أو ثلاثة من الزمان فقط حيث أدى الهبوط المفاجىء فى معدل الوفيات بها واستمرار معدل المواليد ثابتا الى تزايد واضح فى معدل الزيادة الطبيعية الذى وصل الى درجة عالية فى دول هذه المرحلة مثل كولومبيا (٢ر٣٪ سنويا) واكوادر (٤ر٢٪) وفنزويلا (٤ر٢٪) وباراجواى (٧ر٢٪) وكوستاريكا (٤ر٢٪) والفلبين (٦ر٢٪) والسودان (٩ر٢٪) والجزائر (٧ر٢٪) والعراق (٦ر٢٪) ودول هذه المجموعة هى التى تحظى بأعلى معدلات

للنمو السكانى فى العالم والذى يكشف عن زيادة كبيرة حالية ومرتقبة فى عدد السكان بها الذى يمكن أن يتضاعف فى مدى الثلاثين عاما القادمة وبمعنى آخر فان هذه الدول تعيش الان مرحلة الانفجار السكانى الذى يعد من أبرز مشكلاتها المعاصرة ٠

ويعد التطور التكنولوجى الكبير من أهم العوامل التى مكنت الدول من الدخول الى المرحلة الثانية ـ مرحلة الانفجار السكانى ـ حيث استطاعت بواسطته أن تسيطر على الامراض الوبائية وأن تخفض من معدل الوفيات بها فى فترة قصيرة مع بقاء معدل المواليد مرتفعا ولذلك فان ديناميكية الانفجار السكانى ترجع فى الاساس الى الهبوط الكبير فى معدل الوفيات نتيجة السيطرة على أسبابها ٠

٣ ـ المرحلة الثالثة :

وتعرف بمرحلة التزايد السكانى المتأخر (Late expading stage) وهى المرحلة التى تعيشها الدول ذات الخصوبة المتوسطة (معدل المواليد أقل قليلا من ٢٠ فى الالف) ووفيات منخفضة (معدل وفيات حوالى ١٠ فى الالف) ويتميز النمو السكانى بأنه أقل من مستواه فى المرحلة السابقة ذات التزايد المبكر وتتراوح الزيادة الطبيعية فيما بين١٪الى٥ر١٪سنويا ـ مثل سنغافورة (٣ر١٪) وتايلاند (٣ر١٪) وكوريا الشمالية (٨ر١٪) والجنوبية (٩ر٠٪) واندونيسيا (٨ر١٪) وسريلانكا (٥ر١٪) ٠

وفى هذه المرحلة توجد دول أخرى مثل الصين (٥ر١٪) وتايوان (٩ر٠٪) والارجنتين (٣ر١٪) وشيلى (٧ر١٪) ـ وفى هذه الدول بدأت عوامل التغير الاقتصادى والاجتماعى تحدث أثرها فى تقليل معدلات الخصوبة ومن ثم معدلات النمو بها ٠

المرحلة الرابعة Late expanding stage :

وهى المرحلة الاخيرة فى الدورة الديموغرافية وهى تشمل الدول التى وصلت الى مرحلة الثبات والاستقرار الديموغرافيين حيث انخفض فيها معدل المواليد ومعدل الوفيات انخفاضا ملحوظا وبالتالى هبط معدل النمو السكانى بها الى أدنى مستوياته فى العالم اليوم حيث يتراوح بين صفر٪ الى ٠ر١٪ سنويا كما هى الحال فى معظم دول شمال وغرب أوربا،وأوضح الامثلة فنلنده حيث يصل معدل النمو الى ٣ر٪ سنويا وبلجيكا والنمسا (١ر٠٪) والمملكة المتحدة (٢ر٠٪) وفرنسا (٤ر٠٪) ، وفى أقصى حدود هذه المرحلة فقد يحدث نقص طبيعى للسكان كما حدث فى فرنسا مثلا بين

عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٨ عندما كان معدل المواليد ٥ر١٤ فى الالف والوفيات ٣ر١٥ فى الالف وقد عاد التوازن الى السكان بعد ذلك • كما شهدت بعض دول هذه المرحلة نقصا طبيعيا أو ثباتا سكانيا مثل المجر والمانيا والدانمرك •

وتمثل اليابان نوعا فريدا فى العصر الحديث حيث استطاعت أن تمر من المرحلة الثالثة الى المرحلة الرابعة التى تعيشها حاليا فى أقل من عشرين سنة وذلك نتيجة سياسة حازمة لتخفيض معدل النمو السكانى بها حتى وصل الى ٣ر٪ سنويا فقط وهى تعد بذلك الدولة الاسيوية الوحيدة التى تعيش فى المرحلة الرابعة بجدارة •

وبالرغم من أنه يمكن التنبؤ بان كثيرا من الدول ستصل الى المرحلة الرابعة فى النهاية الا أن ذلك الانتقال المرحلى يرتبط بتغيرات جذرية فى التركيب الاقتصادى والاجتماعى فى هذه الدول يمكنها من الهبوط بمعدلات المواليد والوفيات الى المستوى المنخفض السائد فى دول المرحلة الرابعة من الدورة الديموغرافية ، ويبقى الانتقال من مرحلة الى أخرى رهنا بعوامل متشابكة تحدث التغير فى الخصائص الديموغرافية وتجعل المجتمع فى حالة تحول نحو الاحسن •

مستقبل النمو السكانى فى العالم :

يعد تقدير حجم السكان فى المستقبل نتاجا هاما للدراسة الديموغرافية بل هو هدفها الرئيسى والمتمم لها فى الواقع حيث يعتمد على عوامل النمو السكانى الحيوية وعلى الفروض الخاصة بها •

وترجع أهمية التقديرات السكانية فى المستقبل الى أنهـا تلعب دورا كبيرا فى التخطيط الاقتصادى والاجتماعى سواء على مستوى الدولة أو الاقليم المحلى ، فعن طريقها يمكن تحديد حجم السكان فى المستقبل وخصائصهم الرئيسية من حيث تركيبهم العمرى أو النوعى من حيث عدد المستهلكين لخدمات معينة والمستفيدين منها مثل تقدير عدد التلاميذ فى مراحل التعليم المختلفة وتقدير عدد المساكن اللازمة فى المستقبل وغير ذلك •

ومن هنا فان هناك أنواعا رئيسية من التقديرات يختلف كل منها عن الاخر حسب الغرض الذى يعمل من أجله وان كانت كلها تعتمد على قاعدة رئيسية هى تقدير الحجم الكلى للسكان فى فترات زمنية مقبلة ، ومن هذه الانواع مايهتم بتقدير هذا الحجم حسب النوع وفئات السن فقط ومنهـا مايهتم بتقدير عدد الاسر فى المستقبل وذلك بغية التعرف على احتياجات

الاسكان المستقبلة ، ومنها مايولى أهمية خاصة بتقدير عدد السكان فى سن التعليم بمراحله المختلفة بقصد تحديد عدد المدارس والفصول اللازمة فى المستقبل والتى تتمشى مع التزايد فى عدد السكان الذين يشملهم سن التعليم .

وينبغى الاشارة فى هذا المجال الى أن تقدير السكان لفترة زمنية طويلة يقلل من فائدته الى حد كبير وذلك لما هو معروف من التغير المستمر فى عوامل النمو السكانى ولايستطيع الباحث الوقوف على كثير من الظروف المستقبلة التى تؤثر فى العمليات الحيوية للسكان فلايمكن فى الوقت الحاضر مثلا معرفة المؤثرات الطارئة التى تؤثر فى أنماط الوفاة والخصوبة والزواج والهجرة فى المستقبل ، ولذلك كله فمن المعروف ديموغرافيا أن الاطمئنان الى نتائج التقدير السكانى يتناقص بتزايد الفترة التى يمتد اليها التقدير ، وتعتبر الفترة التقديرية من ٢٠ الى ٢٥ سنة كافية لمواجهة متطلبات التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية(١) .

وتقديرات السكان فى المستقبل (أو الاسقاطات السكانية Population Projection) ـ هى عبارة عن مجرد عمل امتداد لنمط معقول معين للنمو من الماضى الى المستقبل مبنى على افتراضات محددة للواقعات الحيوية (المواليد والوفيات) فى ضوء المشاهد منها والمتوقع لها .

وهناك بعض الطرق الرياضية التى تستخدم فى تقدير عدد السكان فى المستقبل منها طريقة استخدام المعادلة الهندسية أو المعادلة الاسية، وتعتمد هذه الطريقة على معدل النمو الذى سبق حسابه للدولة أو الاقليم وعلى افتراض تزايده أو تناقصه فى المستقبل حسبما يتراءى للباحث من دراسة عوامل النمو به ، ثم تفترض بعد ذلك ثبات التركيب العمرى النوعى للسكان كما كان عليه فى التعداد السابق ، ومن ثم يتم توزيع فئات السن بنسب توزيعها السابقة بعد تقدير اجمالى السكان فى سنة لاحقة .

وهناك طريقة رئيسية تستخدم فى تقدير السكان فى المستقبل وتدخل فى حسابها عناصر النمو المختلفة وتعرف هذه الطريقة باسم الطريقة التركيبية Component Method حيث تؤخذ أعداد الذكور والاناث فى كل فئة عمرية فى تاريخ الاساس كقاعدة لتقدير عدد الباقين على قيد الحياة فى فئات السن

---

(١) الامم المتحدة ـ المبادىء العامة للبرامج القومية للاسقاطات السكانية كعامل مساعد فى تخطيط التنمية ـ ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ـ القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ص ١٠ .

المتتالية الاعلى فى تواريخ متعاقبة فى المستقبل وذلك اعتمادا على كل جيل من المواليد بتطبيق معدلات الخصوبة المقدرة على الاناث فى سن الانجاب(١)٠

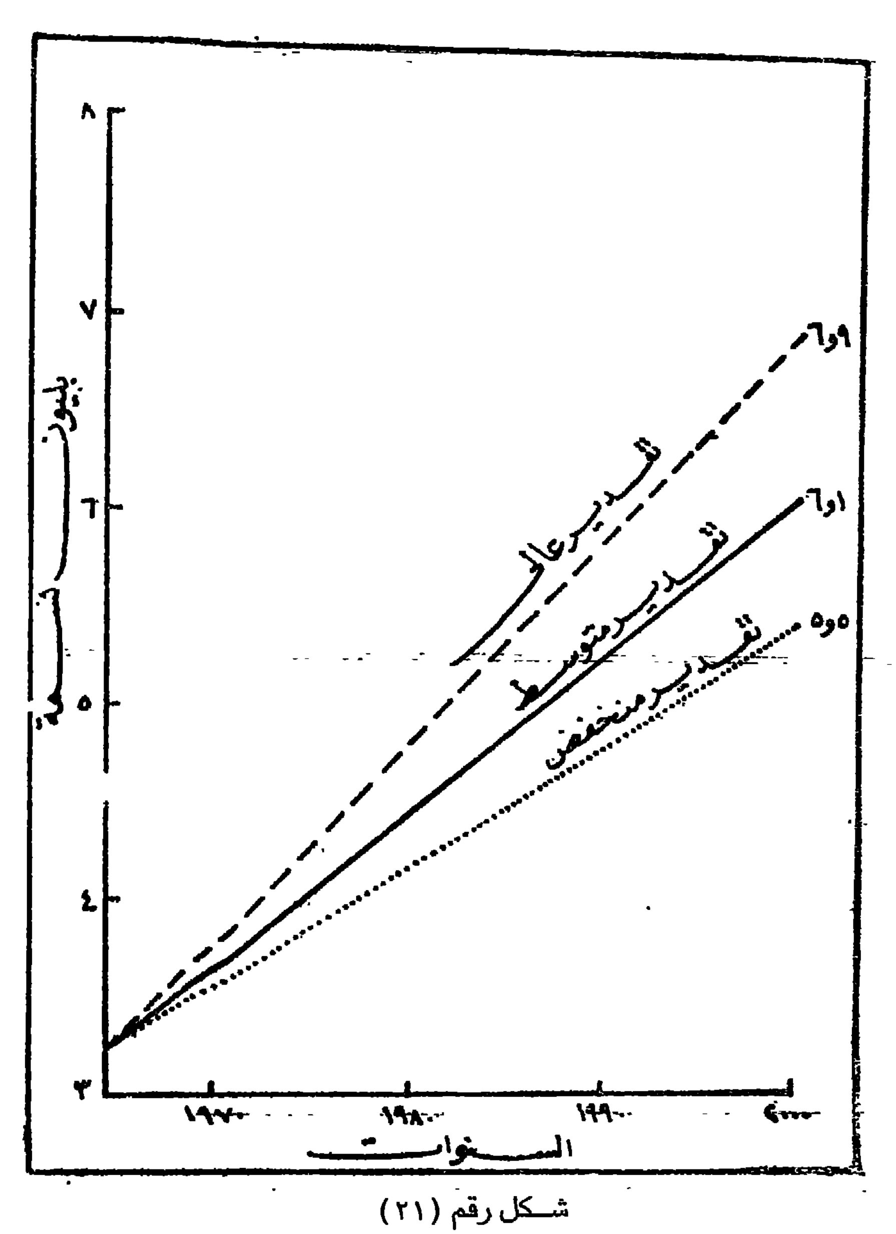
وتختلف تقديرات السكان فى المستقبل حسب اتجاه الخصوبة والوفيات وقد جرت العادة على وضع ثلاثة تقديرات للسكان : تقدير عالى وتقدير متوسط وتقدير منخفض ، ويرتبط التقدير العالى بافتراض ثبات معدلات الخصوبة والوفيات بينما المنخفض يرتبط بهبوط الخصوبة٠ويكون التقدير المتوسط وسطا بينهما ٠ ويبين الشكل رقم (٢١) هذه التقديرات الثلاثة لسكان العالم حتى سنة ٢٠٠٠ ٠ واذا أخذنا التقدير المتوسط فيبدو أن سكان العالم سيتعدون الستة بلايين نسمة ــ ومعنى ذلك أن عددا يصل الى ٢٤٠٠ مليون نسمة سيضافون الى سكان العالم فى الربع الاخير من القرن العشرين ٠

جدول رقم (٢٢) تقدير سكان القارات حتى سنة ٢٠٠٠(١)
(تقدير متوسط)

القارة	١٩٧٠	١٩٨٥	٢٠٠٠	٢٠٢٥
أفريقيا	٣٤٤	٥٣٠	٧٦٨	١٦٤١
آسيا	٢٠٥٦	٢٨٧٤	٣٤٥٨	٤٩٧٦
أمريكا اللاتينية	٢٨٣	٤٣٥	٦٣٨	٧٤٠
أمريكا الشمالية	٢٢٨	٢٨٠	٣٥٤	٣٦٧
أوربا	٤٦٢	٥١٥	٥٢٧	٥١٨
كومنولث الدول المستقلة	٢٤٣	٢٨٧	٣٥٣	٣٦٣
الاوقيانوسية	١٩	٢٧	٣٢	٤١
العالم	٣٦٣٥	٤٩٣٣	٦١٣٠	٨٦٤٥

(١) الامم المتحدة ــ طرق اسقاط السكان حسب العمر والنوع ــ الكتاب الثالث ــ ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ــ القاهرة ــ ١٩٦٧ ٠

(2) The Population Reference Bureau, April 1970.
The Population Council Reports on Population and Family Planning, No. 15. January, 1974.
INED., Tous les Pays du Monde 1991, No. 259.



شكل رقم (٢١)

تقدير عدد سكان العالم حتى سنة ٢٠٠٠

ويبين الجدول رقم (٢٢) التقدير المتوسط لعدد السكان فى قارات العالم فى الفترة من ١٩٧٠ الى ٢٠٠٠ ، وفى ضوء هذه الارقام ـ فانه يمكن تقسيم قارات العالم الى مجموعتين : مجموعة القارات النامية وتشمل أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ومجموعة القارات المتقدمة وتضم أوربا

وأمريكا الشمالية والاوقيانوسية . ويبدو واضحا أن المجموعة الاولى سيتضاعف عدد سكانها فى حوالى ثلاثين عاما (١٩٧٠ - ٢٠٠٠) وهى تعيش الان مرحلة الانفجار السكانى ، واذا كان سكان هذه المجموعة يشكلون أكثر من ثلاثة أرباع سكان العالم فى الوقت الحاضر فان نسبتهم ستصل الى قرابة أربعة أخماس سكان العالم فى سنة ٢٠٠٠ . وعموما فانه حسب هذا التقدير المتوسط سيزيد عدد سكان القارات النامية زيادة مطلقة بنحو ٢١٨٤ مليون نسمة بنسبة ٨٠٪ فى الفترة من ١٩٧٠ حتى ٢٠٠٠ - أى بمعدل نمو ٥ر٢٪ سنويا ، ثم يقدر بأن جملة سكان هذه المجموعة النامية سيصل الى ٧٣٥٧ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ أى ٨٥٪ من سكان العالم آنذاك .

وقد يكون مفيدا اعطاء بعض الامثلة على تطور عدد السكان فى بعض دول هذه المجموعة كما تبين الارقام التالية (بالمليون)(١) :

الدولة	عدد السكان ١٩٧٠	عدد السكان ١٩٨٥	عدد السكان ٢٠٢٥
الصين	٧٦٠	٩٦٤	١٥٩١
الهند	٥٥٥	٨٠٧	١٣٦٦
البرازيل	٩٣	١٤٣	٢٤٦
باكستان وبنجلاديش	١٣٧	٢٢٤	٥٠٧
نيجيريا	٥٥	٨٥	٣٠٥
المكسيك	٥١	٨٥	١٤٣
الفلبين	٣٨	٦٤	١٠١
مصر	٣٤	٥٠	١٠٥

أما سكان المجموعة الثانية وهى القارات المتقدمة ، فيتميزون بمعدل نمو منخفض ناجم بطبيعة الحال عن انخفاض معدلات المواليد بها ،ولذلك فان سكانها سيزيدون فى خلال الثلاثين عاما بين عامى ١٩٧٠ - ٢٠٠٠ بنحو ٣٠٠ مليون نسمة فقط وبنسبة زيادة تصل الى ٣٣٪ فقط أى قرابة ١٪ سنويا ، ويبدو من تتبع منحنى التطور الديموغرافى فى هذه الدول أنها وصلت الى مرحلة الاستقرار والثبات السكانى وهى المرحلة الاخيرة من مراحل دورة الانتقال الديموغرافى كما سبق القول ، ومن ثم سيتناقص حجم سكانها فى سنة ٢٠٢٥ .

(١) المصدر :
INED., Population et Sociètés, 1991, No. 259, Tous les Pays du Monde (1991).

الباب الثالث

الهجرات السكانية

مقـــــــدمة

تعد الهجرة عنصرا رئيسيا من عناصر الدراسة السكانية ذلك لانها فيما عدا الزيادة الطبيعية تعد المصدر الوحيد لتغير حجم السكان ، ومع هـذا فان دراستها ليست ميسرة مثل دراسـة المواليد والوفيات وذلك لاختلاف البيانات بينهما اختلافا جوهريا ، واذا كانت الهجرة عاملا مؤثرا فى نمو السكان فانها تؤثر بالتالى فى خصائصهم الديموغرافية والاقتصادية حيث يعد التغير فى التركيب العمرى والنوعى مثلا نتاجا هاما من نتائج الهجرة من الاقليم أو اليه ، ولما كان صافى الهجرة يعنى انتقال السكان منمكان لاخر فان ذلك يعيد توزيع السكان فى أى منطقة ومايترتب عليه من نتائج ايجابية كتوفر الايدى العاملة وزيادة فرص الحصول على المدرب منها،أو نتائج سلبية مثل زيادة عبء الاعالة فى المناطق المهاجر منها وخلق كثـير من المشكلات السكانية والاسكانية فى المناطق المهاجر اليها .

والهجرة ظاهرة جغرافية تميز السكان على مر العصور ، وتماما كما يهتم دارس النبات والحيوان بتوزيع وهجرة أنواع الحيـاتين النبـاتية والحيوانية فان دارس جغرافية السكان يهتم هو الاخر بالحركة الجغرافية للبشر ، وتعكس معظم الحركات السكانية رغبة الانسان فى مغـادرة منطقة ما تصعب معيشته بها الى منطقة أخرى يعتقد فى امكان العيش بها بصورة أفضل وأحسن،وليس ذلك فى الهجرات الدولية فقط بل فى الهجرات المحلية كذلك ، مثل انتقال الايدى العاملة من مكان لاخر وانتقال سكان الريف للعيش فى المدن وانتقال السكان من المناطق المزدحمة الى المناطق الاقـل ازدحاما وهـكذا .

وعلى ذلك فان الدوافع للهجرة قد تكون واحدة فى الغالب والعـامل المشترك الاعظم بينها هو عدم الرضا **Dissatisfaction** عن البيئة الاصلية للمهاجرين مما يحفزهم للانتقال نحو بيئة أخرى أكثر ملاءمة ، وتشترك معظم الهجرات فى ذلك ابتداء من الانتقال الموسمى للعمال الزراعيين مثلا الى موجات الهجرة الضخمة لتعمير مناطق حديثة العهد بالاستيطان ــ مثل الخروج الاوربى العظيم نحو العالم الجديد .

وللهجرة أنماط متعددة ويتميز كل منها بخصائص ديموغرافية خاصة وان كان يقصد بها عموما الانتقال الجغرافى من منطقة لاخرى وهى تنقسم الى قسمين من حيث الاستمرار والدوام هما : الهجرة الدائمة Life - time migration والهجرة المؤقتة Temporary Migration ، ولسهولة الدراسة فانه يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام رئيسية من حيث المدى والاتجاه وهى:

١ – الهجرات الدولية وتتمثل فى الانتقال السكانى عبر حدود الدول أى من دولة لاخرى ٠

٢ – الهجرة الداخلية ، أو المحلية وهى تتمثل فى انتقال السكان فيما بين أجزاء الدولة الواحدة ٠

٣ – الهجرة الدولية Ryhthmic Migrations أو المؤقتة : وتتمثل فى الانتقال الجغرافى من مكان لاخر لفترة محددة ثم مايلبث المهاجرون ان يعودوا الى مواطنهم الاصلية بعد ذلك وأبرز أمثلتها هجرة الايدى العاملة والانتقال الموسمى لبعض السكان ٠

ويلاحظ أن النوع الثالث من الهجرات السكانية قد يندرج جزئيا تحت واحد من النوعين السابقين ، فقد تضم الهجرة الدولية مثلا هجرة للايدى العاملة من دولة لاخرى لفترات محددة وتعرف بهجـرة عمال الاهـداف Target Workers كما فى أفريقيا المدارية مثلا ، كذلك فقد تضم الهجرات الداخلية نفس الظاهرة أى انتقال الايدى العاملة من مكان لاخـر داخـل الدولة الواحدة لفترات محددة ، كذلك قد تضم هجرات لجماعات سكانية Trans humance وفى مسالك محددة كانتقال رعاة الجبال الى السهول أو الانتقال من مناطق الحشائش الفقيرة الى تلك المناطق الغنية بمراعيها٠

الهجـرة الدولية :

يشمل هذا النوع من الهجرات الانتقال السكانى عبر حدود الدول ليس فقط الدول المتجاورة بل ومن قارة الى أخرى ، وليست المسافة ذاتاعتبار كبير فى تعريف هذا النوع من الهجرة ذلك لان الاوكرانى الذى ينتقل مثلا للعمل فى فلاديفوستيك يقطع مسافة أكبر بكثير من البولندى الذى يهاجر للعمل فى فرنسا بالرغم من الاول يتحرك داخليا عبر حدود دولة واحـدة بينما انتقـل الثانى عبر حـدود أكثر من دولة ومن ثم يدخـل فى عـداد الهجرة الدولية ٠

وعلى ذلك فان دراسة الهجرة الدولية تبدو سهلة فى ضوء هذا التعريف البسيط لها واعتمادا على سجلات الهجرة عند حدود الدول،ولكن ماينبغى ملاحظته هو أن الاعتماد على هذه السجلات لايؤدى الى دراسة دقيقة ، ذلك لانها قد لاتحوى كل الحقائق عن المهاجرين منناحية كما أنها سجلات لحظية من ناحية أخرى تسجل حالة المهاجر وقت عبور الحدود دون أعتبار للتغير الوظيفى والاجتماعى الذى سيطرأ عليه فى دولة المهجر بعد ذلك ، كذلك قد لاتتوافق بيانات الهجرة للدولة الموفدة مع بيانات الدولة المستقبلة فعلى سبيل المثال لاتتفق البيانات التى تنشرها ألمانيا عنالمهاجرين الالمان الى الارجنتين مع تلك التى تنشرهـا الارجنتين عن هـؤلاء الاشخـاص الوافدين اليها ٠

ولاتعنى الهجرة الدولية الانتقال الجغرافى عبر الحدود السياسية بقصد الاستقرار الدائم فى المهجر فقط بل انها تضم أنواعا أخرى أهمها الهجـرة المؤقتة لبعض السكان ، ويرتبط ذلك بمغادرة بعض المهاجرين لمواطنهم الاصلية فى دولهم للعمـل فترة من الزمن فى دولة أخـرى ثم مايلبثوا أن يعودوا لدولهم مرة أخرى بعد أن يكونوا قد كـونوا ثروة تساعدهم على العيش فى مستوى أعلى مما كانوا عليه قبل الهجرة ، وتسود هذه الظاهرة فى كثير من المناطق مثل صقلية فى جنوب ايطاليا واليونان وبعض مناطق جنوب شرق أوربا مثل ألبانيا أو بلغاريا حيث يتميز المهاجـرون العائدون من الامريكتين الى وطنهم بمستوى معيشى مرتفع وفضلوا العودة لقضـاء بقية حياتهم فى موطنهم الاصلى ، ولقد كانت الهجرة المؤقتة سمـة هـامة لحركة الهجرة نحو أمريكا الجنوبية ، ذلك أنه فى الارجنتين مثلا فيما بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٥٠ لم يستقر بها من جملة المهاجرين اليها وعـددهم ٨٧٦ر١٥٩ر١٤ مهاجـرا سـوى ٤٢٢ر٣١٨ر٢ مهاجرا فقـط استوطنـوها بصفة دائمة(١) ٠

وتعكس هذه الظاهرة مدى التلاؤم مع العيش فى البيئة الجديدة التى يهاجر اليها الفرد وعودته الى موطنه الاصلى نتيجة عدم قدرته علىالتكيف الدائم مع المهجـر وان كان كثير من أبنـاء هؤلاء المهاجرين وأحفـادهم يستمرون فى دولة المهجر مكونين بذلك جيلا من المهاجرين الدائمين أكثر ارتباطا بالمهجر من ارتباطهم بالوطن الام ٠

---

(1) Béaujeu - Garnier, J., Op. Cit., p. 171.

وتشمل الهجرة المؤقتة كذلك الانتقال السكانى لمدد محددة وقصيرة ، مثل هجرة العمال الجزائريين الى فرنسا الذين يتركون أسرهم فى الجزائر ويتجهون الى فرنسا للعمل بضع شهور أو بضع سنوات فقط وذلك حتى يتمكنوا من تحقيق بعض طموحهم ، ويبلغ عدد الجزائريين العاملين فى فرنسا قرابة ٣٠٠٫٠٠٠ جزائرى ، وقد جاء معظمهم من المناطق الجبلية فى الجزائر ، وليسوا فى غالبيتهم من العمال المدربين بل يمارسون أعمالا بسيطة أو يدوية لا تتطلب خبرة فنية ، ويهاجر الواحد منهم لمدة تتراوح بين ثمانية عشر شهرا وثلاث سنوات ـ ثم ما يلبث أن يعود الى وطنه • ويسهم الكثير من العمال الجزائرين فى أعمال البناء والتشييد وفى المناجم والزراعة ولايهمهم التلاؤم مع البيئة الجديدة بطبيعة الحال ـ طالما أن وجودهم بها مؤقت ومن ثم لايتركون بصمات قوية وراءهم فى الخصائص الديموغرافية لسكان المهجر •

الهجرات الاجبارية وتبادل السكان :

شهد العالم ـ بالاضافة الى الهجرات الدولية الاختيارية هجرة من نوع آخر ـ وهى التهجير الاجبارى وازاحة السكان من مكان لاخر،وكانت تجارة الرقيق فى الماضى أبرز الامثلة على ذلك • فقد نشط البرتغاليون منذ سنة ١٤٢٢ فى جلب الزنوج من أفريقيا للعمل فى شبه جزيرة ايبيريا•ولكن منذ سنة ١٥١٧ زادت تجارتهم فى الرقيق لامداد أمريكا بهم ثم نافسهم الانجليز فى ذلك حتى أصبحوا هم الاخرين من أعظم صيادى الزنوج فى أوائل القرن السابع عشر وأسسوا مراكز لذلك على ساحل أفريقيا،وبالرغم من الغاء هذه التجارة رسميا فى سنة ١٨٠٧ فقد استمرت فى الواقع حتى سنة ١٨٥٠ وهناك تقديرات مختلفة لاعداد الزنوج الذين أجبروا على ترك أفريقيا على يد البيض ومنها ما يذكر أن عددهم بلغ حوالى ٢٠ مليون زنجى اتجهوا نحو الامريكتين ، وقد ترتب على ذلك استنزاف مبكر للموارد البشرية فى أفريقيا •

وبالاضافة الى ذلك فقد أدت الحروب الدولية الى حدوث هجرة بعضها اختيارى والاخر اجبارى • فطبقا لمعاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ حدث تبادل اجبارى للسكان بين مليون نسمة من اليونانيين الذين كانوا يعيشون فى مدن آسيا الصغرى الساحلية وأعيدوا الى اليونان مقابل ٣٠٠٫٠٠٠ تركى أعيدوا من اليونان الى تركيا ، وقد نشطت ألمانيا فى سياسة ضم السكان قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية من الدول المجاورة التى تعيش بها

أقليات المانية حتى بلغ عدد اللاجئين الالمان فى سنة ١٩٥٦ حوالى ٥ر١٥ مليون لاجىء منهم ٢ر١١ مليـون فى المانيا الاتحـادية وبرلين الغـربية وبعضهم فى النمسا • كذلك فقد أعقب استقلال الهند والباكستان فى سـنة ١٩٤٧ تبادل سكانى بينهما شمل ١٧ مليون نسمة ، حتى أنه فى سنة ١٩٥٧ بلغ عدد اللاجئين فى الباكستان ٤ر٨ مليون لاجىء وفى الهند ٨٥ر٨ مليون، وبنسبة تصل الى ١٠٪ من سكان الباكستان و ٢٪ من سكان الهند •

وبصفة عامة فقد قدر أن عدد الذين هاجروا أو هجروا فى خلال الخمس والعشرين سنة التى تلت الحرب العالمية الثانية ــ ونتيجة حركات التحرر التى تبعتها ــ يصل الى حوالى ١٠٠ مليون نسمة وهو عدد ضخم ولاشك(١) •

(1) Ibid., p. 175.

الفصل السابع

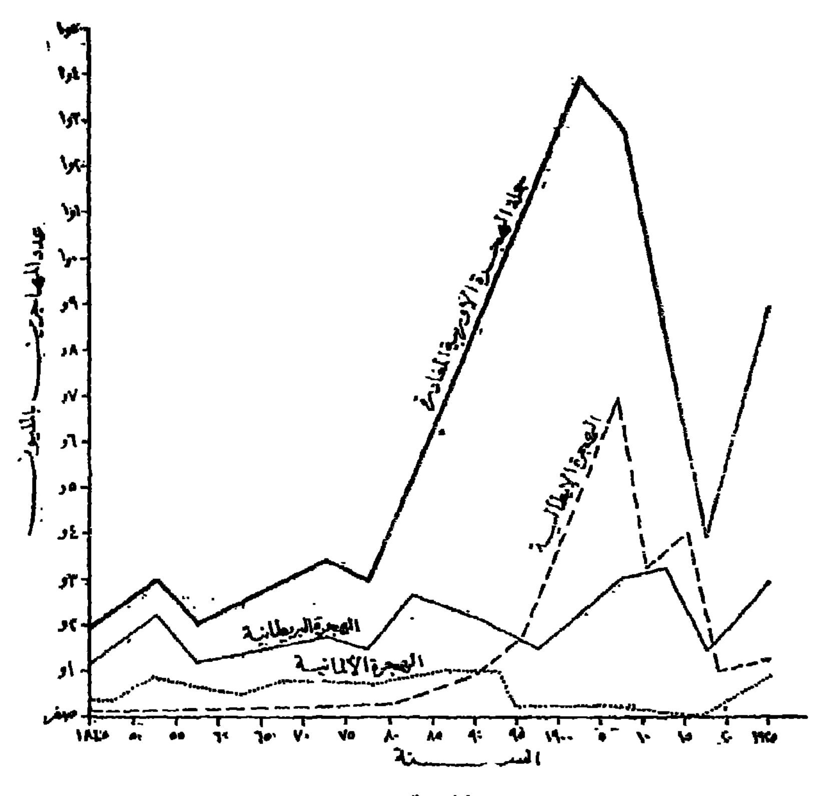
الهجرة الدوليـة الاوربيـة

اسهمت قارة أوربا الصغيرة المساحة والواقعة فى اقصى الطرف الشمالى الغربى من العالم القديم ـ أكثر من أى قارة أخرى فى العالم فى الهجـرة الدولية ، فقد شهدت هجرة مغادرة ضخمة فى المائة وخمسين سنة الاخيرة حتى أنه يقدر بأن عدد الاوربيين الذين غادروا قارتهم الى باقى أقـاليم العالم يتراوح بين ٥٠ ـ ٦٠ مليون نسمة اتجه أكثر من نصفهم الى أمريكا الشمالية ، وقد قدر معدل الهجرة الدولية الخارجة من أوربا فيمـا بين سنتى ١٨٤٦ـ١٩٣١ بنحو ٣ فى الالف تقريبا من مجموع السكان الاوربيين .

ولم يكن الخروج الاوربى ـ جديدا ـ بل جاء فى أعقاب حركة الكشوف الجغرافية على أكتاف الرواد الاوربيين الاوائل ، وقد تمثل هذا الخروج المبكر فى هجرة أعداد من الفرنسيين والانجليز والهولنديين والبرتغـاليين والاسبان منذ القرن السادس عشر نحو جـزر الهند الغربيـة وسـواحل الامريكتين وأفريقيا والهند ، ولكن الهجرة الضخمة ذات الاعداد الكبـيرة ارتبطت بتزايد سكانى كبير شهدته أوربا وواكبه تطور فى وسائل النقـل وكذلك تزايد فى الثروات المكتشفة فى العالم الجديد مما شجع الكثيرين على الهجرة الى أقطار هذا العالم والى بعض مناطق العالم القديم أيضا .

ويمكن أن تنقسم قصة الهجرة الاوربية الضخمة الى مراحل عديدة : فقد عبرت أولى موجاتها المحيط الاطلسى فيما بينسنتى ١٨٥٠ ـ ١٨٥٥ والثانية نحو سنة ١٨٧٥ والثالثة فيما بين سنتى ١٨٨٥ ، ١٨٩٠ والرابعة وهى الاكثر اهمية فيما بين سنتى ١٩٠٥ ـ ١٩١٣ والخامسة فى سنة ١٩٢٥ (انظر شكل رقم ٢٢) والسادسة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، ولقد شهدت سنة ١٩١٣ اكبر عدد من المهـاجرين يغـادر القارة فى أى سنة من السنوات حيث بلـغ ١٫٥٢٧٫٠٠٠ نسـمة منهـم ٥٦٥٫٠٠٠ ايطـالى و ٣٨٩٫٠٠٠ بريطانى و ٢٠٦٫٠٠٠ اسبانى و ١٩٤٫٠٠٠ نمساوى ، وكان

شمال غرب أوربا أكثر اقاليم القارة دفعا بأبنائه للهجرة عبر المحيط واسهمت بعض أقطاره بنسبة عالية من المهاجرين فقد ارسلت الجزر البريطانية واسكنديناوه وبلجيكا وهولنده بما يقرب من ٢٥ مليون مهاجر ـ ثلثا هذا العدد من البريطانيين وحدهم وقد اتجه ٥٦٪ من هؤلاء الى الولايات المتحدة و ١٥٪ الى كندا و ٥٠٪ الى استراليا و ٥٪ الى جنوب أفريقيا .



(شكل رقم٢٢)

موجات الهجرة الاوربية فى الفترة (١٨٤٥ ـ ١٩٢٥)

وقد بدأت أقطار أوربية أخرى فى الاسهام بعدد من المهاجرين فقد خرج من المانيا نحو ٧ مليون مهاجر فى الفترة من ١٨٧٨ ـ ١٨٩٣ وكذلك فيما بعد الحربين العالميتين الاولى والثانية ، كما هاجر حوالى ١٠ مليون ايطالى خاصة بعد سنة ١٨٨٥ ، ذهب ٤٢٪ منهم الى الولايات المتحدة و٢١٪ الى البرازيل و ٢٠٪ الى الارجنتين ، ١٠٪ الى فرنسا ، وان كان

الكثيرون منهم قد عادوا الى الوطن الام لقضـاء بقية عمرهم به . ومنذ بداية القرن العشرين بدأت دول وسـط شرق أوربا فى الاسهام فى حـركة الهجرة الخارجة نحو العالم الجديد ، وقد بلغ عدد المهاجرين ٢٠ مليون من النمسا والمجـر و ٣ مليون من شبه جـزيرة ايبيريا و ٧٠٠,٠٠٠ من اليونان ومثلهم من الروس والبولنديين .

الهجرة الاوربية فيما وراء البحار :

تعد الهجرة التى خـرجت من أوربا أكبر حـركة هجـرة سكانية فى التاريخ ، وقد بدأ تيار الهجرة عبر المحيط قبل القرن التاسع عشر عقب اكتشاف الامريكتين واستعمارها على يد الاسبان ، ولكن قدر أنه فى الفترة من سنة ١٨٢١ حتى سنة ١٩١٠ غادر أوربا ٢٦ مليون مهاجر على الاقل نحو الولايات المتحدة وحدها . وقـد تباينت أجزاء القـارة فى تيـارات الهجرة الخارجة منها ، ولكن من المؤكد أن كل دول القارة الآوربيـة قد أسهمت فى حركة الهجرة حتى أصبحت المهاجر البعيدة تضم خليطا متميزا بخصائص الشعوب الاوربية مجتمعة ، وكانت دوافع الهجرة مشتركة بين كل الاقطار الاوربية فأحيانا كانت تبدو ذات تأثير جماعى وأحيانا أخرى يبدو تأثيرها انفراديا حسب فترة التطور الاقتصادى ومستواه السائد .

وقد عانت أوربا من التضخم السكانى مبكرا ـ أى أن مواردها كانت غير كافية لاعداد السكان المتزايدين بها،فالاقتصاد الزراعى تعرض لاجهاد التربة باستمرار الزراعة الكثيفة وتزايد احتياجاتها للتسميد المستمر وزيادة الضغط السكانى على الارض حتى أصبح كثيرا من المزراعين بدون أراضى ومن ثم أصبحت روابطهم بالارض معـدومة ، ثم جاءت ميكنة الزراعـة وجعلت الهجرة أمرا ضروريا ملحا ، وقد تحققت الرغبة فى الهجرة عندما اكتشفت أراضى واسعة فى العالم الجـديد ، وفى عـروض ملائمة منـاخا لاستيطان الاوربيين ، وعندما أصبحت وسائل النقل الحديثة قادرة على نقل أعداد ضخمة من المهاجرين عبر المحيط .

وفى القرن السادس عشر غادر ثلاثة ملايين اسبانى بلادهم نحو أمريكا وتوالى تيار الهجرة الاوربية بعد ذلك ووصل الى ذروته فى فترات محددة خاصة بين سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٥٩ وبين ١٨٨٠ ، ١٨٨٩ ثم فى أوائل القرن العشرين ، ومن ناحية أخرى هبط منحنى الهجـرة الاوربية الخـارجة هبوطا حادا عقب الحرب العالمية الاولى وذلك لفرض الولايات المتحـدة

قيودا على الهجرة اليها - واتجاه كثير من الدول الاوربية الى الاصلاح الزراعى ومحاولة بعضها الحد من هجرة الايدى العاملة بها ٠

ولم تؤثر الهجرة الاوربية المغادرة فى كل الدول الاوربية فى وقت واحد فقد بدأت مبكرة للغاية فى اسبانيا والبرتغال ، وحتى أوائل القرن التاسع عشر كانت تتضمن أساسا الانجليز والاسكتلنديين والايرلنديين والالمان والفرنسيين ، وعندما وفرت الملاحة البخارية وسيلة سريعة نسبيا ورخيصة للنقل بدأت حركةالهجرة تتنوع وتسابقت دولالقارة نحو الهجرة خارجها. وبدأت الحركة أولا من أقطار شمال وشمال غرب أوربا خاصة انجلترا واسكتلنده وايرلنده والدول الاسكندنافية والمانيا. ثم جاء بعد ذلك الاسبان والايطاليون من الجنوب - ثم تلاهم السلاف من شرق أوربا (انظرالجدول رقم ٢٣) ٠

وكان العالم الجديد هو المهجر الرئيسى للمهاجرين من أوربا فقد اتجه تيار الهجرة الرئيسى حتى سنة ١٩١٤ نحو الولايات المتحدة وبلغ أقصاه فى فترات زمنية سابقة كما حدث فى الفترة من سنة ١٨٥١-١٨٦٠ و١٨٨١-١٨٩٠ و ٩٠٠ - ١٩١٤ ، وفى بعض الفترات كان عدد المهاجرين الى الولايات المتحدة أكثر من مليون مهاجر أوربى فى السنة الواحدة،وتتمشى الفترات الثلاث لتدفق المهاجرين بمعدلات عالية مع ثلاثة دوافع رئيسية فالاولى تمشت مع الضغط الديموغرافى فى القارة الاوربية والثانية تمشت مع الزيادة السريعة فى استعمار الغرب الامريكى والتصنيع فى الشمال الشرقى من الولايات المتحدة والثالثة كانت مواكبة للنمو الاقتصادى الصناعى فيها بصفة عامة ٠

ولكن تيار الهجرة الاوربية للولايات المتحدة تعرض لتقلص جوهرى فى حجمه وذلك بسبب القانونالذى أصدرته فى سنة ١٩٢١ والخاص بتحديد حصص المهاجرين اليها وكان الدافع وراء هذا القانون هو رغبة الطبقة العاملة الامريكية فى المحافظة على مستوى معيشتها المرتفع ، كذلك رغبة الامة الامريكية كلها فى المحافظة على تجانسها كدولة انجلوساكسونية،وكان لذلك تاثير جذرى على التدفق الاوربى نحو أمريكا الشمالية حيث قل حجمه اليها بدرجة كبيرة ٠

وقد اتجهت تيارات هجرة نحو أقطار الكومنولث البريطانى ، ولكنها كانت مقيدة بتشريعات خاصة لتحديد عدد المهاجرين غير البريطانيين الى هذه الاقطار بل ولحماية الطبقة العاملة فى الدول المستقبلة من منافسة

جدول رقم (٢٣) الهجرات الدولية (عبر المحيط) فى الفترة من ١٨٢١ – ١٩٣٢(١)

الهجـــرة المغادرة

الدولة (عدد المهاجرين المغادرين بالالف (١٨٤٦ – ١٩٣٢))	العدد	% من السكان الاصليين
١ – الجـزر البريطانية	١٨٠٢٠	٦٤
(بما فيها أيرلنده)	(٥٤٤٣)	(٦٦)
٢ – ايطـــاليا	١١٠٩٢	٤٨
٣ – النمســا – المجــر	٥١٩٦	١٧
٤ – المانيـــا	٤٨٨٩	١٥
٥ – أسبانيـــا	٤٦٥٣	٣١
٦ – روسيا (١٨٤٦ – ١٩٢٤)	٢٢٥٣	٤
٧ – البرتغـــال	١٨٠٥	٤٨
٨ – الســـويد	١٢٠٣	٣٦
٩ – النـــرويج	٨٥٤	٦٣
١٠ – بولنده (١٩٢٠ – ١٩٣٢)	٦٤٢	٢ر٤
١١ – فرنســـا	٥١٩	٥ر١
١٢ – اليـــابان	٥١٨	٦ر١

الهجـــرة الوافدة

الدولة (عدد المهاجرين الوافدين بالالف (حتى سنة ١٩٣٢))		العدد	% من السكان الاصليين
١ – الولايات المتحدة	١٨٢١	٣٤٢٤٤	٣٢٠
٢ – الارجنتـين	١٨٥٦	٦٤٠٥	٥٠٠
٣ – كنـــدا	١٨٢١	٥٢٠٦	(٥٥٠)
٤ – البـرازيل	١٨٢١	٤٤٣١	١١٠
٥ – استراليـا	١٨٦١	٢٩١٣	٢٩٠
٦ – كـــوبا	١٩٠١	٨٥٧	٥٤
٧ – افريقيا الجنوبية	١٨٨١	٨٥٢	٢٤
٨ – اورجواى	١٨٣٦	٧١٣	(٨٠٠)
٩ – نيوزيلندا	١٨٥١	٥٩٤	(٤٧٥)
١٠ – موريشيوس	١٨٣٦	٥٧٣	(٤٣٣)

(١) المصـدر : I.N.E.D., Population et Sociètés, Novembre, 1986 Les Transitions Demographiques, No. 107.

العمال الوافدين حتى العمال البريطانيين ذاتهم ٠ وليس هناك دولة من دول الكومنولث أسهمت بدور كبــير فى استقبال المهــاجرين مثلما أسهمت استراليا ، وبالرغم من أن كندا لعبت دورا هاما كذلك فانها فرضت قيودا حادة وطبقت مفهوم الانتقاء الهجرى الوظيفى فكانت تفضل هجرة الفنيين والزراع والعمال الذين تحتاجهم البلاد ٠

وقد حاول الكثير من دول أمريكا الجنوبية جذب المهاجرين من أوربا حتى عندما حدت الدول الانجلوساكسونية من حركة الهجرة اليها ، ومن الطبيعى أن تيار الهجرة الى أمريكا الجنوبية تدفق من دول البحر المتوسط حيث تتشابه الظروف الحضارية مع مثيلتها فى هذه القارة ولذا فانه فيما بين عامى ١٨٢٠ ـ ١٩١٠ استقبلت البرازيل حوالى ٢٫٨٥٠٫٠٠٠ مهاجرا، ٤٣٪ منهم من الايطاليين و ٣٨٪ من البرتغــاليين والاســبان ، ومازالت الشعوب اللاتينية تكون العنصر السائد من المهاجرين نحو أمريكا الجنوبية حتى الوقت الحاضر ٠

كذلك استقبلت الارجنتين فى الفترة من سنة ١٨٥٧ ـ ١٩١٠ قــرابة ٥٫٧٠٠٫٠٠٠ مهاجرا وكان تيار الهجرة يتكون فى المتوسط من ٥٠٪ اسبان و ٢٥٪ ايطاليين ٠ ومازالت بيرو وكولومبيا وفنزويلا من المهاجـر التى يتجه اليها بعض المهاجرين من شعوب البحر المتوسط وخاصة اسبانيا ٠

الهجرة الاوربية بعد الحرب العالمية الثانية :

كانت أبرز المشكلات السكانية التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية مشكلة الاعداد الكبيرة من الاشخاص الذين طردوا من مواطنهم ولجأوا الى مناطق أخرى ، ويبين الجدول رقم (٢٤) الهجرة من أوربا الى ما وراء البحار فى العشر سنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة ، ففى هذه الفترة كانت هجرة خارجة صافية Net out - migration تقدر بحوالى أربعة ملايين ونصف مليون نسمة ، ومن هذا العدد كان هناك مليون مهاجر من الدول الشيوعية ، وأما الثلاثة ملايين ونصف الباقية فكانت من غرب وجنوب أوربا ، وقد استوعبت الولايات المتحدة أعدادا كبــيرة من هؤلاء المهاجرين ٠

وفى ضوء حجم الســكان ، كان جنــوب أوربا أكثر المنــاطق اسهاما بالمهاجرين بالنسبة لعدد سكانه الاجمالى ، فقد بلغ نصيب ايطاليا وحدها قرابة مليون مهاجر بينما أسهمت البرتغال بهجرة صافية قدرها ٣٠٠٫٠٠٠ مهاجر من جملة سكانها البالغ عددهم ثمانية ملايين نسمة ، أما اسبانيــا

فانه بالرغم من أن الهجرة منها كانت كبيرة هى الاخرى فانها كانت قليلة بالنسبة لعدد سكانها ٠

جدول رقم (٢٤)

الهجرة الصافية من أوربا فى الفترة من ١٩٤٦ ـ ١٩٥٥(١) (ألف مهاجر)

مناطق الهجرة الوافدة الى	مناطق الهجرة المغادرة من : شمال غرب أوربا	جنوب أوربا	شرق أوربا	جملة أوربا ودول الكومنولث الجديد
امريكا الشمالية	١٢٨١	٣٦٩	٥٤٣	٢١٩٣
أمريكا اللاتينية	٤٩	١٠٩٠	٥٢	١١٩١
أفريقيا	ـ ٩٩	٦٢	ـ	ـ ٣٧
آسيا	ـ ٢١٣	١٤	٣٤٥	١٤٦
الاوقيانوسية	٥٣٣	١٨٠	١٥٧	٨٧٠
جملة العالم	١٥٥١	١٧١٥	١٠٩٧	٤٣٦٣

وقد اتجهت الهجرة الاوربية فيما بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة من شمال وغرب القارة الى كندا أو الولايات المتحدة والاوقيانوسية، وأقل من ١٠٠٠٠٠ مهاجر اتجهوا الى أمريكا اللاتينية ، أما جنوب أوربا فقد تميزت الهجرة المغادرة منه باتجاهها فى معظمها الى أمريكا اللاتينية حيث تتشابه اللغات والعادات والديانة، وقد اتجه أكثر من نصف المهاجرين من جنوب أوربا الى هذه القارة واتجه الاسبان الى الدول الناطقة باللغة الاسبانية بينما اتجه البرتغاليون الى البرازيل ٠

وهكذا لعبت الهجرة الاوربية دورا هاما فى خريطة العالم السكانية والاقتصادية ، فقد ترتب عليها نتائج بارزة وعميقة فى كل مظاهر الحضارة خاصة فى العالم الجدية ، فقد أدخلت حاصلات زراعية جديدة وحيوانات مستأنسة وخلقت تيارات ضخمة للتجارة بين العالم الجديد والعالم القديم حتى أن التأثير الاوربى فى العالم ـ أو مايعرف بأوربة العالم Europeanization كان من أبرز معالم التاريخ البشرى الحديث فى كل مجالات الحضارة وأن

(1) Kirk, D. Major Migrations Since World War 11. "in Population Geography A Reader, edited by : Demko. G. and Schnell, G. McGraw-Hill, New York. 1970, pp. 312-313.

نظرة واحدة للعالم اليوم تبين لنا مدى الدور الذى لعبته الهجرة الاوربية فى العصر الحديث ، ولنا أن نتصور العالم الجديد (الامريكتين واستراليا) مثلا اذا لم يتدفق عليه الاوربيون ويجعلوه امتدادا بشريا حضاريا لقارتهم الاصلية .

الهجرة من الجزر البريطانية :

كان البريطانيون أسبق الشعوب الاوربية نحو الهجرة عبر المحيط ، فقد بدأت هجرتهم الى العالم الجديد واستوطنوا بعض مناطقه فى القرن السابع عشر ، ففى سنة ١٦٤٣ أنشئت مستعمرات دائمة فى بلايموث Plymouth فى ماساشوستس وكذلك فى نيوهافن Newhaven فى كونكتيكت وما أن وافى عام ١٦٨٨ حتى كانت مراكز الاستيطان الانجليزية على ساحل المحيط الاطلسى فى أمريكا الشمالية تحوى أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة(١) .

وقد قلت الهجرة الخارجة من بريطانيا بعد ذلك حتى منتصف القرن الثامن عشر عندما بدأت الثورة الصناعية وغيرت من الاحوال المادية فى الوسائل الزراعية ، وقد تدهورت النظم الزراعية القديمة وحلت محلها نظم حديثة جعلت الزراعة كثيفة وتطلبت رؤوس أموال كبيرة واستوعبت المزارع الواسعة الملكيات الصغيرة ، ومع ذلك فقد تعرضت الزراعة لعدد من الكوارث مثلما حدث فى شتاء ١٧٠٩ ،وقلت الروابط التى تربط العمال الزراعيين بالارض .

وقد انعكست نتائج الدورة الاقتصادية على انجلترا ، وبدأ الخروج الكبير للعمال والمهاجرين حوالى سنة ١٨٢٠ ، ثم تبعه خروج آخر فى سنة ١٨٧٠ عندما أدت المنافسة الاجنبية للدول الجديدة فى انتاج المحاصيل الزراعية خاصة القمح الى تفشى البطالة بين العمال ، وتبع استخدام الآلات فى الصناعة توفير قدر كبير من العمال اليدويين خاصة صناعة الغزل والنسيج مما حدا بهم الى الهجرة نحو القارة الاوربية أو نحو العالم الجديد ، وفى سكوتلنده اشترك الاقليمان الطبيعيان ذوى الاقتصاد المتباين وهما اقليم المرتفعات Highlands واقليم السهول Lowlands فى تيار الهجرة الخارجة ، وقد خرجت الهجرة من اقليم المرتفعات القليل الموارد مبكرا فى منتصف القرن الثامن عشر ، ففى الفترة بين سنتى ١٧٦٣ - ١٧٧٥ أدت أزمات الفلاحين الى هجرة أكثر من ٢٠٠٠٠ شخص نحو

---

(1) Perpillou, A. V., Op. Cit., p. 380,

شرق كندا ونيوانجلند ، وبعد سنة ١٧٨٦ تزايدت هجرة الفلاحين الفقراء من هذا الاقليم الذى عانى من التضخم السكانى مبكرا بسبب الزواج المبكر الذى أدى الى زيادة معدلات المواليد بينهم ، وفى نفس الوقت اختفت الحرب بين هذه الجماعات وتلاشى تدريجيا مرض الجدرى الذى كان منتشرا فى هذا الاقليم وارتبط ذلك كله بضيق الرقعة الزراعية حتى أن كل أسرة كان لها فى المتوسط فدان أو فدانان فى هذه المناطق ذات المناخ البارد ولذلك كله خرجت جموع الفلاحين المهاجرين بين سنتى ١٧٨٣ و ١٨٢٠ نحو العالم الجديد .

وعلى عكس اقليم المرتفعات ذى التربة الفقيرة والحياة الرعوية ، كان اقليم السهول منطقة زراعية خصبة يسود به نمط الحياة الصناعية ، ومع ذلك لم يسلم من هجرة خارجة نحو العالم الجديد هو الاخر فمنذ نهاية القرن الثامن عشر بدأ تيار هجرة الحرفيين وتزايد خروجهم عاما بعد آخر فيما بين سنتى ١٨٢٠ - ١٨٣٠ ، وقد أدى ادخال آلات الغزل والنسيج الحديثة الى فقر شديد بين العمال وتفشى البطالة بينهم ، ومنذ سنة ١٨٨٠ شملت الرغبة فى الهجرة الاقاليم الشمالية الشرقية حيث هددت الآلات الزراعية بدورها العمال الزراعيين كذلك ، وتحولت مساحة كبيرة من الاراضى الى مراعى ، وكانت كندا منطقة الجذب الرئيسية للزراع لممارسة حرفتهم فى الاراضى التى تملكوها بها .

وقد حدثت الهجرة الكبيرة للعمال الصناعيين الاسكتلنديين منذ سنة ١٩١٢ مما هدد الصناعة المحلية بالبلاد ، فقد هاجر عدد كبير من العمال المهرة من مراكز الصناعات المعدنية فى وادى كليد Clyde ومهندسو صناعة السفن وغيرهم ، واستمرت هجرتهم حتى قبيل الحرب العالمية الثانية ، ففى سنة ١٩٢٣ وحدها هاجر ٢٧٠٠٠ عامل ماهر من سكوتلنده واتجه ثلاثة أرباعهم الى الولايات المتحدة ، وقد أسهم هؤلاء المهاجرون بدور كبير فى انشاء الصناعات المختلفة بالمهجر وكذلك فى تربية الاغنام خاصة فى استراليا .

وقد بدأت الهجرة من ايرلنده قبل القرن التاسع عشر حيث أدت الظروف الاقتصادية فى بداية ذلك القرن الى هجرة ضخمة نحو الخارج، وحتى سنة ١٨٤١ لم يكن عدد المهاجرين الايرلنديين كبيرا ولكن بعد ذلك العام تضخم تيار الهجرة تضخما ملموسا كما يبين الجدول رقم (٢٥) .

وقد نتجت الهجرة الايرلندية عن أسباب أبرزها الزيادة السكانية

الكبيرة التى زادت من حجم السكان الايرلنديين من ٤ مليون نسمة سنة ١٧٨٨ الى ٨ مليون سنة ١٨٤١ ، ولما كان ثلث جزيرة ايرلنده قاحلا والثلث تغطيه المراعى والثلث الباقى يستغل فى الزراعة ، فقد ارتفعت كثافة السكان من ٢١٥ نسمة فى الميل المربع سنة ١٧٥٩ الى ٤٢٨ نسمة فى سنة ١٨٠١ ثم الى ٦٤٨ فى سنة ١٨٤١ وهذا رقم كبير بلاشك لشعب زراعى يمارس الزراعة الواسعة ، وكان التضخم السكانى أكثر وضوحا فى غرب الجزيرة حيث كانت الغالبية العظمى من الفلاحين أجراء لايملكون أرضا ، وقد تفشت بينهم البطالة حتى أنه يقدر أن ٥٨٥٠٠٠ عاملا كانوا يتعطلون عن العمل مدة ثلاثين أسبوعا كل سنة ٠

جدول رقم (٢٥)

الهجرة من ايرلنده فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر(١)

الفترة	عدد المهاجرين
١٨٤٦ — ١٨٥١	١ر٢٤٠ر٠٠٠
١٨٥١ — ١٨٦١	١ر١٥٠ر٠٠٠
١٨٦١ — ١٨٧١	٧٧٠ر٠٠٠
١٨٧١ — ١٨٨١	٦٢٠ر٠٠٠
١٨٨١ — ١٨٩١	٧٧٠ر٠٠٠

وكان ملايين الفلاحين الايرلنديين يعيشون على محصول البطاطس كغذاء رئيسى ، وكثيرا ماتعرضوا لمجاعات نتيجة نقص المحصول وارتفاع أسعاره ، وقد تعرض محصول البطاطس لانتكاسة حادة فى كمية الانتاج فى ثلاث فترات متقاربة فى السنوات ١٨٤٥ ، ١٨٤٦ ، ١٨٤٨ ٠ وكانت تلك السنوات مقدمة لمجاعة ضخمة ترتب عليها حركة هجرة كبيرة شملت فى بعض السنوات قرابة ثلث عدد السكان بالجزيرة ٠

وعلى العموم فان عدد المهاجرين من ايرلنده يقدر بنحو أربعة ملايين نسمة فى الفترة من ١٨٥٠ — ١٩٠٠ فقط ولم تتوقف حركة الهجرة الا بعد فرض قيود عليها فى سنة ١٨٨٥ عندما تعرضت الجزيرة لاستنزاف شديد فى سكانها وانخفاض معدل المواليد بدرجة كبيرة ، وبدأت الاصلاحات

---

(1) Perpillou; Op. Cit., p. 383.

الزراعية فى المناطق الريفية المزدحمة بالسكان ، ولذا فانه بعد سنة ١٨٩٠ لم يتجاوز عدد المهاجرين ٣٠٫٠٠٠ أو ٤٠٫٠٠٠ مهاجرا فى السنة .

وما أن وافى القرن العشرين حتى كان اقليم ألستر Ulster قد فقد ٣٣٪ من سكانه واقليم لاينستر Leinster قد فقد ٤١٪ ومونستر Munster ٥٥٪ وكونوت Connaught ٥٧٪ . وقد اتجه قليل من المهاجرين الى جلاسجو وليفربول ومانشستر ولكن ٩٠٪ منهم اتجه الى الولايات المتحدة خاصة نيويورك وشيكاغو ، وبلغ عدد الايرلنديين فى الولايات المتحدة ١٠ مليون نسمة فى سنة ١٩٠٠ ، ومازالت ايرلنده تعانى من هذه الهجرة الضخمة ولم تستطع الزيادة الطبيعية أن تعوض النقص فى عدد السكان حتى أن ايرلنده الشمالية وايرلنده لايعيش بهما الان سوى ٤٫٣ مليون نسمة فقط .

وتمثل الهجرة التى خرجت من الجزر البريطانية أضخم حركة هجرية عابرة للمحيطات شهدها الجنس البشرى ، فلقد بلغ حجم المهاجرين من هذه الجزر قرابة ١٧ مليون نسمة فيما بين سنتى ١٨١٥ — ١٩٢٦ ،وكانت أضخم موجات الهجرة فى الفترات التالية :

بين سنة ١٨٥١ وسنة ١٨٦٠ — ٢٫٢٨٧٫٠٠٠ مهاجر
بين سنة ١٨٥١ وسنة ١٨٩٠ — ٢٫٥٥٨٫٠٠٠ مهاجر
بين سنة ١٩٠١ وسنة ١٩١٠ — ٢٫٨٤٠٫٠٠٠ مهاجر

وقد هبط عدد المهاجرين بحدة بعد سنة ١٩٢٠ ولم يتعد ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة فى السنة فقط بل أن ٤٠٪ منهم عاد الى بريطانيا بعد عدة سنوات من هجرته .

ولم تؤد الهجرة المستمرة من بريطانيا الى نقص حاد فى عدد السكان، ذلك لان الزيادة الطبيعية تولت سد النقص الناتج عن الهجرة.وقد تزايد السكان من ٢٧٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة فى سنة ١٨٥٣ الى ٤٠٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٠٠ ثم الى ٥٢٫٧٢٠٫٠٠٠ سنة ١٩٦١ ، ويصل الان (١٩٩١) الى ٥٧٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة .

وبالاضافة الى أمريكا الشمالية التى كان بها ٢ مليون بريطانى فى سنة ١٧٦٠ ،فقد اتجه المهاجرون الانجليز الى الاراضى المعتدلة فى نصف الكرة الجنوبى ، وقد نقلوا الى هذه الاراضى نفس المحاصيل والحيوانات المتجانسة التى كانت سائدة فى الوطن الاصلى وقد توفرت بعض العوامل التى جذبت مهاجرين بريطانيين آخرين الى تلك الاقطار الجديدة كتعدين

الذهب فى كاليفورنيا سنة ١٨٤٨ واستراليا فى سنة ١٨٥١ ونيوزيلندا فى سنة ١٨٦١ وجنوب افريقيا سنة ١٨٨٨ ٠

وقد أسهمت الهجرة البريطانية فى تعمير أربع مناطق ضخمة فى العالم هى الولايات المتحدة ، وكندا واستراليا وجنوب افريقيا ٠

الولايات المتحـــدة :

كان عدد سكان الولايات المتحدة ٢٫٣١٢٫٠٠٠ نسمة هم جملة سكن المستعمرات الانجليزية فى سنة١٧٧٠ والتى كانت تتوزع على ساحل المحيط الاطلسى ويفصلها عن الداخل حاجز من المرتفعات الجبلية (الابلاش) ،وقد أدت الهجرة البريطانية الى زيادة عدد سكان المستعمرات وتقوية الرغبـة فى الاتجاه عبر هذه الحواجز نحو الغرب ، وفيما بين سنتى ١٨٢٠و١٨٧٠ كان أكثر من نصف عدد المهاجرين وافدين من بريطانيا ، وفيما بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ كان أكثر من ثلث القادمين الجدد الى الولايات المتحدة من الجزر البريطانية أيضا ، وبعد ذلك بدأ العنصر الانجلو ـ ساكسونى يفقد نقاءه الخالص نتيجة هجرة عناصر أخرى من جنوب وشرق أوربا ، ومع ذلك فقد ظل العنصر الاول هو السائد حتى استطاعت الامة الامريكية استيعاب العناصر الاخرى بسهولة بفضل المقومات البشرية للعنصر الانجلوساكسونى وسيادة اللغة الانجليزية ٠

كنـــــدا :

أما كندا فقد كان تعميرهـا بالمهاجرين الانجليز متأخـرا وسبب ذلك مناخها وامكانياتها الاقل من الولايات المتحدة ، وقد ارتفع عدد سكانهـا من ٥٨٢٫٠٠٠ نسمة فى سـنة ١٨٥٢ الى ١٫٨٤٠٫٠٠٠ نسمـة فى منتصف القرن التاسع عشر ثم الى ٨٫٤٠٠٫٠٠٠ فى سنة ١٩٢٠ والى ١٨٫٠٨٠٫٠٠٠ سنة ١٩٦١ ٠

ولم تبدأ الهجرة الحقيقية لكندا الا قرب نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد التطور الذى شهدته الملاحة البخارية والسكك الحديدية وبعد زراعة أراضى الحبوب الشاسعة فى الغرب الكندى والشروط الميسرة لمنح الاراضى واستغلالها،وقد استقبلت كندا ٦٠٫٠٠٠ مهاجرا فى سنة ١٨٨١ ، وأكثر من ٤٠٠٫٠٠٠ مهاجر فى سنة١٩١٢ ،ويقدر انه فى أقل من عشر سنوات استوطن ٦٠٠٫٠٠٠ بريطانى الغرب الكندى الاقصى ٠

استراليــــــا :

عزفت الهجرة فى بداية الامر عن استراليا بسبب بعدها وتطرفهـا من

ناحية واستيعاب الامريكتين لمعظم تيارات الهجرة من ناحية أخرى ، ولكن تطور وسائل النقل منذ منتصف القرن التاسع عشر واكتشاف الذهب بهذه القارة ادى الى موجات مندفعة نحوها ، ففيما بين عامى ١٨٥١ و ١٨٦١ هاجر اليها قرابة ٥١٠٫٠٠٠ مهاجر بريطانى بالرغم من بعدها عن بلادهم ولكن فترت حركة الهجرة بعد ذلك عندما جاء حزب العمل الاسترالى الى السلطة وقيد حركة الهجرة بطريقة استمرت آثارها مدة طويلة .

وقد تزايدت الهجرة الى استراليا قليلا بعد سنة ١٩٠٥ ، ولكى بقى بعد القارة وتطرفها عاملا فى قلة أعداد المهاجرين،واليوم يصل عدد سكان هذه القارة الى ١٧٫٥ مليون نسمة ، وهى حسب التقديرات المتواضعة يمكن أن تستوعب ٢٠ مليونا آخرين لتصل الى حالة التوازن المثالى بين السكان والموارد . ومعظم سكانها من أصل بريطانى ذلك لانها حتى وقت قريب لم تعانى من اختلاط العناصر المختلفة كما فى الولايات المتحدة وكندا وجنوب افريقيا بسبب سياستها المعروفة بالسياسة الاسترالية البيضاء التى تمنع هجرة العناصر غير البيضاء اليها .

أما فى جنوب افريقيا : فقد وقف عائقان بشريان أمام الهجرةالبريطانية وهما البوير Boers والزنوج Negroes ولذا وفدت الهجرة البريطانية ببطء شديد الى هذا الجزء من القارة ، وفى الوقت الحاضر فان هناك رجلا أبيضا مقابل كل خمسة من الزنوج وواحد من البوير مقابل كل اثنين من المستوطنين البيض فى مجموع كلى للسكان بلغ ٤٠٫٦ مليون نسمة فى جمهورية جنوب أفريقيا .

والبوير ـ ويعرفون اليوم بالافريكان Afrikaners يتكونون من أحفاد المستوطنين الهولنديين الاوائل ، وقد كانوا بالبلاد قبل مجىء البريطانيين اليها ويتكونون أساسا من الهولنديين وان كانوا قد اختلطوا ببعض البولنديين والسويسريين والاسكندنافيين ، وقد استوطنوا جنوب افريقيا فى بداية فترة الاستعمار الهولندى ولاقوا صعوبات جمة فى المحافظة على شخصيتهم الاصلية ومن ذلك محاولتهم الاحتفاظ بلغتهم الهولندية التى اختلطت مع الانجليزية ولغة البانتو وأصبحت تكون لغة تعرف بالافريكانز Afrikaans وتتحدث بها الغالبية العظمى من السكان .

ويتكون السكان الريفيون أساسا من البوير الذين لايسهمون الا قليلا فى الادارة ـ والاعمال أو التعدين وهما الحرفتان الرئيسيتان اللتان جلبتا الثروة للمستوطنين البريطانيين ، ونظرا لانهم ينتجون الصوف والحبوب

والمحاصيل الزراعية فان البوير كثيرا ما عانوا من الكوارث الطبيعية التى تتعرض لها هذه الموارد والتى تودى بقطعانهم وتقضى على الكثير من محاصيلهم وكذلك من الكساد الاقتصادى الذى يؤثر فى أسعار الصوف والقمح ، ويكون الافريكان الغالبية العظمى من البيض الفقراء Poor Whites الذين يعملون فى حرف يدوية وكعمال من ذوى الدخول المنخفضة ، أما البريطانيون فيكونون معظم سكان المدن ويعملون فى الحرف التجارية ويديرون المشروعات التعدينية والصناعية كما يشغلون المناصب العليا فى البلاد .

الهجـــرة من المانيــــا :

كانت ألمانيا مصدرا لهجرة خارجة على نطاق كبير استمرت طوال العصور الوسطى فى داخل القارة الاوربية فقط وأسهمت بدرجة كبيرة فى استيطان وتعمير وسط أوربا ، ولم تبدأ الهجرة الالمانية عبر المحيط ، الا فى القرن السابع عشر ، وكان المستعمرون الالمان من أوائل الذين استوطنوا منطقة نهر هدسن Hudson وديلاوير Delaware فى أمريكا الشمالية ، ومنذ سنة ١٨٥٠ فصاعدا عظم تيار الهجرة الالمانية نتيجة فقر الريف وانخفاض مستوى العيش به ، وقد اتجهت الهجرة الى بعض الاراضى المجاورة ولكن معظمها اتجه نازلا مع نهر الراين عبر المحيط الاطلسى فى سفن هولندية وانجليزية . ويقدر أنه فيما بين عامى ١٧٢٧ و ١٧٧٥ هاجر حوالى ٧٠٫٠٠٠ ألمانى الى أمريكا واستوطنوا أساسا فى مقاطعة لانكاستر Lancaster فى بنسلفانيا حيث عمروا منطقة الوادى الكبير Great Valley وكان معظمهم من الفلاحين الاقوياء ، وفى سنة ١٧٦٦ كان هناك ما يزيد على ٢٠٠٫٠٠٠ ألمانى فى المستعمرات الامريكية .

وقد استمر تيار الهجرة الالمانى مقصورا فى معظمه على الفلاحين الالمان وذلك على امتداد القرن التاسع عشر وحتى سنة ١٩٠٠ تقريبا ، وقد هاجروا مع أسرهم من عدة مناطق ألمانية أبرزها بافاريا وهانوفر ومليكنبرج Mecklenburg ونادرا ما كان تيار الهجرة يضم عمالا صناعيين فيما قبل القرن العشرين ، ولكن عقب الحرب العالمية الاولى مباشرة هاجر كثير منهم مع بعض العلماء والمهندسين فى وقت عانى فيه الاقتصاد الالمانى الكثير من المصاعب ، ثم عجل نظام الحكم النازى بهجرة الكثيرين مثل اليهود والشيوعيين وغيرهم .

وبصفة عامة ـ فان تيار الهجرة عبر المحيط الذى خرج من ألمانيا كان

منتظما حتى حوالى سنة ١٨٥٠ وان كان عدد المهاجـرين قليـلا بلغ فى المتوسط ٢٠ر٠٠٠ مهاجرا سنويا ، وكانت هناك ثلاث موجات كبرى بين سنتى ١٨٥٠ – ١٨٥٤ (٦٥٤٠٠٠ مهاجـر) وبين سنتى ١٨٦٥ – ١٨٦٩ (٥٨٠٠٠٠) وبين ١٨٨٠ – ١٨٨٤ (٨٦٤ر٠٠٠) وعلى العـكس من ذلك فانه بعد سنة ١٨٩٠ قل تيار الهجرة قلة واضحة (جدول رقم ٢٦) حيث قامت المراكز الصناعية الالمـانية بدور هـام فى تقليـل حجم المهـاجرين وتحويلهم الى هجرة داخلية وخاصة من المقاطعات الشرقية نحـو نطاق الراين ووستفاليا ٠

وقد بلغ حجم الهجرة الالمانية الى الولايات المتحد من ٦ الى ٧ مليون نسمة ، وحتى الوقت الحاضر فان أكثر من ثلاثة أرباع المهاجرين منالمانيا يتجهون الى الولايات المتحدة ، وقد لعب الفنيون الالمان دورا هـاما فى تطوير الصناعات الامريكية الثقيلة وحديثا جدا أصبح بعضهم من الدعائم الهامة فى البحوث الذرية وفى محاولات غزو الفضاء ٠

جدول (٢٦) الهجرة الالمانية فيما وراء البحار

الفترة	عدد المهاجرين	الفترة	عدد المهاجرين
١٨١٥ – ١٨٧٠	٢ر٩٩٣ر٠٠٠	١٨٩٤ – ١٩١٤	٦٨٣ر٩٠٠
١٨٧١ – ١٨٩٣	٣ر٢٩٢ر٠٠٠	١٩١٤ – ١٩٢٧	٤٤٥ر٠٠٠

وقد اتجه عدد كبير من المهاجرين الالمان الى البرازيل واستوطنـوا الولايات الجنوبية ذات المناخ الاكثر اعتدالا وأسسوا بها مجتمعا ألمانيا فى سانتا كاتارينا Santa Catarina وريو جراند دوصول Rio Grande dosol وبعكس المهاجرين البريطانيين فان الالمان دائما يتجمعون فى مستعمرات استيطانية ، ولكن كقاعدة عامة فانهم كثيرا مايندمجون مع شعب المهجر فى الوطن الجديد بالرغم من جهود الحكومات الالمانية للاحتفاظ بالجنسية الاصلية لهم ، كذلك فانه رغم قلة عـدد الالمان المهاجـرين بالمقـارنة مع الانجليز الا انهم كانوا منأسباب ازدهار موانى بريمن Bremen وهمبورج Hamburg حيث تركزت حركة المهاجرين ذهابا وايابا وانشئت وكالات الهجرة المتخصصة التى تخـدم ملايين الاوربيين من وسط وشرق القـارة الاوربية ٠

الهجـــرة من ايطاليا :

تكونت الهجرة الايطالية نحـو الخارج من العمـال الزراعيين الذين وفدوا من مناطق مكتظة بالسكان بسبب ارتفاع معدل المواليد ، ففى كثير من مناطق ايطاليا يتزايد السكان بمعدل مرتفع يجعل حجم السكان أكثر من الموارد الاقتصادية بدرجة كبيرة ، وفى الجنوب على وجه الخصوص جعلت الظروف المناخية انتاج الغذاء مهددا باستمرار وبالتالى فان التضخم السكانى بها مشكلة مزمنة ، ونظرا لان القمح هو المحصول الرئيسى فى هذا النطاق ويعتمد فى زراعته على الامطار التى يتذبذب معهـا الانتـاج المحصولى بدرجة تهدد بحدوث الازمات الاقتصـادية فى بعض السنوات ، ويساعد النظام الزراعى السائد على تزايد كثافة السكان ، ففى المنـاطق التى تقل فيها أحجام الملكيات الزراعية بصـورة كبـيرة كمـا فى النطاق الشمالى خاصة فى تسكانيا Tuscany حيث تنقسم الى مزارع تتراوح بين ٥ر٢ ، ٢٧ فدانا يتركز السكان بدرجة واضحة وينخفض مستوى معيشتهم وتتفشى البطالة بينهم وتؤدى هذه الظروف مجتمعة الى التفكير فى الهجرة نحو الخـــارج ٠

وقد تزايدت الهجرة الايطالية منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر كما يبدو من الارقام التالية :

السنة	عدد المهاجرين	السنة	عدد المهاجرين
١٨٧٦	١٠٨٠٠٠	١٩١٤	٥٥٩٠٠٠
١٩٠٠	٣٥٢٠٠٠	١٩٢١	٤٥٠٠٠٠
١٩٠٨	٤٠٥٠٠٠		

وقد قلت الهجرة الايطالية فيما وراء البحار قلة شديدة بعد سنة ١٩٢١ بسبب القيود التى فرضتها الولايات المتحدة على الهجرة اليها ، ففى سنة ١٩٢٠ لم يغادر ايطاليا سوى ٢١١٠٠٠ مهاجر واقل من ١٣٥٠٠٠ مهاجر فى سنة ١٩٢٧ ، ولم يتزايد تيار الهجرة الأيطالية منذ نهاية الحرب العالمية الثانيـة ٠

وقد اتجهت الهجرة الايطالية فى تيارين رئيسيين أحدهما نحو الولايات المتحدة والاخر الى أمريكا الجنوبية مع اختلاف كل منهما عن الاخـر فى

فترات زمنية معينة ففى سنة ١٨٨٢ اتجه ١٢٪ الى الولايات المتحـدة ، ٢٣٪ الى البرازيل و ٢٣٪ الى الارجنتين أما فى سنة ١٩٢٧ فقـد كانت النسبة ٢٨٪ الى الولايات المتحدة و ٥٢٪ الى الارجنتين .

وقد بلغ عدد المهاجرين الايطاليين الى الولايات المتحدة فيما بين عامى ١٨٨٠ - ١٩١٤ قـرابة ٤ مليون مهاجـر استقروا فى المدن الشرقية حيث عملوا فى بعض الحرف اليدوية والاعمال المكتبية ،وقد حدد قانون الهجرة الى الولايات المتحدة عدد المهاجرين الايطاليين سنويا اليها بعدد يتراوح بين ٤٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ مهاجر سنويا ومنذ سنة ١٨٨٠ دخل الارجنتين قرابة ٢٥٠٠٠٠٠ ايطـالى حيث عمـل معظمهم فى الزراعـة واتجـه قـرابة ١٥٠٠٠٠٠ ايطالى الى البرازيل واستوطنوا ولايات ميـنـاس جـيراس Minas Geraes وريو دى جانيرو وساوباولو وعملوا فى الزراعة أيضا .

وتقدر الهجرة الايطالية فيما وراء البحار بصفة عامة بنحو ١٠ مليون مهاجر اتجه منهم تسعة ملايين الى الامريكتين ، وتتميز هذه الهجرة بأن الكثيرين يفدون للمهجر لفترات قصيرة يدخرون فيها بعض المال ثم مايلبثوا أن يعودوا الى ايطاليا ، ولذا فان عـدد المهاجرين الايطاليين يتعـرض للتجدد المستمر فى أفراده ومن ثم فانها تعد هجرة اقتصادية بحتة Target Migration للبحث عن العمل وليس لاستيطان مناطق جديدة أو تكوين مستوطنات ايطالية - وذلك بعكس الهجرتين البريطانية والالمانية .

الهجرة الدولية داخل قارة أوربا :

تتميز قارة أوربا بالتنوع الطبيعى والحضارى فتسود بها المرتفعـات الجبلية والسهول والمناطق الساحلية والاقاليم القارية الداخلية ونظم المناخ البحرى والمناخ القارى ومناخ البحر المتوسط وتنتشر بها مناطق الزراعـة الكثيفة والزراعة الواسعة والاقاليم الزراعية والصناعية ومناطق الكثـافة السكانية العالية والكثافة المنخفضة ، وقد ترتب على ذلك التباين الاقليمى وجود كثير من حركات الانتقال السكانى الداخلية والاقليمية والتى أصبحت سمة بارزة من معالم الجغرافيا البشرية لهذه القـارة وشهدتها كل الفترات التاريخية بها .

وتتعدد تيارات الهجرة بين دول أوربا الا أن أبرزها الهجرات الفلمنكية والهجرة الايرلندية وهجرة شعوب البحر المتوسط أو الهجرة الروسية .

الهجـرة الفلمنكية :

كانت منطقة سهول الفلاندر منذ أوائل العصور الوسطى منطقة كثيفة

بالسكان نشأت بها زراعة كثيفة قوامها التسميد مالبثت أن انتشرت منها الى ربوع أوربا بعد ذلك ، وقد دفعت هذه المنطقة بأعداد كبيرة من سكانها الفلمنك الى خارجها ، فمنذ القرن الثامن عشر استوطن الفلمنك مارشن Marschen قرب بريمن Bremen وتسللوا منها الى بقية المناطق الريفية فى وستفاليا وتورنجا Thuringia وحتى براندنبرج Brandenburg ، وقد هاجر الكثير من أصحاب الحرف والمهنيين الفلمنك منذ وقت مبكر الى فرنسا وألمانيا والنمسا ولذا فان بعض الصناعات خاصة الصوف فى انجلترا تدين فى كثير من تطورها الى الهجرة الوافدة للحرفيين الفلمنك فى القرنين الثالث عشر والسادس عشر •

وقد تزايدت الكثافة السكانية بدرجة ملحوظة فى اقليم الفلاندر فى القرن التاسع عشر ونتجت هذه الكثافة العالية عن نظام الزراعة الكثيفة به حيث تسود الملكيات الصغيرة والقزمية والتى تعجز الواحدة منها عن اعاشة أسرة واحدة ولذلك كان من الضرورى البحث عن مناطق أخرى تستوعب العمالة الزائدة حتى أصبح سكان هذا الاقليم أكثر سكان أوربا حركة وهجرة ، وبدأت هجرتهم على نطاق واسع فى القرن التاسع عشر ، فى الوقت الذى تدهورت فيه كثير من الصناعات المحلية ، كما صاحب ذلك تعرض الزراعة لأزمات متعاقبة أدت الى تحويل مساحات واسعة الى مراعى ، ثم ارتبط بذلك استخدام الآلات على نطاق كبير وتقليل المساحات الزراعية المخصصة للمحاصيل النقدية وأدى ذلك كله الى طرد عدد كبير من سكان الاقليم ، وساعد عليه توفر وسائل المواصلات التى تربط الاقليم بالبلاد المجاورة •

وبالاضافة الى الهجرات الدائمة للفلمنك فان هناك هجرات موسمية للعمال نحو العمل فى المصانع ومناجم الفحم وفى الاعمال الزراعية كما هى الحال فى لكسمبرج والعمل فى مصانع سكر البنجر فى الاقاليم الصناعية المجاورة كما يذهب بعض العمال الموسميين الى فرنسا ، وترجع حركتهم الموسمية الى سنة ١٨٤٥ عندما بدأت صناعة سكر البنجر فى الانتشار وعندما بدأ سكان الريف الفرنسى فى التناقص ويصل هؤلاء المهاجرين الى شمال فرنسا وحتى حوض باريس •

الهجـرة الايرلنـدية :

تعد ايرلنده من البلاد الفقيرة ذات التزايد السكانى المرتفع نسبيا ولذلك بدأت أعداد كبيرة من العمال الايرلنديين فى الهجرة نحو الدول الاوربية أو عبر المحيط الى العالم الجديد ، وقد اتجه عدد كبير منهم الى بريطانيا

حيث جذبتهم الاجور العالية والمدن الكبرى والزراعة الكثيفة التى تتطلب عمالة كبيرة فى المناطق الريفية قليلة السكان ، وقد ترتب على حركة الهجرة الايرلندية آثار اجتماعية وديموغرافية حادة حيث قلت أعداد الايدى العاملة فى المناطق الريفية الايرلندية .

وقد كان فقر الفلاحين الايرلنديين سببا رئيسيا دفعهم الى الهجرة ، وارتبط بفقر الزراعة ضعف التربة وقلة الاراضى الصالحة للزراعة ، ولذا اتجه عدد كبير من المهاجرين للعمل فى المزارع الانجليزية ويغادرون بلادهم فى يونيو ويعودون اليها فى نوفمبر وتتمثل أهم مناطق جذبهم فى شمال انجلترا واقليم المدلاند Midland ، كما أن هناك اقليات ايرلندية فى بعض المدن الانجليزية مثل مانشستر وليفربول ، وقد عمل الكثير منهم فى حفر القنوات وفى مد السكك الحديدية .

هجرة شعوب وسط أوربا :

بالرغم من التباين الطبيعى والعرقى فى وسط أوربا فان الدوافع الاقتصادية كانت الحافز الرئيسى للهجرة السكانية ، وقد تميز البولنديون بزيادة نسبة العاملين منهم فى الزراعة وانتشرت بينهم بطالة دفعت الكثيرين لمغادرة بلادهم ، فقبل احياء دولة بولنده فى سنة ١٩١٩ قدر أن عددا يتراوح بين ٥٠٠٠٠٠ ــ ٨٠٠٠٠٠ نسمة هاجروا من الاراضى البولندية التى كانت تحت حكم روسيا وبروسيا والنمسا ، وقد اتجه الكثير منهم للعمل فى المزارع الروسية وفى وسط ألمانيا وساكسونيا ولعبوا دورا هاما فى مزارع بنجر السكر مماثلا لدور البلجيك فى المزارع الفرنسية ، كما اتجه بعضهم الى وستفاليا وأراضى الراين ، وفيما بين الحربين العالميتين هاجر عدد كبير من البولنديين الى فرنسا للعمل الموسمى أو كمهاجرين دائمين ،وعمل معظمهم فى المزارع الواسعة فى شمال فرنسا وفى حوض باريس،كما أصبحوا عنصرا هاما من عمال المناجم وخاصة حقول الفحم .

وكانت سويسره قبل تطورها الاقتصادى الحديث من الدول التى دفعت باعداد من المهاجرين نحو الدول الاخرى فى أوربا ، فقد هاجر سكان من هذه الدولة الجبلية فى القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر الى كل أجزاء القارة بل والى بسارابيا وروسيا والمجر حيث عملوا بالزراعة، وقد كان هناك تيار مستمر من العمال السويسريين المهاجرين من اقليم تيشينو Ticino فى القرن التاسع عشر،ولكن تغيرت دوافع الهجرة فى الوقت الحاضر تغيرا جذريا فى سويسرة حيث أصبح اقتصادها قويا تدعمه السياحة والتجارة والصناعة المعتمدة على توليد الطاقة الكهربائية من الماء ، ولم

يبق من مظاهر انتقال السكان سوى انتقال بعض رعاة الابقار نحو المناطق الفرنسية فى جبال الالب والجورا .

وكانت ألمانيا فى بعض فترات تاريخها قطـرا طاردا للسـكان الذين خرجت منهم موجات مهاجرة نحو الخارج ، ففى العصور الوسطى تدفقت موجات المهاجرين الالمان من العمـال والحرفيين نحـو بولنـده والمجـر وترانسلفانيا ، ومنذ القرن الثامن عشر فصاعدا أدت الظروف الاقتصادية فى بعض مناطق ألمانيا خاصـة فى أراضى الراين وفى الجنوب الى هجـرة السكان وخاصة الزراع الذين هاجر عدد كبير منهم الى البلاد المجاورة فى الاراضى البروسية ، وقد اتجه عدد منهم منذ بداية القـرن الثـامن عشر للاستقرار فى جنوب المجر لاستيطان مناطق الحدود التى خربتها الحروب وقد اتجه البعض الاخر فى القرن الثامن عشر أيضا الى أجزاء من روسيا خاصة وادى الفولجا الادنى وليفونيا Livonia واقليم أوديسا،وقد احتفظ هؤلاء الالمان بشخصيتهم العرقية والاقتصادية وسط السكان السلاف ولكن تقلص تأثيرهم بدرجة كبيرة نتيجة الحرب العالمية الثانية وقد وصل الالمان بعيدا حتى اسبانيا للعمل فى مناجم سييرا مورينا Sierra Morena .

وفى القرن التاسع عشر اتجهت تيارات الهجـرة الدولية الالمانية الى الامريكتين عبر المحيط الاطلسى ولكن فى نهاية هذا القرن استطاعت النهضة الالمانية أن تجد عملا للقوى العاملة بها فى المراكز الصناعية الرئيسـية . وما أن وافى عام ١٩٣٤ حتى تحـولت ألمانيا الى مراكز جـذب للعمـال واستوعبت أيد عاملة أجنبية كانت الغـالبية العظمى منها من السـلاف والايطاليين .

هجرة شعوب البحر المتوسط :

تتميز كل أشباه الجزر فى اقليم البحر المتوسط بجنوب أوربا بالمرتفعات الجبـلية التى كانت دائما مناطق طرد لسـكانها وتخرج منها هجـرات مستمرة للمناطق المجاورة ، ففى اسبانيا مثلا تخرج الهجرات من المناطق الكثيفة والمبعثرة السكان على حد سواء ، ويرجـع ذلك الى قلة المـوارد الاقتصادية التى تحفز السكان للهجرة الخارجـة ، وأهم مناطق الهجـرة النازحة فى اسبانيا ـ المقاطعات الشمالية الغربية خاصة غاليسيا ونافـارا Navarra وفيسكايا Viscaya ويتجه المهاجرون غالبا الى المدن الكبرى فى اسبانيا والبرتغال مثل مدريد ولشبونه حيث يعملون فى الحرف الدنيـا مثل الحمالين والسعاة وما شابه ذلك،كذلك ينتشرون فى المناطق البرتغالية الشمالية المجاورة لغاليسيا حيث يعملون فى حصاد المحاصيل الزراعية،كما

تخرج هجرات مستمرة من مقاطعات البرانس الشرقية وقطالان ومالورقة التى كانت منبعا للمهاجرين منذ سنة ١٨٤٦ الذين اتجهوا الى الجزائر وغيرها من دول شمال أفريقيا ، كذلك يهاجر العمال الزراعيون للعمل والاستقرار فى جنوب غرب فرنسا ووادى الرون وفى حوض باريس حيث يعملون فى مناطق زراعة الكروم والحدائق المختلفة ، وقد ساعدت زراعة الارز فى السنوات الاخيرة فى منطقة كامارج Camargue على جذب قدر كبير من العمال الزراعيين من فالنسيا .

وترجع الهجرة من البرتغال الى أسباب مماثلة ولكنها تتجه فى معظمها الى ماوراء البحار ويعمل من يذهب منهم لفرنسا فى أعمال وحرف ضئيلة الشأن . ولاشك أن دخول أسبانيا والبرتغال السوق الاوربية المشتركة سيزيد من حركة انتقال الايدى العاملة منهما الى دول السوق الاخرى .

أما فى ايطاليا فان هناك حركات انتقال موسمية لا حصر لها بين الجبل والسهل ، وبجانب ذلك ومنذ أوائل القرن العشرين اتجهت أعداد كبيرة من الزراع والحرفيين والعمال الايطاليين الى العمل فى الدول المجاورة، وأصبح تدفقها يمثل فى الوقت الحاضر نصف حركة الهجرة داخل القارة الاوربية وثلثى حركة الهجرة الايطالية الخارجية وتتمثل أبرز مناطق الطرد فى ايطاليا فى منطقتى فينيسيا واميليا Emilia وفى الجنوب خاصة منطقة باسيلسكاتا Basilicata ، وكان شمال ايطاليا فى بداية الامر مركز جذب المهاجرين الايطاليين وذلك لتشابه الظروف المناخية فيه مع مثيلتها فى جنوب ايطاليا الى حد كبير ، وقد اتجه الكثير منهم الى ليبيا وتونس والجزائر ولكن العدد الكبير من المهاجرين الايطاليين اتجه الى فرنسا للعمل فى مناجم الحديد فى اللورين حيث فرص العمل الوفيرة ونحو المناطق قليلة السكان فى جنوب فرنسا حيث عملوا فى المزارع الفرنسية بأجور يومية أو لفترات محددة ، وبصفة عامة فقد بلغ عدد الايطاليين الذين غادروا بلادهم الى أقطار أوربية أخرى قرابة ١٫٣٠٠٫٠٠٠ نسمة اتجه أكثر من مليون نسمة منهم الى فرنسا .

ومن أبرز السمات فى الهجرة الايطالية استمرار ارتباط المهاجرين بوطنهم الاصلى حيث يرسلون بمدخراتهم الى ايطاليا لشراء الاراضى أو لاستثمارها فى أوجه الاقتصاد المتعددة ، وقد توقفت الهجرة الايطالية داخل أوربا أثناء الحرب العالمية الثانية حيث فرض النظام الفاشستى قيودا على حركة السكان نحو الخارج وذلك بقصد المحافظة على الايدى العاملة ، واليوم يهاجر الايطاليون للعمل فى الدول الاوربية المجاورة وفق

عقود عمل منظمة تضمن ارسال مدخـراتهم الى ايطاليـا ، وقد نتج عن انضمام ايطاليا للسوق الاوربية المشتركة توسيع مجالات العمل أمام حركة الهجرة الايطالية داخل أقطار هذه السوق ، ولذلك يزداد عدد المهـاجرين الايطاليين بشكل واضح فى لوكسمبورج وبلجيكا وألمانيـا الغربية وفرنسا خاصة فى منطقة اللورين ، وأبرز مجالات العمل فى هـذه البـلاد المناجم والمصانع وبعض الحرف الدنيا .

وفى شبه جزيرة البلقان لعبت الهجرة المغادرة دورا كبـيرا فى وضعها الديموغرافى وذلك نتيجة للاسباب الاقتصادية والسياسية والدينية . وقـد حدثت معظم حركات الهجرة خلال عهد السيطرة التركية أى منذ نهـاية القرن الرابع عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر وقد خرجت تيـارات ضخمة من المهاجرين خاصة نحو سلوفينيا وترانسلفانيا وايطاليا وروسيا، ومنذ نهاية القرن الثامن عشر نحو الصرب وكرواتيا ودلماشـيا وجنـوب المجر ، وكان الاتجاه العام للهجرة نحو الشمال والشمال الشرقى بادئا من الجبل الاسود والبانيا وبلغاريا ، وبالاضافة الى العوامل السياسية لعبت العوامل الاقتصادية دورا هاما فى حركة الهجرة الخارجة من البلقان.وقد أدت هذه الهجرات الى اختلاط بشرى عميق بين شعوب البلقان وجعلت من الصعب تتبع الحدود بين الولايات المتعاقبة فىالامبراطورية التركية(١).

الهجـــرة الروســـية :

تميزت أراضى روسيا الاتحادية الحالية بتباين توزيع السكان والزراعة بها على مر العصور وذلك انعكاسا للاختلافات البيئية فى هـذه المسـاحة الواسعة . وقد اتجهت الحكومة الشيوعية فى الخمسين سنة الماضـية الى اعادة توزيع السكان وتوجيه تيارات الهجرة وخلق مراكز عمرانية جديدة فى المناطق الصناعية الحديثة ، وقد عانت روسيا القيصرية طويلا من عدم استقرار السكان الزراعيين بالرغم من أن النظام الاقطاعى الذى كان سائدا عمل على تثبيت الفلاحين وربطهم بالارض ، وكان التخلف فى الزراعـة مسئولا عن التضخم السكانى فى بعض المناطـق وصحب ذلك ارتفـاع فى معدلات المواليد كما كان من العوامل التى تسببت فى عدم استقرار السكان بالاراضى الروسية طول فصل الشتاء وتفشى البطالة أثناءه حتى ان معظم العمال والحرفيين فى الريف كانوا يبقون بدون عمل لعدة شهور كل عام،

---

(1) Ibid., p. 376.

ولذا فان نطاق التربة السوداء الخصبة كان فى حالة تضخم مكانى مزمن، كما كان مصدرا للمهاجرين المغادرين الذين استوطنوا استبس روسيا الاسيوية وجنوب شرق البلاد ، وقد أثرت هذه الحركات السكانية فى انتقال قرابة ثلاثة ملايين مهاجر داخلى على رقعة الاتحاد السوفيتى ٠

وبالاضافة الى هجرة السكان من اقليم التربة السوداء الى مناطق روسيا الاسيوية فقد خرج عدد كبير من المهاجرين من الاقاليم المزدحمة بالسكان فى تولا Tula وكورسك Kursk نحو مناجم الدونباس Donbas ونحو الانهار خلال فترة صلاحيتها للملاحة وذلك للعمل فى الغابات وفى الصيد ، وبالرغم من أن الهجرة الروسية ذات طبيعة اصطناعية موجهة فانها من أبرز سمات الهجرة القارية فى العصر الحديث ، وقد شهدت زيادة ضخمة بعد انشاء خط سكة حديد سيبيريا ، كما كانت الظروف الطبيعية فى المناطق الجديدة مشابهة للمناطق الاصلية للمهاجرين من حيث التربة والمناخ وطرق الزراعة ، وقد ساعد ذلك على تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين للعمل فى المشروعات الحكومية الاقتصادية والصناعية حتى أن عدد المهاجرين فى روسيا قد ارتفع من ٥٠٫٠٠٠ مهاجر سنة ١٨٨٩ الى ٢٠٠٫٠٠٠ فى سنة ١٨٩٦ ثم الى أكثر من ٥٠٠٫٠٠٠ فى سنة ١٩٠٧،واليوم فانه من كل اجمالى سكان آسيا الروسية البالغ عددهم ٥٤ مليون نسمة فان نصفهم تقريبا من المهاجرين السابقين ، وقد أدى الاستيطان فى هذه المناطق القارية الشاسعة الى تحويل الروس عن الهجرة عبر المحيط ٠

الهجرة نحو أوربا :

لم يقتصر دور أوربا فى الهجرات السكانية على ارسال المهاجرين فقط بل انها استقبلت أعدادا من المهاجرين اليها خاصة بعد الحرب العالمية الثانية عندما قدر عددهم بنحو ٢٫٥ مليون مهاجر معظمهم مهاجرون عائدون سبق أن غادروا أوربا فى وقت سابق ثم عادوا الى وطنهم الاصلى، وأبرز الامثلة على ذلك العائدون الايطاليون الذين تشيع هذه الظاهرة بينهم ٠

وتعد فرنسا أكثر دول أوربا استيعابا للمهاجرين الوافدين ، وقد بدأت الهجرة نحوها تأخذ أهمية واضحة منذ منتصف القرن التاسع عشر فقد تزايد عدد الاجانب بها من ٣٧٩٠٠٠ نسمة فى تعداد سنة ١٨٥١ الى ١١٣٠٠٠٠ نسمة فى تعداد ١٨٩١ ، كما بلغ صافى الهجرة الوافدة أكثر قليلا من ٣٠٠٠٠ نسمة سنويا فى الفترة من ١٨٨١ – ١٩١١ ، وفى خلال

هذه الفترة التى تميزت بالركود الديموغرافى كانت الهجرة الوافدة تمثل قرابة نصف مجموع الزيادة الكلية للشعب الفرنسى ٠

وفيما بعد الحرب العالمية الاولى أصبحت الهجرة الوافدة الى فرنسا ضخمة فى حجمها حيث تعدى صافى الهجرة ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة سنويا فى الفترة من ١٩٢١ ـ ١٩٢٦ ، ويعد ذلك فى الواقع أعلى رقم شهدته فرنسا سنويا فى حركة الهجرة الوافدة حتى فى خلال فترة الهجرة القوية التى تدفقت عليها فى خلال الفترة (١٩٥٠ ـ ١٩٧٠) ٠

ولكن الهجرة الصافية هبط معدلها فى الفترة من ١٩٢٦ ـ ١٩٣١ وان كان حجمها قد بقى أعلى من ١٠٠٠٠٠ مهاجر سنويا ولكن ما لبثت حركة الهجرة أن شهدت هبوطا حادا فى الفترة ١٩٣١ ـ ١٩٣٦ بسبب الازمة الاقتصادية العالمية وزاد عدد المغادرين على عدد الوافدين وأصبحت الهجرة الصافية بالسالب ووصلت الى ٢٦٠٠٠ سنويا ٠

وبعد الحرب العالمية الثانية تزايدت الهجرة الى فرنسا بثبات وبلغت أقصاها فى الفترة من ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢ واستمرت مرتفعة بعد ذلك وهى تمثل منذ قرابة عشرين عاما حوالى ٤٠٪ من جملة الزيادة السكانية ، وقد بلغ صافى الهجرة فيما بين تعدادى ١٩٦٢ ـ ١٩٦٨ قرابة ٨٠٠٫٠٠٠ مهاجر (بلغ عدد الوافدين فى هذه الفترة ٢٫٥ مليون وافد والمغادرون ١٫٧ مليون) ويشمل هذا الرقم العمال الدائمين وأسرهم والعمال المؤقتين الذين يفدون لفترات محددة ويعملون فى الزراعة والتعدين والبناء وغير ذلك ٠

وتستقبل فرنسا المهاجرين من منطقتين رئيسيتين الاولى : من دول جنوب أوربا والثانية من دول المغرب العربى خاصة الجزائر ، وقد كان العمال الايطاليون يمثلون حتى سنة ١٩٥٨ أكثر من نصف عدد المهاجرين الى فرنسا ، ولكن هبط عددهم بحدة منذ سنة ١٩٥٩ وبدأت الهجرة الاسبانية ثم البرتغالية فى التفوق عليها ، ويتمشى ذلك فى الواقع مع التطور الاقتصادى الذى تشهده البلاد الاصلية للمهاجرين وما يتطلبه ذلك من توفير الايدى العاملة وقد بدأت الهجرة البرتغالية تمثل أكبر نسبة من عدد المهاجرين الى فرنسا منذ سنة ١٩٧٠ وأصبحت تمثل ٣١٪ من هذا العدد وتمثل ست جنسيات أخرى ٥٩٪ من الوافدين وهى الجنسيات الاسبانية والايطالية والمغربية والتونسية والتركية واليوغسلافية(١) ٠

---

(1) Tngault, Y., "Les Migrations Internationales" Population Juin 1974, pp. 115-153.

ومنذ أن تكونت السوق الاوربية المشتركة سنة ١٩٥٧ بدولها الست الاصلية فرنسا وايطاليا والمانيا (الاتحادية) ودول البنلوكس وبدأ تبادل السكان بينها يمثل ظاهرة هامة فى التحركات السكانية الاوربية ، وقد تزايد ذلك بعد انضمام ست دول أخرى اليها لتصبح مجموعة الدول الاوربية المشتركة ١٢ دولة ، بلغ عدد سكانها نحو ٣٢٣ مليون نسمة سنة ١٩٨٧ ، واستقبات فيما بينها ١٢ مليون مهاجرا منهم ٥ ملايين من أبناء هذه الدول والباقى من دول أخرى . كما يبين الجدول رقم (٢٧) . ومن الواضح أن كلا من المانيا وفرنسا هما أكبر مهجر أوربى فى السنوات الاخيرة حتى انهما استقبلا أكثر من ثلثى عدد المهاجرين فى دول السوق الاوربية المشتركة حوالى سنة ١٩٨٦ ، بل ان فرنسا بمفردها تحوى ٣١٪ من جملة المهاجرين فى السوق المشتركة منهم أكثر من مليونين وافدين من خارج دول السوق .

جدول رقم (٢٧)
الاجانب فى دول السوق الاوربية المشتركة
(١٢ دولة) - حوالى سنة ١٩٨٦(١)

الدولة		الاجانب حسب الجنسيه (بالالف)		الاجانب غير مواطنى السوق ٪ من جملة السكان
		جنسية سوق أوربية مشتركة	جنسيات أخرى	
المانيا	(١٩٨٦)	١٣٦٥	٣١٤٨	٥ر١
بلجيكا	(١٩٨٥)	٣٨٤	٣١٤	٣ر٢
الدنمرك	(١٩٨٦)	٢٦	٩١	٨ر١
اسبانيا	(١٩٨٤)	١٣٤	٩٣	٢ر٠
فرنسا	(١٩٨٢)	١٥٧٨	٢١٠٢	٨ر٣
اليونان	(١٩٨٥)	٢٢٨	٦٧	٧ر٠
لكسمبرج	(١٩٨١)	٨٩	٧	٠ر٢
هولنده	(١٩٨٦)	١٦٢	٣٩١	٧ر٢
البرتغال	(١٩٨٦)	٢٣	٦٥	٦ر٠
المملكة المتحدة	(١٩٨٤)	٧٥٤	٩٨٢	٧ر١
الجملة		٤٩٤١	٧٢٥٩	٢ر٢

(١) المصدر : I.N.E.D., Population et Sociètés, 1988, No. 230.
ويلاحظ أن الارقام مقربة للالف ومن ثم قد يختلف المجموع قليلا عن مفردات العامود ، ولايشمل الجدول كلا من أيرلنده وايطاليا لعدم توفر بيانات عنهما .

الفصل الثامن

الهجـرة الاسيوية والافريقـة

أولا ـ الهجـرة الاســيوية :

تتزايد الكثافة السكانية بدرجة كبيرة فى ثلاثة أقاليم بقـارة آسيا هى الهند والصين واليابان ، وهى مناطق موسمية ذات زراعة كثيفة • ورغم انتاجها الوفير من الحاصلات الغذائية فان أعدادا كبيرة من سكانها خاصة فى جنوب شرق آسيا تعانى من مجاعات مزمنة ، ولذلك فـان الـدوافع للهجرة كامنة فى هذه المجتمعات ، ولكنها لم تبدأ فى الهجرة خارج أوطانها الا حديثا عنـدما سهلت وسائل النقل الحديثة ذلك ، وأصبحت الهجـرة ممكنة فى عصر النفوذ الاوربى بهذه البلاد بعد أن أدخل أنماطا حـديثة للعيش ونظما اقتصادية حديثة مثل الزراعة العلمية والصناعات المختلفة ، ولكن من الواضح أن الهجرة الاسيوية أقل أثرا وحجما من الهجرة الاوربية بدرجة كبيرة •

وقد اتجـه المهاجرون الاسيويون الى المناطق قليلة السكان أو التى تعانى نقصا فى الايدى الرخيصة غير المدربة ، كما أدى القضاء على تجارة الرقيق الى وجود فرص للعمالة من هذا النوع فى بعض أجـزاء الاقـاليم المدارية خاصة فى مزارع السكر الواسعة ومن هنا كانت هجرة الهنـود الى بعض جزر المحيط الهادى (فيجى) والمحيط الهندى (موريشيوس) وجزر الهند الغربية وجيانا ، وهجرة الصينيين واليابانيين الى هاواى ، كـذلك اتجهت الهجرة الاسيوية الى أقطـار استوطنها البيض للعمل أسـاسا فى المناجم وشهدت مراكز الجذب الهجرى المنتشرة على سواحل الامريكتين المطلة على المحيط الهادى تدفق أعداد كبيرة من الصينيين واليابانيين كما فى بيرو وكاليفورنيا وشيلى وغيرها وساعـدتهم فى ذلك الملاحة التجـارية بدرجة واضحة •

الهجـــرة من الهنـــد :

تعانى بعض مناطق الهند من ارتفاع غير عادى فى كثافة السكان بدرجة

تفوق امكانيات الارض الزراعية وتجعلها غير قادرة على اطعام هذه الاعداد الضخمة ، ولذا فمن الشائع فى هذه المناطق وغيرها انخفاض مستوى العيش وسوء التغذية وحدوث مجاعات من وقت لاخر ، وبالرغم من الروابط القوية التى تربط السكان بأراضيهم فان أعدادا منهم قد هاجرت للعمل فى المزارع الاوربية وخاصة مزارع قصب السكر ، ويتميز الهنود بقدرتهم على العمل الشاق وبقناعتهم بالاجور المنخفضة ، ومن ثم استفادت منهم هذه المزارع وغيرها واتجهوا الى كثير من الجزر المدارية التى تزرع القصب وكذلك الى مناطق فى افريقيا وأمريكا اللاتينية .

وقد هاجرت أول مجموعة من العمال الهنود فى سنة ١٨١٥ من كلكتا الى موريشيوس والتى أصبحت منطقة هامة لزراعة قصب السكر،واستمرت أعدادهم فى التزايد بعد ذلك حتى أصبح عددهم قرابة ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة من مجموع سكان هذه الجزيرة الذى يصل الى ٥٠٠٫٠٠٠ نسمة . كذلك فان هناك أقلية فى جزيرة ريونيون Réunion احدى جزر زراعة القصب الاخرى فى المحيط الهندى .

واتجه المهاجرون الهنود الى أفريقيا للعمل فى المزارع العلمية للقصب وفى مد السكك الحديدية فى الاقاليم المدارية بها وتبع هجرة العمال – وفود التجار وأصحاب الحرف والخوانيت وغيرهم وبهذه الطريقة تكونت أقليات هندية ذات أهمية ملحوظة فى ناتال وكينيا وأوغنده وغيرها من دول شرق وجنوب أفريقيا .

وقد بدأ الهنود فى الهجرة الى جزر الهند الغربية حوالى سنة ١٨٤٠ وتزايدت أعدادهم فى ترينداد وجويانا (جيانا البريطانية سابقا) حيث بلغت ٢٠٠٫٠٠٠ ، ١٨٠٫٠٠٠ نسمة عى الترتيب.كذلك استوطنوا جمايكا وجزر المارتينيك وجواديلوب بأعداد صغيرة . وقد وصلوا الى جزر فيجى فى سنة ١٨٧٤ ، ويبلغ عددهم بها اليوم ١٩٨٠٠٠ نسمة ويكونون أكثر من نصف عدد سكانها .

ويقدر أن حجم الهجرة الهندية فيما وراء البحار قد بلغ ٢٫٥ مليون نسمة وتزايدت الحركة بصورة ملموسة فى نهاية القرن التاسع عشر ثم خفت بعد ذلك نتيجة القيود التى فرضت على هجرتهم كما حدث فى ناتال وكينيا،ولكن بقيت أبواب الهجرة مفتوحة أمامهم فى مزارع الشاى بجزيرة سيلان ومزارع المطاط فى الملايو ويصل عدد الهنود فى سيلان الى ١٫٥ مليون نسمة من مجموع سكانها الذى يقدر بنحو ٩ مليون نسمة ، كما يقدر

عدد الهنود بحوالى ٦٥٠٫٠٠٠ مهاجر فى الملايو من جملة سكانها البالغ عددهم ستة ملايين نسمة وقد وفد معظم هؤلاء المهاجرين من ولاية مدراس حيث توجد مساحات كبيرة من الاراضى الداخلية التى تعانى من الجفاف وتذبذب الامطار ، أما المناطق الوسطى المزدحمة فى الهند فقد أرسلت بمهاجريها الى ولاية أسام والى بورما حيث يوجد قرابة المليونين من الهنود ٠

الهجرة من الصين :

تميزت بعض مناطق الصين بكثافة سكانية عالية مثل شانتونج وكيانجسى Kiangsi وكيانجسو Kiangsu وفوكين Fukien وعلى العكس من الهنود فان الصينيين أقل ارتباطا بالارض وأكثر حركة وقدرة على الهجرة ، وبسبب المناخ السائد فى بلادهم فهم قادرون على التاقلم مع المناخ المعتدل والمدارى على حد سواء ومن ثم فان الهجرة الصينية تتميز بذلك على هجرات أخرى كالاوربية مثلا ٠ فقد أسس الصينيون مستوطنات قوية الجذور فى شرق سيبيريا وكاليفورنيا وأمريكا الجنوبية وعبر جنوب شرق آسيا كما يوجدون فى افريقيا خاصة مدغشقر ، وتقدر جملة الصينيين خارج الصين بحوالى عشرة ملايين مهاجر ٠

والصينيون من الشعوب القادرة على التاقلم مع المجتمعات التى يهاجرون اليها بسرعة وهم يعملون غالبا فى الاعمال التجارية ويشتهرون بمحلاتهم المميزة فى مناطق الهجرة ٠

وقد هاجر الصينيون فى البداية الى المناطق المطلة على المحيط الهادى مثل الولايات المتحدة (٦٠٫٠٠٠) وكندا (١٣٫٠٠٠) واستراليا (٣٥٠٠٠) وبيرو (٤٥٠٠٠) ، وهاواى (٢٥٠٠٠) ، وأينما اتجهوا فانهم يعملون فى الاعمال الشاقة مثل المناجم كالنترات فى شيلى والجوانو فى جزر بيرو والذهب وانشاء السكك الحديدية فى كاليفورنيا ٠ كذلك اتجهوا الى المناطق المدارية مثل البرازيل (٢٠٫٠٠٠) وشرق افريقيا وجزر الهند الغربية وجزر المحيط الهادى حيث عملوا فى مزارع السكر ٠

على ان الهجرة الصينية تركزت بصورة واضحة فى أقطار جنوب شرق آسيا حيث يعملون كزراع وفى المناجم وكحمالين وعمال فى مضارب الارز ومصانع السكر وكصرافين لاستبدال النقود ويصل عددهم الى ١٧٠٫٠٠٠ نسمة فى الفلبين وقرابة ١٫٢٥٠٫٠٠٠ فى اندونيسيا وتتزايد أعدادهم فى بورما (٢٠٠٫٠٠٠) وتايلاند (٢ مليون) وماليزيا (٢٠٫٠٠٠ نسمة) وبقية اقطار الهند الصينية حيث يبلغ عددهم قرابة ١٫٥ مليون نسمة ، ويمارسون

الاعمال الشاقة والتجارة التى اكتسبوا فيها سمعة طيبة وأسهموا بدرجـة كبيرة فى القطاع الاقتصادى بهذه البلاد ٠

على أن الهجرة الصينية تواجه قيودا صارمة للحد منها كما حدث فى كاليفورنيا سنة ١٩٠٧ وتبعتها مباشرة كندا واستراليا ونيوزيلندا والتى تمنع دخول الجنس الاصفر لديها الا فى حدود ضيقة للغاية حـرصا على مستوى معيشة شعوبها البيضاء ٠

الهجـــرة فى اليـــابان :

كان اليابانيون أكثر جرأة ونشاطا فى الهجرة ، وارتبط ذلك بدوافع وطنية للتوسع الاقليمى فى جنوب شرق آسيا من ناحية والضغط السـكانى على جزر اليابان من ناحية أخرى ومع ذلك فقد كانت الهجرة ممنـوعة قانونا على اليابانيين حتى سنة ١٨٨٥ عندما بدأت تواكب تطـور بنـاء الامبراطورية اليابانية وان كانت الحكومة مسيطرة على اتجاهاتها ونوعيات المهاجـرين قبل رحيلهم بل وتدريبهم حتى يظـلوا جماعات متماسكة فى المهجر يدينـون بولاء كامل للوطن الام ، كما كان المهاجـرون الشـبان يختارون زوجاتهم من الوطن الاصلى وأسسوا بذلك أسرا يابانية فى المهجر٠ وتحت هذه الشروط بقيت الهجرة اليابانية قليـلة الحجم حتى انهـا لم تتجـاوز ١٠٢٠٠٠ مهاجـر فيما بين سنتى ١٨٨٥ ـ ١٨٩٧ وارتفع عـدد المهاجرين الى ٣٠٫٠٠٠ مهاجر حوالى ١٩١١ ثم الى ٤٣٠٠٠ مهاجر فى سنة ١٩١٤

ولكن منذ سنة ١٩٣٠ بدأ منحنى الهجرة اليابانية يأخذ ايقاعا منتظما واتجه المهاجرون فى اتجاهين رئيسيين : نحو الشمال الى كوريا ومنشوريا ونحو الجنوب الى فورموزا وهاواى والفلبين وخارج المحيط الهادى نحو البرازيل ، واستمرت حركة الهجرة اليابانية الى أمريكا الجنوبية أكـثر منها نحو أمريكا الشمالية وذلك لانها فرضت قيودا صارمة فى سنة ١٩٠٧ على هجرة العناصر الصفراء اليها لمنع تزايدها ، وأدى ذلك الى تحويل تيار الهجرة اليابانية نحو أمريكا اللاتينية بأعداد كبيرة من المزارعين الذين تركزوا فى بيرو والبرازيل ونمت أعدادهم بسرعة،فقد وصل عدد اليابانيين فى البرازيل سنة ١٩٢٠ الى ٣٤٠٠٠ نسمة ثم وصلوا فى سـنة ١٩٤٣ الى ٢٢٥٠٠٠ نسمة ، وقد ظل ذلك الرقم يمثل نسبة ضئيلة من مجموع سكان البـــــلاد ٠

وكانت الهجرة اليابانية نحو النطاق المدارى فى الجنوب حركة تلقائية

(بعكس التيار نحو الشمال الى كوريا ومنشوريا والذى كان بتوجيه الحكومة) ، واستطاع المهاجرون اليابانيون فى المناخ المدارى أن يزرعوا محاصيلهم التقليدية مثل الارز والشاى وقصب السكر والقطن • وقد استقر أكثر من ٣٥٠٠٠٠ر٣٥٠ يابانى فى جزر المحيط الهادى ، وحوالى ٢٥٠٠٠٠ر٢٥٠ فى فرموزه ، وبعد الحرب العالمية الثانية قدرت الحكومة اليابانية أن اعادة بناء الاقتصاد القومى الذى خربته الحرب يتطلب تهجيرا فوريا لنحو ٢٠ مليون نسمة من سكان اليابان الى الخارج بمعدل مليونى مهاجر سنويا ، ولكن كثيرا من الدول التى كانت تفتح أبوابها لهجرة اليابانيين قبل سنة ١٩٣٩ أوصدت هذه الابواب أمامهم فالصين على سبيل المثال أصبحت مغلقة بعد تأسيس النظام الشيوعى بها سنة ١٩٤٩ كما ظلت قوانين الهجرة فى الولايات المتحدة تحد من استقبال المهاجرين الجدد •

وقبل سنة ١٩٣٩ كانت البرازيل تستقبل المهاجرين اليابانيين ولكن ادت الازمة الاقتصادية الى بطالة كبيرة مما جعلها تسن قوانين للحد من الهجرة اليها فى الوقت الذى كان اليابانيون بها ١٧٥٠٠٠ نسمة فقط • وقد طلبت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية أن توافق البرازيل على تهجير ٥ مليون يابانى اليها على امتداد فترة ١٠ أو ١٥ سنة ، ولكن البرازيل رفضت ذلك واستمرت قوانين تحديد الهجرة التى صدرت فى سنة ١٩٣٤ معمولا بها •

أما الاراضى الاسيوية التى هاجر اليها اليابانيون فلم تكن بيئة ملائمة تماما لاستيعابهم وذلك لوجود ضغط سكانى فى هذه المهاجر ، وقد عمل المهاجرون اليابانيون فى الحرف التجارية والاعمال غير الزراعية ، ووصل عددهم عند أوائل الحرب العالمية الثانية الى ٨ر١ مليون يابانى فى كل من كوريا ومنشوريا وفرموزة بالاضافة الى مايقرب من ٢ر١ مليون فى أقاليم أخرى نصفهم فى الامريكتين ، الا أن اليابان بدأت تستقبل هجرة عائدة بعد الحرب العالمية الثانية على نطاق واسع بلغ حجمها ٦ر٢ مليون عائد ونصفهم من المدنيين والنصف الاخر من العسكريين ثم قلت أعداد المهاجرين وفودا أو نزوحا بعد ذلك قلة كبيرة •

وعلى العموم فان قارة آسيا التى تحوى أكثر من نصف سكان العالم لم تدفع بعدد كبير من المهاجرين خارجها،حتى قدر عددهم بنحو ٢٠ مليون صينى و ١٠ مليون هندى ومن ٣ الى ٤ مليون يابانى هم كل ما أسهمت به آسيا فى الهجرة الدولية منذ أواخر القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين •

الهجـــرة من لبنـــان :

تعد الهجرة الخارجة من لبنان عنصرا هاما من العناصر الديموغرافية فى هذا البلد منذ سنة ١٨٨٠ ، وقد اتجهت الى افريقيا والعالم الجـديد وكانت مدفوعة فى البداية بوطأة الحكم العثمانى وضعف الموارد الاقتصادية وزيادة عدد السكان ، ومن الصعب تقدير عدد المهاجرين الخارجين وذلك لعدم توفر البيانات ، وان كانت صورة الهجرة يمكن الحـكم عليها من واقع الارقـام التى تنشرهـا الدول المستقبلة ، فبينمـا لم يكن بالولايات المتحدة سنة ١٨٦٩ سوى اثنان فقط من السوريين (كان هذا التعبير يطلق على كل من مهاجرى سوريا ولبنان) • فقد تزايد هذا العدد ليصـل الى ٣٧٠٨ مهاجر فى السنة سنة ١٨٩٩ ، ويقدر أن ١٢٠٫٠٠٠ «سورى» قـد هاجر على امتداد الفترة بين ١٨٦٥ ــ ١٩٠٤ بمتوسط سنوى قدره ٣٠٠٠ مهاجر ، ومن المرجح أن غالبيتهم من اللبنانيين فى ضوء نسب الهجرة فيما بعد التى توضح أن نسبة الهجرة من لبنان تفوق مثيلتها من سوريا • وكما هى الحال فى هجرة باقى الجنسيات الى الولايات المتحدة التى وصـلت ذروتها فى السنوات السابقة على سنة ١٩١٢ فقد زادت هجـرة اللبنانيين اليها حتى وصلت ٩٢١٠ فى تلك السنة • كما كان هناك ٤٦٠٣ (سورى) فى البرازيل فى الفترة من ١٩٠٤ ــ ١٩١٣ •

وفى خلال نفس الفترة بدأ غرب أفريقيا يجذب المهاجرين (السوريين) ، وان كان معظمهم وفد لفترة مؤقتة ، وكانت أعدادهم قليلة نسبيا قدرت بنحو ٤٠٠٠ مهاجر فى الفترة من ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ويقـدر أن ٣٢٥٫٠٠٠ (سورى) قد هاجروا للخارج بمتوسـط قدره ١٥٫٠٠٠ مهاجـر سنويا فى الفترة من ١٩٠٠ ــ ١٩١٤ •

ولكن الهجرة اللبنانية انخفضت بشكل واضح بعـد سنة ١٩١٩ حتى وصل متوسطها السنوى الى ٤٤٠٠ مهاجر خلال الفترة من ١٩٢١ ــ ١٩٣٩ وذلك لظهور لبنان كدولة مما أدى الى انكماش تيار الهجرة الخارجيـة• وعموما فانه بعد حرب سنة ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ بدأت الهجرة بأعـداد أكبر ثم ما لبثت أن هبطت بعد ذلك لتصل الى قرابة ٣٠٠٠ مهاجر سنويا فى الوقت الحاضر •

الهجرة الدولية داخل قارة آسيا :

توضح خريطة سكان جنوب شرق آسيا ــ ذلك الملتقى البشرى الهـام على حافة القارة الاسيوية الاهمية المتزايدة للهجـرة الصينية وأثرهـا فى

التركيب السكانى لهذا الجزء من القارة ، ولعل فى تتبع النمو الديموغرافى لسنغافورة مايبين ذلك ، ففى سنة ١٨١٩ عندما وفد أول مستوطن بريطانى وهو السيرستامفورد رافلز Stamford Raffles لم يكن يعيش فى مستنقعات هذه الجزيرة سوى مائتين أو ثلاثمائة من السكان ، ولكن بعد ذلك بستة شهور فقط تدفق على الجزيرة قرابة ٥٠٠٠ تاجر صينى وبعدها بست سنوات استطاعوا جنبا الى جنب مع البريطانيين أن يجعلوا سنغافورة أعظم مركز تجارى فى جنوب شرق آسيا ، وفى الوقت الحاضر فان حوالى أربعة أخماس سكان سنغافورة البالغ عددهم قرابة المليون نسمة ـ يرجعون الى أصل صينى و ٧٪ فقط الى أصل هندى .

ولم تتجه الهجرات الصينية خارج جنوب شرق آسيا الا بنسبة ضئيلة متمثلة فى بعض الاقليات الصينية التى اتجهت نحو مناطق أخرى وخاصة الى المدن الكبرى فى العالم مثل نيويورك ولندن وسان فرانسيسكو حيث يعملون فى التجارة أو الخدمات ، ويشتهر الصينيون فى المهجر بالاعمال التجارية خاصة فى جنوب شرق آسيا والتى يتزايد العنصر الصينى بسكانها بدرجة ملحوظة فيمثل الصينيون ٤٥٪ من سكان الملايو و١٧٪ من سكان تايلاند ومن ٢ ـ ٤٪ من كل سكان باقى الاقطار (أندونيسيا والفلبين وفيتنام وبورما) . وفى العهد الاستعمارى الاوربى نشط الصينيون كوسطاء تجاريين بين الاقليةالاوربية وباقى السكان وخاصة فى الريف واستفادوا من ذلك فائدة كبرى حتى استطاعوا أن يثبتوا نفوذهم ويقووه بعد حصول هذه البلاد على استقلالها حتى أصبحوا يحتكرون العديد من مظاهر النشاط الاقتصادى .

أما هجرة الهنود فترجع الى أسباب مختلفة فقد اتجهوا الى البلاد التى كانت خاضعة للنفوذ البريطانى حيث جلبهم البريطانيون الى بعض هذه البلاد سدا للنقص فى الايدى العاملة بها سواء فى جنوب أفريقيا كما سبق القول أو فى الملايو حيث وفدوا للعمل فى مزارع المطاط وتزايدت أعداد المهاجرين منهم حتى أصبحوا يكونون قرابة ١١٪ من جملة سكان الملايو فى الوقت الحاضر ، كذلك اتجهوا الى الاقطار الاخرى المجاورة ـ ووصل تاثيرهم الى دول الخليج العربى .

ومن أحدث المناطق التىشهدت تدفقا كبيرا للايدى العاملة مناطق انتاج البترول فى دول الخليج العربى وخاصة الكويت والمملكة السعودية والامارات العربية المتحدة ، فيكون المهاجرون الى الكويت مثلا ٥٨٪ من

جملة سكانها البالغ عـددهم ٩٠٠ر٣٥٧ر١ نسمة سـنة ١٩٨٥ ، ويكـون الفلسطينيون والاردنيـون النسـبة العـالية من هؤلاء المهاجـرين ويليهم العراقيون ثم السوريون واللبنـانيون والعمـانيون والمصريون والهنـود والباكستانيون والايرانيون(١) • وعلى العموم يكون الوافدون العرب نحو ٧٣٪ من جملة الوافدين •

جدول رقم (٢٨) توزيع السكان الوافدين الى جملة السكان
والقوى العاملة فى دول الخليج العربية (٪)
(١٩٧٥ ـ ١٩٨١)(٢)

الدولة والسنة		عدد السكان		قوة العمل	
		مواطنون	وافدون	مواطنون	وافدون
البحـرين	١٩٧١	٨١ر٧	١٨ر٣	٦٢ر٩	٣٧ر١
	١٩٨١	٦٨ر٠	٣٢ر٠	٤٣ر٠	٥٧ر٠
قطـــــر	١٩٧٥	٢٩ر٤	٧٠ر٦	١٧ر٦	٨٢ر٤
	١٩٨١	٠٠ر٠	٠٠ر٠	١٥ر٢	٨٤ر٨
الامـارات	١٩٧٥	٣٦ر٣	٦٣ر٧	١٥ر٤	٨٤ر٦
	١٩٨٠	٢٨ر٢	٧١ر٨	١٠ر٩	٨٩ر١
عمـــان	١٩٧٥	٨٣ر٨	١٦ر٢	٤٦ر٤	٥٣ر٦
	١٩٨٠	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٥٨ر٥	٤١ر٥
الـــكويت	١٩٧٥	٤٧ر٥	٥٢ر٥	٣٠ر٢	٦٩ر٨
	١٩٨٠	٤١ر٧	٥٨ر٣	٢١ر٩	٧٨ر١
السـعودية	١٩٧٥	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٦٦ر١	٣٣ر٩
	١٩٨٠	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٥٧ر١	٤٢ر٩

وقد قـدر عـدد العمـال الاجانب بالمملكة العـربية السـعوية قرابة ٠٠٠ر٨٧٨ر٣ نسمة سنة ١٩٨٥ معظمهم من الدول العربية خاصة من مصر والسودان واليمن حيث يعملون فى البناء والتشييد وانشـاء الطـرق وفى

---

(١) غيرت الكويت سياستها فى استقدام العمالة الاجنبية وذلك بعد الغزو العراقى لها فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ وذلك حتى تحدث توازنا فى السكان بين الوافدين والسكان الاصليين، وحتى لايكون الكويتيون أقلية فى وطنهم•

(٢) المصـــدر :

محمـد توفيـق صـادق ـ التنمية فى دول مجلس التعـاون : دروس السبعينات وآفاق المستقبل ـ عالم المعرفة ـ يولية ـ ١٩٨٦ ـ الكويت •

الشحن والتفريغ فى الموانى ، ويعمل المدربون والمهرة من المهاجرين فى المهن المتقدمة كالتدريس والطب والهندسة وغيرها (جدول رقم ٢٨) .

اما البحرين فكان لصغر حجمها وقلة انتاج البترول بها اثر هام فى تحديد حجم الهجرة الوافدة اليها ، وقد بلغ عدد المهاجرين ١٥٩٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٨٥ بنسبة وصلت الى ٣٦ر٥٪ من جملة السكان البالغ عددهم ٤٣٥٠٠٠ نسمة فى تلك السنة ، ويأتى العرب فى مقدمة المهاجرين من حيث العدد ويليهم الهنود والباكستانيون والايرانيون ووافدون من جنوب شرق آسيا .

ولاتختلف الهجرة الى قطر عن سواها من دويلات الخليج الاخرى ويعمل المهاجرون بها فى الحرف اليدوية والفنية ويكون الايرانيون والعمانيون النسبة الكبيرة من المهاجرين ويعملون فى حرف التشييد والخدمات الاخرى بصفة خاصة .

والملاحظ على الهجرة الوافدة لدول البترول فى منطقة الخليج أنها هجرات معظمها مؤقت وليست هجرة دائمة حيث يفد العدد الكبير من المهاجرين لفترات محددة المدة تجذبهم الاجور العالية ثم مايلبثوا أن يغادروا هذه البلاد بعدها وهم بذلك مهاجرون مؤقتون أو عمال أهداف Target Workers كما هى الحال فى هجرة العمالة فى شرق أفريقيا .

الهجرة اليهودية الى فلسطين :

تدفقت الهجرة اليهودية على فلسطين منذ أن وضحت نوايا المنظمات الصهيونية لاقامة دولة يهودية بها وقد تمت الهجرة على مرحلتين رئيسيتين الاولى فيما قبل اعلان قيام اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ ، والثانية بعد هذا التاريخ عندما نشطت الصهيونية العالمية فى تدعيم الكيان الاسرائيلى باعداد متزايدة من المهاجرين اليهود لتقويته وتثبيته بشريا .

وقد تمت الهجرة اليهودية الى فلسطين فيما قبل سنة ١٩٤٨ على مراحل متعاقبة على النحو التالى :

١ ـ المرحلة الاولى : فيما بين سنتى ١٨٨٢ ـ ١٩٠٣ وقد تدفق على فلسطين اثناءها ٢٥ الف يهودى بمساعدة جماعة محبى صهيون التى عاشت تحت رعاية البارون روتشيلد وبمعونته وكانت غالبية اليهود الذين دخلوا فلسطين وأقاموا فيها فى هذه المرحلة من روسيا القيصرية .

٢ ـ المرحلة الثانية : فيما بين سنتى ١٩٠٤ ـ ١٩١٣ وتمكنت خلالها

جماعة صهيونية تعرف باسم الرواد من ادخال ٤٠ الف يهودى الى فلسطين أسسوا المستعمرات الزراعية بها وتأسست خلالها مدينة تل أبيب – وكان معظم المهاجرين من روسيا القيصرية وقد نشطت الهجرة فى هذه المرحلة حينما نصب وايزمان نفسه زعيما للحركة الصهيونية العالمية .

٣ – **المرحلة الثالثة :** وقد جاءت فى أعقاب وعد بلفور سنة ١٩١٧ وتتحدد زمنيا فيما بين سنتى ١٩١٩ – ١٩٢٣ وقد هاجر خلالها ٣٥ ألف يهودى جاء معظمهم من شرق أوربا وواصلوا انشاء المستعمرات الزراعية كذلك .

٤ – **المرحلة الرابعة :** وقد جاءت مع السنوات الاولى للانتداب البريطانى وتتحدد فيما بين سنتى ١٩٢٣ – ١٩٣١ وقد شجعتها الوكالة اليهودية ووفد أثناءها ٨١٠٠٠ مهاجر وكانت هذه المرحلة دفعة قوية لتثبيت حركة الهجرة فى فلسطين وقد أسس اليهود خلالها قرابة مائة مستعمرة زراعية .

٥ – **المرحلة الخامسة :** فيما بين سنتى ١٩٣٢ – ١٩٣٩ ، وقد تأثرت هجرة اليهود خلالها بالحركة النازية فى أوربا مما أدى الى زيادة عدد المهاجرين اليهود ولذا فانها شهدت هجرة ٢٢٥ ألف يهودى معظمهم من أوربا بطبيعة الحال .

أما فيما بعد قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ فقد تزايد تيار الهجرة اليهودية بمعدل كبير وذلك بفضل التشجيع المستمر واجتذاب المهارات والقدرات اليهودية المختلفة للعيش فى اسرائيل حتى أصبحت الهجرة بالنسبة لها صمام الامن ومصدر القوة فى الواقع وقد جاء فى اعلان الاستقلال أن الدولة الاسرائيلية ستفتح أبوابها لهجرة اليهود المنتشرين فى كافة أنحاء العالم، ومن أجل ذلك أصدرت أسرائيل قانون العودة فى يولية سنة ١٩٥٠ والذى يقضى بأن كل يهودى فى أية بقعة من العالم يحق له دخول اسرائيل كمهاجر .

ويبين الجدول رقم (٢٩) والشكل رقم (٢٣) تطور الهجرة منذ سنة ١٩٤٨ ويبدو منه أن تيار الهجرة يتذبذب من عام لاخر كاستجابة للظروف السياسية التى تواجهها اسرائيل ، فحتى نهاية سنة ١٩٦٧ كانت اسرائيل قد استقبلت ١٫٢٤٧٫٠٠٠ مهاجر ولكن فى خلال هذه الفترة (١٩٤٨ – ١٩٦٧) ، غادر اسرائيل ١٧٠٫٠٠٠ مهاجر عائد أى بنسبة ١٣٪ من حجم الهجرة الوافدة ، ومنذ سنة ١٩٥٣ استمر متوسط الهجرة العائد بحوالى

٨٠٠٠ مهاجر سنويا تركوا اسرائيل بعد هجرتهم اليها(١) ٠

وقد وفد المهاجرون الى اسرائيل من الشرق والغرب،فقد جاء معظمهم من شرق أوربا خاصة من بولنده ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وأخيرا جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ، وكذلك من الدول العربية خاصة العراق واليمن ودول المغرب العربى ، ومنذ سنة ١٩٥٦ كانت الهجرة اليهودية من أمريكا وأوربا تفوق مثيلتها الوافدة من آسيا وافريقيا فى كل عام (باستثناء عام ١٩٦٢ و ١٩٦٣) ٠

جدول رقم (٢٩)

هجرة اليهود الى فلسطين المحتلة فى الفترة (١٩٤٨ ــ ١٩٦٧)(٢)

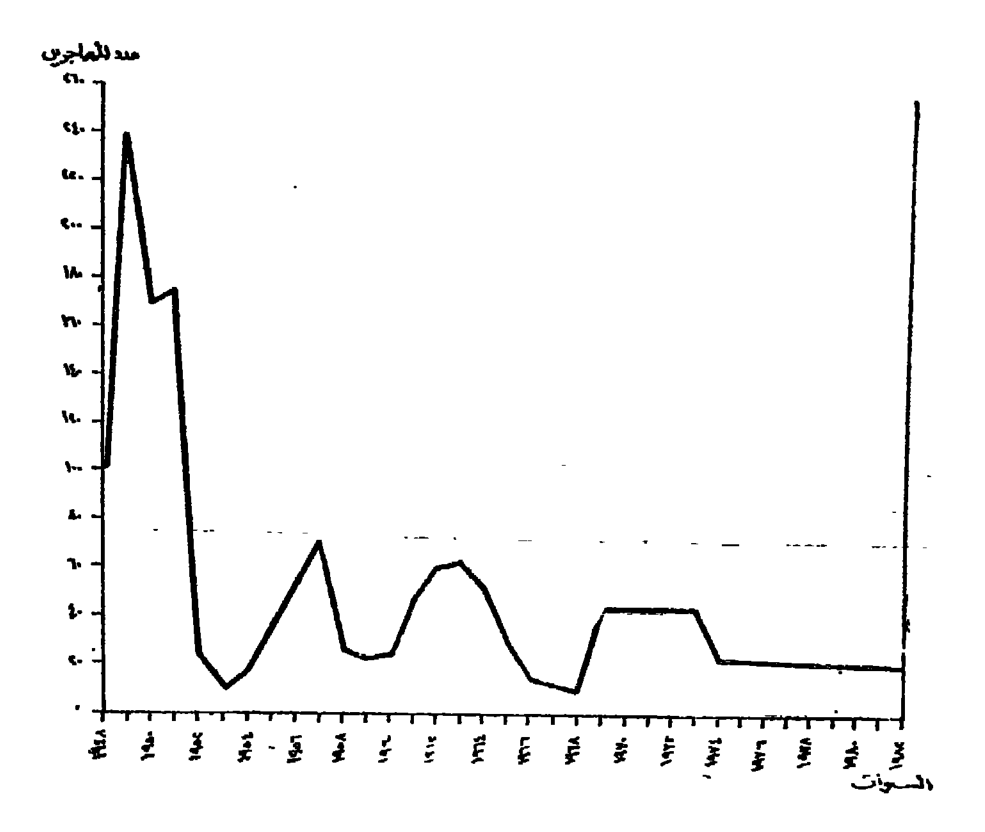
السنة	العدد	السنة	العدد
١٩٤٨	١٠١٨٢٤	١٩٥٨	٢٦٠٩٣
١٩٤٩	٢٣٩٤٢٤	١٩٥٩	٢٣٠٤٥
١٩٥٠	١٦٩٧٢٠	١٩٦٠	٢٣٦٤٤
١٩٥١	١٧٤٠١٤	١٩٦١	٤٦٦٥٠
١٩٥٢	٢٣٤٠٨	١٩٦٢	٥٩٦٠٠
١٩٥٣	١٠٣٨٨	١٩٦٣	٦٢١٥٦
١٩٥٤	١٧٤٨٥	١٩٦٤	٥٢٤٥٦
١٩٥٥	٣٦٣٢٧	١٩٦٥	٢٨٧٩٥
١٩٥٦	٥٤٩٩٦	١٩٦٦	١٣٦١٠
١٩٥٧	٧١١٠٠	١٩٦٧	١٢٢٧٥

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى وظهور جمهورياته دولا مستقلة فتحت أبواب الهجرة لليهود على مصراعيها واتجه تيارها الرئيسى الى اسرائيل وبشكل مكثف ٠

---

(١) راجع القسم الثانى من الكتاب ــ فى سياق الحديث عن الهجرة الدولية فى الوطن العربى ٠

(2) Blake, G. H., "Israel : immigration and dispersal of Population, in Populations of the Middle East and North Africa, Op. Cit., p. 185.



شكل رقم (٢٣)

منحنى الهجرة الوافدة الى اسرائيل (١٩٤٨ - ١٩٨٢)

ثانيا ـ الهجـرة الافريقية :

ارتبطت الهجرة فى أفريقيا بانتقال الزنوج من النطاق المدارى بها الى العالم الجديد فى الفترة التى كانت تجارة الرقيق سائدة بها ، ورغم أن هذه التجارة فى الآدميين قديمة فان كشف الامريكتين أدى الى توسيع نطاقها بدرجة كبيرة ذلك لان الاوربيين فى أولى مراحل استيطانهم بالامريكتين وجدوا مساحات شاسعة من الاراضى الخصبة التى تنتظر الاستغلال ولم يكن عدد السكان الاصليين ـ وهم الهنود الحمر ـ يسمح بالاعتماد عليهم لتحقيق هذه الغاية وذلك لضآلته الشديدة،ومن ثم اتجهت أنظار الاوربيين الى مصدر للايدى العاملة الرخيصة وبالتحديد فى أفريقيا حيث وجدوا أن أيسر طريقة لحل مشكلة العمل فى الامريكتين هى تسخير الايدى العاملة من الزنوج .

وليس عدد الزنوج الذين جلبوا من أفريقيا للامريكتين معروفـا على وجه التحديد ولكن يقدرهم بعض الكتاب بنحو ٢٠ مليونا من الرقيق لم يصلوا جميعا الى المهجر الاجبارى بل مات عدد كبير منهم فى الطريق ، كذلك لم تكن الولايات المتحدة السوق الرئيسية لتجارة الرقيق فى العـالم الجديد بل قامت أمريكا اللاتينية بهذا الدور ، ولذا فانه يقدر أن عـدد الزنوج الذين وصلوا رأسا من أفريقيا الى الولايات المتحدة بنحـو مليون نسمة أما الاغلبية فقد وصلت من سوق الرقيق الرئيسية فى أمريكا اللاتينية حتى الغاء تجارة الرقيق فى القرن التاسع عشر .

وتختلف نسبة الزنوج فى دول الامريكتين اختلافا كبيرا من دولة لاخرى وتزداد زيادة واضحة فى النطاق المدارى حيث تتشابه الظروف المناخية مع الوطن الاصلى فى أفريقيا المدارية ، وتوضح الارقام التالية توزيع نسـبة الزنوج فى جزر الهند الغربية(١) :

	(٪) من مجموع السكان		(٪) من مجموع السكان
كـــوبا	٢٤	جـزر فرجـين	٦٩
هـــاييتى	٩٨	جمـــايكا	٧٤
جمهورية الدومينكان	١٩	باربادوز	٧٠
بورتوريكـــو	٤	باهـــاما	٨٥

الهجـرة داخل أفريقيـا :

شـهدت أفريقيا أشكالا جـديدة من حركات السـكان بها منذ مقـدم الاستعمار الاوربى فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين،وقد ارتبطت هذه الحركات السكانية بالتغيرات فىالظروف السياسية والاقتصادية وماترتب عليها من تغيرات اجتماعية .

وتعد الهجرة من الريف الى الحضر أهم مظاهر حركة السكان فى خلال العهد الاستعمارى بأفريقيا،وقد ارتبطت بالتنمية الاقتصادية فى أفريقيـا المدارية والنمو الحضرى بها حيث تحول كثير من مناطق التنمية الزراعية والمعدنية فى القارة الى بؤرات جذب للايدى العـاملة من باقى الاقطـار المجـاورة .

---

(1) Beaujeu - Garnier. J., Geography of Population, Op. Cit., p.24.

كذلك فان مظاهر الانتقال الموسمى للعمال تعد من السمات الهامة فى حركات الانتقال السكانى بأفريقيا حيث تتجه أعداد كبيرة من العمال الى مراكز التعدين والصناعة لفترات قد تصل الى ستة أشهر ولمسافات تربو على مئات الاميال ويتميز غرب أفريقيا جنوب الصحراء من السنغال حتى الكاميرون بحركات موسمية ضخمة أكثر من أى منطقة أخـرى فى أفريقيا المدارية ، ويهاجر الذكور فى سن العمل من الاقطار الداخلية مثـل مالى وفولتا العليـا والنيجـر ومن الاجزاء الشمـالية فى ساحل العـاج وغـانا ونيجيريا فى اتجاه جنوبى خلال موسم الجفاف الطويل الذى يستمـر من اكتوبر حتى ابريل ويتجه المهاجرون بحثا عن العمل فى المناطق الريفيـة والحضرية وتشمل مناطق الجذب هذه أقاليم زراعة المحاصيل النقـدية والمراكز التجارية والادارية الرئيسية والموانىء ويعد العمل فى هذه المناطق لمدة تتراوح بين شهرين وخمسة شهور يعود المهاجرون الى مواطنهم الاصلية لزراعة أراضيهم مع بداية موسم الامطار ٠

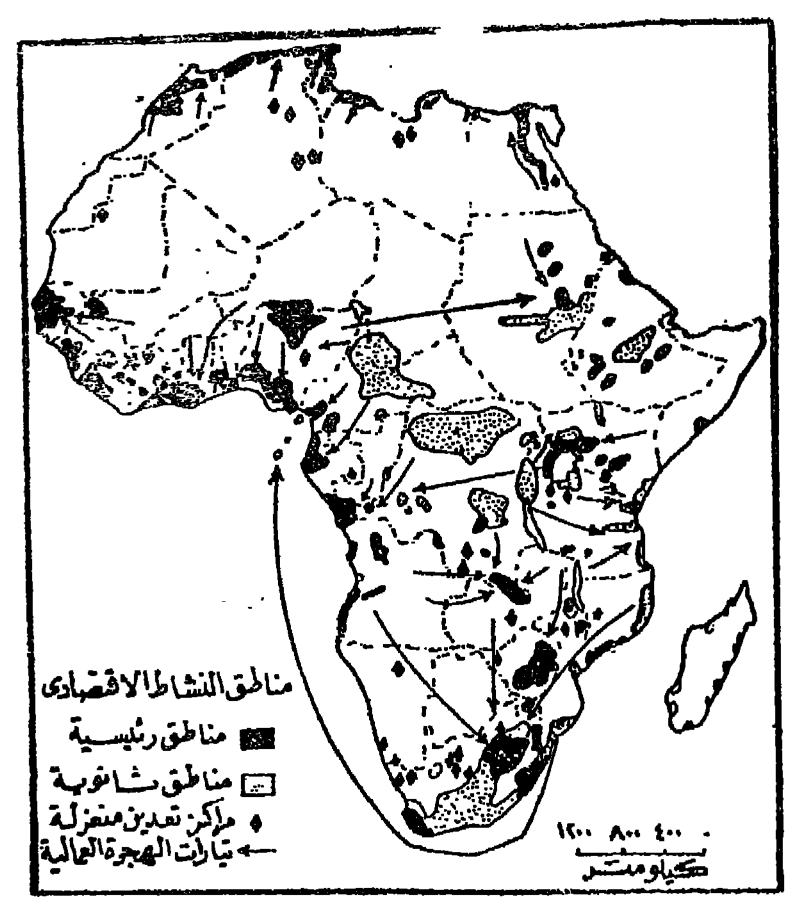
وبالاضافة الى هذه الحركات الموسمية فهناك هجرات قصـيرة الامـد تتضمن أيضا البحث عن العمل فى المدن والمناجم والزراعة ولكن لمدة محددة تصل الى عامين ، ويتميز شرق ووسط أفريقيا بهذا النوع من الهجرة أكثر من الهجرة الموسمية التى يتميز بها غرب أفريقيا ، ومع ذلك فان الهجرة الموسمية فى شرق أفريقيا تعد من الظاهرات الواضحة فى حركة السـكان وأبرزها انتقال المهاجرين من شرق أفريقيا الى زنجبار وبمبا للعمـل فى حصاد القرنفل ٠

وبصفة عامة فان أهم مناطق جذب المهاجرين من الايدى العاملة داخل أفريقيا يبينها شكل رقم (٢٤) وهى على النحو التالى(١) :

١ ـ اقليم شابا وهو أعظم مناطق جذب المهاجرين من الايدى العاملة فى القارة وذلك لغناه بثرواته المعدنية وقلة السكان به مما يجعله فى حاجة لاعداد كبيرة منهم يفدون اليه من خارجه ، وبالرغم من أن هذا الاقـليم يجذب عمالا من معظم مناطق أفريقيا المدارية فان أبرز مناطق تصـدير العمالة له هما دولتا رواندا وبورندى اللتان تكتظان بالسـكان وتحويان أكبر رصيد بشرى للقوى العاملة فى أفريقيا المدارية ويعد رجـال قبـائل الواتوسى والواهوتو التى تسكنها من أمهر العمال الصناعيين فى أفريقيا٠

---

(١) محمـد السيد غـلاب ومحمـد صبحى عبد الحكيم ـ السـكان ديموغرافيا وجغرافيا ـ القاهرة ١٩٦٢ ـ ص ١٥٠ ٠



شكل رقم (٢٤)

هجرة الايدى العاملة داخل أفريقيا

٢ ـ اقليم الراند فى جمهورية جنوب أفريقيا وهو اقليم غنى بثروته المعدنية هو الاخر خاصة الذهب والفحم والماس ويجتذب التعدين هنا اعدادا كبيرة من الايدى العاملة من أفريقيا المدارية ٠

٣ ـ هضبة بوتشى فى نيجيريا ولاسيما منطقة جوس Jos وهى غنية بثروتها المعدنية كذلك ولكنها لاتجذب الا أعدادا قليلة من العمال الافريقيين من الدول المجاورة ٠

٤ ـ مزارع الكاكاو فى غانا وتجذب العمال من بنين وساحل العاج وبوركينا فاسو ٠

٥ ـ أرض الجزيرة بالسودان وقد اجتذبت هذه المنطقة عناصر للعمل فى مزارع القطن بها وقد استقر بها الكثير منهم فى طريق ذهابهم أو ايابهم من رحلة الحج ، وهذه العناصر مصدرها غرب أفريقيا بصفة عامة ٠

وتتمثل مناطق الهجرة النازحة والوافدة فى دول شرق أفريقيا بصورة واضحة ، وبالرغم من أن هذا النطاق من القارة يرسل بالكثير من عمـاله الى بقية مناطق أفريقيا المدارية فان حركة السكان بين دوله تبدو هـامة ويمكن تحديدها فى ثلاثة اتجاهات أبرزها(١) :

أ ـ الهجرة النازحة باستمرار من دولتى رواندا وبورندى ٠

ب ـ الهجرة الوافدة باستمرار نحو جزيرتى زنجبار وبمبا ٠

جـ ـ الهجرة المختلطة (الوافدة النازحة) وتتمثل فى أوغنده وكينيا وتنزانيا ٠

وتعد رواندا وبورندى من منابع الهجرة النازحـة الرئيسية ليس فى شرق القارة بل وفى أفريقيا المدارية كلها ، وتتميز هاتان الدولتان بكثافة سكانية عالية تعد من أعلى الكثافات فى القـارة (٢٨٨ ، ٢٠٧ نسـمة فى الكيلو متر المربع على الترتيب) ، وتمثل الهجـرة الخارجية من هاتين الدولتين قرابة أربعة أخماس حركة الهجرة فى دول شرق أفريقيا،وقد قام البلجيك أثناء ادارتهم لهاتين الدولتين بجهود قليلة فى اعادة توزيع السكان بهما وركزوا هذه الجهود فىتعمير الاراضى الواقعة بجـوار بحيرة كيفـو والمتاخمة لزائير وذلك لتصبح مستودعا للايدى العاملة اللازمة لها ، وكان الهدف من ذلك هو ضمان هجرة نحو ١٠٠ ألف عامل سنويا للعمل بزائير وبذلك تصبح أشبه بسوازيلاند وليسوتو بالنسبة لجنوب أفريقيا ٠

ويهاجر كثير من العمال البورنديين والروانديين الى الدول المجاورة وخاصة أوغنده التى تحظى بالنسبة العالية منهم وذلك للعمل فى اقـليم بوغنده بالذات وتقدر هجرتهم السنوية اليه بنحو نصف مليـون عـامل يعمل معظمهم فى مزارع البن والقطن الافريقية٠وبالاضافة الى ذلك فهناك قرابة ٣٠٠ ألف عامل منهم يعيشون بصفة مستمرة فى أوغنده وحوالى ١٥

---

(١) محمد عبد الغنى سعودى : هجرة العمالة فى شرقى أفريقيا ـ المجلة الجغرافية العربية ـ السنة الخامسة ـ العدد الخامس ١٩٧٢ ـ ص ٣٧ ـ ٧٣ ٠

ألف يتجهون الى زائير وذلك بخلاف من يتجه منهم الى نطاق النحاس فى زامبيـــا(١) .

وتمثل جزيرتا زنجبار وبمبا مركزا لجذب الايدى العاملة للمساهمة فى جمع القرنفل الذى يحتاج الى أيد عاملة وفيرة ، حتى أنه فى موسم جنى المحصول يشترك الجميع فى هذه العملية سواء من الصغـار أو الكبار أو الاناث أو الذكور وتعتمد هذه العمليات على العمال المحليين والعمـال المهاجرين من أرض القارة الذين يأتون موسميا ، ويقدر عددهم بنحو ٢٧ ألف مهاجر يفدون من تنجانيقا فى الغالب ويمكن اعتبار حركتهم نمطـا من أنماط الهجرة الداخلية الموسمية فى تنزانيا .

أما باقى دول شرق أفريقيا فتشهـد تيارات هجـرة نازحة وتيـارات وافدة ، ويرجع ذلك الى التباين الجغرافى بين أقاليمهـا المختلفة سـواء التباين الطبيعى المرتبط بكمية الامطار السنوية أو الاقتصادى المرتبـط بتنوع المنـاطق وتوطن الزراعة التجـارية كما فى الاجـزاء الوسطى من بوغنده وبوسوجا فى أوغنده حيث يزرع القطن والبن مما جعلها منطقـة جذب قوى للمهاجرين من أوغنده ومن خارجها خاصة من رواندا وبورندى وكينيـــــا .

وتتميز كينيا بقلة الهجرة الاجنبية الوافدة اليها فقد بلغت نسبة القوى العاملة المولودة خارجها ٥٪ فقط من جملة القوى العـاملة سنة ١٩٦٢ ، وكذلك فان هناك تيارا من المهاجرين الكينيين الى الدول المجاورة بحثا عن العمـل ولذا فان كينيـا تعـد منطقة طـرد أكثر منها منطقـة جذب للسكان المهاجرين ولا تختلف (تنجانيقا) اختلافا كبيرا عن كينياً فى حركة الهجرة حيث يقدر أن مجموع العمال الخارجين منها سنويا نحو ١٩٣ ألف نسمة مقابل ١٨٥ ألف يدخلونها .

وتلعب المسافة والبعد الجغرافى دورا هاما فى توزيع المهاجرين ويبدو ذلك فى تركز المهاجرين فى المناجم القريبة من الطرق ومن السكك الحديدية كما لوحظ أن كثافة العمال المهاجرين من تنزانيا تتضاءل فى مدن زامبيا كلما بعدنا عن نطاق النحاس وهو أقربها الى حدود تنزانيا ، ويمثل مهاجرو تنزانيا ١ر٣٪ من جملة القوى العاملة فى زامبيا ، ٤ر٠٪ من القوى العاملة فى زيمبابوى ويأتون بعد مهاجرى موزمبيق وانجـولا فى ترتيب القـوى العاملة الاجنبية فى زامبيا وزيمبابوى وملاوى(٢) .

---

(١) سعودى ـ المرجع السابق ـ ص ٤٩ .
(٢) سعودى ـ المرجع السابق ـ ص ٦٥ .

الفصل التاسع

الهجـــــرة الداخليـــة

تعد الهجرة الداخلية من المظاهر الهامة لحركة السكان داخل الاقليم أو القطـر ، ومن الصعب قياسها على المستوى القـومى الا اذا تضمنت التعدادات بيانات عن المهاجرين ومواطنهم الاصلية وتواريخ قدومهم الى أماكن العد ،وتختلف عوامل الجذب والطرد للمهاجرين من بيئة لاخرى بطريقة تجعل تيارات الهجرة تأخذ اتجاهات مختلفة على رقعة الدولة وينظر الى العوامل الاقتصادية على أنها أكثر العناصر المؤثرة فى الهجرة جذبا وطردا وكذلك فان العوامل الديموغرافية التى تتمثل فى ارتفاع معدلات النمـو السكانى وتزايد الضغط البشرى على الموارد الاقتصادية تؤثر هى الاخرى فى طرد كثير من السكان من تلك البيئات التى تتميز بها المعدلات العالية وعموما فانه فى دراسة دوافع الهجرة يكون الفصل بين عامل وآخر صعبا وذلك للترابط الكبير بينها وبين تفاوت الاهمية النسبية لعامل عن الاخر ومن بيئة لاخرى .

وتعد الهجرة من الريف الى الحضر Rural - Urban Migration أهم مظاهر الهجرة الداخلية وخاصة فى الدول التى أخـذت بأسباب التنميـة الصناعية حديثا أثر فى تقدمها الاقتصـادى وارتفاع دخـول أفرادهـا فى القطاعات المرتبطة بالصناعة ، ودفع باعـداد كبيرة من السـكان الريفيين الى الاتجاه نحو المراكز الحضرية والتى غالبا ماتكون مراكـز رئيسـية للصناعـة .

وتكون الهجرة عاملا هاما من عوامل المراكز الحضرية وتختلف درجة اسبابها فى هذا النمو باختلاف العوامل الكامنة فى تلك المراكز وقـدرتها على جذب مهاجرين اليها ويقابل ذلك بطبيعة الحال وجود عـوامل طرد فى البيئات الاصلية للمهاجرين تحفزهم على الهجرة وتتفـق معظم دول العالم النامى فى تلك الظاهرة والتى تجلت فى تدفق أعداد كبيرة من سكان الريف الى المدن وأدى ذلك الى ارتفاع معدل النمو السـكانى بتلك المدن ارتفاعا يفوق متوسط معدل النمو فى القطر كله ، ولعل فى مصر مثل واضح

على ذلك حيث يبدو التفاوت الشديد فى معدل الزيادة السكانية السنوية فى المحافظات الحضرية والمحافظات الريفية فالاولى يصل معدل النمو السنوى بها أكثر من ٣٪ (القاهرة ٥ر٤٪) والاسكندرية (١ر٣٪) أما الثانية فهى أقل من ذلك حيث يتراوح هذا المعدل بها بين ٥ر١٪ و ٥ر٢٪ سنويا ٠

وكما سبق ـ فليست هذه الظاهرة فى نمو المدن وقفا على مصر وحدها بل انها عالمية وخاصة فى الدول النامية ، فالملاحظ أن المناطق الريفية يزداد فيها ضغط السكان على الارض الزراعية مما يدفع بالكثير من سكانها الى التفكير فى الهجرة وخاصة اذا كان هذا الضغط السكانى مرتبطا بانخفاض المستوى المعيشى ـ وبديهى أن عوامل الطرد فى أماكن المغادرة يقابلها عوامل جذب فى أماكن الوفود ، وأبرز عوامل الجذب الحضرى تواجد فرص العمل وتوفر الخدمات المتعددة وتسهم وسائل المواصلات وخاصة السكك الحديدية فى ايجاد تيارات هجرة على امتدادها ٠

مقاييس الهجرة الداخلية :

تعتمد دراسة الهجرة الداخلية على بيانات التعداد السكانى أو أو الاستقصاءات والمسح بالعينة وذلك لاستخراج بعض المقاييس التى تعرف غالبا بنسب أو بمعدلات الهجرة Rates of Migration وتعد هذه المقاييس أساسا للحكم على حجم الهجرة فى المنطقة المهاجر منها (مكان الاصل Place of Origin) أو المنطقة المهاجر اليها (مكان الوصول Place of Destination) ٠ ومن الواضح أن المقام المستخدم فى كل المقاييس هو اجمالى عدد السكان فى كل من المنطقتين كما تبين الصيغ التالية لحساب هذه المقاييس :

١ ـ معدل الهجرة الوافدة = $\frac{\text{عدد المهاجرين الى المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$

٢ ـ معدل الهجرة المغادرة = $\frac{\text{عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$

٣ ـ معدل الهجرة الصافية =

$$\frac{\text{عدد المهاجرين الى المنطقة ـ عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$$

وبمعنى آخر فان معدل الهجرة الصافية يمثل الفرق بين المعدلين الاول

والثانى ويوضح مدى ماكسبته المنطقة من المهاجرين اذا كان الفرق موجبا ومدى ماخسرته منهم اذا كان سالبا ، وبديهى أنه على رقعة الدولة الواحدة فان معدل الهجرة الداخلية الوافدة يساوى معدل الهجرة الداخلية المغادرة وبالتالى فان معدل الهجرة الصافية يساوى صفرا ، ولكن أهمية هذا المعدل الاخير تبدو فى توضيح الفروق الاقليمية بين مناطق الجذب ومناطق الطرد داخل الدولة حيث تبدو مناطق الجذب ذات هجرة صافية موجبة بينما تبدو مناطق الطرد ذات هجرة صافية سالبة وقد توجد مناطق تتعادل فيها الهجرة الوافدة مع الهجرة المغادرة وبالتالى فانها مناطق استقرار سكانى .

٤ ـ معدل الهجرة الكلية =

$$\frac{\text{عدد المهاجرين الى المنطقة + عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$$

وبالاضافة الى هذه المعدلات العامة فهناك معدلات نوعية ترتبط بأعمار المهاجرين ونوعهم ولذا تعرف بالمعدلات العمرية النوعية ويتم حسابها على اساس قسمة عدد المهاجرين فى فئة عمرية معينة على جملة عدد السكان فى هذه الفئة ويكون ذلك بالنسبة للذكور والاناث كل على حده .

طرق تقدير حجم الهجرة الداخلية :

هناك ثلاث طرق يمكن بواسطتها تقدير حجم الهجرة الداخلية واتجاهاتها وتعتمد هذه الطرق على مصدرين رئيسيين هما التعداد والاحصاءات الحيوية ، وتعد بيانات التعداد من أهم هذه المصادر فى الواقع وذلك لانه يمكن الحصول مباشرة على حجم الهجرة الداخلية وتوزيعها عن طريق توزيع السكان حسب محال الميلاد أو حسب مكان الاقامة المعتادة أو مدة الاقامة فى مكان العد كما يمكن الحصول على بعض خصائص المهاجرين بطريقة غير مباشرة باستخدام بيانات التعداد واجراء بعض العمليات الاحصائية عليها .

والطرق الثلاث لتقدير حجم الهجرة الداخلية هى الطرق الاتية :

١ ـ طريقة محل الميلاد :

تعتمد دراسة تيارات الهجرة على مصدر احصائى واحد هو تعداد السكان وتستخدم جداول محال الميلاد مقارنة بمكان الاقامة وقت التعداد،

فالذين عدوا فى المنطقة الادارية (أ) مثلا (قد تكون مقاطعة أو محـافظة أو قسم ادارى) وليسوا من مواليدها فانهم يعتبرون مهاجرين من الجهات التى ولدوا فيها الى هذه المنطقة ، ومن ناحية أخرى فان الذين عدوا فى مناطق أخرى وكانوا من مواليد المنطقة (أ) هـذه فانهم يعتبرون أيضـا مهاجرين منها الى المناطق الاخرى التى عدوا فيها(١) .

وباستخدام هذه الطريقة فى عدة تعدادات متعاقبة فانه يمكن معـرفة تطور حركة الهجرة الداخلية فى البلاد ، ولعل فى مصر ـ مثال على ذلك كما تبين أرقام الجدول رقم (٣٠) حيث ينتقل بين ظهرانيها قرابة عشر السكان فى كل السنوات التعدادية منذ ١٩٤٧ وحتى سنة ١٩٦٦ ثم مالبثت النسبة أن تناقصت بعد ذلك .

جدول رقم (٣٠) تطور عدد المهاجرين ونسبتهم الى جملة عدد السكان فى مصر فى الفترة من ١٩٢٧ ـ ١٩٨٦(٢)

السنة	جملة عدد السكان	عـدد المهاجرين الذين عدوا خارج محل ميلادهم	% النسبة
١٩٢٧	١٤ر٢١٧ر٨٦٤	٩٩٠ر٦٤٥	٧ر٠
١٩٣٧	١٥ر٩٣٢ر٦٩٤	١ر٠٩٨ر٧٥٢	٦ر٩
١٩٤٧	١٩ر٠٢١ر٨٤٠	١ر٦٩٩ر٩٧٤	٩ر٠
١٩٦٠	٢٦ر٠٨٥ر٣٢٦	٣ر٠٠١ر٦١٥	١١ر٥
١٩٦٦	٣٠ر٠٨٢ر٤١٩	٢ر٧٣٦ر٤٠٠	٩ر٢
١٩٧٦	٣٦ر٦٢٦ر٢٠٠	٣ر٥٥٠ر٠٠٠	٩ر٧
١٩٨٦	٤٧ر٩٩٥ر٢٦٥	٣ر٦١٦ر٣٠٠	٧ر٧

ويمكن الاستدلال بهـذه الطريقة على حـركة تبادل المهاجـرين بين المناطق الادارية فى الدولة وتحديد تيارات الهجرة وكثافتها واتجاههـا ، كذلك يمكن معرفة أصول المهاجرين ونسبتهم الى جملة سكان المهجر،فعلى

---

(١) حسين أنور خليل ـ «قياس الهجرة الداخلية فى جمهورية مصر العربية ١٩٧٦ ـ ١٩٨٦» ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ الجامعة الاردنية يونية ١٩٩١ ـ ص ٥٦ .

(2) Abou-Aiana, F. M., “Internal Migration in Egypt between 1927-1966”, Bulletin de la Société de Geographie d’Egypte 1973.

سبيل المثال أظهرت بيانات تعداد السكان سنة ١٩٨٦ فى مصر أن أكثر من ربع سكان القاهرة وحوالى خمس سكان الاسكندرية قد ولدوا خارج هاتين المدينتين ، ويوضح الجدول رقم (٣٠) معدلات الهجرة الداخلية فى المحافظات حسب طريقة محل الميلاد واعتمادا على بيانات تعداد ١٩٦٠ ٠

على أنه ينبغى الاشارة الى أن طريقة محال الميلاد فى دراسة الهجرة الداخلية لاتخلو من عيوب ، ذلك لانه ليس من المتوقع أن يحظى سؤال بسيط عن محل الميلاد باجابات دقيقة من كل السكان ، فمن المحتمل حدوث خطأ فى ذكر هذا المكان خاصة بين المهاجرين الذين قضوا فترة طويلة فى المهجر اى بين المسنين من المهاجرين ، ولما كان جامعو بيانات التعداد يسالون رب الاسرة مباشرة عن بقية أفراد الاسرة فقد لا يعير أماكن ولادة هؤلاء الافراد اهتماما كبيرا ٠

كذلك فقد تؤدى التغيرات المستمرة فى الحدود الادارية الى عدم الدقة فى بيانات محال الميلاد فالسكان لايهتمون كثيرا بالتغيرات الادارية التى تحدث فى موطنهم الاصلى بعد هجرتهم منه ويدلون ببيانات محل الميلاد حسب حدوده السابقة عندما كانوا مقيمين به وربما أصبح هذا المحل ضمن اقليم ادارى آخر فى الوقت الحاضر ٠

وتعد طريقة اجراء التعداد ذاتها على جانب كبير من الاهمية فى تحديد قيمة بيانات محل الميلاد فى الهجرة فقد تختلف التعدادات المتعاقبة فى طريقة اجرائها مثل طريقة العد الفعلى De Facto أو حسب مكان الاقامة المعتاد De Jure ومن ثم يصعب مقارنة تطور حركة الهجرة ، ولما كانت طريقة العد الفعلى تقوم على أساس عد السكان حسب أماكن تواجدهم ليلة التعداد فانها قد تسجل البعض على أنهم مهاجرون ظاهريا بالرغم من أنهم ليسوا كذلك ٠

وبالاضافة الى ذلك فان بيانات مكان المولد لاتبين سوى الفرق بين مكان المولد ومكان الاقامة وبالتالى لاتبين عدد الاشخاص الذين هاجروا فى فترة زمنية معينة ولما كانت هذه البيانات لاتوضح الا الحركة المباشرة بين مكان المولد ومكان الاقامة فانها لاتبين التحركات المتعددة لنفس الافراد (سواء كان المهاجرون قد تحركوا أكثر من مرة قبل مجيئهم الى مكان العد ـ أو هاجروا الى أماكن أخرى ثم عادوا الى مواطنهم الاصلية) ٠

٢ ـ طريقة معادلة الموازنة :

يعتمد تحديد دور الهجرة فى نمو السكان على طريقة تعرف بمعادلة

الموازنة ، وهى تعتمد على الاحصاءات الحيوية من ناحية وبيانات التعداد العام للسكان من ناحية أخرى حيث يكون من السهل تقدير الزيادة الطبيعية بين التعدادين ومقارنتها بالزيادة الكلية فى الفترة التعدادية ، ويمثل الفرق بينهما الهجرة الصافية سواء كانت موجبة أو سالبة ـ أى سواء كانت هجرة وافدة أو مغادرة فى المكان الواحد ، ومن الواضح أنه لايمكن استنتاج مكان القدوم أو الوصول لأى فئة من المهاجرين حسب هذه الطريقة كما أنها تتطلب توفر تعدادين لايفصلهما عدد كبير من السنوات وأن تكون البيانات قابلة للمقارنة من حيث المجال والدقة والاقسام الجغرافية ، وبديهى أن أخطاء الاحصاءات الحيوية تنتقل مباشرة الى تقديرات الهجرة ٠

ويمكن وضع معادلة الموازنة على الصورة التالية :

$$\text{الهجرة الصافية} = (ك_٢ - ك_١) - (ليد_{(١-٢)} - فى_{(١-٢)})$$

حيث :

$ك_١$ = عدد السكان فى التعداد الاول

$ك_٢$ = عدد السكان فى التعداد الثانى

والفرق بينهما يمثل الزيادة الكلية فى السكان بين التعدادين

$ليد_{(١-٢)}$ = عدد المواليد فى الفترة التعدادية ، أى بين التعداد الاول والثانى ٠

$فى_{(١-٢)}$ = عدد الوفيات فى الفترة التعدادية ، أى بين التعداد الاول والثانى ٠

والفرق بينهما يمثل الزيادة الطبيعية فى الفترة التعدادية ٠

٣ ـ طريقة نسبة البقاء Surival Ratio Method :

بالاضافة الى الطريقتين السابقتين هناك طريقة ثالثة لدراسة خصائص المهاجرين مثل العمر والنوع وتعتمد على مايعرف بنسب البقاء (Surival ratio) أى احتمال البقاء لفوج من السكان فى فئة عمرية فى تعداد معين (ت) الى التعداد التالى (ت + ن)(١) ، والبيانات المطلوبة حينئذ هى عدد الاشخاص حسب العمر والنوع فى تعدادين متتاليين ثم مجموعة من نسب البقاء التعدادية فى كل فئة عمرية والتى يمكن تطبيقها على السكان

---

(١) فتحى محمد أبو عيانة ـ سكان الاسكندرية : دراسة جغرافية وديموغرافية ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ الاسكندرية ١٩٧٠ ،ص٣٨٤٠

فى التعداد الاول حتى يمكن اشتقاق تقدير لعدد السكان المتوقع أن يظل على قيد الحياة فى التعداد التالى والفرق بين هذا العدد التقديرى المتوقع وعدد السكان الذى أورده التعداد التالى يكون هو الهجرة الصافية المقدرة وتتميز هذه الطريقة مثل طريقة الاحصاءات الحيوية السابقة باعطائها نتائج جيدة عن الهجرة الداخلية وذلك باستخدام الصيغة التالية :

الهجرة الصافية فى الفئة العمرية (ع) =

$$\text{ك}_{(\text{ع} + \text{ن})} - (\text{نسبة البقاء} \times \text{ك}_{\text{ع}})$$

حيث أن :

$\text{ك}_{(\text{ع})}$ = الفئة العمرية فى التعداد الاول والتى عمرها ع من السنوات

$\text{ك}_{(\text{ع} + \text{ن})}$ = الفئة العمرية فى التعداد الثانى والتى عمرها ع + ن من السنوات ٠

ن = عدد السنوات الفاصلة بين التعدادين

نسبة البقاء = نسبة البقاء التعدادية القومية ، أو نسبة البقاء المشتقة من جدول الحياة ٠

جدول رقم (٣١) تطور معدلات الهجرة الصافية فى محافظات مصر فى تعدادى ١٩٧٦ و ١٩٨٦(١)

المحافظة	١٩٧٦	١٩٨٦
القاهرة	+ ٢٠ر٠	+ ١٠ر٨
الاسكندرية	+ ١٤ر٤	+ ١٠ر٥
بورسعيد	+ ٢ر٥	+ ٨ر٢
السويس	+ ٦ر٣	+ ١٨ر١
جملة المحافظات الحضرية	+ ١٧ر٤	+ ١٠ر٩
الاسماعيلية	+ ٩ر٠	+ ١٢ر٩
البحيرة	− ٠ر٨	− ١ر٢
الدقهلية	− ٨ر٩	− ٣ر٦
دمياط	− ٣ر٥	− ٦ر٥
الشرقية	− ٦ر٤	− ٥ر٣
الغربية	− ٦ر٧	− ٤ر٨
القليوبية	+ ٤ر٤	+ ٧ر٩
كفر الشيخ	− ١ر٥	− ١ر٨
المنوفية	− ٥ر٦	− ١٤ر٤
محافظات الوجه البحرى	− ٥ر٦	− ٣ر٥
أسوان	− ٠ر٠٤	− ٠ر٨
أسيوط	− ١٠ر٨	− ٨ر٧
بنى سويف	− ٧ر٠	− ٥ر٧
الجيزة	+ ١٩ر١	+ ١٥ر١
سوهاج	− ١٥ر٢	− ١١ر٣
الفيوم	− ٦ر٥	− ٤ر٨
قنا	− ١٢ر٣	− ٨ر٤
المنيا	− ٣ر٨	− ٢ر٨
محافظات الوجه القبلى	− ٣ر٤	− ٢ر٥
المحافظات الصحراوية	− ١ر١	+ ٥ر٥
الاجمالى	صفر	صفر

(١) المصدر : حسين أنور خليل ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٦ ٠

تيارات الهجرة الداخلية :

ليست هنـاك دولة فى العالم الا وشهدت حـركة سكانية داخلية على رقعتها وان كان ذلك بدرجات متفاوتة ، وتتميز بعض الشعوب بحـركتها القوية وعدم الاستقرار الدائم مثل الشعوب السلافية التى شـهدت أوربا وآسيا حركة دائمة لها ويبدو تاثير هؤلاء الشعوب واضحا فى أوراسيا خاصة فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى ٠

وتعد الولايات المتحدة من أكبر دول العالم فى حركة السكان الداخلية ويقدر أن خمس سكانها على الاقل ينتقلون بين ظهرانيها كل عام ، وقـد ظل هذا النمط فى الهجرةالداخلية بها ثابتا علىامتداد قرن من الزمان(١)٠ ومنذ الحرب العالمية الثانية فان عددا يتراوح بين ٣٠ر٣٣ مليون نسمة قد غيروا من أماكن اقامتهم كل عام ، ومن هؤلاء ٥ ملايين عـبروا حـدود الولايات المتحدة(٢) ، ولعل فى بيانات الجدول رقم (٣٢) ما يوضـح هذه الحقيقة على امتداد الفترة (١٩٠١ – ١٩٦١) ٠

وترجع زيادة حركة الهجرة الداخلية فى الولايات المتحدة الى ضخامة الدولة واتساعها وتباين أقاليمها الطبيعية والاقتصادية التى تفصلها حدود

جدول (٣٢) النسبة المئوية للاشخاص المقيمين خارج محال ولادتهم فى الولايات المتحدة وكندا فى الفترة من ١٩٠١ – ١٩٦١(٣)

السنة	الولايات المتحدة الامريكية	كندا
١٩٠١	٢٠ر٦	٦ر٥
١٩١١	٢١ر٦	١٠ر٠
١٩٢١	٢٢ر٢	١٠ر٣
١٩٣١	٢٣ر٤	٩ر٨
١٩٤١	٢٢ر٥	٩ر٧
١٩٥١	٢٥ر٥	١١ر٨
١٩٦١	٢٩ر١	١٢ر٣

(1) Beaujeu - Garnier, Op. Cit., p. 187.
(2) George, M. V., Internal Migration in Canada, Ottawa, 1970, p. 90.
(3) George, M. V., Op. Cit., p. 90,

سياسية وتعوق الهجرة،وكذلك الحال بالنسبة لكندا وان كانت نسبة الهجرة الداخلية بها تقل عن نصف مثيلتها فى الولايات المتحدة وتصل هذه النسبة فى المانيا الغربية الى ٢ر٦٪ وتنشط الهجرة الداخلية بها فى المسافات القصيرة وفى مصر بلغت هذه النسبة ٢ر٩٪ فى تعداد ١٩٦٦ ، وهبطت ٤ر٥٪سنة ١٩٨٦ .

تيارات الهجرة الداخلية نحو المناطق الزارعية :

اتجهت تيارات الهجرة الداخلية فى معظم دول العالم الى المناطق الزراعية لتعميرها واستغلالها ، وارتبطت هذه التيارات بمراحل تعمير الارض البكر فى العالم الجديد وفى بعض مناطق العالم القديم ، فكانت حركة انتقال السكان فى امريكا الشمالية تتجه باستمرار نحو الغرب عبر ذلك النطاق الشاسع فى الغرب الاوسط (Middle West) ، وقد أضيف للولايات الثلاث عشر الاصلية التى كانت نواة لنشأة الولايات المتحدة الامريكية سبع ولايات أخرى شرق نهر المسيسبى فى الفترة من ١٧٨٣ – ١٨٢٠ بالاضافة الى لويزيانا كما أضيفت الولايات الاخرى المجاورة للبحيرات العظمى وولايات السهول الوسطى فيما بين عامى ١٨٢٠ – ١٨٦٠ ، وما أن وافى عام ١٨٥٠ حتى كان ٤٥٪ من جملة سكان الولايات المتحدة يعيشون الى الغرب من جبال الابلاش ، وقد أدى انشاء السكك الحديدية والتسهيلات المختلفة لمنح الاراضى الى خلق ولايات جديدة واتجاه السكان نحو تعمير ساحل المحيط الهادى،ففى سنة ١٩١٠ تضاعف عدد سكان جابل الروكى وولايات ساحل المحيط الهادى عما كان عليه سنة ١٨٦٠ ،وبجانب هذا الاتجاهالاستيطانى لتيارات الهجرة نحو غربالولايات المتحدة فقد صحبها تغير كبير فى طرق الزراعة والمحاصيل المزروعة وذلك لتتلائم مع ظروف الجفاف السائدة فى الغرب ولذا سادت الزراعة الجافة والرعى التجارى الواسع وانتقلت المراكز التجارية الرئيسية (خاصة مراكز تجارة القمح وطحن الدقيق) نحو الغرب مواكبة حركة السكان الجغرافية ومناطق زراعة الحبوب – فقد انتقلت من روشستر Rochester فى سنة ١٨٥٠ الى شيكاغو وسانت لويس سنة ١٨٩٠ والى سان بول St. Paul ومينا بوليس وأوماها Omaha فى الوقت الحاضر ، وقد ظل مركز الجذب السكانى Centre of Gravity واقعا الى الغرب من بولتيمور حتى سنة ١٨٧٠ ثم الى الغرب من سنسناتى سنة ١٨٩٠ ويقع فى وسط الينوى فى سنة ١٩٦٠ اى يأخذ اتجاها من الشرق نحو الغرب مع نفس خط العرض تقريبا ، وقد شهدت كندا نمطا مماثلا من انماط الهجرة الداخلية نحو المناطق الزراعية حيث اتجهت هى الاخرى نحو الغرب .

وفى أمريكا اللاتينية ـ فان أبرز المناطق الزراعية التى جذبت تيارات هجرة نحوها هىولاية ساوباولو ـ حيث ارتبطت مشروعاتالتوسع الزراعى بزراعة محصول البن ، وقد اتجه التوسع نحو الغرب بادئا من كامبيناس Campinas حوالى سنة ١٨٥٠ وامتدت مزارع البن اليوم خارج حدود ساوباولو ووصلت الى شمال بارانا وجنوب ميناس جيراس وقد اشترك فى هذا التوسع ـ مهاجرون من شمال شرق البرازيل وبعض المهاجرين الجدد ويقدر أن قرابة ٢ مليون مهاجر قد دخلوا ولاية ساوباولو فى الفترة من سنة ١٨٧٠ الى ١٩٥٢ ٠

وقد شهدت مناطق أخرى فى أمريكا اللاتينية تدفق المهاجرين على الاراضى الزراعية خاصة فى منطقة انتيوكوا Antioquia (كولومبيا) وفى منطقة وسط شيلى وفى العديد من الاودية الخصبة فى جنوب الارجنتين وفى مزارع القطن فى شمال الارجنتين وفى السنوات الاخيرة فى كاليفورنيا السفلى بالمكسيك ، وتحاول البرازيل فى الوقت الحاضر خلق مناطق زراعية جديدة لجذب السكان متمثلة فى مزارع الكاكاو الحديثة فى جنوب باهيا ونحو الغرب من ميناس جيراس ٠

وتبدو تيارات الهجرة الداخلية نحو المناطق الزراعية فى آسيا واضحة فى عدة دول من دول هذه القارة،وحتى فى اليابان المعروفة بضغط سكانها على أرضها فان هناك مناطق داخلية بها جذبت اليها المهاجرين منالمناطق المزدحمة بهذه الجزر ، وقد ارتبط ذلك باستصلاح أراضى هذه المناطق وزراعتها ، وقد أثر ذلك على انتقال مركز الجاذبية السكانى من شرق كيوتو Kyoto فى سنة ١٨٩٨ الى نقطة تقع الى الشمال من اقليم Gifu فى سنة ١٩٤٧ وكان الهدف الاساسى لاعادة توزيع السكان فى الجزر اليابانية هو تعمير جزيرة هوكايدو والتى ظلت لعدة قرون موطنا قاصرا على شعب الاينو Ainus الذى ناصب المستوطنين اليابانيين العداء ، ففى سنة١٨٠٠ كانت هوكايدو لاتحوى سوى ٢٠٫٠٠٠ من أفراد الاينو و ٣٠٫٠٠٠ يابانى فقط ، وظل هذا الرقم متواضعا ولم يزد على ٦٠٫٠٠٠ نسمة فى نهاية القرن التاسع عشر ، وتركز هؤلاء اليابانيين فى جنوب غرب الجزيرة بالقرب من بقية الجزر اليابانية ٠

وقد بدأت اليابان فى الاتجاه نحو تعمير واستيطان هوكايدو منذ سنة ١٨٧٥ ، فانشأت طرقا للسكك الحديدية أسهمت فى التنمية الاقتصادية بالجزيرة حتى أصبح عدد سكانها مليون نسمة فى سنة ١٩٠١ ، وتزايد

سكانها بعد ذلك حتى وصل الى أكثر من ٥ مليون نسمة فى الوقت الحاضر وتعد الزراعة الحرفة الرئيسية لسكانها خاصة زراعة الارز التقليدية .

أما فى قارة آسيا فقد شهد وسطها حركة هجرة داخلية ضخمة فى روسيا الاسيوية وفى الصين ، وقد تميزت دول الكومنولث الجديد بتيارات هجرة ضخمة متجهة من الغرب نحو الشرق لاستغلال الاراضى الشاسعة فى آسيا وأدى ذلك الى زيادة الرقعة الزراعية الشاسعة من ٢٩١ مليون فدان فى سنة ١٩١٣ الى ٣٧٠ مليون فى سنة ١٩٤٠ ، وتربو على ٥٠٠ مليون فى منتصف السبعينات ، وقد كانت هناك حركة هجرة وتوسع زراعى نحو الشمال فى النطاق الغابى الاوربى أيضا ، وقد خرجت الهجرات نحو آسيا الوسطى من نطاق التربة السوداء فى روسيا الاوربية فى اتجاه الاراضى شبه الجافة الى الشرق من بحرقزوين وكان أكبر توسع زراعى فى جمهورية كازاخستان حيث زادت الارض الزراعية بنسبة ٤١٢٪ فى الفترة من ١٩١٣-١٩٥٥، كما كان بها أكبر نسبة لزيادة السكان ووصلت الى ٥١٫٤٪ بين عامى ١٩٤٠ - ١٩٦٠ ، وكان هذا التوسع الزراعى قائما على أساسين احداهما سكانى والاخر تقنى ، وذلك بفضل الحركة والهجرة الضخمة نحو تلك الاراضى.

وقد شهدت الصين نمطا مماثلا منأنماط الهجرة الداخلية نحو الاراضى الزراعية الحديثة ، فقد بدأت الهجرة الصينية نحو منشوريا فى القرن الثامن عشر ، وكان المحصول الذى جذب المهاجرين هو الافيون وليس الذهب كما شهدت معظم مناطق العالم الاخرى ، وكانت الهجرة بطيئة للغاية حتى لم يكن عدد المهاجرين الذين استوطنوا هذا الاقليم أكثر من ١١٥٫٠٠٠ مهاجرا سنويا حتى سنة ١٩٢٥ ولكن فى سنة ١٩٢٨ ارتفع الرقم الى نصف مليون مهاجر .

وقد أدى الضغط السياسى من جانب الروس فى الشمال والاحتلال اليابانى والتسلل من كوريا فى الشرق الى اتجاه الصينيين نحو تقوية نفوذهم بمنشوريا وازدياد حركة الهجرة نحوها فيما بعد خاصة تحت الحكم الشيوعى ، ولذلك فقد ارتفع عدد سكانها من ١٥ مليون نسمة فقط سنة ١٩١٠ الى أكثر من ٥٠ مليون نسمة فى الوقت الحاضر ٩٠٪ منهم من الصينيين و ٢٪ من السكان الاصليين (المانشو Manchus) .

كذلك فقد اتجه الصينيون نحو الاقاليم الغربية فى منغوليا الداخلية حيث اتجهت هجرتهم الى مقاطعات سى كيانج Si - Kiang والتبت ، والمهاجرون هنا من العمال والمتخصصين الذين يقومون باعداد وتجهيز

العناصر الضرورية للبناء الاقتصادى مثل مد الطرق والانشاءات المختلفة، وزراعة الاراضى الصالحة ، وتتولى الحكومة نفقات النقل الى هذه المناطق النائية وتؤمن السكن للمهاجرين الجدد ، ويتكون معظم المهاجرين من المزراعين والفقراء الذين يفدون من الاقاليم المزدحمة بالسكان مثل هوبى Hopei وشانتنج Shantung وينتقل معهم العديد من المهاجرين الشبان من كل مناطق الصين وهؤلاء يساعدون فى عمليات اعداد الارض والفلاحة.

وقد تدفق السكان المهاجرون بأعداد ضخمة نحو الاقاليم السابقة فى العقود القليلة الماضية كما أنها لاتزال مستمرة فى الوقت الحاضر ، وتسهم كلها فى توسيع النطاق المعمور فى هذه الاقاليم ، وقد حدثت هذه الهجرة بأعداد ضخمة نحو المناطق الخالية من السكان أو التى يسكنها عدد قليل منهم ويتناثر على رقعتها ، وقد جذبت المهاجرين من المناطق المزدحمة مثل أوكرانيا وروسيا البيضاء والتى عمرت آسيا الروسية الوسطى ، والدلتاوات ووديان الانهار الصينية التى أمدت المناطق الداخلية البعيدة بالمهاجرين ويشبه ذلك استمرار تدفق المهاجرين من مناطق الكوارث فى شمال شرق البرازيل الى النطاق الجنوبى المعتدل أو المناطق الزراعية فى الغرب وفى كل هذه الاقاليم فان المهاجرين يكونون فى الغالب من الفلاحين الذين يمارسون حرفتهم فى الاراضى الجديدة بنفس الافكار والاساليب والمحاصيل التى تعودوا عليها .

وقد شهدت مناطق أخرى فى العالم نفس الظاهرة وهى اتجاه تيار الهجرة نحو الاراضى الزراعية ولكن على نطاق محلى ضيق كما حدث فى ايطاليا حيث انتقل قرابة ٣٠٠ر٠٠٠ مهاجر من سهل إلبو المزدحم ومن ساحل الادرياتيكى وحتى من صقلية الى منطقة ماريما Meremma التى استصلحت أراضيها وأصبحت زراعية جاذبة للسكان الزراعيين من المناطق المزدحمة وقد دفعت الجبال الوسطى الايطالية بأعداد من المهاجرين الذين عمروا سواحل خليج تارانتو Taranto ـ ومن جبال صقلية وسردينيا الى السهول الساحلية المستصلحة لهاتين الجزيرتين .

وتعد مصر من دول شمال أفريقيا التى هجرت أعدادا من سكانها الزراعيين الى المناطق المستصلحة حديثا بها فى شمال الدلتا وغربها واتجهت تيارات الهجرة الى هذه المناطق من المحافظات المزدحمة بالسكان فى جنوب الدلتا وان كانت بأعداد قليلة ، وفى أفريقيا المدارية وضعت الخطط لاستصلاح السهول الساحلية فى ساحل غينيا لزراعة الارز لجذب أعداد من

السكان الزائدين لزراعتها وهناك العديد من الامثلة على ذلك فى العالم سواء فى آسيا أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية ٠

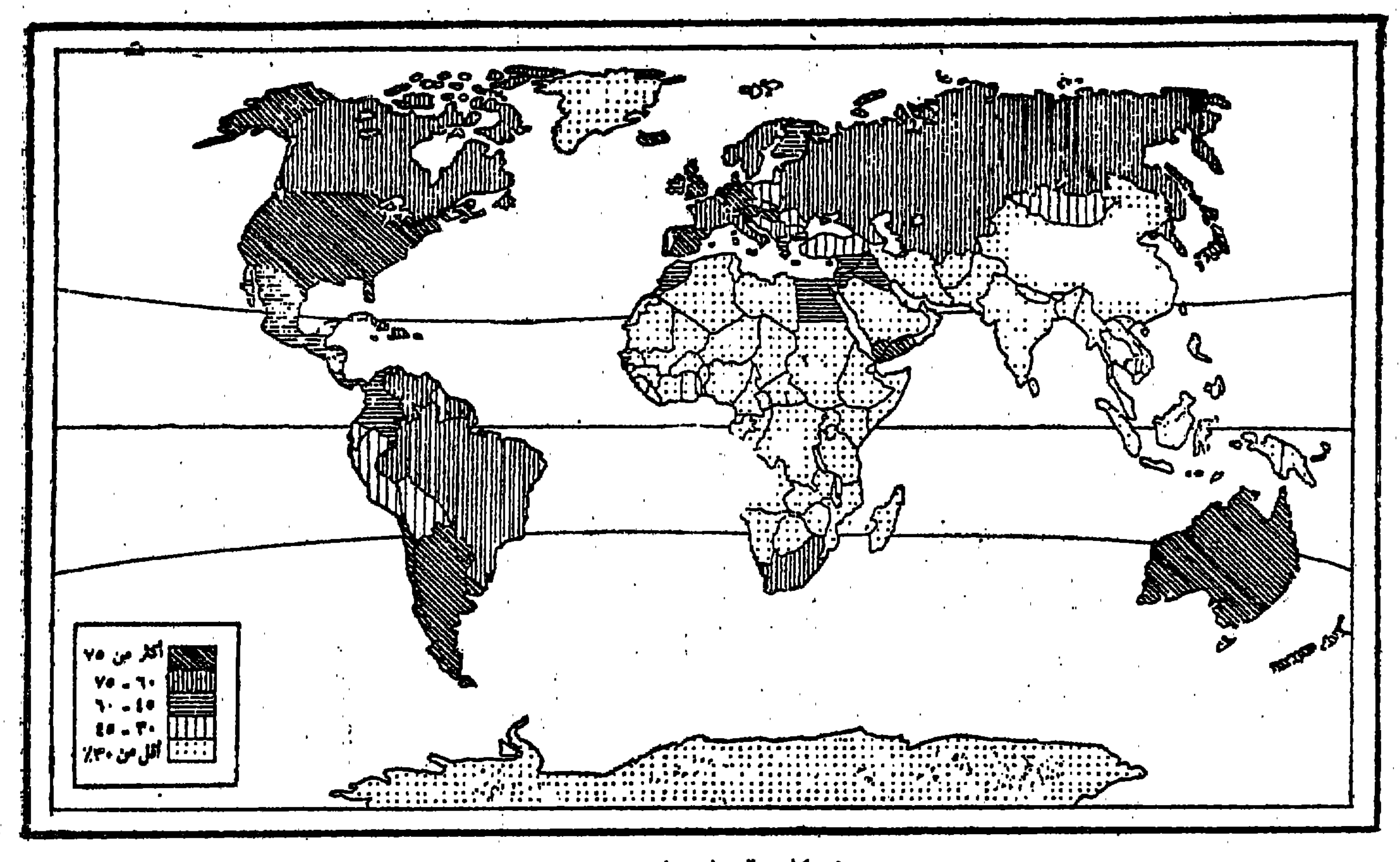
تيارات الهجرة الداخلية نحو المدن :

تعد المدن من أقوى مراكز الجذب لتيارات الهجرة الداخلية فى العصر الحديث ، وقد بدأت تمارس هذا الدور منذ قرن مضى ، مواكبة لنمو وسائل النقل الحديثة التى حملت اليها أفواج المهاجرين من أماكن بعيدة وأسهمت بذلك فى تضخم الكثير من المدن وتعدد وظائفها وظهورها كمراكز هامة فى بيئاتها ٠

ويبدو أنه ليست هناك حدود للنمو الحضرى حيث تتفاوت نسبة سكان المدن من دولة لاخرى (شكل رقم ٢٥) فقد وصلت هذه النسبة (حوالى سنة ١٩٨٠) الى ٧٩٪ من جملة سكان المملكة المتحدة و ٨٥٪ فى ألمانيا و٧٩٪ فى الولايات المتحدة وارتفعت هذه النسبة فى فرنسا من ٤٦٪ سنة ١٩٢١ الى ٧٩٪ سنة ١٩٨٠ ، وفى الكومنولث الجديد من ١٨٪ سنة ١٩٢٦ الى ٦٤٪ سنة ١٩٨٠ ، وتنمو هذه النسبة لسكان الحضر بسرعة أكبر فى الدول التى تتميز بالتطور الاقتصادى السريع كما فى كوريا وجنوب أفريقيا (٢٥٪ سنة ١٩٢١ ، ٥٢٪ سنة ١٩٨٠) واليابان (٢٢٪ سنة ١٩٢٥ و ٧٥٪ سنة ١٩٨٠) ، وعلى العكس من ذلك فان نسبة الزيادة فى معدل النمو تعد قليلة فى الدول التى بلغت شأنا كبيرا فى التحضر حيث كانت النسبة فى انجلترا وويلز ٧٢٪ سنة ١٩٠١ وارتفعت بالكاد الى ٧٥٪ سنة ١٩٨٠ ٠

وقد ارتبطت حركة الهجرة الداخلية فى مراحلها المبكرة بالتحول الكبير فى وظائف المدن واتجاهها نحو الصناعة الحديثة التى بدأت مع الثورة الصناعية فى أواخر القرن الثامن عشر ، وقد اعتمدت فى ذلك على استغلال حقول الفحم والتطور فى استخدام الآلات التى حلت محل العمل اليدوى وقامت المدن الصناعية بدور هام فى جذب الايدى العاملة من الاقاليم الريفية المجاورة ومن ثم أدى ذلك الى تجمع عدد كبير من السكان فى المراكز العمرانية الحضرية وظهور مدن متخصصة تحوى كل منها رقعة عمرانية تشغلها مساكن العاملين وهى سمة تميز نمط العمران فى المناطق الصناعية القديمة فى أوربا ٠

وقد أدى ظهور المواصلات الحديثة الى تقوية دور المدن فى جذب المهاجرين من مناطق بعيدة وترتب على ذلك نمو المناطق الصناعية سواء



شـكل رقم (٢٥)
التوزيع النسبى لسكان المدن فى دول العالم

من الهجرة الداخلية من المناطق الاخرى فى القطر أو من الهجرة الدولية الوافـدة من وراء السـياسة ، وتتمثل هـذه المناطق الحضرية فى الـدول الصناعية فى مراكز التعـدين والصناعات القـائمة بها وكذلك فى المـدن الصناعية المتخصصة كصناعة الغـزل والنسيج فى لانكشـير ويوركشـير فى انجلترا وفى نيوانجلند فى شمـال شرق الولايات المتحدة ، وتنـدر هذه الظاهرة فى الدول النامية حيث تقوم المراكز التعدينية بدور هام فى جذب المهاجرين من المناطق المجاورة فى هضبة جوس حيث يعدن القصدير منذ سنة ١٩٠٥ ـ والذى جذب عددا من السكان بلغت نسبتهم ٤٤٪ من جملة سكان الاقليم ٠

خصائص تيـارات الهجرة :

هناك عدة خصائص ترتبط بتيـارات الهجرة وديناميكيتها حـددهـا ايفرت لى Everett Lee فى مقاله المشهور عن نظرية الهجرة على النحو التـالى(١) :

(١) **«أن الهجرة تميل للحدوث داخل تيارات محددة تماما»** ، فمن الملاحظات الشائعة أن المهاجـرين يسلكون طرقا محددة بوضوح فيما بين أماكن الاصل والوصول معتمدين فى ذلك على طرق النقل الممكنة ، وغالبا مايؤدى تغلب المهاجرين الاوائل على العوائق المتداخلة بين هذه الاماكن الى تذليل صعاب الطريق أمام المهاجرين الجدد ٠

وعلى ذلك فان عملية الاستيطان الناجمة عن الهجرة تميل للحدوث على هيئـة وثبات Leapfrogging Operation ، حيث تكون المراكـز العسكرية أو التجارية بؤرات لتيارات الهجرة ويتم استكمال بقية المراكز على هذا الطريق فى مراحل تالية ، وكان ذلك مظهرا هاما من مظـاهر الهجرة والاستيطان فى الغرب الامريكى ٠

وفى كثير من الحالات تحدث حركات ضخمة على شكل تيارات نوعية الى حد كبير بين منطقتى الاصل والوصول للمهاجرين ، فعلى سبيل المثال هاجر الايطاليون من صقلية وجنـوب ايطاليا الى عـدة مدن فى شمـال

(1) Evertt, S. Lee, "Theory of Migration" in Population Geography A Reader, edited by Denko; G., Ro H. and Schnell. G., McGraw-Hill New York, 1970, pp. 188-298.

الولايات المتحدة الامريكية ، بينما هاجرت أعداد كبيرة من الايطاليين فى لمبارديا وتسكانيا الى أمريكا الجنوبية وخاصة بيونس أيرس،وهناك أمثلة كثيرة على تيارات هجرة نوعية مماثلة ٠

(٢) **«انه ينشأ لكل تيار هجرة رئيسى تيار مقابل فى الاتجاه العكسى»** وينشأ التيار المقابل لأسباب عديدة منها اختفاء أو ضعف عوامل الطرد فى الموطن الاصلى أو تناقص عوامل الجذب فى مكان الوصل مما يحفز عددا من المهاجرين الى العودة الى مواطنهم الاصلية أو البحث عن مهجر ملائم آخر ، ولاشك أن تيار الهجرة يخلق اتصالات بين منطقتى الاصل والوصول وتساعد بدورها على امكان العودة الى المنطقة الاصلية أو المساعدة على جذب عدد من سكان منطقة الوصول اليها لأسباب مختلفة ويصبح المهاجرون حينذاك أكثر اهتماما بالفرص فى مكان الاصل والتى لم تكن مستغلة من قبل ، أو قد يستفيدون من اتصالهم بالمنطقة الجديدة لاقامة أعمال فى المنطقة الاصلية وبالاضافة الى ذلك فان المهاجرين لايبقون باكملهم فى مكان الوصول ، وعلى سبيل المثال فان كثيرا من المهاجرين الايطاليين الوافدين للولايات المتحدة يستمرون أطول فترة ممكنة يستطيعون خلالها تكوين ثروة تعينهم على العيش بعد ذلك فى ايطاليا ــ موطنهم الاصلى ــ بعد عودتهم اليها ٠

(٣) **«أن كفاءة تيار الهجرة** (نسبة التيار الى التيار المقابل ــ أو صافى اعادة توزيع السكان الذى يتأثر بالهجرات العكسية) **والتيار المقابل تميل الى الانخفاض اذا كان مكانا الاصل والوصول متشابهين»** ٠

وفى هذه الحالة فان الافراد الذين يتحركون فى اتجاهات عكسية يتحركون بأعداد كبيرة لنفس الاسباب ، والواقع أن الحركة تكون متساوية (أى أن الهجرة الصافية تميل الى الصفر) ٠

(٤) **«ان كفاءة تيارات الهجرة تكون عالية اذا كانت العوائق المتداخلة كبيرة[١]»** وذلك لان المهاجرين الذين يتغلبون على مجموعة كبيرة من العوائق المتداخلة الوسيطة يفعلون ذلك تحت ظروف قهرية ، ولما كانت العوائق فى التيار والتيار المقابل واحدة ــ فان المهاجرين العائدين

---

(١) ذكر (ايفرت لى) أن عوامل الطرد والجذب فى منطقتى الاصل والوصول تتأثر بالعوائق المتداخلة بين المنطقتين وأبرزها المسافة وتكاليف الانتقال وسنشير الى ذلك فى الفصل التالى مباشرة ٠

سيواجهون بها ولذلك فانها اذا كانت عوائق متعددة فستجعل كثيرا من المهاجرين يترددون فى العودة ، وعلى سبيل المثال فان المهاجرين من بنسلفانيا الى كاليفورنيا يمتنعون عن العودة بسبب التكاليف الباهظة لرحلة العودة .

(٥) «أن كفاءة تيار الهجرة تتمشى مع الظروف الاقتصادية فتكون عالية فى أوقات الرخاء ومنخفضة فى أوقات الشدة» .

ذلك لانه فى أوقات الرواج الاقتصادى المفاجىء فان المناطق العادية لوصول المهاجرين الى المراكز الكبرى للتجارة والصناعة ـ تتوسع بسرعة تجذب مهاجرين اليها بمعدل مرتفع ولا يكون هناك تيار عائد الا بأعداد قليلة ، أما فى أوقات الكساد فان حجم التيار العائد يتزايد الى منطقة الاصل ، ويبدو ذلك بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية أو الاقاليم الزراعية والاقاليم الصناعية .

الفصل العاشر

أسـباب الهجرة ونتائجهـا

أولا ـ أسـباب الهجـرة :

تختلف أسباب الهجـرة السكانية اختـلافا واضحـا وان كانت معظم الدوافع متشابهة فى أغلب الاحيان سواء فى الهجـرات طويلة المسـافة أو قصيرتها ، وسواء كانت تياراتها تشمل عـدة مئات أو عـدة ملايين من المهاجرين والتى تنتهى فى كل الحالات بتغيير الموطن الاصلى والاستقرار فى اقليم المهجر ، بل قد تنتهى فى بعضها الى تغيير نمط الحياة ذاته ٠

ولاشك أن العامل المشترك الاعظم فى دوافـع الهجرة هـو انخفاض المستوى الاقتصادى أو الفقر المطلق (Absolute Poverty) ـ وهو الذى يدفع كثيرا من المهاجرين الى الاتجاه نحو مناطق الجذب السكانى التى تتوفر فيها العوامل الاقتصادية الكامنة أملا فى تحسين مسـتوى العيش كهـدف أسـاسى ٠

وتتعدد أسباب الطرد Push وأسباب الجذب Pull فى مجال الهجرة، وقد حدد «بوج» Bouge ـ ٢٥ عاملا مؤثرا فى الهجرة منها ١٥ عـاملا مرتبطا باختيار مكان الهجرة و ١٠ عوامل اجتماعية اقتصادية[1] ٠ ونذكر من هذه العوامل المختلفة فرص العمل المتاحة والمهارات الفردية والاجور المنخفضة فى المكان الاصلى وكذلك يتاثر اختيـار مكان الهجـرة بتكاليف الانتقال ووجود اقارب أو معارف فى المهجـر والبيئـة الطبيعية والتركيب السكانى وامكانيات العمل ومدى تمشيها مع مهنة المهاجر وكذا المساعدات الخاصة ونقص المهاجر الاخرى التى يمكن الاتجاه اليها ، ومن بين العوامل الاقتصادية الاخرى الاستثمارات الرئيسية لرأس المال والتغير التكنولوجى

(1) Bogue, D. J., "Internal Migration" in Hauser P. M. and Duncan, O. K., eds. The Study of Population, Chicago : The University of Chicago Press 1959.

والتنظيم الاقتصادى والمساعدات التى تقدمها المهاجر والامكانيات المحلية والنظم المؤثرة فيها وأحوال المعيشة ومستوياتها ثم بعد ذلك كله سياسة الدولة فى انتقال السكان وهجرتهم محليا ودوليا ٠

ويضاف الى العوامل السابقة عوامل أخرى من بينها الضغط السكانى ومعدلات النمو فى الدولة وامكانيات الحصول على أراضى زراعية فى أماكن الوفود أو النزوح وامكانيات النقل المتاحة والحروب والاختلافات الحضارية ، ويضيف البعض عوامل أخرى منها ماهو مناخى أو حرفى وكذلك الحجم الكلى للدولة حيث تشجع الدول الكبرى حركة الهجرة داخل أقاليمها بينما تقل هذه الحركة فى الدول الصغرى ، وأيضا قد يميز البيئة الطبيعية للدولة من ظاهرات قد تقف عقبة فى سبيل الانتقال السكانى من اقليم لاخر كالمرتفعات الجبلية أو الصحارى وغيرها ٠

وقد سبق القول بأن الهجرة عنصر من العناصر المؤثرة فى نمو سكان المدن ، كما أنها تؤثر أيضا فى تركيب السكان وخصائصهم الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية من حيث التركيب النوعى والعمرى للسكان وحالتهم الزواجية والتعليمية ومستوى العمال والتوزيع المهنى وأعباء الاعالة ومستوى الخصوبة وغير ذلك ٠

وقد يكون للهجرة نتائج اجتماعية واقتصادية ايجابية على المجتمع المرسل أو المستقبل أو كليهما معا ، ويتوقف ذلك على خصائص السكان فى كل من المجتمعين وعلى خصائص المهاجرين ، فقد ينتج عن الهجرة مثلا حالة التوازن لقوة العمل فى مجموعها لكل من المجتمعين وسد احتياجات المجتمع المستقبل من فئات مهنية معينة قد تكون زائدة عن حاجة المجتمع المرسل وهكذا ٠

ومن ناحية أخرى فقد تترتب على الهجرة نتائج سلبية ترتبط بانتقال سكان الريف الى الحضر وماينتج عن ذلك من زيادة الاعباء على البيئة المستقبلة من انشاء المساكن الكافية والخدمات التعليمية والصحية ووسائل النقل وغير ذلك ، وأهم هذه المشاكل على وجه التحديد ايجاد الفرص الكافية فى سوق العمل للقادمين الجدد وخاصة اذا لم تكن لديهم الخبرة الكافية التى تتطلبها الاعمال فى البيئة الجديدة ٠

وقد حاول «ايفرت لى» Everett Lee فى مقاله الذى سبق الاشارة اليه عن نظرية الهجرة (Theory of Migration) أن يحدد العوامل التى تحفز للهجرة وتؤثر فى تياراتها فقسمها الى الفئات الاربع التالية :

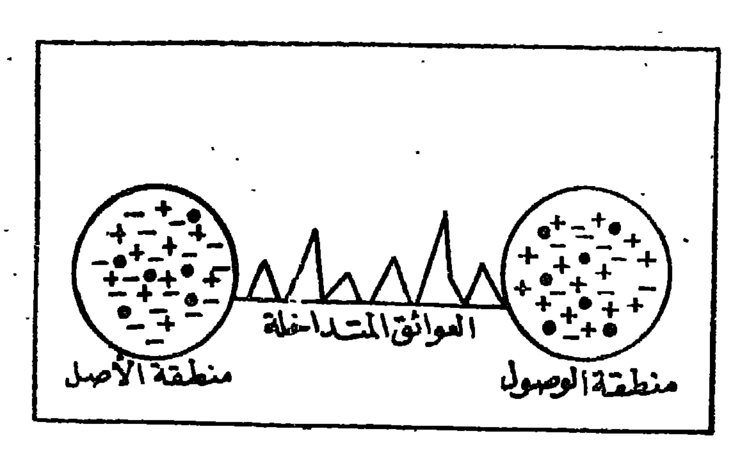
١ ـ عوامل مرتبطة بالمنطقة الاصلية للمهاجرين (منطقة الاصل) ·
Area of origin

٢ ـ عوامل مرتبطة بمنطقة استقبال المهاجرين (منطقة الوصول) ·
Area of destination

٣ ـ العوائق المتداخلة بين المنطقتين Inter vening obstacles

٤ ـ العوامل الشخصية Personal Factors

ويبين الرسم رقم (٢٦) العناصر الثلاثة الاولى ، ففى كل منطقة يوجد عدد كبير من العوامل التى تدعو السكان الى التمسك بالبقاء فيها، كما أنها تجذب اليها سكانا آخرين ويقابل ذلك عوامل أخرى تدفع عدد من السكان الى الهجرة خارجها ، وتبدو هذه العوامل فى الرسم التوضيحى على هيئة علامات (+) الموجبة وعلامات (−) السالبة ، وبالاضافة الى ذلك فهناك عوامل أخرى تبينها العلامات (●) والتى توضح أن هناك قطاعا من السكان لايتأثر بعوامل الجذب أو الطرد ، وهم السكان الاصليون فى هذه الحالة والعزوفون عن الهجرة ، وبعض هذه العوامل ذو تأثير جماعى على كل السكان مثل المناخ المعتدل الذى يعد عامل جذب ايجابى والمناخ السيىء الذى يعد عامل طرد سلبى بينما هناك عوامل أخرى تختلف فى تأثيرها مثل النظم الاقتصادية والاجتماعية والنقل وغير ذلك ·



(شكل رقم ٢٦)
العوامل الكامنة فى منطقتى الاصل والوصول فى الهجرة

وبطبيعة الحال فان عوامل الجذب (+) والطـرد (−) فى كل من منطقتى الاصل والوصول تتباين لكل مهاجر أو من ينوى الهجرة، وهناك اختلافات جوهرية وهامـة بين العوامل المرتبطـة بمنطقة الاصـل وتلك المرتبطة بمناطق الوصول ، فالسكان الذين يعيشون فى منطقة ما يتمتعون بمعرفة مباشرة وطويلة بظروف منطقتهم ويستطيعون الحكم على مقوماتها الذاتية وليس ذلك القول صحيحا بالنسبة للعوامل المرتبطة بمنطقةالوصول ذلك لان معرفة المهاجرين لمقومات هذه المنطقة قلما تكون دقيقة ، كما أن مزايا أو مساوىء العيش بها أمر نسبى الى حد كبير .

وبالاضافة الى ماسبق ، توجد مجموعة من العوائق المتداخلة بين كل منطقتين من مناطق الاصل والوصول ، وقد تكون هذه العوائق بسيطة حينا أو يصعب التغلب عليها حينا آخر ، وتعد المسافة distance أبرز هذه العوائق وأكثرها أثرا فى تحديد حركة الهجرة وحجمها وتكاليف الانتقال وغير ذلك ، كما أن هناك عوامل شخصية كثيرة تؤثر فى تشجيع الفرد على الهجرة أو العزوف عنها .

وفى ضوء العوامل المؤثرة فى أماكن الاصل والوصول للمهاجرين حاول «ايفرت لى» أن يقنن ظاهرة الهجرة ، وصاغ هذه العلاقات بين عـوامل الجذب والطرد فيما يمكن تسميته بقوانين الهجـرة ، وقد خلص بعـدة حقائق أبرزها :

١ − أن حجم الهجـرة داخـل منطقـة معينـة يتباين مع درجـات الاختلافات البيئية التى تتميز بها هذه المنطقة فاذا كانت الهجرة كما سبق القول تنتج عن عوامل ايجابية وسلبية فى منطقتى الاصل والوصول ، فان تزايد الاختـلافات بين الاقاليم والمسـاحات التى تتالف منها ستؤدى الى زيادة معدلات الهجرة ، ويبدو ذلك بوضوح فى الاقطار التى عمرت حديثا كما فى الولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر وسيبيريا فى القرن العشرين، وفى ظل هذه الظروف تظهر الفرص الكامنة لجذب المهاجرين نحو بعض الاقاليم لتعميرها ، وقد يظهر جـذب قوى مفـاجىء كاكتشاف الذهب فى كاليفورنيا أو الفضـة فى كلورادو أو اكتشـاف البترول فى منطقة الخليج العربى .

وبساعد على حركة الهجرة توفر النقل وتامين الاحتياجات والخدمات الاخرى اللازمة لخلق المراكز العمرانية ومن ثم يقوم الرواد والمستوطنون الاوائل الذين تحملهم أولى موجـات الاستيطـان بتاسيس مراكـز وعقد

عمرانية مركزية ، ولاتعنى نهاية الاستيطان بالضرورة تناقص التباين المساحى بل على العكس فان التصنيع الذى يعقب الاستيطان عادة يجد خلاقا لاختلافات بيئية أخرى تمارس دورها فى توجيه حركة الهجرة اليها.

٢ - **ان حجم الهجرة يختلف باختلاف السكان وتنوعهم** : ويعنى ذلك ببساطة أنه كلما كان هناك تشابه كبير بين السكان سواء فى الاصول العرقية أو المستوى التعليمى أو الدخل أو العادات أو الدين فاننا يمكن أن نتوقع معدلا أقل للهجرة عما اذا كان هناك تنوع كبير ، ذلك لان هذا التنوع يساعد على وجود مجموعات من السكان تكمن لديها حوافز الهجرة مثل بعض الجماعات ذات المهنة الواحدة أو التركيب العرقى أو اللغوى أو الدينى الواحد .

٣ - **ان حجم الهجرة يرتبط بالقدرة على تخطى العوائق المختلفة فيما بين منطقتى الاصل والوصول** ، وتلك حقيقة هامة فى اتخاذ قرار الهجرة والتغلب على العوائق التى تحول دون ذلك ، فليس من السهل مثلا حفر نفق أسفل سور برلين للهجرة ولا عبور الاطلسى الى الامريكتين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولذا فان ازالة قيود الهجرة تؤدى الى تشجيعها بدرجة كبيرة . كما حدث مثلا بين دول السوق الاوربية المشتركة حيث انتقلت بينها أعداد ضخمة من العمال المهاجرين . وهناك أمثلة أخرى عبر التاريخ توضح أن ازالة العوائق بين مكانى الاصل والوصول قد أدى الى تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين ، ومن ناحية أخرى فقد أدى فرض قيود بين المكانين الى نقص حاد فى حركة الهجرة .

٤ - **ان الهجرة تتأثر بالتقلبات الاقتصادية الى حد كبير** : وتلك حقيقة بديهية يمكن استنتاجها من تتبع تطور حركة الهجرة العالمية ذلك أن الدورات الاقتصادية تؤثر فى حجم الهجرة وفى اتجاه تياراتها ، ففى أثناء فترات التوسع الاقتصادى تنشأ صناعات جديدة وتتزايد فرص العمل أمام المهاجرين - وان كانت أجزاء الدولة تختلف فى هذا الصدد حيث لاتتوزع فيها مشروعات التنمية بالتساوى ومن ثم فانه فى الوقت الذى تزداد فيه قدرة بعض المناطق على جذب المهاجرين - تبقى مناطق أخرى راكدة نسبيا ويزداد التناقص بين العوامل الايجابية فى منطقتى الاصل والوصول. وتصبح العوامل السلبية فى منطقة الاصل أكثر سوءا . وفى فترات الكساد الاقتصادى تفشل بعض المشروعات حديثة النشأة ويتوقف البعض الاخر عن التوسع وتصبح العوامل السلبية فى مناطق الاصل أقل تأثيرا فى دفع السكان للهجرة .

٥ - انه اذا لم تفرض ضوابط صارمة للحد من الهجرة فان حجمها ومعدلها يميلان للتزايد بمضى الزمن : وذلك لان تزايد حجم الهجرة بمضى الزمن ينتج عن عدة أسباب أبرزها تزايد الفوارق البيئية وتقليل تأثير العوائق المتداخلة ، وكما سبق القول فان التصنيع والاخذ بأسباب الحضارة الغربية Westernization والخطط الموضوعية فى كثير من الدول تزيد من التباينات الاقليمية ، ومن الحقائق المعروفة فى كل من الدول النامية والمتقدمة أن الفوارق بين البيئات المختلفة سواء فى النواحى الاقتصادية أو العوامل المشجعة على الجذب الهجرى تتزايد بوضوح بين الاقاليم - وعلى المستوى العالمى فان الفوارق الاقتصادية بين الدول النامية والدول المتقدمة تتزايد بمضى الزمن - حتى الان - ولا تتناقص ، كما أنه على مستوى الدولة الواحدة فان الفوارق بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية تتزايد هى الاخرى .

ويرتبط بهذه الحقيقة السابقة تزايد الفوارق بين السكان،ففى المجتمع البدائى أو المجتمعات الزراعية التقليدية يعد التخصص محدودا كما أن تنمية الموارد البشرية ليس مشجعا،بينما التخصص فى المجتمعات الصناعية والمتقدمة يتزايد بشكل يسمح بتاهيل الافراد المهاجرين للعمل فى المهجر بسهولة .

ويلعب التقدم التقنى دورا هاما فى تقليل العوائق المتداخلة البيئية حيث تصبح المواصلات سهلة وتكلفة النقل أرخص بالنسبة لمتوسط الدخل مما يساعد على تزايد حجم الهجرة ، كذلك فان العوامل التى تزيد من الهجرة - عامل الهجرة ذاتها ، ذلك لان الشخص الذى هاجر مرة وقطع أسباب اتصاله بموطنه الاصلى يكون من السهل عليه أن يهاجر مرة أخرى، أكثر من الشخص الذى لم يسبق له أن هاجر من قبل .

ومن البديهى أن حجم الهجرة ومعدلها يتاثران بمستوى التقدم فى القطر أو المنطقة تاثرا جذريا ، ذلك لان الهجرة كما يقول رافنشتين Ravenstien تعنى الحياة والتقدم بينما الاستقرار ضرب من ضروب الركود والخمول ، ويرتبط ذلك بالحقيقة السابقة بطبيعة الحال ، ففى الدول المتقدمة تنعكس الفوارق بين الاقاليم فى مجال التنمية الصناعية والزراعية والتعليمية بين السكان ، كذلك فان العوائق المتداخلة فى الهجرة تقل بالتقدم التقنى والاقتصادى ، وعلى ذلك فمن المتوقع أن نجد تيارات هجرة وافدة كبيرة للدول المتقدمة حيثما كان مسموحا بها ، كما يوجد فى

مثل هذه الدول حركة هجرة داخلية كبيرة ، ففى الولايات المتحدة يغير فرد من كل خمسة أفراد مكان اقامته كل عام وتتكرر هذه الظاهرة فى دول متقدمة أخرى ، أما الدول المتخلفة فتتميز بنسبة عالية من السكان المستقرين حيث يكون تغيير موطن الاقامة أمرا صعبا وغالبا مايكون اجباريا وجماعيا أكثر منه اختياريا وفرديا ، وعلى ذلك فانه يمكن القول بأن المستوى المرتفع للتقدم يستتبع أن يكون السكان فى حالة تحرك وتغير متواصلين ويستجيبون بسرعة للفرص الجديدة للعمل فى الاقاليم المختلفة كما أنهم يتاثرون بالتناقص فى هذه الفرص بصورة أوضح من الدول النامية.

ثانيا ـ نتائج الهجرة :

للهجرة نتائج واضحة فى حجم وتوزيع وتركيب السكان فى منطقتى الاصل والوصول ، ويمكن أن تتحدد أهم هذه النتائج فى النواحى التالية :

١ ـ تغير حجم السكان .

٢ ـ تغير التركيب العمرى والنوعى للسكان .

٣ ـ مشكلات الاختلاط السكانى فى المهجر .

٤ ـ النتائج الاقتصادية .

١ ـ تغير حجم السكان :

يعد تغير حجم السكان من ابرز نتائج الهجرة ، وتتحدد ملامح هذا التغير فى اتجاهين عكسيين احدهما يتمثل فى زيادة السكان فى المناطق المستقبلة سواء كانت مدنا أو مناطق زراعية حديثة العهد بالاستيطان ـ والاخر يتمثل فى تناقص عدد السكان فى المناطق المرسلة (مناطق الاصل) خاصة الريف الذى يتعرض باستمرار لتناقص سكانى depopulation بسبب الهجرة المغادرة .

وتبدو هذه الظاهرة بجلاء فى الهجرة الدولية بين مناطق الطرد ومناطق الجذب ولعل فى ايرلنده والولايات المتحدة مايدل على ذلك خاصة فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ففى سنة ١٨١٩ كان عدد سكان الولايات المتحدة ٨ر٥ مليون نسمة ارتفع هذا الرقم ليصل الى ٧٦ مليون نسمة فى أوائل القرن العشرين ثم الى ١٨٠ مليون نسمة فى سنة ١٩٦٠ . ويرجع هذا النمو السكانى الكبير الى الزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة، والواقع أن دور الهجرة فى هذه الزيادة كان كبيرا تراوح بين ٣٠ ـ ٤٠٪

من مجموع الزيادة السكانية الكلية كما يبين الجدول رقم (٣٣) • ومنذ أوائل الخمسينيات تدنت نسبة الهجرة فى النمو السكانى وربما لم تزد على ٥٪ فى المتوسط فى العقدين الاخيرين •

جدول رقم (٣٣) تطور دور الهجرة فى الزيادة الكلية لسكان الولايات المتحدة(١)

الفترة	نسبة النمو الطبيعية ٪	نسبة الهجرة الوافدة ٪	الفترة	نسبة النمو الطبيعية ٪	نسبة الهجرة الوافدة ٪
١٨٧٠ـ١٨٨٠	٥ر٧١	٥ر٢٨	١٩١٠ـ١٩٢٠	٤ر٦٤	٦ر٣٥
١٨٨٠ـ١٨٩٠	١ر٥٧	٩ر٤٢	١٩٢٠ـ١٩٣٠	٦ر٧٧	٤ر٢٢
١٨٩٠ـ١٩٠٠	٥ر٦٨	٥ر٣١	١٩٣٠ـ١٩٤٠	١ر٩٤	٩ر٥
١٩٠٠ـ١٩١٠	٢ر٥٨	٨ر٤١	١٩٤٠ـ١٩٥٠	٦ر٩٤	٤ر٥

وقد قابل هذا التزايد السكانى فى الولايات المتحدة تناقص سكانى فى أوربا بطبيعة الحال والتى كانت القارة الرئيسية التى أوفدت المهاجرين الى العالم الجديد ، ففيما بين سنتى ١٨٢٠ و ١٩٤٣ هاجر ٧٪ من سكان سويسره و ١١٪ من سكان ايطاليا الى الامريكتين ـ ولكن من كل دول القارة تبقى ايرلنده خير دليل على الاثر الذى أحدثته الهجرة فى تناقص عدد السكان ، فقد استقبلت الولايات المتحدة ثلاثة أخماس المهاجرين الايرلنديين فى القرن التاسع عشر ، ولكن بعد ذلك وفى الفترة من سنة ١٩٠٠ ـ ١٩٢٤ اتجه الايرلنديون الى أقاليم الدومينيون ، ومنذ سنة١٩٣١ استقبلت انجلترا حوالى ٨٠٪ من المهاجرين الايرلنديين وتعرض سكان ايرلنده للنقص الكبير فى حجمهم نتيجة هذه الهجرة المغادرة بمعدلات كبيرة •

الهجرة والنمو الحضرى :

يعد النمو الحضرى الذى شهده العالم فى المائة سنة الاخيرة من السمات البارزة فى نمط توزيع السكان ، وقد أسهمت الهجرة الى المراكز الحضرية بدور كبير فى هذا النمو وخاصة هجرة السكان الريفيين التى أدت الى خلل شديد فى توازن توزيع السكان بين الحضر والريف •

---

(1) Beaujeu - Garnier, J., Geography of Population, Op. Cit., p. 221.

وقد نشأت المدن الكبرى منذ عهود بعيدة حتى بالرغم من عدم توفر وسائل نقل بدرجة كافية تربطها بأقاليمها المجاورة ، ومع ذلك فقد بلغت أحجام بعضها حدا كبيرا نسبيا ، فمدينة باريس مثلا بلغ عدد سكانها ٤٩٨٫٠٠٠ نسمة فى عهد لويس الثالث عشر و ٥١٨٫٠٠٠ فى عهد نابليون الاول ، ولكن بعد ذلك بخمسين عاما فقط تعدت المليون نسمة وذلك فى سنة ١٨٦٠ ثم وصلت ٦٫٧ مليون نسمة سنة ١٩٥٠ ، وفى نفس الفترة فان لندن لم يزد عدد سكانها على نصف مليون نسمة فى نهاية القرن السابع عشر ـ نمت وتضخمت حتى وصلت الى قرابة المليون نسمة فى سنة ١٨٠١ ، ثم وصلت الى ٢٫٣٦٢٫٠٠٠ نسمة بعد ذلك بستين عاما فى سنة ١٨٦١ ـ وتزايد عدد سكانها بمعدل كبير حتى وصل الى قرابة ١١ مليون نسمة ١٩٥٠ ٠ وتتعدد الامثلة على النمو الحضرى الكبير فى دول العالم مثلما يبدو فى مدن الراين ـ الرهر وفى موسكو ونيويورك وطوكيو كما تبين الارقام التالية :(١)

المدينة	عدد السكان حوالى ١٨٠٠	عدد السكان حوالى ١٩٦٠	عدد السكان ١٩٨٥
لنـــــدن	٨٥٠٫٠٠٠	١١٫٥٤٧٫٠٠٠	٩٫٤٤٢٫٠٠٠
باريس	٥٤٧٫٠٠٠	٧٫٨١٠٫٠٠٠	٨٫٦٣٣٫٠٠٠
الراين ـ الرهـر	٢٨٠٫٠٠٠	١٠٫٤١٩٫٠٠٠	٩٫٩٤٩٫٠٠٠
موســـكو	٣٦٠٫٠٠٠	٧٫٨٨٤٫٠٠٠	٩٫٨٧٣٫٠٠٠
نيـويورك	٦٠٫٠٠٠	١٤٫٧٥٩٫٠٠٠	١٤٫٥٩٨٫٠٠٠
طوكيو ـ يوكوهاما	١٫٤٠٠٫٠٠٠	١٣٫٦٢٨٫٠٠٠	٢٥٫٤٣٤٫٠٠٠
القـــاهرة	٢٥٠٫٠٠٠	٣٫٥٠٠٫٠٠٠	٨٫٥٩٥٫٠٠٠

وعلى ذلك فانه يمكن القول بأن القرنين التاسع عشر والعشرين قد شهدا توسعا ضخما فى العمران الحضرى ، ويمكن الاستنتاج مباشرة أن جذور هذا التوسع الكبير ترجع الى عدة عوامل أبرزها استيعاب نسبة المهاجرين الذين لفظتهم المناطق الريفية لعوامل الطرد الكامنة فيها ٠

وتتميز المدن بانخفاض معدل الزيادة الطبيعية اذا قورنت بالريف

(1) Hall, P., The World Cities, World University Library London, 1972, p. 23.
The World Almanac and Book of facts, New York, 1990, p. 774.

ـ كقاعدة عامة ـ ولذا فان نسبة كبيرة من نموها السكانى ترجع الى تدفق تيارات الهجرة المستمرة نحوها ، وتتعدد الامثلة فى دول العالم على ذلك، ففى البرازيل مثلا كانت نسبة الزيادة الطبيعية فى ثمان مدن رئيسية بها أقل من نصف الزيادة الناجمة عن الهجرة (فى الفترة من عـام ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠) . وفى فرنسا نمت باريس فى العقدين الاخيرين بمعدل يصـل الى ضعف مثيله على مستوى القطر كله . وفى مصر فان معدل النمو السكانى لمدينة القاهرة يصل الى أكثر من ضعف مثيله على مستوى الجمهورية .

وقد أدت هذه الهجرات الى زيادة سكان الحضر كما سبق القول بدرجة وصلت نسبتهم الى أكثر من أربعة أخماس سكان المملكة المتحدة وأكثر من نصف سكان ألمانيا والدانمرك واستراليا وفلسطين المحتلة وأكثر من نصف سكان الولايات المتحدة وبلجيكا والارجنتين وكندا ونيوزيلنده واسبانيـا والسويد وهولنده وفرنسا وشيلى والنرويج وفنزويلا والنمسا .

ويرتبط نمو المدن بمعدلات الهجرة اليها والتى تؤدى الى تزايد سكان المدينة الاصلية أو التوابع التى تنشأ وتتضخم حولها ، وتعد هذه الظاهرة سمة واضحة فى المدن الكبرى فى العالم . فالاقليم الحضرى Urban Region لنيويورك مثلا يحوى ١٥ مليون نسمة ، وتزايد بنحو ثلاثة ملايين نسمة فى العشرين سنة الواقعة بين ١٩٤٠ ـ ١٩٦٠ . وكذلك فان عدد سـكان مجمعة طوكيو الكبرى (طوكيو ـ يوكوهاما) يصل الى ٢٥٫٤ مليون نسمة ولندن الكبرى يسكنها ١١٫٥ مليون نسمة ، والقاهرة الكبرى يقطنها نحو ٩٫٧ مليون نسمة سنة ١٩٨٦ وهكذا .

ولا تختلف المدن المتوسطة الحجم عن المدن العملاقة فى دورها فى جذب تيارات الهجرة ، وان كانت معدلات الهجرة تختلف من مدينة لاخـرى حسب عوامل الجذب والطرد الكامنة فى هذه المدن وفى مناطق ارسـال المهاجرين .

وقد بلغ عدد سكان المدن التى يزيد حجم كل منها على مليون نسمة ٢٧٣ مدينة فى العالم (فى ١٩٨٥) . وتتميز بأن عـددها يتزايد بسرعـة مذهلة ، ففى أوربا مثلا كان عدد هذه المدن ٢٨ مدينة فى سنة ١٩٥٠ ولكنه ارتفع الى ٤٥ مدينة سنة ١٩٨٥ ، وفى آسيا تزايد هذا العدد من ١٣ مدينة الى ٥٤ مدينة فى هذين التاريخين على الترتيب ، ويتزايد مع هذا العدد بطبيعة الحال نسبة سكان الحضر الى جملة سكان القطر بصورة مطردة .

ومن الامثلة الجيدة والحديثة على قوة الجذب للمهاجرين ـ مدينة برازيليا Brasilia العاصمة الجديدة للبرازيل والتى اندفعت نحوها تيارات هجرة قوية من كل مناطق البرازيل ، ففى نهاية سنة ١٩٥٦ لم يكن بها بعد انشائها سوى ٦٠٠٠ نسمة فقط ٠ ولكن بعد أربع سنوات فقط وفى سنة ١٩٦٠ أصبح عدد سكانها ١٤١ر٧٤٢ نسمة بعد أن كانت قبل ذلك بعشر سنوات منطقة خالية من السكان تماما ٠ ثم زاد العدد ليصل الى ٧٦٣٢٥٤ نسمة سنة ١٩٧٥ ٠ وقد وفد اليها المهاجرون من كل أرجاء البرازيل وبمختلف وسائل النقل عبر الغابات والاستبس ، وان كان ٢٣٪ منهم من مقاطعة جوياز Goiaz ، و ٢٠٪ من مقاطعة ميناس جيراس المجاورة، ولكن قرابة ربع المهاجرين وفدوا من منطقة شمال شرق البرازيل وبقية البلاد وحتى من منطقة ساوباولو الغنية(١) ٠

وترتبط الهجرة الريفية ـ الحضرية بتوطن الصناعة الحديثة ارتباطا وثيقا ولذلك فقد أصبحت المدن مراكز توطن صناعى وجذب سكانى بمعدلات تفوق متوسط معدل النمو فى الدولة مرتبطة فى ذلك بخطط التنمية الصناعية حتى أصبحت ظاهرة النمو الحضرى فى الاقطار النامية الاخذة بأسباب التصنيع أبرز السمات الديموغرافية فى حركة السكان وتوزيعهم ٠

وبالاضافة الى ما سبق فان قوة جذب المدن تكون انتقائية (Selective) بالنسبة للمكان المهاجر منه كما يبدو ذلك فى توزيع المهاجرين الى الحضر حسب مكان المولد ومع ذلك فقد لايقيم المهاجرون الى المدينة بصفة دائمة بها بل أن هناك حركة عودة دائمة لبعض الافراد الى المناطق الريفية أو الى مدن أخرى صغيرة أو كبيرة حسب عوامل الطرد والجذب وتأثيرها المختلف على المهاجرين ٠

٢ ـ تغير التركيب العمرى والنوعى :

سبق القول بان الهجرة تتميز ببعض الخصائص الديموغرافية سواء فى التركيب العمرى أو النوعى أو الاقتصادى للمهاجرين ، ومن أبرز الخصائص ظاهرةالانتقاء الهجرى Migration Selectivity ، أى اختيار المهاجرين ونوعيتهم ، وانعكاس ذلك على خصائص السكان فى مكانى الاصل والوصول ، ويعنى ذلك ببساطة أن المهاجرين ليسوا عينة عشوائية من السكان فى مكان الاصل ذلك لان الاشخاص الذين يستجيبون الى

(1) Beaujeu, Garnier, Geography of Population. Op. Cit., pp. 204-205.

مجموعة من العوامل الايجابية والسلبية فى كلا المكانين لهم قدرات مختلفة للتغلب على العوائق الوسيطة ـ ولذا فان أبرز سمات الهجرة ـ هى الشباب ـ والذكور منهم على وجه الخصوص ، وتؤدى حركة الهجرة لهذه الفئة العمرية الى تغير فى التركيب السكانى فى المجتمع المهاجر منه والمجتمع المهاجر اليه ويبدو ذلك بمقارنة الاهرام العمرية النوعية للسكان فى كلا المجتمعين ٠

ومن الظاهرات الاخرى المتعلقة بالهجرة أن خصائص المهاجرين تميل الى أن تكون وسطا بين خصائص السكان فى مكانى الاصل والوصول ، ذلك لان الاشخاص المهاجرين لايفقدون خصائصهم الاصلية كلية بعد الهجرة كما أنهم يبدأون فى اكتساب خصائص أخرى فى مجتمعهم الجديد،وقد أوضحت كثير من الدراسات هذه الظاهرة ، فخصوبة المهاجرين على سبيل المثال تعد وسطا بين خصوبة السكان فى الموطن الاصلى وفى المهجر ٠

وتنعكس نتائج الهجرة على التركيب العمرى النوعى فى المدن بوضوح حيث يكون الذكور فى أعمار العمل الصغرى هم الغالبية فى المراحل المبكرة للنمو الحضرى ، وحينما يصل المجتمع الى درجة عالية من التحضر تصبح الهجرة متنوعة فى طبيعتها وتكون غالبية التحركات من مدينة الى أخرى، ولا تقتصر تيارات الهجرة على العلاقة بين الريف والحضر فقط بل بين المدن بعضها وبعض ٠

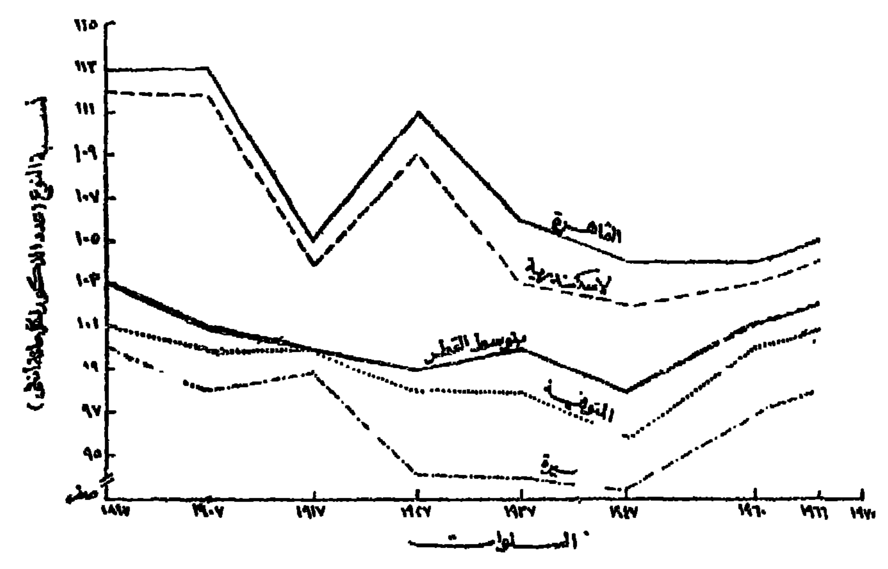
وكانت ظاهرة الانتقاء الهجرى العمرى النوعى واضحة بصورة ملفتة للنظر فى المراحل الاولى لحركات الهجرة الضخمة نحو العالم الجديد، حيث كانت الغالبية العظمى من المهاجرين من الذكور مما أدى الى تزايد اختلاطهم بسكان المهجر ، فقط اختلط الايبيريون الاوائل الذين استوطنوا أمريكا اللاتينية بالهنود الحمر وتزوج كثير من المهاجرين باناث هنديات، وقد تكررت هذه الظاهرة مع مهاجرين آخرين كما حدث فى جنوب أفريقيا وفى جنوب شرق آسيا حيث كان الهنود والصينيون أقليات مهاجرة كلها من الذكور ٠

وفى فترات الهجرة العظمى الى الولايات المتحدة ـ كانت غالبية المهاجرين من الذكور (١٢٩ من الذكور مقابل ١٠٠ من الاناث سنة١٩١٠) وقد تميزت بعض طوائف المهاجرين بزيادة نسبة النوع لديها بدرجة كبيرة مثل الصينيين (١٩٠) والفلبينيين (٢٩٧) فى سنة ١٩٥٠ ٠ والهنود الاسيويين (٣٩٣) فى سنة ١٩٤٠ ، ولذلك فان عدد الذكور يفوق عدد الاناث فى الولايات المتحدة باستمرار وظل هذا الوضع قائما حتى سنة ١٩٥٠ عندما بدأت الهجرة تشهد تعادلا بين الجنسين كما بدأ حجمها يتقلص بدرجة ملحوظة ٠

وتبدو ظاهرة الانتقاء الهجرى العمرى النوعى فى داخل الدولةالواحدة بين الحضر والريف • ولكن نسبة النوع تختلف بتباين مرحلة النمو التقنى والاقتصادى ، ففى الدول المتخلفة كما فى أفريقيا تتميز الهجـرة بزيادة نسبة النوع حيث يهاجر الذكور الى المدن تاركين زوجاتهم فى القـرى ومن ثم تتأثر الزراعة بفقدان هذه الايدى العاملة ويؤدى ذلك الى مشـكلات اجتماعية خطيرة فى المدن أبرزها تزايد معدلات الطلاق وانتشار البغاء •

أما فى الدول المتقدمة حيث تتباين الظروف الاجتماعية والاقتصادية عن الدول النامية فان الانتقاء العمرى النوعى يختلف هو الاخر ، ذلك لان كلا من الذكور والاناث يهاجر الى المدن ، ولذا فان كثيرا من القرى لايعيش بها الا عدد قليل من السكان أغلبهم من المسنين ومن ثم قد لايبدو الاختلاف كبيرا فى نسبة النوع بين الحضر والريف •

وتؤدى هجرة الشباب نحو المدن الى تزايد نسبة الاعمار الوسطى بها، بعكس مناطق ارسال المهاجرين ، ولعـل أبرز الامثلة تتمثل فى الولايات المتحدة حيث كان ٦٤٪ من سكان المدن بها يتراوح عمرهم بين ١٨ – ٦٥ سنة وذلك مقابل ٥٣٪ فقط من سكان الريف ، كذلك فان تدفق الشباب الى المدن يتزايد فى الدولة التى ينمو فيها العمـران الحضرى بمعـدل كبـير وهناك أمثلة عديدة أبرزها المدن فى روسيا حيث يكون متوسطو السن ٦٠٪ من جملة السكان بها •



شـكل رقم (٢٧)

نسبة النوع فى بعض المحافظات المصرية

ويمكن ملاحظة أثر الهجرة فى زيادة نسبة الذكور بالمدن فى كثير من الدول النامية ومنها مصر حيث تبدو هذه الظاهرة بوضوح فى محافظات الحضر عنها فى المحافظات الريفية كما يبين الجدول رقم (٣٤) ٠

جدول رقم (٣٤) تطور نسبة النوع (عدد الذكور لكل مائة من الاناث) فى بعض المحافظات المصرية(١)

السنة	القاهرة	الاسكندرية	المنوفية	البحيرة
١٨٩٧	١١٣	١١٢	١٠١	١٠٠
١٩٠٧	١١٣	١١٢	١٠٠	٩٨
١٩١٧	١٠٥	١٠٤	١٠٠	٩٩
١٩٢٧	١١١	١٠٩	٩٨	٩٤
١٩٣٧	١٠٦	١٠٣	٩٨	٩٤
١٩٤٧	١٠٤	١٠٢	٩٦	٩٣
١٩٦٠	١٠٤	١٠٣	١٠٠	٩٧
١٩٦٦	١٠٥	١٠٤	١٠١	٩٨
١٩٨٦	١٠٥	١٠٥	١٠٥	١٠٣

ومن أرقام هذا الجدول يبدو ارتفاع نسبة النوع فى القاهرة والاسكندرية وهما من المحافظات الحضرية التى تجذب معظم المهاجرين فى مصر بينما تنخفض النسبة فى المحافظات الريفية بصفة عامة ويبدو ذلك فى محافظتى المنوفية بجوار القاهرة والبحيرة بجوار الاسكندرية ٠ وقد وصلت نسبة متوسطى العمر (١٢ ـ ٦٥) فى القاهرة ١ر٦٨٪ مقابل ٩ر٦١٪ فى المنوفية وذلك حسب تعداد ١٩٨٦ بينما بلغت نسبة المسنين (سن ٦٥ فأكثر) (٩ر٢٪) فى القاهرة مقابل ٨ر٣٪ فى المنوفية ٠

٣ ـ مشكلات الاختلاط السكانى فى المهجر :

لعل أبرز النتائج المترتبة على الهجرة اختلاط العناصر السكانية فى المهجر مع مايترتب على ذلك الاختلاط من مشكلات عرقية ولغوية مختلفة سواء بالنسبة للسكان المهاجرين أو السكان الاصليين ، ولاتخلو خريطة العالم السكانية من مثل هذه المشكلات التى تبرز بوضوح فى المهاجر الكبرى مثل أمريكا الشمالية والجنوبية وجنوب أفريقيا واستراليا ٠

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ مجموعة الاحصاءات الحيوية ـ يولية ١٩٦٨ ص ٢٤ ، والتعداد العام للسكان والمساكن سنة ١٩٨٦ ٠

وقد سبق القول بأن مناطق استقبال المهاجرين فى العالم شهدت اختلاطا عرقيا كبيرا لعل فى أمريكا الجنوبية المدارية مثل واضح عليه · وبالرغم من أن المهاجرين اليها قد انصهروا فى بوتقة بشرية واحدة ولاتوجد بينهم نزعات التفرقة العنصرية كما هى الحال فى أمريكا الشمالية ، فان هناك نزعات قومية لدى بعض جماعات المهاجرين حديثا للتركيز فى مناطق منفصلة عن الجماعات الاخرى ويبدو ذلك بوضوح فى المهاجرين الايطاليين أو الالمان فى جنوب البرازيل ·

وتظهر المشكلات العرقية بوضوح فى المناطق التى هاجرت اليها العناصر الاوربية الانجلوساكسونية كما هى الحال فى أمريكا الشمالية ـ أو جنوب افريقيا ، أما فى استراليا ونيوزيلندا فلم تظهر هذه المشكلات لقلة عدد السكان الاصليين وان كان الموري (Maoris) ـ قد تزايد عددهم من ٤٠ر٠٠٠ نسمة عند بداية القرن العشرين الى قرابة ١٢٠ر٠٠٠ نسمة فى الوقت الحاضر ، ويقال بانه اذا استمر معدل المواليد لديهم على مستوى الحال فانهم سيكونون ٢٠٪ من جملة سكان نيوزيلندا سنة ٢٠٠٠ · وقد هاجر الكثير منهم تاركا المعازل الوطنية متجها الى المدن حيث يعملون فى الحرف الشاقة ويعيشون فى الاحياء السيئة ، أما فى الولايات المتحدة فان مشكلة الحاجز اللونى متأصلة فى العلاقات الاجتماعية بها لدرجة يصعب حلها خاصة فى الولايات الجنوبية حيث يكون الزنوج قرابة ربع عدد السكان، بل تزداد نسبتهم الى ٤٠٪ من سكان بعض الولايات مثل ولاية المسيسبى·

أما الاختلافات اللغوية فقد تؤدى الى مشكلات للسكان فى المهجر كذلك، فحتى بين المهاجرين الذين عاشوا متجاورين مدة طويلة من الزمن مثل الانجليز والفرنسيين فى كندا ، والبوير والانجليز فى جنوب أفريقيا فان كلا منهما يحاول المحافظة على لغته وتقاليده وشخصيته ، ففى كندا مثلا ـ بالرغم من أن السكان ذوى الاصل الانجليزى يكونون ٥٠٪ من السكان سنة ١٩٤١ فان ٥٧٪ من السكان يعتبرون الانجليزية لغتهم الاصلية كما أن اربعة أخماس السكان يتحدثون بها ·

وتظل اللغة الاصلية سائدة لدى المهاجرين ، ولاتهمل الا عند الجيل الثانى أو الثالث خاصة بين الذكور الذين يدخلون سوق العمل ويضطرون الى التحدث بلغة المهجر السائدة حتى يتمكنوا من كسب عيشهم ، وعلى اية حال فان المهاجرين الذين يفدون فى جماعات كبيرة يحافظون على لغتهم الاصلية كما تفعل الاسر البولندية التى وصلت الى فرنسا فى

العشرينيات من هذا القرن وفى بعض مناطق البرازيل والارجنتين مازالت بعض الجماعات تتحدث الايطالية ـ وحتى الفرنسية بدرجة أكبر من اللغة القومية وهى البرتغالية .

وعلى النقيض مما سبق فان الهجرات الاستعمارية التى أدت الى انتشار المؤثرات الثقافية كان لها تاثير عكسى،فقد أدخلت اللغات الاوربية الى مناطق واسعة من العالم وأصبحت هذه اللغات الدخيلة أهم وسائل الاتصال والتفاهم بسهولة بين السكان ، ويبدو ذلك بوضوح فى كثير من الدول التى استعمرتها بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص والتى كانت تزخر بالعديد من اللغات المحلية ثم اتخذت لغة المستعمر لغة رسمية لها .

٤ ـ النتائج الاقتصادية للهجرة :

تتمثل النتائج الاقتصادية للهجرة فى عدة وجوه أبرزها انتقال رؤوس الاموال والمساعدات المالية المباشرة وغير المباشرة ، وذلك لان المهاجرين يدخلون أموالا الى المهجر عند انتقالهم اليه ، كذلك فان المهاجر لا ينقطع عن وطنه الاصلى ، وتقدر الاحصاءات فى الولايات المتحدة أنه عند قيام الحرب العالمية الاولى كان المهاجر الايطالى يرسل الى أسرته بايطاليا أربعة أمثال ما يرسله المهاجر الانجليزى لاسرته بانجلترا ، كما كان المهاجر اليونانى يرسل عشرة أمثال المهاجر الالمانى ، وذلك لفقر دول جنوب أوربا ، ولذا فقد كان دخل ايطاليا من أموال المهاجرين الايطاليين فى الخارج يوازى نصف دخلها من السياحة ، كما كانت هذه الاموال فى اليونان تساوى جملة الدخل من السياحة والملاحة البحرية معا ، وبالمثل فقد كانت الاموال التى يرسلها المهاجرون الجزائريون العاملون فى فرنسا كبيرة ، ويقدر أنها بلغت فى سنة ١٩٥٥ مايعادل دخل الانتاج الزراعى للجزائر فى تلك السنة .

وبالاضافة الى انتقال رؤوس الاموال من المهجر الى الوطن الاصلى للمهاجرين فان الهجرة تكلف مناطق الاستقبال وتزيد من أعبائها الاقتصادية فبالاضافة الى ما تتحمله الدولة المستقبلة من أجور الانتقال (كاستراليا مثلا التى تتولى نقل المهاجرين اليها على نفقتها) فان هناك أعباء أخرى تتمثل فى تجهيز المساكن والاراضى والخدمات المتعددة للمهاجرين الجدد .

وتبدو الاعباء الاقتصادية فى مناطق استقبال المهاجرين الداخليين كذلك خاصة فى المدن ، ففى فرنسا مثلا قدر أن كل أسرة ريفية تهاجر من

الريف الى مدينة كبرى تكلف الدولة على الاقل ٢٠٫٠٠٠ فرنك فرنسى نظير الخدمات الاضافية التى توفرها كالمدارس والمستشفيات ووسائل النقل والخدمات الاجتماعية الاخرى ، وبالمقابل فان الخدمات فى المناطق الاصلية تكون أكثر من احتياجات السكان فى هذه الحالة(١) .

والى جانب هذه النواحى المالية المترتبة على الهجرة فان هناك نتائج اقتصادية أخرى فى منطقتى الاصل والوصول ، فتحظى المناطق الاخيرة بالعناصر الشابة القادرة على العمل والتى تستنزفها من مناطق الطرد ـ وغالبا ما تكون هذه العناصر أكثر فئات السكان حركة ويدعمها تدريب ومستوى أعلى من باقى السكان خاصة المستوى التعليمى والمهنى (تعرف باستنزاف العقول brain drain) ، وهكذا تفقد تلك المناطق ثمرة غرسها باستمرار وتتعرض للفقر السكانى وفقدان العمالة المتقدمة والماهرة.

غير أن الهجرة ليست فى كل الاحوال ذات نتائج سلبية على سكان المنطقة الاصلية بل قد تكون ذات فوائد أخرى مثل رفع مستوى المعيشة بهذه المنطقة حيث يقل الضغط السكانى على الموارد المحلية والخدمات المتوفرة ، كما قد يظهر فى الريف عمالة ناقصة under employment وتختفى البطالة فى المناطق الصناعية بل قد تتعرض لعمالة زائدة over employment فى بعض الاحيان .

ومن أبرز النتائج السيئة التى تترتب على الهجرة أن هناك قطاعا كبيرا من سكان المناطق المتخلفة يهاجرون بدافع الفقر الشديد فى بيئاتهم ويؤدى ذلك الى نتائج وخيمة حيث يكونون عبئا ثقيلا على المنطقة المستقبلة كما هى الحال فى الهجرة المستمرة من الريف الى الحضر فى الدول النامية حيث تعجز هذه المدن عن توفير العمالة أو الخدمات المختلفة لجموع المهاجرين . وهذه هى حال مدن الدول النامية التى يفد اليها المهاجرون غير المدربين والذين تلفظهم بيئاتهم القاسية فى الريف ويعيشون فى المدينة فى مستوى منخفض ويكونون قطاعا هامشيا من سكانها ويترتب على وجودهم الكثير من المشكلات الاجتماعية ، ففى مدن الهند مثلا تنام جموع المهاجرين فى الشوارع ويهيمون على وجوههم متضورين جوعا كما فى شوارع بمباى ـ ولاتختلف معظم مدن الدول المتخلفة عن ذلك كثيرا.

---

(1) Beaujeu - Garnier, J., Op. Cit., p. 234.

الباب الرابع

أنماط التركيب السكانى

مقدمة

يعد التركيب السكانى مظهرا هاما من المظاهر الديموغرافية ذلك لانه نتاج مجموعة من العوامل التى تؤثر فيه وتتأثر به ، ويعنى التركيب السكانى الخصائص الكمية Quantitative للسكان التى يمكن التعرف عليها من بيانات التعداد ، وأهم هذه الخصائص التركيب العمرى والنوعى والحالة المدنية وحجم وتكوين الاسر ، والتركيب الاقتصادى والتركيب العرقى واللغوى والدينى،ومن الواضح أن بعض هذه الخصائص بيولوجى مثل النوع والسن والسلالة وبعضها الاخر مكتسب مثل الحالة المدنية واللغة والدين والمهنة .

ويهتم الجغرافى بدراسة التركيب السكانى لتوضيح ملامح التباين الاقليمى بين الدول والاقاليم وبين الحضر والريف ، وبين المجموعات العرقية المختلفة فى الدولة الواحدة ، ثم دراسة العوامل المختلفة التى تؤثر فى هذا التباين ومدى ارتباطها بالظروف الديموغرافية الاخرى،وبالاضافة الى ذلك فان دراسة تركيب السكان تفيد فى معرفة ما يملكه المجتمع من موارد بشرية وتصنيفها حسب قطاعات النشاط الاقتصادى المختلفة .

وتفيد بيانات التركيب السكانى فى نواح ديموغرافية أخرى حيث تصف المتغيرات الديموغرافية مثل العمر والنوع والحالة المدنية وغيرها . وتلك المتغيرات تعد أساسا لتحليل العمليات الديموغرافية الكبرى مثل الخصوبة (المواليد) والوفيات والهجرة والنمو ، كذلك فانه فى حالة عدم توفر بيانات دقيقة عن العمليات الحيوية فان بيانات التركيب - خاصة العمرى والنوعى - تهيىء وسيلة غير مباشرة لتقدير مستويات الخصوبة والوفاة ومدى تاثيرها على حركة السكان فى المستقبل(1) .

وسنقسم أنماط التركيب السكانى فى هذا الباب الى ثلاثة أنماط رئيسية هى التركيب العمرى والنوعى والتركيب الاقتصادى ثم يتطرق الحديث عن أنماط أخرى من التركيب السكانى .

---

(1) Hawley, A. H. "Population Compositions", The study of Population, ed. by Philip M. Hauser and Otis Oudley Duncan, The University Press, Chicago, 1950, p. 361.

الفصل الحادى عشر

التركيب العمرى والنوعى للسكان

تعد دراسة التركيب العمرى والنوعى Age - Sex composition على قدر كبير من الاهمية فى دراسة السكان ، ذلك لانها توضح الملامح الديموغرافية للمجتمع ذكورا واناثا وتحدد الفئات المنتجة فيه والتى يقع على عاتقها عبء اعالة باقى أفراده،كذلك فان التركيب العمرى والنوعى نتاج للعوامل المؤثرة فى النمو السكانى من مواليد ووفيات وهجرة والتى لايمكن اعتبار أحدها مستقلا كليا عن الاخر بل يؤدى اى تغير فى أحد هذه العوامل الى التأثير فى العاملين الاخرين،ولذا فان دراسة التركيب العمرى تساعد على فهم دور هذه العوامل فى النمو واتجاهها ، وما يرتبط بذلك من دراسة الحالة المدنية والنشاط الاقتصادى والتعليمى وغير ذلك .

أولا ـ التركيب العمرى :

تعد بيانات السن كما أوردتها التعدادات السكانية المصدر الرئيسى لدراسة التركيب العمرى،غير أن هذه البيانات لاتمثل الحقيقة كاملة وذلك راجع للخطأ فى ذكر الاعمار بدقة عند أجراء التعداد وهذا الخطأ بدوره ناتج عن بعض العوامل أهمها :

١ ـ جاذبية بعض الارقام فى ذكر الاعمار مثل الارقام الزوجية أو المنتهية بالصفر أو بالخمسة فى الغالب،وكذلك محاولة التقريب فى الاعمار ويؤدى ذلك الى مايعرف بالتراكم فى فئة عمرية معينة أو تضخمها تضخما أكثر من الواقع بالمقارنة مع الفئات السابقة لها أو اللاحقة عليها .

ففى تعداد السكان فى مصر سنة ١٩٦٠ على سبيل المثال بلغت نسبة الذين أدلوا بأعمار تنتهى بالصفر ٢١٪ من جملة السكان وبرقم (خمسة ١٨٪ وبرقم (اثنين) ١١٪ ، أى أن هذه الارقام الثلاثة قد جذبت نصف السكان تماما عند الادلاء بأعمارهم فى هذا التعداد .

٢ ـ أن هناك سببا نفسيا يكاد يكون عالميا وهو أن كثيرا من الاناث الشابات يملن الى الادلاء بأعمار تقل عن الحقيقة ولذلك فان أعدادهن قد تكون أقل من الواقع فى بعض فئات العمر الوسطى (أو أكثر من الواقع فى بعضها) •

٣ ـ هناك ميل عام الى عدم ذكر الاطفال الرضع فى التعدادات،وهذا يؤدى الى نقص واضح فى فئة السن أقل من سنة أو أقل من خمس سنوات، ويبدو ذلك اذا ما قورن عدد المواليد خلال سنة بالذين سجلهم التعداد فى فئة السن أقل من سنة ـ مع الاخذ فى الاعتبار عامل الوفاة بالنسبة لهم واعتباره العامل الرئيسى الذى يؤثر فى عددهم •

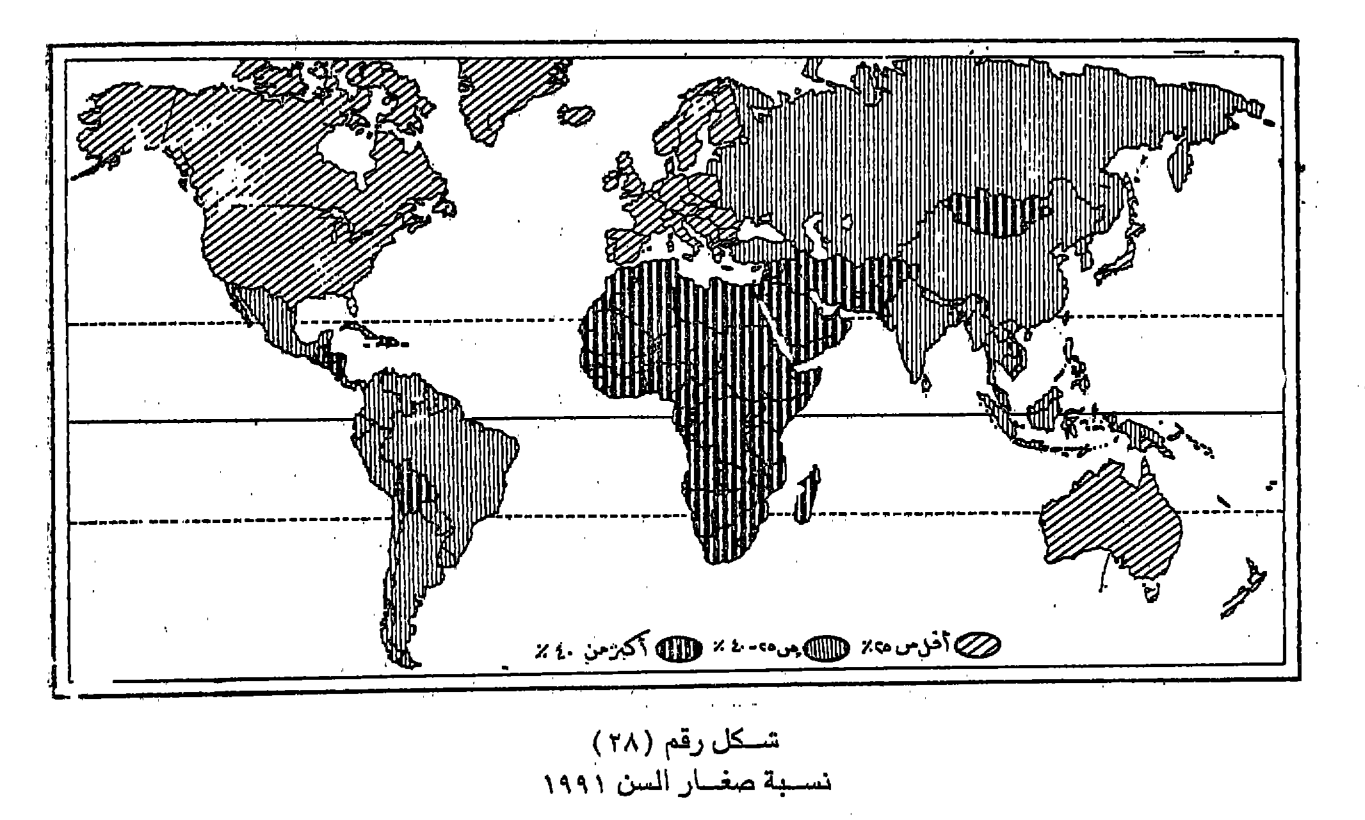
ومن ذلك يبدو أن بيانات السن المستقاة من التعدادات السكانية لاتخلو من أخطاء التبليغ عن العمر ، وينعكس ذلك على حجم كل فئة عمرية زيادة أو نقصانا عما هو واقع ، ولاشك أن لذلك أثره الذى لا يستهان به فى بعض المقاييس الديموغرافية النوعية مثل معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة حيث تتخذ من أعداد أفراد كل فئة مقاما تنسب اليه وكثيرا ماينتج عن ذلك ارتفاع أو انخفاض غير حقيقيين فى هذه المعدلات •

وازاء ذلك فان بيانات السن فى التعدادات المختلفة يجب أن تعامل بشىء من الحذر وان كان ذلك لايحول دون تحليل تلك البيانات حيث تحتوى على حقائق هامة ، ويمكن أن يتم تجنب أخطاء التبليغ عن العمر اذا ماقسمت فئات السن آلى فئات عريضة تختفى فى ثناياها أخطاء التبليغ عن العمر الحقيقى ، وقد تكون هذه الفئات خمسية أو عشرية أو أكثر حسب طبيعة العنصر الديموغرافى المراد دراسته •

وينقسم السكان الى ثلاث فئات عمرية عريضة سواء كانت أرقاما مطلقة أو نسبا مئوية من جملة السكان ، وهذه الفئات هى :

١ ـ صغار السن (صفر ـ ١٤ سنة) :

وهذه الفئة تمثل قاعدة الهرم السكانى الذى سنشير اليه فيما بعد ، وتتصف بانها غير منتجة ، كما أنها أكثر الفئات تاثرا بعاملى المواليد والوفيات • وذلك لان الوفيات ترتفع نسبتها بين صغار السن وخاصة فى الاعمار المبكرة كما سبق القول ، وتميل نسبة صغار السن الى التناقص فى المجتمعات المتقدمة بينما تتزايد بصورة واضحة فى الدول النامية كما يبين الجدول رقم (٣٥) والخريطة رقم (٢٨) حيث تصل هذه النسبة الى أكثر



شكل رقم (٢٨)
نسبة صغار السن ١٩٩١

من ٣٥٪ من جملة سكان معظم الدول النامية مثل مصر (٤٠٪) والبرازيل (٣٥٪) والهند (٣٦٪) · بينما تنخفض فى الدول المتقدمة الى مادون ذلك بكثير حيث تصل الى ١٨٪ فى السويد و ١٩٪ فى بريطانيا وسويسره ـ وتقل عن ٢٥٪ فى معظم دول أوربا بصفة عامة ·

ب ـ متوسطو السن (١٥ ـ ٦٤) :

وهى الفئة المنتجة فى المجتمع ـ كما أنها الفئة التى تسهم فى نمو السكان وتعتمد عليها الفئتان الاخريان ـ هذه الفئة هى الاكثر قدرة على الحركة والهجرة ، وفى الدول المتقدمة حيث تنخفض معدلات المواليد والوفيات ، فان نسبة متوسطى السن تتزايد ببطء وذلك لاستمرار تزايد نسبة المسنين من ناحية وتناقص نسبة الصغار من ناحية أخرى ، وعموما فان نسبة متوسطى السن أكبر بكثير من الفئتين الاخريين ، وتزداد النسبة بصورة أكبر فى المجتمعات التى تستقبل المهاجرين ذوى الاعمار المتوسطة، ويمكن أن تنقسم هذه الفئة فى بعض الدراسات الى فئتين ثانويتين هما : البالغون الصغار Young Adults (من ١٥ ـ ٤٤) والبالغون الكبار Old Adults (من سن ٤٥ ـ ٦٤) · كذلك فان بعض الدراسات تحدد المجال العمرى لمتوسطى السن أحيانا فيما بين سن ١٥ ـ ٥٩ فقط ·

ومن مقارنة النسب المئوية لهذه الفئة السابقة (١٥ ـ ٦٤) بقسميها كما يبين الجدول رقم (٣٥) تبدو حقيقة هامة وهى أن البالغين الصغار (١٥ ـ ٤٤) لا تختلف نسبتهم بين دول العالم اختلافا جوهريا بل تتشابه مع بعضها البعض الى حد كبير ، ويرجع ذلك الى أن هذه الفئة هى أقل الفئات العمرية تأثرا بعامل الوفاة ولذا فان الفارق فى مستوى الوفيات بين الدول النامية والمتقدمة لاينعكس عليها مثل انعكاسه على الفئات الاصغر (الاطفال) أو الاكبر (المسنين) · ولكن الفارق بين الدول فى الاعمار الوسطى يبدو واضحا فى فئة البالغين الكبار (٤٥ ـ ٦٤) حيث تصل نسبتها فى المملكة المتحدة مثلا الى ضعف مثيلتها فى الهند أو البرازيل وذلك لان الفرق بين مستويات الوفاة بين الدول ينعكس على هذه الفئة ومايننتج عنه من ارتفاع أمد الحياة فى المجتمعات المتقدمة وانخفاضه فى النامية والمتخلفة ·

كبار السن (المسنون) (٦٤ +) :

وهى لاتعد فئة منتجة ، وتشمل أعدادا كبيرة من الاناث والارامل ، وهى الاخرى تعد انعكاسا لظروف الخصوبة والوفيات فى المجتمع ذلك لان

نسبتها تقل بتزايد نسبة صغار السن وبالتالى ارتفاع معدل النمو الطبيعى للسكان والعكس ، ويبدو ذلك بوضوح فى مقارنة المجتمعات النامية بمثيلتها المتقدمة .

جدول رقم (٣٥) النسبة المئوية للفئات العمرية العريضة فى بعض الدول(١) حوالى ١٩٩١ (جملة السكان)

الدولة	فئات السن			الجملة
	٠ ــ ١٤	١٥ ــ ٦٤	٦٤ +	
دول نامية :				
مصر	٤٠	٥٦	٤	١٠٠
الهند	٣٦	٦٠	٤	١٠٠
البرازيل	٣٥	٦٠	٥	١٠٠
دول متقدمة :				
اليابان	١٨	٧٠	١٢	١٠٠
الولايات المتحدة	٢٢	٦٦	١٢	١٠٠
السويد	١٨	٦٤	١٨	١٠٠

واذا كان الاختلاف النسبى لمجموعات أعمار الكبار والصغار بالنسبة لجملة السكان هو الذى يحدد ملامح المجتمع ، فان دراسة النسبة المئوية لكبار السن (٦٥ +) ذات أهمية خاصة لانها تعد نتاجا للعوامل الديموغرافية فى المجتمع ، ويمكن فى ضوء نسبة هذه الفئة أن نذكر بأن السكان صغار السن اذا كان بينهم أقل من ٤٪ فوق سن الرابعة والستين وبأنهم ناضجون اذا تراوحت النسبة المشار اليها بين ٤ ــ ٧٪ ، وبأنهم مسنون اذا تجاوزت هذه النسبة ٧٪(٢) ، ويرتبط ذلك بالقاعدة المعروفة من أن التجديد المستمر لقاعدة الهرم السكانى Rejuvenation يؤدى الى قلة التعمر Ageing فى قمته ، وبمعنى آخر فان ما يضاف الى فئة الصغار سنويا من أطفال يزيد من نسبتهم فى المجتمع ويقلل بالتالى من نسبة

(1) INED., Population et Siciètés Tous les Pays du Monde, 1991, No. 259.

(٢) هيئة الامم المتحدة ــ تعمر السكان ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية ــ ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ــ القاهرة ١٩٦٧ ــ ص ١٦ ــ ١٨ .

الكبار ومتوسطى السن مما ينعكس على حجم الفئات العمرية للذكـور أو للاناث كما فى حالة مصر (جدول رقم ٣٦) .

جدول رقم (٣٦) توزيع سكان مصر حسب السن والنوع سنة ١٩٧٦(١)

فئات السن	اناث		ذكور		جملة	
	العـدد	٪	العـدد	٪	العـدد	٪
أقل من ٥	٢٥٤٨٢٦٥	١٣ر٧	٢٤٩٣٩٠٥	١٣ر٨	٥٠٤٢١٧٠	١٣ر٨
٥ – ٩	٢٢٥٩٨٨٩	١٢ر٦	٢٤٢١٨١٣	١٣ر٠	٤٦٨١٧٠٢	١٢ر٨
١٠ – ١٤	٢٣٢٣٥٤٤	١٢ر٩	٢٥٨١٩٧٩	١٣ر٨	٤٩٠٥٥٢٣	١٣ر٤
١٥ – ١٩	١٨٤٩٩٥٢	١٠ر٣	٢١٤١٨٥٤	١١ر٥	٣٩٩١٨٠٦	١٠ر٩
٢٠ – ٢٤	١٥٦١٦٩٨	٨ر٧	١٥٢٢٢٧٩	٨ر٢	٣٠٨٣٩٧٧	٨ر٤
٢٥ – ٢٩	١٣٦٢٩١٦	٧ر٦	١٣٢١٦٦٥	٧ر١	٢٦٨٤٥٨١	٧ر٣
٣٠ – ٣٤	١٠٩٢١٧٣	٦ر١	١٠٣٦٤٨٠	٥ر٦	٢١٢٨٦٥٣	٥ر٨
٣٥ – ٣٩	١٠٣٠٠٩٠	٥ر٧	١٠٢٤٧٨٢	٥ر٥	٢٠٥٤٨٧٢	٥ر٦
٤٠ – ٤٤	٩٤٦٩٠٤	٥ر٣	٩٣٥٧٨٧	٥ر٠	١٨٨٢٦٩١	٥ر١
٤٥ – ٤٩	٧٣٨٢٠٣	٤ر١	٧٨٩٥٢١	٤ر٢	١٥٢٧٧٢٤	٤ر٢
٥٠ – ٥٤	٧٤١٩١٤	٤ر١	٧١٩١٨٥	٣ر٩	١٤٦١٠٩٩	٤ر٠
٥٥ – ٥٩	٤١٢٠٩٣	٢ر٣	٤٨١٩٩٧	٢ر٦	٨٩٤٠٩٠	٢ر٤
٦٠ – ٦٤	٤٩٠٣٧٩	٢ر٧	٤٧٩٩٤٣	٢ر٦	٩٧٠٣٢٢	٢ر٦
٦٥ – ٦٩	٢٤٢٤٠٤	١ر٣	٢٦٨٧٧٧	١ر٤	٥١١١٨١	١ر٤
٧٠ – ٧٤	٢٣٤٩٠٦	١ر٣	٢٠٢٤٢٢	١ر١	٤٣٧٣٢٨	١ر٢
٧٥ فأكثر	١٩٤٧٦٩	١ر١	١٦٧٩٦٢	٠ر٩	٣٦٢٧٣١	١ر٠
غير مبين	٣١٧٦	صفر	٢٥٧٨	صفر	٥٧٥٤	صفر
الجملة	١٧٩٧٨٩١٥	١٠٠ر٠		١٠٠ر٠	٣٦٦٢٦٢٠٤	١٠٠ر٠
العمر الوسيط	١٩ر٢	—	١٨ر١	—	١٨ر٦	—

(١) المصـدر :
الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصـاء ـ التعداد العـام للسـكان والاسكان ـ ١٩٧٦ ـ نقلا عن : الكتاب الاحصائى السنوى ١٩٥٢ – ١٩٨٦ القاهرة ١٩٨٧ ص ١٦ .

وتتفاوت نسبة التعمر (أى مرحلة مافوق الرابعة والستين) فى العالم تفاوتا كبيرا فى الوقت الحاضر (شكل رقم ٢٩) فتوضح بيـانات الجـدول السابق أنه كان فى المملكة المتحدة شخص واحد من بين كل تسعة أشخاص يبلغ حد التعمر ، وفى الولايات المتحدة شخص واحد من بين كل ٩ أشخاص وفى السويد شخص من كل ستة أشخاص ، على حـين أن النسبة فى مصر والهند هى واحـد بين كل ٢٥ شخص والبرازيل واحـد من كل ٢٠ واذا درست أرقام باقى العالم النامى فانه يلاحظ انخفاض نسبة التعمر بدرجة كبيرة حتى أنه فى نيجيريا مثلا يصل الى حد التعمر شخص واحـد من بين كل ٥٠ شخصا وذلك حسب بيانات سنة ١٩٩١ ٠

العمر الوسيط للسكان Median Age :

يمكن الحكم احصائيا على توزيع السكان حسب فئات السن باستخدام مايعرف بالسن الوسيط أى السن التى تقسم السكان الى جزئين متساويين أحدهما فوقه والاخر دونه(١) ، ويمكن معرفة اتجاه تقدم سكان بلد ما فى العمر بمقارنة السن الوسيط فى تعدادات متعاقبة كما يبـدو من الارقـام التالية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية بين عامى ١٨٢٠ و ١٩٩١(٢) ٠

السنة	العمر الوسيط بالسنة	السنة	العمر الوسيط بالسنة
١٩٩٠	٣٦ر٨	١٩١٠	٢٤ر٣
١٩٦٠	٢٩ر٥	١٨٩٠	٢٢ر١
١٩٥٠	٣٠ر٢	١٨٧٠	٢٠ر٢
١٩٤٠	٢٩ر٠	١٨٥٠	١٩ر ــ
١٩٣٠	٢٦ر٦	١٨٤٠	١٨ر١
١٩٢٠	٢٥ر٣	١٨٢٠	١٧ر ــ

---

(١) الوسيط لمجموعـة من القيم هو القيمـة التى تقسم المجمـوعة بحيث يكون عدد القيم الاكبر منها مساويا تماما لعدد القيم الاصغر منها، ويتميز الوسيط بتحرره من عيـوب الوسط الحسابى والتى منهـا التحيز الشديد للقيم المتطرفة كبرا أو صغرا أما الوسيط فهو غير مضلل فى حـالة وجـود قيم قليلة متطرفة وذلك لان قيمته لاتتعـين باضافة كل القيم الى بعضها البعض بل أنه يتعين بموضعه كما أنه لا يصعب ايجاده فى الجداول ذات الفئات المفتوحة ومعظم جداول السكان من هذا النوع ٠

(٢) تومبسون ولويس ـ المرجع السابق ٠

ـ سنة ١٩٩١ تقديرى حسب بيانات المعهد الديموغرافى الفرنسى ٠

ومن هذه الارقام يبدو أن نصف سكان الولايات المتحدة فى سنة ١٨٢٠ كان أقل من سن ١٧ ، ومنذ ذلك الوقت ارتفع العمر الوسيط بدون توقف حتى وصل ٣٠٫٢ سنة ١٩٥٠ ـ وان كان قد هبط الى ٢٩٫٥ فى سنة ١٩٦٠ ، أى أن نصف السكان كانت أعمارهم تزيد على هذا القدر من السنين ثم وصل الى أكثر من ٣٦ سنة فى سنة ١٩٩١ .

ويعزى التزايد فى العمر الوسيط لعدة أسباب ديموغرافية واقتصادية واجتماعية ولكن يمكن القول بصفة عامة أنه ينتج بالدرجة الاولى عن تناقص معدل الوفيات ومعدل المواليد الخام ، وعلى العكس من ذلك فقد يؤدى ارتفاع معدل الوفيات ومعدل المواليد الى هبوط فى هذه السن الوسيطة ، أما تأثير الهجرة على هذه السن فيتوقف على ما اذا كان البلد أصلا يرسل المهاجرين أو يستقبلهم وعلى حجم الهجرة بنوعيها وعلى أعمار المهاجرين بطبيعة الحال .

وتتفاوت الاعمار الوسيطة فى دول العالم تفاوتا بالغا ، وبصفة عامة فان المجتمعات النامية فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هى الاصغر سنا فى حين أن المجتمعات المتقدمة فى أوربا وأمريكا الشمالية واليابان هى الاكبر سنا ، وعند مقارنة الدول بعضها وبعض فى السن الوسيطة ومعدلات المواليد والوفيات من ناحية أخرى نجد ارتباطا عكسيا قويا بين هذين المتغيرين (السن الوسيطة والمعدلات الحيوية) فكلما ارتفعت معدلات المواليد والوفيات قل سن السكان وكلما انخفضت هذه المعدلات ارتفع سنهم .

نسبة الاعالة Dependency Ratio :

ترتبط نسبة الاعالة بالتركيب العمرى للسكان ، وتقوم على أساس أن كل فرد فى المجتمع مستهلك، أما المنتجون فهم بعض أفراده فقط ، فالقطر الذى تزيد نسبة السكان المنتجين للسلع والخدمات أفضل حالا من الناحية الاقتصادية من قطر تقل فيه هذه النسبة وذلك بافتراض تساوى الظروف الاجتماعية والديموغرافية الاخرى فى القطرين .

وتختلف دول العالم فى نسبة الافراد المنتجين بها اختلافا كبيرا ، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها أن صغار السن من الاناث والذكور فى بعض الدول وخاصة النامية ـ يدخلون سوق العمل مبكرا ـ وذلك بعكس الحال فى دول أخرى يلتحق الصغار بها بالمدارس حتى بلوغهم أواخر العقد الثانى من العمر ، كذلك فان هناك مجتمعات يستمر المسنون فى الانتاج بها بينما يحرمون من ذلك فى مجتمعات أخرى .

شكل رقم (٢٩)
التعمر في العالم

وتتفق معظم الدراسات السكانية على اعتبار من تقل سنهم عن الخامسة عشر «معولين صغار» ومن تزيد أعمارهم على الستين «بالمعولين الكبار أو المسنين» ، أما قطاع السكان الباقى الذى يتراوح عمر أفراده بين ١٥ ــ ٥٩ فيمثلون القطاع النشيط اقتصاديا من السكان والذى تقع عليه عبء اعالة المجتمع ٠

وتحسب نسبة اعالة الصغار بالصيغة التالية :

$$\frac{\text{عدد السكان أقل من ١٥ سنة}}{\text{عدد السكان فى المدى العمرى (١٥ ــ ٥٩)}} \times ١٠٠$$

فالقطر الذى تصل نسبة الاعالة به الى ٤٥ مثلا ، فان به ٤٥ نسمة دون سن ١٥ سنة بالنسبة لكل ١٠٠ نسمة فى سن الانتاج ١٥ ــ ٥٩،وبنفس الطريقة تحسب نسبة اعالة الكبار على النحو التالى :

$$\frac{\text{عدد السكان سن ٦٠ سنة فأكثر}}{\text{عدد السكان فى المدى العمرى (١٥ ــ ٥٩)}} \times ١٠٠$$

فاذا كانت نسبة المعولين للكبار فى مجتمع ما هى ١٠ مثلا فمعنى ذلك أن هناك ١٠ أفراد فى سن ٦٠ فأكثر لكل مائة فرد فى سن الانتاج (١٥ ــ ٥٩) ٠

وبديهى أن نسبة الاعالة الكلية Total Dependency Ratio هى مجموع نسبة اعالة الصغار ونسبة اعالة الكبار ٠ فالقطر الذى يضم كلتا النسبتين السابقتين تكون نسبة الاعالة الكلية به ٥٥ أى أن هناك ٥٥ نسمة دون سن ١٥ وأكثر من ٦٠ لكل ١٠٠ نسمة فى سن الانتاج (١٥ ــ ٥٩)(١) ٠

ومن الحقائق الهامة فى مجال دراسة نسب الاعالة أن العلاقة بين فئتى نسبة اعالة الصغار والكبار من ناحية ، ونسبة الاعالة الكلية من ناحية أخرى ليست واحدة فى كل الدول ٠ فيبدو كقاعدة عامة أن نسبة اعالة الصغار تفوق نسبة الكبار ، وهى بذلك تكون العنصر الاكبر من عنصرى الاعالة الكلية ، بل أنها فى بعض الاقطار تكاد تشمل نسبة الاعالة الكلية بأكملها ٠ ومعنى ذلك ببساطة أن ارتفاع نسبة الاعالة الكلية معناه أن نسبة كبيرة من السكان هى دون سن ١٥ وأن نسبة المسنين قليلة ٠

---

(1) Ibid., pp. 91-93.

ولكن ينبغى القول بأن نسب الاعالة السابقة والتى تتحدد فقط بحدود الفئات العمرية هى فى الواقع نسب خام Crude لانها تعتبر كل السكان (١٥ ـ ٥٩) منتجين ومن عداهم مستهلكين،ولكن ذلك يتنافى مع التركيب الاقتصادى الفعلى للسكان ذلك لان قوة العمل تشمل الافراد الذين يسهمون مباشرة فى انتاج السلع والخدمات فى الفئات العمرية المختلفة من الذكور والاناث ، أما السكان الخارجون على قوة العمل فهم الذين لا يسهمون فى هذا الانتاج وبالتالى فانهم معولون بواسطة الافراد الداخلين فى هذه القوة ولذلك فان نسبة الاعالة الحقيقية يقصد بها نسبة عـدد الاشخاص الذين لاتضمهم القـوة العاملة لكل مائة من أفراد هذه القـوة ، ويتم حسـابها بالصيغة التالية :

$$\text{نسبة الاعالة الحقيقية} = \frac{\text{عدد السكان المعولين (كل السكان غير العاملين)}}{\text{جملة عدد السكان العاملين}} \times ١٠٠$$

ومن الملاحظ أن عدد المعـولين لايشكل عبء الاعـالة فقط ، بل أن توزيعهم العمرى النوعى له أهميته هو الاخر ، حيث يتاثر هـذا العبء بسن التعليم وسن الزواج للاناث وعدد المتعـلمين ونسبة الزواج وكـذلك ما يتطلبه المعـولون من الشباب من رعـاية صحية واجتماعية واسـكانية وغيرها فى الوقت الذى يكونون فيه خـارج القوة العـاملة ، وينبغى على المجتمـع أن يوفـر لهم هذه الخـدمات حتى دخـول معظمهم فى عـداد المنتجين فيه •

بيد أن نسبة الاعالة كقاعدة عامة ـ تعد نتاجا للتركيب العمرى للسكان كما أنها يمكن أن تكون مقياسا من مقاييس التفـرقة بين الدول النـامية والدول المتقدمة ، ومن المفـارقات العجيبة أن الدول النامية التى تبـذل جهودا ضخمة فى سبيل زيادة انتاجها ورفع مستوى معيشتها هى الـدول التى تعـانى من زيادة عبء الاعـالة الكلية ، أما الدول المتقـدمة ذات المستويات المعيشية العالية فهى التى تنخفض فيها نسب الاعالة بصـورة ملموسة ، ولاريب فى أن ارتفاع معدل المواليد فى الدول النامية يزيد بدوره من أعباء الاعالة الواقعة على عاتق الفئات المنتجة بها •

ثانيا ـ التركيب النوعى :

بالرغم من أن أعداد الذكور والاناث ليست متباينة تباينا واسعـا فى

المجتمعات المختلفة فان دراسة التركيب النوعى هامة فى دراسة السكان وذلك لما لهذا التركيب من نتائج على دراسة العمالة والهجرة • ولاتخضع بيانات النوع لما تخضع له بيانات السن من أخطاء عند ذكرها ، فالخطأ محتمل الوقوع عند ذكر العمر وليس الامر كذلك عند ذكر النوع بطبيعة الحال •

ويمكن حساب نسبة النوع Sex Ratio أو ماتسمى أحيانا بنسبة الذكورة على أساس قسمة عدد الذكور على عدد الاناث وضرب الناتج فى مائة • وبمعنى آخر فهى عدد الذكور لكل مائة من الاناث أو قد تحسب على أساس النسبة المئوية لجملة عدد الذكور (أو الاناث) من اجمالى عدد السكان •

وتتراوح نسبة النوع عند المولد بين ١٠٤ و ١٠٦ ، أى أن عدد المواليد من الذكور يزيد على مثلهم من الاناث(١) ، ألا أن هذه النسبة تبدأ فى التناقص بعد ذلك بسبب ارتفاع معدلات وفيات الذكور عن الاناث ، وهذه ظاهرة ديموغرافية تعرفها كل المجتمعات ويبدو أنها مرتبطة بعوامل بيولوجية تقلل من مقاومة الذكور فى الاعمار المبكرة لامراض الطفولة بالمقارنة مع الاناث ، ولذا فان الزيادة العددية المبدئية فى الذكور تهبط باطراد الى أن يزيد عدد الاناث على عدد الذكور فى الاعمار المتقدمة وبهذا فان نسبة النوع فى معظم الشعوب التى لاتتأثر بعمليات الهجرة المغادرة أو الوافدة تقرب من ١٠٠ أو تقل عنها قلة طفيفة •

وتتأثر نسبة النوع فى المجتمعات زيادة ونقصانا ببعض العوامل التى أهمها :

أ — الهجرة الوافدة أو المغادرة لكل من الذكور والاناث •

ب — تباين معدل الوفيات بالنسبة لكلا النوعين فى الاعمار المختلفة •

جـ — الاخطاء فى البيانات التى يشملها التعداد مثل النقص فى تسجيل عدد الاناث •

د — الحروب التى تؤدى الى زيادة كبيرة فى وفيات الذكور •

---

(١) تزيد أعداد المواليد الذكور على المواليد الاناث كظاهرة طبيعية فى معظم الحيوانات الثديية والانسان من بينها • ومن المؤكد أن معدلات وفيات الرضع والمواليد موتى من الذكور تفوق مثيلتها لدى الاناث •

وقد سبق القول بأن الهجرة ذات أثر فعال فى نسبة النوع ذلك لان الهجرة بطبيعتها كما هو معروف ظاهرة نوعية انتخابية(Selective) ، ومنذ القدم كان الذكور أكثر قدرة على الهجرة من الاناث ، ولكن بتقدم وسائل المواصلات أصبحت الهجرة تشمل كلا النوعين بل أنه فى بعض الدول مثل المملكة المتحدة تفوق أعداد المهاجرات الاناث على أعداد المهاجرين الذكور من المملكة المتحدة واليها ، وتلك سمة حديثة للغاية فى نمط الهجرة الدولية وذلك لان بريطانيا حتى سنة ١٩٣١ كانت تعانى من خسارة صافية فى عدد الذكور بسبب الهجرة الخارجة منها الى باقى أقاليم الامبراطورية أو الى العالم الجديد وقد عانت دول أوربية أخرى من نفس الظاهرة التى مازال تاثيرها واضحا حتى السنوات الاخيرة ٠

وقد انعكست الصورة فى دول المهجر التى استقبلت أعدادا كبيرة من الذكور تفوق أعداد الاناث حتى الحرب العالمية الاولى وبدأ التوازن النوعى للسكان بعد ذلك ، وعلى سبيل المثال كانت نسبة النوع فى استراليا فى أوائل هذا القرن ١١٠ من الذكور مقابل ١٠٠ من الاناث ولكنها أصبحت فى الوقت الحاضر ١٠٢ : ١٠٠ وكذلك الحال فى كندا وبعض دول أمريكا اللاتينية ٠

وبالرغم من أن الهجرة الداخلية تعد هجرة نوعية انتخابية هىالاخرى الا أن عدد الاناث بدأ يتزايد فى هذا النوع من الهجرة أكثر مما كان عليه من قبل وأصبحت سمة ديموغرافية كما فى بريطانيا مثلا حيث تهاجر الاناث من الريف الى المدن فى الصناعات الخفيفة والخدمات لدرجة أن بعض الدراسات أظهرت أن عدد الاناث فى الريف الانجليزى يقل عن عدد الذكور فى الفئات العمرية من ٤٠ ـ ٤٩ سنة مما كان له أثر كبير على مستوى الخصوبة والعمالة(١) ٠

وفى كثير من الدول النامية مازال الذكور يكونون النسبة الاكبر من المهاجرين الى المدن ، ويبدو ذلك بوضوح فى الفئات العمرية الوسطى،ففى مصر مثلا ترتفع نسبة الذكور على الاناث فى المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية حيث يعدان مهجرا هاما يفد اليه عدد كبيرمن باقى محافظات الجمهورية ولذلك فان نسبة النوع فى الاسكندرية مثلا تصل الى ١١٢ ، ١٣٠ ، ١١٦ فى فئات العمر (٣٠ ـ ٣٤) ، (٤٠ ـ ٤٤) ، (٥٠ ـ ٥٤)

---

(1) Clarke, J., Population Geography, Op. Cit., p. 75.

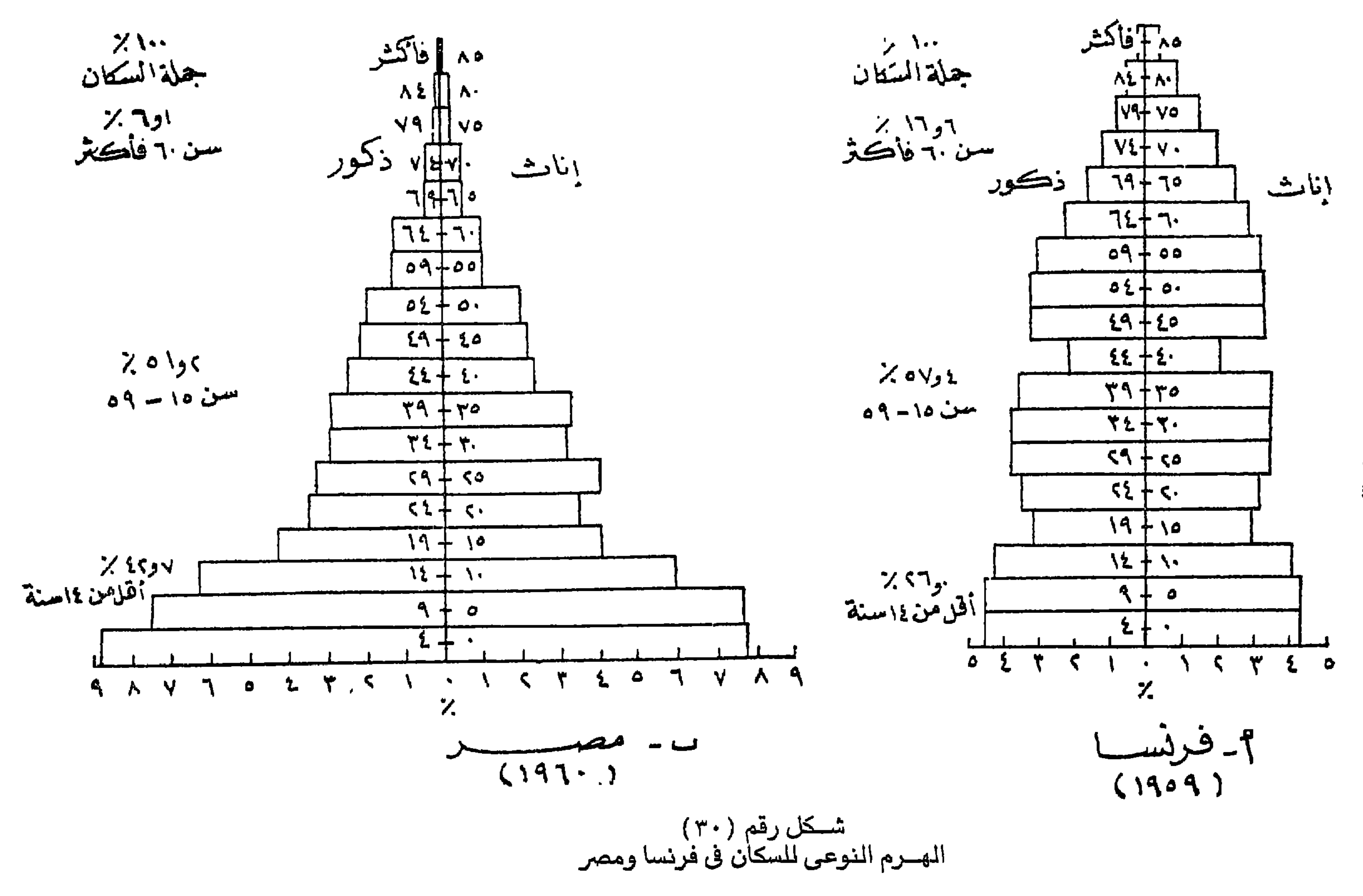
على الترتيب فى تعداد سنة ١٩٦٠ ، وان اختلفت عن ذلك فى التعدادات اللاحقة ٠

الهرم العمرى النوعى للسكان Age - Sex Population Pyramid :

يعد الهرم العمرى النوعى للسكان أسهل أنواع التمثيل البيانى فهما لاختلافات التركيب العمرى النوعى بين المجموعات السكانية فى الدولة الواحدة أو بين الدول بعضها وبعض،فعندما ترسم الفئات العمرية النوعية رسما بيانيا تكون النتيجة هرما قاعدته العريضة تمثل أصغر الاعمار وتميل الجوانب بالتدريج صوب نقطة البداية الرأسية ممثلة النقص النـاتج عن الوفيات فى كل مجموعة عمرية الواحدة تلو الاخرى ، وقد يرسم الهـرم السكانى على أساس توضيح الاعداد المطلقة أو على أساس النسب المئـوية معتمدا فى ذلك على الهدف من الدراسة ، ولكن ينبغى ملاحظة أن الاهرام المبنية على الاعداد تكون مفيدة بدرجة أكبر عند اجراء المقارنة بين سكان مجتمعين من نفس الحجم حيث تبين بشـكل واضح مدى التغير المطـلق وتوزيعه بين مختلف المجموعات العمرية والنوعية خلال سنوات محددة ٠

الا أن استخدام النسب فى رسم الاهرام السكانية يكون ذا فائدة أكبر، ذلك لانه باستخدامها تتساوى مساحة جميع الاهرام حتى لو اختلف حجم السكان بين الدول أو الجماعات المراد مقارنتها ، وتبين هذه الاهرام مدى الاختلاف العمرى النوعى النسبى دون النظر الى الحجم الكلى للسـكان وذلك لان الاهـرام ستكون مختلفـة من حيث الشـكل ولكنها متماثلة فى المساحات ، ورغم أنها توضع جنبا الى جنب لتوضيح الفـوارق العمرية النوعية ، فانها تكون أكثر جذبا للانتباه عنـدما يوضع كل منهما فـوق الاخر ، كذلك فانه رغم استخدام السنوات الفردية أحيانا فان الشائع هو استخدام فئات العمر الخمسية ٠

وقد جرى العرف فى رسم الاهرام السكانية أن يمثل المحـور الرأسى فئات السن ، بينما توضح الاعداد المطلقة النسب المئوية لكل فئة الى جملة السكان على المحور الافقى كما يوضـع الذكور الى يسـار الخط الرأسى والاناث الى يمينـه ، ومعنى ذلك أن الهـرم ليس الا رسمـين بيـانيين موضوعين على جوانبهما وظهر كل منهما للاخر وخط المركز الرأسى يمثل الصفر ، وعند رسم الهرم باستخدام النسب المئوية فان مجمـوع طـول جميع الاعمدة (بما فى ذلك جانبا الذكور والاناث) يكون دائما ١٠٠٪ ، ففى الرسم رقم (٣٠ ب) نستنتج من العـامود الاسفل على اليسـار أن الذكور فى مصر حتى سن الرابعة يصـلون الى حـوالى ٩٪ من مجمـوع



شكل رقم (٣٠)
الهرم النوعى للسكان فى فرنسا ومصر

السكان ، وبمقارنته بالرسم (٣٠ أ) نجد أنهما يختلفان فى الشكل وتبدو الفوارق بينهما فى التوزيع النسبى للمجموعات العمرية والنوعية وذلك لان الحجم النسبى لكل مجموعة عمرية ونوعية فى هرم مصر يمكن مقارنته على نحو مباشر مع المجموعات العمرية والنوعية فى هرم فرنسا ومثال ذلك أن عدد الذين هم دون سنالعشرين أكثر فى مصرمنه فى فرنسا وهكذا.

ومن الحقائق الهامة التى ينبغى ادراكها فى الحديث عن الاهرام السكانية أن السكان فى أى مجتمع يتغيرون باستمرار حيث تتغير نسب الفئات العمرية والنوعية بفعل العوامل الديموغرافية كالوفيات والانجاب والهجرة وفودا أو نزوحا ، ولما كان الهرم صورة ساكنة فانه يجمد الحركة السكانية فى لحظة زمنية معينة هى تاريخ اجراء التعداد الذى رسم الهرم على أساس بياناته ، ولذا فان البعض يذكر بانه **يمكن النظر الى الهرم السكانى على أنه صورة تاريخ ديموغرافى لمجتمع ما ـ أى نتيجة مائة عام تقريبا من المواليد والوفيات والهجرة الوافدة أو النازحة**(١) .

The Pyramid can be viewed as a picture of the "biological" history of a population - the result of 100 years of births, deaths, and migration.

ويتاثر شكل الهرم السكانى بارتفاع أو انخفاض كل من المواليد والوفيات والهجرة فى فترات سابقة ويبدو ذلك فى نسب كل فئة عمرية لمجموع السكان من ناحية وعلاقتها بالفئات الادنى والاعلى من ناحية أخرى فان هبط معدل المواليد فى قطر ما ثم ارتفع فان ذلك يؤدى الى تموجات تسرى فى الفئات العمرية بالهرم التى تتناقص بمدى التقدم فى العمر حتى يموت كل السكان الذين تمثلهم الاعمدة ـ وذلك بافتراض حدوث هجرة وافدة أو نازحة .

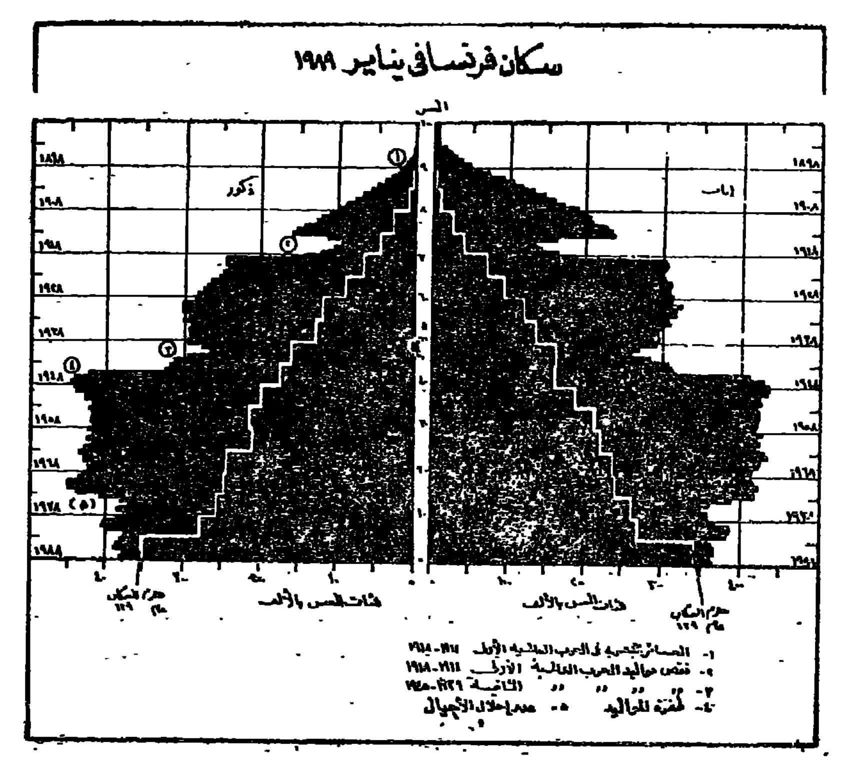
ولعل فى دراسة الهرم السكانى لفرنسا مثل واضح على ما يمثله من حقائق ديموغرافية أثرت فى تحديد شكله ، ففى الشكل رقم (٣٠ أ) يبدو التقلص الواضح الذى يبدو على هيئة فجوة عميقة فى الهرم سببها الحجم الصغير نسبيا للفئة العمرية (٤٠ ـ ٤٤) ،و باستقراء التاريخ الديموغرافى لفرنسا فانه يبدو مباشرة أن هذه الفئة العمرية تمثل الافراد الذين ولدوا أثناء الحرب العالمية الاولى . وكان معدل المواليد فى فرنسا أثناء سنوات تلك الحرب منخفضا عنه فى السنوات السابقة على الحرب أو اللاحقة عليها

---

(1) Thompson, W.S. Lewis. D.T. Population Problem, Op, Cit, p 102

ولذا فقد كانت الفئة العمرية (٠ ـ ٤) صغيرة نسبيا فى سنة ١٩٢٠،ونظرا لان معدل المواليد قد عاد بعد الحرب الى مستواه العادى فان الجيل الذى ولد أثناء الحرب أصبح يمثل فجوة دائمة فى الهرم السكانى للبلاد وبمرور السنين انتقل الى أعلى عبر الفئات العمرية المتعاقبة الى أن جاءت سنة ١٩٥٩ فاصبح فى الفئة العمرية (٤٠ ـ ٤٤) .

أما الفجوة الاخرى فى الهرم السكانى لفرنسا فقد نتجت عن عوامل مشابهة للفجوة السابقة ، وتبدو فى قلة السكان فى الفئة العمرية (١٥ ـ ٢٤) وهى تمثل الجيل الذى ولد خلال سنوات هبوط معدل المواليد بسبب الكساد العالمى والحرب العالمية الثانية ـ أى فيما بين عامى ١٩٢٤ ـ ١٩٤٤ (شكل ٣١)،يضاف الى ذلك عامل آخر هو أن جزءا من الهبوط فى معدل المواليد فيما بين سنتى ١٩٣٤و١٩٤٤ كان مرجعه أيضا الى أن الفوج الذى ولد خلال الحرب العالمية الاولى كان يعد آنذاك فى أوائل سنوات الانجاب حيث كان عمره يتراوح بين ١٥ ـ ١٩ سنة فى عام ١٩٢٤ وبين



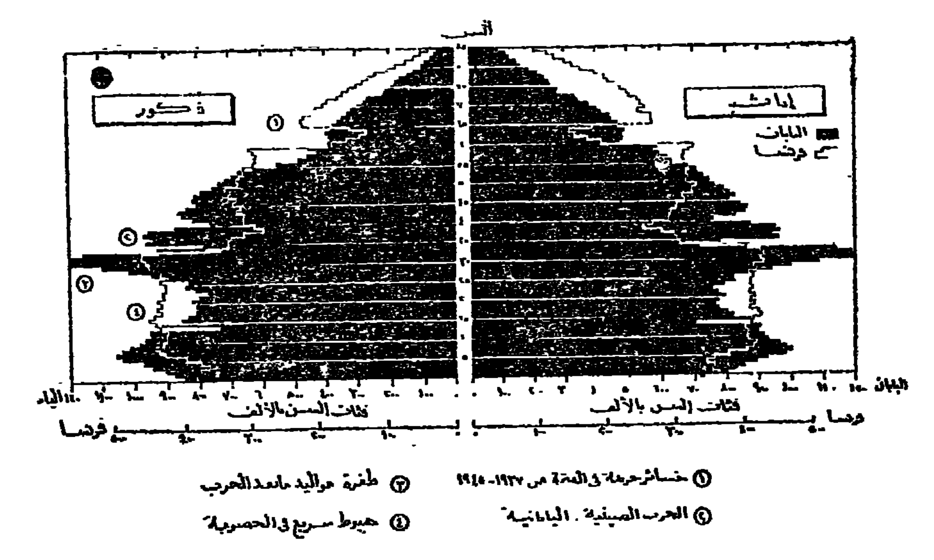
شكل رقم (٣١)
الهرم العمرى النوعى لسكان فرنسا ١٩٨٩

٢٥ ـ ٢٩ فى عام ١٩٤٤ ، وبذلك ساعد انخفاض معدل المواليد فى الحرب العالمية الاولى على خفض معدل المواليد خلال الفترة من ١٩٣٤ ـ ١٩٤٤ ٠

وعلى النقيض من الهرم الفرنسى يبدو هرم السكان فى مصر سنة ١٩٦٠ مختلفا فى الشكل وخاصة فى اتساع القاعدة وضيق القمة ، ولكن لاتبدو فيه نواحى تفاوت وشذوذ ظاهرة ، وأبرز السمات أن تزايد القاعدة فى الفئات أقل من ١٥ سنة ناتج عن ارتفاع معدل المواليد فى خلال الخمس عشرة سنة السابقة على سنة التعداد وهم بالتحديد نتاج الزيادة الطبيعية فيما بعد الحرب العالمية الثانية والتى تميزت بارتفاع معدلها بسبب انخفاض معدل الوفيات للاطفال الرضع واستمرار مستوى الخصوبة مرتفعا ، اما ضيق القمة فهو دليل ارتفاع معدلات الوفيات فى الاجيال السابقة ـ وعموما فان هرم مصر السكانى يعد نمطا مميزا للاهرام السكانية فى الدول النامية ـ فهو دليل على مجتمع ذى معدلات مواليد ووفيات عالية ، فالقاعدة العريضة تعكس ارتفاع معدل الخصوبة ، والتدرج الكبير النسبى بين مجموعات السن الكبيرة المتعاقبة يعكس ارتفاع معدل الوفاة ولم يتعرض المجتمع لتقلبات كبيرة فى المعدلات الحيوية لزمن طويل ، ومن ثم يبدو التدرج كبيرا حتى سن الستين ٠

وينبغى الاشارة الى أن اتساع قاعدة الاهرام السكانية فى الدول النامية وليد العقدين أو الثلاثة عقود الاخيرة وبالتحديد فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك لان النجاح الكبير فى خفض معدلات الوفيات فى الاعمار الصغرى (خاصة الاطفال الرضع) مع ثبات مستويات الخصوبة ـ أدى الى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بهذه الدول وبالتالى الى زيادة التراكم فى قاعدة الهرم السكانى ، ولاريب فى أن الدول ذات الاهرام عريضة القاعدة تسير فى طريق النمو السكانى بدرجة أسرع من الدول ذات القاعدة الضيقة فى أهرامها السكانية ٠ وكذلك فان هذه الدول تتصف بارتفاع نسبة الاعالة وبانخفاض السن الوسيطة ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن الهرم العمرى النوعى فى اليابان سنة ١٩٦٠ يختلف عن النمطين السابقين ، ذلك لان هرم اليابان (شكل ٣٢) يوضح تأثير الانخفاض السريع فى المواليد فى التركيب العمرى لمجتمع صناعى متقدم ٠ فقد أقيمت عيادات منع الانجاب وصار الاجهاض قانونيا ومأمونا وقليل النفقات ، أما تأثير الحرب فى اليابان فيمكن ادراكه من الفئة العمرية (٣٥ ـ ٤٩) التى تضم عددا من الذكور أقل بكثير من الاناث ، وكانت هذه الفئة بين سن ١٨ ـ ٣٢ فى عام ١٩٤٢ ٠



شـــكل رقم (٣٢)

الهرم العمرى النوعى لكل من اليابان وفرنسا

تصنيف الاهرام السكانية :

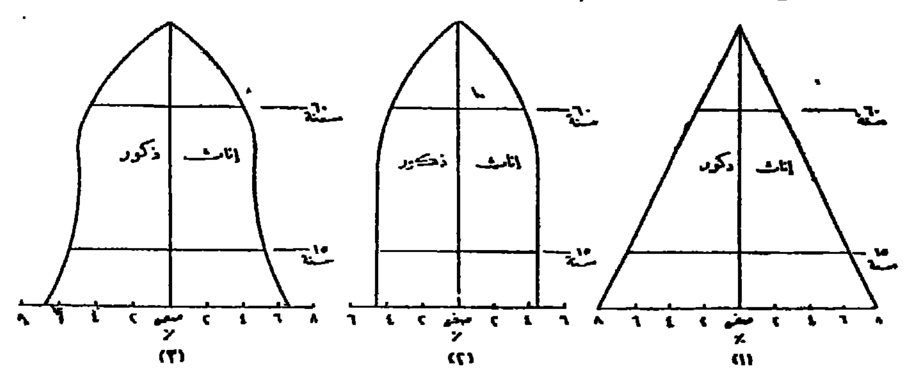
هناك ثلاث صور من الاهرام السكانية تكشف عن الجوانب الديموغرافية فى المجتمع ، وهذه الصورة يبينها الشكل رقم (٣٣) وهى :

١ ــ الهرم ذو القاعدة العريضة والجوانب المنحدرة برفق نحو القمة، تبعا للاعداد السابقة للمواليد والوفيات التى أسهمت فى تحديد شكله وهذا الهرم يمثل البلاد التى ينمو فيها السكان بمعدل كبير نتيجة انخفاض وفيات الاطفال ولم تخفض من معدل المواليد لديها ، وفى أمثال هذه البلاد يتزايد السكان بسرعة وتقل الاعمار الوسيطة وتصبح نسبة الاعالة الكلية بها أعلى النسب فى العالم ــ وقد يعرف المجتمع حينذاك بأنه مجتمع شاب أو تقدمى Progressive وينبىء بتزايد سريع متوسع فى عدد السكان ومايترتب على ذلك من انخفاض المستوى الاقتصادى والاجتماعى ويتمثل هذا الهرم فى الدول النامية بصفة عامة فى قارات أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا .

٢ ــ الهرم ذو القاعدة الضيقة والقمة المحدبة ، وهو يشبه خلية نحل من الطراز القديم ويمثل البلاد التى تتميز بانخفاض معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات ، ويعرف المجتمع الذى يمثله هذا الهرم بالمجتمع المسن أو الهرم أو التأخرى Regressive حيث يرتفع السن

الوسيطة وتنخفض نسبة الاعالة الكلية الى حدودها الدنيا فى العالم وترتفع نسبة المسنين فى المجتمع ٠

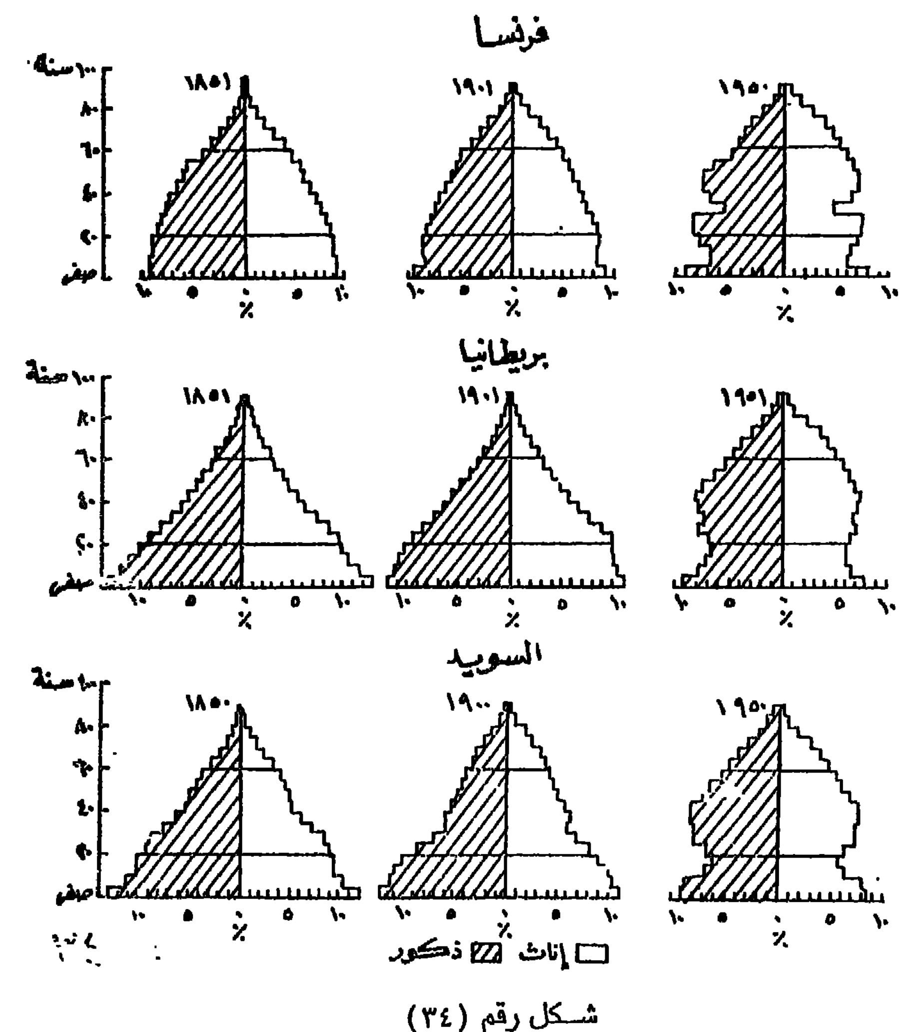
ويمثل هذا النمط من الاهرام السكانية فى معظم دول أوربا وخاصة فى شمالها الغربى حيث تتمثل بارتفاع متوسط أمد الحياة وانخفاض معدل النمو السكانى وارتفاع المستوى الاقتصادى والصحى ، ويجدر بالذكر أن هذه الدول قد مرت بالهرم الفتى فى القرن التاسع عشر ٠



شكل رقم (٣٣)
النماذج الرئيسية للاهرام العمرية النوعية للسكان

٣ ـ الهرم ذو القاعدة المتوسطة وهو وسط بين الهرمين الفتى والمسن وان كان شبيها بالجرس Bell-Shaped ويتمثل فى الدول التى حدث لتركيبها السكانى تغير واضح كما هى الحال فى الولايات المتحدة وكندا، ويمثل هذا النمط جماعة سكانية ذات نسبة كبيرة من السكان فى الاعمار الوسطى مع ضيق أو توسط فى القاعدة وتفلطح فى القمة ، ويرتبط ذلك بمجموعة من العوامل الديموغرافية ومن أهمها التحكم فى معدلات المواليد وتدفق أعداد من المهاجرين فى الاعمار الوسطى الى بعض الدول المتقدمة ممايزيد من أعداد السكان فى هذه الفئات العمرية كما هى الحال فى استراليا ٠

وأخيرا يلاحظ أن الدول التى تتميز بأهرام سكانية ضيقة القاعدة قد مرت فى تاريخها الديموغرافى بمراحل نمو عالية تمثلث فى أهرام سكانية عريضة القاعدة ويوضح شكل رقم (٣٤) ذلك مطبقا على فرنسا وبريطانيا والسويد فى خلال مائة سنة ، فقد تميزت هذه الدول فى منتصف القرن التاسع عشر بأهرام سكانية عمرية نوعية منتظمة الاشكال للغاية ومرتكزة على قواعد عريضة ، ومع ذلك فبالنسبة لفرنسا خاصة كانت قاعدة الهرم أقل اتساعا مشيرة بذلك الى أن عملية التعمر Ageing فى هذا البلد قد



شكل رقم (٣٤)

تطور هرم السكان فى فرنسا وبريطانيا والسويد فى الفترة (١٨٥٠-١٩٥١)

بدات فى فترة اسبق من الدولتين الاخريين ، وخلال النصف الثانى من القرن الماضى حدث تغير قليل نسبيا ، ولو أن النسبة المئوية للاطفال قد هبطت هبوطا طفيفا فى الدول الثلاث ولكن تميزت السويد باتساع قمة الهرم العمرى،وبحلول عام ١٩٥٠ تغيرت أشكال الاهرام العمرية تماما الى درجة ان كلا منها أصبح أكثر شبها بصورة البرميل المرتكز على قاعدة منه بصورة الهرم وتلك سمة مميزة لظاهرة تعمر السكان التى يعكسها النسبة المتزايدة من عدد البالغين وكذلك نسبة عدد كبار السن ٠

الفصل الثانى عشر

التركيب الاقتصادى للسكان

تعد دراسة التركيب الاقتصادى من العناصر الهامة فى دراسة تركيب السكان فيمكن من خلال هذه الدراسة تحديد ملامح النشاط الاقتصادى وأهمية عناصره وارتباطها بظروف البيئة الجغرافية كذلك يمكن الوقوف على نسب العمالة وحجمها وأهميتها وخصائصها المتعددة ومعرفة معدلات التعطل وتوزيعها حسب العمر والنوع والمهنة وغير ذلك ، كما أن دراسة التركيب الاقتصادى تسهم مباشرة فى تحديد حجم القوى العاملة فى المستقبل اعتمادا على اتجاه معدلات التغير فى نمو السكان وخصائصهم الاجتماعية واسهام الاناث فى القوى العاملة والمستوى التعليمى للسكان .

تعـــريف :

بالرغم من أن المفهوم الاساسى الذى يحدد النشاط الاقتصادى لايختلف كثيرا من تعداد لاخر ـ فان السكان ذوى النشاط الاقتصادى Economically Active Population يمكن تعريفهم بوجه عام بأنهم «الافراد الذين يشتركون فى تقديم العمل لانتاج السلع الاقتصادية والخدمات ويتضمن ذلك ليس فقط العاملين وقت اجراء التعداد ـ بل كذلك المتعطلين أى القادرين على العمل والباحثين عنه، واذا وجد فرد يسهم بطريقة أو بأخرى بمجهود انتاجى للمجتمع فانه يمكن تصنيفه ضمن الاشخاص ذوى النشاط الاقتصادى والا اعتبر ضمن الافراد المعولين»(١) .

وعلى ذلك فان القوة البشرية فى المجتمع يمكن أن تنقسم الى قسمين :

ا ـ أفراد داخلون فى القوة العاملة :

وهم جميع الافراد الذى يسهمون فعلا بمجهودهم الجسمانى أو العقلى

---

(١) الامم المتحدة ـ العوامل الديموغرافية والقوة البشرية ـ التقرير الاول : الانماط العمرية والنوعية للمساهمة فى النشاط الاقتصادى (ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ـ القاهرة ـ ١٩٦٧) ـ ص ٦ .

فى أى عمل يتصل بانتاج السلع أو الخدمات سواء كانوا يعملون بأجر أو بدون أجر أو لحسابهم الخاص أو أصحاب أعمال ، كما تشمل المتعطلين وهم القادرين على دخول سوق العمل ولكنهم لايجدون العمل رغم رغبتهم فيه وبحثهم عنه .

ب ـ الافراد الخارجون عن القوة العاملة :

وهم الافراد الذين يقومون بأعمال لاتسهم مباشرة فى انتاج السلع والخدمات . وتشمل هذه الفئة ربات البيوت والطلبة ، كما يدخل فى عدادها غير القادرين على العمل مثل العجزة الذين لايمكنهم أداء عمل مثمر بسبب عاهة مقعدة أو مرض مزمن أو غير ذلك،كما يدخل فى عدادها الاطفال دون سن السادسة ، والمحالين الى المعاش وكبار السن الذين تزيد أعمارهم على الخامسة والستين ماداموا لا يمارسون عملا مثمرا(١) .

ويعد معدل النشاط الاقتصادى الخام Crude Activity Rate أسهل المقاييس لمقارنة مدى أسهام السكان فى النشاط الاقتصادى فى المجتمع ، ويقصد بهذا المعدل النسبة المئوية للسكان ذوى النشاط الاقتصادى من جملة السكان فى جميع الاعمار ولما كان هذا المعدل عبارة عن نسبة بسطها العاملون من السكان ومقامها جملتهم فانه لايعبر بدقة عن الاسهام الاقتصادى النوعى لهم حيث يتأثر تأثرا كبيرا ـ مثل سائر المعدلات الخام الاخرى ـ بارتفاع معدلات الخصوبة وانخفاضها وما تحدثه من اتساع أو ضيق فى قاعدة الهرم السكانى .

ومحاولة للوصول الى معدلات أكثر دقة من المعدل الخام فان الامر يتطلب معرفة نسبة العاملين الى جملة السكان حسب كل فئة عمرية نوعية وهذا مايعرف بمعدل النشاط الاقتصادى العمرى النوعى ، وهو عبارة عن النسبة المئوية للاشخاص ذوى النشاط الاقتصادى الى جملة السكان فى فئة عمرية معينة ، ومن الطبيعى أن التركيب العمرى يعد أهم عامل فى تحديد هذه المعدلات حيث يختلف الاسهام فى النشاط الاقتصادى من فئة عمرية الى أخرى ، ويقل جدا عدد الذين يدخلون ضمن ذوى النشاط الاقتصادى من بين السكان تحت سن عشر سنوات ولكن يرتفع معدل الاسهام فى هذا النشاط للبالغين وعلى وجه الخصوص فى أوائل سن العشرين أو الخامسة

---

(1) UN., Methods of Analysing Census Data on Economic Activities of Thc Population New York, 1968, pp. 2-5.

والعشرين عندما يفرغ الشباب من التعليم ، ويصبح مؤهلا للدخول فى قوة العمل فى هذه السن ثم مايلبث أن يهبط معدل النشاط الاقتصادى عند بلوغ سن التقاعد ومعنى ذلك أن منحنى المعدل ينخفض بحدة على طرفيه بينما يصل الى أقصاه فى فئات العمر الوسطى ٠

العمالة والتركيب العمرى :

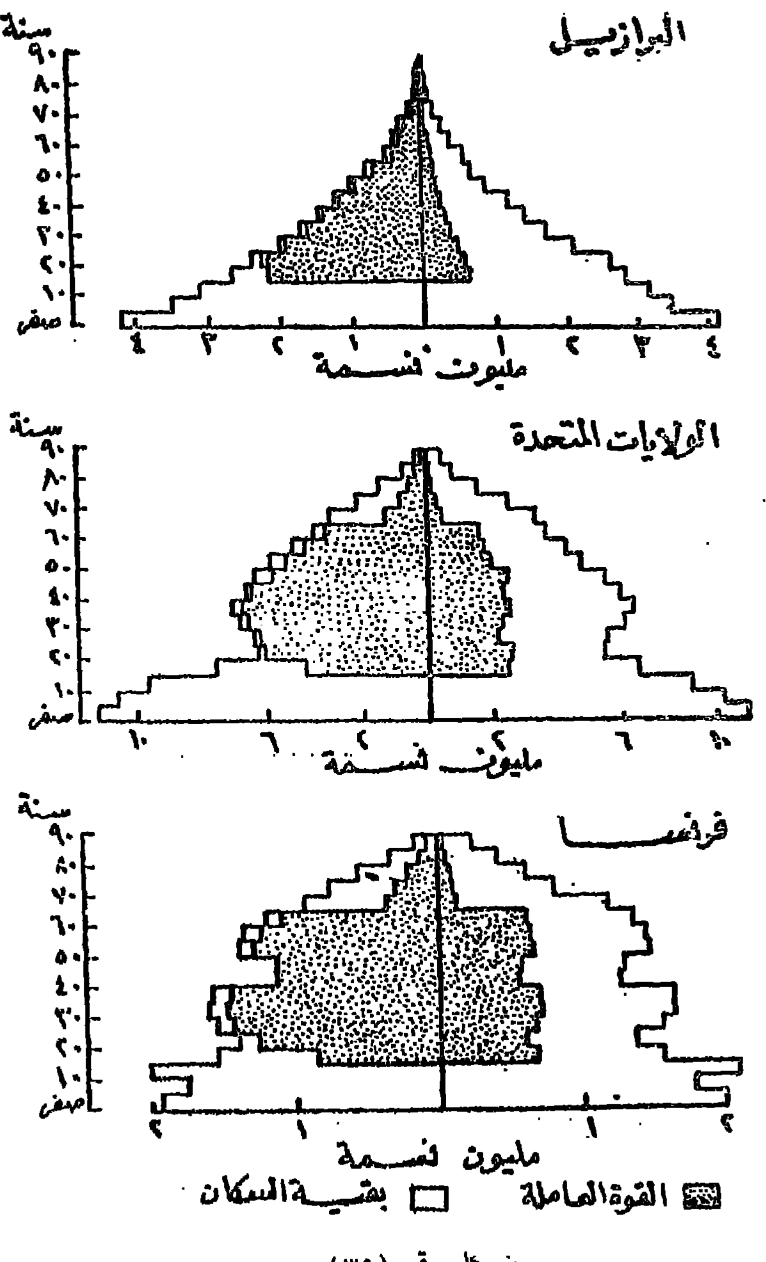
يعتمد حجم القوة العاملة فى المجتمع على العوامل الديموغرافية والاجتماعية وليس من شك فى أن ذلك يرتبط بحجم السكان ككل ، الا أن التركيب العمرى يعد من أبرز العوامل الديموغرافية المؤثرة فى القوة العاملة ، ففى المجتمعات النامية ذات النمو السكانى المرتفع تميل نسبة السكان العاملين الى الانخفاض وبالتالى فان هناك تزايدا فى أعباء الاعالة لافرادها لارتفاع نسبة الاطفال ، ولكن من الملاحظ كما يبين الجدول رقم (٣٧) والشكل رقم (٣٥) أن الصغار وكبار السن يسهمون فى الدول النامية بدور كبير فى النشاط الاقتصادى بل أن الاناث يشتركن فى ذلك حيث يعملن فى الزراعة مع أزواجهن ـ بل بدلا منهم فى بعض المجتمعات الافريقية ومن ثم ترتفع نسبة المساهمين فى النشاط الاقتصادى لانها تشمل الاطفال والاناث والمسنين ٠

جدول رقم (٣٧) معدلات النشاط الاقتصادى للذكور حسب السن فى ثلاث مجموعات من الدول حسب مستوى التقدم الاقتصادى (٪ من مجموع السكان فى كل فئة عمرية)(١)

الفئة العمرية	دول صناعية	دول نصف صناعية	دول زراعية
١٠ ــ ١٤	١ر٤	١٣ر٢	٢٣ر٩
١٥ ــ ١٩	٧٢ر٤	٧٠ر٣	٧٨ر٤
٢٠ ــ ٢٤	٩١ر٥	٩١ر٨	٩١ر٢
٢٥ ــ ٣٤	٩٦ر٧	٩٦ر٢	٩٦ر٣
٣٥ ــ ٤٤	٩٧ر٦	٩٧ر١	٩٧ر٥
٤٥ ــ ٥٤	٩٥ر٩	٩٥ر٩	٩٦ر٣
٥٥ ــ ٦٤	٨٥ر٦	٨٨ر٩	٩١ر٦
٦٥ فأكثر	٣٧ر٨	٦١ر٠	٧٠ر١

(١) المرجع السابق ــ ص ٢٤ ٠

ويلاحظ أن أساس التقسيم بين الدول هو نسبة الذكور العاملين فى الزراعة فالدول الزراعية تبلغ هذه النسبة بها ٦٠٪ فاكثر ونصف الصناعية بين ٣٥٪ ــ ٥٩٪ والصناعية أقل من ٣٥٪ ٠



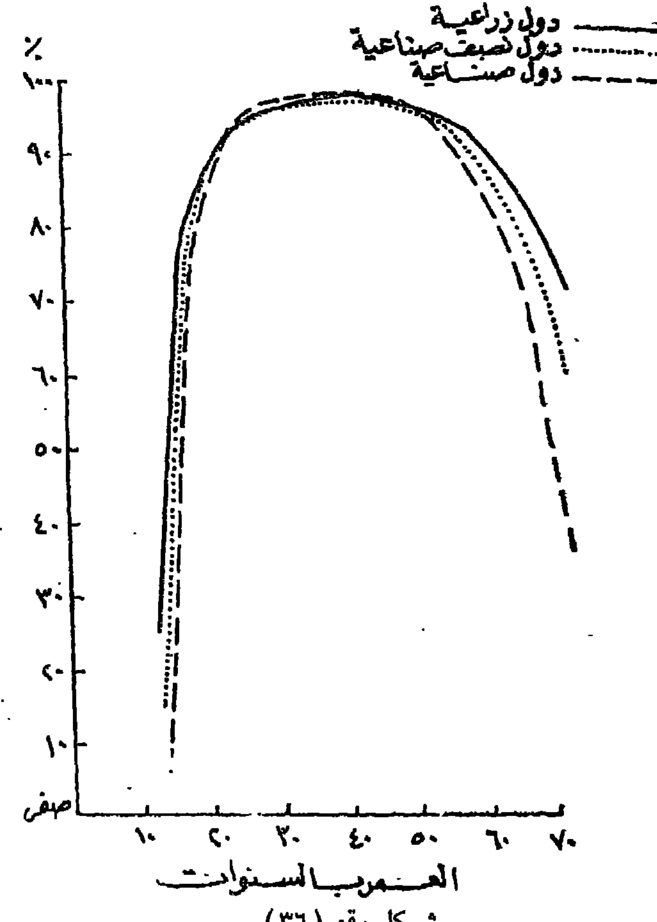
شكل رقم (٣٥)
حجم القوة العاملة فى الهرم السكانى فى بعض الدول

أما الدول المتقدمة فهى على النقيض من ذلك حيث تنخفض بها أعباء الاعالة لانخفاض مستوى الخصوبة وقلة عدد الاطفال الصغار (أقل من ١٥ سنة) وبالاضافة الى ذلك فان التعليم يكون اجباريا فيها للسكان حتى سن معينة ومن ثم يكون كل الاطفال خلال هذه السن خارج نطاق القوة العاملة (فى فرنسا مثلا هناك شخص من كل أربعة أشخاص يتلقى التعليم بصورة من الصور ذلك لان سن الالزام قد رفعتــه من ١٢ الى ١٤ وحتى الى ١٦ سنة) وفى مثل هذه الاقطار تتوفر التشريعات التى تتضمن معاشات للمسنين ومساعدات العجزة ، ولذلك كله تنخفض نسبة الصغار فى القوة العــاملة بدرجة ملحوظة بالمقارنة بالدول شبه المتقدمة أو الدول النامية ويبدو من الجدول رقم (٣٧) وشكل رقم (٣٥) أن هناك حوالى ٤٪من الذكور البالغ عمرهم من ١٠ ــ ١٤ سنة يعملون فى الدول الصناعية (المتقدمة) مقــابل ١٣٪ فى الدول نصف الصناعية و ٢٤٪ فى الدول الزراعية ٠

وليست هنــاك اختــلافات بارزة فى معــدلات النشــاط الاقتصــادى للمجموعات الثلاث من البلاد التى تعيش فى مستويات مختلفة من التنمية وذلك للفئات العمرية بين ٢٠ سنة الى ٥٥ سنة ، ثم يعود النمط المعتــاد للاختلافات بين البلاد الصناعية والزراعية الى الظهور عند الطرف الاعلى للمنحنى العمرى حيث تبلغ نسبة العاملين من بين الذكور فى فئة العمــر (٥٥ ــ ٦٤ سنة) ٩٣٪ فى البلاد الاقل تقدما مقابل ٨٦٪ فى البلاد الاكثر تقدما ، وتبدو اختلافات أكثر وضوحا عند أى فئة عمرية أخرى بالنسبة لمعدلات النشاط الاقتصادى بين الدول الصناعية والدول النامية للرجــال البالغين من العمر ٦٥ سنة فأكثر ، وتدل نسبة العاملين فى هذه الاعمــار بمختلف الدول على مدى الاهمية التى تلعبها الزراعة فى اقتصادياتها حيث أن العمل الزراعى يمكن أن يستمر الى سن متأخرة عن غيره من أوجــه النشاط الاقتصادى الاخرى ويتجه السكان الى العمل ماداموا قادرين على ذلك جسمانيا ، ويبدو الفارق بوضوح بين الدول فى نسبة العاملين فى السن ٦٥ فاكثر حيث تصل هذه النسبة الى ٧٠٪ فى المتوسط فى الدول النامية مقابل ٣٪ فقط فى الدول الصناعية ولاتسمح أنماط النشاط الصناعى بالعمل لكبار السن بمعدل كبير ، فى الوقت الذى تساعد فيه مشروعات الضمــان الاجتماعى القائمة والادخار فى كثير من الدول الصناعية على التقاعد فى سن مبكرة(١) ٠

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٣٦ ؛



شكل رقم (٣٦)
معدلات النشاط الاقتصادى العمرى للذكور حسب درجة التصنيع

معدلات النشاط الاقتصادى للاناث :

من المعتاد فى تعدادات السكان أن تصنف الاناث ضمن القوى العاملة طالما أنهن يمارسن عملا خارج المنزل ، ومع ذلك فان هناك اختلافا بين الدول فى التعريف وفى درجة الشمول وخاصة فى الدول النامية مما يصعب معه عقد مقارنة دقيقة بين درجة اسهام الاناث فى النشاط الاقتصادى فى هذه الدول ذلك لان هناك بعض الدول تدخل الاناث العاملات فى الزراعة ضمن قوة العمل والبعض الاخر يستثنيهن فى ذلك ٠

ومع ذلك فان هناك سمات عامة تميز معدلات اسهام الاناث فى النشاط

الاقتصـادى فى الدول النامية أو المتقدمة ، وبمقـارنة هذين النمطين من الدول يلاحظ أن هناك فرقا كبيرا بين نسبة الاناث العاملات فى فئات السن المختلفة كما يبين الجدول رقم (٣٨) والشكل رقم (٣٧) ويبدو هذا الفارق بوضوح فى معدلات النشاط الاقتصادى للاناث من سن ١٥ الى سن ٢٥ سنة ، ومن المعتاد فى البلاد المتقدمة صناعيا أن تدخل أعداد كبيرة من الفتيات فى القوة العاملة عندما يتجاوزن سـن الخامسة عشرة ويواصلن ممارسـة العمل حتى الزواج ويلاحظ عادة انخفاض حاد فى معدلات نشاطهن بعـد سن ٢٠ أو ٢٥ سنة كذلك ينخفض المعدل بعد سن ٥٥ سنة ، ويواصل عدد قليل جدا من الاناث فى هذه البلاد العمل بعد بلوغ سن ٦٥ سنة ٠

جدول رقم (٣٨) معدلات النشاط الاقتصادى العمرى للاناث حسب درجة التصنيع (٪ من جملة السكان الاناث فى كل فئة عمرية)(١)

الفئات العمرية	الدول الصناعية	الدول الزراعية	الفئات العمرية	الدول الصناعية	الدول الزراعية
١٠–١٤	٢ر٤	١٠ر٢	٣٥–٤٤	٢٨ر٣	٣٠ر٦
١٥–١٩	٥٣ر٦	٣٠ر٩	٤٥–٥٤	٢٨ر١	٢٨ر٩
٢٠–٢٤	٥١ر٩	٣١ر٥	٥٥–٦٤	٢٠ر٨	٢٣ر٧
٢٥–٣٤	٣٠ر٣	٢٩ر٩	٦٥ فأكثر	٧ر١	١٤ر٣

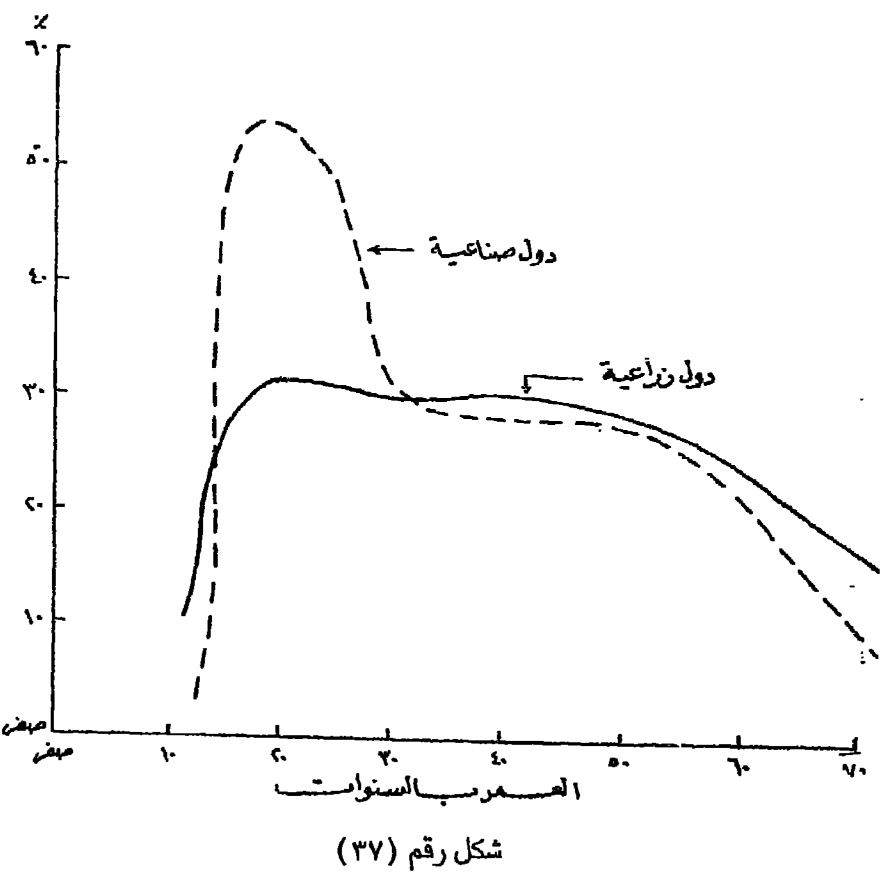
أما بالنسبة للدول الزراعية (النامية) فليس هناك اختلاف كبـير فى المعدل بين الاعمار القريبة من ٢٥ ـ ٥٥ سنة ، وفى معظم هذه البلاد فان سوق العمل مازال تقليديا ولم يتطور بالمعنى المعروف فى الدول الصناعية، وكما هى الحال فى معدلات نشاط الذكور فان معدلات الاناث فى الاعمـار الاصغر والاكبر تبدو أكثر ارتفاعا فى البلاد النامية عنها فى البلاد الصناعية ولاريب فى أن ذلك يرجع الى نفس الاسباب السابقة ٠

ويتاثر دخول المراة لسوق العمل بمجموعة من العوامل الاجتمـاعية والاقتصـادية مرتبطة فى ذلك بمـدى مكانة المراة فى المجتمع ومسـتويات التعليم التى وصلت اليها والدور الذى تلعبه فى النشاط الاقتصـادى ٠ وفى معظم المجتمعات يكون للحالة المدنية للمرأة علاقة هامة فى احتمال اسهامها

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٤١ ٠

فى النشاط الاقتصادى ، فعند تساوى العوامل الاخرى فان احتمال دخول المرأة المتزوجة فى مجال القوة العاملة يكون أقل من المرأة التى لم يسبق لها الزواج أو الارملة أو المطلقة التى تعتبرالعمل بالنسبة لها ضرورةاقتصادية٠



شكل رقم (٣٧)

معدلات النشاط الاقتصادى العمرى للاناث فى الدول الصناعية والزراعية

وبالاضافة الى ما سبق فان هناك عوامل ديموغرافية تؤثر فى اسهام المرأة فى القوة العاملة حيث يكون للتغيرات فى متوسط عمرة المرأة عند الزواج دور كبير فى تحديد حجم وهيكل قول العمل النسائية ذلك لان هذه الخصائص تتأثر كذلك بالنواحى الديموغرافية الاخرى مثل معدلات زواج الاناث وانخفاض مستوى الوفيات مما يحد من ظاهرة الترمل ومعدلات الطلاق ومستوى الخصوبة ، كذلك فان العوامل غير الديموغرافية كالحالة الاقتصادية والاتجاه الى تحديد أو تشجيع تعليم المرأة وتشغيلها لها دور

هام فى تحديد مدى اسهام الاناث طبقا لاختلاف حالاتهن المدنية فى قـوة العمل(١) ٠

أنماط التركيب الاقتصادى :

تعد أنماط التركيب الاقتصادى مكملة فى دراستها لتحليل حجم القوة العاملة واختلافاتها العمرية النوعية ، ويقصد بأنماط التركيب الاقتصادى للقوة العاملة تقسيمها الى فئاتها الرئيسية الثلاث وهى النشاط الاقتصادى Industry or Economic Activity والمهنة Occupation والحـالة العملية Employments status ٠

تصنيف النشاط الاقتصادى Industry or Economic Activity :

يعرف النشاط الاقتصادى بأنه المجال الذى يعمل فيه الفرد ـ أو هو النشاط الذى تمارسه المؤسسة أو المشروع ، ويبين توزيع مجـالات العمل المتنوعة فى المجتمع ، وقد حددت الامم المتحـدة (مكتب العمـل الدولى International Labour Office I.L.O., أنواع هـــذا النشـــاط فى تصـنيف خاص ـ يسمى «التقسيم الدولى الموحد للنشاط الاقتصادى أو التصنيف الصناعى International Standard Industerial classification واتبعتـه معظم دول العالم ومن بينها مصر ـ فى تعداد السكان ٠

ويبين هذا التصنيف عشرة مجموعات كبرى للنشاط بما فيها مجموعة «ليس لهم نشاط» ، أما المجموعات التسع الرئيسية :

صفر : الزراعة والغابات وصيد البر والبحر
١ : المناجم والمحاجر (النشاط الاستخراجى)
٢ : الصناعات التحويلية
٣ : التشييد والبنـاء
٤ : الكهرباء والغاز والمياه والخدمات الصحية
٥ : التجارة والبنوك والتأمين
٦ : النقل والمواصلات والتخزين
٧ : الخدمات
٨ : أنشطة غير واضحة

---

(١) راجع ذلك بالتفصيل فى المرجع السابق ـ صص ٥٩ ـ ٨١ ٠

وهناك تصنيف أعم من التصنيف السابق يجعل هذه الاقسام التسعة فى ثلاث مجموعات رئيسية كبرى هى :

١ ـ مجموعة الانشطة الاولية Primary Group :

وتشمل قطاع الزراعة والرى والغابات وصيد البر والبحر .

٢ ـ مجموعة الانشطة الثانوية Secondary Group :

وتشمل قطاع المناجم والمحاجر والصناعات التحويلية والبناء والتشييد

٣ ـ مجموعة الانشطة الثالثة Tertiary Group :

وتشمل القطاعات الاخرى ـ أى الكهرباء والغاز والمياه والتجارة والنقل والمواصلات والخدمات وغيرها .

ويمكن بسهولة فى ضوء هذه المجموعات الثلاث ـ مقارنة أوجه النشاط الاقتصادى فى أقاليم العالم المختلفة ، ذلك لان المجموعة الاولى تشمل كل فروع النشاط المرتبطة باستغلال الموارد الطبيعية الحيوية ، أما المجموعة الثانوية فتضم كل الانشطة التى تتمثل فى تحويل هذه الموارد للاستخدام أما المجموعة الثالثة فتشمل أنشطة خدمات متعددة ولاترتبط بانتاج السلع المادية ، وتبين الاهمية النسبية لهذه المجموعات الثلاث مستوى التنمية الاقتصادية فى العالم بصورة عامة .

التركيب المهنى Occupation :

فى محاولة لتحليل مكونات التركيب الاقتصادى ـ أو فرع منه ـ فانه يمكن تصنيف الفروع المختلفة المكونة له فيما يعرف بالتصنيف الاجتماعى المهنى Socio Professional والذى يهتم فقط بالحرفة ـ أى نوع العمل الذى يمارسه الفرد ـ فقد تتوزع الواحدة فى أكثر من نشاط اقتصادى ، ويتحدد التركيب المهنى فى عشر مجموعات هو الاخر على النحو التالى :

١ ـ أصحاب المهن الفنية والعلمية .

٢ ـ المديرون .

٣ ـ المشتغلون بالاعمال الكتابية .

٤ ـ المشتغلون بأعمال البيع .

٥ ـ المشتغلون بأعمال الزراعة والصيد وقطع الاشجار .

٦ ـ المشتغلون بالمناجم والمحاجر •

٧ ـ المشتغلون بالنقل والمواصلات •

٨ ـ أصحاب الحرف والصناع والعمال والفعلة ومن اليهم •

٩ ـ المشتغلون بالخدمات الرياضية والترفيهية وغيرها •

١٠ ـ عمال غير مصنفين فى حرف أخرى •

وغالبا ما تتحدد هذه المهن الرئيسية المذكورة للافراد الذين بلغوا من العمر ١٥ سنة فاكثر ، بعكس النشاط الاقتصادى الذى قد يتحدد بسن السادسة كحد أدنى ومن الطبيعى أن التركيب المهنى يتأثر بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية وغيرها سواء كانت مجتمعات زراعية أو صناعية •

الحالة العملية Employments Status :

ويقصد بها حالة الفرد فى العمل الذى يمارسه وهل هو صاحبه أو يعمل بأجر نقدى أو متعطل عن العمل وغير ذلك وتنقسم الحالة العملية للافراد الى سبع فئات رئيسية هى :

١ ـ صاحب عمل ويديره •

٢ ـ يعمل لحسابه ولا يستخدم أحدا •

٣ ـ يعمل بأجر نقدى •

٤ ـ يعمل لدى ذويه بدون أجر نقدى •

٥ ـ يعمل لدى الغير بدون أجر نقدى •

٦ ـ متعطل (قادر على العمل ويبحث عنه) •

٧ ـ غير قادر على العمل •

وقد يضاف أحيانا السكان الذين لايعملون ولايبحثون عن عمل ، ومن النتائج الهامة فى دراسة الحالة العملية تحديد خصائص هيكل العمالة وحساب معدلات التعطل سواء على مستوى أقاليم الدولة أو بين الدول المختلفة وهذه يمكن أن تكون مؤشرا هاما للكثير من الملامح الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية فى المجتمع مثل الحالة التعليمية والتركيب العمرى والنوعى وغير ذلك •

وكمثال على أنماط النشاط الاقتصادى والمجموعات الرئيسية للقوى العاملة نورد هنا مثالا لمصر حسب بيانات التعداد فى الفترة من ١٩٦٠ حتى ١٩٨٦ وذلك بالنسب الاتية (٪)(١) :

التصنيف العادى	المجموعات الكبرى	١٩٦٠	١٩٧٦	١٩٨٦
الزراعة والصيد	أولية	٥ر٥٧	٦ر٤٧	٦ر٣٧
المناجم والمحاجر الصناعات التحويلية التشييد والبناء	ثانوية	٤ر١١	٨ر١٧	٣ر١٩
الكهرباء والغاز والمياه التجارة النقل الخدمات	ثالثة	٦ر٢٩	٢٠ر٣٣	١ر٣٣
أنشطة أخرى		٥ر١	٨ر١	٧ر٦
الجملة		٠ر١٠٠	٠ر١٠٠	٠ر١٠٠

وتظهر بيانات التعداد لمعظم الدول هذه التقسيمات الثلاثة للتركيب الاقتصادى موزعة حسب العمر والنوع والحالة التعليمية ومن ثم يمكن استنتاج الكثير من الحقائق فى دراسة العلاقة بين المهن والمتغيرات المذكورة وكذلك خصائص العمالة العمرية والتعليمية وغير ذلك .

تطور مجموعات الانشطة الرئيسية :

أن المتتبع لتطور النشاط الاقتصادى فى الدول المختلفة يلمس تغيرا بارزا فى الاهمية النسبية لقطاعات هذا النشاط من تعداد لاخر فى فترة زمنية طويلة ، فعلى سبيل المثال ارتفعت نسبة العاملين فى المهن الصناعية فى كندا من ٢٨٪ سنة ١٩٢١ الى ٣ر٤٣٪ ١٩٦٢ ، وفى ألمانيا هبطت نسبة العاملين فى مهن المجموعة الاولية من ٢ر٢٣٪ سنة ١٩٥٠ الى ٨ر١٣٪ سنة ١٩٦٠ . وتظهر دراسة التطور على مدى زمنى طويل ظاهرات ثابتة محددة ، فهناك تناقص عام فى المجموعة الاولية وتزايد وتنوع فى المجموعة

(١) التعداد العام للسكان فى السنوات المذكورة .

الثانوية وتباين فى المجموعة الثالثة زيادة ونقصانا ، وتبين أرقام الجدول (٣٩) التباين فى الاهمية النسبية للمجموعات الثلاث فى دول مختارة .

جدول رقم (٣٩) النسبة المئوية للعاملين فى مجموعات الانشطة الرئيسية فى بعض الدول (حوالى ١٩٨٤)

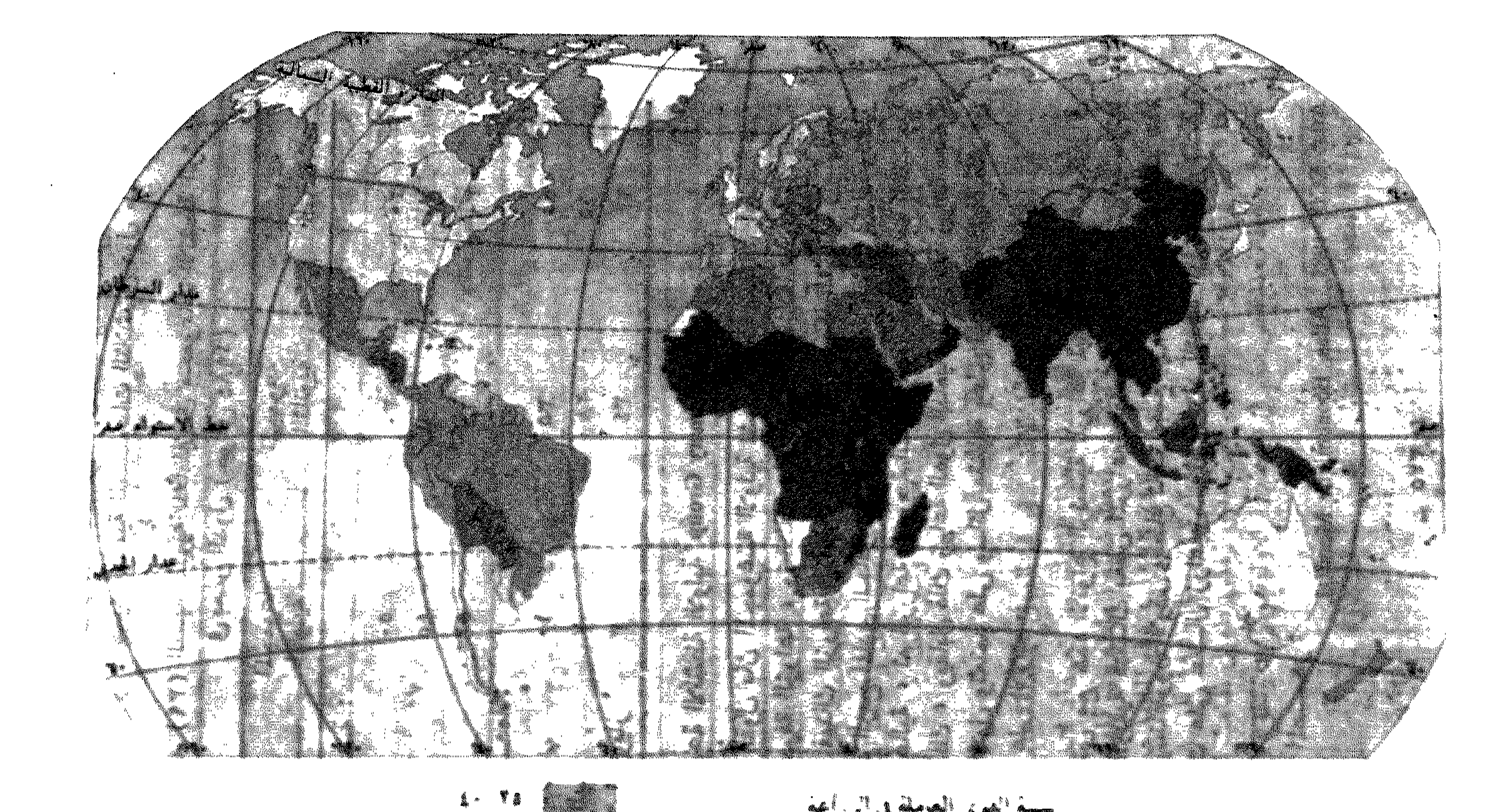
	المجموعة الاولية	المجموعة الثانوية	المجموعة الثالثة
دول نامية :			
مصر (*)	٥٠	٣٠	٢٠
غانا	٤٥	٨	٤٧
اندونيسيا	٥٢	١٨	٣٠
دول متقدمة :			
اليابان	١٠	٣٥	٥٥
استراليا	٧	٢٨	٦٥
انجلترا وويلز	٣	٣٤	٦٣

مجموعة الانشطة الاولية The Primary Group :

سبق القول بأن المجموعة الاولية تشمل أنشطة مختلفة أهمها على الاطلاق حرفة الزراعة ، وتختلف هذه الحرفة اختلافا جذريا من بيئة لأخرى ، فهناك الزراعة التجارية الواسعة فى أمريكا الشمالية واستراليا والتى يعد الربح المادى الحافز الرئيسى لها وتستخدم الآلات بكثافة وتتميز بانتاجية عالية ، ثم الزراعة الاوربية الكثيفة الالية أيضا وذات الانتاجية العالية كذلك ، ويقابل ذلك زراعة الدول النامية والتى تعد زراعة معاشية فى المقام الاول وتعتمد على وسائل متخلفة وعلى أيد عاملة كثيفة أكثر من اعتمادها على الآلات .

ويتمشى مع هذه الانواع الرئيسية للزراعة تباين اجتماعى كبير فى الحياة الريفية فهناك بعض المزراعين يملكون الارض التى يفلحونها وآخرون يستأجرون الارض وقطاع ثالث يجمع بين النظامين ـ وتعتمد هذه الزراعات على عمال زراعيين سواء أفراد الاسرة الواحدة أو عمال

(*) المصدر :
Atlas ECO, 1985., Atlas, Economique Mondial.



شكل رقم (٣٨)

مستخدمين بأجر مدفوع نقدى أو عينى ، وقد يكونوا دائمين أو موسميين، وليست هنـاك بيانات دقيقة لهـذه الانواع من العمالة الزراعيـة يمكن مقارنتها فى دول العالم ، وان كانت بيانات الامم المتحدة توضـح نسـبة العاملين فى الزراعة من جملة السكان بطريقـة عامة لاتمكن من المقـارنة الدقيقـة ٠

ولكن على العموم فان حوالى نصف القوة العاملة فى الدول النـامية يعمل فى الزراعة وتزداد هـذه النسبة فى الدول الافقـر لتقترب من ثلاثة أرباع العاملين أو أكثر (فى بورندى ٨٠٪ وبوركينا فاسو ٧٢٪ واثيـوبيا ٨٠٪ والصومال ٨٢٪) ٠

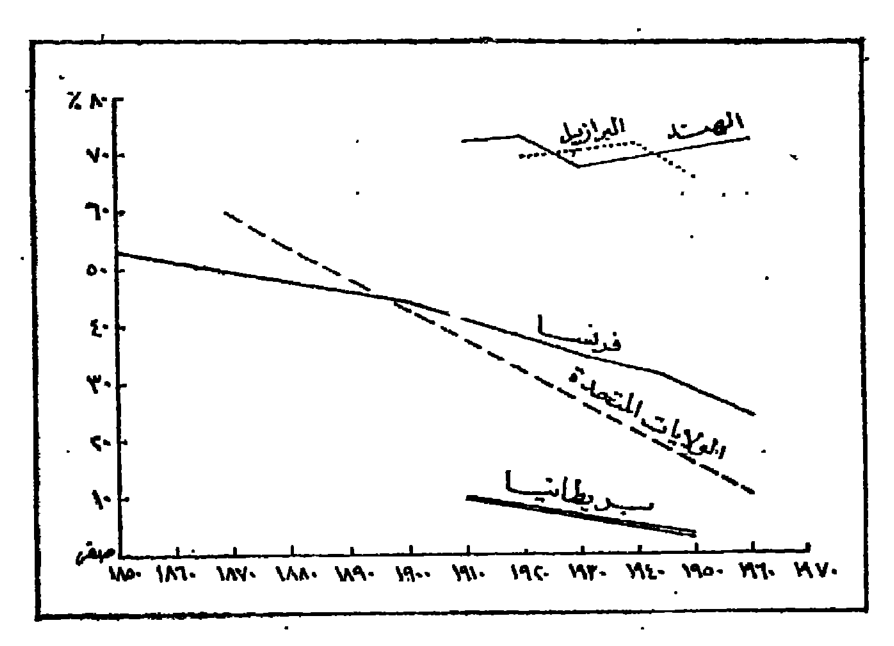
تدهور مجموعة الانشطة الاولية :

لما كانت المجموعة الاولية تشمل أنشطة حيوية غير متقدمة فى معظمها، فمن الطبيعى أن التقدم الاقتصادى سيؤدى الى تدهورها وقلة نسبةالعاملين بها ، ولكن لايعنى هذا الهبـوط فى النسبة تناقصـا بالضرورة فى أعـداد العاملين بالزراعة ذلك لان هناك دولا هبطت نسبة العاملين فى الانشـطة الاولية بها ولكن فى نفس الوقت شهدت تزايدا فى عدد العاملين بالزراعة، ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى تزايد أعداد العاملين فى قطاعات النشاط الثانوية والثالثة الاخرى ، ومن الطبيعى أن دول العالم تتباين فيما بينها فى اتجاه هبوط نسبة السكان العاملين فى الانشطة الاولية وذلك راجع الى ظروفها المحلية التى تؤثر فى ايقـاع المنحنى الاقتصادى بها ٠ ويمكن أن تساق بعض الامثلة هنا لتوضيح ذلك (انظر شكل ٣٩) ٠

وتعد المملكة المتحدة مثالا فريدا على الدول التى تدهورت فيها نسبة العاملين بالحرف الاولية بشكل واضح وقد نتج انخفـاض نسبة السـكان الزراعيين بها عن عوامل أبرزها علاقاتها التجارية الحرة وواردات الغذاء من أقاليم ما وراء البحار منذ وقت مبكر ، فمنذ ١٨٨١ تناقص عدد السكان الزراعيين سواء فى العـدد المطلق أو فى النسـبة ، التى أصبحت حاليـا منخفضة بشكل كبير حتى وصلت الى قرابة ٣٪ فقط من جملة السـكان العـاملين ٠

وفى معظم الدول الاخرى المتقدمة اقتصـاديا تزايدت أعداد السـكان الزراعيين حتى حوالى سنة ١٩٣٠ ثم بدأت فى التناقص ، بالرغم من أن نسبتهم الى جملة القوى العاملة تناقصت ببطء منذ حوالى نهاية القـرن الماضى أو فى أوائل القرن العشرين ثم بسرعة فى خلال العقدين أو الثلاثة

عقود الاخيرة ، وينطبق ذلك بوضوح على الولايات المتحدة والتى بلغت القوى العاملة الزراعية بها أقصاها فى سنة ١٩١٠ وفى كنـدا (حيث كان الحد الاقصى فى ١٩٣١) وفى الدول الاسكندنافية وألمانيا وايطاليا ، على أن هذه الدول لم تصل بعد الى مستوى واحد ، ففى كندا مثلا تصل نسبة السكان الزراعيين ٧٫١٪ من العاملين وتقل عن ذلك فى الولايات المتحـدة. بينما فى ايطاليا ماتزال النسبة نحو ثمن عدد العاملين فى النشاط الاقتصادى (١٢٫٤٪) .



شكل رقم (٣٩)
تطور نسبة العاملين فى مجموعة الانشطة الاولية فى بعض الدول

وقد شهدت بعض أقطار أوربا هبوطا مماثلا ففى فرنسا مثـلا حيث لايتزايد السكان الا بنسبة ضئيلة ، تناقص عدد العمال الزراعيين منذ سنة ١٩٢١ ولكن مع ذلك بقيت النسبة مرتفعة ، ففى تلك السنة كانت النسبة ٥٫٢٪ من القوى العاملة هبطت فى سنة ١٩٥٤ الى الربع ثم أقل من العشر سنة ١٩٨٥ .

أما الدول الشيوعية فان الهبوط فى نسبة العاملين فى الانشطة الاولية يكون مخططا ومنتظما من قبل الدولة ، ذلك لان من الضرورى احـداث تغييرات فى التركيب الاقتصادى ونمو الصناعـة والانشطة الثالثة ، وقـد

ساعد على ذلك عدة اجراءات من أبرزهـا الميكنة الزراعيـة التى تسمح بتحول عدد كبير من سكان الريف الى حرف أخرى غير زراعية ٠

أما فى الدول النـامية فان تطور الحرف الاولية يبـدو أقل ارتباطـا بالتطور الاقتصادى العام بها وان كانت بعض هذه الدول قد شهدت طفرة اقتصادية غيرت من نمط التنمية بها نتيجـة اكتشاف واستغـلال الثروات البترولية كما فى فنزويلا والعراق ٠ ففى فنزويلا فيما بين سنتى ١٩٤١ و١٩٤٠ هبطت نسبة السكان العاملين فى الزراعة من ٥١٪ الى ٤١٪ وكان معدل الخروج الريفى (الهجرة من الريف) فى هذه الدول أعلى من أى دولة أخرى فى أمريكا اللاتينية ، كما يعد واحدا من أعلى المعـدلات فى العالم ، وتتجه كل الاستثمارات تقريبا نحـو استخـراج الثروة المعدنية (البترول والحديد والمنجنيز) بينما لاتحظى الزراعة الا بنسبة ضئيلة من هذه الاستثمـارات (٤٪ فقط) ويعيش سكان الريف فى مسـتوى معيشى منخفض للغاية ٠

ويمكن اتخاذ البرازيل مثلا آخرا ، حيث تتزايد التنمية الاقتصادية بها باستمرار ، وحيث توجد أقاليم ومدن فى الجنوب تتميز بالثراء وارتفاع مستوى العيش بها مثل ساوباولو وريو دى جانيرو ومن ثم تجـذب أعدادا كبيرة من المهاجرين من المناطق الريفية بينما المراكز العمرانية الحضرية فى الشمال الشرقى عاجزة عن استيعاب المهاجرين اليها وعلى أى حال فقد هبطت نسبة العاملين فى الزراعة بالبرازيل بين عامى ١٩٤٠ ، ١٩٥٠ من ٦٤٪ الى ٥٨٪ رغم أن الاعداد المطلقة زادت تزايدا بطيئا ، وتصل هـذه النسبة الى ٣٠٪ سنة ١٩٨٥ ٠

أما الهند فهى فى موقف مختلف فقد تزايدت أعداد العاملين بالزراعة بها وكذلك نسبتهم الى جمـلة العـاملين ففى الفترة من ١٩٤١ ـ ١٩٥٩ استوعبت الزراعة ٧٠٪ من العمال الجدد الذين قـدر عددهم بنحـو ٢٠ مليون عامل وتوضح بيانات سنة ١٩٦٠ أن الزراعة مازالت تستوعب ٧٠٪ من جملة القوى العاملة فى الهند وهى نسبة أعلى بقليل عما كانت عليه فى بداية هذا القرن ، ولكنها انخفضت بعد ذلك لتصل الى ٦٣٪ سنة١٩٨٥ ٠

مجموعة الانشطة الثانوية The Secondary Group :

تشمل هذه المجموعة أنشطة متعددة تتفق فى انها تسهم فى انتاج السلع المادية ، فهى تضم الصناعات الاستخراجية والصناعات التحويلية والبناء والتشييد ويتباين التركيب المهنى فى هذه المجموعة بدرجة أكبر من مثيله

فى الزراعة فهناك فئة المديرين والفنيين والاداريين والعمال المهـرة وغير المهرة وغيرهم ٠

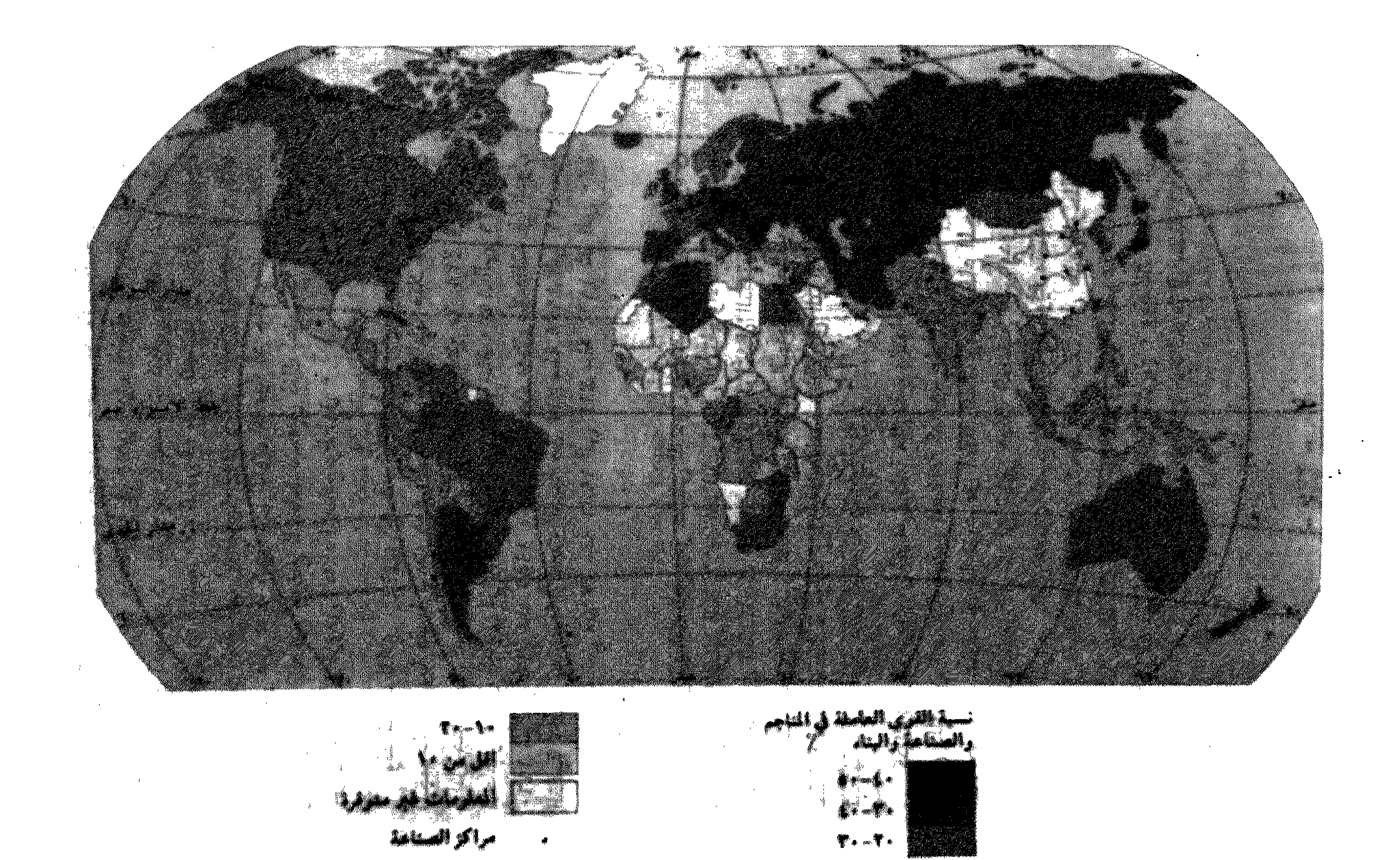
وتعد المجموعة الثانوية ضخمة ومتشعبة ، ذلك لانها ذات عـلاقات قوية بالمجموعة الاولية والمجموعة الثالثة خاصة التجارة أو النقـل وهما عصبا الانتاج الصناعى دون شك ، ولذلك فان الدراسة التفصيلية للمجموعة الثانية تتطلب بحث كل نوع من أنواع النشاط بها على حدة حتى يمـكن اجراء تقسيم أفقى للعاملين اليدويين وغير اليدويين مثلا أو عمال مهـرة وغير مهرة وهكذا ٠

وتحظى أنشطة المجموعة الثانوية باهمية كبرى فى اقتصاديات دول العالم ، وقد شهدا نموا كبيرا فى معظم الدول ارتبط بالتنمية الاقتصادية بها ولاريب فى أن موجة التصنيع التى تسود العالم تعد مظهرا هاما من مميزات العصر الحديث ٠

وقد بدأ النمو الصناعى منذ نهاية القرن السابع عشر فى أوربا وتطور بصـورة واضحة فى القرن التاسع عشر عقب الثـورة الصناعية التى كانت الآلة والفحم دعامتين رئيسيتين لها ، والواقع أن غرب أوربا كان مهد هذه الثورة حيث شهد اكتشافات واختراعات متعددة حتى ليمكن القـول بأن هذا الاقليم كان معمل العالم الحديث World Laboratory الذى خرجت منه أساليب النهضةالتى شهدتها الصناعات التحويلية فى بقية أقاليم العالم٠

وقد اتجهت حركة التصنيع من غرب أوربا الى الولايات المتحدة،والى جيوب منعزلة فى بقية أوربا وفى روسيا ، وفى هذه الاقطار الرائدة كانت المجموعة الثانوية من النشاط الاقتصادى ذات أهمية بارزة فى بداية القرن العشرين حتى وصلت الى ٤٥٪ فى سويسرة وبلجيـكا و ٤١٪ فى المملـكة المتحدة و ٤٠٪ فى المانيا و ٣٠٪ فى الولايات المتحـدة و ٢٩٪ فى فرنسـا وكندا و ٢٦٪ فى استراليـا ولـكن مازالت هذه النسبة منخفضة فى الدول النامية على وجه العموم اذا ماقورنت بالدول المتقدمة كما يبدو من الشكل رقم (٤٠)

ومن الصعب كما هو معروف ــ أن تظل التنمية الاقتصـادية فى دول معينة أسيرة حدودها السياسية ، فالصناعات التحويلية الضخمة تحتـاج موارد أولية وخاصة موارد الثروة المعدنية التى ترد اليها من الخارج،ومن ناحية أخرى فان الدول الصناعية الغنية تستثمر جزءا من فائض أموالها



شكل رقم (٤٠)

نسبة العاملين بالصناعة فى دول العالم

فى الدول الاجنبية ومثال ذلك أن مصانع السيارات الاوربية الكبرى لها فروع لصناعة السيارات وتجميعها فى بعض دول الشرق الاوسط وأمريكا اللاتينية ولذلك فقد ظهرت خارج أوربا صناعات تنافس مثيلتها الاوربية، وشجع على تطور هذه الصناعات الظروف التى شهدتها أوربا فى الحربين العالميتين والتى أدت الى اخلال جذرى بنظم الانتاج والتجارة ، وفى الوقت الحاضر فان عددا كبيرا من الدول النامية قد حصل على استقلاله وأخذ بناصية التصنيع ووضع الخطط لتحقيق ذلك اعتمادا على رؤوس أموال أجنبية أو قروض لانشاء المصانع والطرق .

وقد شهد الكثير من دول العالم تزايدا فى نسبة العاملين بأنشطة المجموعة الثانوية فقد ارتفعت هذه النسبة فى استراليا مثلا من ٢٦٪ فى أوائل هذا القرن الى ٣٢٪ فى سنة ١٩٣٢ والى أكثر من ٢٨٪ فى الوقت الحاضر ، وفى اليابان تزايدت النسبة من ٢٢٪ سنة ١٩٥٠ الى ٢٩٪ سنة ١٩٦٠ ثم الى ٣٥٪ سنة ١٩٨٥ . ونفس الاتجاه يمكن ملاحظته فى الدول النامية ، ففى كولومبيا ارتفعت النسبة من ١٣٪ سنة ١٩٣٨ الى ٢١٪ سنة ١٩٨٥ وفى باكستان من ٧٪ سنة ١٩٥١ الى ١٣٪ سنة ١٩٦١ ثم الى ٢٠٪ سنة ١٩٨٥ .

ولا شك فى أن التصنيع رمز حقيقى للتحول الاقتصادى ولايبدو أثره فى زيادة الدخل القومى فقط بل بتزايد القدرة على الانتاج والاستهلاك معا ، وغالبا ماتكون الصناعات الثقيلة هى أولى مراحل التصنيع كأساس للصناعات الاخرى ، وأبرز الامثلة انشاء مصانع الحديد والصلب كما فى حلوان مصر ومنطقة فولتا ريدندا **Volta Redonda** فى البرازيل ، وقد تبعتها دول أخرى مثل المكسيك وشيلى وبيرو .

كذلك فمن المعروف أن انشاء صناعة ما يعقبه بالتداعى انشاء صناعات أخرى ذلك لان الصناعة تجذب الصناعة كقاعدة عامة ويؤدى ذلك بدوره الى جذب أيد عاملة جديدة تزيد من أعداد العاملين فى قطاع المجموعة الثانوية بيد أنه ينبغى ادراك أن تطور عملية التصنيع ليس بدون حدود فبعد الوصول الى مستوى معين تصبح المجموعة الثانوية متشبعة تماما ومن المحتمل أن دولة مثل المملكة المتحدة قد وصلت الى هذه المرحلة ، ذلك لان ٤٣٪ من جملة القوى العاملة بها كان فى هذه المجموعة سنة ١٩١١ ولم يحدث الا تزايد ضئيل للغاية منذ ذلك التاريخ ، ووصلت النسبة الى ٤٧٪ سنة ١٩٣١ و ٤٦٪ سنة ١٩٥١ ثم ٤٧٪ مرة أخرى فى سنة ١٩٦١ ووصلت سنة ١٩٨٥ الى ٣٤٪ .

ومن المسلم به أيضا أنه كلما تزايدت أعداد العاملين فى مهن المجموعة الثانوية فان ذلك يتبعه تغيرات فى خصائص هذه المهن فتقوم الصناعات الاستخراجية فى البداية معتمدة على استغلال موارد الثروة المعدنية التى تتباين نسبتها معتمدة على الموارد المتاحة فى القطر والفئة الثانية فى هذه المجموعة هى الصناعات الغذائية التى تنمو بسرعة يساعدها فى ذلك تزايد انتاج المواد الاولية والاستهلاك ثم صناعة الغزل والنسيج التى قد تقوم لسد الحاجة المحلية أو التصدير ٠

واذا تتبعنا النمو الصناعى فى دولة ما نلاحظ أنه يبدأ بصناعات بسيطة ثم ما تلبث أن تعقبها صناعات أخرى متقدمة بما فيها الصناعات الثقيلة ويصدق ذلك على الدول المتقدمة والدول النامية ـ وكذلك على الدول الشيوعية ٠ وغالبا ما تتطور الصناعات القائمة وتتسع ويزداد تعقيدها، ففى الصناعات الغذائية مثلا تلمس مظاهر حديثة مثل التجميد العميق والهدرجة Hydration وغير ذلك وتكون النتيجة فى النهاية تنوع كبير فى عناصر حرف المجموعة الثانوية مع اختلافات بارزة من قطر لاخر فى الاهمية النسبية لهذه العناصر ٠

مجموعة الانشطة الثالثة Tertiary Group :

تعد هذه المجموعة أكثر تعقيدا من المجموعتين السابقتين ، ولذا فان تحليل بياناتها كما وردت فى التعداد يتطلب حذرا كبيرا ، وهى تشمل كل الانشطة التى لاتسهم فى انتاج السلع المادية ومن ثم يدخل فى عدادها النقل والتجارة وأعمال البنوك والتامين والخدمات العامة والخاصة ويبدو بوضوح أن أعمال البنوك من ناحية والخدمات الشخصية الخاصة من ناحية أخرى على طرفى نقيض ، فالاول تعبير عن تنظيم مالى اجتماعى دقيق يؤثر بعمق فى الشئون القومية بينما الثانى مهنة أولية للغاية توجد حتى فى أكثر الشعوب تخلفا ٠

ويعد التعليم ذا أثر بالغ فى تركيب أنشطة المجموعة الثالثة ، ومن ثم يبدو الفارق كبيرا بين الحرف التى تضمها،فهناك بعض المهن التى تتطلب مستوى تعليميا عاليا نتيجة دراسة تبلغ ١٦ سنة ثلثها فى التعليم الجامعى مثلا ومهن أخرى خاصة الخدمات الشخصية لاتتطلب شهادات دراسية على الاطلاق ٠ ويبدو الفارق واضحا فى الدول النامية حيث يتطلب اعداد الطبيب أو رجل القانون أو المعلم أو المهندس مدة تتراوح بين ١٥ الى ٢٠ سنة فى الدراسة بينما الخادم المنزلى مثلا قد يكون قادما لتوه من مناطق متخلفة ولايقدر على القراءة والكتابة ٠

وتتطلب مقارنة مهن المجموعة الثالثة تصنيفها حسب نوعياتها كما هى الحال فى المجموعتين الاولية والثانوية من حيث المستوى المهنى مثل العمال اليدويين الذين يعرفون فى الولايات المتحدة مثلا بأصحاب الياقات الزرقاء Blue Collar Workers تمييزا لهم عن أصحاب المهن غير اليدوية الذين يعرفون بأصحاب الياقات البيضاء White Collar Workers وتتفاوت نسبتهم المئوية تفاوتا كبيرا من فرع لاخر من فروع الانشطة التى تضمها المجموعة ٠

وباستثناء المهن البدائية فى المجموعة الثالثة مثل الخدمات الشخصية أو بعض أنواع التجارة خاصة تجارة التجزئة فان هذه المجموعة تشمل مهنا متطورة متمثلة فى أعمال البنوك والتأمين والتجارة الحديثة خاصة تجارة الجملة ، وقد تزايدت أهمية هذه المهن فى السنين الاخيرة تطورا كبيرا وتشعبت الى فروع كثيرة ٠

وقد تميزت أنشطة هذه المجموعة بالتطور فى نواح ثلاث هى :

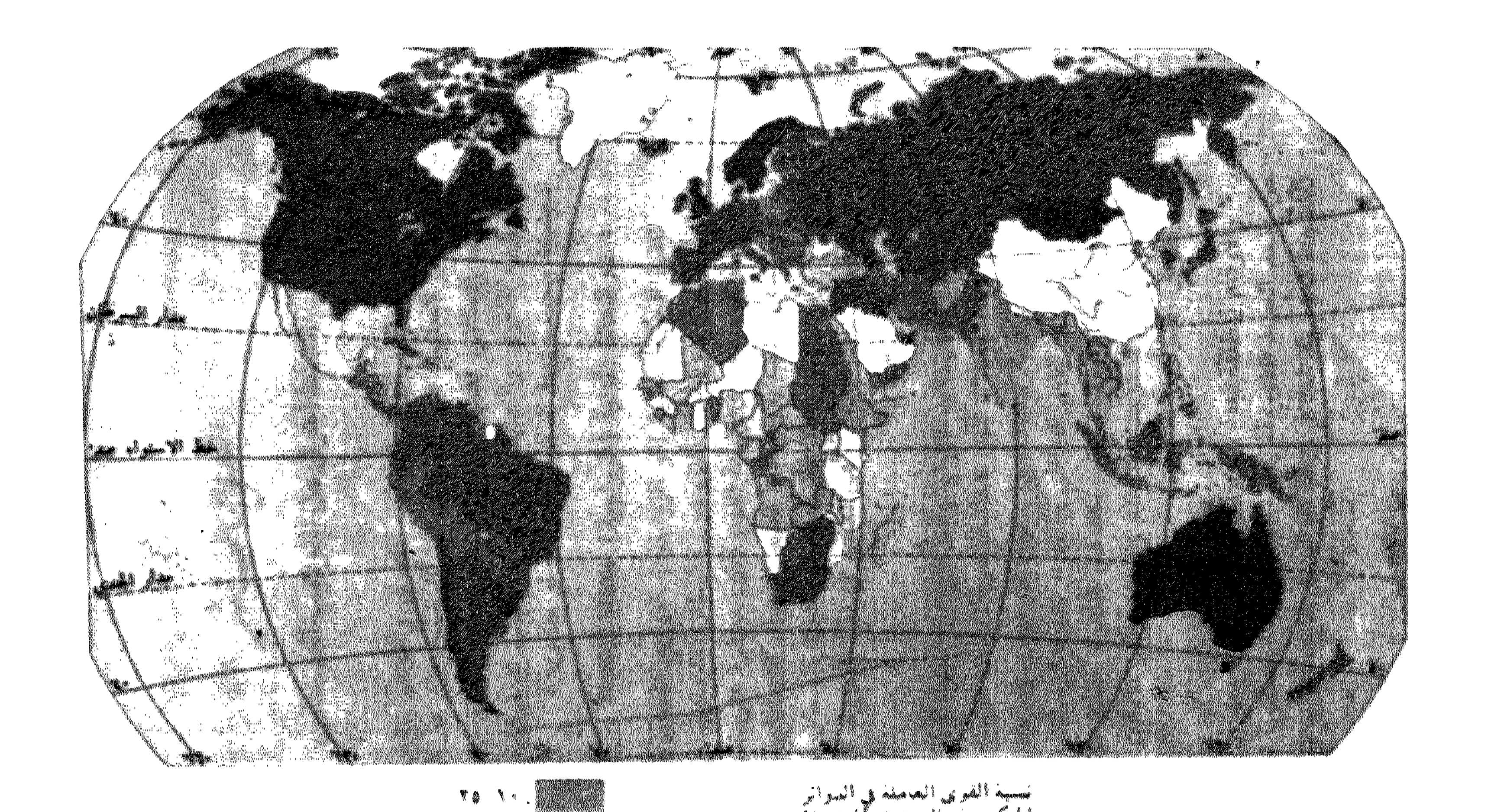
أ ـ التحسن فى الخدمات الاساسية للنقل والامدادات بالمياه والكهرباء والتى تسمح بتطور الصناعة وتنمية الموارد واستغلالها ٠

ب ـ التقدم فى التجارة وأعمال البنوك استجابة للتطور فى الانتاج والاستهلاك والعرض والطلب مع استمرار ارتفاع مستويات المعيشة ٠

ج ـ توسيع نطاق الخدمات العامة وذلك نتيجة لجهود الحكومات لتحقيق الرفاهية لمواطنيها ٠

وبمقارنة نسبة العاملين فى حرف المجموعة الثالثة فانه يمكن تحديد مدى التقدم والتخلف فى دول العالم شكل رقم (٤١) وتملك الولايات المتحدة أعلى نسبة فى هذا المجال حيث يعمل قرابة ٦٨٪ من جملة القوى العاملة بها فى قطاع المجموعة الثالثة ولاول مرة فى تاريخ الاحصاءات الاقتصادية لأية دولة يمثل العاملون فى مهن غير انتاجية أكثر من ٥٠٪ من السكان العاملين ، ويعكس ذلك مباشرة الاهمية الكبرى للاعمال الادارية والاشرافية والتجارية التى تتمثل فى هذه الدولة وكذلك اوصول الحياة الاقتصادية بها الى مرحلة آلية معقدة تستوعب أعدادا كبيرة من العاملين٠

وفى الدول المتقدمة الاخرى تهبط نسبة العاملين فى مهن المجموعة الثالثة عن نسبة الولايات المتحدة ، فقد بلغت ٦٣٪ فى بريطانيا و ٥٧٪ فى فرنسا و٥٥٪ فى اليابان وتنخفض فى الدول النامية لتصل الى ٣٠٪ فى أندونيسيا و ٤١٪ فى جنوب افريقيا ٠



شكل رقم (٤١)

نسبة العاملين فى الأنشطة الثالثة فى العالم

الفصل الثالث عشر

أنماط أخرى من التركيب السكانى

بالاضافة الى أنماط التركيب العمرى والنوعى والتركيب الاقتصادى التى سبق الحديث عنها فى الفصلين السابقين فان هنـاك أنماطا أخرى للتركيب السكانى أهمها تركيب السكان حسب الحالة المدنية (الزواجية) والتركيب اللغوى والتعليمى والتركيب الدينى ثم تركيب السكان حسب الجنسية وحسب نمط السكن ريفيا كان أو حضريا ٠

١ ـ الحالة المدنية (الزواجية) Marital Status :

تعنى الحالة المدنية (أو الزواجية) التوزيع النسبى للسكان الذين لم يسبق لهم الزواج والسكان المتزوجون والسكان المترملون ثم السكان المطلقون ويؤثر التركيب العمرى ونسبة النوع تأثيرا مباشرا على نسب السكان الذين تضمهم هذه الفئات الاربع كما تسهم الاحوال الاجتماعية والاقتصادية فى تحديدها واتجاهها ولذلك فان الحـالة المدنية للسـكان ليست ثابتة على الاطـلاق بل دائمة التغير وهى تعكس فى ذلك ظـروف المجتمع السـائدة اقتصاديا واجتماعيا ٠

ودراسـة معـدلات الزواج والطـلاق لها أهمية كـبرى فى التحليـل الديموغرافى ، وكذلك التوزيعات النسبية لحالات الزواج حسب الاعمـار حيث يرتبط ذلك ارتباطا كبيرا بأعداد المواليد سنويا وما ينتج عنهـا من نتائج مباشرة فى النمو السكانى وللاعباء الاقتصادية التى يلتزم المجتمـع بتوفيرها لسكانه ، والى جانب ذلك فان ظاهرة الطلاق تعد من الظاهرات الاجتماعية التى تستوجب التحديد والحصر بقدر الامكان لما لها من نتائج على أحوال السكان ٠

والارقام المطلقة لعدد عقود الزواج التى تتم سنويا لهادلالتها فى التعبير عن حجم العبء الذى يقع على عـاتق الاسكان سـنويا ، كمـا أن الاسر المستجدة تسهم بلا شك فى زيادة المواليد فى الامد القريب وتتزايد تبعا لذلك

الاعباء على قطاعات الخدمات المختلفة كالصحة والتعليم والمواصلات والتموين وغير ذلك ·

وتنقسم الحالة المدنية ـ كما سبق القول ـ الى الاقسام التالية :

أ ـ السكان الذين لم يسبق لهم الزواج :

ويمكن تقسيم هذه الفئة بدورها الى مجموعتين : الاشخاص الذين يقل عمرهم عن السن القانونية ثم فئة الاشخاص الذين بلغوا السن القانونية أو تعدوها ولكن لم يتزوجوا بعد ، وتتباين أعداد السكان فى كلتا المجموعتين فى دول العالم تباينا كبيرا تبعا للظروف الاجتماعية والعادات والدين والاحوال الاقتصادية ·

وتوضح التعدادات السكانية لكثير من البلاد ـ ومصر من بينها ـ توزيع هذه الفئة عمريا ونوعيا للسكان الذين تعدوا السن القانونية للزواج،وتعد دراسة هذا التوزيع هامة فى بحوث السكان للاعتماد عليها كمؤشرات للتغير الاجتماعى للسكان على مدى فترة زمنية معقولة ·

ب ـ السكان المتزوجون :

الزواج ـ ظاهرة شرعية قانونية وليس ظاهرة حيوية مثل المواليد والوفيات ، ولذلك فان مقارنته على مستوى الدول تعترضها مشكلة التباين فى الانظمة المحددة له ذلك لان هناك ثلاثة أنواع من الزواج :

١ ـ الزواج الاحادى **Monogamy** وهو زواج رجل واحد بامرأة واحدة ·

٢ ـ تعدد الزوجات **Polygyny** وهو زواج رجل واحد بامرأتين أو أكثر ·

٣ ـ تعدد الازواج **Polendry** وهو زواج امرأة واحدة برجلين أو أكثر ·

والنوعان الاخيران شكلان يضمهما تعدد الزوجات أو الازواج والذى يعرف بنظام الزواج المتعدد **Polygany** وقد يكون لهذه الاشكال من الزواج تاثير عميق على خصوبة ونمو السكان وغنى عن القول بأن بياناتها الديموغرافية غير متوفرة ·

والزواج الاحادى أكثر أشكال الزواج شيوعا فى العالم ، وينبغى القول

بأن هذا النوع من الزواج السائد حاليا فى العالم الغربى يعد حديثا نسبيا ذلك لان تعدد الزوجات كان مسموحا به قانونا بواسطة الكنيسة والدولة حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادى(١) أما تعدد الزوجات فيسود فى العالم الاسلامى ولكن بنسب متفاوتة من دولة لاخرى وقد ساعد على انتشاره عند بعض الجماعات الافريقية انخفاض نسبة النوع بشكل غير طبيعى نتيجة تجارة الرقيق من قبل أو بسبب ارتفاع نسبة وفيات الذكور كما هى الحال عند قبائل الباغندا Paganda فى أوغنده ، وقد سبق القول بأن بعض الدراسات أظهرت أن تعدد الزوجات له تأثير فى خفض الخصوبة بالمقارنة مع الزواج الاحادى وكان ذلك من أسباب انخفاض الخصوبة نسبيا فى أفريقيا الزنجية عن مثيلتها من المناطق النامية الاخرى .

أما تعدد الازواج فهو شكل نادر من أشكال الزواج ويسود فى بعض المناطق القليلة جدا فى العالم وفى ظروف اجتماعية محددة وغالبا مايرتبط بوجود ظاهرة وأد البنات Female infanticide ، وقد يكون سائدا بين الاخوة Fraternal أو الاغراب ففى الحالة الاولى يتزوج اثنان أو أكثر من الاخوة بزوجة واحدة كما هى الحال بين قبائل التودا Todas فى جنوب الهند ، أما الحالة الثانية فيتزوج رجلان أو أكثر من غير الاقارب بزوجة واحدة(٢) .

ويتفاوت عدد حالات الزواج التى تتم فى المجتمع من سنة لاخرى حسب عدد السكان الذين وصلوا السن القانونية للزواج من ناحية ، والظروف الاقتصادية والسياسية بل والنفسية من ناحية أخرى كذلك فان عدد حالات الزواج التى تتم فى سنة ما تتأثر بالعدد الذى تم فى السنة السابقة ولذلك فان من الافضل عند دراسة الحالة الزواجية أن يكون ذلك لفترة طويلة نسبيا كأن ندرس الزواج لجيل من السكان على مدى ثلاثين عاما مثلا .

وتعد معدلات الزواج على قدر غير قليل من الاهمية لقياس مدى التغيرات التى تطرأ على المجتمع ، والطريقتان الشائعتان للحصول على هذه المعدلات هما :

١ - قسمة عدد حالات الزواج فى سنة معينة على جملة السكان فى منتصف السنة مضروبا فى ألف ويعرف حينذاك بمعدل الزواج الخام .

---

(1) Clarke, J., Population Geography, Op. Cit. p. 77.

(2) Ibid., p. 78.

٢ ـ قسمة عدد حالات الزواج فى سنة معينة على جملة عدد السكان الذين فى سن الزواج حسب السن أو النوع مضروبا فى ألف • ويسمى حينئذ بمعدل الزواج العمرى النوعى •

وبالرغم من أهمية المعدل الاول فى دراسة اتجاه الزواج عموما على مستوى القطر او الاقاليم فان أهمية المعدل الثانى تبدو فى دراسة الفوارق النوعية فى هذا الصدد ، والتغيرات العمرية فى الزواج والتى ترتبط بمتوسط السن عند الزواج mean age at marriage سواء للاناث أو الذكور ويعد ارتفاع السن عند الزواج من المؤشرات الهامة فى دراسة السكان المتزوجين حيث يرتبط بمدى التغير فى الحالة الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية للسكان ، وعلى سبيل المثال تشير بيانات التعدادات المصرية ان العمر الوسيط عند الزواج قد ارتفع من ٢٤ر٢ سنة فى عام ١٩٤٧ الى ٢٥ر٩ سنة ١٩٦٠ للذكور ومن ١٨ر٦ سنة الى ١٩ر٨ سنة للاناث فى نفس العامين على الترتيب ، ومن المرجح أنه تزايد فى السنوات الاخيرة أيضا ويتمشى هذا الاتجاه مع التطور الاجتماعى الذى تمر به البلاد وماصاحبه من تزايد فى تعليم الفتيات الى مراحل متقدمة وازدياد اسهام المرأة فى العمالة بأنشطتها المتعددة •

ومن الحقائق الهامة فى العلاقة بين الحالة الزواجية والخصوبة أن الفترة التى تقضيها المرأة فى علاقة زواجية فيما بين سن ١٥ ــ ٥٠ سنة تؤثر تأثيرا مباشرا على الخصوبة وذلك لان الزواج المبكر يؤدى الى تزايد المدى الانجابى للمرأة وبالتالى تزايد احتمالات الحمل والانجاب مما يؤدى الى ارتفاع معدل المواليد ، وقد سبق ملاحظة ذلك فى الحديث عن مؤشرات الخصوبة فى الدول النامية •

حـ ــ السكان المترملون :

الترمل ظاهرة ترتبط بعامل الوفاة ولذلك فان انخفاض معدلات الوفاة يؤدى بالتالى الى انخفاض معدلات الترمل فى الفئات العمرية المختلفة ومن الحقائق الديموغرافية الثابتة ارتفاع نسبة المترملات الاناث عن نسبة المترملين الذكور فى المجتمع وهذه ظاهرة ترتبط بعدة أسباب منها أن توقع الحياة للاناث أعلى من مثيله للذكور ، كذلك فان الذكور غالبا ما يتزوجون فى أعمار متقدمة عن الاناث اللائى يتزوجن مبكرا فى الغالب كما أن المترملين الذكور يتزوجون مرة أخرى بنسبة أعلى من المترملات •

د ــ السكان المطلقون :

يعد الطلاق من الظاهرات الاجتماعية الهامة التى تؤثر فى التركيب

الديموغرافى للسكان لانه يؤدى الى توقف الحيــاة الزواجية وفصم عــرى الاسرة ولذلك فان الخصوبة السـكانية قد تقل عــادة فى المجتمعات التى يرتفع فيها معدل الطلاق خاصة اذا كانت الفترة التى تقضيها المطلقة بين طلاقها وزواجها مرة ثانية ـ فترة طويلة ٠

ويمكن حساب معدل الطلاق بطريقتين ـ مثل حساب معـدل الزواج وهما حساب عدد حالات الطلاق لكل ١٠٠٠ من الســكان فى سنة معينــة ويعرف حينذاك بالمعدل الخام ـ أو حساب عدد حالات الطلاق لكل ١٠٠٠ من السكان فى سن الزواج لكل من الذكور والاناث فى فئات السن المختلفة ويعرف بالمعدل العمرى النوعى ٠

ويرتبط الطلاق بعدة عوامل أبرزها العوامل الدينية والتشريعية التى تؤثر فيه تاثيرا واضحا ، ولذلك فانه من الصعب مقارنته على مستوى دول العالم ومن ثم قد تنحصر دراسته فى الدول ذات النظم الدينية المتشابهــة كما يمكن مقارنة معدلات الطلاق فى أقاليم الدولة الواحــدة على امتداد فترة زمنية طويلة ، ففى مصر مثلا تشير الاحصاءات الى اتجاه معـدلات الطلاق نحو الهبوط ، فقد كان متوسط هذه المعـدلات فى خلال الســنوات (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) حوالى ٤ر٢ فى الالف من السكان ثم أخذ بعد ذلك فى الهبوط التدريجى حتى بلغ ٣ر٢ فى الالف عام ١٩٥٢ ثم الى ٢ر٢ فىالالف فى الفترة من ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ ٠

وتتفاوت نسب السكان حسب أقســام الحالة المدنية الاربعــة السابق ذكرها وغالبا ما يكون الســكان المتزوجون أعلى نسبة بين السكان فى سن الزواج يليهم الذين لم يسبق لهم الزواج فالارامل والمطلقون ، وتزداد نسبة المترملات بشكل واضح عن نسبة المترملين كما سبق القول ـ كذلك فــان نسبة الذكور الذين لم يسبق لهم الزواج تتفوق فى الغالب على نسبة الاناث فى هذه الفئة ويرتبط ذلك بتباين متوسط السن عند الزواج لكلا النوعين ، و توضح الارقام التالية الاهمية النسبية للاقسام الاربعة للحالة المدنية للسكان فى مصر منذ تعداد سنة ١٩٦٠ (٪)(١) ٠

٢ ـ التركيب اللغــــوى Linguistic Composition :

يعد التركيب اللغوى هاما فى الدول التى تتعدد بها اللغات ، فهنــاك

---

(١) المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ التعـداد العام للسكان والاسكان ١٩٨٦ ـ النتائج الاولية ـ ابريل ١٩٨٧ ـ ص١٧ ٠

الحالة المدنية	النوع	١٩٦٠	١٩٧٦	١٩٨٦
لم يسبق له الزواج	ذكور	٢٤ر٤	٣٠ر٥	٣٢ر١
	اناث	١٢ر٢	٢١ر٣	٢٠ر٠
	جملة	١٨ر٠	٢٥ر٨	٢٥ر٩
متزوج	ذكور	٧٢ر٤	٦٧ر٢	٦٥ر٩
	اناث	٦٨ر٢	٦٣ر٠	٦٥ر٨
	جملة	٧٠ر٢	٦٥ر٠	٦٦ر٠
مطلقون وأرامل	ذكور	٣ر٢	٢ر٣	٢ر٠
	اناث	١٩ر٦	١٥ر٧	١٤ر١
	جملة	١١ر٨	٩ر٢	٨ر١
الجملة		١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

أقطار كثيرة فى العالم بها لغات متعددة لمجموعات سكانية متفاوتة فى أهميتها العددية ويذكر الكتاب السنوى الديموغرافى لعام ١٩٥٦ ثلاثة طرز من البيانات عن اللغات الواردة فى الجدول التى يتضمنها والتى تشملها معظم التعدادات السكانية وهى :

أ ـ اللغة الاصلية mother tongue ويقصد بها اللغة التى يتحدث بها الشخص فى موطنه فى طفولته المبكرة ٠

ب ـ اللغة التى يجرى الحديث بهـا فى الوقت الراهن أو عـادة فى الموطن ٠

جـ ـ المعرفة بلغة أو بلغات معينة ٠

والنوع الاول هو الذى يستخدم فى الغالب فى المقارنة بين المجموعات السكانية حسب لغاتها المختلفة أما النوعان الثانى والثالث فتكتنفه صعاب فى مثل هذه المقارنة ، الا أن قيمتها تبدو فى الدراسات الخاصة بتكيف المهاجرين مع المجتمعات الجديدة ذات اللغات المختلفة الاصلية ٠

ويختلف سكان العالم اختلافا كبيرا من حيث اللغات التى يتكلمون بها والتى يربو عددها على ٢٨٠٠ لغة يحوى الكثير منها لهجات ومقاطع متعددة وينتمى كثير من اللغات الى مجموعة أو عائلة لغوية واحدة ذات أصول مشتركة مثل مجموعة اللغات الهندوأوربية واللغات السامية والدرافيدية والملايو ـ بولينيزية ، وبعض المجموعات اللغوية يتحدث به مئات الملايين من السكان بينما البعض الاخر لايتحدث به الا بضعة آلاف فقط ٠ (شكل رقم ٤٢)

اللغات الرئيسية في العالم

العربية
الصينية
الألمانية
الإنكليزية
الفرنسية
الهندية
الروسية
البرتغالية
الأسبانية
الإيطالية
الهولندية
لغات أخرى

شكل رقم (٤٢) توزيع اللغات الرئيسية فى العالم

وتعد مجموعة اللغات الهندوأوربية Indo - Furopean family من أكثر المجموعات التى يتحدث بها البشر حيث يقدر عدد المتحدثين بها قـرابة ٢٠٠٠ مليون نسمة وهى تنقسم الى تسعة فروع هى :

أ ـ الجرمانية Germanic : وتشمل اللغـات الانجليزية والالمانيـة والهولندية والفلمنكية والاسكندنافية ٠

ب ـ الرومانسية Romance أو اللاتينيـة Latin وتشمل الفرنسـية والاسبانية والبرتغالية والغاليسية والقطالانية والرومانية ٠

جـ ـ السلتية Celtic : وتشمـل الغـالية والايرلندية والاسـكتلندية والويلزية والبريتانية ٠

د ـ السلافية Slavonic : وتشمل الروسية والبولنـدية والتشـيكية والسلوفاكية والصرب والكروات والبلغارية ٠

هـ ـ البلطية Baltic : وتشمل الليتوانية والليتية ٠

و ـ اليـونانية ٠

ز ـ الالبـانية ٠

ح ـ الارمينية ٠

ط ـ الهندوآرية وتشمل الفارسية والكردية وكثير من اللغات الحديثة فى الهنـد ٠

وقد ساعدت العوامل الجغرافية مثل العزلة والحواجز الطبيعية على تكوين اللغات فى الفترات القديمة حيث كانت المسافات والعوائق الطبيعية مثل المحيطات والجبال والغابات والصحارى عاملا حد من امتداد هـذه اللغات وانتشارها وتأثرها باللغات الاخرى ، ومن ثم ساعد على تكوينها المبكر للجماعات فى البيئات الاصلية ، وما أن انتشرت اللغات حتى بدأت تتغير فى المناطق الجديدة وتتداخل معها لغات أخرى ولعل فى العربية مثال على ذلك فقد اعتراهـا تغيـير متزايد فى المناطق التى تبعـد عن الموطن الاصلى فى قلب العالم العـربى ولقد ساعدت التجـارة على انتشار بعض اللغات مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية والعربية والصينية فى مناطق كثيرة من العالم بالرغم من تطور بعض اللغات التجارية فى بعض الاقاليم مثل السواحيلى فى شرق أفريقيا ٠

وقد أسهمت البعثات التبشيرية والمهاجرون والغـزاة والمستعمرون فى ادخال لغاتهم الى الاقاليم التى اتجهـوا اليها ، ولـكن من الملاحـظ أن المهاجرين الذين لا يهاجرون فى مجموعات كبيرة غالبا ما تستوعبهم لغـة المهجر الجديد ، ولكن من ناحية أخرى فان الهجـرات الجماعية خاصة هجرات البدو كانت من القوة بحيث ساعدت على نشر لغاتهم الاصلية مثل مجموعة لغات الاورال ــ الالتاى The Ural - Altaic والتى نشأت أصلا فى استبس وسط آسيا ويمتد نفـوذها الان بعيدا نحـو الشمال الاوربى (اللغة الفنلندية مثلا) وكذلك العائلة الساميا Semitic فى شمال أفريقيا وجنوب غرب آسيا ، والعائلة الحامية Hamitic فى شمال وشرق أفريقيا ، والعائلة الملاوية البولينيزية Malayo Polyneasian فى أرخبيل جزر الهنـد الشرقيـة ومدغشقر ونيوزيلندا والفلبين ٠

ومن المعروف أن اللغة أساس قيام الحضارة حيث تكون مصدرا للشعور الوطنى المشترك ، والوحـدة الثقافية تكون أقوى بكثـير من الجنس أو السلالة فى المشاعر القومية،ولآشك أن وجود مجموعات تتكلم لغات مختلفة داخل البلد الواحد لايخلق الكثير من المشكلات السياسية فحسب بل يؤدى الى مشكلات اجتماعية واقتصادية قد تحدث الانقسام فى حياة الشعب ٠

وقد تأثر النمط اللغوى فى العالم بالحدود السياسية وباللغات الرسمية أو القومية وما ساعد على انتشارها من وسائل الانتشار والنقل الحـديثة مثل الصحف والاذاعة والتليفزيون والادب والتعليم ، وقد ساعدت الحدود السياسة على وجـود تجانس لغوى فى معظم الاحـوال وأصبحت لغـات الدول العظمى التى أثرت فى خريطة العالم السياسية لغات عالمية Lingua franca مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية ٠

ومع كل ذلك فان توزيع اللغات على سطح الارض أمر معقد للغـاية ويندر أن تتمشى الحدود السياسية تماما مع الحد اللغوى للدولة ، ومعظم دول العالم له لغة رسمية وأحيانا لغتان أو ثلاث ولذا يمكن تصنيف دول العالم فى هذا الصدد الى أربع مجموعات ٠

أ ــ بعض اللغات تتكلمها عدة دول مثل اللغة الانجليزية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية والالمانية والعربية ٠

ب ــ بعض اللغـات تستخـدم فى دولة واحـدة فقط مثل البـولندية واليابانية والايسلندية ٠

حـ ـ بعض الدول تسود فيها عدة لغات مثل الاتحاد السوفيتى والهند والصين ودول أخرى فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ٠

د ـ بعض اللغات توجد فى دولتين أو أكثر اليوم كأقليات لغوية مثل الباسك فى أسبانيا وفرنسا والكردية فى منطقة الاكراد فى تركيا وايران والعراق وسوريا ٠

وتعانى بعض دول العالم من مشكلات لغوية وأوضح أمثلة ذلك أنه من بين الدول الثلاث عشرة الاوائل فى حجم السكان فى العالم توجد مشكلات لغوية معقدة لسبب أو لاخر ومن بينها الصين والهند والاتحاد السوفيتى والباكستان وأندونيسيا ونيجيريا ، وهناك دول لاتعانى من هذه المشكلات اللغوية مثل بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وكندا ويوغسلافيا وسويسرة وبعض الاقطار الافريقية والاسيوية الاخرى ٠

وبالرغم من وجود لغات محلية فى كثير من دول العالم فان بعضها قد اتخذ من لغة أخرى لغته الرسمية كما فى كثير من الاقطار الاسيوية والافريقية التى كانت خاضعة للنفوذ الاوربى فى فترة ما ، ويذكر الكتاب الديموغرافى السنوى للامم المتحدة سنة ١٩٥٦ أن ـ بالهند مثلا ٢٨٣ لغة، باستثناء ٣٣٣ لغة أو لهجة منفصلة قد لايزيد عدد المتحدثين ببعضها على ١٠٠٠ نسمة،كما أن هناك تسع عشرة لغة يتحدث بكل منها أكثر من مليون نسمة ، واثنتا عشرة لغة أخرى يتحدث بكل منها أكثر من ١٠ مليون نسمة وبالرغم من أن اللغة الهندوستانية Hindustani هى اللغة القومية فمازالت الانجليزية هى لغة المثقفين ، ولاشك أن حجم المتحدثين بهذه اللغات قد زاد فى العقود الاخيرة فى ضوء معدل النمو الطبيعى فى هذه الاقطار ٠

٣ ـ التركيب حسب الحالة التعليمية Educational Status :

تشمل التعدادات السكانية توزيع السكان الذين بلغوا سن العاشرة أو الخامسة عشرة فأكثر حسب درجة الالمام بالقراءة والكتابة (Literacy) وغالبا ماتكون هذه البيانات موزعة حسب العمر والنوع حتى يسهل حسابها للذكور والاناث كل على حدة ووفقا للفئات العمرية المختلفة ولهذه البيانات أهمية خاصة فى أنها تعد مؤشرا لمستوى المعيشة القومى ومقياسا للحكم على التطور الثقافى والاجتماعى ، وبالاضافة الى ذلك فانها تعد ذات أهمية خاصة فى التنبؤ بالاتجاهات التعليمية المستقبلة وفقا للخطط الموضوعة ٠

وفى الدول التى تتزايد فيها نسبة الامية (illiteracy) فان بيانات

التركيب السكانى حسب الحالة التعليمية تكون ذات فائدة مباشرة فى التخطيط لمحو الامية فى مناطق الدولة المختلفة وبالاضافة الى ذلك تستخدم هذه البيانات كمقام للعمليات الحسابية المرتبطة بالمعدلات الحيويةالنوعية حسب درجة الالمام بالقراءة والكتابة والتى تستخدم بدورها كمتغير اجتماعى اقتصادى (Socio-economie Variable) وذلك مثل معدلات المواليد حسب المام الام بالقراءة والكتابة ومعدلات الزواج والطلاق تبعا للمستوى التعليمى للزوج والزوجة ، وهكذا .

ويرتبط بالتركيب التعليمى تقسيم السكان حسب مستوى التعليم والعمر والنوع ، وفى هذه الحالة ينقسم السكان البالغون حسب درجة التحصيل العلمى (مرحلة أولى ـ تعليم متوسط بأنواعه ـ تعليم جامعى ـ تعليم فوق الجامعى) ويعطى ذلك التقسيم دلالة هامة لقدرة البلد على التنمية الاجتماعية والاقتصادية كما يمكن تحديد الاحتياجات المتوقعة مستقبلا من المتعلمين حسب الانشطة الاقتصادية المختلفة .

وتبين الارقام التالية نسبة الامية (٪) بين اجمالى السكان (١٥ سنة فأكثر) فى دول مختارة : (فى منتصف الثمانينيات) .

النيجر	٩٩	أسبانيا	١٥ر٥
الصومال	٩٨	شيلى	١٢ر٤
مالى	٩٧	الارجنتين	١٢ر٦
السودان	٨٥	بولنده	٦ر٢
بنجلاديش	٧٨	بلجيكا	٣ر٠
أوغنده	٦٥	الولايات المتحدة	٢ر٢

ويبدو من هذه الارقام مدى الفارق الشاسع بين الدول النامية والمتقدمة فى نسبة الامية بين سكانها الذين بلغوا سن الخامسة عشرة وتعدوها فترتفع النسبة ارتفاعا كبيرا لتشمل الغالبية العظمى من السكان فى الدول النامية بينما تنخفض انخفاضا ملموسا بين الدول المتقدمة وبمعنى آخر فانه من بين كل مائة شخص فوق سن الخامسة عشرة هناك ٣ فقط يستطيعون القراءة والكتابة فى مالى مقابل ١٥ فى السودان و ٢٢ فى بنجلاديش و ٨٥ فى اسبانيا و ٩٤ فى بولنده و ٩٧ فى بلجيكا و ٩٨ فى الولايات المتحدة .

وبالرغم من ارتفاع نسبة الامية فى الدول النامية بصفة عامة فقد

انخفضت هذه النسبة عن ذى قبل فى معظمها سواء بين الذكور أو الاناث ولعل فى مصر مثل واضح على ذلك كما تبين أرقام الجدول (٣٩) ٠

جدول رقم (٣٩) تطور نسبة الامية فى مصر حسب النوع
(٪ من جملة السكان ١٠ سنوات فأكثر)

سنة التعداد	ذكور	اناث	جملة
١٩٣٧	٧٦	٩٤	٨٥
١٩٤٧	٦٥	٨٤	٧٥
١٩٦٠	٥٧	٨٤	٧١
١٩٧٦	٤٣	٧١	٥٧
١٩٨٦	٣٨	٦٢	٤٩

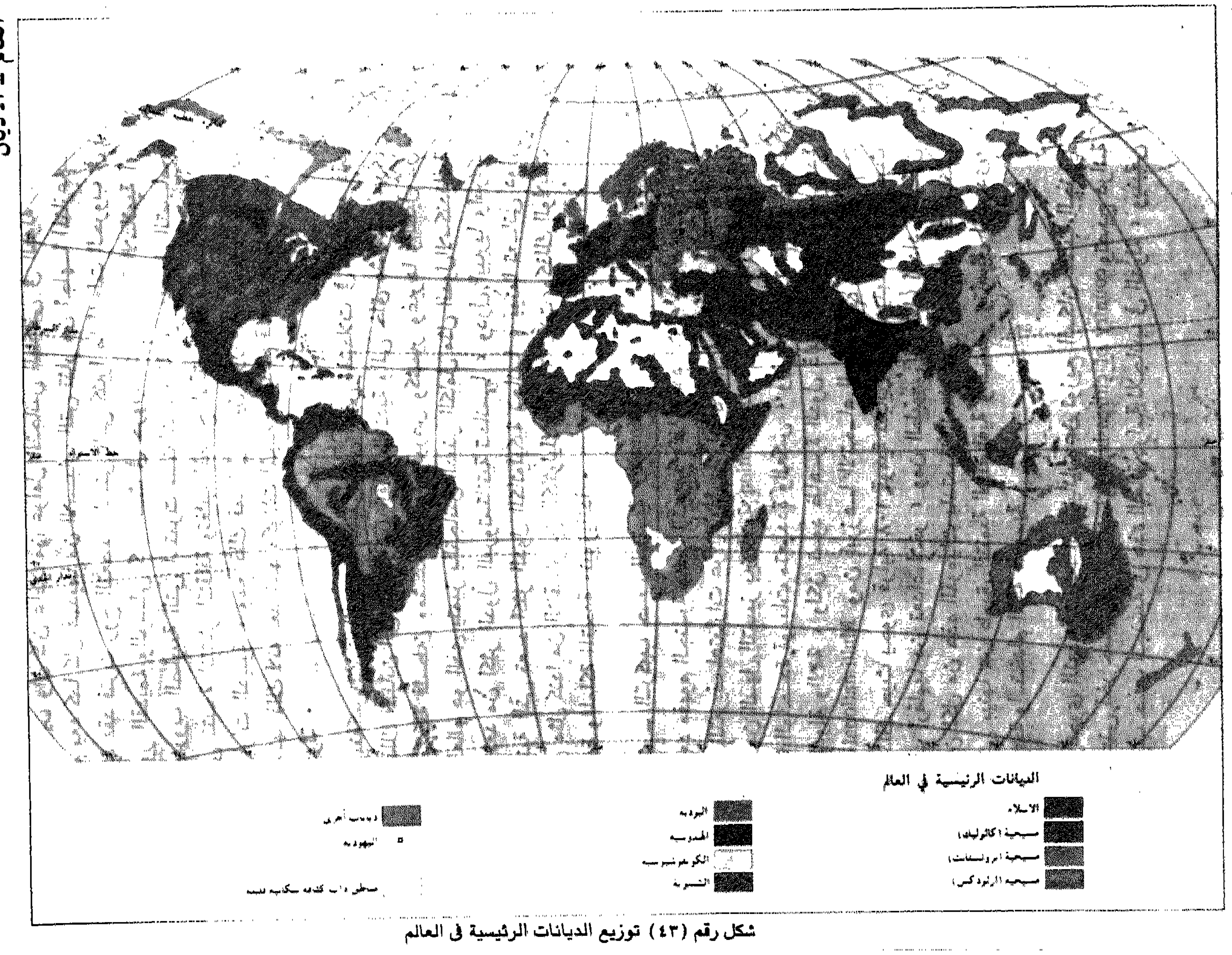
ومن ذلك يبدو مدى الهبوط الذى اعترى نسبة الامية بين الذكور فى مصر والذى فاق نسبة الهبوط فى الاناث بها ، وبالرغم من الجهود المبذولة فى التعليم فان نسبة الامية كما تبين الارقام مازالت مرتفعة خاصة بين الاناث ولاشك أن لذلك نتائجه السلبية المتعددة فى العمليات الديموغرافية كالخصوبة والوفيات ، حيث أن هناك ارتباطا عكسيا بين الحالة التعليمية للمراة وعدد الاطفال الذين تنجبهم وكذلك معدلات وفيات الاطفال الرضع وهى انعكاس مباشر للمستوى الاجتماعى والاقتصادى للاسرة بطبيعة الحال٠

٤ ـ التركيب الدينى **Religious Composition** :

بالرغم من أن السكان يختلفون حسب عقائدهم الدينية فان التركيب الدينى قد لاتشمله بعض التعدادات السكانية لصعوبة الحصول على بياناته بدقة اذا قورنت بالخصائص السكانية الاخرى كما أنه من الصعب للغاية قياس المعتقدات الدينية والسلوك قياسا احصائيا عن طريق جمع بيانات عنها ولذلك فان هناك دولا كثيرة لايتضمن تعدادها مثل هذه البيانات مثل بريطانيا منذ تعداد سنة ١٨٥١ ٠

وتتباين أقاليم العالم فى توزيع الاديان بها ولكن هناك أربعة أديان كبرى تدين بها الغالبية العظمى من سكان العالم وهى المسيحية والاسلام والهندوكية والبوذية وهى تنتشر فى مساحة ضخمة من اليابس ، ومع ذلك فهى لاتكون تجمعات بشرية متجانسة ولا تخلو من وجود شقاق بينها ٠ (شكل رقم ٤٣)

العالم ـ الاديان



شكل رقم (٤٣) توزيع الديانات الرئيسية في العالم

والدين وان كان عاملا من عوامل التجانس السكانى فى الدولة ــ الا أنه لم يعد كما كان قديما من الاسباب التى تثار من أجلها المنازعات الكبيرة فقد فترت روح التعصب الدينى التى كثيرا ما أشعلت الحروب فى العصور القديمة والوسطى كما حدث فى حروب نشر الدعوة الاسلامية أو فى الحروب الصليبية التى استمرت سنوات طويلة ، وقد حل التسامح الدينى نتيجة انتشار الثقافة وتغلب المصالح الاقتصادية والسياسية على الاعتبارات الدينية ، ومع ذلك فما زال للدين دور هام فى حياة الدول وسياستها ذلك لانه يعد أحد مكونات المجتمع ويدعم قاعدة البناء السياسى للدولة .

وينعكس تباين التركيب الدينى على بعض المشكلات فى العالم ، فقد أدى ذلك التباين الى تقسيم شبه القارة الهندية والى خلق مشكلات أخرى مثل مشكلة فلسطين ومشكلة ايرلنده وقبرص وكشمير وغيرها والقليل من دول العالم هو الذى يتميز بالتجانس الدينى الكامل مثل الدول الاسكندنافية التى تعد من أكثر الدول البروتستانتية تجانسا ، ودول أيبيريا وأمريكا اللاتينية التى تعد أكثر الدول الكاثوليكية تجانسا ، بينما تعانى دول أخرى مثل كندا من الانقسام بين الكاثوليك والبروتستانت، وكذلك الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ونيوزيلندا .

٥ ــ التركيب حسب الجنسية Nationality :

يعد مفهوم الجنسية صعب التحديد ولذا تتعدد الاراء حول تعريفه وقد يشمل التعريف اعتبارات عرقية ولغوية وثقافية وادارية وغير ذلك ، كذلك فليس من السهل التمييز بين الامة Nation والدولة State ، فقد تحوى الدولة الواحدة قوميات متعددة والعكس ، ويندر وجود تطابق كامل بين الدولة والامة ، ولكن تسود ظاهرة الدول ذات القوميات المتعددة Multi-national states ومن أبرزها الاتحاد السوفيتى كمثل واضح على ذلك حيث يحوى قرابة ١٠٨ قومية تتباين فى أهميتها النسبية حيث تختلف أرقامها من تعداد لاخر ، ومن الطبيعى أن تقل أعداد السكان المنتمين لكل من هذه القوميات باستمرار العمل على احداث التجانس السكانى بينها عن طريق التنمية الاقتصادية والتحضر وتاصيل المبادىء الشيوعية واستخدام اللغة الروسية .

وتحوى التعدادات السكانية بيانات عن توزيع السكان حسب الجنسية أو بمعنى آخر حسب الوطن الاصلى country of citizenship وتصبح دراسة التركيب حسب الجنسية فى هذه الحالة دراسة للاجانب فى الدولة ، وينبغى

التفرقة هنا بين الاجانب foreigners والسكان ذوى المولد الاجنبى foreign born ذلك التعبير الاخير يشمل مواطنى الدولة الذين ولدوا بالخارج .

ويرتبط ببيانات السكان حسب الجنسية بعض المشكلات رغم أنها قد تبدو سهلة عند اجراء المقارنة بين الدول ، وأبرز هذه المشكلات نظام التعداد سواء كان فعليا de Facto أو حسب محل الاقامة المعتاد de Jure وقد يشمل النوع الاول كثيرا من الاجانب العابرين Transit أو السائحين بينما لايتضمن النوع الثانى مثل هؤلاء الافراد .

ويضاف الى ذلك أن دول العالم تختلف فى شروط منح الجنسية للمهاجرين اليها ، ففى بعض الدول يعد المهاجرون حديثا ــ أجانب ، والبعض الاخر يصنف كل السكان ذوى الاصل الاجنبى على انهم ــ سكان ذوى جنسيات أجنبية حتى اذا كانوا قد ولدوا فى الدولة التى يقيمون بها .

ومن المشكلات الاخرى فى تركيب السكان حسب الجنسية ، مشكلة الاشخاص الذين يصنفون على أنهم «لا وطن لهم» Stateless وغالبا ما يصنفون على أساس دولة المواطنة السابقة ، ومن ذلك كله يبدو أنه بالرغم من سهولة دراسة الاجانب داخل الدولة الواحدة فمن الصعب مقارنتهم بين الدول المختلفة .

وهناك عشرات الملايين من السكان فى العالم يصنفون فى التعدادات على أنهم أجانب ويزداد عددهم فى الاقطار التى شهدت هجرة وافدة حديثة مثل دول الامريكتين واستراليا ، وان كانت هذه الاعداد آخذة فى التناقص باستمرار عملية الاستيعاب فى المهجر ، فقد تناقص عدد الاجانب فى الولايات المتحدة من ٦ر٣ مليون نسمة فى سنة ١٩٣٠ الى قرابة ٢مليون فقط فى سنة ١٩٥٠ ، وفى جنوب شرق آسيا مازال المهاجرون الصينيون يشكلون نسبة كبيرة من الاجانب .

وقد أدى استقلال الدول الافريقية الى ظهور مشكلات معقدة ترتبط بالجنسية خاصة وأن الحدود السياسية التى خلفها الاستعمار لم تتمشى مع حدود التوزيعات القبلية فى أفريقيا المدارية الا قليلا ، ولعل فى تقسيم الامة الصومالية بين أثيوبيا وكينيا وجمهورية الصومال مثل واضح على ذلك .

وقد شهدت أوربا حركات انتقال سكانية ضخمة أدت الى تعقيد نمط الجنسيات بها ، ويبدو أن المانيا تحوى عددا من الاجانب أكبر من فرنسا

لكن فرنسا تجذب اليها مهاجرين ليس من الدول المجاورة فقط مثل بلجيكا وسويسرة وايطاليا واسبانيا بل من دول أبعد من ذلك مثل بولنده حيث يأتى البولنديون بعد الايطاليون فى عدد الاجانب بها ٠ ويتركز وجود الاجانب بها فى المناطق الصناعية فى الشمال وعلى الحدود الجنوبية وفى باريس،كذلك تزداد نسبة الاجانب فى سويسرة ولكسمبرج وان كانوا بأعداد قليلة ، ومازالت الدول الصناعية فى غرب أوربا تجذب الاجانب اليها، ففى سنة ١٩٨٦ بلغ عدد الاجانب فى المانيا ٤ر٥ مليون أجنبيا أى قرابة ٧٪ من جملة السكان بها ٠ كما بلغ عدد الاجانب فى بريطانيا ١ر٧ مليون أى قرابة ٣٪ من جملة السكان فى تلك السنة ٠

الفصل الرابع عشر

الخصـائص الديموغرافية لسـكان المدن

بدأت دراسة الخصائص الديموغرافية لسكان المدن تحظى بأهمية غير قليلة لدى دارسى السكان ، وذلك للاختلاف الواضح بينهـا وبين سـكان الريف ، وقد كان مجال الاهتمام يدور حول دراسة تباين توزيع السـكان على رقعة المدينة وضواحيها والتغيرات التى تطرأ على حركة السـكان بها مثل الهجرة وفودا ونزوحا وتجمع المهاجرين ذوى الموطن الاصلى الواحد داخل المدينة وكذلك اختلافات السكان حسب مستوى الخصوبة والوفيـات فى هذه الاحياء ، وتحليل كيان المدينة الداخلى وتحديد مناطق الجـذب والطرد السكانيين داخل هذا الكيان .

ويتباين توزيع السكان على رقعة المدينة تباينا كبيرا تبعـا لحجـم المدينة ووظائفها وموضعها الجغرافى ، ويمكن القول بأن القاعدة العامة فى هذا التوزيع هى ارتفاع الكثافة قرب منطقة القلب ـ وانخفاضها بالابتعاد عنه ، وليس معدل الهبوط واحدا فى كل الاتجاهات بطبيعة الحال ، ذلك لان السكان يميلون للتركز على امتداد شرايين النقل أو بالقرب منها،وتظل المناطق النائية مخلخلة السكان بصفة عامة .

وترجع الفروق المكانية فى تركيب سكان الحضر الى عامل العـزل أو الفصل السكانى Segregation سواء كان اختياريا Voluntary أو غـير اختيارى Involuntary ويحـدث الاول عندما يتجه السكان بمحض ارادتهم للعيش فى أحياء معينة يقطنها سكان آخرون على شاكلتهم ، وبعيـدا عن السكان الذين يختلفون معهم فى الاصول العرقية أو فى الجنسية أو حتى فى المستوى الاجتماعى الاقتصادى ، أما الفصل غير الاختيارى فيحـدث عندما يتجه سكان معينون ـ بحكم القانون أو العرف السائد ـ أو بكليهما معا ـ للعيش فى أحياء محددة ويمنعون من العيش فى أحياء أخرى يقطنها سكان يختلفون عنهم فى بعض الخصائص (مثل التركيب العرقى أو اللون) وأبرز الامثلة أحياء الزنوج فى المـدن الامريكية والتى تتميز بانخفـاض

مستوى العيش بها وبتركزها بالقرب من المحطات الرئيسية على طرق النقل ، وكذلك أحياء البيض فى كثير من مدن أفريقيا الجنوبية التى يحظر على السود العيش بها ٠

وغنى عن القول بأن الخصائص الديموغرافية لسكان المدن يمكن أن تتحدد بوضوح أكثر اذا ماقورنت بسكان الريف سواء فى معدل النمو السكانى بمركباته الطبيعية أو غير الطبيعية أو التباين فى توزيع السكان والتركيب العمرى والاقتصادى وتميز المدن بوجود ظاهرة الاقليات السكانية التى تعيش بين ظهرانيها ، الا أن هذه الفوارق الريفية الحضرية تختلف من قطر لاخر بل ومن وقت لاخر وخاصة فى التركيب العمرى والنوعى أو فى المعدلات الحيوية أو فى التركيب الاجتماعى والتعليمى والاقتصادى ٠

النمو السكانى الحضرى :

يعد النمو السكانى فى المدن وتضخمها من الظاهرات الديموغرافية المميزة فى العصر الحديث ، بل أن النمو الحضرى تزايد بسرعة ملموسة فى خلال الـ١٧٥ سنة الاخيرة أكثر من أى فترة زمنية سابقة فى تاريخ البشرية وقد ساعد على ذلك الانقلاب الصناعى والزراعى وما ترتب عليهما من نمو ضخم فى حركة النقل والتجارة العالمية والتى أدت الى سهولة اتصال المدن بظهيرها والحصول على احتياجاتها من اماكن أبعد مما كانت عليه من قبل - حتى أنه ليمكن القول بأن ظهير المدن فى الوقت الحاضر يمتد ليشمل العالم بأسره ٠

ويمكن الاستدلال على تزايد النمو السكانى فى المدن اذا تتبعنا نسبة سكان الحضر فى العالم منذ سنة ١٩٥٠ حتى ١٩٨٠ كما تبين الارقام التالية(١) :

النسبة المئوية لسكان المدن

السنة	عدد السكان بالمليون	٪ من جملة السكان	السنة	عدد السكان بالمليون	٪ من جملة السكان
١٩٥٠	٧٠٤	٢٨ر٣	١٩٨٠	١٧٩٢	٤١ر٠
١٩٧٠	١٣٥٢	٣٧ر٢	٢٠٠٠	٣٣٢٩	٥١ر١

ويبدو من هذه الارقام أن نسبة السكان فى المدن تتضاعف كل عقدين من الزمان ، وكما سبق القول فان سكان العالم ككل قد تزايدوا بمعدل

كبير منذ سنة ١٨٠٠ حتى وصلوا الى ٢٤٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٥٠ ، ورغم ذلك فان سكان المدن قد تزايدوا بمعدلات أسرع بكثير ، ففى سنة ١٨٠٠ ،كان هناك حوالى ٦ر١٥ مليون نسمة يقطنون مدنا ذات ١٠٠ر١٠٠ نسمة فأكثر ، وارتفع هذا الرقم ليصبح ٧ر٣١٣ مليونا فى سنة ١٩٥٠،أى قدر الرقم الاصلى بنحو عشرين مرة ، وقد نجمت معظم الزيادة عن التدفق الهجرى نحو المدن الذى يتمثل فى الهجرة الريفية الحضرية،وهى أكثر أنماط الهجرة ضخامة فى العصر الحديث .

وقد ارتبط بالنمو السكانى الحضرى المرتفع تزايد فى أحجام المدن القائمة والمستحدثة ، فقد كان بالعالم سنة ١٨٠٠ ـ أقل من ٥٠ مدينة فئة ١٠٠ر١٠٠ نسمة فأكثر وارتفع هذا العدد الى ٩٠٠ مدينة فى سنة ١٩٥٠ ثم الى ١٢٠٠ فى سنة ١٩٦٢ ، ويبدو أن معدل النمو الحضرى اخذ فى التزايد على مستوى العالم ككل ، واذا استمر هذا الاتجاه بنفس المعدل فان المدن ذات ١٠٠ر١٠٠ نسمة فأكثر ستحوى أكثر من ربع سكان العالم سنة ٢٠٠٠ وأكثر من النصف سنة ٢٠٥٠(١) وبديهى أن ذلك سيكون على حساب معدلات النمو فى الريف ، ذلك لانه باستمرار الاتجاه نحو ميكنة الزراعة ستقلل من أعداد الايدى العاملة على الارض الزراعية ومن ثم تتزايد دوافع الهجرة نحو المدن باستمرار .

وتعد المدن المليونية نماذج مجسدة للنمو الحضرى ، وأرجح الظن أن العالم لم يعرفها الا منذ سنة ١٨٠٠ وذلك لانها تعد طفرة حضارية فى تاريخ البشرية ، ففى أوائل القرن التاسع عشر لم يكن بالعالم الا مدينة مليونية واحدة وتزايد عددها حتى وصل الى ١١ مدينة فى سنة ١٩٠٠ ثم الى ٧٥ مدينة فى سنة ١٩٥٠ ثم قفز هذا العدد ليصل الى ١٦٢ مدينة مليونية فى سنة ١٩٧٠ ثم ٢٧٣ مدينة سنة ١٩٨٥ ومن جملة هذا العدد هناك ٢٥ مدينة يربو حجم كل منها على ٥ مليون نسمة يوضحها الجدول رقم (٤٠) .

وتتميز غالبية دول العالم النامى بالنمو السريع فى جملة سكانها وبان معدل تزايد سكان الحضر بها كبير بدرجة تفوق معدل النمو القومى،ففى مصر مثلا كان هناك ٩ر١ مليون نسمة يعيشون فى المدن سنة ١٨٩٧ ـ ارتفع هذا الرقم ليصل الى ٢٧ مليون نسمة فى سنة ١٩٨٦ وارتفعت بذلك نسبة سكان الحضر الى جملة السكان من٢٠٪ الى ٤٤٪ بين هذين التاريخين

---

(1) Ibid., p. 64.

ويبلغ معدل النمو السكانى فى المدن المصرية حوالى ضعف مثيله على مستوى القطر بأكمله ، وتتكرر نفس الظاهرة فى كثير من الدول النامية، ففى البرازيل تزايد عدد المدن فئة ١٠٠٠٠٠ نسمة فأكثر من ٦ مدن الى ٣١ مدينة فيما بين سنتى ١٩٢٠ ـ ١٩٦٠ ، وارتفعت نسبة سكان هذه المدن من ٧ر٨٪ الى ٦و١٨٪ من جملة السكان فى الدولة فى هذين التاريخين على التوالى ثم قفزت الى ٦٤٪ سنة ١٩٨٠ ٠

جدول رقم (٤٠) توزيع المجمعات الحضرية ذات الخمسة ملايين فأكثر سنة ١٩٨٠(١)

المدينة	حجم السكان (مليون نسمة)	المدينة	حجم السكان (مليون نسمة)
مجمعة طوكيو	١٩ر٧	سول	٩ر١
نيويورك	١٨ر٠	كلكتا	٩ر٥
مكسيكو سيتى	١٣ر٨	بومباى	٨ر٧
ساوباولو	١٢ر٥	القاهرة	٨ر٤
شنغهاى	١٢ر٠	جاكارتا	٧ر١
لندن	١٠ر٩	ميلانو	٦ر٥
لوس انجلوس	١٠ر٦	كراتشى	٦ر٠
بيونس أيرس	١٠ر٣	طهران	٥ر٨
ريو دى جانيرو	١٠ر٠	دلهى	٥ر٧
منطقة الرهر	٩ر٩	مانيلا	٥ر٥
باريس	٩ر٩	ليما	٥ر١
موسكو	٨ر١	مدراس	٥ر٠
أوزاكا ـ كوب	٩ر٧		

مكونات النمو :

يرجع النمو الحضرى الكبير الذى شهده العالم الى عاملين ديموغرافيين هما : التدفق الهجرى والزيادة الطبيعية ، وقد سبق الحديث عن أثر الهجرة فى نمو سكان المدن فى فصل سابق ، ويتبين أن دول العالم لاتختلف

---

(١) المصدر :
ستانلى برون وجاك وليمز ـ مدن العالم (ترجمة نظمى لوقا) القاهرة ـ ١٩٨٦ ـ الجزء الثانى ـ صص ٩٤٩ ـ ٩٦٧ ٠

كثيرا فى هذا الصدد وان تفاوتت معدلات التدفق الهجرى نحو المدن حسب عوامل الطرد والجذب الكامنة ، وهناك أمثلة كثيرة على أثر الهجرة فى نمو المدن ، ففى المدن الثمانية الكبرى فى البرازيل يرجع ٢٩٪ من الزيادة الكلية بين سنتى ١٩٤٠ و ١٩٥٠ للزيادة الطبيعية ، ٧١٪ للهجرة ، وكذلك الحال فى الهند حيث أسهم النمو الطبيعى فى كلكتا بنسبة ٤٩٪ والهجرة بالنسبة الباقية من الزيادة الكلية فيما بين عامى ١٩١١ ، ١٩٢١ وكانت هاتان النسبتان ٦ر٥٦٪ ، ٣ر٤٣٪ على الترتيب بين عامى ١٩٥١ و ١٩٦١ وكانت نسبة المهاجرين أكبر من ذلك فى المدن الصناعية المجاورة حيث وصلت الى ٨ر٧٠٪ فى بمباى ، وفى مصر تزيد نسبة المهاجرين فى المدن الى جملة السكان أيضا ، وتعد القاهرة خير مثال على ذلك حيث وصلت النسبة الصافية للمهاجرين بها فى تعدادات ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٧ ، ١٩٦٠ الى ٤ر٢٨٪ و٣ر٢٦٪ و٣ر٢٨٪ و٤ر٢٨٪ على الترتيب(١) .

أما عن أثر الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى فتختلف دول العالم فى ذلك اختلافا واضحا ، ورغم أن الظاهرة العالمية هى انخفاض الخصوبة فى المدن عنها فى الريف فان كثيرا من المدن فى الدول النامية تخالف هذه القاعدة ، ويرجع ذلك الى تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين الريفيين الى هذه المدن ويتميز معظمهم بأنهم فى الاعمار الوسطى القادرة على الانجاب كما أن هؤلاء المهاجرين يفدون الى المدن بخصائصهم الاصلية وعاداتهم الريفية التى لاتفرض قيودا علىالانجاب ومن ثم تتميز خصوبتهم بالارتفاع ويرتبط ذلك التزايد فى معدلات الانجاب بانخفاض الحالة التعليمية والاقتصادية للمهاجرين ، ويمكن القول بصفة عامة بأن معدلات المواليد فى المدن الكبرى فى الدول النامية مازالت مرتفعة تماما بالرغم من الاتجاه الواضح نحو تخفيض الخصوبة بين بعض فئات السكان بها .

وتتبع الوفيات فى المدن نمطا مميزا ، ففى المراحل المبكرة عندما يكون التدفق الهجرى سريعا فان البؤس ونقص الامكانيات الصحية والتزاحم الكبير يؤدى الى تفشى الاوبئة والامراض المعدية ، ولعل فى ارتفاع معدل وفيات الاطفال الرضع دليل على ذلك ورغم هذا فان المدن خاصة فى الدول النامية تحظى بالخدمات الصحية أكثر مما يحظى بها الريف ــ ويؤدى

---

(١) محمد صبحى عبد الحكيم ــ الهجرة الى القاهرة ــ المجلة الجغرافية العربية ــ السنة الاولى ــ العدد الاول ــ ١٩٦٨ ــ ص ١٠٨ .

ذلك الى تحسن مستوى الخدمات الصحية ومقاومة الامراض والاوبئة مما انعكس على انخفاض نسبة الوفيات انخفاضا ملحوظا ٠

وفى ضوء استمرار معدلات المواليد مرتفعة واتجاه معدلات الوفيات الى الانخفاض فى المدن فى الدول النامية فان النتيجة هى إرتفاع معدل النمو الطبيعى وزيادة سكان المدن بمعدلات أعلى من معدلات الزيادة القومية (على مستوى القطر) ٠

وفى جغرافية المدن يبدو أن هناك علاقة طردية بين حجم المدينة ومعدل نموها لانه كلما كانت المدينة أكبر حجما كان معنى ذلك أنها أكثر قدرة على تقديم فرص أكبر للسكان والوظائف ، وأنها أكفأ حضاريا وأقدر على جذب الجديد من المظاهر الحضارية السائدة ، وبذلك تتداعى الوظائف ويتضخم الحجم باطراد ويصبح النمو دالة للحجم ويتناسب معه تناسبا طرديا ، ومعظم الدراسات التفصيلية تثبت أن أعظم المدن نموا هى أكبرها حجما[1]٠

ويؤدى نمو المدن واتساع رقعتها المبنية الى التحامها بالضواحى المجاورة لتصبح مجمعة مدنية كبيرة Conurbation وقد تزداد اتساعا لتشمل مدنا مجاورة ــ وتتحول الى مجمعة مدنية عملاقة Megalopolis مثل مجمعة نيويورك ولندن وطوكيو ــ يوكوهاما ،وتعد دراستها الديموغرافية أو الجغرافية على قدر كبير من الصعوبة ، ولذا فان الدراسة غالبا ماتنصب على مدينة مفردة أو قطاعا من قطاعات المجمعة الكبرى ٠

توزيع السكان فى المدن :

أدى نمط توزيع المدن وتقسيمها الى احياء حسب الوظائف التى تمارسها مثل حى التجارة والاعمال والاحياء الصناعية والسكنية وغيرها الى محاولة وضع بعض النظريات عن الموقع ووظائف الاحياء ومايعكسه ذلك من نتائج على نمط توزيع السكان داخل المدن ذلك لان هناك اختلافا كبيرا بين كثافة السكان فى الحى التجارى والحى السكنى والضواحى التى تعد مناطق انتقالية بين الريف والحضر ٠

وبالرغم من أن لكل مدينة شخصية مميزة وبالتالى يتوزع السكان على رقعتها توزيعا مخالفا لباقى المدن فان هناك اتجاها عاما فى نمط التوزيع

---

(١) جمال حمدان ــ جغرافية المدن ــ ص ٤١٦ ٠

السكانى فى المدن بصفة عامة وقد قام «كلارك» بدراسة حول ذلك بادئا اياها بافتراضين عالميين هما :

١ ـ أنه فى كل مدينة كبرى ـ وباستثناء حى التجارة والاعمال الذى يتميز باعداد قليلة من السكان ـ توجد أحياء كثيفة السكان فى الداخل ثم تبدأ الكثافة فى الهبوط تدريجيا نحو الاطراف .

٢ ـ أنه فى معظم المدن (وليس فى كلها) وبمضى الزمن تميل الكثافة الى التناقص فى الضواحى الداخلية الاكثر ازدحاما بالسكان ثم تأخذ فى التزايد فى الضواحى الخارجية وتتجه المدينة ككل الى الاتساع والانتشار نحو الاطراف الخارجية . وقد ذكر كلارك أنه بالنسبة لكل المدن التى درسها فان الهبوط فى كثافة السكان نحو الضواحى الخارجية يتمشى مع معادلة رياضية بسيطة للهبوط الأسى هى :

$$ص = أهـ^{-ب س}$$

حيث

ص = كثافة السكان بالالف فى الميل المربع

أ = معامل لقياس درجة التزاحم الزائد فى مركز المدينة .

ب = معامل لقياس معدل الهبوط فى الكثافة .

س = المسافة بالاميال من مركز المدينة .

ويرتبط كل من المعاملين رياضيا بالحجم الكلى لسكان المدينة ، ويمكن أن يتحددا برسم بيانى يكون المحور الافقى فيه المسافة بالاميال من مركز المدينة الى نقطة الوسط Mid Point فى الحلقة الدائرية المراد قياسها (الحلقات الدائرية حول مركز المدينة التى يبلغ عرض كل منها ميلا واحدا) والمحور الرأسى هو اللوغاريتم الطبيعى للكثافة بالالف نسمة فى الميل المربع وتميل البيانات الى الظهور على شكل خط مستقيم فيما عدا حى الاعمال المركزى ، كذلك فان قيمة المعامل (أ) يمكن الحصول عليها من النقطة التى يقطع عندها هذا الخط المستقيم المحور الرأسى ، وقيمة (ب) من انحدار هذا الخط ، وتختلف قيمة أ ، ب من مدينة لاخرى ، وتميز القيم الاعلى مدنا مثل لندن وباريس فى أوائل القرن التاسع عشر بينما تميز القيم الدنيا مدن القرن العشرين .

وقد أظهرت دراسات توزيع السكان فى المدن بعـد ذلك نتائج لفكرة «كلارك» مع تفاوت فى الاهمية من قطر لاخر ، وقد ذكـر بيرى Berry وسيمونز Simmons وتينانت Tennant أساسا نظريا لصيغة كلارك مؤداه أن الهبوط الأسى السالب لكثافة السكان على رقعة المدينة يتمشى مع نظرية استغلال الاراضى الحضرية[1] وذلك لان معظم المواضع المرغوبة التى يزيد الطلب عليها توجد فى المناطق المركزية للمدن (منطقة القلب) حيث ترتفع أسعار الاراضى ويزداد العائد الجـارى لها ثم مايلبث أن يتنـاقص ذلك بالاتجاه نحو الاطراف مما يمكن معه توقع هبـوط فى الكثافة السـكانية بالابتعاد عن المركز ولذلك فقد استنتجت علاقة بين أسعار الاراضى والهبوط فى كثافة السكان حيث يرتبط الهبوط الاسى السالب للكثافة بالهبوط الاسى السالب لاسعار الاراضى فى المدن .

ويذكر بعض الباحثين أن التدرج فى الكثافة ودرجة الاندماج يتناقصان بتزايد حجم المدينة وان كان ذلك ينطبق بصورة واضحة على المدن الغربية أما معظم مدن العالم النامى فتتميز بأن التدرج الكثافى والاندماجية يظلان ثابتين بمرور الزمن أو على الاقل فترة طويلة من الزمن حيث تتسع المدن ببطء نحو الاطراف وحيث تتركز الجماعات السكانية الفقيرة فى المنـاطق السيئة بالمدينة Slums وما يترتب على ذلك من تزايد مستمر فى الكثافة المركزية بها .

وعلى ذلك فان المدن غير الغربية تتميز بحواف حادة نتيجة التغـير المفاجىء فى كثافة السكان ويمكن تفسير هذا التغير فى ضوء مفهومى التماسك Cohesion والالتحام adhesion وتمركز السكان على الطـرق الرئيسية نحو المدينة مما يؤدى الى اختلاف الكثافة الحلقية حولها،ومن الواضح أن طرق النقل تعد أهم العوامل المؤثرة فى ذلك التدرج الكثافى .

وصفوة القول أن التاريخ المحلى لسكان المدن وتباين توزيعهم واختلافهم عرقيا ودينيا واجتماعيا يؤدى فى النهاية الى تباين الخصائص الديموغرافية لكل حى من أحيائها وليست هـذه الاختلافات منعـزلة عن الظاهـرات الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى بيئة المدينة المحلية .

ويرتبط بدراسة توزيع السكان على رقعة المدينة ، دراسـة الاختلافات

---

(1) Clarke, J., Population Geography. Op. Cit., p. 55.

اليومية لهذا التوزيع فيما بين ساعات النهار والليل Daytime - night time Variations وهى التى ترتبط بدورها بانتقال السكان على رقعة المدينة بين مناطق السكن ومناطق العمل واتجاهات الحركة على محاور النقل الرئيسية بالمدينة ، ولذلك أهمية كبرى فى تخطيط شبكة النقل الداخلية فى المدن وعلاقتها بحركة السكان اليومية .

ولعل أبرز الامثلة فى هذا المجال الدراسة التى قامت بها جامعة نورث كارولينا على مدينة فلنت Flint بولاية ميتشجان الامريكية وأثبتت أنه كلما تزايدت أعداد السكان فى منطقة القلب التجارى والحى الصناعى خلال ساعات العمل بالنهار ـ تناقص عدد السكان فى المناطق السكنية ، وحتى يمكن وضع خطة علمية للنقل داخل المدينة فقد أمكن قياس تغيرات الكثافة من حيث حجمها فى ساعات اليوم المختلفة فاتضح أن أقل الكثافات فى منطقة القلب تتحقق فى الساعة الرابعة صباحا وأعلى الكثافات حوالى الساعة الثالثة ظهرا ولذا ترتفع الكثافة فى هذه المنطقة من قرابة ٩ أشخاص فى الفدان فى الساعة السادسة صباحا الى حوالى ٥٥ شخصا فى الساعة الثالثة ظهرا ، كذلك فقد قدر أن نسبة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠٪ من سكان المدينة يتركزون فى القلب التجارى خلال ساعات النهار وتنخفض هذه النسبة الى ٣٪ فقط أثناء الليل(١) .

درجة التزاحم فى المدن :

تعد كثافة السكان فى داخل المدن ـ وهى التى تمثل نسبة السكان الى مساحة الارض ـ أقل أهمية من دراسة توزيع السكان المدنيين عنها فى دراسة سكان الريف ، وذلك لانها لاتلقى ضوءا كافيا على مدى التزاحم الفعلى على رقعة المدينة والتى يسود بها الارتفاع الرأسى للمساكن ومن ثم فانها لاتدل على مدى تزاحم السكان فى المساكن والحجرات ولذا فان دراسة درجة التزاحم تعد ذا أهمية خاصة فى جغرافية سكان المدن .

وتعنى درجة التزاحم مايخص الحجرة الواحدة من الافراد ويمكن الحصول عليها ببساطة بقسمة عدد السكان على مجموع عدد الحجرات التى يشغلونها ، كما يمكن الحصول على هذه البيانات من التعداد السكانى

---

(1) Chapion, J., Stewart, P. "Population Densities Around the Clock" in "Readings in Urban Geography," edited by Mayer, H. and Kohn, Chicago, 1969. pp. 180-182.

لكل وحدة ادارية على مستوى القطر أو الاقليم ، وتعد هذه النسب مفيدة لدراسة كثافة شغل المساكن ، وكذلك كمؤشر لاحوال هذه المساكن ، الا أن نواحى القصور بها أنها تتجاهل أحجام الغرف المسكونة ، وقد يكون ذلك العامل بمفرده من الاهمية لدرجة قد تقلل من قيمة استخدام هـذا المؤشر فى تزاحم السكان ٠

ويعكس التغير فى درجة التزاحم بين تعداد وآخر مدى ما اعترى حالة السـكن والسكان فى المدينـة فى الفترة التعدادية (الفاصلة بين التعدادين) ويرى بعض الباحثين أن احدى المدن أو أحد أحيائها يعد مزدحما بالسكان عندما تكون جملة الغرف السكنية أقـل من عدد السـكان ويعنى ذلك أن درجة التزاحم المثالية تصل الى واحـد صحيح أى أن تكون هناك غـرفة واحدة لكل فـرد من السـكان ، ورغم أهمية ذلك فى النواحى الصـحية والاجتماعية للسكان فان هذه النسبة المثلى من التزاحم قلمـا تتحقق فى المدن المختلفة ، وان تحققت فتكون فى بعض أحيائها التى تتمـيز بارتفاع مستوى العيش بها ٠

التركيب العمرى النوعى :

سبق القـول بأن الهجـرة الى المدن تتميز بظاهـرة الانتقاء العمرى النوعى مما يؤدى الى اختلاف التركيب السكانى حسب العمر والنوع بين الريف والحضر ، وتختلف الدول الغربية عن الدول النامية فى ذلك ، ففى الدول الغربية تتركز كثير من الصناعات الخفيفة والخدمات المتعـددة فى المدن وتجذب هذه الانشطة كثيرا من الاناث الشابات من الريف مما يؤدى الى زيادة عددهن بالنسبة للشباب الذكور فى سن الانتاج (تصل الى ٩٥ من الذكور مقابل كل ١٠٠ من الاناث) ، أما فى معظم المدن بالدول النامية فتشهد عكس هذه الظاهرة وذلك للتنظيم الاجتماعى السائد الذى لا تسهم المرأة فيه بدور كبير فى النشاط الاقتصادى ، ولذلك تقل نسبة الاناث الى الذكور فى حركة الهجرة نحو المدن ، فعلى سبيل المثال بلغت نسبة النوع فى مدينة لاهور بالباكستان ١٠٠ من الذكور مقابل ٧٨ من الاناث ٠

وبالاضافة الى تباين أعداد الذكـور عن الاناث فى المدن فـان معظم السكان بها يكونون فى أعمار متوسطة وذلك لدور المدن فى جذب المهاجرين اليها والذين يكون معظمهم فى هذه الاعمار ، ويتباين حجم هذه المجموعة السكانية المهاجرة بتطور المدينة وتاريخها ومدى توفر عوامل الجذب بها٠

وتختلف المدن فيما بينها فى نسبة النوع ، وان كان من الملاحظ أنه

كلما كان حجم المدينة أكبر كلما تزايدت نسبة الذكور عن الاناث ، ففى الهند مثلا كانت نسبة النوع ١٢٠ (أى ١٢٠ من الذكور مقابل كل ١٠٠ من الاناث) فى المدن ذات الفئة ٥٠ ــ ١٠٠ر٠٠٠ نسمة أما فى المدن الكبرى التى تزيد على ٥٠٠ر٠٠٠ نسمة كانت النسبة ١٦١ وذلك حسب تعداد سنة ١٩٣١ ، الا أن الفارق بين النوعين بدأ يقل باستمرار التنمية فى البلاد حتى أن النسبة كانت ١٢٧ فقط فى المدن الكبرى ، وتتميز الهجرة الى المدن فى افريقيا وآسيا بان الذكور يهاجرون بمفردهم فى بادىء الامر سواء كانوا متزوجين أو غير متزوجين ويتركون زوجاتهم وأطفالهم فى المناطق الريفية الاصلية وقد يعودون على فترات متقطعة أو يصحبونهم بعد أن يستقر بهم المقام فى المهجر .

الاقليات السكانية فى المدن :

من السمات الديموغرافية للمدن وجود الاقليات السكانية التى تعيش بالمدينة والتى تجمع بين أفرادها صفات مشتركة لغويا ودينيا أو عرقيا ويرتبط وجود هذه الاقليات بالتدفق الهجرى نحو المدن وتراكم أعداد المهاجرين ذوى الاصول الواحدة والذين ينتمون الى مجموعات عرقية مختلفة عن معظم سكان المدينة ، واذا كان هناك فصل بين المهاجرين الوافدين والسكان الاصليين بسبب الجنس أو اللغة أو الديانة أو حتى العادات فانهم غالبا مايتركزون فى مناطق محددة تتميز بصفات مشتركة، ويظهرون على شكل أقليات سكانية ، وغالبا ما يمارسون حرفا خاصة يتميزون بها ، كذلك فان كثيرا من هذه الاقليات المهاجرة من بيئات فقيرة تميل الى ممارسة أعمال منخفضة الاجر والسكنى فى المناطق القديمة بالمدينة والتى تنخفض فيها تكاليف المعيشة وينجذب هؤلاء المهاجرون نحو المناطق التى يعيش فيها ابناء عشيرتهم أو أقربائهم حيث يسهل عليهم الاندماج الاجتماعى وممارسة حياتهم الاصلية .

وتتميز أحياء الاقليات السكانية ذات المستوى المعيشى المنخفض بارتفاع الكثافة السكانية بها وتزايد درجة التزاحم وكذلك ارتفاع معدلات الخصوبة دون فارق جوهرى كبير عن مجتمعاتهم الاصلية وتأخذ هذه الخصائص فى التغير والتلاشى بمضى الزمن اذا لم يتدفق سكان متشابهون باستمرار من مثل هذه المواطن الاصلية .

وأوضح الامثلة على ماسبق الاقليات السكانية المهاجرة من بورتوريكو الى نيويورك حيث يعيش أفرادها فى أحياء منخفضة المستوى يقطنها

مواطنوهم وجيرانهم السابقون الذين وفدوا الى الولايات المتحدة فى فترات سابقة وقد تأثرت طبيعة العمل الذى يمارسه هؤلاء المهاجرون بالمناطق التى يعيشون بها حيث يعمل الكثيرون منهم فى نيويورك بالخدمات الدنيا وفى أعمال الفنادق والمطاعم وبعض المصانع ويحرصون على العيش بالقرب من طريق المواصلات الرخيصة ٠

كذلك تتميز معظم المدن الكبرى فى الولايات المتحدة بوجود أحياء سكنية أسسها الزنوج الوافدون من مناطق أخرى فى هذه البلاد ، وغالبا مايطلق على هذه الاحياء (الجيتو) وان كانت الكلمة مرتبطة بأحياء اليهود فى المدن الاوربية ، ويختلف الجيتو الزنجى عن الاحياء الاخرى فى كثير من الوجوه أبرزها ارتفاع الكثافة السكانية والتزاحم ومستوى الخصوبة وانخفاض مستوى المعيشة بصفة عامة ٠

التركيب الاقتصادى لسكان المدن :

يرتبط وجود المدن ونموها بتوفر أوجه النشاط الاقتصادى والاجتماعى المختلفة التى تتطلب بدورها تركز السكان وممارستهم لهذه الانشطة التى تحدد فى النهاية وظائف المدن وتصبح احدى المميزات البارزة فى دراسة السكان الحضريين والتركيب الاقتصادى لهم ٠

ورغم أن مدن ماقبل الثورة الصناعية قامت بعدة وظائف متشابكة فانها اعتمدت على اقتصاد يدوى تخدمه مواصلات محلية قاصرة،ونتيجة لذلك وبرغم تعدد المهن التى يمارسها سكانها ، فان تركيب العمالة فى هذه المدن تميز بالبساطة اذا ماقورن بالمدن الحديثة سواء فى حجم القوى العاملة أو فى تقسيم العمل بها ٠

ونتيجة التحول الحديث من الحياة الريفية الى الحياة الحضرية خاصة فى الدول الصناعية ، فقد ظهرت حرف متعددة وتطورت هذه الحرف وأصبحت سمة هامة فى التركيب الاقتصادى لسكان المدن فى العالم وقد ارتبط ذلك التنوع التركيبى فى المهن بتقسيم العمل الاكثر تعقيدا هو الاخر والذى تتميز به الصناعات الحديثة سواء فى عمليات الانتاج أو فى التوزيع٠ وبالاضافة الى ذلك قويت الروابط بين المدن والريف وتزايد الطلب على الخدمات الحضرية فى عصر تميز بالتطور التقنى وسهولة الاتصال ٠

تركيب المهن المدنية :

بالرغم من أن الصناعات ذات الانتاج الكبير تعد أساسية لنمو المدن

الحديثة فانها قد لاتوجد فى كل مدن العالم ، فى الوقت الذى تسود فيه أنشطة اقتصادية أخرى مثل الخدمات والتجارة والتى كانت أساسا هاما من أسس قيام المدن وتطورها قديما وحديثا . وتنعكس هذه الخدمات التجارية فى مواقع المدن على الطرق الهامة للنقل وعلى حدود الاقاليم الطبيعية الرئيسية وفى وسط كثير من البيئات المنتجة التى ترتبط بالمدن بشبكة نقل تعمل كشرايين بين هذه المدن واقاليمها الحضرية ، ومن ناحية أخرى فان الانشطة المرتبطة بالتجارة تؤدى الى قيام مهن أخرى فى المدينة فعلى سبيل المثال تتطلب وسائل النقل والمواصلات وجود محطات للشحن والتفريغ وشركات التامين وبنوكا متخصصة وغيرها .

ولما كان الانتاج الضخم سمة الثورة الصناعية ، فقد أصبح من الضرورى توسيع مجال النفوذ المدنى ليستوعب الانتاج الزائد وفى نفس الوقت أصبح الانتاج أكثر تخصصا ومن ثم أصبح نقل المواد الخام والمنتاجات الصناعية لمسافات وبكميات قليلة أمرا ضروريا عما كان عليه من قبل ، ونتيجة لذلك توسعت المؤسسات المرتبطة بالنقل والتجارة فى الموقع الهامة التى تتحكم فى الاسواق وفى النقل لمسافات بعيدة ، ولذا فان التخصص فى الانتاج والتطور فى التجارة والتضخم السكانى للمدن كلها مظاهر متداخلة الى حد كبير .

ويعتمد نمو المدن المتخصصة على التطور فى وسائل النقل بالطرق وبالسكك الحديدية وبالنقل المائى ، وكلما وفرت هذه الطرق خدمات نقل رخيص وسريع كلما أسهمت فى ازالة القيود والحواجز التجارية وتوسيع مجال الحصول على المواد الخام وتصريف المنتجات الصناعية لمسافات أبعد ، ولذلك استفادت كثير من الصناعات بالمواقع التى تقوم عندها المدن مرتبطة فى ذلك بعوامل التوطن الصناعى المحلى ، وما أن تنمو الصناعات فى مدينة ما حتى تجذب اليها صناعات أخرى بعامل التداعى سواء كانت صناعات من نفس التخصص أو صناعات قائمة على المنتجات العرضية .by - Products .

وبالاضافة الى المهن المرتبطة بالتجارة والصناعة ، فان كثيرا من المدن قد جذبت اليها انشطة مدنية أخرى معتمدة على النشاط القائم بالفعل فى هذه المدن وهى انشطة اضافية أو مساعدة Ancillary مرتبطة بدورها بالتجارة مثل خدمات البنوك والتامين وغيرها وكذلك شركات الاعلان والهيئات القضائية والاستشارية والمحاسبين وما الى ذلك ، وبالاضافة الى ذلك هناك أصحاب مهن أخرى فى مجال الخدمات الضرورية كالخدمات الطبية والخدمات الشخصية والتعليمية والصحية والمطاعم ووسائل الترفيه وكل مايرتبط بها .

أما المجموعة الاخيرة من الانشطة المساعدة التى تقوم بخدمات فرعية أخرى فهى تعد ضرورية لحياة المدن ومن ثم تكون نسبة هامة من القـوة العاملة مثل العاملين فى محطات الكهرباء والغاز والبلدية وشركات الميـاه والتى تصبح حياة المدينة بدونها مستحيلة وكذلك العـاملين فى الاطفـاء والامن والصحة وفى الخدمات الادارية فى الادارات العامة المختلفة داخـل المدينـــة .

المهن وتصنيف المدن حسب الوظائف :

يتباين تركيب السكان حسب المهن والنشـاط الاقتصادى من مدينـة لاخرى نتيجة الكثير من العوامل الجغرافية ، ولذلك فقد اتخذت المهـن المدنية كأساس لتصنيف المدن الى أنواع وظيفية ، ويرجع هذا التصنيف الوظيفى الى منتصف القرن الماضى حيث تمثل فى محاولات عدة معتمدة على احصاءات السكان بقصد فهم مواقع المدن فى ضوء الوظائف التى تقوم بها فى بيئاتها المحلية ، وكذلك دراسة العلاقة بين التركيب الوظيفى للمدينة وبعض ملامحها الجغرافية المميزة .

ومن المناهج المألوفة فى التصنيف الوظيفى للمدن ، ذلك المنهج الذى يقوم على التصنيف الوصفى العام ، مثل تحديد المدن الصناعية والمـدن التجارية ومدن المصايف والمشاتى والمدن الثقافية والدينية وغيرها وذلك دون محاولة حقيقية لتحديد ملامح التركيب الوظيفى لسكان كل منهـا ولاشك أن أول نقد لهذا التصنيف انه ليست هناك مدينـة تقوم بوظيفـة واحدة فقط ، بل ان المدينة هى تجمع سكانى فى بيئة ضيقة يمارس سكانها وظائف متعددة تتفاوت أهميتها النسبية من مدينة لاخرى حسب مجموعة معقدة من العوامل المتشابكة أبرزها العوامل الجغرافية ممثلة فى الموقـع والموضع وطبيعة الظهير المدنى ، كذلك فليست الحرف التى يمارسها أكبر عدد من السكان فى المدينة أكثرها أهمية فى اقتصادياتها ، فقد تجعـل المحلات التجارية ــ المدينة التعدينية مركزا هاما لتجارة التجزئة وليس للصناعات الاستخراجية ، كذلك فقد تكون الصناعات فى مدن الجامعات أهم من الوظيفة التعليمية التى تمارسها تلك المدن .

وقد ساعدت البيانات المتوفرة فى كثير من دول العـالم المتقـدم على اتباع منهج كمى يمكن تطبيقه فى دراسة وظائف المدن وارتباطها الوثيق بحرف السكان ومن أبرز هـذه المحاولات المبكرة محـاولة هاريس (C. D. Harris) سنة ١٩٤٣ بالتطبيق على مدن الولايات المتحـدة اعتمادا على

بيانات تعدادها سنة ١٩٣٠(١) وقامت محاولته الرئيسية على تحديد وظيفة واحدة فى المدينة عن طريق معرفة نسبة السكان العاملين فى مهن معينة بها ومن ثم تصبح المدينة متخصصة فى تلك الوظيفة وتصنف على هذا الاساس الا أن تطبيق هذه الطريقة ليس بتلك البساطة ذلك لان الوظيفة الهامة فى المدينة قد لايعمل فيها أكبر عدد من السكان بها كما سبق القول، ومثال ذلك أنه اذا كانت نسبة معينة للعاملين فى التجارة فى مدينة ما تسمح باعتبارها مركزا لتجارة الجملة Wholesaling Center فان نفس النسبة للعاملين فى الصناعة فى مدينة أخرى قد لاتكون كافية لاعتبار تلك المدينة مدينة صناعية Manufacturing Centre .

وللتغلب على هذه المشكلة درس «هاريس» تركيب السكان فى عدد من المدن التى اعتبرها ذات سمات وظيفية مميزة واعتمد على نتائج هذه الدراسة كأساس لتصنيف باقى المدن ، وعلى سبيل المثال فقد ذكر بأن المدينة يمكن تصنيفها على أنها مدينة صناعية اذا كان ٦٠٪ على الاقل من جملة العاملين بها يعملون فى الصناعة وفى تجارة المنتجات الصناعية، ومن ناحية أخرى فان مدينة «تجارة التجزئة» تصنف كذلك اذا كان ٥٠٪ من العاملين بها يشتغلون فى تجارة التجزئة ، ومدينة تجارة الجملة تعد كذلك اذا كان ٢٠٪ فقط من العاملين بها يعملون فى تجارة الجملة . وباستخدام نفس النسب ذكر هاريس أن هناك مدنا متعددة الوظائف Diversified وهى التى تقل نسبة العاملين فى الصناعة بها عن ٦٠٪ وتجارة التجزئة عن ٥٠٪ وتجارة الجملة عن ٢٠٪ ، وقد استخدمت نفس الطريقة فى تحديد مدن النقل ومدن التعدين ومدن الجامعات ، أما مدن المصايف والمشاتى فتميزت بانخفاض نسبة العاملين بها فى أى نوع من أنواع المهن .

وقد قوبلت آراء «هاريس» السابقة باعتراضات متعددة على أسس التصنيف الوظيفى للمدن ، أولها أن التصنيف لاياخذ فى الاعتبار النمط العمرانى الحضرى السائد بل يعتمد على احصاءات العمالة والنشاط الاقتصادى الواردة فى التعداد فقط ولاشك أن الاعتماد على بيانات التعداد فقط يخفى فى ثناياه الكثير من الحقائق عن التركيب المهنى ومثال ذلك أن ٨٠٪ من المدن الامريكية فى تصنيف هاريس اعتبرت متنوعة الوظائف

---

(1) Harris, C., "A Functional Classification of Cities in the United States", in "Readings in Urban Geography" edited by Mayer. H. and Kohn C., Op. Cit., pp. 129-138.

diversified بالرغم من أن هذا التنوع يعد عاملا هاما يفسر من خلاله الحجم الكبير لهذه المدن كذلك كان الكثير من هذه المدن الكبرى مراكز صناعية وتجارية رئيسية وكانت أيضا من أهم مراكز النقل والتعليم ٠

والواقع أن تعدد الوظائف فى المدن أصبح هو القاعدة السائدة ذلك لان قيام مدينة ما بوظيفة واحدة يكاد يكون أمرا نظريا بحتا غير موجود فى الواقع ولئن كان التخصص قد فرض نفسه بوضوح فى بعض الحالات كما فى بعض مدن الصناعة والتعدين والمدن الترفيهية الا أنه يبدو أساسا ظاهرة عابرة اذ لا تلبث الوظيفة القائمة أن تدعو اليها وظيفة أخرى أو وظائف أخرى ، فالوظيفة التجارية فى الموانىء تؤدى الى قيام ونمو الصناعة ، والمدن الصناعية لا تلبث أن تتحول الى سوق تجارية يتناسب مع أهميتها الصناعية وهكذا ، ولذلك ما تلبث المهن والانشطة الاقتصادية أن تتنوع فى المدينة الواحدة مع تباين قليل فى أهميتها النسبية من مدينة لاخرى ٠

الباب الخامس

الســـكان والموارد الاقتصـــادية

الفصل الخامس عشر

العـــلاقة بين الســكان والموارد

حظى موضوع العلاقة بين السكان والموارد باهتمامات كبيرة منذ وقت مبكر من العصر الحديث ، وكان ذلك نتيجة لما شوهد من تزايد كبـير فى أعداد السكان بمعدلات تفوق الزيادة فى الموارد الاقتصادية وخاصة موارد الغذاء ، وكان روبرت توماس مالثوس R. T. Malthus من أوائل الذين سلطوا الضوء لأول مرة على مشكلات الموارد الغذائية والتزايد الســكانى وذلك فى مقاله الشـهير فى سنة ١٧٩٨ بعنوان «مقــال عن مبــدأ السكان An Essay on the Principle of Population » ، وكان فحـــوى المفهـــوم المالثوسى أن قدرة التزايد السكانى أكبر بكثير وبغير حدود من قدرة الارض على انتاج وسائل العيش ، وذكر قولته المشـهورة بأن الزيادة الســكانية تتبع متوالية هندسية بينما زيادة الغذاء تتبع متوالية عددية ، وليس هذا الفرض دقيقا تماما على أية حال ـ ولكن تكمن أهميته فى اثارة الانتبـاه نحو توضيح العلاقة بين السكان والغذاء خاصة فى الدول المتخلفة ، فمـع افتراض أن موارد الغذاء يمكن أن تتضاعف كل عشرين عاما مثلا فان ذلك يعنى ببساطة أنه بعــد مائة ســنة سيتضاعف الغــذاء ست مرات بينمــا سيتضاعف الســكان اثنتان وثلاثون مرة فى نفس الفترة • وسنناقش ذلك فيما بعد فى اطار النظريات السكانية •

وتبين هذه النظرية أن سكان العالم سيواجهون موقفا صعبا لن يقدروا معه على حل مشكلة المجاعات حيث ستتناقص كمية الغذاء المتاحة للفرد الواحد حتى تخضع اعداد البشر للضــوابط الطبيعية مثل الكــوارث أو الامراض أو الحروب ، ولكن تنبؤات مالثوس لم تتحقق بالصــورة التى ذكرها ، وذلك للزيادة الكبيرة وغير المتوقعة فى الانتاج الاقتصادى فى خلال القرن التاسع عشر والعشرين وهى الزيادة التى نجمت أساسا عن التقدم التكنولوجى فى الزراعة والصناعة والنقل ، ففى بريطانيا مثــلا ـ حيث وجدت آراء مالثوس فى البداية اهتماما كبيرا ، تزايد السكان من ١٠ مليون

نسمة فى سنة ١٨٠١ الى ٣٧ مليون سنة ١٩٠١ دون أن ينخفض مستوى معيشتهم ، ولعل فى قدرة بريطانيا الصناعية ما يساعدها على استيراد كميات كبيرة من الغذاء والمواد الخام اللازمة لصناعتها من الخارج ، وبالاضافة الى ذلك فان معدل الزيادة السكانية فى بريطانيا تناقص بسرعة فى أوائل القرن،ولكن كل هذه النتائج التى ترتبت على الثورتين الصناعية والزراعية لم تستفد منها كل المجتمعات التى تعانى التضخم السكانى فى الوقت الحاضر ، ولذلك فان أعدادا ضخمة من سكان الدول النامية فى عالم اليوم تعيش المعضلة المالثوسية المقيتة،ولعل فى انخفاض المستوى الغذائى فى افريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية مايدل على ذلك بالمقارنة مع المجتمعات المتقدمة فى أمريكا الشمالية بأوربا ودول الكومنولث واليابان ونيوزيلندا .

وتعد العلاقة بين حجم ومستوى السكان من ناحية وكمية وقيمة الموارد الاقتصادية من ناحية أخرى أساسا هاما لتحديد الاقاليم السكانية على خريطة العالم،وتعتمد تلك الاقاليم على شخصية المجتمع الحضارية الكامنة ومستواه الاقتصادى والاجتماعى وعلاقاته الخارجية بالمجتمعات الاخرى، وبالرغم من أن نسبة السكان الى الموارد Population Resource Ratio ترتبط بعنصرين أحدهما بشرى والاخر طبيعى ، فان التوجيه الرئيسى للاقاليم السكانية فى ضوء الموارد يعتمد على خصائص السكان بالدرجة الاولى .

ويمكن تعريف المورد Resource بانه «المادة أو الخاصية الطبيعية للمكان التى يمكن استخدامها فى بعض الوجوه لاشباع حاجة بشرية وتشمل الموارد الامكانيات الطبيعية والبيولوجية الكامنة للثروة المعدنية والتربة والحياتين النباتية والحيوانية والمياه والمناخ فى مكان ما سواء عرفت أو استغلت بواسطة سكان هذا المكان أو بواسطة سكان آخرين(١)» . ففى المجتمعات البدائية مثلا يشمل المورد الغذاء والمواد الاخرى المتاحة مثل الصخور والنبات والحيوان والتى يمكن تحويلها بسهولة الى مسكن وملبس وأدوات مختلفة للاستخدام المحلى .

وفى ضوء ذلك فان استغلال المورد يعد نتاجا للطموح البشرى والتراث

---

(1) Zelinsky, W., Prologue to Population Geography, Prentice-Hall International, Inc., London, 1970, p. 103.

والمواهب والعمل وينعكس ذلك كله على المكونات الطبيعية للبيئة الجغرافية ، ولذا فان قيمة أى مورد من موارد البيئة يمكن أن تتحدد فى دراسة الجغرافيا الاقتصادية ، أما دارس جغرافية السكان فيهتم بكمية الموارد المعروفة ونسبة السكان الى هذه الموارد ، فبالرغم من تباين التوزيع الاقليمى للموارد فى الدولة الواحدة فان كل أقاليمها تتقاسم الدخل القومى فى النهاية وتنتقل السلع والخدمات وأوجه الثروة المتعددة من الاقاليم الاحسن حالا الى الاقاليم الاقل ، ولايبدو ذلك التناقض بين أقاليم الدولة فقط بل بين الدول بعضها وبعض ، ويكفى النظر الى الحدود الدولية كتلك التى تفصل بين المكسيك والولايات المتحدة لندرك كيف تخلق الاختلافات الاقتصادية القومية فروقا حادة فى مستويات العيش بين الدولتين.

وبالاضافة الى ماسبق فان الدولة لاتنتج بالضرورة كل احتياجاتها من المواد الخام اللازمة لامداد سكانها بالغذاء والطاقة والملبس والمتطلبات الاخرى ، وبتحديد أكثر فان السكان لايعتمدون كلية على الموارد المحلية للعمل والثروة فحسب ، بل على الموارد الخارجية كذلك ، فاذا كان للدولة فائض كبير من الموارد الطبيعية يمكن تصديره فان التجارة الدولية وعلاقاتها الخارجية تساعدها حينذاك على استكمال ما ينقصها من سلع مادية وخدمات .

ومن الواضح أن حجم الاقليم يعد أمرا هاما فى تحديد العلاقة بين السكان والموارد ، فالمساحة الضخمة للولايات المتحدة أو دول الكومنولث أو الصين أو البرازيل مثلا تساعد على امكان البحث عن الموارد الطبيعية واستغلالها كما تجعل انتاج بعض عناصر الثروة فائضا عن الاحتياجات القومية مما يسهم فى تصديرها ، وذلك بعكس الدول ذات الاحجام الصغيرة والتى تحتاج لجهود كبيرة فى التنمية الاقتصادية وتوفير الاحتياجات لسكانها ، ولكن مع كل ذلك فليست هناك سيادة مطلقة لكل دولة فى تحقيق اكتفاء ذاتى فى كل الموارد، يتساوى فى ذلك الدول العملاقة المساحة أو التى تتميز بمساحة قزمية ، ولكن فى معظم الاحوال فان المساحة الكبيرة تساعد على خلق نسبة ملائمة بين السكان والموارد ومن ثم تزايد احتمالات تحقيق مستوى معيشى مرتفع .

وتؤثر الخصائص الاقتصادية لأى اقليم تأثيرا مباشرا على أنماط التوزيع السكانى بطريقة تفوق مؤثرات العناصر الطبيعية وتحدد هذه الخصائص مستوى ونوع الاستجابة البشرية لتلك العناصر فى مكان وزمان

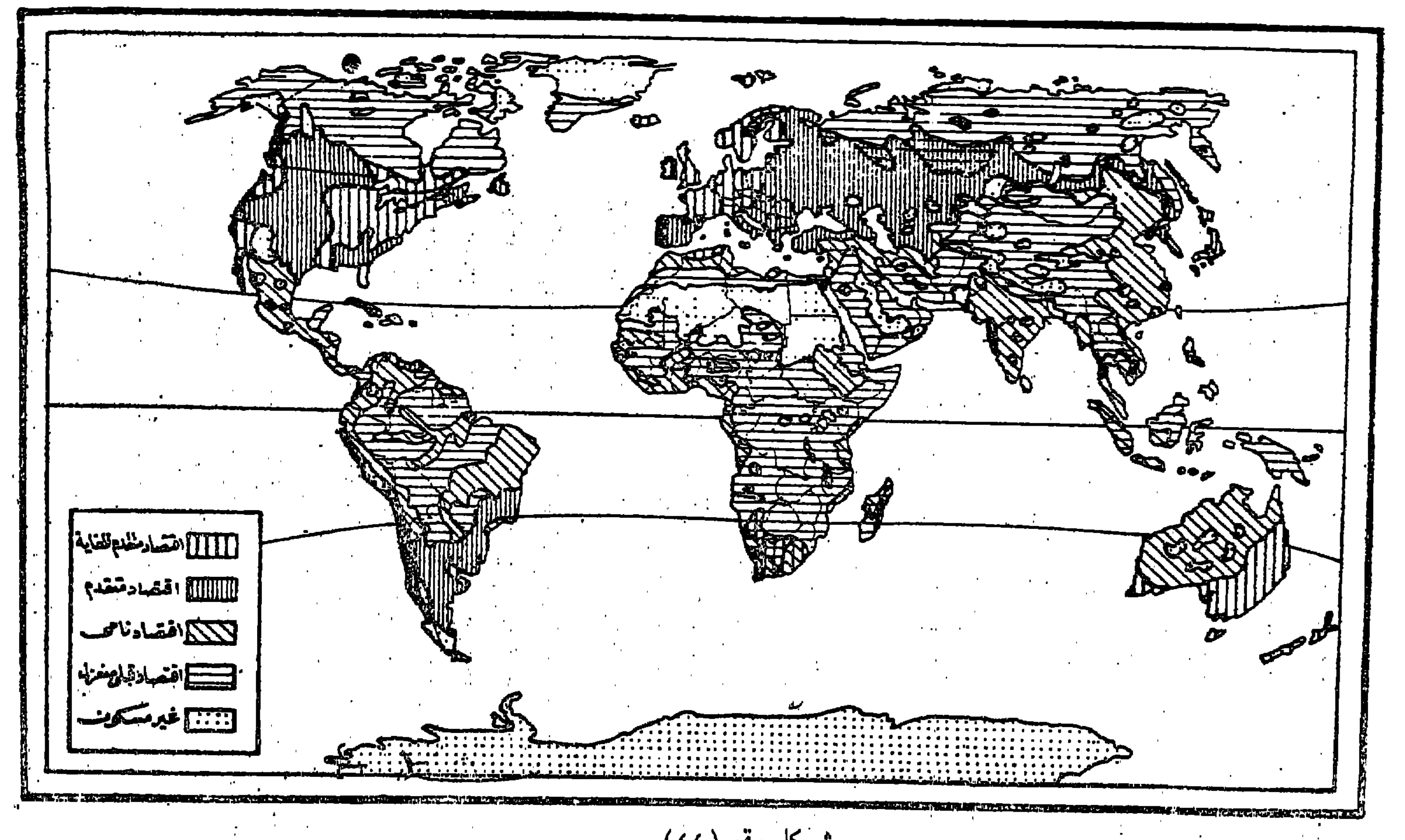
محددين ، وفى اطار ما تمنحه الشخصية الطبيعية للبيئة ، ومعنى ذلك أن أعداد السكان تتحدد فى ضوء الترابط بين الموارد الاقتصادية من جهة والعناصر الطبيعية للبيئة من جهة أخرى ، ويبدو ذلك فى نمط الحياة فى البيئات المختلفة سواء كانت تتميز باقتصاد بدائى أساسه الصيد والجمع والرعى البدائى أو باقتصاد حديث عماده الزراعة المتقدمة والرعى التجارى والتعدين وقطع الاشجار ، ويتعرض عدد السكان ونمط حياتهم فى البيئة للتغير المستمر تماما كما يحدث ذلك التغير للظاهرات البيئية سواء بفعل الطبيعة أو بفعل البشر ، ولكن من الواضح أن الاقتصاد هو أكثر تغيرا فى عناصره المتعددة بالمقارنة مع المكونات الطبيعية للبيئة ٠

ويعد فهم طبيعة النظام الاقتصادى السائد خطوة هامة فى فهم حجم وتوزيع السكان فى البيئات الجغرافية وذلك لما لهذه الحتمية الاقتصادية من اثر فعال فى ذلك،فمن الواضح أن هناك ارتباطا قويا بين حجم السكان والمستوى الاقتصادى من ناحية ، كما أن هناك ميلا عاما نحو التزايد السكانى بتطور الاسلوب الاقتصادى وتقدمه من نمط بدائى الى نمط متقدم من ناحية أخرى ٠ (شكل ٤٤) ٠

وقد حدا ذلك ببعض الكتاب الى محاولة وضع صيغة تعكس العلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية فى البيئات المختلفة ، ومن أبرز هؤلاء ادوارد ايكرمان Edward Ackerman الذى اقترح معادلة لذلك الغرض(١) والتى فحواها بايجاز أن مجموع السكان فى منطقة ما هو نتاج لعدة عناصر أبرزها الموارد الطبيعية وخواصها والمستوى التكنولوجى والادارة وأسلوب الاستغلال الاقتصادى والتجارة والتى تتفاعل بدورها لتحدد مستوى المعيشة السائد فى المجتمع ، ومن الصعب وان لم يكن من المستحيل جمع بيانات أساسية لمنطقة محددة وفى فترة محددة لحساب هذه المعادلة ، ومع ذلك فان محاولة تطبيقها قد تؤدى الى بعض النتائج الهامة فى دراسة العلاقة بين السكان والموارد ، فهناك على الاقل ـ ثلاثة عناصر فى هذه المعادلة جديرة بالاهتمام ـ وهى حجم السكان والموارد ومستوى العيش ، وهى عناصر غير مستقلة عن بعضها البعض بل تتفاعل فيما بينها تفاعلا متبادلا ولذا فان استغلال الموارد الاقتصادية المتاحة يعد انعكاسا لعدد السكان

---

(1) Ackerman, E., "Population and Natural Resources", in Philip M. Hauser and Otis Dudley Duncan, eds. The Study of Popluation, Op. Cit., pp. 621-648.



شكل رقم (٤٤)
مستوى التنمية الاقتصادية فى العالم

ومستوى معيشتهم ، كما وأن هناك عوامل أخرى تؤثر فى ذلك ولاتظهرها المعادلة مثل العامل التاريخى والتراث الحضارى وغير ذلك ٠

وقد يكون العنصر الزمنى أبرز العناصر المؤثرة فى تحديد حجم السكان وتوزيعهم ، وترتبط معادلة ايكرمان نظريا باقتصاد سائد فى فترة زمنية محددة لتفسير الوضع الراهن لحجم السكان ، ذلك لان العمليات الديموغرافية تتم فى زمن ليس بقصير ، وهى فى ذلك ترتبط بتور النمط الاقتصادى فى الزمان والمكان ، فعوامل السبق التاريخى والجغرافى مثلا تعاونت فى تحديد مناطق التركز والتخلخل السكانى ، ولذا فان دراسة التطور الزمنى تعد ضرورية لفهم خريطة توزيع السكان كما سبق القول، حيث تراكمت الظواهر التى خلفتها الظروف التاريخية وعملت على تشكيل نمط التوزيع السكانى الحالى ، ولعل فى تضافر الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى تحديد مناطق الهجرة السكانية الوافدة والمغادرة بل وفى تحديد مستويات النمو الطبيعى للسكان ما يدل على ذلك ٠

وبالنظر الى طرف المعادلة المرتبط بالموارد يبدو أنه من الصعب للغاية - وان لم يكن مستحيلا - تحديد حجم وكمية الموارد المتوفرة الكامنة فى أى منطقة ، ولكن باستخدام اجمالى عدد السكان المطلق يمكن الاستدلال على نسبة هؤلاء السكان الى الموارد ٠ ومن المعروف أن السكان عنصر دائم التغير سواء كمؤثرات فى الانتاج أو الاستهلاك ، ذلك لان السكان يختلفون فى معدلات الانتاج بنفس اختلافهم فى مستويات الاستهلاك ، ويعتمد ذلك بطبيعة الحال على مجموعة من العوامل المتشابكة ، ولذا فان دراسة توزيع السكان فى أى منطقة لا تتطلب دراسة دور السكان فى الانتاج فقط بل دورهم فى الاستهلاك كذلك وبمعنى آخر معرفة مستوى المعيشة المقبول فى ضوء الموارد المتاحة والمستوى الحضارى السائد ٠

وعلى ذلك فانه من قبيل الاوصاف العامة التحدث أحيانا عن العلاقة بين السكان والموارد فى بيئة أو منطقة ما بأسلوب التعميم مثل القول بأن هناك «توازنا» بين الموارد والسكان أو بأن هناك نقصا حادا فى عدد السكان بالنسبة للموارد التى يمكن أن تستغل بالاساليب المحلية ، ولذلك فان من السمات الهامة فى نسبة السكان الى الموارد أن اضافة أعداد من السكان فى منطقة ما لا يعنى بالضرورة هبوط مستوى المعيشة خاصة اذا كانت الاعداد المضافة تفوق فى خصائصها باقى السكان فى المستوى التكنولوجى ، فعندما توصف دولة ما بان سكانها أقل من مواردها فان أى

نمو سكانى قد يزيد من رفاهيتها ويرفع من نصيب الفرد من استخدام الموارد عن طريق تعزيز القوى العاملة بها .

وفى ضوء ماسبق فان كثافة السكان فى منطقة ما والتى تعنى بأن عددا معينا من الاشخاص يقطنون الكيلو متر المربع الواحد أو أية وحدة مساحية أخرى قد لاتعكس الظروف الجغرافية السائدة فى البيئة مباشرة ، ذلك لان من المشاهد على خريطة توزيع السكان فى العالم أن الكثافات السكانية العالية يمكن أن تتعايش مع مستويات معيشة عالية أيضا ، ولعل فى شمال غرب أوربا دليل واضح على ذلك ويقابل ذلك بطبيعة الحال أن الكثافة المنخفضة ليست قرينة بارتفاع فى المستوى المعيشى بل قد تكون مقترنة بانخفاضه كما فى كثير من دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا .

مقاييس العلاقة بين السكان والموارد :

سبق القول بأنه ليس من السهل الحكم مباشرة على العلاقة بين السكان والموارد وذلك لصعوبة قياس الموارد قياسا كميا وكذلك فان للسكان احتياجات متعددة وقيم وعادات مختلفة ومن ثم فليس هناك قياس بسيط للحجم الامثل للسكان أو للحجم الزائد أو الناقص لهم .

وفى محاولة لتحديد العلاقة بين السكان والموارد تحديدا نظريا وضعت الامم المتحدة ثمانية مقاييس لهذا الغرض(1) ويمكن أن نضيف اليها نسبة الاعالة وهذه المقاييس هى :

١ ــ متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى .

٢ ــ مستوى العمالة السائدة .

٣ ــ ظهور مبدأ الغلة المتناقصة .

٤ ــ حجم الهجرة واتجاهها .

٥ ــ التغيرات فى أنماط الاستهلاك ونصيب الفرد من الغذاء .

٦ ــ أمد الحياة .

٧ ــ التغيرات بالنسبة للتجارة الدولية .

---

(1) U.N. The Determinants and Consequences of Population Trends, New York, 1953.

٨ ـ الكثافة السكانية ٠

٩ ـ نسبة الاعالة ٠

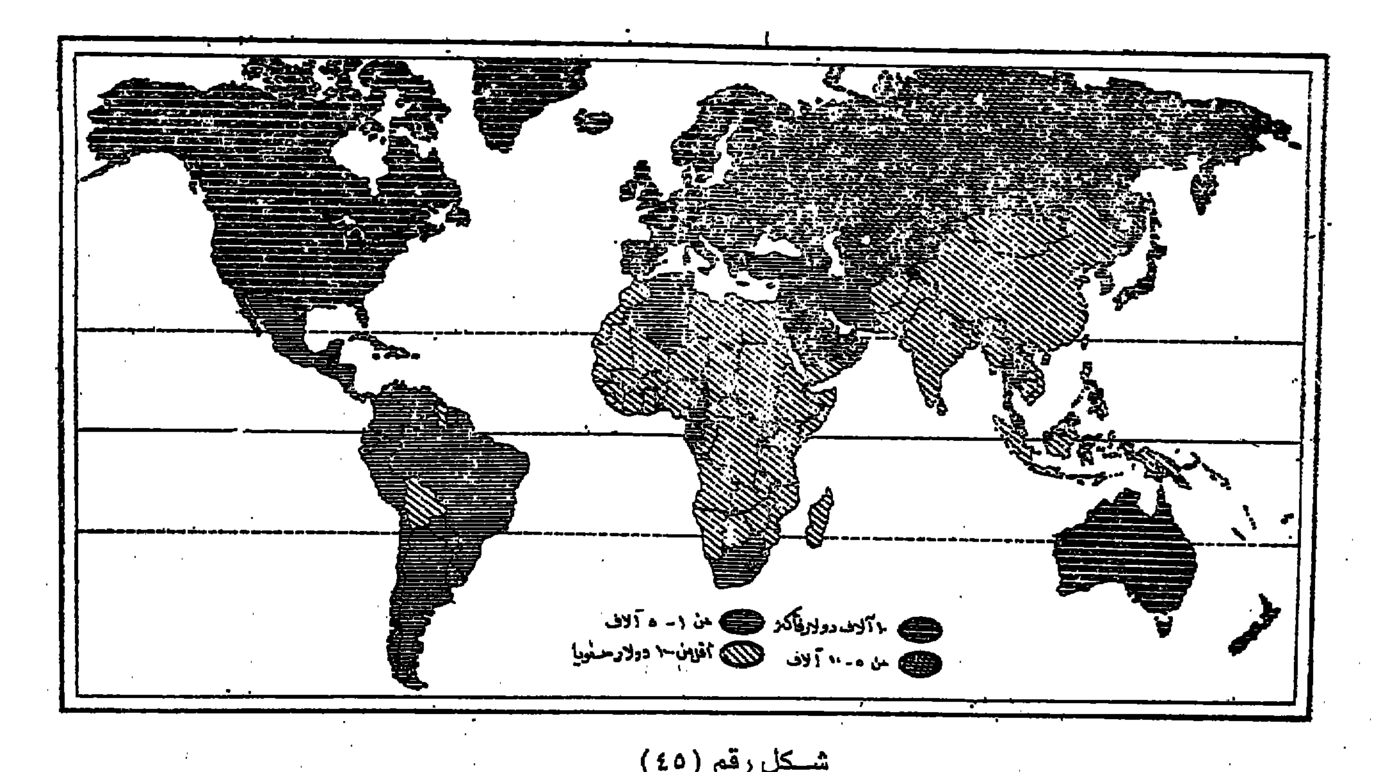
وليس هناك مقياس واحد من هذه المقاييس يحظى برضاء كامل فيما يعبر عنه ، حيث يعكس كل منها أحوالا أخرى بعيدة عن العلاقة المباشرة بين الموارد والسكان ولكن بعضها قد يكون مقياسا مفيدا فى حالات كثيرة مثل متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى الذى يمكن الحكم بواسطته على الغنى والفقر ٠ ومن ثم يقسم العالم الى دول غنية وأخرى فقيرة (شكل رقم ٤٥) ٠

وبالاضافة الى ماسبق فليست هناك قيمة ثابتة فى الزمان أو فى المكان لفهوم الحجم الزائد أو الامثل أو الناقص للسكان فقد يكون الحجم المثالى فى منطقة ما حجما أقل أو أكثر فى منطقة أخرى ـ كما أن التغير فى الاحوال الاجتماعية والاقتصادية يعنى أن الحجم الامثل للسكان اليوم قد يكون حجما زائدا غدا ، وتعد الحركة السكانية (الطبيعية والجغرافية) والتطور التقنى الحديث مسئولة عن هذا الوضع المتغير ، ولكن التقدم التقنى ليس متساويا فى التطبيق فى كل أجزاء العالم ولا يؤدى بالضرورة الى نفس النتيجة فى كل مكان يسود به ، ومع ذلك فلا مناص من القاء الضوء على بعض هذه المفاهيم السائدة ٠

الحجم الامثل للسكان Optimum Population :

كان كانتيون Cantillon أحد كتاب أوائل القرن الثامن عشر ، أول من أشار الى الحجم الامثل للسكان وكيف يساعد على تحقيق أعلى مستوى للعيش فى مساحة معينة وفى ظل ظروف خاصة ، وفى ضوء الاراء والافكار التى قيلت عن الحجم الاقصى للسكان الذى يمكن أن يعيش فى منطقة محدودة فقد أدخل «كانتيون» مفهوم العادات والتقاليد لشعب ما كعامل هام مع الموارد الاقتصادية ، ولكن مع ذلك كله بقى السؤال الهام عما اذا كانت الزيادة فى عدد السكان سترفع من مستويات العيش للسكان أو تخفض منها ٠

والحجم الامثل للسكان أمر نسبى تماما ، فعلى سبيل المثال ليس هناك من شك فى أن حجم السكان البالغ ١٠ مليون نسمة فى بريطانيا فى ظل ظروف اجتماعية واقتصادية معينة ـ يؤدى الى انخفاض فى مستويات العيش بها ٠ ذلك لان كثيرا من الموارد ستصبح غير مستغلة وستنخفض



شكل رقم (٤٥)

نصيب الفرد من الناتج القومى سنويا بالدولار

الخدمات بدرجة كبيرة ، ومن ناحية أخرى فان عددا قدره ١٠٠ مليـون نسمة مثلا سيتطلب موارد أكثر مما هو متاح حاليا فى بريطانيا ، وفيما بين هذين الرقمين يقع الحجم الامثـل للسـكان والذى يختلف الكثـيرون فى تحديده بدقة ، ولا تختلف بريطانيا كثيرا عن بقية دول العالم فى هـذا الصدد ولذلك كله فمن الصعب للغاية أن نوضح على خريطة العالم توزيع الدول حسب الحجم الامثل لسكانها .

ومع ذلك فهناك مؤشرات هامة يمكن الاستدلال بها على الحجم الامثل للسكان من أبرزها مستوى المعيشة المرتفع والعمالة الكاملة والتنمية السليمة للمـوارد والتركيب الديموغـرافى المتوازن ، ويلاحظ أن هـذه المؤشرات تختلف فى الزمان والمكان تبعا لمجموعة متعددة من العـوامل مثل حجم الدولة وجغرافيتها وتركيبها الاجتماعى ومرحلة التقدم التكنولوجى الذى وصلت اليه،ثم كفاءة شرايين النقل بها وغير ذلك،وبصفة عامة يكون المدى الرقمى للحجم الامثل للسكان كبيرا فى الاقتصاد والبيئات المفتوحة عنه فى الاقتصاد المتخصص والمجتمعات المنعزلة حيث يؤدى نمو السكان والازمات الاقتصادية والحروب أو الجفاف الى كوارث تخل بالتوازن بين السـكان والموارد ويمكن القول بأن الحجم الامثل للسكان قد تحقق فى دول شمال أوربا وان كان بعضها مثل هولنده قد بدأ يعيش فى مرحلة الحجم الزائد للسـكان .

وقد حظى مفهـوم الحجم الامثل للسكان فى أوربا والولايات المتحدة باهتمام واضح فى السـنوات الفاصلة بين الحـربين العالميتين ولكنه واجه نقدا شديدا على أسس نظرية وعملية خاصة من جانب الكتاب الشيوعيين الذين يرونه انعكاسا لنظرية مالثوس فى السكان ، وقد أصبح من السـائد اليوم بين معظم الديموغرافيين أن الحجم الامثل للسكان لايمكن حسـابه أو تقديره على أساس أن الاقتصاد والسكان قابلان للتغيرات السريعة بدرجة لاتسمح بامكان حساب هذا الحجم بدقة .

الحجم الزائد للسـكان Over Population :

يطلق تعبير الحجم الزائد للسكان أو كما يعـرف أحيانا بالتضخم أو الانفجار السكانى عندما يكون هناك تزايدا سكانيا بدرجة تفـوق نسـبة الزيادة فى الموارد المستغلة أو الكامنة ، وقد ينتج ذلك عن زيادة فى حجم السكان وتناقص فى الموارد وفى العمل ، والزيادة السكانية المطلقة يمكن أن تتميز عن التزايد السكانى النسبى فى ضوء العلاقة بين السكان والانتاج ،

فالاولى تحدث عندما يكون الحد المطلق للانتاج قد تم الوصول اليه رغم بقاء مستويات المعيشة منخفضة ، أما الاخر فيدل على أن الانتاج الحالى غير كاف للسكان رغم امكان زيادته بدرجة أكبر ، والشائع دائما استخدام الحجم الزائد النسبى للسكان وليس الحجم المطلق .

والحجم الزائد للسكان يمكن أن يوجد فى مستويات متعددة من الحياة الريفية والصناعية وعلى المستوى المحلى أو الاقليمى أو القومى ، ويبدو ذلك واضحا فى الريف وفى المناطق المتخلفة والمزدحمة كما فى جنوب شرق آسيا حيث الخصوبة مرتفعة والوفيات منخفضة والزراعة كثيفة والارض الزراعية مجزأة تماما والاساليب الزراعية متخلفة .

وينتج التزايد السكانى فى المناطق الريفية عن عدة عوامل أبرزها :

أ - تباين توزيع الاراضى الزراعية بين السكان .

ب - نقصان الطلب على الايدى العاملة الزراعية نتيجة تزايد الميكنة الزراعية .

جـ - ارتفاع مستويات الخصوبة للسكان الريفيين .

ويرى «بيير جورج P. George» أن المجاعات والبطالة والتزايد فى عدد غير الملاك للاراضى الزراعية كلها أعراض للحجم الزائد للسكان فى الريف(1) ويمكن أن نضيف اليها انخفاض مستوى المعيشة وتزايد نسبة الصغار وبالتالى ارتفاع معدلات الاعالة ، ومن سوء الحظ فان حلول هذا التضخم السكانى - فيما عدا الهجرة تعد حلولا صعبة وبطيئة وقد تكون الثورات الاجتماعية والثقافية على المدى البعيد ذات تأثير فعال فى هذا الصدد .

أما فى الدول الصناعية فان التضخم السكانى بها يكون أقل وضوحا وذلك للمرونة الكبيرة ، وانتقال الايدى العاملة بسهولة وبدرجة أكبر من العمال الزراعيين،وينتج التضخم السكانى فى المناطق الصناعية عن عوامل منها التطور التقنى الذى يؤدى الى توفير الايدى العاملة ، كما أن الهبوط الدورى والمؤقت المرتبط بدورات التجارة أو كسادها يسبب بدوره تضخما سكانيا مؤقتا ، ولعل الازمة العالمية فى الثلاثينيات دليل على ذلك حيث

---

(1) George, P. Geographieque la Population, Paris, 1973.

كانت الاقاليم الصناعية مناطق طرد سكانى وشهدت هجرة مغادرة على نطاق واسع ٠

وفى الوقت الحاضر تشهد بعض المناطق فى الدول الصناعية مثل بلجيكا وايطاليا واليابان تضخما سكانيا محليا يمثل مشكلة قومية،وحتى فى الدول ذات الحجم السكانى الناقص مثل استراليا ونيوزيلنده والبرازيل توجد «جزر» مبعثرة ذات تضخم سكانى ، وفى دول أخرى مثل أندونيسيا توجد مناطق متضخمة سكانيا وأخرى ذات حجم ناقص ، فضغط السكان فى جاوه وأجزاء من سومطره يتناقض تماما مع نقص السكان فى بورنيو وبعض الجزر الاخرى ، وبالاضافة الى كل ذلك فهناك جزر تعانى من مشكلة التضخم السكانى مثل مالطة وموريشيوس وريونيون وهونج كونج وبعض جزر البحر الكاريبى مثل بورتوريكو وبربادوس وبعض الجزر الاخرى ٠

الحجم الناقص للسكان Under Population :

يسود مفهوم الحجم الناقص للسكان حيثما كان عدد السكان قليلا بدرجة لاتسمح بالاستغلال الكامل للموارد أو حيث تستطيع الموارد أن تمد عددا أكبر من السكان بالغذاء والاحتياجات الاخرى دون أن يؤدى تزايدهم الى نقصان فى مستوى المعيشة أو تزايد فى معدلات البطالة ٠

والحجم الناقص المطلق نادر ولا يوجد الا فى المجتمعات البدائية المنعزلة حيث لا تتزايد أعداد السكان نتيجة النقص الطبيعى أو عدم كفاية الانتاج الاقتصادى أما الحجم الناقص النسبى وهو الذى يعينه دارسو السكان فيحدث عندما لا تستغل الموارد بدرجة كافية بسبب نقص السكان فى المجتمع ٠

ويسود الحجم الناقص للسكان بين الشعوب المتقدمة والتى تمارس زراعة واسعة كما فى براري أمريكا الشمالية وأجزاء من استراليا ونيوزيلنده وبين بعض الشعوب المتخلفة مثل قبائل الرعاة فى الاقاليم الجافة والقبائل التى تمارس الزراعة المتنقلة فى أفريقيا كما فى زامبيا مثلا(١) ٠

ومن الصعب مواجهة الحجم الناقص للسكان فى بعض الاقاليم خاصة فى المناطق الريفية دون تدخل حكومى لتشجيع الاستقرار واقامة مشروعات

---

(1) Clarke, J., Population Geography. Op. Cit., pp. 153-158.

التوطين ، ويعد مشروع الاصلاح الزراعى فى مصر والتوسع الزراعى بها من الامثلة على محاولات الحكومة لمواجهة الحجم الزائد للسكان فى بعض المناطق والحجم الناقص فى مناطق أخرى بقصد احداث توازن سكانى بين الاقاليم ، وفى الشعوب المتخلفة فان الحجم الناقص يمكن مواجهته بتحسين الخدمات الطبية والغذاء والعمل على تخفيض معدلات الوفيات وتوطين السكان الرحل .

وتعد كندا من الامثلة البارزة على دولة متقدمة ذات حجم سكانى ناقص ، وترى حكومتها أن عدد سكانها الحاليين البالغ ٢٧ مليون نسمة يمكن أن يتضاعف فى نهاية هذا القرن دون أن يكون هناك هبوط فى مستوى معيشة السكان ، ويرجع ذلك الى وجود مساحات شاسعة من الاراضى فى الشمال الكندى تنتظر الاستغلال والتنمية بالاضافة الى الموارد الضخمة من الطاقة الكهرومائية التى لم تستغل بعد .

أما الاستراليون - فبالرغم من حجمهم الناقص بالنسبة لموارد بلادهم فانهم قلقون من تزايد حجمهم فى المستقبل ، ذلك لان مجالات التنمية المستقبلة لديهم أقل منها فى كندا حيث أن معظم مساحة استراليا صحراوى أو شبه صحراوى ، ولذا تستمر استراليا فى اتباع سياسة استراليا البيضاء والتى تمنع بمقتضاها هجرة غير البيض اليها ، وهى فى ذلك تتخوف من تطبيق سياسة الباب المفتوح التى ستؤدى الى تدفق ملايين الاسيويين الى الاقاليم المدارية الشمالية بها،مما سيتمخض فىالنهاية عن نتائج ديموغرافية معقدة ، ولهذا كله تمد الحكومة الاسترالية يد المساعدة الاقتصادية للعناصر البيضاء الراغبة فى الهجرة بشرط أن يكونوا أصحاء ومدربين على أعمال محددة ، وتأمل الحكومة أن يزيد عدد سكان استراليا من ١٨ مليون نسمة فى الوقت الحاضر الى ٢٠ مليون نسمة فى سنة ٢٠٠٠ .

ويبدو مما سبق فى مثلى كندا واستراليا أن الهدف فى مواجهة الحجم السكانى الناقص هو زيادة الكثافة السكانية بهذين البلدين ومعنى ذلك أن زيادة الكثافة ليست مرادفا للحجم الزائد للسكان ، ذلك لان بعض المناطق الصناعية فى بريطانيا مثلا تسود بها كثافات أكثر من تلك الكثافات السائدة فى المناطق الريفية بالهند ، وليس هناك من يدعى بطبيعة الحال أن بريطانيا تعانى من التضخم السكانى أكثر من الهند ، ومن ناحية أخرى فان منطقة الكوارث فى شمال شرق البرازيل والتى تقل بها كثافة السكان

عن شخصين فقط فى الميل المربع تشتهر بفقرها وجوعها وهى مثال كلاسيكى للمناطق ذات الحجم السكانى الزائد(1) .

وفى دراسة حديثة أجريت عن دول العالم لتوضيح العلاقة بين توزيع السكان من ناحية والناتج المحلى من ناحية أخرى تبين مدى اتساع الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة كما يبين الشكل رقم (٤٤) . وببساطة شديدة فان الدول الغنية التى يبلغ عدد سكانها أقل قليلا من ربع سكان العالم يسهمون بأكثر من ثلاثة أرباع الناتج المحلى الكلى على المستوى العالمى ، ويزيد متوسط نصيب الفرد فى هذه الدول عن ٨٠٠٠ دولارا سنويا . أما الدول النامية والتى يعيش بها أكثر قليلا من ثلاثة أرباع سكان العالم فيسهمون بأقل من ربع الناتج الكلى العالمى ـ ويتراوح متوسط نصيب الفرد فيها من ٧٥٠ ـ ١٠٠٠ دولار سنويا . بل ان الوضع يزداد سوءا فى الدول الافقر (٣٥ دولة) التى تحوى حوالى نصف سكان العالم وتسهم فقط فى انتاجه بنحو ٥٪ فقط ويتدنى نصيب الفرد من الناتج القومى فيها الى حوالى ٣٠٠ دولارا فقط(2) .

---

(1) Lowry, J. H., World Population and Food Supply, Edward Arnold (Publisher) Ltd., London, 1971, pp. 22-23.

(2) The World Bank, World Development Report, 1983, pp. 148-149.

الفصل السادس عشر

الاقاليم السكانية الاقتصادية

فى ضوء الصعوبات الجمة التى تكتنف تعريف وقياس العلاقة بين الموارد والسكان فى اقليم ما ومشكلة صياغة هذه العلاقة فى معادلة دقيقة تعبر عنها بدقة ، فقد حاول بعض الكتاب تقسيم العالم الى أقاليم سكانية اقتصادية على أساس ثلاثة متغيرات هى السكان والمستوى التكنولوجى والموارد ، ويعد تقسيم **ايكرمان** أبرز هذه التقسيمات وان كان يتميز بالتعميم ، وقد قسم العالم الى خمسة أنماط رئيسية توضحها الخريطة رقم (٤٦) ، وهى على النحو التالى[١] ٠

١ ـ مناطق متقدمة تكنولوجيا وتنخفض فيها نسبة السكان الى الموارد ويمثلها نمط الولايات المتحدة الامريكية ٠

٢ ـ مناطق متقدمة تكنولوجيا وترتفع فيها نسبة السكان الى الموارد ويمثلها النمط الاوربى ٠

٣ ـ مناطق متخلفة تكنولوجيا وتنخفض فيها نسبة السكان الى الموارد ويمثلها النمط البرازيلى ٠

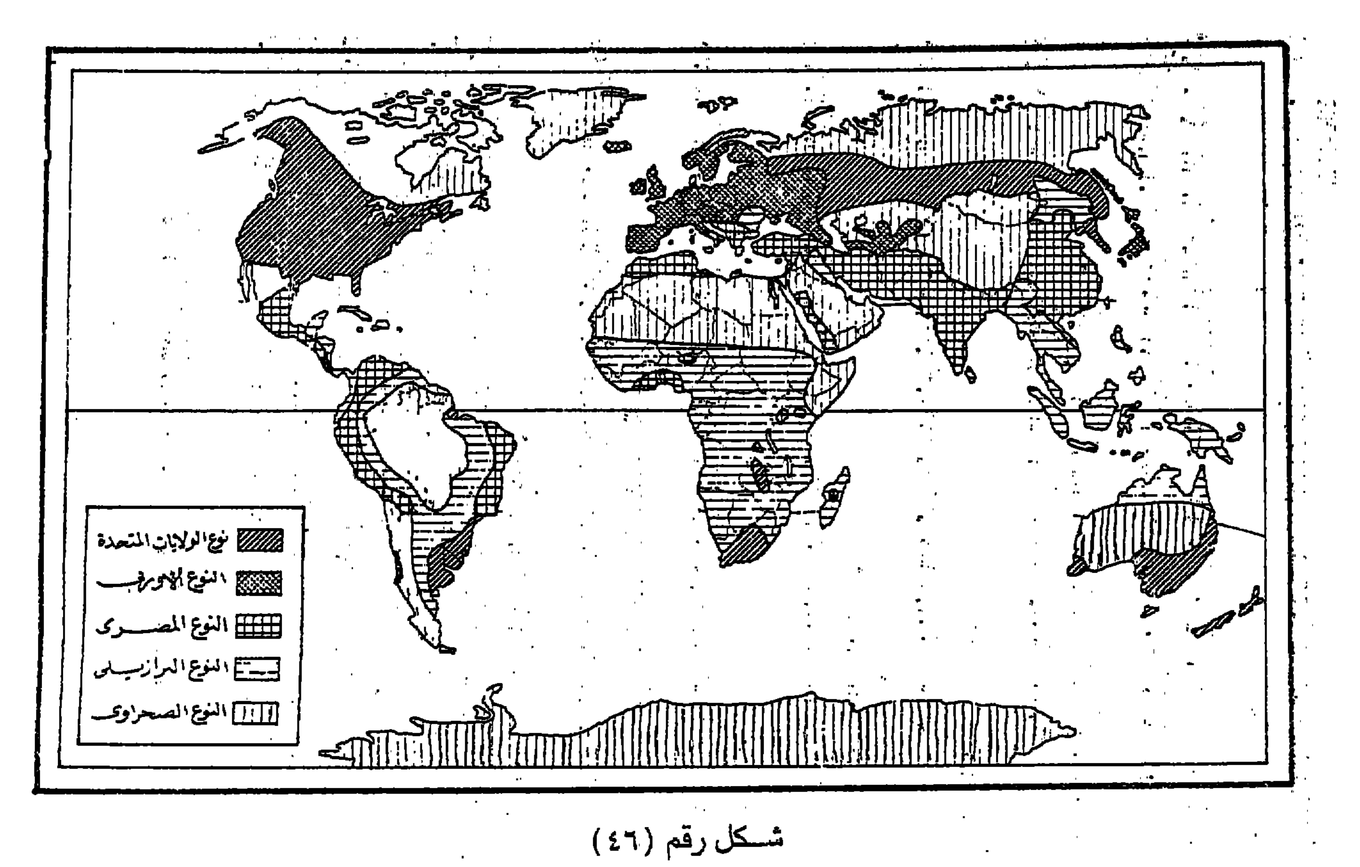
٤ ـ مناطق متخلفة تكنولوجيا وترتفع فيها نسبة السكان الى الموارد ويمثلها النمط المصرى ٠

٥ ـ مناطق متخلفة تكنولوجيا وقليلة السكان للغاية لعدم توفر موارد غذائية كافية بها ويمثلها النمط القطبى الصحراوى ٠

ولاشك فى أن عنصر التقدم التكنولوجى المستخدم فى هذا التقسيم يعد اكثر العناصر حساسية ، فبينما تتميز التكنولوجيا بالتقدم الهائل فى نمطى

---

(1) Zelinsky, W., A Prologue to Population Geography. Op. Cit., pp. 106-116.



شكل رقم (٤٦)

تصنيف ايكرمان للاقاليم السكانية/الاقتصادية فى العالم «مع تعديل طفيف»

الولايات المتحـدة وأوربا ، وتتضافر مع الموارد فى تحقيق أعلى مستوى للرخاء فى العالم ـ فانها ليست كذلك فى الانماط الثلاثة الاخرى ، ذلك لان حجم السكان والموارد المتـاحة بها غير قادرين بمفردهما على تحقيـق مستويات معيشية معقولة بل أن أقصى ما يمكنها عمله أن ترجىء دخـول الدولة مرحلة الانفجار السكانى لفترة زمنية محدودة مع استمرار مستوى المعيشة منخفضا وقد يكون فى مستوى الكفاف أو دونه بقليل .

١ ـ نمط الولايات المتحـدة The United States Type :

من الواضح أن المنـاطق التى يضمها نمط الولايات المتحـدة تتمـيز بمساحات أرضية ضخمة تتوفر بها موارد اقتصادية كبيرة وبحجم قليـل أو متوسط للسكان ، وفوق ذلك كله تعيش فى مستوى اقتصادى مرتفع وتتوفر بها المهـارات العالية والوسائل الاجتماعيـة المختلفـة التى تساعـد على الوصول برخاء الفرد والدولة الى حده الاقصى .

وقد ساعدت المساحة الكبيرة والثروات الطبيعية الوفيرة على توفـير الموارد المحلية الضرورية للمستوى الاجتمـاعى والاقتصادى المرتفع كمـا مكنتها قدرتها الاقتصادية وعلاقاتها السياسية والاقتصادية مع الدول الاخرى على الحصول من هذه الدول على الموارد الخارجية التى تنقصها ، ولكن ينبغى ملاحظة أمر هام هو أن ثمن هذا الرخاء كان باهظا حيث تعرضت موارد هذا الاقليم خاصة التربات والغابات والحشائش والثروة المعـدنية وموارد المياه الى النقص بل والاستنزاف فى بعض الاحوال مما حدا بدول هذا الاقليم الى وضع سياسات صارمة للمحافظة على هذه الموارد وترشيد استغلالها .

وتقتصر عضوية هـذا النمط من الاقاليم السـكانية الاقتصـادية على الولايات المتحدة الذى سمى باسمها وكندا واستراليا ونيوزيلنده والكومنولث الجـديد (خاصـة ذلك النطـاق الحـديث التعمير فى الوسـط والشرق) ومنطقة القلب فى الارجنتين ، ويرى البعض أنه يمكن اضافة بعض المناطق مثل جنـوب أفريقيـا وروديسيا ولـكن يحول دون ذلك النسـيج البشرى ومكوناته والظروف البيئية السائدة .

ومما يجدر ذكره أن نمط الولايات المتحدة هو أحدث الانماط السكانية الاقتصادية ، حيث لم يظهر على خريطة العالم الا منذ قرابة قـرن ونصف قرن من الزمان عندما تحولت المناطق التابعة له من النمط البرازيلى الى

نمط الولايات المتحدة،ومن الطبيعى أنه فى ضوء طبيعة هذا النمط التطورية فانه من الصعب القول بأن هناك مناطق أخرى ستتحول اليه فى الوقت الحاضر على الاقل ذلك لان شروط عضويته مقيدة ومحددة للغاية .

٢ ـ النمط الاوربى The European Type :

تعد الدول التى يضمها النمط الاوربى من دول الصفوة Elite فى العالم ذلك لان العلاقة بين حجم السكان ومستواهم التكنولوجى من ناحية والموارد المتوفرة من ناحية أخرى تسهم بدور كبير فى الوصول بمستوى العيش الى درجة عالية ويضم هذا النمط الدول المتقدمة للغاية (Highly advanced) والدول المتقدمة (Advanced) ومن أمثلتها جميعا السويد وبريطانيا وسويسره وألمانيا الغربية وبلجيكا وهولنده وفرنسا وفنلنده واليابان ، ويمكن مع التجاوز اضافة بولنده والمجر واسبانيا أيضا، وعلى حافة هذا النمط ـ أو فى مرحلة انتقالية توجد بورتوريكو وهونج كونج وشيلى .

ويتميز سكان النمط الاوربى بكثافة عالية وباستغلال منظم لموارد البيئة يفوق مثيله فى نمط الولايات المتحدة ، وربما كان ذلك الاستغلال المنظم والكثيف فى النمط الاوربى مرتبطا ببيئة ضيقة الموارد ومحدودة ولذا فان رخاء مناطقه يعتمد ضمن ما يعتمد على نظام متطور من التبادل التجارى مع باقى أقاليم العالم مقابل خدمات متقدمة وسلع صناعية حديثة للغاية ، ويساعد ذلك كله على امكان حصول دول هذا النمط علىآستكمال احتياجاتها من الخارج سواء من موارد الغذاء أو الوقود أو المواد الخام لصناعاتها أو حتى من الايدى العاملة المدربة وشبه المدربة .

ويتميز استغلال الموارد الاقتصادية فى دول النمط الاوربى ، وفى نمط الولايات المتحدة كذلك باستمرار البحوث للوصول الى أحدث الطرق العلمية لاستخراج الموارد واستغلالها لتحقيق فوائد أكبر ولزيادة الانتاج الزراعى والغابى واستغلال الطاقة الكهربائية وتطوير النقل والعمل على تطوير الصناعات ، وقد انعكس ذلك كله على تحقيق رفاهية السكان بدرجة تفوق دول العالم الاخرى .

ومع كل هذه الاساليب المتطورة للغاية فى الاستغلال الاقتصادى ، فان دول النمط الاوربى لا تستطيع أن تهرب من حجم سكانها الكبير وضيق مساحتها الارضية ، وهى فى ذلك تختلف عن دول نمط الولايات المتحدة

اختلافا كبيرا فى تلك العلاقة السكانية ـ الاقتصادية ، ولذلك فان دول النمط الاوربى عليها الاستمرار فى توطيد وتقوية علاقاتها الخارجية ضمانا لاستمرار حياتها فى هذا المستوى المرتفع من العيش ، ولم تكن العلاقات بين هذه الدول ودول العالم النامى بقصد الحصول على فائض المواد الاولية فقط بل ارتبطت معها باتحادات اقتصادية وثيقة لتسويق منتجاتها الصناعية كذلك .

وتعد أراضى النمط الاوربى مجال اهتمام كبير لدارس جغرافية السكان ذلك لانها تمثل مناطق ضغط سكانى يصحبه ارتفاع فى مستوى العيش يتطلع سكان دول العالم الاخرى فى الوصول اليه ، كما أن تحول بعض الدول الى النمط الاوربى يكون أكثر احتمالا من تحولها الى نمط الولايات المتحدة الذى يصعب الوصول اليه فى الوقت الحاضر ، وقد انتقلت دول غرب أوربا وحديثا دول جنوب وشرق أوربا خلال المائتى عام الاخيرتين من النمط البرازيلى أو النمط المصرى ـ أو من حالة وسط بينهما ـ الى النمط الاوربى الحالى .

ويلاحظ أن حدود النمط الاوربى مرنة حيث تضم ـ مع شىء كبير من الحذر ـ بعض المناطق الانتقالية مثل جنوب أيبيريا وتركيا وبلغاريا ورومانيا ، وقد كان تدفق المهاجرين الاوربيين وكذلك رؤوس الاموال الى بعض الاقاليم سببا فى تحولها الى هذا النمط مثل أراضى وسط آسيا السوفيتية ، أما اليابان فقد أدى اتباعها لبرنامج تنمية يدعو للدهشة والاعجاب الى دخولها النمط الاوربى بجدارة .

وقد يكون منطقيا التنبؤ بأن كثيرا من الدول التى تدخل فى عداد النمط المصرى أو النمط البرازيلى سوف تتجه ـ ان لم تكن قد اتجهت بعد الى الالتحاق بالنمط الاوربى سواء عن طريق تحقيق ثورات اقتصادية واجتماعية جذرية كما فى المكسيك والصين وكوريا الشمالية ـ أو ظهور ثروات مفاجئة مثل الموارد البترولية كما فى العراق وليبيا وايران ـ ورغم أن كثيرا من الدول النامية قد وضعت خططا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الا أن معظمها مازال بمنأى عن الوصول الى النمط الاوربى .

٣ ـ النمط البرازيلى The Brazilian Type :

يعد النمط البرازيلى من المناطق المتخلفة تكنولوجيا ولكنه أكثرها حظا فى ضوء النسبة بين السكان والموارد المعروفة والمحتملة وأبرز أمثلة دول

هذا النمط البرازيل وبنما وجويانا وجمهورية الدومنيكان وغانا وأنجولا بالاضافة الى بعض المناطق الرئيسية فى بيرو ونيجيريا وكينيا وتتميز كل هذه الاقاليم باتساع المساحة الارضية وقلة عدد السكان بالنسبة لها وبدرجة تقل عما يمكن أن تستوعبه هذه المساحة بحيث تحقق للسكان مستوى معيشة أفضل لو أحسنوا استغلال مواردها ٠

ويمكن القول بصفة عامة بأن الحالة الراهنة لدول النمط البرازيلى تعد حالة انتقالية Transitional ـ فبدون استثناء يتزايد سكان هذا النمط بسرعة كبيرة وبمعدل مرتفع لدرجة قد ينتقلون معها فى فترة قصيرة الى النمط المصرى المزدحم أو ـ فى ظل ظروف اقتصادية واجتماعية ملائمة ـ الى النمط الاوربى فى فترة أطول ٠

وفى هذه الاقاليم ذات النمط البرازيلى ليس هناك احساس بضغط سكانى مزمن على الارض والموارد ولكن مستويات العيش بها أقل بكثير من مثيلتها فى النمطين الاوربى والولايات المتحدة ، ويلاحظ أن أساليب استغلال الموارد بها تتباين بدرجة كبيرة بين أقاليم ذات اسراف كبير فى هذا الاستغلال الى أخرى ذات تنظيم كبير له مما يجعل من الصعب التعميم فى هذا الصدد ، وبعكس أراضى النمط المصرى فقد منحت المساحة الارضية والموارد الطبيعية اقاليم النمط البرازيلى فسحة من الزمن وأرجأت العبء الذى لامفر منه للضغط السكانى المتزايد على الموارد الاقتصادية فى المستقبل ٠

وتتوزع معظم أراضى النمط البرازيلى فى ثلاثة اقاليم كبرى هى الاقليم الهندوصينى أو المالـيزى والاقليم الافريقى المدارى ثم الاقليم الامريكى اللاتينى ، وتسود فى الاقليم الاول باستثناء بعض الجزر السكانية الكثيفة كثافات سكانية دون نقطة التشبع ، وبالرغم من أن الموارد الطبيعية لهذه المناطق قادر على امداد عدد أكبر من السكان عما هو موجود حاليا بها وبمستويات عيش تفوق المستويات الحالية ، فان هناك عوائق سياسية واجتماعية قوية تحول دون تفوق ذلك ، وربما يحمل المستقبل فى طياته آمالا لتحقيق التقدم فى بعض مناطق هذا النمط اذا أخذت بأساليب التنمية الحديثة وحاولت أن تنظم استغلال مواردها الاقتصادية ٠

أما أفريقيا المدارية فيمكن اعتبارها اقليما قليل السكان Under Populated بصفة عامة ، ولكنه يعانى من كثير من المشكلات الطبيعية والاجتماعية التى ينبغى التغلب عليها قبل تحقيق التنمية الاقتصادية بصورة كبيرة ، ويلاحظ أن هناك بقعا متناثرة فى هذا النطاق تعانى من

التضخم السكانى ـ ولكن ذلك لا يغير من الحقيقة القائلة بأن المتوسط العام لنسبة السكان الى الموارد فى أفريقيا المدارية مازال معتدلا .

أما فى أمريكا اللاتينية فقد تدفق عليها مهاجرون جدد قدموا من المناطق الاكثر ازدحاما واتجهوا الى أقاليم تتوفر بها الموارد الاقتصادية ويقل بها السكان كما هى الحال فى الهضبة البرازيلية والنطاق الممتد من بوليفيا الى فنزويلا شرق مرتفعات الانديز ، ولكن استغلال الموارد فى كل هذه الاقاليم غالبا ما يتم عشوائيا ودون تنظيم كبير كما فى النمط الاوربى مثلا ، ولذلك مازال الاستغلال الاقتصادى عاجزا عن تحقيق التقدم المنشود .

ولكن يمكن القول بأن أمريكا اللاتينية تملك موارد اقتصادية كامنة ليس من المتوقع أن تستنزف فى وقت قصير ويبدو ذلك فى الارض المبعثرة السكان على امتداد الحواف الشمالية الغربية لامريكا الجنوبية ومن خليج دارين الى خليج جوايا كيل ونطاق وسط القارة الذى مازال معظمة بكرا حتى الان .

وهناك جيوب منعزلة أخرى من النمط البرازيلى ينبغى ذكرها وهى حواف البحر الكاريبى ومعظم النطاق الساحلى المطل على المحيط الهادى فى أمريكا الوسطى وكوبا وجمهورية الدومنيكان وهذه الجيوب يمكن بدورها أن تستوعب أعدادا اضافية من السكان اذا اتبعت نظام استغلال أكثر تقدما عما هو عليه الان .

وخارج هذه الاقاليم الرئيسية الثلاثة التى يضمها النمط البرازيلى تجدر الاشارة بأن هناك مناطق فى الوطن العربى تخضع لهذا النمط وأبرزها العراق ودول الخليج والسودان ، ويعد العراق مثلا للدولة ذات الاراضى الزراعية الواسعة والموارد المالية والبترولية الكبيرة التى تبشر بأمل كبير فى التنمية الاقتصادية فى المستقبل ، وكذلك الحال فى دول الخليج مثل الكويت والبحرين ودولة الامارات العربية بالرغم من أنها لاتملك ـ حتى الان ثروات اقتصادية أخرى غير الثروة البترولية الضخمة ـ وهى محدودة الاجل بطبيعة الحال .

٤ ـ النمط المصرى The Egyptian Type :

وهو النمط الرابع من أنماط الاقاليم السكانية الاقتصادية ، وهو مثال واضح على عدم التوازن بين أعداد السكان المتزايدة والنقص فى الموارد الطبيعية المتاحية ، وتزداد احتمالات انضمام دول أخرى الى هذا النمط

اكثر من أى نمط آخر فى الوقت الحاضر ويتم ذلك على حساب النمط البرازيلى .

وتتصف الاقاليم التى يضمها النمط المصرى بكثافة سكانية عالية وانخفاض فى مستويات التكنولوجيا والمعيشة ، وقد وصل الضغط الزائد للبشر على الموارد درجة حرجة بل تتفاقم المشكلة بمضى الوقت حتى أصبح الامل ضئيلا ـ فى ظل الظروف الحالية ـ لتحسين مستوى العيش وتحقيق الرخاء لسكان هذه الاقاليم ـ بل أنه حتى اذا استغلت الموارد الطبيعية استغلالا جيدا فلن يسهم الا فى تحسين طفيف فى مستوى المعيشة وتظل شعوب هذه الاقاليم فى دائرة الفقر الجهنمية الا اذا حدث لها تحول جذرى فى الاقتصاد والنمو السكانى نتيجة قوى داخلية أو خارجية .

وقد شهد التاريخ البشرى فى بعض فتراته المعروفة ـ موقفا مشابها فى بعض الوجوه حيث كان عدد السكان واحتياجاتهم أكثر من الامكانيات المتاحة آنذاك ، وعجزت الاساليب التكنولوجية عن تحقيق الاكتفاء للسكان حتى تحقق للبشر الثورة الزراعية والصناعية الحديثة التى أسهمت فى تحقيق التوازن بين السكان والموارد فى كثير من المجتمعات ، ولكن يبدو فى الوقت الحاضر أن الخلل بين الموارد والسكان أسهم فى تزايد أعداد السكان ذوى المستوى التكنولوجى المنخفض وانعكس ذلك على ارتفاع كبير فى كثافتهم ، وحديثا جدا بدأت نسبة كبيرة من هؤلاء السكان فى التطلع الى مستويات معيشة أعلى ومن ثم بدأ استنزاف كبير لمواردهم الاقتصادية بدرجة حادة جعلت من الصعب ـ حتى بالوسائل العلمية الحديثة اعادة تنظيم العلاقة بين السكان والموارد لتكون متوازنة ومتمشية مع اشباع حاجات السكان ورفع مستواهم .

وأراضى النمط المصرى يتهددها أمران خطيران هما التزايد الكبير فى أعداد السكان والتناقص المقابل فى رأس المال المادى والاجتماعى كما أن فرص الفكاك من هذه المعادلة الصعبة والوصول الى مستويات أعلى مثل النمط الاوربى فرص ضيلة للغاية فى الظروف الراهنة ، ورغم ذلك فقد نجحت بعض دول هذا النمط من الانتقال الى نمط أعلى مثل اليابان وهى نموذج فريد فى ذلك ، كذلك فان هناك دولا فى مرحلة انتقالية بين النمط المصرى والنمط الاوربى مثل بورتوريكو التى تتمتع بمميزات غير عادية (أبرزها علاقاتها بالولايات المتحدة مثلا) والصين والهند وبعض الدول الاخرى .

وتعد مصر ـ مثال واضح على هذا النمط المسمى باسمها ـ فهى دولة نامية ينخفض بهـا المستوى التكنولوجى ويتزايد سكانها بمعدل مرتفـع ويتركز هؤلاء السكان بكثافات عالية فى وادى النيل ودلتاه ، وهو النطاق المعمور على امتداد تاريخ مصر ·ويتميز بخصوبة عالية تنتج الغذاء لسكانه الذين يتضاعف عددهم كل ثلاثين عاما تقريبا بمعدلات النمو الحالية،وليس هناك الا مساحة قليلة من أراضى مصر قابلة للزراعـة ومن المحتمـل أن تستغل بأكملها قبيل نهاية هذا القرن لو توفرت لها المياه اللازمة ، كمـا تعانى مصر نقصا فى الموارد المعدنية والغابية والبحرية وان كانت تتوفـر بها الطاقة الكهربائية والبترول ، وليس من السهل القول بأن هناك مناطق فى دول أخرى تستوعب هجرة مصرية بأعداد ضخمة ومن ثم فلا مناص من الاعتماد على الموارد المحلية الاقتصادية والبشرية داخل النطاق المعمـور والمحدود واستغلالها بالاساليب العلمية السليمة وكذلك العمل على توطيد العلاقات بأشكالها المتعددة مع الدول العربية والاجنبية لتصدير العمـالة المدربة اليها ، ويضاف الى ذلك كله زيادة مصادر الدخل القومى الاخرى بتحسين الخدمات السياحية والتجارية واستغلال موقع مصر كهمزة اتصال عالمية تشقها قناة السويس ـ وذلك لتحقيق شيء من التوازن بين السـكان والموارد ، ويواكب ذلك بالضرورة العمـل بشتى الوسـائل على تخفيض معدل النمو السكانى باتباع وسائل تنظيم الاسرة بشتى الطرق ·

وتتمثل أراضى النمط المصرى فى كل قارة من قارات العالم ولكنها تتركز فى نطاق العروض الدنيا ، وهناك أمثلة فى شمال أفريقيـا مثل المغـرب والجزائر وتونس وفى شرق أفريقيا مثل رواندا وبورندى ـ وأجـزاء من نيجيريا والكاميرون وبعض مناطق جنوب أوربا خاصة صقلية وسردينيـا وجنوب ايطاليا والبانيا واليونان وجنوب يوغسلافيا وهذه المناطق الاخيرة يمكن اعتبارها مرحلة متقدمة من مراحل النمط المصرى ·

أما فى العالم الجديد فتمثل هاييتى النمط المصرى بقوة حيث يرتبط الضغط السكانى فيها بالموارد المحدودة كذلك يتمثل هذا النمط فى مناطق أخرى فى البحر الكاريبى مثل جاميكا وكل جزر الانتيل الصغرى تقريبا أما على يابس أمريكا الوسطى فتعد السلفادور ومعظم مرتفعات جواتيمـالا ومعظم المكسيك ضمن هذا النمط،وفى أمريكا الجنوبية يسود النمط المصرى فى كثير من المناطق بدول الانديز ابتداء من اكوادور وربما كولومبيا حتى بوليفيا وشمال شرق البرازيل ·

وتضم قارة آسيا معظم السكان الذين يخضعون للنمط المصرى،وتشغل الصين مرحلة انتقالية فى الوقت الحاضر وان كان معظمها يقع ضمن النمط المصرى ، وينطبق نفس الشىء على شبه القارة الهندية وكذلك فى بعض المناطق الاخرى على امتداد الحواف الاسيوية شرقا وجنوبا وغربا ـ مثل كوريا الجنوبية وتايوان وفيتنام الجنوبية ولوزون وجاوه وتيمور مع الجزر الواقعة بينها وسيلان ، ثم سوريا ولبنان والاردن وقبرص وهناك أقطار آسيوية يمكن تصنيفها فى مرحلة انتقالية بين النمط البرازيلى والنمط المصرى مثل نيبال وأفغانستان وايران وأجزاء من تركيا (ربما كان النقص فى البيانات سببا فى اعتبارها كذلك حاليا) .

والغالبية العظمى من الجزر المسكونة فى حوض المحيط الهادى تدخل ضمن النمط المصرى بالرغم من صغر حجم السكان المطلق بهذه الجزر وتنطبق نفس الملاحظة على عدد من الجزر فى المحيطين الهندى والاطلسى مثل موريشيوس وريونيون وكنارى والازور .

٥ ـ النمط القطبى الصحراوى The Arctic - Desert Type :

تعد نسبة السكان الى الموارد فى هذا النمط الاخير قليلة الاهمية لدارس جغرافية السكان ذلك لانه يشمل تلك المناطق الشاسعة غير المأهولة بالبشر لاسباب متعددة كالجفاف أو البرودة أو القارية أو عوائق طبيعية أخرى، ولكن تتبعثر فى هذه المساحات الشاسعة من الصحارى القطبية والمعتدلة والمدارية «جزر»مسكونة و محلات عمرانية لبعض الجماعات والقبائل التى تقطنها ، وبالرغم من أن التنمية التكنولوجية يمكن أن تتحقق فى أى جزء من هذه المناطق طالما توفرت بها الموارد الملائمة فانها مازالت حتى الان ذات قيمة قليلة للسكان فى الاقاليم الاخرى وان كانت أهميتها تكمن فيما تقدمه من مواد خام خاصة الثروات المعدنية والبترول والمواد الاخرى .

وبالاضافة الى الاعداد الضئيلة التى تقطن هذا النطاق الشاسع من النمط القطبى الصحراوى فان هناك أعدادا أخرى تسللت اليه من بيئات أخرى وفدت لاستغلال موارد هذا النطاق مثل الرعاة والزراع وصيادى الحيوان والعاملين فى التعدين والقواعد العسكرية وغيرهم وليس من المعقول بطبيعة الحال التحدث عن مشكلات سكانية فى مثل تلك المناطق ذلك أنه حتى لو تعرض السكان القليلون بها لكوارث أو مجاعات ففى مقدورهم اللجوء الى مناطق أخرى أكثر عمرانا ووفرة .

ويضم هذا النمط الاقاليم الخالية من السكان أبرزها نطاق الصحارى القطبية مثل انتاركتيكا وجرينلند والجزء الاكبر من شمال أمريكا الشمالية ومعظم شمال أوراسيا والارخيبلات الواقعة الى الشمال من هذه الكتل القارية ويضاف الى ذلك بطبيعة الحال الصحارى الجافة مثل الصحراء الكبرى وصحارى جنوب غرب ووسط آسيا وصحراء المكسيك وجنوب غرب الولايات المتحدة وصحراء بيرو وشيلى (باستثناء الواحات المسكونة) ومعظم بتاجونيا وصحراء ناميب والصحراء الاسترالية وبنفس المعنى يمكن اعتبار معظم حوض الامازون ضمن هذا النطاق غير المسكون ٠

الفصل السابع عشر

بعض النظــريات الســكانية

من المفيد فى دراسة السكان أن نلقى بنظرة على أبرز النظرياتالسكانية فى العصر الحديث ، ولاشك فى أن توماس روبرت مالثوس R. Malthus Thomas وهو بحــق أبو الدراسة السكانية الحـديثة وذلك لانه كان أول من آثار عدة أفكار تضمنها كتابه «المقال الاول سنة ١٧٩٨» ثم أضاف اليه مقالا آخرا سنة ١٨٠٣ ليبين بوضوح العــلاقة الوثيقــة بين مايطــرأ على السكان من نمو وتغيير من ناحية ، وبين التغيرات الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى ، بذلك فقد أسهم فى فتح الباب على مصراعيه لبحــوث تالية فى مجال التغيرات السكانية باعتبارها عاملا ديناميكيا متكاملا فى نشأة الكل العضوى الاكبر الذى نطلق عليه «المجتمع» ٠

نظــرية مالثــوس :

ولد توماس روبرت مالثوس فى انجلترا عام ١٧٦٦ ودرس فى جامعــة كمبردج ثم التحق كاهنا بكنيسة انجلترا فى سنة ١٧٩٧ ، وعمــل اســتاذا للتاريخ وعلم الاقتصاد من سنة ١٨٠٦ حتى وفاته فى سنة ١٨٣٤ ٠ وقد شهد العصر الذى عاش فيه مالثوس فى غرب أوربا تغيرات اجتماعية واقتصادية هامة أدت الى ارتفاع بطىء فى معدل زيادة السكان وقد ساد آنذاك مفهوم هام هو أن الشعب الكثير العــدد يكون ذا قوة اقتصــادية وعسكرية وذلك بغض النظر عن الظروف التى يعيش فى ظلها أفراد هذا الشعب ٠

ولقد رأى مالثوس أن التزايد فى عدد السكان يتوقف بالدرجة الاولى على التزايد فى وسائل العيش ، لان أغلبية السكان تعيش دائمــا قــرب مستوى الكفاف ، وقد حدا به ذلك الى الاستنتاج بأن أى تحسين دائم فى مستوى معيشة البشر سوف يكون صعبا مادامت الزيادة فى الانتاج يصحبها تزايد مماثل فى عدد السكان ، وقد كتب مالثوس مقاله الاول ليبين أن قدرة الانسان على الانجاب والتناسل أعظم منها على انتاج ضروريات الحياة، وهذا هو المبدأ السكانى ، الذى طلع به ٠

وباختصار فقد رأى مالثوس أن قدرة السكان على التزايد أعظم بكثير من قدرة الارض على انتاج وسائل العيش للانسان ، ويمكن صياغة ذلك حسابيا فنقول بأن تزايد السكان يتم وفق متوالية هندسية بينما لاتزيد وسائل العيش الا بنسبة حسابية وذلك على النحو التالى :

السكان : ١ – ٢ – ٤ – ٨ – ١٦ – ٣٢ – ٦٤

وسائل العيش : ١ – ٢ – ٣ – ٤ – ٥ – ٦ – ٧

وكانت الوحدات الزمنية ـ والتى تمثلها علامات الوصل ـ والتى يمكن أن يتضاعف خلالها السكان ـ اذا لم يحل دون ذلك عدم توفر أسباب العيش ـ وهى حوالى ٢٥ سنة ـ فاذا استمرت هذه النسب زاد عدد السكان الى ٦٤ مرة من حجمهم الاصلى ، بينما لايزيد الغذاء الا ٧ أمثال مقداره الاصلى وذلك خلال ١٥٠ سنة ، ومن الواضح أن حدوث هذا الموقف أمر مستحيل ، ولكن مالثوس قصد بهذه النسب أن يوضح مدى الفوارق فى الامكانيات الكامنة بين قدرة السكان على الزيادة وقدرة الارض على انتاج العيش للانسان(١) .

وقد اعتقد مالثوس أن هناك من الموانع ما حال دون نمو السكان فى الماضى بنسب هندسية فى كل جيل ، وقد قسم هذه الموانع الى قسمين هما :

الموانع الايجابية :

وهى الموانع التى تؤثر فى معدل الوفيات والتى تنشأ أساسا من ضغط السكان على وسائل العيش ، وأبرز هذه الموانع الايجابية الاوبئة والحروب والمجاعات وغيرها من الموانع التى يمكن أن تعزى الى البؤس والرذيلة، وباختصار فقد رأى مالثوس أن الموانع الايجابية هى التى تقضى على الحياة التى بدأت فعلا ..

الموانع الوقائية :

وهى الموانع التى تحول دون نمو السكان هى الاخرى ، والتى تعمل على خفض معدل المواليد ، وأبرزها ما سماه مالثوس الضبط الاخلاقى Moral Restraint ويقصد به الامتناع عن الزواج أو تأجيله مع الاحتفاظ

---

(١) تومبسون و. ، ولويس د. مشكلات السكان ـ ترجمة راشد البراوى ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ ـ ص ٢٩ .

بسلوك عفيف طوال مدة الامتناع او التاجيل•وقد اعتبر مالثوس أن تاجيل الزواج كان وسيظل المانع الواقى الرئيسى •

وكذلك فقد اعتقد مالثوس أن الموانع الايجابية والواقية هى الاسباب الحقيقية المسؤولة عن بطء تزايد السكان فى جميع دول أوربا الحديثة وأن زيادة سريعة نسبيا فى عددهم قد حدثت دائما حينما أزيلت هذه الاسباب بدرجة بالغة(١) كذلك رأى أن الانظمة البشرية مهما صلحت فلن تفيد الا فى التخفيف من الموانع الايجابية لفترة قصيرة - أى الى أن يزيد عدد السكان حتى يلحق بقدرتهم الانتاجية فى ظل الانظمة الجديدة،وان الانسان فى هذه الحالة سوف يعانى من الجوع والمرض والحرب ، ومن هنا فقد رأى بأن هذه الموانع الايجابية لابد وأن تكون فى المستقبل شانها فى الماضى العوامل الرئيسية التى تقضى على الانسان •

نقدر آراء مالثوس :

ربما كانت آراء مالثوس فى السكان من أكثر الاراء شهرة فى هذا المجال وتعرضت على امتداد القرن الماضى بل وحتى منتصف هذا القرن الى الكثير من أوجه النقد سواء ما كان منها مؤيدا أو معارضا،الا أن النظرة الشاؤمية لديه قد قوبلت باعتراضات شديدة سواء فى حياته أو بعد وفاته ويمكن ايجاز أوجه النقد فيما يلى :

١ - ان افتراض مالثوس بأن السكان يتزايدون وفق متوالية هندسية هو افتراض صحيح نظريا - أى من وجهة النظر الرياضية - الا أن ذلك مستحيل التحقيق فى الواقع حيث لايمكن التصور بأن السكان سيتضاعفون هندسيا الى ما لا نهاية ، كذلك فان الغذاء - من ناحية أخرى - لايمكن بالضرورة أن يتزايد وفق متوالية حسابية باستمرار،ولكن يلاحظ - انصافا للرجل - أن آراءه قيلت قبل أن تأتى الثورتان الصناعية والزراعية ثمارها خاصة فى العالم الجديد حيث أسهمت تلك الثورتان فى تحقيق فائض كبير من الغذاء وفتحت آفاقا جديدة لامكانية زيادته فى المستقبل - بما لم يكن ذلك فى حساب مالثوس عندما طرح أفكاره هذه ، ومعنى ذلك ببساطة أن زيادة الغذاء حسب متوالية عددية لايصدق فى كل زمان ومكان •

٢ - شهد الكثير من المجتمعات الاوربية نقصا فى عدد المواليد بها وذلك بسبب استخدام أساليب منع الحمل ، وقد اعتبرها مالثوس - رذيلة ضمن

---

(١) المرجع السابق - ص ٣٠ •

الموانع التى تعوق نمو السكان ونصح بتأجيل الزواج ، أو الاعراض عنه مخافة الانجاب ، وقد سبق القول بأن مالثوس ـ وهو رجل دين ـ كان يحبذ الضغط الاخلاقى والتعفف كوسيلة من وسائل الحد من الانجاب،ومن الواضح أنه لم يضع فى حسابه التطور العلمى ودوره فى ابتكار وسائل المنع للحمل وبالتالى لتقليل النمو السكانى .

٣ ـ سبق القول بأن آراء مالثوس فى حساب تزايد وسائل العيش لم تكن دقيقة حيث أسهم التقدم العلمى فى زيادة الموارد الغذائية بصورة كبيرة سواء من الحبوب أو غيرها ، وقد ساعد ذلك على التوازن بين عنصرى السكان والموارد دون أن تنخفض معدلات المواليد بدرجة كبيرة . وبالاضافة الى ذلك فان مالثوس فى حديثه عن السكان والعيش لم يتناول سوى الموارد الغذائية دون اعتبار لبقية نواحى المعيشة الاخرى التى تحدد مستوى معيشة السكان مثل توفر الموارد الطبيعية واستخدام الاساليب التكنولوجية والتنظيم الاجتماعى ، ومعنى ذلك أن مستوى المعيشة هو نتاج لعوامل متشابكة بين عدد السكان من ناحية وعناصر أخرى عديدة من بينها الغذاء والتنظيم الاجتماعى والمستوى التكنولوجى وغير ذلك .

وعموما فان قيمة أفكار مالثوس تبدو فى أنه لفت الانظار مبكرا الى العلاقة بين التزايد السكانى السريع والتزايد الغذائى البطىء ، ومن الامور التى تدعو للتأمل أن بعض الباحثين فى عالم اليوم بدأ يحيى من جديد آراء مالثوس مؤيدا لها وذلك فى ضوء ماهو مشاهد من أن الجانب الاكبر من البشر لايزال يعيش فى ظل الظروف التى وصفها مالثوس ـ والتى لا يحول دون زيادة سريعة فى عددهم سوى قسوة الموانع الايجابية ويتمثل هذا الجانب فى سكان دول العالم النامى والتى يتزايد سكانها بمعدلات عالية تهدد مستوى معيشتهم الحالية والمستقبلة .

ولكن يقابل ذلك أن آراء مالثوس لم تصدق اطلاقا على الدول المتقدمة فى العالم والتى تتميز حاليا بانخفاض معدلات المواليد بل ان قارة مثل قارة أوربا عانت نقصا كبيرا فى المواليد بعد أقل من قرن من ظهور نظرية مالثوس ففى سنة ١٨٦٠ مثلا كان متوسط نسبة المواليد فى تسع من دول شمال غرب أوربا ٣٤ فى الالف ، ثم انخفض هذا المعدل الى النصف بعد حوالى ٧٥ سنة وهذا يخالف كلية ما نادى به مالثوس من أن عدد السكان يزيد زيادة مطلقة حسب متوالية هندسية(١) .

---

(١) حسن محمد الساعاتى وعبد الحميد لطفى ـ دراسات فى علم السكان ـ القاهرة ١٩٦٢ ـ ص ٤٩ .

وهكذا فان مالثوس كان له فضل السبق فى توجيه الانظار مبكـرا الى مشكلات السكان بل ان هناك من الباحثـين من يعتبره المؤسس الحقيقى للدراسة الحديثة للسكان(١) حيث استخدم الحقائق المعاصرة له لتأييد مذهبه السكانى بصدد حركة النمو السكانى وعلاقتهما برفاهية الانسان ، كما أنه أسهم بدور كبير ـ ربما أكثر من غيره فى ادخال دراسة السـكان فى نطاق ميدان العلم الاجتماعى بهدف تحسين ظروف معيشة بنى البشر .

النظريات السكانية منذ مالثوس :

حين كتب مالثوس مقاله الاول فى نهاية القرن الثامن عشر كانت الثورة الصناعية فى انجلترا وبقية دول أوربا الغربية تتطور بسرعة وانتشرت الى المناطق التى استوطنها الاوربيون ، وكانت تصاحب هذه الثورة الصناعية ثورة زراعية وتطور هائل فى وسائل النقل والانتاج ، وانعكس ذلك كله على تحسين أحوال المعيشة لاعداد كبيرة من السكان ـ رغم ارتفاع معدلات النمو السكانى فى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية عما كانت عليه من قبل، وأدى ذلك كله الى عـدم الاهتمام بمبدأ مالثوس فى السـكان وذلك لان الاحسـاس بأن التقـدم العلمى اثبت خطا مالثوس قد ساد على نطـاق واسع فى دول الغرب ، بل وظهرت نظريات سكانية تحاول اعـادة الثقة فى الانسان وفى قدرته على تحقيق التوازن بين أعداده والموارد الغـذائية المتاحة لديه .

وقد انقسمت النظريات السكانية بعد مالثوس الى اتجاهين رئيسـيين أحدهما : اتجاه تؤيده بعض نظريات القانون الطبيعى فى النمو السكانى أو مايعرف بالنظريات الطبيعية التى ترجع التناقص فى أعداد السكان الى ضغط العامل البيولوجى للانجاب والاتجاه الثانى تدعمه أراء مختلفة تتجه الى عدم تاثير العامل البيولوجى بل تفترض وجود عوامل اجتماعية يتأثر بها السكان فتجعلالانسان يحد من انجابه ويتجه الىالاسرة الصغيرة الحجم وذلك باتباع وسائل تنظيم النسل وذلك دون أن تتغير طاقته البيـولوجية على الانسال ، ويمكن اعتبار هذا الاتجاه الثانى تحت عنـوان النظريات الاجتماعية .

أ ـ النظريات الطبيعية فى نمو السكان :

تدور النظريات الطبيعية حول قانون طبيعى يحكم نمو السكان ويحدد

---

(١) تومبسون ولويس : المرجع السابق ـ ص ٥٤ .

اعداده بطريقة آلية ومن ثم يحول دون وقوع أى ضغوط على أسباب العيش وجدير بالذكر أن نظرية مالثوس نفسها تدخل ضمن النظريات الطبيعية التى ترى أن أعداد البشر تميل الى التزايد بأسرع من غذائه وذلك بسبب العاطفة الجنسية بين الرجل والمرأة ، ولما كان هذا أمرا طبيعيا فالرذيلة والبؤس هما نصيب الانسان الحتمى الا اذا اتخذت تدابير واقية على نطاق واسع ٠

وقد اعتمدت النظريات الطبيعية على القول بأن طبيعة الانسان تتحكم فى نموه بدرجة معينة وفى اتجاه لا يستطيع السيطرة عليه تماما ، وهذه الافكار هى انعكاس لاراء علماء البيولوجيا الذين يحاولون ايجاد قانون لنمو السكان يفسرون به تطور النمو السكانى فى الماضى والمستقبل وذلك كله دون أن يكون للانسان ذاته تاثير على ذلك سواء من ناحية قيمه ونظمه واتجاهاته ومن أبرز الكتاب الذين أسهموا فى هذا الاتجاه الطبيعى : سادلر ودبلداى وسبنسر وجينى ٠

١ ــ سادلر :

كان مايكل توماس سادلر M. T. Sadler (١٧٨٠ ــ ١٨٣٥) مصلحا احتماعيا انجليزيا ومن رجال اقتصاد ومعاصرا لمالثوس ٠ وقد رأى أن القانون الطبيعى الذى يحكم نمو السكان يتناقض تماما مع القانون الذى جاء به مالثوس ، وكان يعتقد أن ميل البشر الى التزايد سوف يتناقص بالطبيعة كلما زاد الازدحام السكانى فى المراكز العمرانية ، وأن أعدادهم تتوقف تماما عن النمو والتزايد وذلك عندما يتمتع الناس باكبر قدر من السعادة وذلك بافتراض تساوى جميع الاشياء الاخرى(١)،وذكر بأن قانون السكان الذى نظم ولايزال ينظم زيادة البشر فى جميع الحالات وهو ببساطة «أن القدرة على الانجاب فى ظل ظروف مشابهة يتغير تغيرا عكسيا كلما زاد عددهم فى مساحة معلومة» ٠

وهكذا يبدو التفاؤل فى مستقبل السكان اقتصاديا على أساس طبيعى عند سادلر ــ بعكس مالثوس تماما ، ذلك لان سادلر يعتقد أن الاختلافات فى درجة هذه القدرة على الانجاب تتاثر لا بالبؤس والرزيلة بل بالسعادة والغنى ٠

---

(1) Thompson & Lewis, Population problems, New York, 1965, p. 38.

٢ ـ دبلـــداى :

كان توماس دبلداىThomas Doubleday (١٧٩٠ ـ ١٨٧٠) مثل سادلر اقتصاديا وفيلسوفا اجتماعيا انجليزيا ، وقد اعتقد أنه جاء بقانون طبيعى مختلف يحكم نمو السكان ، فبينما اعتقد سادلر أن كثافة السكان تسبب نقصا فى القدرة على الانجاب واستبعد بذلك الى حد كبــير ما للمــوانع الايجابية من تاثير فى زيادة السكان ، وقد رأى دبلداى أن التزايد فى عدد السكان ترتبط ارتباطا عكسيا بموارد الغذاء ، فكلما تحسنت موارد الغذاء المتاحة للانسان ـ كلما ابطأت الزيادة فى أعدادهم وفى كل المجتمعات فان الفقر يشجع على الخصوبة العالية لدى السكان ومن ثم نرى زيادة مستمرة فى عدد الذين لا يحصلون الا على أقل قدر من الغذاء أى بمعنى آخــر فى صفوف السكان الاشد فقرا ، أما الاغنياء الذين ينعمون بكفاية الغذاء فان عددهم فى تناقص مستمر ، وبين هاتين الطبقتين الفقراء والاغنياء ـ توجد طبقة وسطى يحصل أفرادها على كفايتهم من الغذاء ـ ويعيشون عيشــة وسطا ويكون عدد سكانها ثابتا ، وهــذا يستتبع أن الزيادة أو النقص فى مجموع السكان الكلى يتوقفان على التناسب العددى بين هــذه الحالات الثلاث فى كل مجتمع(١) ٠

ومن الواضح أنه ليس ثمة أساس علمى للاعتقاد بأن للكثافة السكانية أو نسبة البروتين فى الغــذاء أى تأثير ملحوظ فى القــدرة على الانجــاب وذلك رغم أن بعض الكتاب المحدثين هو جوسيه دى كاسترو De Castro قد ذكر بأن زيادة كمية البروتين فى الغذاء يقلل من القدرة على الانجاب فى حين أن نقصها يؤدى الى ارتفاعها وذكر بأن كل ما يحتاج اليه من أجــل تقليل القدرة على الانجاب فى صفوف شعوب العالم الفقيرة هــو أن تزيد بدرجــة كبيرة نســبة ما يحتويه غذاؤها من البروتين(٢) ـ ذلك كله لان الانجاب ـ أو الخصوبة البشرية فى أى مجتمع سكانى يتأثر بدرجة كبــيرة بعــوامل شتى خاصــة الموانع الواقية حيث تقل القدرة على الانجاب عن ماهى عليه ٠

٣ ـ سبنسر :

كان هربرت سبنسر H. Spencer (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) فيلسوفا انجليزيا

---

(1) Ibid., p. 40.
(2) Ibid., p. 40.

مشهورا اهتم بشرح التطور الاجتماعى والبيولوجى الناجم عن القـوى الطبيعية ، وكانت أفكاره فى السكان تمثل نظرية شبيهة فى بعض نواحيها بنظريتى سادلر ودبلداى وذلك من حيث اعتقاده أن هناك قانونا طبيعيا يجعل الانسان غير مسئول عن التحكم فى زيادة عدد أفراده ، وقد حققت الطبيعة هذه الغاية وذلك عن طريق اضعاف اهتمام الانسان بالتكاثر بينما وجهته الى تخصيص مزيد من الوقت والجهد للتنمية الشخصية والعـلمية والاقتصادية ، ومن هنا فكلما اشتد الجهد الذى ينبغى على الانسـان أن يبذله لضمان تقدمه فى أى ميدان يحاوله ، ضعف اهتمامه بالتكاثر ولذلك اعتقد سبنسر أن هناك تناقصا طبيعيا natural decrease فى القـدرة على الانجاب fecundity خاصة لدى الاناث وذلك لان اهتمام الفـرد بنفسه individuation يستدعى المزيد من الوقت والطاقة،وهذا النقص فى القدرة على الانجاب يؤدى الى زيادة أبطء فى عدد السكان وذلك كله لان التطور الاجتماعى مصحوبا حتما بتزايد الاتجاه الفردى(1) .

ويرجح سبنسر صدق نظريته بحـالات العقم المطـلق أو النسبى لدى الاناث اللائى يفرطن فى المجهود الذهنى واللائى ينتسبن الى الطبقةالراقية فرغم أن تغذيتهن أفضل من أناث الطبقات الفقيرة وينلن رعاية صحيـة أكثر ، فان قدرتهن على الانجاب ضعيفة ويعزى ذلك الى درجة معقولة ـ الى ارهاقهن لاذهانهن وماينجم عنه من رد فعل خطير بالنسبة لبنيتهن ـ ويبدو التناقص فى القدرة على الانجاب لديهن ممثلا ليس فى حالات العقم أو فى التوقف عن الإنجاب فى سن ميكرة فحسب بل فى عجزهن عن ارضاع أطفالهن ورعايتهم رعاية كاملة . وهذا ماتعجز عنه أولئك الفتيات هزيلات الصدور اللائى يكابدن من ضغط التعليم ولو قيست خصوبتهن بعدد الاطفال الذين يستطعن تربيتهن بغير المساعدة الاصطناعية لثبت أنهن عقيمات جدا نسـبيا .

ورغم أن هناك بعض الدراسات التى تثبت فى الانجاب فى معظم البلاد الغربية خلال القرن الماضى خاصة فى صفوف الطبقات الافضل تعليما ـ فان ذلك لايعنى بالضرورة صحة نظرية سبنسر ذلك لان هناك عوامل اجتماعية كثيرة ـ وعوامل أخرى ـ تقلل من خصوبة الاناث ، ولاجدال فى أن التعليم باستمرار يجعـل الانثى أكثر اهتماما بتكـوين الاسرة الصغـيرة الحجم وبالتالى يبدو الارتباط العكسى بين مستوى التعليم وعدد الاطفال .

---

(1) Ibid., p. 41.

٤ ـ نظـرية جينى :

ولد كورادو جينى Corrado Gini فى سنة ١٨٨٤ وهو ايطالى الجنسية اهتم بدراسة العلوم الاجتماعية وأصبح شغوفا بالتغيرات التى تطرأ على تطور المجتمع وخاصة تطور الشعوب وقد اعتقد أن تطور أى مجتمع أو أى شعب يرتبط ارتباطا وثيقا بالتغيرات فى معدلات النمو السكانى وبالنسب المختلفة التى يتم بها هذا النمو والمنبثقة من الطبقات الاجتماعية المختلفة وتدخل نظرية جينى ضمن النظريات الطبيعية ـ ذلك لاعتقاده بأن العامل الرئيسى فى نمو السكان هو التغير البيولوجى أكثر منه تغيير اجتماعى أو اقتصادى وكان يرى أن المعدلات المختلفة للزيادة فى فئات الشعب المختلطة تؤدى بسرعة كبيرة جدا الى التغيرات فى الصفات البيولوجية للشعب بأكمله وقد اعتمد فى دراسته على احصائيات للعديد من الاقطار ، وقد أظهـرت هذه الاحصائيات أن نسبة صغيرة نسبيا من جيل واحد تولد اغلبية السكان فى الجيل التالى ، وقد وصف عملية نمو الشعوب بأنها الارتفاع والهبوط الدوريان للسكان The cyclical rise and fall of population .

وقد شبه هذه الدورة فى حياة الشعوب بدورة حياة الفرد ، فهناك فى بادىء الامر فترة من النمو السريع للغاية ، تعقبها أخرى تتميز ببطء النمو ثم بالنضج ، ويتعقب ذلك فترة الشيخوخة والتى تتناقص خـلالها أعداد السكان وتتدهور الخصائص الحضارية . وقد رأى أن أى شعب يتمـيز فى شبابه بالبساطة وعدم التعقيد وبارتفاع معدل الخصوبة ، وذلك لان كل جيل ينشأ من جيل سابق أوفر قدرة على الانجاب بحكم الوراثة ، ونتيجة لذلك يزداد عدد سكان مثل هذا الشعب بسرعة ، ويكون هذا النمو العددى مصحوبا باستمرار بتزايد التعقيد فى التنظيم كما يدل عليه نشأة طبقـات اجتماعية وتطور أنماط النشاط الصناعى والتجارى ، وكلما تزايدت أعداد السكان بدأ الاحساس بضغطهم على الارض المتاحة ـ ومن ثم فلا مناص من حدوث توسع على حساب الاخرين عن طريق الحرب أو الاستعمار أو كليهما معا .

ويستمر تعقيد التنظيم الاجتماعى والاقتصادى فى التزايد فى المرحـلة التالية ويصحبه تناقص فى معدل النمو السكانى ، ويرجع هذا التناقص من ناحية الى فقدان أكثر الناس نشاطا بسبب الحروب والاستعمار ومن ناحية أخرى الى تزايد نسبة السكان فى الطبقات الراقية والتى هى دائما أقـل قدرة على الانجاب من الطبقات الدنيا ، غير أن السبب الرئيسى فى بطء نمو السكان هو سبب بيولوجى ، فقد اعتقد جينى أن السبب الرئيسى فى

تقليل الخصوبة هو العامل البيولوجى ويكمن هذا السبب فى الواقع وراء العوامل الاقتصادية والاجتماعية الاخرى التى تؤثر ظاهريا فى تناقص الخصوبة ، وبمعنى آخر فان النقص فى عدد المواليد يرجع الى تناقص القدرة على الانجاب ، ويبدو ذلك أولا فى الطبقات العليا ثم ما تلبث أن تظهر فى جميع الطبقات وذلك باستمرار صعود أفراد من الطبقات الدنيا لشغل الفراغ الذى يوجد فى الطبقات العليا ، وما يلبث هؤلاء الصاعدون أن يكونوا مثل غيرهم من الاقدمين فى الطبقات العليا أى تصبح القدرة على الانجاب عندهم منخفضة ثم سرعان مايفنون لتحل محلهم موجات أخرى من الطبقات الدنيا وهكذا ، ويرى جينى أن عقم هؤلاء الصاعدين الى طبقات أعلى ليس نتيجة الظروف الاجتماعية المحيطة بصعودهم ولكنه بدلا من ذلك نتيجة الضعف الذى ينتاب غريزة التناسل - وهو مرحلة حتمية من مراحل دورة النمو السكانى .

ومعنى ذلك أن جينى يعتقد فى وجود قوة طبيعية حتمية تؤدى الى ارتفاع الجماعات السكانية وهبوطها وبالتالى الى ارتفاع المجتمعات وهبوطها ويجد ذلك واضحا فى اختلاط السلالات وفى بقاء الطرز الجديدة، الناشئةعن هذا الاختلاط وبهذا فهو يستند الى بعض تغيرات بيولوجيةباطنية لا سلطان للانسان عليها تماما ، ويعتبرها العوامل الرئيسية التى لا تحدد نمو السكان كميا فقط أى قدرته على الانجاب وخصوبته وبقاءه بل تحدد أيضا نمو السكان من ناحية الكيف أى الخصائص التى تميز حضارات الانسان المختلفة .

بعض النظريات الاجتماعية فى نمو السكان :

تاتى النظريات الاجتماعية بآراء تختلف عن النظريات الطبيعية فى مجال النمو السكانى - وتجعل للعوامل الاجتماعية الدور الرئيسى الذى يفرض على الانسان سيطرته وتحكمه فى نموه العددى فتجعله يتكاثر أو يعمل على تحديد تكاثره - فى الوقت الذى لا تتغير فيه طاقاته البيولوجية، ومنذ أيام مالثوس تعددت النظريات الاجتماعية عن نمو السكان وسنذكر هنا بعض هذه النظريات باختصار .

١ - نظرية هنرى جورج :

تاتى نظرية هنرى جورج (١٨٣٩ - ١٨٩٧) وهو اقتصادى ومصلح اجتماعى أمريكى - على نقيض نظرية مالثوس تماما ، ويتفاعل بشدة بشأن

العلاقة بين السكان والغـذاء فى المستقبل وأنكر تماما صحة المبدأ القـائل بوجود تعارض أساسى بين تزايد أعداد البشر والقدرة على توفير العيش لهم ، بل زعم أنه «على خلاف أى كائن حى آخر فان زيادة عدد السـكان تتضمن الزيادة فى غذائهم»(١) •

ولكنه استدرك قائلا بأن هذه الحالة لا تتحقق الا اذا تساوى النـاس جميعا فى حصولهم على الموارد الارضية وبالتالى اذا لم يكن هناك احتكار لقلة من الناس على الكثرة من الموارد ، ويعتقد جورج أن القـدرة على الانجاب والخصوبة البشرية تتناقصان كلما تزايد انتشار التطور الفـكرى الفـردى •

٢ ـ نظـرية ديمـــون :

كان أرسين ديمـون Arséne Dumont (١٨٤٩ ـ ١٩٠٢) أسـتاذا فى جامعة ستراسبورج ، وتعتمد أفكاره فى السكان على الدراسة التى قـام بها عن نمو السكان فى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر وسماها «نظـرية الشعيرية الاجتماعية» theory of social capillarity •

ويمكن تلخيص نظرية ديمون بايجاز فى أنه كان يعتقد أن الفرد يميل الى الصعود نحو مستويات أعلى فى بيئته الاجتمـاعية عن طريق عملية تشبه الخاصية الشعيرية الطبيعية ، وفى هذه العملية من الارتفاع الى أعلى يصبح توالده أقل احتمـالا باطراد حيث يبتعد شيئا فشـيئا عن وسـطه الطبيعى natural milieu وعن أسرته وبالتالى يفقد الاهتمام بالاسرة وفى رفاهية السلالة ويتركز اهتمامه الرئيسى على الصعود بطريقة تفيده شخصيا بصرف النظر عما اذا كانت هذه الحركة تفيد المجتمع أو السلالة • وقـد اعتقد ديمون أنه فى المجتمع الذى تكون فيه الحركة الى أعلى من طبقـة الى طبقة سهلة نوعا وتكون الشعيرية الاجتماعية مثلها مثل الجاذبية أمرا حتميا وفى ذلك يقول «ان الشعيرية بالنسبة الى النظـام الاجتماعى هى كالجاذبية بالنسبة للعالم الطبيعى»(٢) •

what gravity is to the physical world, capillarity is to the social order.

---

(1) Ibid., p. 45.

(٢) أ ـ تومبسون ولويس المرجع السابق ـ ص ٧٠ •
ب ـ Thompson & Lewis, Op. Cit., p. 46.

وهو يعتبر أيضا هذه الحـركة من طبقة الى أخـرى سببا مباشرا فى الهبوط الذى يطرأ على معدل المواليد حيث يذكر بأن «زيادة الاعـداد فى شعب تتناسب تناسبا عكسيا مع تطور الفرد» .

وفى كل ذلك يستبعد ديمون تماما أن يكون التغير فى الاعداد راجعـا الى أية تغييرات بيولوجية كما ذكر سبنسر من قبل .

وقد بنى ديمون نظريته نتيجة دراسته للخصوبة فى أقاليم فرنسـا كما ذكرنا ، وذكر بأن هناك تفاوتا كبيرا فى المجتمعات المتقدمة مثـل فرنسـا والنامية مثل الهند ، ففى فرنسا حيث استقرت الديموقراطية كان الانتقال من طبقة الى طبقة أخرى سريعا ـ أى تكون الشعيرية الاجتماعيـة أشـد مفعولا مما ترتب عليه خفض معدل المواليد الى درجة كبيرة ، وبالاضافة الى ذلك فان المدن الكبرى فى المجتمعات الديموقراطية تفرض جاذبية قوية على الذين يعيشون بالقرب منها وبهذا تزيد من قوة الجاذبية الشعيرية على الناس وتسرع بالعمل على تخفيض معـدل المواليد فى المجتمع ، والذين يبعدون عن مراكز الجاذبية ويعملون فى حرف لا يجد فيها الطموح الفردى سوى فرصـة ضئيلة للطمـوح والنمو لا يجتذبون بمثل هذه السرعة الى الحركة الشعيرية ومن هنا لايحتمل أن يقللوا معدل المواليد بنفس الدرجة بل يواصلون التزايد .

وقد ضرب ديمون مثلا على المجتمعات ذات النظام الاجتماعى الجامد والذى لايسمح بان يرقى الفرد ويندمج فى طبقة أعلى مما يجعـل نسـبة المواليد ترتفع ارتفاعا كبيرا وبالتالى يزيد النمو السكانى بدرجة كبيرة .

ومهما يكون من أمر فان ماذكـره ديمون يجعـل لنظريته الفضل فى توجيه المزيد من الاهتمام الى الظروف الفعلية التى يعيش فى ظلها السكان وذلك باعتبار أنها عوامل على قدر كبير من الاهمية فى ايجاد موانع واقية تحد من نمو السكان .

٣ ـ كار ـ سـوندرز :

ولد كار سوندرز Carr - Saunders سنة ١٨٨٦ ودرس الاقتصاد والسكان فى انجلترا ، وتقوم نظريته فى السكان على أساس أن الانسان ذاته قادرا على التحكم فى اعداده وأنه ـ أى الانسان ـ يناضل باستمرار فى سبيـل الوصول الى العدد الامثل optimum number وهو العدد الذى يتيح أعلى متوسط للعائد بالنسبة للفرد الواحد اذا أخذنا فى الاعتبار طبيعة البيئة أو

مستوى المهارة وعادات الناس وتقاليدهم وغير ذلك،وعندئذ تحكم الانسان بوجه عام فى اعداده بقصد الوصول الى الحد الامثل الذى يختلف بالطبع من وقت لآخر .

وقد ذكر كارسوندرز ـ أن الحد الامثل لا يتحقق ويثبت مرة واحدة بل على العكس من ذلك فانه يتغير باستمرار كلما تغيرت الظروف المشار اليها وكلمـا اتجهت المهـارات البشرية الى التزايد بمرور الزمن اتجه العـدد المرغوب فيه (الامثل) الى التزايد من الناحية الاقتصادية(١) .

وباختصار فقد اتجه كار سوندرز فى نظريته الى القول بأن الزيادة فى عدد السكان تخضع الى حد كبير لافكار السكان أنفسهم عن العدد المثالى من وجهة نظرهم فى ضوء الظروف الاقتصادية التى يعيشون فيها ، وذكر بأن الانسان قد اضطر الى ابتكار أساليب عديدة للوصول الى هذه الغاية مثل الاجهاض ووأد الاطفال وعـزل النساء ... وغـير ذلك حتى يمكنه التحكم فى زيادة عدده ، وبهذا يؤكد كار سوندرز على تحكم الانسان الفعلى فى زيادة عدد أفراده ، أكبر مما فعل مالثوس ويؤكد بدرجة أقل على الموانع الايجابية .

ولكن نظرية كار سوندرز لم تسلم من النقاش الذى تركز حـول تحديد الحد الامثل للسكان ـ وهذا حقيقى ـ فرغم أن هذه النظرية تتعـارض تماما مع النظريات الطبيعية ـ الا أن من الثابت أن المجتمعات حتى اذا وصلت الى حجم مثالى (أعلى نصيب للفرد من العائد الاقتصادى) فـان ذلك يكون أمرا لحظيا وليس دائما كما أنها لم تصل اليه الا بعد أن أسهمت الموانع الايجابية (الجوع والمرض والحرب) فى ذلك فى معظم الاحوال .

وبالاضافة الى ما سبق فان الحجم المثالى للسكان فى مجتمع ما يكون أمرا نظريا بحتا ويرتبط ذلك بالموارد الاقتصادية المتاحة ومدى استغلالها ولذا فليس من السهل تحديد طاقة أى اقليم وبالتالى يصعب ان لم يكن ذلك مستحيلا ـ أن نحدد عدد السكان الذى يمكن استيعابه فعلى سبيل المثال تباين عدد السكان الذى قدر أن استراليا وكندا يمكن أن تستوعبه من عدة ملايين الى نحو مائة مليون نسمة أو يزيد .

---

(١) أ ـ المرجع السابق ـ ص ٧٢ .
ب ـ Ibid., p. 47.

القسم الثانى

تطبيقـــات ســـــكانية

مشـكلات الســكان فى الوطن العــربى

الفصل الأول

نظـــرة شـــاملة

يمتد الوطن العـربى من المحيط الاطلسى غربا الى الخليج العـربى شرقا بمساحة تقرب من ١٤ مليون كيلو مترا مربعا أى قدر مساحة الولايات المتحدة الامريكية مرة ونصف مرة وقرابة ثلثى مساحة الاتحاد السوفيتى، ويسكنه نـحو ٢٢٦ مليون نسمة فى سنة ١٩٩١ ، ومن المتوقع أن يبلغ هذا العدد نحو ٥٠٠ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ ،ويكون العرب فى الوقت الحاضر نحو ٤٪ من جملة سكان العالم ويأتون ـ مجتمعين ـ فى المركز الخامس من حيث حجم السكان بعد الصين (١١٥١) والهند (٨٥٩) ومجمــوعة السوق الاوربية المشتركة (٣٤٥) والولايات المتحـدة الامريكية (٢٥٢) ، وذلك وفق تقديرات سنة ١٩٩١ .

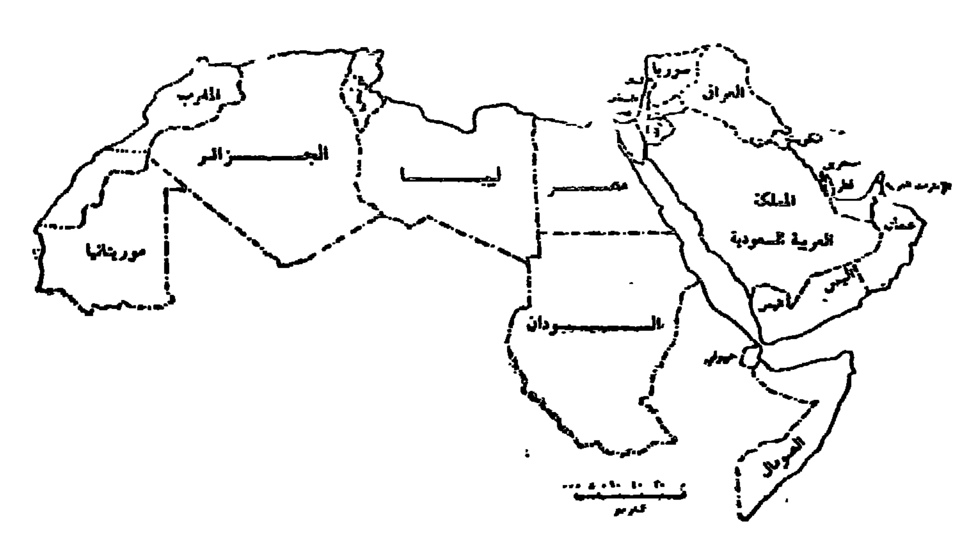
وقد انعكست ظروف البيئة الصحراوية الجافة التى تمثل معظم مساحة الوطن العربى على توزيع السكان به حيث يتركزون فى الاودية النهرية أو فى السواحل التى تستقبل قدرا من الامطار يسمح بالزراعة أو الرعى وفى الواحات المبعثرة ، وكذا فى المناطق ذات التربة الخصبة التى تقـوم بها الزراعة اعتمادا على الامطار ، ويشتغل معظم السـكان بالزراعة كحرفة رئيسية رغم أن الانتاج الزراعى بأساليبه الحالية لم يعد يكفى أحتياجات السكان للتزايد السريع فى معدلات نموهم .

ورغم أن العرب يملكون فى أرضهم أكبر احتياطيات بترولية فى العالم الا انهم يواجهون كثيرا من مشكلات التنمية والتطور لعـل أبرزها الزيادة السكانية الكبيرة من ناحية وسوء التوزيع السكانى من ناحية أخرى سواء على المستوى القومى أو المستوى الاقليمى . بالاضافة الى ذلك فأن هناك عديدا من المشكلات المرتبطة برفع مستوى العيش والتعليم وتوفير الغذاء.

ويعيش نحو ٧٠٪ من العرب فى افريقيا و ٣٠٪ فى آسـيا ، رغم أن الصفة الغالبة على توزيعهم هى التبعثر فى مناطق منفصلة تفصلها أراض صحراوية شاسعة . وينقسم الوطن العربى الى أربعة أقاليم جغرافية كبرى يضم كل منها عـدة دول (شـكل رقم ٤٧) تتبـاين من حيث المسـاحة

والسكان مما يجعل هذه الاقاليم فى النهاية مختلفة هى الاخرى فى الحجم المساحى والسكانى على النحو التالى :

أ - **شبه الجزيرة العربية** ، وتشمل المملكة العربية السعودية واليمن وعمان والامارات العربية وقطر والبحرين والكويت ، وتصل مساحة هذا الاقليم ٣ مليون كيلو مترا مربعا أى بنسبة ٢١٪ من مساحة الوطن العربى ومع ذلك فلا يسكنه سوى ٣٢ مليون نسمة فقط أى بنسبة ١٤٪ فقط من جملة سكانه ، وفى هذا الاقليم يتوزع السكان فى الاودية وعلى المرتفعات الجنوبية وعلى سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندى والخليج العربى وفيه تخلو مناطق شاسعة من السكان خاصة الربع الخالى وفى شمال شبه الجزيرة .



شكل رقم (٤٧)

الوحدات السياسية فى الوطن العربى (١٩٩١)

ب - **اقليم الهلال الخصيب**،ويشمل العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والاردن ، وتبلغ مساحته ٧٤٩٠٠٠ كيلو مترا مربعا أى ما يعادل ٥٪ فقط من مساحة الوطن العربى ولكن يسكنه ٣٨ مليون نسمة بنسبة ١٧٪ من جملة سكانه . ويتركز السكان به فى الاطراف الغربية المطلة على البحر المتوسط سواء فى مناطق السهول أو المرتفعات الجبلية ، أما فى العراق فيتركزون أساسا حول نهرى الدجلة والفرات ، وهنا تؤثر الامطار كذلك

فى توزيع السكان حيث يتزايد التركز السكانى فى الشمال ويتبعثر السكان فى المناطق الصحراوية فى الجنوب والغرب ٠

جـ – **وادى النيل والقرن الافريقى**،ويشمل مصر والسودان وجيبوتى والصومال ويعيش به ٨٩ مليون نسمة أى نحو ٣٩٪ من جملة سكان الوطن العربى فى مساحة قدرها ٤ر٢ مليون كيلو مترا مربعا أو مايعادل ٣٠٪ من جملة مساحته ٠ ونهر النيل هو محور التركز السكانى فى مصر والسودان كما تلعب الامطار دورا كبيرا فى تحديد مراكز العمران بعيدا عن النيل فى غرب السودان ، وتكاد الظاهرة تتكرر فى الصومال حيث التركز السكانى حول نهر جوبا – شبلى ، كذلك فى مناطق بعيـدة عن واديه تعتمد على الامطـــار ٠

د – **ليبيا والمغرب العربى** ، ويعيش فى هذا الاقليم نحو ٦٧ مليـون نسمة أى ٣٠٪ من سكان الوطن العربى فى مساحة تصل الى ٦ مليون كيلو متر مربع أى بنسبة تصل الى ٤٣٪ من مساحته الكلية ٠ وتتركز الغالبية العظمى من السكان فى المغرب العربى الكبير فى نطاق السهول الساحلية على امتداد المحيط الاطلسى والبحر المتوسـط وتبقى مساحة صحـراوية شاسـعة من هذا الاقليم يتبعثر فيها السـكان تبعثرا شـديدا فى الواحات المتنـاثرة به ٠

أوجه التشابه والاختلاف :

بالرغم من أن سكان الوطن العربى لايزيدون فى مجموعهم على خمس سكان الصين أو ربع سكان الهند أو أقل من سكان الاتحـاد السوفيتى أو الولايات المتحدة الامريكية ، ويشكلون أمة واحدة ذات صفـات مشـتركة أبرزها اللغة والتاريخ والثقافة ، الا أنهم ينقسمون الى ٢١ وحدة سياسية مستقلة تتشابه فى معظم الخصائص الديموغرافية والاجتماعية ، وتتباين فى بعض الخصائص الاخرى ٠ فالدول العـربية كلها تتميز بمعـدل نمو سكانى مرتفع وبتركيب سكانى عمـرى شـاب وارتفاع نسـبة الزواج مع انخفاض متوسط السن عند الزواج والحجم الكبير للاسر ، وغلبة الحيـاة الريفية والبدوية ، وتسود فى كل الدول العربية ظاهرة النمـو الحضرى السريع حيث تتوسع المدن بمعدل عال ، كذلك فانهـا لاتتباين كثـيرا فى المستويات الصحية حيث ترتفع معدلات وفيات الاطفال الرضع ، كما أن أمد الحياة متوسط فى معظم هذه الاقطار ٠

ورغم أن الوطن العربى فى معظمه يتميز بالمناخ الجاف الذى أدى الى

تاثير كبير على نمط الحياة وأدى الى انخفـاض حادفى الكثافة السكانية المطلقة ، فان هناك مساحات محددة تتوفر بها موارد المياه كما فى سواحل البحر المتوسط فى المغرب والشام وفى وادى النيل وأودية الدجلة والفرات، حيث يتركز السكان بكثافة عالية تفوق مثيلتها فى الدول الصناعية .

والوطن العربى رغم أنه يقع ضمن العالم الاسـلامى ويمثل منطقـة القلب فيه ، فان به مجتمعات غير اسلامية ممثلة فى الطوائف المسيحية فى معظم الدول العربية وكذلك ممثلة فى يهود اسرائيل ، وتظهـر كثير من الدراسات أن هناك فوارق جوهرية فى بعض الخصائص الديموغرافية بين هذه الجماعات غير الاسلامية وبين باقى المجتمعات الاسلامية فى الاقطار العـــربية .

الا أن أبرز مظاهر التباين بين الاقطـار العربية هـو التوزيع غـير المتساوى للسكان والثروة ، وذلك لان التجزئة السياسية للوطن العـربى أدت الى وجود فوارق مساحية وسكانية واقتصادية ضخمة بين الوحدات المكونة له كما هى الحال بين دول الخليج واليمن بشطريها ، أو بين الاردن وفلسطين المحتلة ، أو بين مصر وليبيـا ، فرغم أن كثـيرا من الحـدود السياسية قد أنشىء بعد الحرب العالمية الاولى والقليل منها بعـد الحرب العالمية الثانية ، فقد أدى هذا التقسيم المحلى الى التأثير الكبير فى حركة السكان الجغرافية وما يترتب عليها من نتـائج ديموغـرافية ، حتى أن الانتقال السكانى الحر بين الدول العـربية بعضهـا البعض أصبح مقيـدا وقاصرا على قطاعات محددة من السكان تتمثل فى القوى العاملة فقط،أما الهجرة الدولية بين دول الوطن العربى فليست ميسرة لفرض القيود عليها وان كانت بعض الاقطار تسمح بذلك وفق قواعد محددة وبأعداد ليسـت كبـــيرة .

كذلك فان من مظاهر التباين الرئيسية على رقعـة الوطن العـربى الاختلاف الكبير فى توزيع الثروة الاقتصادية خاصة فى البترول،فقد شهدت بعض الاقطار العربية تدفق البترول بكميات ضخمة تدفقت على أثرهـا ثروات أسهمت فى التغير البيئى والسكانى فى هـذه الاقطار ، كمـا أدت بطريقة مباشرة الى قيام حركات انتقال سكانى كبـير حيث تدفق الآلاف من العاملين على الدول البترولية للاسهام فى قوة العمل بها ، كذلك فقـد أدت هذه الثروات النفطية الى ارتفاع نصيب الفـرد من الناتج القـومى ارتفاعا يصل ببعض الدول العربية الى رأس قائمـة دول العـالم فى هذا المجـــال .

وبالاضافة الى أوجه التباين فى توزيع السكان والثروة هنـاك مظاهر أخرى للاختلاف أبرزها الفارق الكبير بين الدول العربية فى المساحة حيث تتراوح المساحات بين ٦٠٠ كيلو مترا مربعا الى ٢ر٤ مليون كيلومتر مربع وكذلك الحجم السكانى من نصف مليون نسمة الى ٥٥ مليون نسمة ونصيب الفرد من الدخل القـومى الذى يتراوح بين ١٧٠ دولار و ١٨٤٠٠ دولارا سنويا (سنة ١٩٩١) ، يضاف الى ذلك كله الاختلاف بين توزيع المساحات الزراعية ومناطق البداوة وبين الحضر والريف ثم بين مستويات التنميـة الاقتصـادية ٠

وتختلف أقطار الوطن العربى فيما بينها فى قوى الجـذب والطرد فى مجال حركة السكان الجغرافية ، فالملاحـظ بصفـة عامة أن الدول الاكثر سكانا لاتتأثر بالهجرة الدولية تأثرا كبيرا فى الوقت الذى يكون فيه لهذه الهجرة أثر كبير فى سكان الدول الاقل سكانا ، فمعظم الدول ذات الحجم السكانى القليل تعد مراكز جذب قـوى للمهاجرين الوافـدين من الدول العربية الاخرى ومن خارج الوطن العربى ٠ وقد كانت الهجرة النازحـة المبكرة انعكاسا للضغط السكانى على الموارد فى بعض الدول العربية مثل لبنان التى كانت ومازال مصدرا لتيار هجرى كبير منذ سنة ١٨٦٠ حتى أن عدد السكان ذوى الاصل اللبنانى فى الخارج يزيد على مليون ونصف مليون نسمة ٠

كذلك فان الهجرة النازحة تعد من الظاهرات الديموغرافية فى اليمن بشطريها وعلى النقيض من ذلك فان دول البترول فى الخليج العربى تعد أقطابا هامة لجذب المهاجرين اليها من كل بلاد المشرق العربى خاصة من الاردن ومصر وسوريا ، ودول جنوب شبه الجزيرة العربية والسودان ، بل ومن دول أخرى غير عربية مثل ايران وباكستان وبنجلاديش ٠ وقـد أثرت الهجرة الوافدة فى الكويت والبحرين وقطر والامارات تأثيرا كبـيرا فى التركيب السكانى خاصة التركيب العمرى والنوعى والاقتصادى ٠

وعلى أية حال فليس البترول فقط هـو العامل الرئيسى فى الهجـرة الوافدة فى الدول العربية ـ بل يلعب الدين دورا آخرا فى الهجرة الوافدة على فلسطين والتى يمكن اعتبارها جيبا سكانيا قام على أساس الهجـرة الدينية والتهجير الاجبارى للسكان الفلسطينيين الاصليين٠ وقد ترتب على ذلك تدفق أعداد ضخمة من اللاجئين الى الدول العربية المجاورة فى لبنان وسوريا والاردن ومصر وغيرها من الدول العربية وقد قدر عدد اللاجئين بعد حرب يونيه ١٩٦٧ بنحو ١ر٦ مليـون نسمة ولذلك فان حـل مشكلة

دؤلاء اللاجئين تكمن فى اعادتهم الى وطنهم وديارهم الاصلية التى طردوا منها بأساليب الصهيونية العنصرية لكى تقيم وطنا دخيلا فى فلسطين على حساب الارض والشعب ٠

وتعد الدول العربية الصغيرة الحجم السكانى ـ وخاصة البترولية منها ـ قادرة على خفض معدلات الوفيات خفضا كبيرا وذلك لامكانياتها القادرة على الاستفادة من التقدم الطبى وتحقيق مستوى صحى مرتفع لسكانها ورفع مستوى معيشتهم وفى مثل تلك الظروف يسود بهذه المجتمعات ارتفاع كبير فى نسبة الصغار (أقل من ١٥ سنة) حيث أمكن تخفيض معدلات الوفيات بدرجة كبيرة والتى وصلت الى ٧ فى الألف فى بعض الدول مثل ليبيا وتونس وهى فى ذلك تناهز أكثر الدول تقدما فى العالم ويمكن أن نتوقع أن الوفيات فى بعض الدول الاخرى مثل السعودية ودول الخليج ـ وليبيا قد انخفضت انخفاضا ضخما فى السنوات الاخيرة وذلك بفضل توفر الامكانيات التى تساعد على تحقيق المستوى الصحى المرتفع للسكان بهما ٠

ويختلف الأمر بالنسبة للخصوبة (المواليد) ـ ذلك لأنه لا توجد علاقة بين الحجم السكانى للدولة ومستوى الخصوبة بها بالرغم أن بعض الدول صغيرة الحجم فى الوطن العربى مثل فلسطين المحتلة تعد منخفضة الخصوبة ٠ وبصفة عامة يتراوح معدل المواليد فى الدول العربية من ٣٥ ـ ٥٠ فى الالف ٠ وليست هناك شواهد تدل على انخفاض الخصوبة الا انخفاضا قليلا فى بعض الدول فى السنوات القليلة الاخيرة ـ مثل مصر التى أخذت بسياسة تنظيم الاسرة منذ سنة ١٩٦٥ وأظهرت معدلات المواليد بها هبوطا طفيفا من ٤٢ فى الالف سنة ١٩٦٠ الى ٣٤ فى الالف سنة ١٩٧٣ وان كانت قد تزايدت بعد ذلك لتصل الى ٣٨ فى الالف فى أوائل الثمانينات وكذلك تونس التى انخفضت معدلات المواليد بها لتصل الى ٢٩ فى الالف سنة ١٩٩١ ٠

ويبدو من العلاقة بين معدل المواليد والوفيات ـ أن الزيادة الطبيعية الناتجة عن الفرق بينهما قد ازدادت بدرجة كبيرة نتيجة الهبوط الذى طرأ على معدل الوفيات ولما كانت الدول الصغيرة الحجم والبترولية منها على وجه الخصوص قد استطاعت أن تخفض معدل الوفيات بدرجة كبيرة فى السنوات الاخيرة ـ فقد أدى ذلك الى ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية بها بدرجة أكبر من غيرها ولعل فى الكويت مثل واضح على ذلك ٠

وقد انعكس مستوى الخصوبة المرتفع فى الدول العربية على زيادة نسبة الصغار بها (أقل من ١٥ سنة) وهى الفئة العريضة من السكان التى تكون قاعدة الهرم السكانى وتكون أكثر الفئات تاثرا بهبوط معدل الوفيات حتى أن أكثر من ٤٠٪ من سكان الدول العربية يقل عمرهم عن ١٥ سنة بل تصل هذه النسبة الى ٤٩٪ فى بعض الدول مثل اليمن والاردن ٠

وبالرغم من أن التوزيع السكانى غير متساو على الاطلاق على رقعة الوطن العربى الا أن الاتجاه الحالى فى نمو السكان يتجه نحو زيادة هذه الظاهرة وتاكيدها وبمعنى آخر فان نويات التركز السكانى الكثيفة السكان ممثلة فى المدن والمناطق الزراعية تشهد نموا سريعا لسكانها أكثر من المناطق المبعثرة السكان وقد حاولت بعض الحكومات العربية العمل على خلق مناطق جديدة لجذب السكان ٠ وتسير سياسة هذه الحكومات على تنمية بعض الاقاليم الاخرى ومحاولة اعادة التوزيع السكانى على رقعتها٠ ولكن ينبغى القول بأن ذلك يتم بخطى بطيئة ولم يحقق بعد أهدافه الرئيسية من خلق مناطق جذب سكانى تنافس المناطق التقليدية ولعل ذلك راجع الى قوة الجذب المتمثلة فى النويات السكانية وتوفر الخدمات المتعددة بها وهذه ظاهرة ليست مقتصرة على الدول العربية بل تشاركها فيها الدول النامية ٠

وتتميز الدول العربية بوجود جزر سكانية على رقعتها قد تمتد أحيانا على هيئة شريط مواز للساحل أو متعامد عليه ولا تكون هذه الجزر أو المساحات الصغيرة الآهلة بالسكان سوى مساحة قليلة من المساحة الكلية للدولة ولعل فى مصر ــ مثل واضح على ذلك حيث يتركز ٩٩٪ من سكانها فى ٣ر٥٪ فقط من مساحتها الكلية وكذلك العراق حيث أن أكثر من نصف السكان يعيشون فى ١٥٪ من مساحة البلاد وفلسطين المحتلة حيث يعيش ثلاثة أخماس السكان فى عشر مساحة الدولة ٠

ويوجد بكل دولة عربية تقريبا منطقة كبيرة المساحة يتبعثر بها السكان أو غير مسكونة على الاطلاق،ولايوجد بها مراكز عمرانية الا فى الواحات المبعثرة أو فى مناطق التعدين ويصعب الاتصال بين أجزائها وذلك لظروفها الطبيعية الطاردة ٠ وقد أصبحت كثير من المناطق الصحراوية فى الدول العربية مناطق انتاج بترولى ضخم ــ ومع ذلك فانه من الخطأ أن نتصور أن هذه المناطق الصحراوية ستصبح أكثر سكانا بسبب ثروتها البترولية ــ ذلك لان صناعة البترول قد ساهمت فى تضخم كثير من المراكز العمرانية خارج مناطق حقول البترول أكثر من داخلها وانه من مظاهر التناقض أن

الدول كبيرة الحجم السكانى مثل مصر والمغرب لاتنتج الا كميات قليلة من البترول بالرغم من أن بعض الدول الصحراوية الصغيرة السكان بلغت شأوا كبيرا فى ذلك ٠

وبالرغم من تزايد نسبة سكان المدن فى الدول العربية الا أن نسبة سكان الريف مازالت مرتفعة تدل على أن مناطق التركز السكانى مازالت ممثلة فى القرى وقد تأثرت مواقع هذه القرى بمدى الحصول على المياه وخصوبة التربة ، وترتبط هذه القرى بشبكة الطرق الاولية تربطها بالمدن العاصمة٠ وهناك اتجاه قوى فى بعض الدول العربية ومنها مصر ـ نحو التنمية الريفية وتحسين أحوال القرى ٠ وبالرغم من الاصلاح الزراعى فى بعض الدول الا أن التفاوت فى مساحة الاراضى المملوكة مازال من العناصر الهامة المؤثرة فى حياة هذه المجتمعات والتى يبدو منها الفارق الكبير بين ثراء الملاك وفاقة العمال الزراعيين وقد خطت بعض الدول خطوات هامة فى سبيل تقليل هذه الفوارق مثل مصر التى حددت الملكية منذ سنة ١٩٥٢ ٠

ويعيش الوطن العربى فى الوقت الحاضر فى ثورة تعليمية حقيقية تتمثل فى ذلك الاهتمام الكبير بالتعليم وخاصة فى مراحله الاولى والعمل على الارتفاع بسن الالزام ليشمل قطاعات أكبر من السكان ٠ وكذلك تهتم الدول العربية بالتعليم الثانوى والعالى وانعكس ذلك على احداث تغيير فى أساليب الحياة سواء فى الزراعة أو الصناعة أو الحياة الحضرية وكذلك ارتفاع مكانة المرأة عما كانت عليه من قبل وغير ذلك من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية ٠

وباختصار فان سكان الوطن العربى يمرون بمرحلة انتقال ديموغرافى وحضارى فى هذه السنوات سيكون لها تأثير كبير على خريطة السكان فى المستقبل وتركيبهم وملامح نموهم وان كان ذلك يجعل من التنبؤات السكانية أمرا صعبا ذلك لسرعة التغير الحضارى والاقتصادى فمن ذا الذى كان يتنبأ مثلا فى منتصف هذا القرن بتلك الثروة البترولية الضخمة فى دول البترول العربية أو بخروج الاوربيين من المغرب العربى أو بتطور الاشتراكية فى مصر والجزائر وغيرها أو بالتغيرات السياسية الكبيرة التى شهدها الوطن العربى فى العشرين عاما الماضية ٠

أبرز المشكلات السكانية فى الوطن العربى :

ليست المشكلة السكانية فى التزايد السريع للسكان فى ضوء بطء النمو الاقتصادى فقط بل تتعداها الى جوانب أخرى ترتبط بالنمو والحجم

والتوزيع والتركيب السكانى وخصائصه والهجرة أو بمعنى آخر محددات ديناميةالسكان والنتائج التى تترتب عليها على المستويين المحلى والاقليمى ٠

ويعد النمو السكانى المرتفع فى الاقطار العربية ذات الموارد الاقتصادية المحدودة أو غير المستغلة استغلالا مناسبا - أهم المشكلات التى تعوق حركة التنمية بها والى جانب ذلك هناك مشكلات مرتبطة بذلك أبرزها انخفاض المستوى الاقتصادى والصحى وسوء توزيع الخدمات والتزايد السريع فى المدن الاقليمية وفى العواصم وكذلك فى تزايد أعداد السكان فى سن العمل بسبب التركيب العمرى الشاب وتدنى اسهام الاناث فى القوة العاملة ، وتزايد الضغط على الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية، وعلى العكس من ذلك فان حجم السكان القليل فى الدول البترولية العربية - رغم تزايده بمعدل مرتفع - يعد مشكلة لهذه الدول ، ولاتبذل هذه الدول أى جهد لخفض معدلات النمو السكانى بها بل تعمل على تشجيع الانجاب بوسائل مختلفة وتجلب أيد عاملة من الخارج لسد النقص فى العمالة الوطنية لديها ٠

١ - مشكلة الحجم السكانى :

تعد مشكلة الحجم السكانى ذات وجهين ، أحدهما يتمثل فى الحجم الزائد والاخر فى الحجم الناقص ، فتعانى كثير من الدول العربية من مشكلة التضخم السكانى فى ضوء الموارد الاقتصادية المحدودة بها ، وأبرز هذهالدول مصر والاردن وسوريا ولبنان واليمن وتونس والمغرب وموريتانيا والصومال ٠ وفى هذه الدول يزيد معدل النمو السكانى عن ٢ر٥٪ سنويا مما يعنى أن اجمالى عدد السكان بها الذى يصل الى ١٠٦ مليون نسمة سنة ١٩٨٣ سيتضاعف بعد قرابة ربع قرن فقط ٠

وقد سبق القول أن هذه المعدلات المرتفعة قد نجمت عن خصوبة مرتفعة ومعدلات وفيات آخذة فى التناقص ، وليست ثمة ما يشير الى انخفاض كبير فى معدلات المواليد فى هذه الدول وان كانت هناك دول عربية تبنت سياسة رسمية لتنظيم الاسرة **Family Planning** بهدف تقليل معدلات المواليد ومن هذه الدول مصر وتونس ولبنان ٠

أما بقية الدول العربية فلاتعانى من مشكلة التضخم السكانى بل على العكس فهى تعيش مرحلة السكان الاقل من الموارد **under population** ويبدو ذلك بوضوح فى الدول البترولية فى شبه الجزيرة العربية وفى العراق

والسودان وليبيا والجزائر ، ويعيش فى هذه الدول مجتمعة نحـو ٧٩ مليون نسمة أى ٤٢٪ من جملة سكان الوطن العربى ٠

واذا نظرنا الى الوطن العربى كوحـدة مساحية واحـدة فان حجم السكان به يتزايد بمعدل متوسط يصل الى نحو ٣٪ سنويا ، ويعد ذلك من أعلى معدلات النمو السكانى فى العالم حيث يصل المتوسط العـالمى الى ٨ر١٪ بل وأعلى من متوسط معدل النمو السكانى فى الدول النامية والذى يصل الى ٢٪ (متوسط ١٩٨٠ ـ ١٩٨٩) ، ويرتبط ذلك كما سبق القول بارتفاع معـدلات المواليد العربية التى يصـل متوسطها الى ٤٥ فى الالف مقابل ٢٦ فى الالف فى العالم و ٣١ فى الالف فى الدول النامية سنة ١٩٨٩ ٠ (جدول رقم ٤١) ٠

جـدول رقم (٤١)
حجم السكان ومعدلات النمو والمواليد
فى الوطن العربى

	جملة عدد السكان بالمليون			معدل النمو السنوى(٪)	معدل المواليد فى الالف	عدد السنوات اللازمة لتضاعف حجم السكان
	١٩٥٠	١٩٧٥	١٩٩١	١٩٨٩	١٩٨٩	
جملة العالم	٢٥٠١	٣٩٦٧	٥٣٨٤	٨ر١	٢٩	٣٧
الدول المتقدمة	٨٥٧	١١٣٢	١٢١٩	٦ر٠	١٦	١١٢
الدول النامية	١٦٤٤	٢٨٣٥	٤١٦٥	٣ر٢	٣٤	٣٠
الوطن العربى	٧٧	١٥٠	٢٢٦	٠ر٣	٤٥	٢٤
العرب ٪ من العـالم	١ر٣	٨ر٣	١ر٤	ـ	ـ	ـ

والواقع أن معدل النمو السكانى المرتفع فى الدول العربية ذات الحجم السكانى القليل والموارد الوفـيرة ينتج عن خصـوبة عالية غـير مخططة وليس ناجما عن انخفاض معدل الوفيات فقط ، وينجم عن هذه الخصوبة العالية غـير المخططة مشكلات صحية أبرزهـا تزايد احتمالات تعـرض الامهات والاطفال الرضع للامراض خاصة أمراض الامومة والطفولة المبكرة فعلى سبيل المثال تبين البحوث الطبية أن أكثر احتمالات الامراض والوفاة وسوء التغذية بين الامهات والاطفـال وكذلك تأخـر النمو الجسمانى

والعقلى تحدث بسبب تزايد عدد الاطفال الذين يتم انجابهم وعندما تقصر الفترات الفاصلة بين الولادات للمرأة ، ويصدق هذا القول عندما تكــون الأم فى سن صغيرة (أقل من ١٨ سنة) أو عندما تكــون متقدمة فى الســن (أكثر من ٣٥ سنة) ، وتجمع الاراء الطبية فى الوقت الحاضر أن تنظيم الخصوبة حتى فى الاقطار التى ترغب فى تزايد حجم الســكان بها يعــد ضرورة صحية(١) .

٢ ـ التركيب الســكانى :

يؤدى التركيب العمرى والتركيب العرقى للسكان فى كثير من الاقطار العربية الى مشكلات اقتصادية واجتماعية خطــيرة للدول الغنية والدول الفقيرة على السواء ، فقد أدت الخصوبة المرتفعة والتقــدم الصحى الذى أسهم فى تقليل معدلات الوفيات خاصة فى الاعمار المبكرة ، الى زيادة نسبة الصغار فى المجتمعات العربية ، وأصبحت نسبة الاطفال وصغار السن (أقل من ١٥ سنة) تزيد على ٤٥٪ من جملة السكان بل وتكاد تقرب من النصف فى بعض الدول العربية وذلك مقابل نحو ٢٥٪ فقط فى الدول المتقدمة ، وتلقى هــذه النسب العــالية بأعباء كبــيرة على خطط التنمية الحــالية والمستقبلة فى الوطن العربى . كذلك تشــهد الاقطار العــربية المستوردة للايدى العاملة الاجنبية ظاهرة تزايد نسبة هؤلاء الاجانب الى الســكان الاصليين كما هى الحال فى دولة الامارات العربية والكويت وماقد يترتب على ذلك من مشكلات سياسية واجتماعية كامنة فى هذه الاقطار .

ويرتبط بمشكلة التركيب السكانى فى كثير من الاقطار العربية خاصة فى شبه الجزيرة العربية ، نقص القوى العاملة الوطنية وما يترتب على ذلك من زيادة نسبة الاعالة ـ أى عدد السكان المعولين ، الى جملة القوى العاملة ـ وذلك بالاضافة الى انخفاض مستوى التعليم والتدريب المهنى، ومن الظاهرات الاخرى انخفاض نسبة اسهام الاناث فى النشاط الاقتصادى حيث لاتزيد نسبة اسهام الاناث العربيات عن٨٪من القوى العاملةالعربية.

٣ ـ سوء توزيع السكان :

سبق القول بأن الوطن العربى من الاقاليم التى يتبعثر بها السكان وتتدنى الكثافة العــامة به الى ١٣ نسمة فقــط فى الكيلو متر المربع حيث

---

(1) Omran, A. R., Population of the Arab World. Problems and Prospect, UNFPA and Croom Helm Ltd, New York, 1980, p. 8.

تشغل الصحارى مساحة كبرى من رقعته الارضية ، ورغم أن توزيع السكان على خريطة الوطن العربى هو دالة لعدد متشابك من العوامل الجغرافية فانه يتصف بعدم التساوى سواء بين الدول بعضها وبعض أو فى داخل الدولة الواحدة • وقد نجم سوء التوزيع السكانى عن عدد من العوامل المرتبطة بالسطح والظروف المناخية والامطار وكذلك توفر الموارد واستغلاليا وفرص العمل المتاحة والنقل • ولعل أبرز مظاهر سوء التوزيع السكنى تتجلى فى توزيع السكان بين الحضر والريف والنمو الكبير غير المخطط لمعظم المدن العربية •

وتتبعثر كثير من النويات السكانية التى يتراوح حجمها من بضعة مئات من السكان الى بضعة آلاف فى مناطق منفصلة يصعب الوصول اليها وتحتاج الى استثمارات ضخمة لانشاء طرق حديثة لتصلها بمناطق الانتاج والخدمات الرئيسية فى الدولة • ويؤدى صعوبة الاتصال بهذه المجتمعات البعيدة عن مناطق التركز السكانى الرئيسية الى نقص الخدمات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والامنية •

ويؤدى سوء التوزيع السكانى والخدمات فى الاقطار العربية الى خلق تيارات هجرة داخلية كبيرة من الريف الى الحضر ، ومايترتب على ذلك من افقار المناطق الريفية من قطاع كبير من القوى العاملة الشابة بها ، وكذلك من تزايد أحجام المدن بشكل حاد ، وتعد هذه الظاهرة من المشكلات الهامة فى توزيع السكان فى الوطن العربى خاصة فى الدول التى تزداد فيها الفجوة بين المدينة والقرية ، كذلك أدت فرص العمل المتاحة فى الاقطار البترولية الى اتجاه قطاعات كبيرة من العاملين فى الحرف الاولية بالصحارى مثل الرعى والزراعة الى اهمال هذا القطاع الانتاجى والاتجاه الى المدن،وقد انعكس ذلك على نقص الانتاج الزراعى والرعوى فى هذه الاقطار ، وتناقص انتاج الغذاء بها واضطرارها الى استيراد نسبة كبيرة من استهلاكها الغذائى من الخارج •

٤ ـ النمو الحضرى غير المخطط :

يتزايد سكان المدن فى الوطن العربى بمعدلات تصل الى ضعف معدل النمو القومى بصفة عامة حيث تصل نسبة النمو الحضرى الى ٦٪ سنويا، وفى دول المدينة City-States مثل الكويت وقطر فان المعدل يتزايد بشكل واضح ليصل الى ١٠٪ و ١٥٪ سنويا ، ومن المتوقع أن مدينتى الكويت والدوحة سيتضاعف حجمها السكانى فى أقل من عشر سنوات•ومن الواضح أن نمو المدينة العربية بمعدلات عالية لم يكن مخططا ـ أى لم يكن نتيجة

خطط عمرانية مدروسة أو نتيجة لعملية التحديث التى تصاحب عملية النمو الحضرى فى الدول العربية والتى تتشابه فى ذلك مع غيرها من الدول النامية ٠

وقد نجم النمو الحضرى الضخم الذى شهدته الاقطار العربية عن الزيادة الطبيعية للسكان والهجرة الواحدة ، ونجمت الظاهرة الاخيرة بدورها عن عوامل الطرد فى البيئات الاصلية للمهاجرين ، فقد تناقص نصيب الفرد من الارض الزراعية فى بعض الدول خاصة فى مصر مما دفع بعدد كبير من الريفيين نحو المدن بحثا عن حياة أفضل وفرص عمل أوفر وكذلك للاستفادة من الخدمات المتاحة فى المدن مثل الخدمات التعليمية والترفيهية والصحية وغيرها ٠ ويضاف الى هذين العاملين فى النمو الحضرى فى الدول البترولية ، تدفق أعداد كبيرة من الوافدين عبر الحدود بحثا عن العمل بأجور أعلى ، مما ألقى بأعباء ضخمة على المدن فى هذه الدول وعلى الخدمات بها ، وان كانت الموارد المالية فى هذه الدول تسمح باستيعاب النمو الحضرى الذى يخضع فى معظمه هنا لتخطيط أفضل من مثيله فى الدول الاخرى ٠

٥ ـ مشكلة الشعب الفلسطينى :

تعد مشكلة الشعب الفلسطينى الذى أجبر على ترك وطنه منذ سنة ١٩٤٧ وعلى مراحل بعد ذلك ـ مشكلة سياسية وديموغرافية فى آن معا، كما أنها مشكلة تقتصر على الوطن العربى وتلعب دورا كبيرا فى خريطته السكانية والسياسية ٠

والمتتبع للنزاع العربى الاسرائيلى منذ سنة ١٩٤٧ وماتلاه من هجرة اجبارية للفلسطينيين من قراهم ومدنهم فى فلسطين الى الدول العربية المجاورة يدرك بجلاء كيف أدت هذه المشكلة الى اعادة توزيع سكانى اجبارى تجلى فى معظمه فى مخيمات اللاجئين وفى أعداد الفلسطينيين التى اتجهت الى أقطار أخرى داخل الوطن العربى أو خارجه ، ويتوزع نحو مليونين من الفلسطينيين فى الوقت الحاضر فى سوريا والاردن ولبنان مما أدى الى نتائج ديموغرافية معقدة للفلسطينيين أو للدول المضيفة ، ولسنا بصدد تناول الصراع العربى الاسرائيلى فى هذه الدراسة وكيف أقامت الصهيونية العالمية والاستعمار وطنا لليهود على حساب فلسطين الارض والشعب ، ولكن نذكر فقط أن الاوضاع الديموغرافية للشعب الفلسطينى سواء فى الارض الفلسطينية المحتلة قبل عام ١٩٦٧ أو بعدها،

أو فى الدول العربية وخارجها جاءت نتيجة مباشرة لعمليات الطرد والمطاردة التى تمارسها اسرائيل وكذلك لعمليات الاستيطان المنظم الذى يهدف الى احكام القبضة على الاراضى العربية المحتلة .

وقد قدر أن عدد الفلسطينيين بلغ نحو ٤ر٥ مليون نسمة سنة ١٩٨١ يعيش منهم ٨ر١ مليون نسمة داخل فلسطين بقسميها : الذى احتل قبل ١٩٦٧ أو بعد تلك السنة ، ويعيش نحو ٧ر٢ مليون فلسطينى خارج أرضهم ، وتبين الارقام التالية توزيع الشعب الفلسطينى حسب مكان اقامته وذلك فى سنة ١٩٨١(١) :

توزيع الشعب الفلسطينى سنة ١٩٨١

	العدد	٪
داخل فلسطين المحتلة :		
فلسطين المحتلة قبل سنة ١٩٦٧	٥٥٠ر٨٠٠	١٢ر٠
للضفة الغربية	٨٣٣ر٨٠٠	١٨ر٢
قطاع غزة	٤٥١ر٦٠٠	٩ر٩
الجملة	١ر٨٣٥ر٤٠٠	٤٠ر١
خارج فلسطين المحتلة :		
بالدول العربية :		
الاردن	١ر١٤٨ر٢٠٠	٢٥ر١
لبنان	٤٩٢ر٢٠٠	١٠ر٨
الكويت	٢٩٤ر٩٠٠	٦ر٤
سوريا	٢٢٥ر٢٠٠	٤ر٩
السعودية	١٣٧ر٠٠٠	٣ر٠
الامارات العربية	٣٧ر٠٠٠	٠ر٨

---

(١) منظمة التحرير الفلسطينية ـ المكتب المركزى للاحصاء ـ المجموعة الاحصائية الفلسطينية العدد (٤) دمشق١٩٨٢ ـ ص٣٢،والنسب من حساب المؤلف .

نقلا عن : حسن عبد القادر صالح ـ سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا ـ عمان ـ ١٩٨٥ ـ ص ٤٠ .

	العدد	٪
مصـــــــر	٣٤٫٣٠٠	٠٫٧
قطـــــر	٢٤٫٠٠٠	٠٫٥
ليبيـــــا	٢٣٫٧٠٠	٠٫٥
العـــــراق	٢٠٫٦٠٠	٠٫٤
باقى الدول العربية	٥١٫٠٠٠	
الجمـــــلة	٢٫٤٨٨٫١٠٠	٥٤٫٥
بالدول الاجنبيــــة :		
الولايات المتحدة الامريكية	١٠٥٫٠٠٠	٢٫٣
باقى الدول الاجنبية	١٤٠٫٠٠٠	٣٫١
الجمـــــلة	٢٤٥٫٠٠٠	٥٫٤
جملة الشعب الفلسطينى	٤٫٥٦٨٫٥٠٠	١٠٠٫٠

الفصل الثانى

حجـــم وتوزيع الســـكان

ليست بيانات السكان فى الوطن العربى كاملة أو متكاملة ، كمــا أن المتوفر منها لايعطى الصــورة الدقيقة لاحوال الســكان ، وتتباين الدول العربية فيما بينها تباينا كبيرا فى مدى توفر البيانات السكانية ويصل هذا التباين أقصاه بين الدول العربيــة فى شمال افريقيــا من ناحية ، ودول جنوب شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى ، ففى الوقت الذى ترجــع فيه التعدادات السكانية الحديثة فى مصر مثلا الى مايزيد على مائة ســنة توجد دول لم تجر تعدادا ســكانيا الا منذ نحو عشرين عاما مثل المملكة العــربية السعودية التى أجرت أول تعداد ســكانى فى العام ١٩٦٣/٦٢ ، (جدول رقم ٤٢) ،كما أن هناك دولا لم تجر تعدادا لسكانها على الاطلاق حتى الوقت الحاضر مثل سلطنة عمان وان كان من المتوقع اجراء التعداد فى القريب العاجل .

وعلى ذلك فليس من السهل فى معظم الاقطار العربية أن نتبع منحنى النمو السكانى على امتداد فترة طويلة للوقوف على مكوناته أو تقــدير حجم السكان بدقة أو الوقوف على توزيع السكان فى أقاليم الدولة الواحدة أو حتى تقدير أحجام الطوائف المختلفة فى بعض الدول كما هى الحــال فى لبنان التى لم تأخذ الا تعدادا واحــدا فى تاريخهــا الحديث (١٩٣٢) ولاريب أن العيوب التى تشوب التعدادات السكانية فى الاقطار العــربية شأنها شأن معظم الدول النامية الاخرى ـ انما ترجع الى عدة عوامل لعل أبرزها عدم توفر الوعى الاحصائى أو تدنى المستوى الثقافى وتزايد نسبة الامية وانخفاض مكانة المرأة ووجود نسبة عالية من السكان البدو فى بعض الاقطــار وصعــوبة حصرهم بدقــة أو الوقــوف على بعض خصــائصهم الديموغرافية وليست العيوب الاحصــائية وقفا على التعــدادات السكانية فقط ، بل تتعداها الى الاحصاءات الحيوية فى الاقطار العربية ، فرغم أن هناك دولا تزداد فيها نسبة الوثوق فى الاحصاءات الحيوية مثــل تونس ومصر والكويت ، فان معظم الدول العربية تتصف احصاءاتها الحيــوية بالقصور وليس من السهل اعتمادا على المتوفــر منهــا ، الوقــوف على معدلات المواليد أو الوفيات بدقة كاملة ، ويبقى الامر رهنا بتقــويم هذه الاحصاءات والحصول منها على بعض المؤشرات الرقمية التى قد تفيد فى حساب تقديرات مقبولة للمعدلات الحيوية .

جـدول رقم (٤٢)

مدى توفر تعدادات السكان في الدول العربية منذ الحرب العالمية الثانية(١)

الـدولة	سنوات التعدادات
١ ـ دول الهلال الخصيب :	
ـ العـــراق	١٩٤٧، ١٩٥٧، ١٩٦٥، ١٩٧٧، ١٩٨٧
ـ ســوريا	١٩٥٢، ١٩٦٠، ١٩٧٠، ١٩٧٦، ١٩٨١
ـ لبنـــان	مسح ١٩٧٠
ـ فلســطين	١٩٤٨، ١٩٦١، ١٩٧٢، ١٩٨٣
ـ الاردن	١٩٥٢، ١٩٦١، ١٩٧٩ (الضفة الشرقية فقط)
٢ ـ دول شبه الجزيرة العربية :	
ـ السعودية	١٩٦٢/١٩٦٣، ١٩٧٤
ـ الكويت	١٩٥٧، ١٩٦١، ١٩٦٥، ١٩٧٠، ١٩٧٥، ١٩٨٠، ١٩٨٥
ـ البحـــرين	١٩٥٠، ١٩٥٩، ١٩٦٥، ١٩٧١، ١٩٨١
ـ قطـــر	١٩٧٠
ـ الامارات	١٩٦٨، ١٩٧٥، ١٩٨٠
ـ سلطنة عمان	لايوجد
ـ اليمـــن	١٩٥٥ (المستعمرة عدن)، ١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٨٦
٣ ـ دول النيل والقرن الافريقى :	
ـ مصـــر	١٩٤٧، ١٩٦٠، ١٩٦٦، ١٩٧٦، ١٩٨٦
ـ الســودان	مسح ٥٥/١٩٥٦، ١٩٧٣، ١٩٨٣
ـ جيبـــوتى	١٩٦٠/١٩٦١، ١٩٦٧، ٧٠/١٩٧١، ١٩٧٩ (مسح)
ـ الصـــومال	١٩٧٥
٤ ـ ليبيا والمغرب العربى :	
ـ ليبيـــا	١٩٥٤، ١٩٦٤، ١٩٧٣، ١٩٨٤
ـ تونـــس	١٩٤٦، ١٩٥٦، ١٩٦٦، ١٩٧٥، ١٩٨٤
ـ الجـــزائر	١٩٤٨، ١٩٥٤، ١٩٦٦، ١٩٧٧، ١٩٨٧
ـ المغـــرب	١٩٥٠، ١٩٦٠، ١٩٧١، ١٩٨٢
ـ موريتانيـا	١٩٦٤/١٩٦٥ (مسح)، ١٩٧٧

(١) المصـــدر :

أ ـ Clarke. J. and Fisher, W. B., Population of the Middle East and North Africa, London, 1972, p. 16.

ب ـ U. S. Department of Commerce, World Population 1983.

ولكن الملاحظ فى السنوات الاخيرة أن الوعى الديموغرافى أصبح افضل من ذى قبل فى كثير من الاقطار العربية حيث شهد انشاء أجهزة متخصصة فى جميع البيانات السكانية وارتبط بذلك تزايد نسب التعليم والاتجاه الجاد للتعرف على خصائص السكان خاصة فى الدول البترولية التى شهدت تحولات ديموغرافية ضخمة فى العقود الاخيرة ۰ ورغم القصور الذى يشوب بيانات التعدادات السكانية أو الاحصاءات الحيوية فى الدول العربية فان الاعتماد على المتاح منها وعلى غيرها من البيانات التى تنشرها الهيئات الدولية المتخصصة ، يساعد فى الوقوف على صورة الوضع الديموغرافى العربى وملامحه المميزة من حيث نمو السكان ومستويات الخصوبة والوفيات والهجرة والتوزيع والتركيب السكانى والتحضر الآخذ فى التزايد بشكل سريع والعلاقة بين السكان والموارد الغذائية المتاحة ۰

حجم السكان :

يبين الجدول رقم (٤٣) حجم السكان فى الاقطار العربية حسب الاقاليم الجغرافية وآخر تعداد أجرته الدول وكذلك تقدير السكان سنة ١٩٩١ ، ومن الجدول يبدو أن اقليم وادى النيل والقرن يضم خمسى ٢/٥ سكان الوطن العربى ، حيث يضم مصر كاكبر دولة عربية فى حجم السكان والتى يبلغ سكانها ٥٥ مليون نسمة أو ربع سكان الوطن العربى باكمله۰ويلى ذلك اقليم المغرب حيث يسكنه ٣٠٪ ثم اقليم الهلال الخصيب بنسبة تقرب من السدس ، أما أقل أقاليم الوطن العربى سكانا فتتمثل فى شبه الجزيرة العربية التى يقطنها نحو ٣٢ مليون نسمة (موزعة على ثمان دول) ، وبنسبة تصل الى سبع حجم السكان فى الوطن العربى ۰

جدول رقم (٤٣)
سكان الوطن العربى وفق أحدث التعدادات المتاحة
وتقدير السكان سنة ١٩٩١ (ألف نسمة)

الاقليم والقطر	عدد السكان حسب التعداد		تقدير السكان
	تاريخ التعداد	عدد السكان	١٩٩١
دول الهلال الخصيب :			
ـ العراق	١٩٧٧/١٠/١٧	١٢ر٠٠٠	١٧ر١٠٠
ـ سوريا	١٩٨١/ ٩/ ٧	٩ر١٥٦	١٢ر٨٠٠
ـ لبنان	مسح ١٩٧٠/١١/١٥	٢ر٤٠٥	٣ر٤٠٠
ـ فلسطين	١٩٧٢/ ٥/٢٠	٣ر١٥٨	١ر٧٠٠
ـ الاردن	١٩٧٩/١١/ ١	٢ر٢٤٩	٣ر٤٠٠
ـ الجملة			٣٨ر٤٠٠

دول شبه الجزيرة العربية :			
ـ السعودية	٩ /٩ /١٩٧٤	٧ر٠١٢	١٥ر٥٠٠
ـ الكويت	٢١/٤ /١٩٨٠	١ر٣٥٥	١ر٤٠٠
ـ البحرين	٦ /٤ /١٩٨١	ر٣٥٩	٠ر٥٠٠
ـ قطر	ابريل/مايو ١٩٧٠	ر١١١	٠ر٥٠٠
ـ الامارات	١٥/١٢/١٩٨٠	١ر٠٤٠	٢ر٤٠٠
ـ عمان	ـ	ـ	١ر٦٠٠
ـ اليمن	٣١/١ /١٩٧٥	٤ر٧٠٥	١٠ر١٠٠
ـ الجملة			٣٢ر٠٠٠
دول وادى النيل والقرن الافريقى :			
ـ مصر	٢٢/١١/١٩٧٦	٣٨ر٠٣٦	٥٤ر٦٠٠
ـ السودان	٣ /٤ /١٩٧٣	١٤ر٩٩٣	٢٥ر٩٠٠
ـ جيبوتى	مسح مايو/أغسطس١٩٧٩	ر٢٥٩	٠ر٤٠٠
ـ الصومال	٧ /٢ /١٩٧٥	٣ر٤٩٤	٧ر٧٠٠
ـ الجملة			٨٨ر٦٠٠
ليبيا ودول المغرب العربى :			
ـ ليبيا	٣١/٧ /١٩٧٣	٢ر٢٤٩	٤ر٤٠٠
ـ تونس	٨ /٥ /١٩٧٥	٥ر٥٧٢	٨ر٤٠٠
ـ الجزائر	١٢/٢ /١٩٧٧	١٦ر٩٤٨	٢٦ر٠٠٠
ـ المغرب	٢٠/٧ /١٩٧١	١٦ر٣٣٥	٢٦ر٤٠٠
ـ موريتانيا	١ /١ /١٩٧٧	١ر٤٠٧	٢ر١٠٠
ـ الجملة			٦٧ر٣٠٠
ـ الجملة ١٩٩١			٢٢٦ر٣٠٠

ويبين الجدولان رقم (٤٤) و (٤٥) ، توزيع الاقطار العربية حسب فئات الحجم السكانى وكذلك ترتيب هذه الاقطار على المستويين القومى والعالمى ، ومنه يبدو أن هناك دولة واحدة فقط فى الفئة الاولى وهى مصر ونسبة سكانها نحو ربع اجمالى سكان الوطن العربى كما ذكرنا ويعيشون فى ٧٪ فقط من مساحة هذا الوطن ، وثلاث دول فى الفئة الثانية وهى المغرب والجزائر والسودان ويعيش بها نحو ثلث سكان الوطن العربى

فى ٤٠٪ من مساحته ، ثم الفئتان الثالثة والرابعة وتشمل أربع دول هى العراق والسعودية وسوريا واليمن ويسكنها ٢٥٪ من سكان الوطن العربى.

جـدول رقم (٤٤)

توزيع الاقطار العربية حسب فئات الحجم السكانى ١٩٩١

رقم	الفئـــة	عدد الدول	جملة عدد السكان	٪ من السكان	٪ من المساحة
١	٥٠ مليون فأكثر	١	٥٤ر٦٠٠ر٠٠٠	٢٤ر٢	٧ر٢
٢	٢٠ـ٣٠ مليون	٣	٧٨ر٣٠٠ر٠٠٠	٣٤ر٦	٤٠ر٠
٣	١٥ـ٢٠ مليون	٢	٣٢ر٦٠٠ر٠٠٠	١٤ر٠	١٨ر٥
٤	١٠ـ١٥ مليون	٢	٢٢ر٩٠٠ر٠٠٠	١٥ر١	٨ر٥
٥	٥ ـ١٠ مليون	٢	١٦ر١٠٠ر٠٠٠	٧ر١	٢٣ر٤
٦	أقـــــل من ٥ مليون نسمة	١١	٢١ر٨٠٠ر٠٠٠	٩ر٦	٢ر٥
	الجمـــــلة	٢١	٢٢٦ر٣٠٠ر٠٠٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

أما بقية الدول العربية التى يصل عددها الى ١٣ دولة فتضم الدول الصغيرة والقزمية فى حجم السكان ولايسكنها سوى ١٧٪ فقـط من سـكان الوطن العربى وتبلغ مساحتها مجتمعة نحو ربع مساحة هذا الوطن،ويبدو من هذه الارقام أنه لاتوجد علاقة بين الحجم السكانى والحجم المساحى للدول العربية مما يعكس ظاهرة التركز السكانى فى مساحات صغيرة حيث يتوزع ٨٨٪ من سكان الوطن العـربى على عشر دول فقط تشـغل ثلاثة أرباع مساحة الوطن العربى بينما تتبعثر نسبة قليلة (١٢٪) على الربع الباقى، الذى يضم ١١ دولة تقع فى معظمها فى شبه الجزيرة العربية ، وبمتوسط عام لكل دولة يصل الى ١٪ من سكان الوطن العربى و ٢٪ من مساحته.

وعلى المستوى العالمى تبدو الدول العربية فى معظمها ـ قليلة السكان ولا تبرز سوى مصر بترتيبها العشرين بين دول العالم فى حجم السكان ، وتاتى اثنتا عشرة دولة فى ترتيب يتعدى المائة بين الوحدات السياسية فى العالم التى يصل عددها الى نحو مائتى وحدة (سنة ١٩٨٣) .

جـدول رقم (٤٥)

سكان الاقطار العربية سنة ١٩٩١

مرتبة حسب الحجم على المستوى العالمى والقومى(١)

الرتبة العالمية	الرتبة القومية	الـــــدولة	حجم السكان	٪ من الوطن العربى
٢١	١	مصــــــــر	٥٤ر٦٠٠ر٠٠٠	٢٤ر١٢
٣٢	٢	المغــــــرب	٢٦ر٤٠٠ر٠٠٠	١١ر٦٦
٣٥	٣	الجــــــزائر	٢٦ر٠٠٠ر٠٠٠	١١ر٤٨
٣٦	٤	الســــــودان	٢٥ر٩٠٠ر٠٠٠	١١ر٤٤
٤٩	٥	العــــــراق	١٧ر١٠٠ر٠٠٠	٧ر٥٥
٥٧	٦	الســـــعودية	١٥ر٥٠٠ر٠٠٠	٦ر٨٥
٦٢	٧	ســــــوريا	١٢ر٨٠٠ر٠٠٠	٥ر٦٥
٧٤	٩	تونــــــس	٨ر٤٠٠ر٠٠٠	٣ر٧١
٨١	١٠	الصــــومال	٧ر٧٠٠ر٠٠٠	٣ر٤٠
٨٥	٨	اليمـــــــن	١٠ر١٠٠ر٠٠٠	٤ر٤٦
٩٧	١٦	فلسطين المحتلة	١ر٧٠٠ر٠٠٠	٠ر٧٥
١٠٣	١١	ليبيـــــــا	٤ر٤٠٠ر٠٠٠	١ر٩٤
١٠٤	١٢	الأردن	٣ر٤٠٠ر٠٠٠	١ر٥٠
١١٣	١٣	لبنـــــان	٣ر٤٠٠ر٠٠٠	١ر٥٠
١٢٢	١٧	الكـــــويت	١ر٤٠٠ر٠٠٠	٠ر٦٢
١٢٣	١٥	موريتانيـــــا	٢ر١٠٠ر٠٠٠	٠ر٩٣
١٢٩	١٤	الامارات العربية	٢ر٤٠٠ر٠٠٠	١ر٠٦
١٣١	١٨	عمـــــــان	١ر٦٠٠ر٠٠٠	٠ر٧١
١٤٢	١٩	البحــــرين	٥٠٠ر٠٠٠	٠ر٢٢
١٤٣	٢١	جيبـــــوتى	٤٠٠ر٠٠٠	٠ر١٧
١٤٤	٢٠	قطـــــــر	٥٠٠ر٠٠٠	٠ر٢٢
		الجمــــــلة	٢٢٦ر٣٠٠ر٠٠٠	١٠٠ر٠٠

(١) المصـــدر :

U.S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1983, Washington, D. C. 1983, pp. 30-31.

ويلاحظ أن عدد الوحدات السياسية فى العالم هى ٢٠٢ وحدة ، وأن الرتبة هى لعام ١٩٨٣ .

كثافة السكان :

يتوزع سكان الوطن العربى البالغ عددهم ٢٢٦ مليون نسمة سنة ١٩٩١ على مساحة من الارض تصل الى ١٤ مليون كيلو مترا مربعا ، ويتباين هذا التوزيع تباينا شديدا من قطر الى آخر بل وفى داخل القطر الواحد حيث تتميز بعض المناطق بتركز سكانى شديد والبعض الاخر بندرة سكانية واضحة بل يكاد يخلو تماما من السكان • وكقاعدة عامة فان توزيع السكان فى الوطن العربى على المستوى القومى أو الاقليمى يعد توزيعا غير متساو سواء فى التوزيع العددى المطلق أو فى الكثافة السكانية ودرجة التركز •

وتبلغ الكثافة الحسابية فى الوطن العربى ١٣ نسمة فى الكيلو متر مربع ، (سنة ١٩٨٤) الا أن هذا الرقم مضلل الى حد كبير ولايعطى الا فكرة أولية عن مدى العلاقة بين السكان والارض ، ذلك لان الوطن العربى فى جملته الكلية تشغل الصحراء نحو ٩٥٪ من جملة مساحته • ويتركز سكانه فى النسبة الضئيلة الباقية وبكثافة يصل متوسطها الى ٣٠٢ نسمة فى الكيلو متر المربع •

ومن الجدول رقم (٤٦) يبدو مدى التباين فى الكثافة الحسابية والفيزيولوجية(١) على مستوى الاقطار العربية ، ومنه تبدو العلاقة العكسية بين الكثافة الحسابية ونسبة الارض الزراعية فى القطر حيث يميل التوزيع السكانى نحو التركز الشديد فى الاقطار التى تقل فيها نسبة الارض الزراعية ، ويبدو ذلك بوضوح فى دول شبه الجزيرة العربية ووادى النيل وليبيا والجزائر وموريتانيا ، ففى هذه الدول تقل نسبة الارض الزراعية عن ٥٪ من مساحة الدولة ، وفى هذه النسبة تعيش الغالبية العظمى من السكان فى نطاقات منفصلة تعكس سمات التوزيع السكانى على خريطة الوطن العربى ككل ، والذى يتصف بالتركيز الشديد فى نويات منفصلة عن بعضها البعض (شكل رقم ٤٨) حددت هذا الانفصال المفرط عوامل جغرافية وتاريخية لعل أبرزها موارد المياه والتربة والظروف المناخية والتركز السكانى الذى نجم عن استغلال البترول فى شبه الجزيرة العربية •

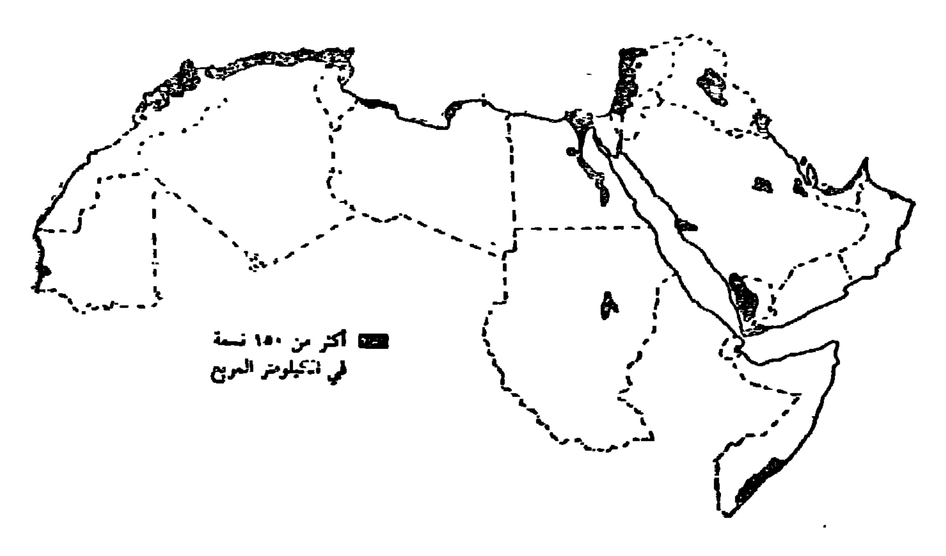
---

(١) تحسب الكثافة الحسابية بقسمة عدد السكان على مساحة الدولة أما الكثافة الفيزيولوجية فيقسم عدد السكان على مساحة الارض الزراعية فقط •

جدول رقم (٤٦)

كثافة السكان فى الاقطار العربية ومساحة الارض الزراعية بها (١٩٨٤)

الاقليم والقطر	المساحة الكلية (كم٢)	نسبة الارض الزراعية ٪	الكثافة (نسمة/كم٢) الحسابية	الكثافة (نسمة/كم٢) الفيزيواوجية
دول الهلال الخصيب :				
ـ العــــراق	٤٣٤٩٢٤	١٢	٣٤	٢٨٧
ـ ســـــوريا	١٨٥١٨٠	٢١	٥٤	١٧٢
ـ لبنـــــان	١٠٤٠٠	٣٤	٢٥٤	٧٣٥
ـ فلسطين المحتلة	٢٠٧٧٠	٢٠	٢٠٢	١٠١١
ـ الاردن	٩٧٧٤٠	١٤	٣٤	٢٤٥
شبه الجـزيرة العـربية :				
ـ الســـعودية	٢١٤٩٦٩٠	٥ر٠	٥	١٠١٤
ـ الكـــــويت	١٧٨١٨	١ر٠	٩٨	٩٧٢٢٢
ـ البحــــرين	٦٢٢	٣ر٠	٦٧٥	٢٢١٠٥
ـ قطـــــــــر	١١٤٠٠	٣٣ر٠	٢٥	٧٦٣١
ـ الامــــارات	٧٧٨٠٠	٢ر٠	١٦	٨٣٣٣
ـ عمـــــــان	٣٠٠٠٠٠	٢ر٠	٥	١٩٦٦
ـ اليمن الشمالى	١٩٥٠٠٠	١٤ر٠	٣٢	٢٣٣
ـ اليمن الجنوبى	٣٣٢٩٦٨	٦ر٠	٦	١١١١
وادى النيل والقرن الافريقى :				
ـ مصـــــــر	١٠٠١٤٤٩	٣	٤٥	١٣٠٤
ـ الســـودان	٢٥٠٠٥٨١٣	٥	٨	١٦٧
ـ جيبـــوتى	٢٣٠٠٠	صفر	١٥	—
ـ الصـــومال	٦٣٧٦٥٧	٢	٨	٤٢٧
ليبيـا والمغـرب العـربى :				
ـ ليبيـــــا	١٧٥٩٥٤٠	١	٢	١٩٩
ـ تونـــــس	١٦٣٦١٠	٣٢	٤٣	١٣٥
ـ الجـــزائر	٢٣٨١٧٤٠	٣	٩	٢٩٧
ـ المغـــرب	٧٢١٠٠٠	١٨	٣٢	١٧٨
ـ موريتانيـــا	١٠٣٠٠٠٠	١	٢	١٧٧
جملة الوطن العربى	١٤٠٤٩١٢١	٤ر٤	١٣	٣٠٢



شكل رقم (٤٨)
أكثف المناطق سكانا فى الوطن العربى (١٩٩١)

على أنه باستثناء دول المدينة فى الخليج العربى والتى يتركز سكانها فى العاصمة مثل الكويت والبحرين وقطر،والى حد كبير الامارات العربية، فانه يمكن تقسيم بقية الاقطار العربية الى ثلاث فئات رئيسية :

١ - **فئة الكثافة العالية** : وتشمل الدول التى تزيد الكثافة الفيزيولوجية بها عن ١٠٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع ، وتضم هذه الفئة خمس دول هى مصر (١٣٠٤) ، واليمن الجنوبية (١١١١)،والسعودية (١٠١٤) ، وفلسطين المحتلة (١٠١١) .

٢ - **فئة الكثافة المتوسطة** : وتشمل الدول التى تتراوح الكثافة الفيزيولوجية بها بين ٥٠٠ - أقل من ١٠٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع ، وتضم هذه الفئة قطرا واحدا هو لبنان (٧٣٥) وهو القطر العربى الوحيد الذى يتجانس فيه توزيع السكان الى حد كبير حيث تبلغ الكثافة الفيزيولوجية به ثلاثة أمثال الكثافة الحسابية (فى مصر تبلغ نحو ثلاثين مثلا وفى السعودية نحو ٢٠٠ مثلا) .

٣ - **فئة الكثافة المنخفضة** : وتضم الدول العربية التى تقل الكثافة الفيزيولوجية بها عن ٥٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع ، وتشمل احدى عشرة دولة وهى المغرب العربى كله والذى تتجانس فيه الكثافة الى حد كبير بين دوله ، وكذلك تضم العراق وسوريا والاردن واليمن الشمالى والسودان والصومال .

الفصل الثالث

النمو السكانى

من المعروف فى الدراسات السكانية أن نمو السكان فى المجتمع ينتج عن الفرق بين المواليد والوفيات من ناحية وعن الهجرة الصافية (الفرق بين الهجرة الوافدة والهجرة المغادرة) من ناحية أخرى ، ويسهم هذا المعدل فى تحديد المدة الزمنية التى يستغرقها القطر فى الوصول الى حجم سكانى معلوم فى المستقبل اذا استمر هذا المعدل بنفس مستواه ، ذلك لان السكان يزيدون وفقا لمبدأ الفائدة المركبة وليس مبدأ الفائدة البسيطة،أى أن حجم السكان فى سنة الاساس يزيد سنويا بمقدار الزيادة خلال السنة السابقة ، فاذا كان معدل النمو ١٪ سنويا فان عدد سكان الدولة سيتضاعف فى ٧٠ ، سنة واذا كان ٢٪ فانه سيتضاعف فى ٣٥ سنة واذا كان ٣٪ فانه سيتضاعف فى ٢٤ سنة وهكذا ، أى أنه كلما زاد المعدل كلما قصرت المدة التى يتضاعف فيها حجم السكان .

ويبين الجدول رقم (٤٧) تطور أعداد السكان فى الوطن العربى ومعدلات نموهم منذ سنة ١٩٥٠ حسب الاقاليم الجغرافية الرئيسية ، ومن الواضح أن معدلات النمو ظلت تقريبا ثابتة فى عقد الخمسينات والستينات ويدور حول ٢ر٨٪ سنويا ثم مالبث أن تزايد فى عقد الثمانينات ليصل الى ٣ر٤٪ ، ويعكس ذلك فى الواقع مدى التزايد الناجم عن الزيادة الطبيعية والتى ترتبت على التحول الاقتصادى والاجتماعى الذى شهده الوطن العربى فى العقود الاخيرة والذى ارتبط بعوامل منها تزايد عوائد البترول وانعكاس ذلك على الدول المنتجة وغير المنتجة فى الواقع عن طريق هجرة الايدى العاملة ، وكذلك اتباع كثير من الاقطار العربية لخطط تنمية اقتصادية واجتماعية حقق البعض منها نتائج طيبة انعكست على انخفاض معدلات الوفيات مع استمرار المواليد ثابتة فى معظم الاقطار .

ومن الواضح أن أكبر مناطق الوطن العربى فى معدلات النمو هى شبه الجزيرة العربية حيث يصل متوسط معدل النمو بها الى ٥ر٤٪ سنويا ، ومعظم دول هذا الاقليم صغيرة الحجم السكانى فتحت أبوابها لهجرة وافدة من الاقطار الاخرى للاسهام فى عمليات التنمية بها اعتمادا على عوائد النفط التى تزايدت بشكل واضح عقب سنة ١٩٧٣ .

جدول رقم (٤٧)
متوسط معدل النمو السكانى فى الوطن العربى
حسب الاقاليم الجغرافية (٪ سنويا)(١)

الاقـــــليم	عدد السكان (مليون نسمة)				معدل النمو السنوى (٪)		
					١٩٥٠ — ١٩٦٠	١٩٦٠ — ١٩٧٠	١٩٧٠ — ١٩٨٠
	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠			
دول الهلال الخصيب	٦ر١٢	٩ر١٦	٢ر٢٣	٠ر٢١	٤ر٣	٧ر٣	٤ر٣
شبه الجزيرة العربية	٧ر٨	٨ر١٠	١ر١٤	٥ر٢٠	٤ر٢	١ر٣	٥ر٤
وادى النيل والقرن الافريقى	٣ر٣١	٧ر٣٩	٤ر٥٠	٥ر٦٦	٧ر٢	٨ر٢	٢ر٣
ليبيا والمغرب العربى	٦ر٢٣	٩ر٢٩	١ر٣٨	٨ر٥٠	٦ر٢	٨ر٢	٣ر٣
الجمـلة	٢ر٧٦	٣ر٩٧	٨ر١٢٥	٨ر١٦٨	٨ر٢	٩ر٢	٤ر٣

وفى ضوء معدلات النمو السكانى فى الوطن العربى يمكن القول بأن حجم السكان به سيتضاعف فى حـوالى ٢٠ سنة ، وبمعنى آخر فـان من المتوقع أن يزيد حجم السكان من حوالى ١٦٨ مليون نسمـة فى منتصف ١٩٨٠ الى نحو ٣٣٦ مليون نسمة فى سنة ٢٠٠٠ ثم الى ٥٠٠ مليون سنة ٢٠٢٥ بفرض استمرار معدل النمو ثابتا .

وتتباين الاقطار العربية تباينا واضحا فى معدلات نمو السكان بها، ويبين ذلك الجدول رقم (٤٨) بدرجة يمكن معها تقسيمها الى الفئات التالية :

أ ـ أقطار يصل معدل النمو السكانى بها الى ٤٪ أو أكثر : وتشمل ـ كما هو متوقع ـ الاقطار المنتجة للبترول فى شبه الجزيرة العربية والتى تلعب الهجـرة الوافدة دورا كبيرا فى نمو السكان بهـا اضافة الى الزيادة الطبيعية بطبيعة الحال . وتتمثل هذه الدول فى المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطـر والامارات التى تحظى بأعلى معـدل للنمـو

---

(١) تم حساب هذه المعدلات على أساس تقديرات السكان الواردة فى كتـاب :

U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1983.

جـدول رقم (٤٨)
التطور العددى لسكان الاقطار العربية فيما بين (١٩٥٠ ـ ١٩٨٩) ومعدل النمو السكانى فى الفترة من (٨٥ ـ ١٩٨٩)

الاقليم والقطر	عدد السكان (ألف نسمة)		معدل النمو السنوى ٪	تقدير عدد السكان (بالمليون)	
	١٩٥٠	١٩٨٩	(١٩٨٥ ـ ١٩٨٩)	سنة ٢٠٠٠	سنة ٢٠٢٥
دول الهلال الخصيب :					
العـــراق	٥١٦٣	١٨٣٠٠	٣ر٦	٢٥ر٦	٤٤
ســـوريا	٣٤٩٥	١٢١٩٠	٣ر٦	١٦ر٦	٤١
لبنــــان	١٣٦٤	٣٥٠٠	١ر٥	٦ر٣(*)	٦
فلســطين	١٣٣٥	٤٥٠٠	١ر٧	٥ر٥	٧
الاردن	١٢٦٧	٣٩٠٠	٣ر٣	٦ر٢	١٠
دول شبه الجزيرة العربية :					
السـعودية	٣٩٧٢	١٤٤٠٠	٥ر٠	٢٠ر٤	٤٤
الكــويت	١٤٥	٢٠٠٠	٤ر٤	٣ر٦	٣
البحــرين	١١٥	٤٨٩	٥ر٩	٠ر٦	١
قطـــر	٢٥	٤٢٢	٦ر٥	٠ر٣	١
الامــارات	٧٠	١٥٠٠	٤ر٦	٤ر٣	٧
عمـــان	٤١٣	١٥٠٠	٤ر٧	١ر٨	٥
اليمــــن	٣٩٨٤	١١٢٠٠	٣ر٤	١٧ر٧	٣٠
وادى النيل والقرن الافريقى :					
مصــــر	٢٠٧٩٧	٥١٠٠٠	٢ر٥	٦٧ر٤	١٠٥
الســودان	٨٠٥١	٢٤٥٠٠	٢ر٨	٤١ر٨	٦٠
جيبــوتى	٦٠	٤١١	٢ر٩(*)	٠ر٦	١
الصــومال	٢٣٤٩	٦١٠٠	٣ر٠	٦ر٨	١٩
ليبيا ودول المغرب العربى :					
ليبيـــا	٩٦١	٤٤٠٠	٤ر٢	٥ر٠	٩
تونـــس	٣٥١٧	٨٠٠٠	٢ر٥	١١ر٥	١٤
الجـــزائر	٨٨٩٣	٢٤٤٠٠	٣ر٠	٣٨ر٣	٤٩
المغـــرب	٩٣٤٣	٢٤٥٠٠	٢ر٦	٣٨ر٤	٤٦
موريتانيــا	٩٠٩	١٩٠٠	٢ر٤	٢ر٤	٥
الجمـلة	٧٦٢٠٠	٢١٩٠٢٢	٢ر٩	٣١٠ر٠	٥٠٣

(*) ١٩٨٣ .

السكانى ليس بين الدول العربية فقط بل بين دول العالم كله ، وهذه المجموعة من الدول يمكن أن يتضاعف حجم السكان بها فى فترة تتراوح بين ١٠ الى ١٥ سنة ، وتمثل فى الواقع نطاق الحجم السكانى الاقل من الموارد Under Population ، ولاتمارس أى جهد لتخفيض معدلات النمو السكانى الطبيعى وان كانت تتحكم فى الهجرة الوافدة اليها الى حد كبير كما ونوعا .

ب - دول يتراوح معدل النمو بها بين ٢٪ - ٤٪ سنويا : وتشمل معظم الدول العربية ، وتمثل هذه الفئة متوسط معدل النمو فى الوطن العربى فى الواقع ، حيث يصل هذا المعدل الى ٣٪ سنويا ، وهى التى تحدد المدى الزمنى الذى يمكن أن يتضاعف فيه حجم سكان الوطن العربى ككل ويصل هذا المدى الى نحو ٢٤ سنة ، ولاتتركز هذه الفئة فى اقليم جغرافى معين بل تتوزع فى كل الاقاليم الجغرافية فى الوطن العربى ، واذا استثنينا فلسطين المحتلة من هذه المجموعة والتى تلعب الهجرة اليهودية الوافدة اليها دورا هاما فى النمو السكانى بها فان العامل الأساسى للنمو فى دول المجموعة هو التزايد الطبيعى الذى ينتج عن خصوبة عالية ووفيات منخفضة ، وبمعنى آخر فان هذه المجموعة - والمجموعة السابقة - تعيش فى قلب مرحلة النمو السكانى المتزايد فى الدورة الديموغرافية الرباعية .

جـ - دول يقل معدل النمو السكانى بها عن ٢٪ ، وتشمل هذه المجموعة دولتين فقط هما لبنان وفلسطين المحتلة ، وتختلف أسباب انخفاض معدل النمو بكل منهما اختلافا جذريا ، ذلك لان هذا المعدل قد أظهر تناقصا واضحا فى لبنان وأصبحت الدولة العربية الوحيدة التى يبدو معدل النمو السكانى بها دون ٢٪ .

ومن الجدير بالذكر أن معدل النمو السكانى فى الاقطار العربية كلها كان منخفضا بشكل واضح منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف العقد الرابع من القرن العشرين ثم بدأ يتزايد بعد ذلك بصورة تدريجية وذلك لاتجاه معدلات الوفيات الى الانخفاض مع ثبات معدلات الخصوبة دون هبوط يذكر ، ويمكن اتخاذ ثلاث دول عربية كأمثلة على ذلك حيث تتوفر لديها بيانات منذ أوائل القرن الحالى للدلالة على ذلك كما يبين الجدول رقم (٤٩) .

مكونات النمو الطبيعى للسكان :

سبق القول بان معدل النمو السكانى فى الوطن العربى كان بطيئا

حتى منتصف الاربعينات ، وكان هذا الانخفاض راجعا بطبيعة الحال الى ارتفاع مستوى الوفيات مما ينعكس بدوره على هبــوط الزيادة الطبيعية هبوطا واضحا عكسته أعداد السكان فى الاقطار العربية منذ أواخر القرن الماضى . وكان هذا الارتفاع فى مستوى الوفيات مرتبطا بدوره بمجموعة من العوامل البيئية التى كانت ضابطة للنمو ومتحكمة فى حركته بدرجــة كبيرة وأبرز هذه العوامل الامراض الوبائية وغيرها وخاصة تلك التى تصيب الاطفال فى أعمار مبكرة .

جــدول رقم (٤٩)
معدل النمو السكانى السنوى فى
الفترات التعدادية للعراق ومصر والجزائر (٪)(١)

العــراق		مصــــر		الجـــزائر	
الفترة	المعدل	الفترة	المعدل	الفترة	المعدل
١٨٦٧–١٨٩٠	٣ر١	١٨٩٧–١٩٠٧	٤ر١	١٩١١–١٩٢١	٤ر٠
١٨٩٠–١٩٠٥	٨ر١	١٩٠٧–١٩١٧	٣ر١	١٩٢١–١٩٢٦	٢ر٠
١٩٠٥–١٩	٧ر١	١٩١٧–٢٧	١ر١	١٩٢٦–١٩٣١	٦ر١
١٩١٩–٣٥	٥ر١	١٩٢٧–٣٧	١ر١	١٩٣١–١٩٣٦	١ر٢
١٩٣٥–٤٧	٤ر٢	١٩٣٧–٤٧	٨ر١	١٩٣٦–١٩٤٨	٧ر١
١٩٤٧–٥٧	١ر٣	١٩٤٧–٦٠	٣ر٢	١٩٤٨–١٩٥٤	٦ر١
١٩٥٧–٦٥	٥ر٣	١٩٦٠–٦٦	٥ر٢	١٩٥٤–١٩٦٦	٢ر٢
١٩٦٥–٨٠	٤ر٣	١٩٦٥–١٩٨٠	١ر٢	١٩٦٥–١٩٨٠	١ر٣
١٩٨٠–١٩٨٩	٦ر٣	١٩٨٠–١٩٨٩	٥ر٢	١٩٨٠–١٩٨٩	٠ر٣

(١) المصــدر :

أ – Clarke, J. and Fisher, W., Population of the Middle East and North Africa, London, 1972, p. 98.

ب – U.S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1983.

جـ – فتحى أبوعيانة – التضخم السكان فى مصر – ضمن كتاب:السكان والعمران الحضرى – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٨٤ – ص ٢٤٧ .

د – البنك الدولى للانشاء والتعمير – تقرير عن التنمية فى العــالم ١٩٩١ – (مترجــم) – مؤسسة الاهــرام – القــاهرة – ١٩٩١ – صص ٢٩٤ – ٢٩٥ .

الخصوبة (المواليد) :

خصوبة السكان لفظ يطلق للدلالة على ظاهرة الانجـاب فى المجتمع والتى يعبر عنها بعدد المواليد الاحياء ، وتقاس بعـدة مقاييس حسـابية أبسطها مايعرف بمعدل المواليد الخام ويقصد به نسبة المواليد فى السنة الى جملة عدد السـكان فى منتصف السنة وغالبا ما تكون النسبة فى الالف ، أى يبين عدد المواليد لكل ألف نسمة من اجمالى السكان ، ويبين الجدول رقم (٥٠) معدلات المواليد فى الاقطار العربية ، ومنه يبدو أن معدلات المواليد فى الوطن العربى تعد من أعلى المعدلات فى العـالم ، وتشبه مثيلتهـا فى الدول النامية فى افريقيا وفى آسيا وبعض أقطار أمريكا اللاتينية،ورغم أن معدلات المواليد فى بعض الاقطار العربية قد اعتراها هبوط طفيف كما فى تونس ومصر اللتين هبط المعدل بهما بنسبة ١٥٪ و ٧٪ على الترتيب فان الحقيقة الهامة أن معدل المواليد فى الوطن العربى يصل الى نحو ٤٠ فى الالف فى المتوسط مقـابل ٢٩ فى الالف كمتوسـط عالمى و ١٦ فى الالف فى الولايات المتحدة الامريكية و ١٤٪ فى قارة أوربا ٠

أما انخفاض معدلات المواليد فى بعض أقطار شبه الجزيرة مثل الكويت والبحرين وقطر والامارات فليس هنـاك من الدلائل مايشـير الى اتباع سياسة خفض الخصوبة فى هذه الاقطـار بل الارجح أن خصوبة السـكان الاصليين فى هذه الاقطار لاتختلف فى نمطها ومستواها عن مثيلتها فى باقى أقطار شبه الجزيرة العربية ومعظم الاقطار العربية الاخرى،ولكن وجود نسبة عالية من السكان الاجانب من العـرب وغـيرهم - وهم قطـاع من المهاجرين العاملين فى القطاعات المختلفة - يتصفون بانخفاض مسـتويات الخصوبة وذلك بسبب ظاهرة الانتقاء العمـرى النـوعى التى تتصف به الهجرة ، ومن ثم ينعكس ذلك على متوسط المعدل القومى فى الدولة التى يكون سكانها الاصليون - أقل من السكان المهاجـرين كما هى الحـال فى الكويت والبحرين وقطر والامارات ٠

أما فى تونس ومصـر فقـد بدأت الخصـوبة فى الانخفاض فى أواخر الستينات فقد هبطت الخصوبة فى تونس من ٤١ فى الالف (متوسط ٦٥ - ١٩٧٠) الى ٣٥ فى الالف فى سنة ١٩٨٣ ثم الى ٢٩ فى الالف سنة ١٩٩١، ويعزى ذلك الى تبنى الدولة لسياسة رسمية لتنظيم الاسرة وذلك بهـدف تخفيض معدل المواليد ، وكذلك الحال فى مصر التى تبنت نفس السياسة لهذا الغرض منذ سنة ١٩٦٥ ، وقد هبط المعدل فيها من ٤٢ فى الالف سنة ١٩٦٠ الى ٣٨ فى الالف سنة ١٩٩١ ٠

جـدول رقم (٥٠)

معدل المواليد فى الوطن العربى حسب الاقطار

(المعدل فى الالف)

الاقليم والقطر	١٩٦٥ - ١٩٧٠	١٩٨٣	١٩٩١
دول الهلال الخصيب :			
العـــراق	٤٨	٤٧	٤١
ســـوريا	٤٨	٤٦	٤٣
لبنـــان	٤١	٣٦	٢٨
فلسطين المحتلة	٢٥ر٢	٢٤	٤٤
الاردن	٤٩	٤٧	٤٦
دول شبه الجزيرة العربية :			
الســعودية	٥٠	٤٤	٤٢
الكـــويت	٥٢	٣٧	٣٢
البحـــرين	٥٠	٣٧	٢٧
قطـــــر	٥٠	٣١	٢٧
الامـــارات	٥٠	٣١	٣٠
عمـــان	٥٠	٤٧	٤٦
اليمن الشمالى	٥٠	٤٨	٥١
وادى النيل والقرن الافريقى :			
مصــــر	٤١	٣٨	٣٨
الســودان	٤٩	٤٨	٤٤
جيبــوتى	٤٨	٤٧	٤٦
الصـومال	٤٨	٤٨	٤٩
ليبيـا والمغرب العربى :			
ليبيـــا	٤٧	٤٥	٣٧
تونــس	٤١	٣٥	٢٩
الجــزائر	٤٩	٤٤	٣٥
المغـــرب	٤٨	٤٤	٣٤
موريتانيـــا	٤٥	٤٥	٤٦

(١) المصــدر :

U.S. Dept. of Commerce, Bureau of the Census 1983, I.N.E.D., Population et Sociétés, 1983. Omtan. A. R. Population of the Arab World, p. 79.

I.N.E.D., Population et Sociétés, 1991.

ويرجع ارتفاع مستوى الخصوبة فى الوطن العربى الى عدة عـوامل متشابكة تدخل فى معظمها فى اطار مايعرف بالعوامل الوسيطة - Intermediate Variables والتى تتعلق بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية السائدة • وعلى العموم فان السلوك الانجابى للمرأة فى مختلف الاقطار العربية متشابه الى حد كبير ، ففى معظم الاقطار تكون الخصوبة عالية وذلك للسن المبكرة عند الزواج وما يترتب على ذلك من اطالة فترة الانجاب التى تمتد فيزيولوجيا عند المرأة من سن ١٥ ــ ٤٥ سنة• والظاهرة السائدة هى انخفاض سن المرأة عند الزواج وكذلك تفضيل انجاب الذكور وتزايد حجم الاسرة، ونظرا لان معظم القوى العاملة فى الوطن العـربى تعمل فى الزراعة فانها تنظر الى الابناء نظرة اقتصادية واجتماعيـة وذلك للاسهام فى دخل الاسرة وتحقيق الامن للاباء عند تقدمهم فى السن وبالاضافة الى ذلك كله فان ارتفاع نسبة الامية خاصة لدى الاناث وكذلك ارتفاع نسبة وفيات الاطفال الرضع تؤديان الى تزايد معدلات المواليد ، ويبقى تنظيم الاسرة وتقليل الخصوبة امرا قاصرا على نسبة ضئيلة للغاية من السكان ، ومن المحتمل أن التغير الاجتماعى والاقتصادى الذى تشهده معظم الاقطار العـربية ممثلا فى انتشار الخـدمات التعليمية والثقافية والتغير فى الافكار والاتجاه نحو تأخير السن عند الزواج سيؤدى الى خفض معدلات المواليد فى المستقبل •

الوفيـــــــــات

تعد الوفيات عنصرا هاما من عناصر التغير السكانى حيث تفـوق فى اثرها عامل الهجرة وان كانت الخصوبة تسبقها فى ذلك،كما انها تتناقض مع الخصوبة فى انها اكثر ثباتا ويمكن التحكم فى مستواها ، ولايبدو اثرها فى تغير حجم السكان فقط ، بل وفى تركيبهم كذلك خاصة التركيب العمرى حيث ترتبط الوفيات دائما بمستوى المتوسط العمرى للسكان وأمد الحياة، ولذلك يلقى التحكم فى الوفيات قبولا اكثر مما يلقاه التحكم فى المواليد•

وقد شهدت معظم اقطار الوطن العربى انخفاضا فى مستوى الوفيات فى السنوات الاخيرة وذلك لاسباب أبرزها الاخذ بأساليب التقـدم الطبى والتوسع فى الخدمات الطبية ، ويعد الهبوط فى معدل الوفيات من العوامل الرئيسية التى أدت الى تزايد معدل النمو السكانى وتضخم السكان بدرجة فاقت الموارد المستغلة فى كثير من دول الوطن العربى •

وقد تباينت الاقطار العربية فى نسبة هبوط الوفيات بها كما يبين ذلك جدول رقم (٥١) ، ففى الكويت مثلا هبط معدل الوفيات ــ وهو نسـبة

الوفيات لكل ألف من السكان – من ١١ في الالف سنة ٥٠ – ١٩٥٥ الى ٥ر٣ في الالف فقط سنة ٧٠ – ١٩٧٥،وقد وصل الى ٤ فقط في سنة ١٩٨٣، ويعد من أدنى معدلات الوفيات في العالم ، وعلى الطرف النقيض لم تهبط الوفيات في دول مثل موريتانيا الا بنسبة قليلة حيث انخفض معدل الوفيات بها من ٢٨ في الالف سنة ١٩٥٥/٥٠ الى ٢٥ في الالف سنة ١٩٨٣ ، وتقع بقية الدول العربية بين هذين الحدين بمتوسط يصل الى ١٣ في الالف .

ويعد معدل وفيات الاطفال من المقاييس الهامة في دراسة مستويات الوفيات وتطورها ذلك لانه يعكس مدى ماتقدمه الدولة من خدمات صحية لمواطنيها ويكون هبوطه أول خطوة في هبوط مستوى الوفيات ككل في المجتمع ، ويعنى معدل وفيات الاطفال الرضع نسبة عدد حالات الوفاة للاطفال دون السنة الى مجموع عدد المواليد الاحياء في ذات السنة مضروبا في ألف . وينبغي الاشارة الى أن دقة هذا المعدل شأنه في ذلك شأن المعدلات الحيوية الاخرى يرتبط بدقة الاحصاءات الحيوية.وتدل الشواهد في الوطن العربي على أن تسجيل وفيات الرضع يكون أقل من الواقع وبذلك يكون ناقصا ويتزايد هذا النقص حيثما كانت وفيات الرضع مرتفعة ونتيجة لذلك فان بيانات وفيات الاطفال المبكرة تعد أقل البيانات ثقة بصفة عامة .

واعتمادا على تحليل البيانات المتاحة وتقديرات الهيئات المتخصصة في الدراسات السكانية يمكن القول ان معدلات وفيات الاطفال كانت مرتفعة بشكل واضح ثم مالت الى الهبوط في السنوات الاخيرة.ويقدر على سبيل المثال أنه قبل سنة ١٩٥٠ كان اثنين أو ثلاثة من كل خمسة أطفال مولودين أحياء يموتون قبل وصولهم سن الخامسة(١) . ورغم ما اعترى هذه المعدلات من هبوط الا أنها مازالت في معظم الدول العربية مرتفعة بشكل واضح اذا قورنت بالدول المتقدمة أو حتى ببعض الدول النامية في أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا .

ومن الجدول رقم (٥١) يبدو أن هناك عشر دول عربية هي السعودية وعمان واليمن ومصر والسودان والصومال والجزائر والمغرب وموريتانيا يزيد معدل وفيات الاطفال الرضع بها عند ١٠٠ في الالف ومعنى ذلك أن أكثر من عشر عدد المواليد في هذه الدول يموت قبل مرور عام على ولادتهم . أما بقية الدول العربية فيقل فيها المعدل عن ذلك.وتعد فلسطين المحتلة والكويت أقل الدول في ذلك حيث يصل فيهما الى ١٥ في الالف و٣١ في الالف على الترتيب،وذلك في سنة ١٩٨٣ (يصل هذا المعدل الى

---

(1) Omran, A. R., Op. Cit., p. 111.

جـدول رقم (٥١)(*)

تطور معدل الوفيات فى الاقطار العربية منذ سنة ١٩٥٠ (معدل الوفيات لكل ١٠٠٠ من السكان ووفيات الاطفال لكل ١٠٠٠ من المواليد)(١)

الاقليم والقطر	معدل الوفيات الخام ١٩٥٠ – ١٩٥٥	معدل الوفيات الخام ١٩٧٠ – ١٩٧٥	تقدير سنة ١٩٩١ معدل الوفيات	تقدير سنة ١٩٩١ معدل الوفيات الاطفال الرضع	أمد الحياة بالسنة ١٩٨٣	أمد الحياة بالسنة ١٩٩١
العـــراق	٢٢ر٠	١٤ر٦	١٥	٦٩	٥٦	٦٤
ســوريا	٢١ر٤	١٥ر٤	٥	٣٧	٦٥	٦٩
لبنـــان	١٨ر٧	٩ر٩	٧	٤٨	٦٦	٦٨
فلسطـين	١١ر٠	٨ر٥	٥	١٠	٧٤	٧٦
الاردن	٢١ر٠	١٤ر٧	٥	٣٨	٦١	٦٧
السعودية	٣١ر٩	٢٠ر٢	٨	٧١	٥٤	٦٣
الكـويت	١١ر٢	٥ر٣	٣	١٦	٧٠	٧٤
البحـرين	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٣	٢٤	٦٦	٦٨
قطـــر	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٢	٢٤	٥٨	٧١
الامـارات	٢٨ر٥	٨ر٧	٣	٢٣	٦٣	٧١
عمـان	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٨	٤٠	٤٩	٦٤
اليمـــن	٣١ر٩	٢٠ر٦	١٦	١٢١	٤٣	٥٠
مصـــر	١٨ر٠	١٣ر٠	٩	٧٣	٥٦	٦٠
السـودان	٢٦ر٣	١٧ر٠	١٥	١٠٤	٤٨	٥١
جيبـوتى	(*)	(*)	١٧	١١٧	(*)	٤٨
الصـومال	٢٨ر٧	٢١ر٧	١٩	١٢٧	٤٣	٤٦
ليبيـــا	٢٢ر٥	١٤ر٧	٧	٦٤	٥٦	٦٧
تونـــس	٢٢ر٧	١٣ر٨	٧	٤٨	٥٩	٦٤
الجـزائر	٢٣ر٩	١٥ر٤	٨	٧٤	٥٦	٦٤
المغـرب	٢٥ر٧	١٥ر٧	٩	٧٥	٥٧	٦٢
موريتانيا	٢٧ر٨	٢٤ر٩	١٨	١٢٢	٤٣	٤٧

(١) المصـدر :

a) Population et Sociétés. I.N.E.D., No. 171, 254.
b) U. N. ECWA Publications.
c) Omran, A. R. Population of the Arab World, p. 110.
d) I.N.E.D., 1991.

(*) بيانات غير متوفرة .

١١ فى الالف فقط فى دول غرب أوربا والولايات المتحدة الامريكية) . ولا جدال فى أن استمرار ارتفاع معدل الوفيات للاطفال فى الاقطار العربية يرجع الى عدة عوامل متشابكة ترتبط بظروف البيئة والمستوى الاقتصادى والاجتماعى للاسرة ومدى ماتوفره الدولة من خدمات للطفولة والامومة فى الاقطار المختلفة وفى مناطق الحضر والريف والصحراء .

أمد الحياة :

كان لاستمرار انخفاض معدل الوفيات وخاصة فى الاعمار المبكرة أثره الواضح فى ارتفاع متوسط طول عمر الفرد فى الوطن العربى شأنه فى ذلك شأن بقية أقاليم العالم ، وقد أدى ذلك الى تزايد عدد السكان الذين يصلون الى أعمار متقدمة فوق الستين أو الخامسة والستين وتعتمد كثير من دراسة الوفيات حسب العمر والنوع على مايعرف بجدول الحياة Life Table وهو جدول احصائى ينشأ على أساس الظروف السائدة للوفاة حيث يبين مستواها عند أى فئة عمرية خلال فترة أساس معينة وتوقع الحياة عند هذه الفئة أو مايعرف بأمد الحياة أو متوسط عدد السنوات التى يحتمل أن يعيشها الفرد فى ظل الظروف الصحية والاقتصادية والاجتماعية السائدة.

ولاتتوفر بيانات عن كل الاقطار العربية للوقوف على مدى ارتفاع أمد الحياة ، ولكن يمكن القول ان انخفاض معدلات الوفيات فى الوطن العربى قد انعكست على تزايد أمد الحياة باقطاره . ويعكس ذلك التطور الصحى والاجتماعى والاقتصادى وكذلك التقدم الذى أحرزته كثير من الاقطار العربية فى مجال مقاومة الامراض وخاصة المعدية منها واستخدام الامصال والمضادات الحيوية ، ويمكن اتخاذ مصر والكويت مثلين على ذلك (جدول رقم ٥٢) .

جدول رقم (٥٢)
تطور أمد الحياة فى مصر والكويت

مصر		الكويت	
السنة	أمد الحياة بالسنة	السنة	أمد الحياة بالسنة
١٩٣٧	٤١ر٩	١٩٦٥	٦٢ر٠
١٩٦٠	٥٢ر٧	١٩٧٠	٦٧ر٣
١٩٧٦	٥٣ر ـ	١٩٧٥	٧٠ر٠
١٩٨٣	٥٦ر ـ	١٩٨٣	٧٠ر ـ
١٩٩١	٦٠ر٠	١٩٩١	٧٤ر٠

واعتمادا على متوسط أمد الحياة فى الاقطار العربية سنة ١٩٩١ ،فانه يمكن تقسيمها الى فئات على النحو التالى :

أ – **دول يزيد أمد الحياة بها عن ٦٥ سنة :** وتشمل تسـع دول هى سوريا ولبنـان وفلسطين والاردن والبحـرين والامارات والكويت وقطر وليبيـــا ٠

ب – **دول يتراوح أمد الحياة بها بين ٥٥ ـ ٦٥ سنة :** وتشمل سـبع دول هى الجزائر ومصر والمغرب وتونس والسـعودية والعـراق وسلطنة عمـــان ٠

جـ – **دول يتراوح أمد الحياة بها من ٤٥ ـ ٥٥ سنة :** وتشمل اليمن والسودان وجيبوتى وموريتانيا والصومال ٠

الفصل الرابع

الهجـــــرة

الهجرة ظاهرة ديموغرافية هامة تميز بها العرب على مر العصور وخاصة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام عندما انتقلت أعداد كبيرة من المهاجرين العرب الى خارج الوطن العربى تحمل المؤثرات الحضارية الغربية خاصة الدين الاسلامى الحنيف الى مناطق بعيدة فى جنوب شرق آسيا وشرق افريقيا وشمالها ، كذلك فقد شهد العصر الحديث أنواعا من الهجرة تمثلت فى انتقال عدد كبير من المهاجرين من سكان بلاد الشام الى العالم الجديد واستراليا وغرب افريقيا •

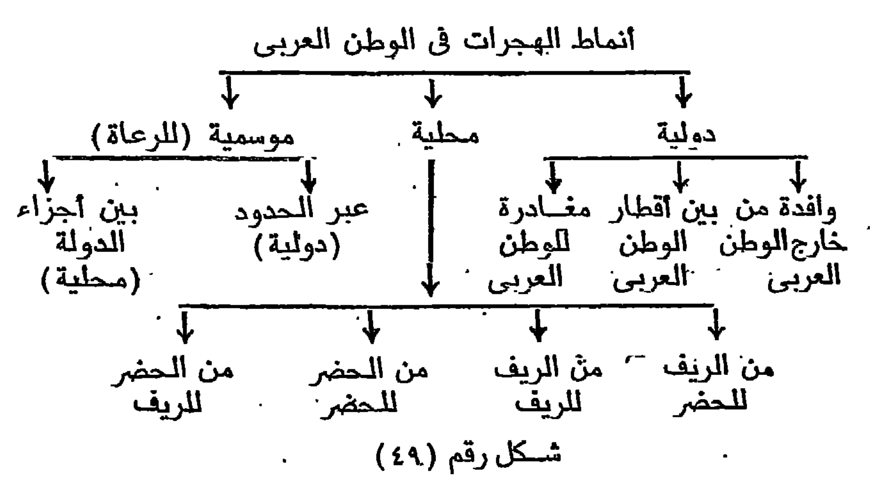
والهجـرة عـامل مؤثر فى نمـو السـكان كمـا تؤثر فى خصـائصهم الديموغرافية والاقتصادية حيث يعد التغير فى التركيب العمرى والنـوعى مثلا نتاجا هاما من نتائج الهجرة من الدولة أو اليها أو بين أجزاء الدولة الواحدة بعضها البعض ، ولما كان صافى الهجـرة (الفرق بين الوافـدين والمغادرين) يعنى انتقال السكان من مكان لاخـر فان ذلك يعيـد توزيع السكان فى أى منطقة ومايترتب على ذلك من نتائج ايجابية كتوفر الايدى العاملة وزيارة فرص الحصول على المدرب منها أو نتائج سلبية مثل زيادة عبء الاعالة فى المناطق المهاجر منها وخلق كثير من المشكلات السـكانية والاسكانية فى المناطق المهاجر اليها •

وللهجرة أنماط متعددة ويتميز كل منها بخصائص ديموغرافية خاصة وان كان يقصد بها عموما الانتقال الجغرافى من منطقة لاخرى،وفى الوطن العربى يمكن تقسيم الهجرة من حيث المدى والاتجـاه الى ثلاثة أقسـام رئيسية يبينها الشكل رقم (٤٩) وهى :

١ ـ الهجرات الدولية وتتمثل فى الانتقال السكانى عبر حدود الدول أى من دولة لاخرى داخل الوطن العربى أو خارجه سواء بصفة دائمة أو مؤقتـــة •

٢ ـ الهجرة الداخلية أو المحلية وتتمثل فى انتقال السكان فيمـا بين أجزاء الدولة الواحدة •

٣ ـ الهجرات الدورية أو الموسمية ، وتتمثل فى الانتقال الجغرافى من مكان لاخر لفترة محددة ثم مايلبث المهاجرون أن يعودوا الى مواطنهم الاصلية بعد ذلك وأبرز أمثلتها الانتقال الموسمى لبعض السكان Transhumance .



شكل رقم (٤٩)

ويلاحظ أن هذا النوع قد يندرج جزئيا تحت واحد من النوعين السابقين فقد تضم الهجرة الدولية مثلا هجرة للايدى العاملة من دولة لاخرى لفترات محددة ، وكذلك فقد تضم الهجرات الداخلية نفس الظاهرة أى انتقال الايدى العاملة من مكان لاخر داخل الدولة الواحدة لفترات محددة كذلك فقد تضم هجرات لجماعات سكانية من الرعاة وفى مسالك محددة كانتقال البدو الرحل من مناطق الحشائش الفقيرة الى المناطق الغنية بمراعيها أو من السهول الى الجبال كما فى شبه الجزيرة العربية والسودان والمغرب العربى .

الهجرة الدولية :

يشمل هذا النوع من الهجرات الانتقال السكانى عبر حدود الدول ، وعلى ذلك فان دراسة الهجرة الدولية فى الوطن العربى ربما تبدو يسيرة فى ضوء هذا التعريف المبسط وذلك للدول اعتمادا على سجلات الهجرة عند المداخل البرية أو البحرية أو الجوية ، ولكن رغم ذلك فان البيانات المتاحة لاتحوى كل الحقائق عن المهاجرين سواء من ناحية العمر أو الوضع الاجتماعى أو العلمى وغير ذلك من الخصائص الديموغرافية .

وتنقسم الهجرة الدولية فى الوطن العربى بدورها الى ثلاثة أنماط يتصف كل منها بسمات مميزة :

أ - الهجرة الدولية الوافدة من خارج الوطن العربى ·

ب - الهجرة الدولية بين أقطار الوطن العربى ·

جـ - الهجرة الدولية المغادرة للوطن العربى ·

الهجرة الدولية الوافدة من خارج الوطن العربى :

يمثل هذا النوع من الهجرة الدولية الوافدة ماتعرض له الوطن العربى من وفود مهاجرين من خارجه ليسو عربا ، وقد ساعد موقع الوطن العربى المتوسط على هجرة أعداد من سكان الشعوب غير العربية التى تجاوره سواء فى نطاق السفانا فى افريقيا جنوبا أو فى النطاق الاسيوى شرقا·ويبدو ذلك بوضوح فى هجرة أعداد كبيرة من غرب افريقيا الى السودان والاستقرار فيه مثل جماعة «الفلاتا» الذين تعتمد الزراعة فى آرض الجزيرة عليهم ، وليس من السهل الوقوف على حجم هذه الاعداد بيد أن أبرز العوامل المؤثرة فى هجرتهم هو وقوع السودان فى طريق الحج من غرب افريقيا الى الاراضى المقدسة،كذلك يشهد غرب السودان فى الوقت الحاضر انتقال أعداد كبيرة من تشاد للاستقرار فى منطقة دارفور وكردفان ·

وكذلك تعرضت دول عربية فى المشرق مبكرا لهجرة عناصر فارسية وبلوخستانية وافريقية خاصة فى جنوب شبه الجزيرة العربية وشرقها،ويبدو ذلك بوضوح فى امارات الخليج وفى سلطنة عمان·وقد لعبت هذه الهجرات الوافدة سواء فى الفترات السابقة أو فى العصر الحديث - دورا كبيرا فى التركيب العرقى للسكان وانعكست على النسيج البشرى المكون لهذه الدول فى الوقت الحاضر ·

وقد أسهم البترول بدور كبير فى جذب أعداد ضخمة من المهاجرين الاسيويين خاصة من الهند ومن الباكستان ومن بنجلاديش للعمل فى دول الخليج والتى تبنت خطط تنمية اقتصادية واجتماعية ضخمة اعتمادا على استغلال عوائد البترول وخاصة منذ أوائل السبعينيات ·

الهجرة اليهودية الى فلسطين :

ان أخطر الهجرات الوافدة على الوطن العربى تلك الهجرة اليهودية التى تدفقت على فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر ، وتعد هذه الهجرة محور المخططات الصهيونية لتهويد فلسطين وتحويلها لدولة تمثل قاعدة للسيطرة الصهيونية على المشرق العربى باكمله · وقد مرت الهجرة اليهودية الى فلسطين بعدة مراحل بدأت منذ

أواخر العصر العثمانى عندما انشئت أول مستعمرة يهودية فى أرض فلسطين سنة ١٨٣٧ وقدر عدد اليهود آنذاك بنحو ١٥٠٠ يهودى ثم تزايد عددهم تدريجيا حتى وصل الى نحو ٢٢ ألف يهودى سنة ١٨٨١ ٠

وعلى الرغم من قيام الحكومة العثمانية سنة ١٨٨٢ باصدار قانون للحد من الهجرة اليهودية فانها تراجعت عن الشروع فى تنفيذه العملى بفعل ضغوط بريطانيا وفرنسا بل وسمحت لليهود بالهجرة الى فلسطين وأنشاء المستعمرات الزراعية والمؤسسات الدينية والخيرية والعالمية ،وأدى ذلك الى استمرار تدفق اليهود بمعدلات قليلة فى البداية ثم مالبثت أن تزايدت فى العقدين الاولين من القرن العشرين حتى بلغ عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين ٨٤٣٠٠ مهاجرا فى الفترة من ١٨٥٠ حتى ١٩١٤ وبمتوسط سنوى وصل الى نحو ١٣٠٠ مهاجرا فى السنة (جدول رقم ٥٣) وان كان نحو نصف مجموع المهاجرين قد وصلوا خلال الفترة من ١٩٠٤ ــ ١٩١٤ وهؤلاء يمثلون فى معظمهم اليهود الذين قدموا من روسيا القيصرية ودول أوربا الشرقية ، ومنذ سنة ١٩٠٨ وحتى بداية الحرب العالمية الاولى تمكن اليهود من اقامة ١١ مستعمرة جديدة فى فلسطين بما فيها مدينة تل أبيب التى تأسست سنة ١٩٠٩(١) ٠

أما فى أثناء الانتداب البريطانى فى الفترة من (١٩١٩ ــ ١٩٤٨) فقد تزايد عدد اليهود المهاجرين الى فلسطين بشكل واضح حتى بلغ عددهم خلال هذه الفترة نحو ٤٨٢٫٨٥٧ مهاجرا بمتوسط سنوى بلغ ١٦٤٤٠ مهاجرا فى السنة(٢) ٠

واستمرت الهجرة اليهودية بشكل مكثف بعد اعلان قيام اسرائيل فى مايو ١٩٤٨ وارتبط بها طرد جماعى للسكان الفلسطينيين من ديارهم وتجريدهم من ممتلكاتهم بهدف احلال المهاجرين اليهود المجلوبين من كافة أرجاء العالم محلهم فى فلسطين ، وارتكبت العصابات الصهيونية عدة مذابح جماعية لسكان بعض القرى العربية فى سنة ١٩٤٨ لاجبار الفلسطينيين على الرحيل وتم لهم ما أرادوا عندما طرد أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطينى من ديارهم فى سنة ١٩٤٨ ، وشهدت الاعوام التالية أعدادا متزايدة من الفلسطينيين يطردون من بلادهم وتحولوا الى لاجئين

---

(١) حسن عبد القادر صالح ــ سكان فلسطين ــ ديموغرافيا وجغرافيا دار الشروق ــ عمان ــ ١٩٨٥ ــ صص ١٤١ ــ ١٤٤ ٠

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ ٠

يعيشون فى الضفة الغربية وقطاع غزة وفى الاقطار العربية المجاورة:الاردن ولبنان وسوريا ، ولم يكتف الصهيونيون بطرد أقل من مليون عربى من ديارهم سنة ١٩٤٨ واحتلال نحو ٧٩٪ من أراضى فلسطين بل احتلوا كامل الارض الفلسطينية فى حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ باخضاعهم الضفة الغربية وقطاع غزة للاحتلال واضطر نحو ٣٠٠ الف من السكان الاصليين واللاجئين الى النزوح نحو الضفة الشرقية للاردن(١) ٠

جدول رقم (٥٣)
تطور عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين
منذ منتصف القرن التاسع عشر(٢)

الفترة الزمنية	مجموع اليهود المهاجرين الى فلسطين	المتوسط السنوى للهجرة اليهودية الوافدة
١٨٥٠ – ١٩١٤	٨٤٣٠٠	١٣٠٠
١٩١٩ – ١٩٢٣	٣٥١٠٠	٧٠٠٠
١٩٢٤ – ١٩٣١	٨١٦٠٠	٢٤٦٠٠
١٩٣٢ – ١٩٣٩	٢٤٧٧٠٠	٥٧١٠٠
١٩٤٠ – ١٩٤٨	١١٨٣٠٠	٣٤٩٠٠
١٩٤٨ – ١٩٥١	٦٨٦٧٠٠	١٨٩١٠٠
١٩٥٢ – ١٩٥٤	٥٤٠٠٠	١٨٠٠٠
١٩٥٥ – ١٩٥٧	١٦٤٩٠٠	٥٤٩٠٠
١٩٥٨ – ١٩٦٠	٥٧٥٠٠	٢٥١٠٠
١٩٦١ – ١٩٦٤	٢٢٨٠٠٠	٥٧٠٠٠
١٩٦٥ – ١٩٦٨	٨١٣٠٠	٢٠٣٠٠
١٩٦٩ – ١٩٧٣	٢٢٧٢٠٠	٤٥٤٠٠
١٩٧٤ – ١٩٧٧	٩٣٢٠٠	٢٣٣٠٠
١٩٧٨ – ١٩٨٢	١٠٩٦٠٠	٢٢٠٠٠

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٠ ٠
(٢) المصدر :
a) Bachi, R., The Population of Israel, Jerusalem, 1976.
b) Statistical Abstract of Israel, 1982.
عن : حسن عبد القادر صالح ـ سكان فلسطين ـ عمان ـ ١٩٨٥ ـ ص ص ١٤٣ ـ ١٤٩ ٠

وتعد المرحلة التالية لقيام اسرائيل من أهم مراحل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فلم يكن فى فلسطين حتى مايو ١٩٤٨ سوى ٦٪ فقط من يهود العالم أصبح فيها مع نهاية سنة ١٩٥٣ نحو ١٣٪ وفى نهاية ١٩٨٢ نحو ٢٦٪ من يهود العالم الذين يقدر عددهم بنحو ١٣ مليون نسمة(١) ، وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود القادمين الى فلسطين خلال الفترة١٩٤٨ – ١٩٨٢ نحو ١٫٧١٢٫٠٠٠ مهاجرا بمتوسط سنوى مقداره ٥٠٦٠٠ مهاجرا من أوربا والاتحاد السوفيتى والامريكتين فيما يعرف باليهود الغربيين (الاشكناز) ومن الدول الاسيوية والافريقية خاصة الشرق الاوسط وهم اليهود الشرقيين (السفارديم) ٠

وقد تميزت حركة الهجرة اليهودية منذ قيام اسرائيل بتزايد مستمر فى نسبة اليهود الشرقيين بحيث أن نسبتهم أصبحت فى سنة ١٩٨٢ تقدر بنحو ٧٠٪ من اجمالى اليهود فى فلسطين المحتلة(٢) ٠

الا أنه ينبغى القول ان هناك عوامل عديدة فى المجتمع الاسرائيلى اقتصادية واجتماعية وغيرها تدفع بعدد كبير من اليهود الوافدين نحو العودة ، وليس هذا التيار العكسى وليد السنوات الاخيرة بل ارتبط بالهجرة اليهودية منذ أوائل هذا القرن فى الواقع،فقد قدر أن نسبة اليهود الذين هاجروا من فلسطين المحتلة خلال الفترة من ١٩٢٢ – ١٩٧٥ بنحو ١٥٫١٪ من مجموع المهاجرين القادمين الى فلسطين خلال الفترة ذاتها٠ وقد أظهرت بيانات مكتب الاحصاءات المركزى الاسرائيلى أنه منذ قيام الكيان الصهيونى وحتى نهاية عام ١٩٨٢ ، بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من فلسطين المحتلة ولم يعودوا اليها ٣٩١٠٠٠ يهودى أو ما نسبته ١٤٫٤٪ من اجمالى عدد المهاجرين اليهود القادمين الى فلسطين المحتلة فى خلال الفترة (١٩٤٨ – ١٩٨٢) ، ومعظم النازحين الى الخارج هم من اليهود الاوربيين والامريكيين وبخاصة ذوى الاعمار المتوسطة ، وقد اتجه نصف هؤلاء المهاجرين العائدين الى الولايات المتحدة الامريكية للاقامة بها(٣)٠

وتبين الارقام الواردة فى جدول رقم (٥٤) ميزان الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة فى الاحد عشر عاما الواقعة بين ١٩٧٢ – ١٩٨٢ ٠

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٨ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٥٦ ٠
(٣) المرجع السابق صص ١٦٢ – ١٦٣ ٠

جـدول رقم (٥٤)

ميزان الهجرة اليهودية : عدد المهاجرين القادمين الى الكيان الصهيونى والراحلين عنه وصافى الهجرة فى الفترة ٧٢ ـ ١٩٨٢ (بالالف)(١)

السنة	اليهود القادمون	اليهود الراحلون	صافى الهجرة
١٩٧٢	٥٥ر٤	٩ر٥	٤٥ر٩
١٩٧٣	٥٤ر٢	٦ر٢	٤٨ر٠
١٩٧٤	٣١ر٣	١٨ر٦	١٢ر٧
١٩٧٥	١٩ر٧	١٩ر١	٠ر٦
١٩٧٦	١٩ر٥	١٢ر٥	٧ر٠
١٩٧٧	٢١ر٣	١٤ر٣	٧ر٠
١٩٧٨	٢٦ر٨	١٠ر١	١٦ر٧
١٩٧٩	٣٧ر٢	٣٠ر٠	٧ر٢
١٩٨٠	٢٠ر٥	٣٣ر٠	ـ ١٢ر٥
١٩٨١	١٢ر٧	٢٢ر٩	ـ ١٠ر٢
١٩٨٢	١٣ر٠	١٢	١ر٠

وهكذا يبدو أن حركة الهجرة اليهودية الى فلسطين تمثل أكبر حركة هجرة استيطانية شهدها الوطن العربى فى تاريخه الحديث ، وقد أدت الى تغيير جذرى فى الوضع الديموغرافى لفلسطين ، فبعد أن كانت نسبة السكان العرب فى فلسطين ٦٥ر٢٪ من جملة سكان فلسطين فى مايو ١٩٤٨ والذين قدروا بنحو ١ر٢ مليون نسمة انخفض عددهم بشدة وتدريجيا بعـد ذلك ليصل الى ٣٥ر٩٪ فقط سنة ١٩٨٢ من جملة السكان فى فلسطين المحتـلة وقدرهم ٥ر٣ مليون نسمة فى تلك السنة ، وبالمقابل تزايدت نسبة اليهود من ٣٣ر١٪ سنة ١٩٤٨ لتصل الى ٦٤ر١٪ سنة ١٩٨٢ ، كما يبين الجدول رقم (٥٥) .

---

(١) المصـــدر :

Central Bureau of Stistics Statistical Abstract of Israel. 1982, p. 32.

نقلا عن : حسن عبد القادر صالح ـ سكان فلسطين ـ عمان ـ ١٩٨٥ ص ٢٧٧ .

جـدول رقم (٥٥)
تطور عدد العرب واليهود ونسبة كل منهما فى فلسطين المحتلة(١)

السنة	العـرب		اليهـود		الجمـلة
	العدد بالالف	٪	العدد بالالف	٪	العدد بالالف
١٩٤٨	١٣٨٠	٦٢ر٢	٧٠٠	٣٣ر١	٢١١٥(*)
١٩٥٠	٨٤٨	٤١ر٣	١٢٠٣	٥٨ر٧	٢٠٥١
١٩٦٠	١٢٦٤	٣٩ر٨	١٩١١	٦٠ر٢	٣١٧٥
١٩٧٠	١٤٠٠	٣٥ر٢	٢٥٨٢	٦٤ر٨	٣٩٨٥
١٩٨٢	١٨٩٢	٣٥ر٩	٣٣٧٣	٦٤ر١	٥٢٦٥

الهجرة الدولية بين الاقطار العربية :

ليست هجرة العرب بين أقطار الوطن العربى وليدة العصر الحديث بل انها ظاهرة سكانية متواصلة شهدها الوطن العربى على امتداد تاريخه الطويل خاصة بين أقطاره المتجاورة فى المشرق والمغرب وترتب على هذه الهجرات المبكرة اختلاط سكانى وتبادل ثقافى واقتصادى على نطاق واسع . ويعد الحج الى بيت الله الحرام أكبر حركة انتقال سكانى موسمى بين الدول العربية والاسلامية نحو مكة المكرمة والتى بلغ متوسط ما استقبلته سنويا فى السنوات الاخيرة نحو مليونا من الحجاج .

الهجرة المؤقتة للدول البترولية :

لعل أبرز ظاهرات الانتقال السكانى الدولى بين الدول العربية هى الهجرة للعمل فى الدول البترولية ، وقد بدأت هذه الظاهرة فى الواقع عقب الحرب العالمية الثانية بعد ظهور البترول فى بعض الاقطار العربية

---

(١) المصـدر :
١ ـ المملكة الاردنية الهاشمية ، تعداد المساكن ١٩٥٢ وتعداد السكان ١٩٦١ .
٢ ـ ملفات دائرة الشئون الاقتصادية بادارة الحاكم العام لقطاع غزة (١٩٥٠ ـ ١٩٦٥) .
٣ ـ المجموعة الاحصائية الفلسطينية ـ دمشق ١٩٨٢ .
(4) Statistical Abstract of Israel, 1983.
(5) Area Handbook for Israel, Washington, 1970.
نقلا عن : حسن عبد القادر صالح ـ سكان فلسطين ـ عمان ١٩٨٥ ـ ص ٢٥١ .

(*) يشمل سكان فلسطين من العرب واليهود وأقليات صغيرة ، (المرجع السابق ص ٢١) .

وبدء استثمار عوائده فى عمليات التنمية ، الا أنها تعاظمت بشكل كبير منذ أوائل السبعينيات عندما تزايدت أسعار البترول وتضاعفت عوائده فى الدول المنتجة خاصة فى منطقة الخليج العربى وتوسعت هذه الدول فى خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتى تطلبت بدورها أيد عاملة بأعداد كبيرة لسد النقص فى العمالة الوطنية بها .

وقد خضعت الهجرةالدولية للايدى العاملة بين الاقطار العربية لعوامل الطرد فى الدول الاصلية وعوامل الجذب فى الدول المستقبلة ، الا ان اتجاه تيارات الهجرة وحجمها وتوزيع أنماطها حدده التباين فى توزيع الثروة البترولية فى الاقطار العربية وفى مستويات التنمية التى أخذت بها ، ذلك لان استغلال الموارد البترولية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية فى الدول الغنية بهذه الموارد أدى الى تفاوت شديد فى مستوى دخل الفرد بينها وبين بقية الاقطار العربية .

الا أن المشكلة الرئيسية التى واجهت الدول البترولية أن حجم سكانها الاصليين قليل كما لاتتوافر لديها كل الخبرات اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتصنيع فاتجهت الى استيراد الايدى العاملة من الاقطار العربية الاخرى أو من خارج الوطن العربى لهذا الغرض ، ووجدت فى الاقطار العربية ذات الدخل المنخفض والحجم السكانى الكبير سوقا مناسبة للحصول على الايدى العاملة منها ، وقد واكبت سياسات القوى العاملة فى هذه الدول - الى حد كبير - الطلب الخارجى على الايدى العاملة بها فشجعته بوسائل مختلفة ولاغراض عديدة منها التخفيف من أعباء البطالة لدى هذه الدول ودعما لاقتصادياتها عن طريق تحويلات العاملين من أبنائها فى الدول العربية البترولية،وأصبح الخروج نحو هذه الدول للعمل بها سمة مميزة للعمالة العربية فى العقدين الاخيرين كما انعكست تحويلاتهم المالية على أنماط العيش ومظاهر الحياة فى أوطانهم الاصلية المصدرة للعمالة .

وتعد المملكة العربية السعودية والكويت وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وليبيا - أكبر الاقطار البترولية التى تعتمد على الايدى العاملة الوافدة سواء من الاقطار العربية الاخرى أو من خارج الوطن العربى ، وقد أثرت الهجرة الوافدة فى هذه الدول تاثيرا كثيرا على التركيب الاقتصادى للسكان بها ، ويبين الجدول رقم (٥٦) مدى اعتماد هذه الاقطار على العمالة الوافدة . ومن الواضح أن هناك تباينا شديدا فى نسبة العاملين الاجانب الى جملة العاملين فى هذه الاقطار ، وتأتى الامارات العربية وقطر فى المقدمة حيث يسهم الاجانب بأكثر من أربعة أخماس

القوة العاملة بهما ، وتليها الكويت بنسبة تربو قليلا على الثلثين ، أما فى السعودية وليبيا والبحرين فتصل هذه النسبة الى حوالى خمسى حجم القوة العاملة بها ٠

جدول رقم (٥٦)
تقديرات السكان حسب الجنسية فى أقطار مجلس التعاون الخليجى وليبيا للسنتين ١٩٧٥ و ١٩٨٥ (الاعداد بالالف)(١)

الدولة	١٩٧٥			١٩٨٥(٢)		
	الجملة	مواطنون	نسبة المواطنون ٪	الجملة	مواطنون	نسبة المواطنون ٪
الامارات العربية	٥٥١	٢٠٠	٣٦	١٧٦٤	٢٩٥	١٧
البحرين	٢٦٧	٢٠٩	٧٨	٥٠٥	٢٩٣	٥٨
السعودية	٧٣٣٤	٥٩٣٦	٨١	١٣١١٢	٨٧٥٧	٦٧
عمان	٨٤٦	٧٠٩	٨٤	١٢٨٢	١٠١٠	٧٩
قطر	١٨٠	٥٣	٢٩	٤٦٥	٧٨	١٧
الكويت	١٠٢٧	٤٧٢	٤٦	١٧٤٤	٦٦٣	٣٨
ليبيا	٢٦٨٠	٢١٧٩	٨١	٥٠٠٧	٣٢١٨	٦٤
الجملة	١٢٨٨٥	٩٧٥٨	٧٦	٢٣٨٧٩	١٤٣١٦	٦٠

ويبدو من الجدول رقم (٥٧) أن المملكة العربية السعودية تستأثر بمفردها بنحو نصف العاملين الاجانب فى هذه الاقطار الستة ، وتليها فى ذلك الجماهيرية الليبية رغم انخفاض نسبة اسهام العمالة الاجنبية بها اذا ماقورنتا ببقية الدول فى هذا الصدد ٠

المهاجرون حسب الجنسية فى الاقطار البترولية :

يتباين تيار الهجرة الوافدة على الاقطار البترولية الغنية حسب

---

(١) المصدر:نادر فرجانى،الهجرة الى النفط،مركز دراسات الوحدة العربية ــ الطبعة الاولى ــ بيروت ــ ١٩٨٣ ــ ص ١٨٤ ــ اعتمادا على :
I. Serageldin et al. Manpower and International Migration in The Middle East and North Africa, (Washington, D. C., World Bank, Technical assistance and Special Studies Division 1981). p. 51.

(٢) تقديرات ١٩٨٥ ــ اعتماداً على معدل نمو اقتصادى منخفض (انظر المصدر ذاته ص ١٨٣ ، ١٨٤) ٠

جـدول رقم (٥٧)

تقديرات قوة العمل حسب الجنسية فى أقطار مجلس التعاون الخليجى وليبيا سنتى ١٩٧٥ و ١٩٨٥ (الاعداد بالالف)(١)

الـدولة	١٩٧٥			١٩٨٥(٢)		
	الجملة	مواطنون	نسبة المواطنون %	الجملة	مواطنون	نسبة المواطنون %
الامارات	٢٩٢	٤٥	١٥	٥٧٠	٦٢	١١
البحرين	٧٩	٥٠	٦٣	١٢٩	٦٩	٥٤
السعودية	١٩٦٨	١٣٠٠	٦٦	٣٠٥٥	١٥٦٥	٥١
عمـــان	١٩٢	٨٩	٤٦	٢٥٧	١٥١	٥٩
قطـــر	٧٤	١٣	١٧	١٣٤	١٩	١٤
الكويت	٢٩٨	٨٧	٢٩	٣٩٣	١٤٠	٣٦
ليبيـــا	٧٣٥	٤٥٤	٦٢	١٢٦٠	٦٧٦	٥٤
الجمـلة	٣٦٣٧	٢٠٣٧	٥٦	٥٧٩٧	٢٦٨٣	٤٦

الجنسية تباينا واضحا يبينه الجدولان رقم (٥٦) و (٥٧) ويبدو واضحا أن المهاجرين العرب يكونون النسبة الاكبر بين الجنسيات الاخرى ، كذلك تستاثر السعودية باكبر نسبة للعمال العرب العاملين فى هذه الاقطار مما يعكس مدى أهميتها فى حركة انتقال العمالة العربية فى الوطن العربى،حيث يعمل بها ٥٦٪ من جملة العرب العاملين فى هذه الاقطـار الستة والذين بلغ عددهم ١ر٣ مليون نسمة سنة ١٩٧٥ ، وتليها فى ذلك ليبيا ثم الكويت بينما يتركز الاسيويون بنسبة عالية فى الامارات العربية والسعودية وقطر والكويت ، ويشبههم فى ذلك الايرانيـون والاتراك والافريقيـون والذين يتركزون فى الكويت والامارات والسعودية والى حد ما فى ليبيا،ولايختلف توزيع الاوربيين عن ذلك كثيرا حيث تزداد نسبتهم فى السعودية وليبيا والامارات والبحرين ، وغنى عن القول أن العمالة غير العربية وخاصة الاسيوية والايرانية لها جوانب سلبية على المجتمعات العربية المستوردة

(١) المصدر السابق ـ ص ١٨٣ .

(٢) على أساس معدل نمو اقتصادى منخفض (راجع المصدر السابق ص ١٨٣) .

لها وخاصة فى الحياة الثقافية والاجتماعية ، ومعظم هذه العمالة الاسيوية تفد من باكستان والهند وبنجلاديش ، وسريلانكا . وقد تعاظمت أعدادها بدرجة واضحة فى السنوات الاخيرة .

جدول رقم (٥٨)

التوزيع النسبى لقوة العمل الوافدة حسب الجنسية فى أقطار مجلس التعاون الخليجى وليبيا سنة ١٩٧٥(١)

القطر	التوزيع النسبى ٪			
	عرب	آسيويون (*)	أوربيون وأمريكيون	جنسيات أخرى (**)
الامارات	٢٤ر٧	٦٥ر٠	٢ر٠	٨ر٣
البحرين	٢١ر٢	٥٦ر٧	١٥ر٢	٧ر٠
السعودية	٩٠ر٥	٤ر٩	١ر٩	٣ر٢
عمان	١٢ر٤	٨٣ر٠	٤ر٠	٠ر٦
قطر	٢٧ر٧	٦٣ر٣	١ر٦	٧ر٤
الكويت	٦٨ر٩	١٦ر٢	١ر٠	١٤ر١
ليبيا	٩٣ر٤	١ر٧	٢ر١	٢ر٩
الجملة	٧٢ر٥	٢٠ر٣	٢ر١	٥ر١

والواقع أن تيار الهجرة الوافدة للعمل فى الاقطار العربية النفطية كان من أهم العوامل الفاعلة فى التغيير الاجتماعى - الاقتصادى فى الوطن العربى فى العقد الاخير ، كما يتوقع أن يستمر تأثيره وتتالى تبعاته فى المستقبل القريب على الاقل(٢) وينعكس ذلك على امكانيات التنمية وخططها والقدرة المحلية على التغيير ، واذا كانت بلدان الاستقبال تتسم بوفرة مالية هائلة فان بلدان المنشأ تعانى من ضائقة تتفاوت من بلد لآخر بل ويصل الامر فى الواقع لان تتجاور فى شبه الجزيرة العربية ذاتها بعض

(١) المصدر السابق - ص ١٨٦ ، اعتمادا على :
J. S. Birks and C. A. Sinclair, International Migration and Development in The Arab World. World Employment Programme (WEP) Study, Geneva, International Labour Office. 1980.
لاتشمل الايرانيين .
ب - كلهم تقريبا ايرانيون ماعدا مايختص السعودية وليبيا .
(٢) نادر فرجانى - المرجع السابق - ص ٢٢ .

من أغنى وأفقر بلدان العالم ، وترسل بلاد الفئة الثانية الجزء الاكبر من قوة العمل المواطنة للعمل فى القسم الغنى من شبه الجزيرة ، والهجرة هنا على أية حال من والى بلدان ذات هيكل اقتصادى متخلف وتابع لمركز الاقتصاد العالمى ، وذلك على خلاف الهجرة من حوض البحر المتوسط الى أوربا الغربية مثلا كما أن الهجرة تجرى بين أقطار تربطها وحدة حضارية وامكانية تنمية مشتركة ٠

ويضاف الى ذلك أن الهجرة للعمل فى الاقطار العربية النفطية هى فى الاساس هجرة مؤقتة وغير اندماجية مع استثناء واضح للهجرة الى العراق ومن ثم فهى ليست هجرة استيطانية ، كما لايقوم تفاعل اجتماعى قوى بين المكونات الوافدة والمواطنين فى قوة العمل والسكان(١) ، وذلك رغم أن الوافدين يشكلون قوة العمل فى كثير من الاقطار النفطية كما سبق القول وتختلف الاقطار العربية المصدرة للعمالة نحو الدول البترولية الغنية اختلافا كبيرا تبينه أرقام الجدول رقم (٥٩) ٠

ومن الواضح أن معظم الهجرة العربية للعمل فى الاقطار البترولية وغيرها تاتى من ثلاث دول هى مصر واليمن والاردن حيث تستأثر هذه الدول باكثر من نصف الهجرة الدولية وأكثر من ثلاثة أرباع الهجرة العربية على مستوى الوطن العربى فى سنة ١٩٧٥ ، وتليها فى ذلك سوريا ولبنان والسودان بنسب صغيرة ٠

والواقع أن مصر أصبحت منذ أوائل السبعينات تقدم العدد الاكبر من المهاجرين للعمل فى الوطن العربى ولعل ذلك مرجعه الى عوامل عدة أبرزها أنها تحوى ربع سكان الوطن العربى وذات دور حضارى متميز وامكانيات اقتصادية وسياسية وعسكرية هى الاولى فى المنطقة العربية،وقد شهد المجتمع المصرى تغيرات اجتماعية واقتصادية فى العقدين الاخيرين دفعت بعدد كبير من المصريين نحو الهجرة للعمل المؤقت فى الخارج وساعد على ذلك زيادة عوامل الجذب فى مناطق العمل فى الاقطار البترولية فى شبه الجزيرة العربية والعراق وليبيا ٠

وليس من السهل الحصول على تقدير دقيق لعدد المهاجرين المصريين فى الخارج فى السنوات الاخيرة ذلك لان التقدير الرسمى ذكر فى تعداد ١٩٧٦ أن المصريين بالخارج يبلغ عددهم ٥ر١ مليون نسمة ويشمل هذا

---

(١) المرجع السابق — ص ٢٣ ٠

جـدول رقم (٥٩)

التوزيع النسبى للعمالة المهاجرة حسب الجنسية سنة ١٩٧٥(١)

الجنسية	العـدد	٪
العـرب :		
مصـريون	٣٩٧٥٤٥	٨ر٢١
يمنيـون	٣٦٠٧٥٨	٨ر١٩
أردنيون وفلسطينيون	٢٦٤٧١٧	٥ر١٤
سـوريون	٧٠٤١٥	٩ر٣
لبنـانيون	٤٩٦٤١	٧ر٢
سـودانيون	٤٥٨٧٣	٥ر٢
جنسيات عربية أخرى	١٠٦٨٠١	٩ر٥
الجمـلة	١٢٩٥٧٥٠	١ر٧١
غير العـرب :		
باكستانيون	١٩٠٧١٨	٥ر١٠
هنـود	١٥٤٤١٨	٥ر٨
ايرانيـون	١٠٦٣١٥	٨ر٥
أوربيون وأمريكيون	٣٧٨١٦	١ر٢
جنسيات أخرى	٣٤٩٨٣	٩ر١
الجمـلة	٥٢٤٢٥٠	٩ر٢٨
الاجمـالى	١٨٢٠٠٠٠	٠ر١٠٠

الرقم جملة العاملين وأسرهم،ولاشك أن هذا العدد قد تزايد بعد ١٩٧٦ خاصة بعد اتجاه عدد كبير من المهاجرين الى العراق بعد تطور الحرب العراقية الايرانية وذلك للمشاركة فى أعباء النشاط الانتاجى والخدمى، ويقدر عدد المصريين فى العراق بحوالى مليون وربع مليون مهاجر يمثلون نحو ٤٢٪ من عدد المصريين بالخارج الذين يقدرون بنحو ٣ مليون شخص حسب تقديرات الدولة(٢) .

---

(١) المصـدر :

Birks, J. S. and Sinclair C. A., International Migration in the Arab World, Arab Planning Institute - Kuwait : Population Employment and Migration in the Arab Gulf States. 1978, p. 520.

(٢) حسب تصريحات وزير الدولة لشئون الهجـرة والمصريين فى الخارج – جريدة الاهرام ١٩٨٣/٣/١٩ ، ص ٨ .

(انظر – نادر فرجانى – المرجع السابق – ص ٥٥) .

الفصل الخامس

تركيب السـكان

تعـد دراسة التركيب السـكانى للمجتمع العـربى على قدر كبير من الاهمية ذلك لانها توضح بجلاء مدى تاثير العمليات الديموغرافية الحيوية والهجرة على فئات السن ونسبة النوع (الذكور والاناث) فى داخل المجتمع ومدى قدرته على توفير القوة العاملة اللازمة لتنمية واعالة باقى أفراده، كذلك فان دراسة التركيب العمرى تساعد على فهم عوامل النمو السكانى ودورها فى حجم السكان وما يرتبط بذلك من دراسة الحالة المدنية والنشاط الاقتصادى والتعليم سواء للذكور أو الاناث ومدى ما اعترى هذه الظاهرة من تغير للحكم على مدى تطور المجتمع والتغير الذى تعرض له نسيجـه البشرى ٠

التركيب العمـــــرى :

يعد المجتمع العربى ـ بكل المقاييس الديموغرافية ـ مجتمعا شابا فى تركيبه العمرى ذلك لان نحو ٤٥٪ من سكانه يقل عمرهم عن ١٥ سنة ٠ ويبدو ارتفاع هذه النسبة اذا قورنت بمثيلتها على مستوى العالم والتى تبلغ حوالى ٣٤٪ أو فى الدول الاكثر تقدما حيث تصل الى ٢٠٪ فقـط ٠ وعلى العكس من ذلك فان نسبة كبـار السن (الذين يبلغ سنهم ٦٥ سـنة فاكثر) فى الوطن العربى صغيرة نسبيا حيث تصل الى ٣٪ فقط مقابل ٦٪ على مستوى العالم ككل ونحو ١٣٪ فى الدول الاكثر تقدما كما هى الحال فى دول غرب أوربا ، وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال انخفاض العمر الوسيط فى الوطن العربى حيث يصل الى ١٧ سنة فقط مقابل ٢٢ر٤ سنة للعالم ككل ونحو ٣٠ر٢ سنة فى الدول الاكثر تقدما (جدول رقم ٦٠) ٠

وقد تزايدت نسبة صغار السن فى معظم الاقطار العـربية فى العقـود الثلاثة الاخيرة كما تدل على ذلك البيانات المتاحة ، ومثال ذلك أن هذه النسبة تزايدت فى الجزائر من ٤٠٪ سنة ١٩٥٠ الى ٤٧٪ سنة ١٩٨٣،وفى الكويت من ٣٦٪ الى ٤٧٪ فى هذين العامين ، ويرجع ذلك فى المقام الاول الى تزايد الرعاية الصحية للامومة والطفولة مع ارتفاع مستوى الخصوبة فى المجتمع العربى بصفة عامة ٠

جـدول رقم (٦٠)
فئات السن الكبرى فى الوطن العربى والعالم
(٪ من جملة السكان سنة ١٩٨٣)(١)

الفئـة	أقل من ١٥ سنة	من ١٥ ـ ٦٤ سنة	٦٥ سنة فأكثر	العمر الوسيط بالسنة(*)
الوطن العـــربى	٤٣	٥٤	٣	١٧
الدول الاكثر تقدما	٢٢	٦٥	١٣	٢ر٣٠
الـعـــــالم	٣٤	٦٠	٦	٤ر٢٢

ويتأثر التركيب العمرى فى الاقطار العربية البترولية تأثيرا بوضوح فى دول الخليج خاصة تلك الدول صغيرة الحجم السكانى مثل الكويت وقطر والامارات العربية والبحرين ففى الكويت مثـلا سنة ١٩٧٥ بلغت نسـبة الكويتيين صغار السن نحو ٥٠٪ وكبار السن ٢٪ وعلى عكس ذلك السكان غير الكويتيين حيث كان ٤٠٪ منهم صغار السن وأقل من واحد بالمائة كبار السن،وقد أثر ذلك فى متوسط هذه النسب فى المجتمع الكويتى حيث وصل متوسط صغار السن به الى ٤٤٪ والكبار الى ٦ر١٪ (شكل رقم ٥٠) ٠

نسب الاعالة :

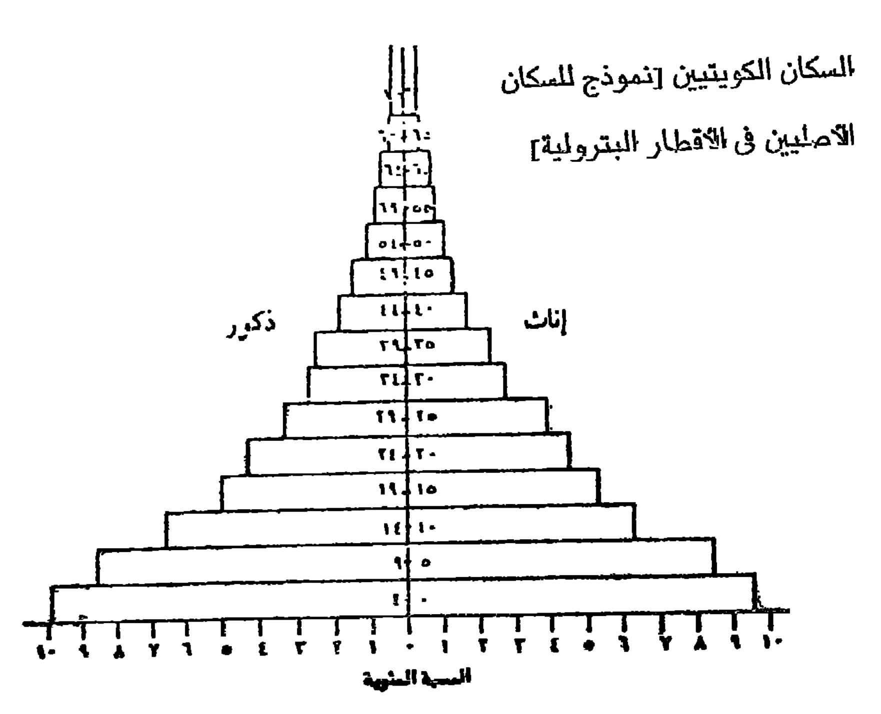
يمكن القول ببساطة فى ضوء التركيب العمرى لسكان الوطن العربى أن كل مائة من السكان فى سن العمل (١٥ ــ ٦٤) والنشاط الاقتصـادى يسهمون فى اعالة ٨٦ من الصغار و ٦ من الكبار ، وتمثـل هذه الارقـام مايعرف بنسبة اعالة الصغار ونسبة اعالة الكبار ٠ وتعد النسبة الاولى عالية اذا قورنت بمثيلتها فى العالم والتى بلغت نحو ٦٥٪ ونحو ٧٢٪ فى الدول الاقل تقدما ، ٣٩٪ فقط فى الدول الاقـل تقدما ٠ أما نسب اعالة الكبـار فتبلغ ١٠٪ و٧٪ و١٦٪ على الترتيب وذلك مقابل ٥٪ فى الوطن العربى ٠

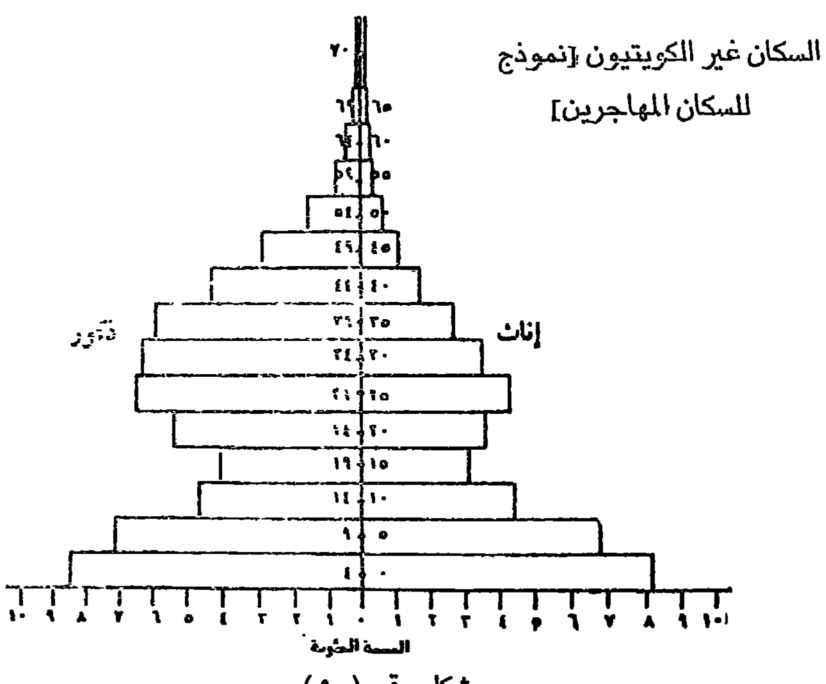
وعلى ذلك يمكن القول أن عبء الاعالة الكلية مرتفع فى الوطن العربى ويزيد على مثيله فى بقية أقاليم العالم وذلك فى الواقع أمر ناتج عن ارتفاع مستوى الخصوبة فى أقطار الوطن العربى مع انخفاض نسبى فى مسـتوى الوفيـات ٠

---

(١) المصـدر :
L,institut Nationl D,etudes Demographiques, Population et Sociétés. Juillet - Août 1983, Numèro, 171 Paris, 1983.

(*) سنة ١٩٧٥ ـ اعتمادا على :
Omran, A. R., Op. Cit., p. 60.





شكل رقم (٥٠)
الهرم العمرى النوعى للسكان فى الكويت ١٩٧٥

وجدير بالذكر أن نسب الاعالة هذه نظرية الى حد كبير لانها تعتبر كل السكان بين سن ١٥ ــ ٦٤ مشاركين فى النشاط الاقتصادى وباقى السكان معولين،ولكن ذلك يتنافى مع التركيب الاقتصادى الفعلى للسكان ذلك لان قوة العمل تشمل الافراد الذين يسهمون مباشرة فى تقديم السلع والخدمات فى الفئات العمرية المختلفة من الذكور والاناث ، أما السكان الخارجون على قوة العمل فهم الذين لايسهمون فى هذا الانتاج وبالتالى يعتمدون على القطاع المنتج الداخل فى هذه القوة،ومن ثم فان نسبة الاعالة الحقيقية هى نسبة عدد الاشخاص الذين لاتضمهم القوة العاملة لكل مائة من أفراد هذه القوة،ورغم قصور البيانات المتاحة فانه يمكن القول ــ دون مبالغة ــ أن نسبة الاعالة الحقيقية فى المجتمع العربى تصل الى ثلاثة أمثال نسبة الاعالة النظرية،وبمعنى آخر فان كل مائة من العاملين فعلا يعولون نحو ثلاثمائة من السكان غير العاملين،وليس ٩٢ كما تدل على ذلك نسب الاعالة النظرية، وتختلف هذه النسب بطبيعة الحال بين الاقطار العربية التى تعتمد على الزراعة وتلك التى يكون البترول عصب اقتصادها مثل دول الخليج وليبيا (جدول رقم ٦١) .

التركيب النـوعى :

يقاس التركيب النوعى بما يعرف بنسبة النوع وهى عدد الذكور لكل مائة من الاناث ، وتصل هذه النسبة الى ١٠٥ عند المولد (أى ١٠٥ ذكور مقابل ١٠٠ من الاناث) وهذه ظاهـرة بيولوجية فى المجتمعـات البشرية بصفة عامة ، ومايلبث عدد الذكور فى الانخفاض بسبب ارتفـاع معدلات الوفيـات بينهم ليتساوى تقريبـا عدد الذكـور والاناث فى سن الطفـولة والمراهقة والاعمار المتوسطة حتى سن الخامسة والاربعين حيث تبدأ نسبة النوع فى الانخفاض الى أقل من مائة حيث يزيد عدد الاناث على عـدد الذكور بعـد ذلك .

وتتاثر بيانات التركيب العمرى فى الدول العربية بمجموعة من العوامل لعل أبرزها عدم الدقة فى ذكر أعمـار الاناث فى فئات سن معينـة سـواء بالنقص أو بالزيادة ، وكذلك ارتفاع نسبة وفيات الاناث فى خلال فـترة الانجاب (١٥ ــ ٤٥) . ويضاف الى ذلك الهجرة الكثيفة للسكان فى سن الشباب الى الدول البترولية،وكذلك المستوى الصحى السائد ونمط التغذية والامراض ومكانة المرأة ومدى العنـاية التى يوفرهـا المجتمع لكل من الذكور والاناث .

وتتراوح نسبة النوع فى المجتمع العربى لكل الاعمار من ١٠٣ ــ ١٠٥، ولا تختلف الدول العربية اختلافا كبيرا فى الهرم العمرى النوعى لسكانها ــ باستثناء الدول البترولية كما ذكرنا ــ والتى تؤثر الهجرة الوافدة اليها تاثيرا شديدا فى تركيبها السكانى كمـا هى الحـال فى الكويت والامارات

جـدول رقم (٦١)

نسب الاعالة النظرية والحقيقية فى بعض الاقطار العربية ـ ١٩٧٥(١)

الـــدولة	نسبة الاعالة الكلية	
	النظرية	الحقيقية
دول بترولية مستوردة للعمالة		
المملكة العربية السعودية	٨٩	٢٢٥
الكـــــويت	٩٦	١٥٧
البحـــــرين	٨٩	١٨٢
الامارات العربية المتحدة	٨٩	١٧٥
قطـــــر	٨٩	١٠٢
ليبيـــــا	٨٩	٢٨٤
دول زراعية مصدرة للعمالة		
مصـــــر	٧٩	٢٤٢
الاردن	٩٥	٤٩٧
الســــودان	٩٢	٤٣٣
ســــوريا	٨٥	٤٠٣
اليمن الشمالى	٨٩	٤٤١

---

(١) المصدر : تم حساب هذه النسب اعتمادا على حجم السكان وحجم القوى العاملة فى هذه الدول من :

(1) Birks, J. S., and Sinclair, C. A. International Migration in the Arab world, Arab Planning Institute, Kuwait, and I.L.O., Seminar on : Population, Employment and Migration in the Arab Gulf States, Kuwait, 1978.

(2) Omran, A. R. Op. Cit., p. 62.

(3) U. N. Statistical Office, 1975.

ويلاحظ أن نسب الاعالة النظرية هى عدد السكان دون ١٥ سنة وعدد السكان ٦٥ سنة فاكثر مقسوما على عدد السكان ١٥ ـ ٦٤ سنة مضروبا فى ١٠٠ أما نسب الاعالة الحقيقية فهى جملة عدد السكان مقسوما على حجم القوى العاملة مضروبا فى ١٠٠ .

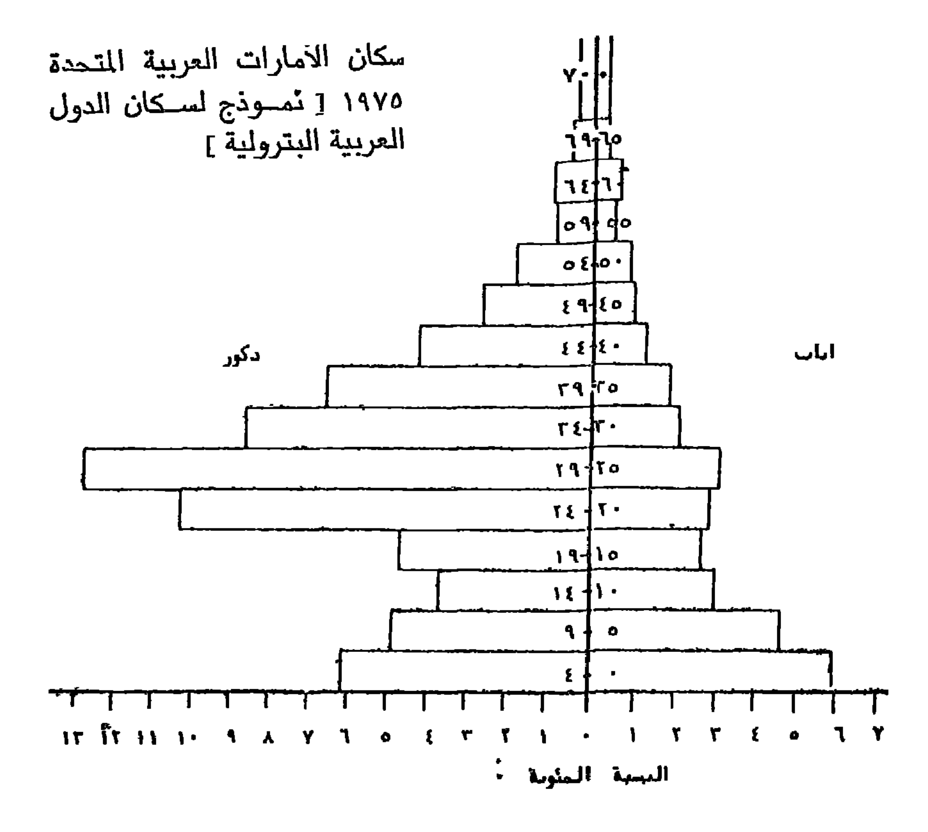
وقطر ، وفى هذه الدول تشبه نسبة النوع بين السكان الاصليين مثيلتها فى معظم دول العالم التى ليس للهجرة فيها تأثير كبير ،ففى الكويت مثلا بلغت نسبة النوع بين الكويتيين ١٠٠ (أى يتساوى عدد الذكور مع عدد الاناث) سنة ١٩٧٥ ، بينما وصلت هذه النسبة الى ١٤٢ بين غير الكويتيين مما يعكس غلبة هجرة الذكور عن الاناث . وتكاد هذه الظاهرة تتكرر فى كل الاقطار البترولية المستوردة للايدى العاملة من الاقطار العربية الاخرى ومن خارج الوطن العربى (شكل رقم ٥١) .

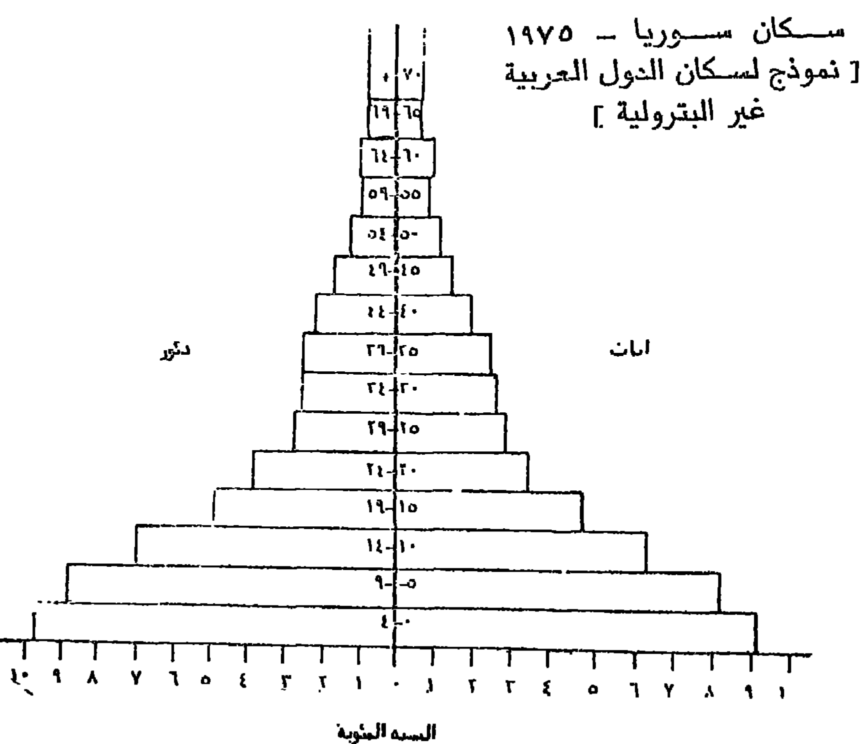
الحالة التعليمية :

يعد تركيب السكان حسب الحالة التعليمية من المؤشرات الهامة للمستوى الاجتماعى والاقتصادى السائد،ويعكس مدى التباين بين الاقطار العربية فى مدى ماتقدمه لابنائها من خدمات تعليمية ، وليس هذا التباين وليد السنوات الاخيرة بل يرجع الى عهد الاستعمار الاوربى الذى شهدته الدول العربية والذى لم يوفر التعليم الا لنسبة ضئيلة من أبناء الوطن العربى وبقيت الامية هى السمة المميزة للقطاع الاكبر من السكان وكانت عائقا رئيسيا للتطور الاجتماعى والاقتصادى فى الاقطار العربية .

وقد تغيرت هذه الصورة تغيرا كبيرا فى خلال العقدين أو الثلاثة عقود الاخيرة ، وبذلت الدول العربية جهودا مكثفة لنشر التعليم وتوسيع قاعدة المستفيدين منه ، ومع ذلك فما زالت نسبة الامية عالية فى الوطن العربى اذا قورنت بالدول الاكثر تقدما وخاصة بين الاناث .

ويبين الجدول رقم (٦٢) مدى التباين بين الاقطار العربية فى نسبة التعليم بين سكانها ، وينبغى الاشارة الى أن النسب الواردة فى هذا الجدول هى ما أوردتها الدول المذكورة فى تعداداتها السكانية فى الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٨٠،وتتباين الدول فى الحد الادنى للسن الذى تحدده لحساب نسبة الامية فقد يصل فى بعضها الى عشر سنوات فأكثر أو خمس عشرة سنة فأكثر ، ومن هنا فهذه النسب ينبغى أن ينظر اليها بحذر وهى تعطى صورة عامة عن التفاوت فى نسب التعليم فى الاقطار العربية ، ويبدو منها أن أعلى نسب للتعليم توجد فى الاردن ولبنان والامارات والكويت حيث تقترب من ثلثى عدد السكان،وعلى الطرف النقيض تأتى اليمن الشمالية وموريتانيا والمغرب حيث تصل الى الربع أو أقل،وفيما بين هذين الحدين تقع باقى الدول العربية بنسب تتراوح بين ٣٠٪ - ٥٠٪ من السكان وتبين هذه الارقام مدى التفاوت بين الذكور والاناث فى مجال التعليم حيث تزيد نسبة المتعلمين الذكور عن الاناث فى كل الدول العربية وبفارق كبير فى معظمها كما فى سوريا وليبيا والعراق واليمن والسودان .





شكل رقم (٥١) الهرم العمرى النوعى للسكان فى سوريا والامارات العربية

جـــدول رقم (٦٢)
نسبة التعليم فى الاقطار العربية(*)
(مرتبة تنازليا حسب نسبة القادرين على القراءة والكتابة)(١)

المرتبة	الدولة والسنة	ذكور	اناث	متوسط
١	الاردن (١٩٧٦)	٨٢	٥٩	٧١
٢	لبنان (١٩٧٠)	٧٨	٥٨	٦٨
٣	الامارات العربية (١٩٨٠)	٧٠	٦٣	٦٨
٤	الكويت (١٩٧٥)	٧٢	٥٤	٦٤
٥	تونس (١٩٨٠)	٦٦	٣٩	٥٢
٦	ليبيـا (١٩٧٣)	٦٧	٣٠	٥٠
٧	سوريا (١٩٧٠)	٦٦	٢٧	٤٧
٨	البحرين (١٩٧١)	٥٥	٣٧	٤٧
٩	العراق (١٩٧٧)	٦١	٢٧	٤٥
١٠	مصر (١٩٧٦)	٥٧	٢٧	٤٣
١١	الجزائر (١٩٧٧)	٥٥	٢٩	٤٢
١٢	السعودية (١٩٧٤)	٤٨	٢٠	٣٥
١٣	قطـــر (١٩٧٠)	(**)	(**)	٣٤
١٤	السودان (١٩٧٣)	٤٥	١٨	٣١
١٥	المغرب (١٩٧١)	٣٧	١٣	٢٥
١٦	موريتانيا (١٩٧٧)	(**)	(**)	١٧
١٧	اليمن (١٩٧٥)	٢٦	٢	١٣

وحسب أحـدث البيانات المتاحة عن حـالة الامية فى العالم العـربى (جدول ٦٣) فانه يبدو أن أكثر من نصف عدد السـكان الكبار (١٥ سنة فأكثر)مازالوا ـ بعد عقود التنمية السابقة ـ غـير قادرين على القـراءة

(١) المصدر :
U.S. Department of Commerce, Bureau of the Cenus. World Population, 1983, Washington, D. C., 1983.
وبالنسبة للاردن :
U.N. ECWA, The Population Situation in the ECWA Region, Jordan, Beirut, 1979.
(*) باستثناء الصومال وعمان وجيبوتى حيث لاتتوافر عنها بيانات.
(**) بيانات غير متوفرة .

والكتابة فى الوقت الذى تتدنى فيه هذه النسبة الى مادون الـ ٥٪ فى الدول المتقدمة فى غرب أوربا والولايات المتحدة .

جدول رقم (٦٣)

نسبة الامية فى بعض الاقطار العربية (السكان ١٥ سنة فأكثر)(١)

الدولة	أمية الاناث	الاجمالى	الدولة	أمية الاناث	الاجمالى
الصومال	٩٤	٨٨	سوريا	٥٧	٤٠
المغرب	٧٨	٦٧	ليبيا	٥٠	٣٣
مصر	٧٠	٥٦	الكويت	٣٧	٣٠
الجزائر	٦٣	٥٠	الاردن	٢٧	٢٥
تونس	٥٩	٤٦	العراق	١٣	١١

التركيب الاقتصادى :

يعمل معظم السكان فى الوطن العربى فى النشاط الاقتصادى الاولى والذى يشمل الزراعة والرعى والصيد ، وتوضح البيانات المتاحة أن نسبة العاملين فى الزراعة وغيرها من الانشطة الاخرى تتباين تباينا كبيرا بين الاقطار العربية كما يبين الجدول رقم (٦٤) ، ويبدو من هذا الجدول أن ما يزيد على نصف القوى البشرية العاملة فى معظم الاقطار العربية تعمل بالزراعة بل ان هذه النسبة تصل الى أكثر من ثلثى العاملين فى السودان والصومات وموريتانيا واليمن ،ومن ناحية أخرى تقل نسبة العاملين بالزراعة بشكل حاد فى دول الخليج البترولية ـ باستثناء السعودية ـ وكذلك فى لبنان وفلسطين المحتلة وليبيا . وفى هذه الدول تقل النسبة عن خمس القوة العاملة بها ، أما بقية الدول العربية فتقع بين هذين الحدين حيث تتراوح نسبة العاملين فى الزراعة بها بين ٢٠٪ ـ ٦٠٪ وتقع فى هذه المجموعة الدول الزراعية الرئيسية فى شمال الوطن العربى مثل العراق وسوريا ومصر وتونس والمغرب .

أما العاملون فى النشاط التعدينى والصناعة فتقل نسبتهم عن العاملين فى الانشطة الاخرى . وتحظى أنشطة المجموعة الثانوية (التعدين

---

(١) المصدر :

ـ البنك الدولى ـ تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٦١ ـ (ترجمة مؤسسة الاهرام) ـ القاهرة ـ ١٩٩١ ـ صص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

ـ لا تتوافر بيانات عن باقى الدول العربية فى هذا المصدر .

جـــدول رقم (٦٤)
التوزيع النسبى للسكان العاملين فى الوطن العربى
حسب الانشطة الاقتصادية (٪ سنة ١٩٨٣)(١)

الاقليم والقطر	الزراعة	التعدين	الصناعة	الخدمات
دول الهلال الخصيب :				
العـــراق	٤٠	٤	٢٢	٣٤
ســـوريا	٣٣	١٣	١٨	٣٦
لبنـــان	١١	صفر	٢٠	٦٩
فلسطين المحتـلة	٧	١	٣٥	٥٧
الاردن	٢٠	٤	١٦	٦٦
شبه الجزيرة العربية :				
السـعودية	٣٣	٢	٢٠	٤٥
الكـــويت	٢	٤	٣٠	٦٤
البحـــرين	٥	١	٣٤	٦٠
قطـــــر	١٢	٥	١٥	٦٨
الامـــارات	٥	٤	١١	٨٠
عمـــان	٥٨	٣	٧	٣٢
اليمن الشمالى	٧٠	صفر	١٢	١٨
اليمن الجنوبى	٤٣	صفر	٢٢	٣٥
وادى النيل والقرن الافريقى :				
مصـــر	٥٠	٤	٢٦	٢٠
الســـودان	٧٢	١	٩	١٨
جيبـــوتى	٣٥	صفر	١٠	٥٥
الصـــومال	٨٢	صفر	٨	١٠
ليبيا والمغرب العربى :				
ليبيـــا	١٦	٣	٢٧	٥٤
تونـــس	٣٥	٥	٢٧	٣٣
الجـــزائر	٢٣	٥	٢٧	٤٥
المغـــرب	٤٠	٥	٢٤	٣١
موريتانيـــا	٦٧	٥	٥	٢٣

(١) المصـــدر :
Atlaseco, Atlas Economique Mondial, 1985, Paris, 1985.

والصناعة) بأهمية كبرى فى اقتصاديات معظم الدول العربية،وقد شهدت نموا كبيرا ارتبط باستخراج البترول والغاز الطبيعى والتصنيع خاصة فى دول شبه الجزيرة العربية وليبيا والجزائر ومصر وقد وضعت كثير من الدول العربية خططا اقتصادية لتنويع اقتصادها وتنميته واتجهت نحو انشاء صناعات جديدة وتطوير القائم منها ٠

أما المجموعة الثالثة وهى الخدمات فتشمل كل الانشطة التى لاتسهم مباشرة فى انتاج السلع المادية مثل النقل والتجارة وأعمال البنوك والتأمين والخدمات العامة كالتعليم والصحة والثقافة وغيرها من الخدمات ، وتتفاوت الدول العربية فيما بينها تفاوتا كبيرا فى نسبة العاملين فى أنشطة هذه المجموعة ، ولكن من الواضح أنها تزيد عن نصف عدد العاملين فى كثير من الدول خاصة الدول البترولية ذات الحجم السكانى الصغير والتى تعتمد على العمالة الوافدة اعتمادا كبيرا فى مجال الخدمات المتنوعة بها ، وعلى الطرف النقيض تقل هذه النسبة فى بعض الدول بشكل حاد لا يتعدى خمس عدد العاملين كما هى الحال فى السودان والصومال وموريتانيا وهى أقطار تزداد فيها نسبة العاملين بالزراعة والرعى على حساب نسبة العاملين فى القطاعات الاخرى ومنها الخدمات٠ومن الواضح أن أنشطة المجموعة الثالثة فى الوطن العربى تميزت فى العقود الاخيرة بالتطور فى كثير من الاقطار التى أخذت بخطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية وساعدتها مواردها على تنفيذ هذه الخطط كما هى الحال فى الدول البترولية وبعض الدول الاخرى ، وقد شمل ذلك التحسن فى الخدمات الاساسية للنقل والتجارة وأعمال البنوك استجابة للتطور الاقتصادى والانتاج والاستهلاك مع استمرار ارتفاع مستويات المعيشة ٠

نصيب الفرد من الناتج القومى :

لعل التباين الاقتصادى بين دول الوطن العربى يظهر بوضوح فى دراسة الناتج القومى الاجمالى فى ضوء حجم السكان بالدولة ونصيب الفرد منه ؛ ومن المؤكد أن الطفرة فى أسعار البترول وعوائده التى شهدها الوطن العربى منذ أوائل السبعينات أسهمت بدور كبير فى ازدياد الفوارق بين الدول فى مجال الناتج القومى الاجمالى بدرجة جعلت الوطن العربى يجمع بين ظهرانيه بعضا من أغنى دول العالم ومن أفقرها فى آن معا ، وتمثل ذلك فى تصاعد نصيب الاقطار العربية البترولية ولها أقل من ٣٠٪ من سكان الوطن العربى من حوالى ٤٥٪ من الناتج الاجمالى سنة ١٩٦٠ الى قرابة ٧٥٪ قرب نهاية السبعينات وازدادت الفجوة اتساعا بعد ذلك

حتى أوائل الثمانينات عندما بدأت أسعار النفط وعوائده فى الانخفاض مما انعكس على قوة الجذب الهجرى لدى الدول البترولية التى بدأت فى تقليل عدد الوافدين للعمل لديها .

واعتمادا على متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى سنويا والذى يبينه الجدول رقم (٦٥) فانه يمكن تقسيم الدول العربية الى أربع فئات رئيسية هى :

١ - **الدول الغنية جدا :** وتضم الدول البترولية فى شبه الجزيرة العربية وليبيا ، ويزيد نصيب الفرد من الناتج القومى بها على ٥٠٠٠ دولار فى السنة ، ومن الواضح أن ضخامة عائدات البترول وقلة الحجم السكانى بها أدى الى ارتفاع كبير فى نصيب الفرد بدرجة تجعلها تأتى فى مقدمة دول العالم فى هذا المجال . وتستأثر دول هذه المجموعة بأكثر من نصف الناتج الاجمالى فى الوطن العربى (٥٧٪) وذلك رغم أن حجم السكان بها لايتعدى ١٢٪ فقط من سكانه . وتضم هذه المجموعة فلسطين المحتلة - وهى دولة غير بترولية ولكن تكون الصناعة والخدمات أكثر من اربعة أخماس الناتج القومى بها اضافة الى ما تتلقاه من عون خارجى يلعب دورا كبيرا فى اقتصادها .

٢ - **الدول الغنية :** وتضم دول الهلال الخصيب باستثناء فلسطين المحتلة ، ويتراوح نصيب الفرد فيها بين ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ دولارا فى السنة، وباستثناء الجزائر والعراق واللتين يسهم البترول بنصيب كبير فى اقتصادها تبدو بقية الدول متجانسة حيث تسهم الزراعة والخدمات بأكثر من نصف الناتج القومى بها . ويبلغ نصيب هذه المجموعة نحو ربع الناتج الاجمالى فى الوطن العربى ويسكنها نحو ربع سكانه .

٣ - **الدول متوسطة الغنى :** وتقع بين الفئة الغنية والفئة الفقيرة ، حيث يتراوح نصيب الفرد فيها بين ٥٠٠ - ١٥٠٠ دولارا فى السنة ،وتضم دولا ذات حجم سكانى كبير بالنسبة لمواردها مثل مصر والمغرب وتونس واليمن الشمالى . وتسهم هذه المجموعة بنحو ١٤٪ من الناتج القومى فى الوطن العربى رغم أنه يعيش بها ٤٤٪ من سكانه .

٤ - **الدول الفقيرة :** وتضم ثلاث دول فقط يعتمد اقتصادها على الزراعة والرعى الى حد كبير ويقل نصيب الفرد فيها عن ٥٠٠ دولارا فى السنة وهى السودان وموريتانيا والصومال ولا تسهم دول هذه المجموعة سوى بنسبة ٣٪ فقط من الناتج القومى العربى رغم أن سكانها يصلون الى ١٦٪ من جملة سكان الوطن العربى .

جـــدول رقم (٦٥)
متوسط نصيب الفرد فى الدول العربية من
الناتج القومى فى عامى ١٩٨٢ و ١٩٩١ ـ بالدولار(١)

الفئـــة	الـــدول	١٩٨٢	١٩٩١
١ ـ دول غنية جدا ٥٠٠٠ دولار فأكثر	قطـــر	٢١٤٦٠	١٥٥٠٠
	الامارات العربية	٢٠٠٠٠	١٨٤٣٠
	الكـــويت	١٩٩٠٠	١٦١٥٠
	البحـــرين	١٠٥٠٠	٦٧٦٠
	السـعودية	١٠٢٤٠	٦٠٢٠
	ليبيـــا	٧١٩٠	٥٣١٠
	عمــــان	٦١٧٠	٥٢٢٠
	فلسطين المحتلة	٥٩٠٠	٩٧٩٠
٢ ـ دول غنيـــة من ١٥٠٠ ـ ٢٥٠٠	الجـــزائر	٢٣٠٠	٢٢٣٠
	الاردن	٢٠٥٠	١٦٤٠
	لبنــــان	١٨٠٠	(*)
	ســـوريا	١٧٤٥	٩٨٠
	العـــراق	١٦٠٠	(*)
٣ ـ دول متوسطة الغنى من ٥٠٠ ـ ١٥٠٠	تونـــس	١١٧٥	١٢٦٠
	جيبـــوتى	٨٩٠	(*)
	مصـــر	٦٧٥	٦٤٠
	اليمـــن	٦٤٧	٦٥٠
	المغـــرب	٦٠٠	٨٨٠
٤ ـ دول فقـــيرة : أقل من ٥٠٠	الســودان	٤٤١	٤٢٠
	موريتانيا	٣٥٧	٤٩٠
	الصـومال	١٧٦	١٧٠
متوسط الوطن العربى		٢١٤٧	(*)
متوسط العــــالم		٢٥٣٧	٣٩٨٠

(١) المصـدر : Atlaseco, Atlas Economique Mondial, 1985, p. 21.
البنك الدولى ـ تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩١ ـ ترجمـة مؤسسة الاهرام ـ القاهرة ـ ١٩٩١ ـ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .
(*) بيانات غير متوفرة .

الفصل السادس

التحضر ومشـــكلاته

نظـــرة تاريخيـة :

من المعروف أن العمران الحضرى فى الدول العربية قديم للغاية حيث ترجع بعض المدن الى عدة آلاف من السنين وذلك بالرغم من تفاوت عدد السكان بها من فترة زمنية لاخـرى وانتقـال الموضع المدنى من المـكان الاصلى . ومن الحقائق التاريخية الهامة أن أول ثورة حضرية قد حدثت فى الوطن العربى حتى أن البعض يذكر أن دمشق وحلب فى سوريا وأريحا فى فلسطين تعد أقدم مدن العالم التى مازالت عامرة بالسكان حتى اليوم. وكانت معظم المدن العربية القديمة مدنا تجـارية وقام الكثـير منها على السواحل أو على حواف الصحراء وبالاضافة الى ذلك فقد ظهرت عدة مدن دينية كانت قواعد قوية لنشر الدعوة الدينية . وكانت كثير من المدن تحاط بالاسوار فى بيئتها التى تعتمد عليها اعتمادا رئيسيا .

المدن العربية فى العصور الوسطى :

كانت العصـور الوسطى نقطة تحـول فى تاريخ العمـران المدنى فى الوطن العربى وقد تميزت هذه الفترة بنهضة مدنية كبيرة ارتبطت بنشر الاسلام وخروج العرب نحو افريقيا الشمالية وجنوب غرب آسيا،ولم يقتصر دور العرب على اعادة الحياة الى المدن الرومانية بل أضافوا اليهـا مدنا جديدة ووصلوا بأحجامها الى مستويات ربما لم تصل اليها المدينة من قبل وحتى بداية العصر الحديث ، والواقع أن الفضل الاول فى هذه النهضـة المدنية يرجع الى الاسلام والذى دمغ مدنه بطابع أصيل جعـلها تتمـيز بشخصية اقليمية .

ويمكن القول بأن النهضة المدنية فى العالم العربى فى العصور الوسطى ترجـع الى خمسة عـوامل رئيسـية هى العـامل الدينى ــ والحربى ــ والسياسى ــ والتجارى والاجتماعى . ويبدو العامل الدينى فى أن تعاليم الاسلام تحض على حياة التجمع لان فروضه تؤدى أحسن أداء فى ظل حياة تجمعية مدنية ، ومن المدن الدينية التى خلقها الاسلام ، فاس ومراكش

والرباط وجدة والنجف وكربلاء. أما العامل الحربى فقد كان من ضرورات الغزو فى البداية فكان لابد من انشاء مراكز عسكرية للسيطرة ومنها البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، وتقع جميعا على هامش الصحراء . أما العامل السياسى فقد كان من التقاليد العربية الشائعة أن كل حاكم أو أسرة حاكمة لارتباطها بأصول قبلية متعادية كانت تحاول القضاء على المدينة العاصمة السابقة بتدميرها أو بهجرها ، وكان هذا العامل من أسباب تعدد المدن الجديدة - كالانتقال من القطائع الى العسكر الى القاهرة .

أما العامل التجارى فقد ساعد على ازدهار المدن ، حيث كان كل النشاط التجارى مركزا بالضرورة فى المدن ، أى فى موانىء الصحراء من ناحية وموانىء البحر من ناحية أخرى(١) ، أما عن العامل الاجتماعى فيبدو أن العرب الغزاة لم يكونوا سكان ريف ، ففى البدء اعتصموا بهوامش الصحراء كامتداد لتاريخهم البيئى السابق وأنشأوا محلات عمرانية للاستقرار بها ، ثم نمت هذه المحلات الى مدن وظلت تحمل اسمها الصحراوى ، فالفسطاط والقيروان كلمتان بمعنى واحد: الخيمة(٢).

على أن أبرز سمات المدن العربية هو ميلها الشديد نحو المواقع البرية وهنا يبدو الفارق بين المدن الرومانية - على السواحل البحرية - والمدن العربية فى المناطق البرية الداخلية ، وذلك يفسر الانتقال فى الاهمية من أنطاكية الى دمشق فى الشام ومن الاسكندرية الى الفسطاط والقاهرة فى مصر ، ومن قرطاجة الى القيروان فى تونس .

توزيع المدن فى العصر العربى :

أسهم العرب كما ذكرنا فى انشاء مدن جديدة وفى تضخم مدن قائمة ، من الشرق الى الغرب ، ويلاحظ أن العرب بعد فتح العراق رأوا ضرورة تخطيط مدن جديدة كمعسكرات لجيوشهم وقواعد حربية للسيطرة - فكانت البصرة فى سنة ١٦ هجرية (٦٣٧ ميلادية) والكوفة فى ١٨ هـ (٦٣٨م) وسرعان ما انتقلت وظائف الحكم والادارة اليهما، ثم كانت النجف وكربلاء من المدن الدينية التى ظهرت فيما بعد . ثم أنشئت بغداد على يد أبوجعفر المنصور فكانت أكبر وأهم المدن آنذاك وكان اختيار موضعها نتيجة لبعض العوامل الجغرافية لأن الأطماء المتزايد أغلق الفرات الاسفل عن البحر الى حد كبير ، بينما نهر الدجلة أعلى منسوبا ، وقد وضع أساس بغداد فى سنة ١٤٥ هجرية فى دائرة قطرها ٢ ميلا يتوسطها قصر الخليفة والمسجد

---

(١) جمال حمدان - جغرافية المدن - القاهرة - ١٩٥٩ - ص١٠٩ .
(٢) المرجع السابق - ص ١٠٩ .

والدواوين ثم الثكنات حولها ويحيط بها سوران وقد أنشئت المدينة على الضفة اليسرى لنهر دجلة ثم مالبثت أن امتدت خارج أسوارها على شكل ضواح كالرصافة على الضفة اليمنى ، كذلك أسس المعتصم مدينة سامرا فى سنة ٢٢١ هجرية على بعد ٦٠ ميلا شمال بغداد .

ولكن يلاحظ أنه منذ القرن التاسع بدأت أهمية العراق فى التقلص ، ولم يلبث القرن العاشر أن شهد اضمحلال بغداد وانهيارها وانتقال الثقل الى الفسطاط ثم القاهرة المعزية .

أما فى الشام فبعد أن كانت أنطاكية عاصمة لسوريا البيزنطية وأورشليم أكبر مدن فلسطين البيزنطية أدخل العرب تغييرات جوهرية ، فقد انتقلت العاصمة الى دمشق فى سوريا والى الرملة التى أنشأها العرب جديدة فى فلسطين ، وأصبحت دمشق مركزا زراعيا وتجاريا وصناعيا ممتازا كذلك ازدهرت موانىء الشام صيدا وعكا وطرابلس واللاذقية وبيروت ويافا وعسقلان .

أما فى مصر فقد بدأ العرب بهجر الاسكندرية بعد أن كانت عاصمة لمصر الرومانية والبيزنطية . وسعوا الى موقع داخلى برى ـ لا يفصله عن بلاد العرب فاصل مائى فكانت الفسطاط على الضفة الشرقية للنيل ثم استحدثت القطائع والعسكر ثم كانت القاهرة .

وقد كان من نتائج هذه التغيرات انحدار مدينة الاسكندرية بدرجة كبيرة وترتب على انحدارها ظهور مدن جديدة تشارك الاسكندرية فى تجارة مصر وكانت أهمها الفرما ودمياط ورشيد ، كذلك ظهرت أهمية القلزم (السويس) وعيذاب على ساحل البحر الاحمر .

أما فى المغرب فقد انقسمت جهود العرب فى العمران المدنى الى قسمين : انشاء مدن جديدة وتجديد وبعث مدن قديمة موروثة من أيام الرومان ، ومن أمثلة المدن القديمة التى أحياها العرب بنزرت الفينيقية الاصل وقسنطينة ومكناس . أما المدن الجديدة فهى كثيرة العدد من أولاها مدينة القيروان (الخيمة) التى أنشأها عقبة بن نافع فى سنة ٥٠ هجرية فى الداخل بعيدا عن الساحل . وعندما ضربت القيروان سنة ١٠٥٢م على يد بنى هلال انتقل المركز الى ضاحية قديمة لقرطاجنة ـ التى أصبحت منذئذ مدينة تونس والتى نمت نموا هائلا حتى وصل عدد سكانها الى ٢٠٠ الف نسمة سنة ١٥١٧ ، وكانت بذلك من أكبر المدن الاسلامية .

ومن المدن الدينية الجديدة التى أنشأها العرب فى المغرب العربى تأتى فاس فى المقدمة التى بدأت سنة ٨٠٦ ميلادية وتزايدت أهميتها فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وقيل أن سكانها وصلوا الى ٤٠٠,٠٠٠ نسمة ، كذلك أنشأ الفاطميون الاوائل مدينة المهدية فى تونس سنة ٩١٦م، كذلك أسسوا مدينة الجزائر التى أضاف الاتراك اليها كثيرا واتخذوها قاعدة بحرية وعاصمة هامة • وفى المغرب الاقصى أسس المرابطون مدينة مراكش فى القرن الحادى عشر •

ولكن الذى ينبغى أن يذكر فى هذا المجال أن الفترة العربية الوسيطة لم تكن كلها فترة ازدهار مدنى ، بل كانت النهضة الحقيقية مركزة فى القرنين الاول والثانى الهجريين • أما القرون التالية فى العصور الوسطى فكانت فترة جمود ان لم يكن تدهور فعلى • فبالاضافة الى الغزو العثمانى الذى شهده الوطن العربى وأدى الى التأخر السياسى الشديد ، فقد حدث مايعرف بالثورة التجارية نتيجة كشف طريق رأس الرجاء الصالح وتحول التجارة من البحر المتوسط والشرق العربى الى المحيط الاطلسى وجنوب افريقيا •

وقد أدى ذلك التحول العالمى فى التجارة الى تدهور مدن الوطن العربى وموانىء البحر المتوسط كما أدى الى انكماش معظم المدن ـ بل واندثار بعضها ـ وتوقفت تقريبا عملية انشاء مدن جديدة •

وليست هناك أرقام احصائية يعتمد عليها لتوضيح ما أصاب المدن العربية فيما بعد القرن السادس عشر الميلادى سوى بعض الارقام المتفرقة التى ذكرها الرحالة العابرون لبعض المدن ، فغداة الحملة الفرنسية على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) كانت مدينة الاسكندرية مثلا قد هوت الى قرية صيد متواضعة لايزيد عدد سكانها على ٨٠٠٠ نسمة أو ربما ٦٠٠٠ نسمة والقاهرة الى نحو ربع مليون نسمة •

وتوضح الارقام التالية تقديرات لحجم سكان بعض المدن العربية فى النصف الاول من القرن التاسع عشر(١) :

---

(١) المرجع السابق : ص ١٣١ •

المدينة	السنة	عدد السكان
القدس	١٨١٤	١٢٫٠٠٠
حيفا	١٨٦٠	١٫٠٠٠
بيروت	١٨٢٠	٨٫٠٠٠
حلب	١٨٤٥	٧٧٫٠٠٠
دمشق	١٨٤٩	١٥٠٫٠٠٠
بغداد	١٨٣١	٢٠٫٠٠٠ (عقب وباء)
القاهرة	١٨٤٨	٢٥٤٫٠٠٠
الاسكندرية	١٨٤٨	١٣٤٫٠٠٠
تونس	١٨٨١	١٢٠٫٠٠٠

ومن هذه الارقام يبدو أن معظم هذه المدن كانت أحجامها السكانية ضئيلة للغاية ، رغم أنها بدأت مرحلة انتعاش عمرانى كبير فى منتصف القرن التاسع عشر ٠

المدن العربية الحديثة :

بدأت المدن العربية مرحلة جديدة فى حياتها فى العصر الحديث وبالتحديد منذ بداية القرن التاسع عشر ، وذلك نتيجة عوامل كثيرة لعل من بينها تزايد أهميةالبيئة ـ من حيث الموقع واستغلال الموارد المتعددة، وكذلك نتيجة الاحتكاك بين الشرق والغرب مما أدى الى تاثير جوهرى على المدن العربية حيث أضيفت اليها مرافق ومصانع ومتاجر وغيرها ٠

وكان تطور وسائل النقل ونمو التجارة العالمية من العوامل الرئيسية التى أدت الى ظهور عدة مدن جديدة كاستجابة لهذا التحول والتطور ، ومن مدن النقل البارزة بورسعيد والاسماعيلية حيث نشأتا على قناة السويس فى منطقة صحراوية ـ ومدت اليهما ـ ترعة الاسماعيلية تحمل المياه العذبة من النيل ، وقد لعبت بورسعيد دورا هاما فى خدمة السفن العابرة بينما قامت الاسماعيلية بتوجيه الملاحة فى القناة ، وزادت هذه المدن فى الاهمية بعد ربطها بالدلتا وبالقاهرة عن طريق السكك الحديدية والطرق ٠

ويبدو دور الطرق الحديثة فى الواقع دورا حاسما فى نمو المدن وقيامها ذلك لان وسائل النقل البرى والبحرى والنهرى أدت الى قيام صناعات ضخمة فى القاهرة والاسكندرية ، كما أدت الى تحويل بعض المدن الريفية

الى مدن صناعية (مثل المحلة الكبرى) وخلق مدن متخصصة مثل كفر الدوار .

كذلك نشأت مدن جديدة وان كانت محدودة العدد ولعل أبرزها مدن البترول التى نشأت فى صحارى شبه الجزيرة العربية ، وهى مدن رغم صغر حجمها الا أنها تجمع بين ثناياها مظاهر الحياة المادية العصرية،ومن هذه المدن ماقام عند حقول النفط - ومنها ما نشأ عند مصبات الانابيب، ومن المدن البترولية عوالى فى البحرين والدخان فى قطر وعين دار فى السعودية وغيرها ، وتقع هذه المدن فى ظل أبراج البترول وعلى مقربة من صهاريجه وتضم مساكن للعمال القائمين على انتاج البترول . كذلك قامت على الساحل موانىء البترول والتى تكون عادة أكبر حجما من مدن الحقول والانابيب ومنها الاحمدى فى الكويت وأم سعيد فى قطر والغردقة فى مصر والبريجة فى ليبيا .

ومن المدن الجديدة التى شهدها الوطن العربى وتثير فى النفس الاسى والمرارة تلك المدن الاستيطانية الصهيونية فى فلسطين ولعل أبرزها تل أبيب التى لم تكن أكثر من ضاحية ليافا فى مطلع القرن العشرين ولكنها منذ نكبة سنة ١٩٤٨ فاقت يافا حجما وأصبحت تضم هى وضواحيها نحو مليون وربع مليون نسمة فى الوقت الحاضر (١٩٨٥) .

ويرجع التضخم الحضرى فى الاقطار العربية فى العقود الاخيرة الى ثلاثة عوامل رئيسية هى :

أ - معدل الزيادة الطبيعية المرتفع الذى يرجع الى ارتفاع مستوى الخصوبة وانخفاض معدلات الوفيات فى المناطق الحضرية ، وتعد مكونات النمو الطبيعى فيها مسئولة عن تزايد السكان بدرجة كبيرة فى المدن.وهذه الظاهرة تجعل المدن العربية مختلفة عن المدن فى العالم المتقدم فى أوربا وأمريكا الشمالية حيث تنخفض معدلات نموها عن مثيلتها فى المناطق الريفية ، وفى معظم الاقطار العربية فان الزيادة الطبيعية مسئولة عن ٤٠ - ٥٠ فى المائة من حجم النمو السكانى الحضرى(١) .

ب - تزايد معدلات الهجرة الريفية الحضرية : وتسود هذه الظاهرة فى كل الاقطار العربية خاصة فى الدول الزراعية . ففى هذه الاقطار يؤدى الضغط السكانى فى المناطق الريفية ونقص الخدمات التعليمية والاجتماعية

---

(1) Omran, A. R., Op. Cit., p. 102.

وفرص العمالة الى خلق تيارات هجرة نحو المدن حيث تتزايد الخدمات وفرص العيش فى مستويات حياتية أعلى ، ويعكس ذلك كله مدى الارتباط بين عوامل الطرد فى الريف والجذب فى المدن .

جـ ـ الهجرة الدولية الوافدة : ويتمثل هذا العامل فى الاقطار البترولية الغنية فى شبه الجزيرة العربية وليبيا والعراق ، ولاتقتصر هـذه الهجرة على العرب فقط بل تشمل مهاجرين من جنسيات غير عربية خاصـة من الهند والباكستان وبنجلاديش وسريلانكا ، وقد أسهم هذا العامل فى تزايد معدلات النمو الحضرى فى الاقطار النفطية فى شبه الجزيرة العربية خاصة الكويت والامارات العربية وقطر بدرجة قلما توجد فى دول العالم الاخرى.

مستوى التحضر فى الوطن العربى :

أصبح التضخم الحضرى فى العقود الاخيرة من ابرز مشكلات السكان فى الاقطار العربية سواء الغنية منها أو الفقيرة ويبدو ذلك بوضوح فى تطور نسبة سكان الحضر فى الوطن العربى ، ورغم أن هذه النسبة تعـد أحـد مؤشرات التحديث والتطور لما يتوفر فى المدن من خدمات تفوق مثيلتها فى المنـاطق الريفية خاصـة الخـدمات التعليمية والاجتماعيـة والصحية والاقتصادية ، فان لها جانبا آخرا خاصـة فى الدول النـامية ومنها دول الوطن العـربى حيث تؤدى زيادة السكان فى المدن الى خـلق كثير من المشكلات التى تستعصى على الحل ، فتعانى المدن العربية فى معظمها من غياب خطط حضرية متكاملة تأخذ فى الاعتبار مراحل النمو المدنى ممـا أدى الى تفاقم مشكلات المدن والتى تجلت فى نقص البنيـات الاسـاسية والخدمات لمواجهة الاحتياجات الاساسية للسكان .

وتختلف الاقطار العربية فى معظمها فى تعريف المدينة ، ففى بعض الاقطار يعتمد التعريف على الحجم السكانى للتفرقة بين المدينة والقرية، أو بين الحضر والريف وغالبا مايتراوح هذا الحجم من ٥٠٠٠ ـ ١٠ر٠٠٠ نسمة ، وفى البعض الاخر يعتمد التعـريف على الوظيفـة الادارية دون اعتبار لحجم السكان ، ورغم أن ذلك التباين فى التعريف يشكل صعوبة فى مقارنة مستوى التحضر بين الدولة العربية فان الاعتمـاد على ماجاء فى تعدادات هذه الدول قد يسهم فى فهم هذه الظاهرة .

ويوضح الجدول رقم (٦٦) التطور فى نسبة سـكان المدن فى الاقطار العربية فى ربع قرن فقط ، ومنه يبدو مدى الطفـرة التى شهدتها بعض الاقطار فى مستوى التحضر خاصة الاقطار النفطية ذات الحجم السـكانى

جـدول رقم (٦٦)

نسبة سكان الحضر فى الاقطار العربية ١٩٥٠ ـ ١٩٨٩(١)

الاقليم والقطر	١٩٥٠	١٩٧٥(٢)	١٩٨٩
العـراق	٣٥	٦٤	٧١
سـوريا	٣٥	٤٧	٥٠
لبنـان	٤٠	٦٠	(*)
فلسطين المحتلة	(*)	٨٧	٩١
الاردن	٣٥	٤٤(٣)	٦٧
السعودية	٩	٢٥(٤)	٧٦
الكـويت	٥١	٨٤	٩٥
البحـرين	٧١	٨١	(*)
قطـر	٥٠	٨٦	(*)
الامـارات	٢٥	٨١	٧٨
عمـان	٣.	٧(٤)	١٠
اليمن الشمالى	٢	١١	٢٨
اليمن الجنوبى	٩	٣٣	—
مصـر	٣٢	٤٤	٤٦
جيبـوتى	٧	١٨	(*)
السـودان	٨	١٨	٢٢
الصومال	(*)	٢٥(٤)	٣٦
ليبيـا	٢٢	٦٠	٦٩
تونـس	٣١	٥٢	٥٤
الجـزائر	٢٥	٤١	٥١
المغـرب	٢٣	٣٥	٤٧
موريتانيـا	٢	٢٢	٤٥

(١) المصـدر :

— Omran, A. R., Op. Cit., p. 160, U.S. Dept. Commerce, Bureau of The Census, World Population 1983.

ـ البنك الدولى ـ تقـرير عن التنمية فى العـالم ١٩٩١ ـ مترجم ـ ص ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

ـ جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ـ التحضر فى الوطن العربى ـ الجزء الثانى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ .

(٢) بيانات ١٩٧٥ هى متوسط الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠ كما وردت فى تعدادات الدول .

(٣) الضفة الشرقية فقط .

(٤) سنة ١٩٧٠ .

(*) بيانات غير متوفرة .

الصغير فى شبه الجزيرة العربية ، وهى دول مدينة كما سبق القول ويعيش أكثر من أربعة أخماس سكانها فى المدن كما فى الكويت والبحـرين وقطر والامارات العربية ٠

تعريف المدينة فى الاقطار العربية :

لبنان : المراكز العمـرانية التى يبلغ عـدد سكان كل منها ١٠٫٠٠٠ نسمة فأكثر ٠

سوريا : عواصم المحافظات والأقضية والمراكز العمـرانية التى يبـلغ عدد سكان كل منها ٥٠٠٠ نسمة فأكثر ٠

الاردن : كل المركز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ١٠٫٠٠٠ نسمة فأكثر [باستثناء المراكز العمرانية التى يسكنها لاجئون فلسطينيـون فقط] ، وكل عواصم الأقضية بصرف النظر عن حجمها السـكانى ، وكل المراكز العمرانية التى يتراوح عدد سكانها من ٥٠٠٠ ــ ٩٩٩٩ نسمة والتى يعمل ثلثا الذكور العاملين بها فى حرف غير زراعية وكذلك ضواحى القدس وعمـــان ٠

السعودية : المراكز العمـرانية التى يبلغ عـدد سكان كل منها ٥٠٠٠ نسمة فأكثر ٠

الكويت : المراكز العمرانية التى يبلغ عـدد سكان كل منها ١٠٫٠٠٠ نسمة فأكثر ٠

البحرين : المراكز العمرانية التى يبلغ عـدد سـكان كل منها ١٥٠٠ نسمة فأكثر ٠

اليمن الشمالى : المراكز العمـرانية التى يبلغ عـدد سكان كل منهـا ٢٠٠٠ نسمة فأكثر ٠

اليمن الجنوبى : مدينة عدن العاصمة ــ والمراكز الحضرية المحيطـة بها ، وغيرها من المدن الاخرى ٠ ويتركز تعريف الحضر على الوظيفـة الادارية وليس الحجم والتركز الاقتصادى ٠

مصر : محافظـات القاهـرة والاسـكندرية وبورسـعيد والاسماعيلية والسويس ومحافظات الحدود ، وعواصم المحافظات الاخرى ، وكـذلك عواصم المراكز (أى الاقسام الادارية للمحافظات) ٠

السودان : المراكز العمـرانية ذات الاهميـة الادارية و/أو الاهميـة التجارية أو تلك التى يبلغ حجم سكان كل منها ٥٫٠٠٠ نسمة فأكثر ٠

ليبيـــا : مدن طرابلس وبنغازى اضافة الى الاجزاء الحضرية لمدينتى البيضا ودرنة •

تونس : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ٢٠٠٠ نسمة فاكـــثر •

الجزائر : كل عـواصم الولايات والكوميونات و ١٦ مركز عمـرانى ثانوى (مجموع المراكز ٢٢٢ مركزا) •

المغرب : البلديات والمراكز ذات الادارة الذاتية والمراكز الاخرى •

موريتانيا : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ٥٠٠٠ر٥ نسمة فأكثر •

وقد نمت كثير من المدن العربية نموا كبيرا فى العقود الثلاثة الاخيرة وذلك من خلال عاملى الهجرة الوافدة والزيادة الطبيعية وأدى ذلك الى تغير كبير فى مورفولوجيتها ، فقد أنشئت كثير من الضواحى الحديثة التى تختلف فى مظهرها عن الحى السكنى القديم فى المدينة اختلافا كبيرا وتكون مقرا لسكنى الطبقة الحضرية الجديدة ، وفى نفس الوقت شهدت تلك المدن ظهور مناطق عمرانية سيئة Slums وتوابع رديئة Shanty - Towns نتيجة تدفق المهاجرين من المناطق الريفية والذين يضيفـون الى المدينة عبئـا اضـــافيا •

وقد تميز العمـران الحضرى بنموه السريع للغـاية خاصـة فى المدن الكبرى فقد نمت الدار البيضاء مثلا من بلدة صغـيرة الى مدينـة كبيرة سكانها قرابة نصف مليون نسمة وذلك فى ٥٠ عاما فقط ونمت بغداد من ٠٠٠ر٠٥٦ر١ نسمة سنة ١٩٥٧ الى ٠٠٠ر٧٤٥ر١ نسمة فى سنة ١٩٦٥ ، ثم الى ٢ر٣ مليون سنة ١٩٨٤ وتضاعف سكان القاهرة بين ١٩٤٧ ــ ١٩٦٦ ثم وصل الى ١٢ مليون نسمة سنة ١٩٨٤ وأصبحت عمان فى سنة ١٩٦٦ أكبر عما كانت عليه فى الثلاثينات بحوالى عشر مرات ووصل سكانها ــ مع ضواحيها الى نحو مليون نسمة سنة ١٩٨٤ •

ومن الحقائق الهامة والبارزة المرتبطة بمقارنة سكان الحضر فى الدول العربية أن أكثر من ثلث السكان يعيشون فى المدن (حسب التعريف المحلى لكل دولة) وهى بذلك تتفوق على كثير من دول جنـوب وجنـوب شرق وشرق آسيا ــ أو افريقيا المدارية وذلك بالرغم من انخفاض نسـبة سكان المدن فى اليمن وسلطنة عمان انخفاضا كبيرا كذلك فانه يبدو أن نسبة سكان الحضر تتناسب تناسبا عكسيا مع حجم سكان الدول من ناحية كما ترتبط

بأهمية القطاع الاقتصادى الحديث فى كل دولة من ناحية أخرى . ولذلك فان هناك بعض الدول التى تزايدت نسبة التحضر فيها أكثر من الدول التى تميزت بعمران حضرى قديم ، فليبيا على سبيل المثال تتميز بنسبة عالية من سكان الحضر أكثر من المغرب وتونس واللتان تتميزان بعمران مدنى قديم . أما الاردن فان تدفق اللاجئين عليه أدى الى ارتفاع نسبة سكان الحضر به وكذلك فان هناك بعض الدول التى تقل فيها نسبة سكان الحضر فى الوقت الذى تتميز فيه بوجود مدن كبرى مثل المغرب التى تقل بها هذه النسبة عن الجزائر مثلا ولكنها تتميز بوجود عدد كبير من المدن ففى سنة ١٩٦٦ كان بها ١٠ مدن كبرى (أكثر من ١٠٠ر٠٠٠ نسمة لكل منها) مقابل ثلاث مدن بالسعودية من نفس الفئة الحجمية وفى دول مثل مصر والكويت والعراق وفلسطين المحتلة . فأن المدن الكبرى (فئة ١٠٠ر٠٠٠ فأكثر) تحوى أكثر من ٣٠٪ من اجمالى السكان وفى الجزائر وليبيا وسوريا تحوى من ٢٠ - ٣٠٪ .

ومن الظاهرات الهامة فى توزيع سكان المدن فى الدول العربية تركز السكان فى مدينة كبيرة أو مدينتين كبيرتين حتى أنه فى بعض الاحيان ما تعانى المدن الكبرى من تزايد وضغط سكانيين أكثر من المدن المتوسطة أو الصغيرة الحجم وذلك لما يتوفر للمدن الكبرى من مميزات حضارية وتاريخية يجعلها مراكز قوية للهجرة الوافدة . فالقاهرة بسكانها الذين بلغ عددهم ١٢ مليون نسمة سنة ١٩٨٤ كانت ضمن أكبر ٢٠ مدينة فى العالم وتحوى نحو ربع عدد السكان فى مصر ، وبالاضافة الى ذلك فان بغداد بمفردها تضم ٢١٪ من اجمالى سكان العراق سنة ١٩٨٤ . (جدول رقم٦٧) .

وفى سنة ١٩٧٠ كان بالوطن العربى ٣٣ مدينة كبيرة (سكان كل منها ٢٠٠ر٠٠٠ نسمة فاكثر) وثلث هذا العدد يوجد فى دولتين هما مصر (٧) والمغرب (٥) ،وبصفة عامة فان نمو المدن الكبرى فى الوطن العربى يكون بمعدل أكبر من مثيله للمدن الصغرى ، ويتجلى ذلك بوضوح فى الموانىء والعواصم مثل البصرة وبيروت وبنغازى وطرابلس وعمان والرياض والاسكندرية والقاهرة .

على أن الملاحظة الرئيسية فى توزيع أحجام المدن العربية كما ظهرت فى الجدول رقم(٦٧) أن هناك ميلا لتركز السكان فى مدينة كبيرة أو مدينتين كبيرتين - وينطبق ذلك على كل الدول العربية تقريبا ، حتى أن هناك فى بعض الاحيان مايعرف بالتركز الزائد Over-concentration فى المدن

جـــدول رقم (٦٧)
نسبة سـكان المدينة فى دول الوطن العربى (١٩٨٤)(١)

الاقليم والدولة	عدد سكان أكبر مدينة	٪ من سكان الدولة
دول الهلال الخصيب :		
العــــراق	٣٢٠٠٠٠٠	٢١ر٣
ســـوريا	٩٥٠٠٠٠	٩ر٦
لبنـــان	٩٥٠٠٠٠	٣٤ر٦
فلسطين	١٢٦٠٠٠٠	٢٨ر٥
الاردن	١٠٠٠٠٠٠	٢٩ر٨
شبه الجزيرة العربية :		
السعودية	٤٠٠٠٠٠	٣ر٧
الكـويت	٧٥٠٠٠٠	٥٥ر٣
البحرين	١١٠٠٠٠	٢٦ر٢
الامارات	٣٥٠٠٠٠	٢٦ر٩
عمـــان	٦٠٠٠٠	٥ر١
اليمـــن	٥٩٠٠٠٠	١٦ر٨
وادى النيل والقرن الافريقى :		
مصــــر	١٢٠٠٠٠٠٠	٢٦ر٢
السودان	١٥٠٠٠٠٠	٧ر١
جيبـوتى	٢٠٠٠٠٠	٥٧ر١
الصومال	٥٠٠٠٠٠	٩ر١
ليبيا والمغرب العربى :		
ليبيـــا	٩٠٠٠٠٠	٢٥ر٧
تونـــس	١٢٠٠٠٠٠	١٧ر٠
الجـزائر	٢١٦٥٠٠٠	١٠ر٢
المغـرب	١٩٦٠٠٠٠	١٠ر٠
موريتانيا	١٥٠٠٠٠	٨ر٢

(١) المصـدر :
Atlaseco, 1985; Images Economiques du Monde, 1983.

الاولى Primate Cities ـ ويرجع ذلك الى عوامل عدة من أبرزها طبيعة الحياة المدنيــة فى عواصم الدول العــربية مثل بيروت والقاهــرة والدار البيضاء ، والتناقض الكبير بينها وبين المدن الاقليمية الداخلية ، ومن هنا تتضخم هذه المدن باستمرار على حساب الاقاليم الاخرى وهى الاقــاليم الريفية ٠ ففى سنة ١٩٦٦ ، كانت القاهرة فى المرتبة الخامسة عشرة بين أكبر مدن العالم ـ كما كانت تحوى مع الاسكندرية أكثر من خمس جملة السكان فى مصر كذلك حوت بغداد ٢١٪ من ســكان العــراق ، وبتطبيق نظرية المدينة الاولى المهيمنة Primate City نجد أنها تبــدو بوضــوح فى معظم الدول العربية وخاصة العراق وتونس ومصر وليبيا والكويت وسوريا (حيث تكون المدينة الاولى أكبر بكثير من المدينة الثانية ـ ومن الثالثة ومن الرابعة وهكذا) ـ وسندرس هذه الظاهرة فى الجزء التالى مباشرة٠

الفصل السابع

بعض الجوانب الديموغرافية للنمو السكانى فى مصـــــر

يعد التزايد السكانى فى مصر من أخطر التحديات التى تواجه جيلنا الحالى بل والجيل القادم ، ذلك لانه أساس لكثير من مشكلات المجتمع المصرى سواء ما كان منها مرتبطا بالانتاج أو بالخدمات أو بالاستهلاك أو بالجوانب المتعددة لهذه العناصر الحيوية ، ولاتشذ مصر فى ذلك عن دول كثيرة فى العالم النامى ، بل ان العناصر التى أدت الى تزايد السكان فى مصر تزايدا أوصلهم الى «مرحلة الانفجار» لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها فى كثير من الدول النامية والتى بدأت تدرك أن التحدى الحقيقى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها يكمن فى ارتفاع معدلات النمو السكانى ارتفاعا لايواكبه نمو مماثل فى معدلات الانتاج الاقتصادى ، وقد انعكس ذلك على انخفاض نصيب الفرد فى كثير من عناصر الاستهلاك والخدمات فى الوقت الحاضر مما يهدد باستمرار انخفاض المستوى المعيشى فى المستقبل لو لم يكن هناك جهد يبذل للتحكم فى معدلات النمو السكانى المرتفعة ٠

ايقاع النمو ومكوناته :

مر النمو السكانى فى مصر فى العصر الحديث بمراحل مختلفة (جدول رقم ٦٨) و (شكل رقم ٥٢) وذلك منذ الحملة الفرنسية عندما قدر أحد علمائها (جومار) سكان مصر بحوالى ٢٫٥ مليون نسمة واستمر هذا العدد ثابتا لمدة تقـرب من عشرين سنة وحتى سنة ١٨٢١ ، ومعنى ذلك أن معدلى المواليد والوفيات كانا متعادلين وبالتالى كان المجتمع متوقفا دون أن تضاف الى هيكله السكانى أعداد جديدة ٠ وبدأ المنحنى السكانى الثابت منذ بداية القرن التاسع عشر فى التزايد بعد سنة ١٨٢١ ، حيث ارتبط ذلك بالتغير فى التركيب الاقتصادى للبلاد والذى عرف بالانقلاب الزراعى فى عهد محمد على حيث كان الفلاحون يستحثون حثا على الزواج المبكر والانجاب السريع ،وقد قدر عدد السكان فى سنة ١٨٤٦ بحوالى٤٫٤٦٧٫٠٠٠

نسمة وواصلوا نمــوهم ليصلوا الى ٦ر٨٠٩ر٧٢٧ نسمة فى سنة ١٨٨٢ ثم ٩ر٧٤٨ر٩٠٦ نسمة فى سنة ١٨٩٧ .

والارجح أن تزايد السكان رغم سرعته النسبية خلال الفترة المذكــورة كان أبطأ من الامكانيات الاقتصادية ، كما يبدو أن الوضع ظل هكذا حتى نهاية القرن الماضى ، ويؤكد هذا التزايد المساحة المزروعة من ٢ر٠٣٢ر٠٠٠ فدانا سنة ١٨٢١ الى ٤ر٧٤٣ر٠٠٠ فدانا فى سنة ١٨٧٧ ثم الى ٥ر٠٨٨ر٠٠٠ فدانا سنة ١٨٩٧ - أى أن تلك المرحلة كانت أعظم مرحــلة شهدتها مصر الحــديثة فى التوسع الافقى وما ارتبط بهــا من انشــاء مشروعــات الرى الاساسية كاتمام قناطر الدلتا سنة ١٨٨٤ ، ١٨٩١ ، ثم اقامة خزان أسوان سنة ١٩٠٢(١) .

جــدول رقم (٦٨)

تطور سكان مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى سنة ١٩٨٦

تاريخ التقدير أو التعداد	جمــــلة عدد السكان	معدل النمو السنوى فى الفترة
تقدير ١٨٠٠(٢)	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	—
تقدير ١٨٢١(٣)	٢ر٥٣٦ر٠٠٠	٠ر١٤
تقدير ١٨٤٦(٤)	٤ر٤٦٧ر٠٠٠	٢ر٣٠
تعداد ٣ /٥ /١٨٨٢	٦ر٨٠٩ر٧٢٧	١ر١٨
تعداد ٣ /٥ /١٨٩٧	٩ر٧٤٨ر٩٠٦	٢ر٤٣
تعداد ٣٠/٦ /١٩٠٧	١١ر٢٨٧ر٣٥٩	١ر٤٤
تعداد ٧ /٣ /١٩١٧	١٢ر٧٥٠ر٩١٨	١ر٣٢
تعداد ٩ /٢ /١٩٢٧	١٤ر٢١٧ر٨٦٤	١ر٠٩
تعداد ٢٧/٣ /١٩٣٧	١٥ر٩٣٢ر٦٩٤	١ر١٤
تعداد ٢٧/٣ /١٩٤٧	١٩ر٠٢١ر٨٤٠	١ر٧٥
تعداد ٢٠/٩ /١٩٦٠	٢٦ر٠٨٥ر٣٢٦	٢ر٣٣
تعداد / / ١٩٧٦	٣٦ر٦٢٦ر٢٠٤	٢ر٣١
تعداد ١٧/١١/١٩٨٦	٥٠ر٤٥٥ر٠٤٩(٥)	٢ر٨٠

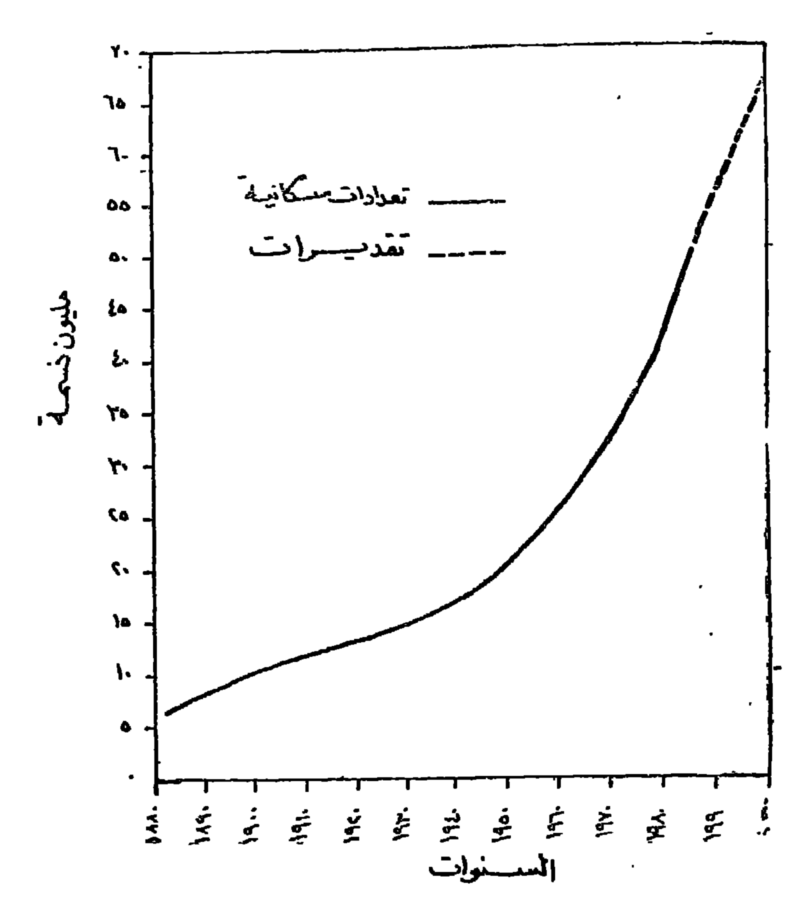
(١) جمال حمدان - شخصية مصر - القاهرة - ١٩٧٠ - ص٣٥٠ .

(٢) تقدير الحملة الفرنسية .

(٣) التقديرات حسب كشوف المولين .

(٤) التقدير حسب تعداد المساكن .

(٥) بما فيهم عدد المصريين بالخارج وقدرهم ٢ر٢٥٠ر٠٠٠ نسمة .



شكل رقم (٥٢)
تطور عدد السكان فى مصر فى القرن العشرين

وبعد أن تضاعف عدد السكان حوالى أربع مرات فى خلال القرن التاسع عشر فى خلال ثلاثة أرباع القرن فقط (من ١٨٢١ ـ ١٨٩٧) بدأ منحنى النمو فى الهبوط فيما بعد ذلك حتى وصل الى حده الادنى فيما بين سنتى ١٩١٧ ـ ١٩٢٧ ثم بدأ فى التزايد التدريجى بعد ذلك وببطء حتى الحرب العالمية الثانية ، والتى تزايد منحنى النمو السكانى بعدها تزايدا كبيرا لتبدأ مرحلة جديدة فى دورة النمو تتميز بالمنحنى المتزايد الصاعد الذى أوصل السكان الى حالة الانفجار الديموغرافى الخطير الذى تعيشه مصر فى الوقت الحاضر .

واذا أردنا أن نحدد مراحل الدورة الديموغرافية ، فانه يمكن القول

بأن مصر ظلت فى المرحلة البدائية من هذه الدورة حتى الربع الاول من القرن التاسع عشر ، حيث تميز منحنى النمو السكانى فى هذه الفترة بالثبات مما يوحى بأن معدل النمو الناتج عن الفرق بين المواليد والوفيات كان ضئيلا للغاية بل لايكاد يذكر،ومعنى ذلك أن معدلى المواليد والوفيات كانا متساويين تقريبا ، وان أعوزتنا البيانات للتدليل على ذلك فيما عدا التقديرات السكانية التى يمكن استنتاج هذه الحقيقة منها ٠

وبعد هذه المرحلة البدائية دخلت مصر مرحلة الشباب الاولى منذ أوائل الربع الثانى من القرن التاسع عشر ، والتى تميزت ببداية الثورة الزراعية والاقتصادية التى أسهمت فى زيادة النمو السكانى زيادة واضحة، والارجح أن معدلات المواليد قد تزايدت فى هذه الفترة تزايدا واضحا ، كذلك كان لادخال بعض وسائل الطب الحديثة ضد الاوبئة أثر فى خفض معدلات الوفيات خفضا عكسته أرقام النمو السكانى حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وذلك بالرغم من أن الحروب والاوبئة التى شهدتها مصر على امتداد هذا القرن قد ابتلعت نسبة كبيرة من السكان(١) ٠

على أن مرحلة الشباب الديموغرافية الاولى التى عاشتها مصر فى القرن التاسع عشر قد بدأت تستقر فى النصف الاول من القرن العشرين ، فقد بدأ معدل النمو السكانى فى التناقص الواضح بدرجة أوحت للكثير من الباحثين فى العشرينيات والثلاثينيات بل وفى الاربعينيات أن سكان مصر سيستغرقون فترة طويلة قد تصل الى نصف قرن لكى يتضاعفوا مرة واحدة٠

ومن أرقام الجدول رقم (٦٩) وشكل رقم (٥٣) يمكن القول بأن الزيادة الطبيعية للسكان كانت قليلة وذلك للفارق الضئيل بين معدلى المواليد والوفيات ، بل ان احدى السنوات (١٩١٨) قد شهدت نقصا طبيعيا حيث فاقت أعداد الوفيات أعداد المواليد ، وقد كان لانتشار بعض الاوبئة فى هذه السنة أثر واضح فى ذلك مثل الحمى الاسبانية والتى كانت وباء عاما فى مصر فى سنتى ١٩١٨ ، ١٩١٩(١) ٠

وقد استمر معدل الزيادة السكانية قريبا من ١٥ فى الالف على امتداد حوالى نصف قرن وحتى سنة ١٩٥٠ ــ عندما دخلت مصر مرحلة الشباب

---

(1) Clot bey, A. B. Apercu General Sur L'Egypte T. I., p. 170.

(١) أ ــ محمد محمود الصياد ــ سكان البحيرة فى خمسين عاما (١٨٩٧ ــ ١٩٤٧) مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ــ المجلد الثالث عشر الجزء الاول ــ ص ١١٢ ٠

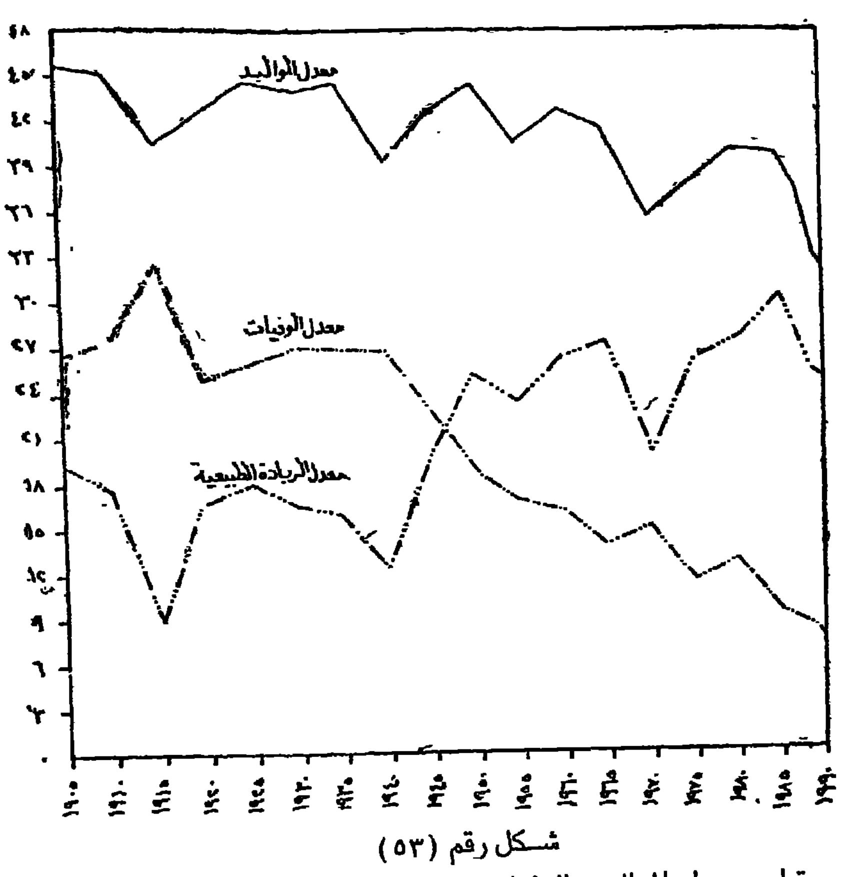
ب ــ راجع أرقام السنوات المذكورة فى نشرة الاحصاءات الحيوية٠

الديموغرافية الثانية وبمعدل متزايد بلغ أقصاه فى سنة ١٩٨٥ حيث وصل معدل النمو السكانى الى ٤ر٣٠ فى الالف سنويا .

جدول رقم (٦٩)
تطور معدل المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية فى مصر
(متوسط كل خمس سنوات حتى ١٩٦٤) (فى الالف)(١)

السنوات	معدل المواليد	معدل الوفيات	معدل الزيادة الطبيعية
١٩٠٥ - ١٩٠٩	٧ر٤٥	٦ر٢٦	١ر١٩
١٩١٠ - ١٩١٤	٠ر٤٥	٦ر٢٧	٤ر١٧
١٩١٥ - ١٩١٩	٣ر٤١	٥ر٣٢	٨ر٨
١٩٢٠ - ١٩٢٤	٦ر٤٢	٨ر٢٥	٨ر١٦
١٩٢٥ - ١٩٢٩	٩ر٤٣	٠ر٢٦	٩ر١٧
١٩٣٠ - ١٩٣٤	٧ر٤٣	١ر٢٧	٦ر١٦
١٩٣٥ - ١٩٣٩	٨ر٤٢	٩ر٢٦	٩ر١٥
١٩٤٠ - ١٩٤٤	٤ر٣٩	٨ر٢٦	٦ر١٢
١٩٤٥ - ١٩٤٩	٤ر٤٢	٠ر٢٣	٤ر١٩
١٩٥٠ - ١٩٥٤	٧ر٤٣	٧ر١٨	١ر٢٥
١٩٥٥ - ١٩٥٩	٥ر٤٠	٩ر١٦	٦ر٢٣
١٩٦٠ - ١٩٦٤	٦ر٤٢	٣ر١٦	٢ر٢٦
١٩٦٥	٤ر٤١	٠ر١٤	٤ر٢٧
١٩٧٠	١ر٣٥	١ر١٥	٠ر٢٠
١٩٧٥	٧ر٣٧	٧ر١١	٠ر٢٦
١٩٨٠	٢ر٤٠	٩ر١٢	٣ر٢٧
١٩٨٥	٨ر٣٩	٤ر٩	٤ر٣٠
١٩٨٧	٤ر٣٧	١ر٩	٣ر٢٨
١٩٨٩	٣ر٣٣	١ر٨	٢ر٢٥
١٩٩٠	٢ر٣٢	٥ر٧	٧ر٢٤

(١) المصدر :
١ - مصلحة الاحصاء والتعداد : الاحصاءات الحيوية السنوية حتى سنة ١٩٦١ .
٢ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، احصاءات المواليد والوفيات سنة ١٩٦٢ وما بعدها .



شكل رقم (٥٣)

تطور معدل المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية فى القرن العشرين
(متوسط كل خمس سنوات) فى الالف

وقد كانت مرحلة الشباب الديموغرافية الثانية بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لمجموعة من العوامل أهمها التغير الجذرى الذى شهده الاقتصاد المصرى وخاصة بعد سنة ١٩٥٢ حيث بدأت الثورة فى تبنى سياسة اقتصادية تهدف الى التوسع الرأسى والافقى فى الزراعة وكذلك تحقيق عدالة فى ملكية الارض الزراعية ، ثم انشاء قاعدة صناعية كبيرة أسهمت فى تنويع مظاهر الانتاج الاقتصادى المصرى ، وقد صحب ذلك جهود ملموسة لرفع المستوى الصحى وتوسيع قاعدة المستفيدين بالخدمات الصحية فى الريف والحضر مما أسهم فى خفض معدلات الوفيات انخفاضا واضحا من ٧ر٢٧ فى الالف سنة ١٩٤٥ الى ٠ر١٤ فى سنة ١٩٦٥ ثم الى ٧ر٥ فى الالف سنة ١٩٩٠ ، وتستمر معدلات الوفيات فى الهبوط بعد ذلك

وخاصة فى الاعمار المبكرة التى تعد أكثر الاعمار تاثرا بالتقدم الصحى والتى يمثلها معدل وفيات الاطفال الرضع الذى هبط هبوطا كبيرا من ١٥٣ فى الالف سنة ١٩٤٥ الى ١٣٦ فى سنة ١٩٥٥ ثم الى ٧٣ سنة ١٩٨٥ ٠

وفى الوقت الذى استمر فيه معدل الوفيات فى الهبوط التدريجى بقيت نسبة المواليد ثابتة تدور حول الرقم ٤٠ فى الالف سنويا وان كانت الارقام تشير الى هبوط فى معدل المواليد بعد سنة ١٩٦٥ حيث هبط الى ٣٧ر٧ فى الالف فى سنة ١٩٧٥ ثم الى ٣٧ر٤ فى الالف سنة ١٩٨٧ و ٣٢ر٢ فى الالف سنة ١٩٩٠ مما يوحى بانخفاض واضح فى هذا المعدل بلغت نسبة الربع تقريبا على امتداد ربع قرن (١٩٦٥ - ١٩٩٠) ٠

ويرجع هذا الهبوط فى معدل المواليد الى عوامل التغير الاجتماعى والاقتصادى التى شهدتها البلاد فى العقود الثلاثة الاخيرة والتى تجلت فى ارتفاع السن الوسيطة عند الزواج للذكور من ٢٥ر٩ سنة فى عام ١٩٦٠ الى ٢٧ر٩ سنة فى عام ١٩٨٦ ، وللاناث من ١٩ر٨ سنة الى ٢١ر٨ سنة فى هاتين السنتين ، ويتمشى هذا الاتجاه مع التطور الاجتماعى الذى تمر به البلاد وازدياد اقبال الاناث على التعليم حتى مراحل متقدمة وزيادة عمالة المرأة فى مختلف المجالات وانخفاض نسبة الامية بصفة عامة (انخفضت من ٥٧٪ الى ٣٨٪ للذكور ومن ٨٤٪ الى ٦٢٪ للاناث بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٨٦ على الترتيب) ٠

وبالاضافة الى ذلك فقد نجم هبوط معدل المواليد عن الاخذ بنظام تنظيم الاسرة الذى تبنته الدولة سياسة رسمية فى سنة ١٩٦٥ ، ومن الصعب الحكم على فعالية برنامج تنظيم الاسرة وتحديد دوره بدقة فى هبوط معدل المواليد حيث أن ذلك أمر معقد يصعب تحقيقه على مستوى القطر كله ٠

ولكن من الثابت أن تنظيم الاسرة فى مصر قد اكتسب قيمة كبرى فى ثقافة المجتمع ونجح على الاقل فى خلق وعى قومى بالمشكلة السكانية أكثر مما كان عليه الامر من قبل ٠ ورغم المشكلات التى تعترض الوصول بمشروع تنظيم الاسرة الى أهدافه المرجوة والتى سبق التخطيط لها فان نسبة الاناث المتزوجات اللائى يستخدمن وسائل تنظيم الاسرة فى تزايد مستمر تدل عليه بيانات المجلس القومى للسكان فقد زادت هذه النسبة من ٣٠٪ سنة ١٩٨٤ الى ٣٨٪ سنة ١٩٨٨ وتقدر أنها وصلت الى نحو ٥٠٪ سنة ١٩٩٠ ٠ (تقدير المجلس القومى للسكان) ٠

ومن ذلك يبدو أن مرحلة الشباب الديموغرافية الثانية التى شهدتها مصر منذ أوائل الخمسينات والتى تميزت بمعدل مواليد مرتفع وبمعدل وفيات منخفض ومن ثم بتزايد سكانى كبير – هى التى أوصلت البلاد الى مرحلة الانفجار السكانى التى تعيشها الان والتى تتمثل فى أن المتوسط السنوى لعدد المواليد الاحياء بلغ فى السنوات الاخيرة ١٫٨٥٠٫٠٠٠ طفلا فى حين أن متوسط عدد الوفيات وصل الى ٤٤٠٫٠٠٠ حالة – ومعنى ذلك أن سكان مصر يزيدون زيادة طبيعية مطلقة تصل الى ١٫٤١٠٫٠٠٠ نسمة سنويا (أو ١١٧٥٠٠ كل شهر أى ٣٨٦٠ فى اليوم أى ١٦٠ فرد كل ساعة أى ٦ أفراد كل دقيقتين) .

وقد أجريت تقديرات لسكان مصر فى المستقبل اعتمادا على مكونات النمو السكانى فى عقد الثمانينات واحتمالاته المستقبلية ، وتبنت هذه التقديرات شعبة السكان بهيئة الامم المتحدة . وتشير هذه التقديرات الى أن سكان مصر سيصلون الى ٦٦٫٧ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠ ثم الى ٩٤ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ بفرض ثبات الفروض التى اعتمدت عليها هذه التقديرات ، وبذلك سيكون ترتيب مصر على المستوى العالمى فى المركز السابع عشر بعد أن كان فى المركز الحادى والعشرين سنة ١٩٨٥ .

العوامل الكامنة :

سبق القول أن الانفجار السكانى فى مصر مابعد الحرب العالمية الثانية قد نتج بالدرجة الاولى عن استمرار ثبات معدل المواليد متراوحا بين ٣٨ و ٤٢ فى الالف – فى الوقت الذى اعترى فيه معدل الوفيات هبوط واضح – اتسعت بسببه الهوة بين المعدلين وبالتالى ارتفع معدل الزيادة الطبيعية – وتلك سمة جوهرية من سمات مرحلة الشباب فى الدورة الديموغرافية للمجتمعات .

وخصوبة السكان فى مصر مرتفعة اذا قورنت بغيرها من الدول، فيقرب معدل المواليد بها ضعف نظيره فى الولايات المتحدة الامريكية التى يبلغ المعدل بها ١٧ فى الالف وأكثر من ثلاثة أمثال المعدل فى اليابان (١٠) والنرويج (١٠) وايطاليا (١٠) ونحو ثلاثة أمثال معدلات كثير من الدول الاوربية مثل فنلنده (١٣) وتشيكوسلوفاكيا (١٣) وفرنسا (١٤) والمانيا (١١) والمجر (١٢) .

ويرجع ارتفاع معدل المواليد فى مصر الى مجموعة من العوامل المتشابكة والمتبادلة والتى ترتبط بالهيكل الاجتماعى والاقتصادى للسكان ،

مثل انخفاض المستوى التعليمى وارتفاع معدلات وفيات الاطفال الرضع وزيادة العدد الذى يرغب فى انجابه الابوان خاصة من الاطفال الذكور نتيجة الظروف البيئية المختلفة .

وتختلف الخصوبة حسب أعمار الاناث اختلافا كبيرا ـ ويبدو ذلك فى دراسة معدلات الخصوبة العمرية النوعية والتى يوضحها الجدول رقم (٧٠) وهى عبارة عن نسبة خصوبة الاناث حسب العمر ـ والغرض الاساسى من نسبة عدد مواليد كل فئة عمرية الى الاناث فى نفس الفئة هو محاولة تحديد اختلاف الاناث فى الخصوبة حسب الاعمار لان فترة الحمل لاتتساوى فيها قدرة المرأة على الانجاب طوال سنوات هذه الفترة التى تبدأ من سن البلوغ وتنتهى عند سن اليأس وذلك فيما بين الخامسة عشرة الى سن الخمسين أو حول هذه السن .

جدول رقم (٧٠)

معدل الخصوبة العمرية الخاصة فى مصر سنة ١٩٦٠ و ١٩٨٦

فئات السن والسنة	١٩٦٠	١٩٨٦	النسبة المئوية من الجملة سنة ١٩٨٦
١٥ ـ ١٩	٣٤	٢١	١ر٧
٢٠ ـ ٢٤	٢١٨	٢٠٥	١٧ر٧
٢٥ ـ ٢٩	٣٤٣	٣٤٢	٣٠ر٠
٣٠ ـ ٣٤	٣٦٦	٢٧٨	٢٤ر٠
٣٥ ـ ٣٩	١٩٥	١٩٥	١٧ر٠
٤٠ ـ ٤٤	٥٨	٨١	٧ر٠
٤٥ +	١٨	٣٥	٣ر٠
متوسط عدد الاطفال للمرأة	٦ر٢	٥ر٨	١٠٠ر٠

ومن هذا الجدول يبدو أن أكثر الفئات العمرية اسهاما فى الانجاب هما فئتا العمر ٢٥ ـ ٣٤ حيث تسهمان بنحو ٥٧ر٥٪ من جملة المواليد، ومعنى ذلك أن أكثر من نصف عدد المواليد تنجبهن اناث واقعات بين العمرين ٢٥ ـ ٣٤ ويقل المعدل بوضوح فى بداية المنحنى ونهايته فى فئتى العمر (١٥ ـ ١٩) ، (٤٥ +) ، ولذلك فان التفكير فى رفع السن القانونية لزواج الانثى من ١٦ الى ١٨ سنة لن يكون ذا تأثير كبير فى خفض معدلات المواليد وينبغى التركيز على العوامل الاخرى المؤثرة فى الخصوبة والتى

يعد التعليم أحدها وخاصة للاناث اللاتى يعتبرن الموطن الحقيقى للخصوبة كما وأن متوسط السن عند الزواج للانثى قد وصل الى ٨ر٢١ فى سنة١٩٨٦ ويحتمل أن يكون هذا المتوسط قد تزايد بعـد ذلك تمشـيا مع التطـور الاجتماعى والاقتصادى الذى تمر به البلاد وازدياد اقبـال الفتيات على التعليم وارتفاع اسهام المرأة فى سوق العمل اسهاما واضحا ٠ ومن المعروف أن تعليم المرأة يعد عنصرا من العناصر المؤثرة فى الخصوبة حيث أن المرأة المسلمة أكثر فهما لتنظيم الاسرة وايمانا بأهميته وجـدواه ومن ثم فهى اكثر اقبالا على اتباع وسائله ٠

وليست الخصوبة بمركباتها المتعددة العامل الرئيسى فى النمو السكانى فى مصر ، بل ان الوفيات تعد العنصر الرئيسى الاخر ، والذى أسهم هبوطه فى ارتفاع نسبة الزيادة السنوية ، ويرجع معظم الهبوط الى انخفاض معدل الوفيات بين الاطفال الرضع (أقل من سـنة) والتى تشـكل ثلث حـالات الوفيات الاجمالية وقد انخفض المعدل من ١٦١ لكل ألف مولود حى فى سنة ١٩٣٥ الى ١٥٢ فى سنة ١٩٤٥ ثم الى ١٣٦ فى سنة ١٩٥٥ ٠ و ٨٥ فى سنة ١٩٧٦(١) وتدل الظواهر أنه فى الطريق الى الانخفـاض بعـد ذلك نتيجة تنفيذ كثير من المشروعات الصحية وخدمات الطفولة بصفة عامة، ولهذا الانخفاض فى معدل الوفيـات فى آلاعمار المبكـرة أثر مزدوج على الهيكل الديموغرافى فى مصر ، فهو يزيد حجم المجتمع زيادة مباشرة فيما يعرف باتساع قاعدة الهرم السكانى له كمـا يزيد فى عـدد الاناث اللائى يسهمن فى المواليد بعد ذلك عند وصولهن الى سن الانجاب ، وقد ارتبط ذلك بارتفاع أمد الحياة عند المولد للفرد فى مصر على النحو التالى :

السنة	ذكـور	انـاث	السنة	ذكـور	انـاث
١٩٣٧	٦ر٣٥	١ر٤٢	١٩٦٠	٦ر٥١	٨ر٥٣
١٩٤٧	٤ر٤١	٠ر٤٧	١٩٨٦	٥ر٥٨	٠ر٦٠

كذلك ارتبط بزيادة نسبة صغار السن فى المجتمع (أقل من ١٥ سنة) والتى ارتفعت من ١ر٣٩٪ من جملة السكان فى سـنة ١٩٣٧ الى ٨ر٣٩٪

(١) بالرغم من ذلك فان معدل وفيات الرضع فى مصر يعد مرتفعـا اذا ما قورن بمثيله فى دول أخرى وخاصة الدول المتقدمة ــ فهو فى هولنده يصل الى ٧ فى الالف وفنلنده (٦) واليابان (١٥) وفرنسا (٧) والولايات المتحدة (٩) والمانيا (٨) وتشيكوسلوفاكيا (١١) وكندا (٧) ٠

سنة ١٩٧٦ ثم الى ١ر٤١٪ سنة ١٩٨٦(١) وما ارتبط به من زيادة فى أعباء الاعالة الملقاة على كواهل السكان المنتجين ٠

ثم مــــاذا ؟

وهكذا تبدو ملامح النمو السكانى ومركباته الكامنة ، وتبدو الحقيقة الجلية أن تزايد السكان أصبح عائقا ضخما أمام رفع المستوى الاقتصادى للمجتمع بل ان السباق بين جهود سكان مصر ونموهم يجعـل جهـدهم تستنزفه الزيادة السكانية ومن ثم فانه لا خيار سوى التصدى لهذا النمو السكانى الكبير حتى يمكن أن تظهر بعض ثمار جهـود هـذا الجيل فى مجالات التنمية المتعددة ٠

ويعد التحكم فى تزايد السكان تحديا حقيقيا يواجه مصر المعـاصرة لذلك فان مفتاح الحل فى مواجهة الانفجار السكانى يكمن فى تطبيق سياسة حازمة لتنظيم الانـجاب ، ولاشكَ أن عوامل التغير الاجتماعى والاقتصادى كالتعليم مثلا يمكن أن تسهم فى تحقيق بيئة مناسبة تمارس من خـلالها وسائل تنظيم الانجاب ويمكن أن يكون أثرها واضحا وان كان بعيد المدى ولذلك فان استخدام الوسائل المختلفة (الحبوب ـ اللوالب وغيرها) التى تعد أساسا من أسس برنامج تنظيم الاسرة حاليـا ـ هى العـامل الحاسم والسريع فى انجاح هذا المشروع الحيوى القومى ـ والذى يجب أن يعتمد على التخطيط بالاقناع من ناحية وكذلك على التركيز على الاناث فى سن ٢٥ ـ ٣٤ سنة من ناحية أخرى وذلك لما سبق ملاحظته من أنهن فى هـذه الفئة يسهمن بأكثر من نصف عدد المواليد ٠

وواقع الامر أن تنظيم الاسرة فى مصر ـ وهو أحد العوامل الرئيسية فى كبح جماح النمو السكانى بها ـ يواجه مجموعة من المعوقات الثقـافية والاجتماعية التى تحول دون الوصول به الى أهدافه المرسومة ، فرغم أن سكان الحضر فى تزايد نسبى على امتداد التعدادات الاخيرة لعل أبرزها زيادة نسبتهم من ٣٧٪ فى تعداد سنة ١٩٦٠ الى ٤٤٪ فى تعداد سنة ١٩٨٦، الا أن الحقيقة الواضحة أن أكثر من نصف سكان المجتمع المصرى يقطنون القرى ، ومن ثم تصبح الظاهرة الكبرى المميزة هى سيادة الحياة الريفية بمظاهرها المختلفة ، وحتى فى المدن والتى تعد فى معظمها امتدادا للريف

---

(١) تصل هذه النسبة الى ١٩٪ فى المملكة المتحدة ، ٣٢٪ فى الولايات المتحدة ١٨٪ فى اليابان ٠

فان الظروف الثقافية بها نتاج لاصول سكانها وتوارث القيم والمفاهيم جيلا بعد جيل ٠

وعلى أية حال فان المعوقات التى تعترض خطط تقليل معدل النمو والهبوط به الى مستويات ملائمة ـ عديدة ومعقدة ومتشابكة ترتبط فى المقام الاول بما يعرف فى علم السكان بالعوامل الوسيطة والتى تحدد مؤثرات السلوك البشرى للخصوبة ومستوياتها ٠ وربما كانت أبرز هذه المعوقات مايلى :

١ ـ اهمال التفكير فى الحجم الامثل للاسرة :

القدرية هى المسيطرة على سلوك معظم السكان فى المجتمع المصرى خاصة فى الريف ، ومن ثم فان التفكير فى تخطيط عدد المواليد ومن ثم تحديد حجم مثالى للاسرة هو تدخل فى أمور الغيب بل وغير جائز،ومرد ذلك هو للاقدار كيف تشاء ، فقد يختطف الموت بعضا من الاطفال مما يتطلب الاحتياط بكثرة الانجاب ٠

والواقع أن ذلك ارتبط بارتفاع معدل وفيات الاطفال الرضع من ناحية وانخفاض أمد الحياة من ناحية أخرى ، فقد سبق القول أن معدل وفيات الاطفال فى مصر كان قبيل الحرب العالمية الثانية يدور حول المائتين ثم ما لبث أن انخفض بعد ذلك ليصل فى السنوات الاخيرة الى نحو ٧٣ فى الالف ، ورغم ذلك فان مستوى يعكسه هذا الرقم هو مستوى مرتفع يجعل مفهوم التعويض فى الانجاب أمرا مسيطرا ويدفع الوالدين فطريا الى انجاب عدد غير قليل من الاطفال ٠

٢ ـ نقص المعرفة :

يتضح نقص المعرفة فى مظاهر عدة أبرزها القصور فى الالمام بوسائل تنظيم الاسرة،ويرتبط ذلك فى المقام الاول بارتفاع نسبة الامية خاصة لدى الاناث ٠ فتصل هذه النسبة فى بعض المحافظات الريفية الى قرابة ٦٥٪ للاناث فى سن الانجاب بل ترتفع الى ٧٥٪ منهن فى بعض محافظات الصعيد ٠ ومعنى ذلك أن نحو ثلاثة رباع الاناث المتزوجات أميات٠وغنى عن البيان أن الفهم الصحيح لاساليب تنظيم الاسرة يرتكز على مثلث المعرفة وتكوين الرأى والممارسة ، وتقف الامية حجرا عائقا أمام ذلك ٠

٣ ـ الفهم القاصر للدين :

الاسلام دين الفطرة الذى يدعو الى التنظيم فى كل شىء ، فالنظام أساس فى العبادات والمعاملات ، فلا دين بغير تنظيم من صف الصلاة الى

صف المعركة ، ومن تنظيم أمر المـال الى تنظيم أمر الاسرة . والتنظيم هنا ينبع من المسئولية ، فلا تتحمل الاسرة ولا تحمل نفسها الا ما تطيـق من الابنـاء الذين تستطيع أن تحسـن تربيتهم فى عـالم تطول فيه فترة الاعداد مع التطور العـلمى . ومن ثم فـان تنظيم الاسرة من حيث أنه تنظيم أمر لايتعارض مع الدين بل يدعو اليه الدين الذى يقضى بالمسئولية والملاءمة بينه وبين القدرة على تحملها وتصبح مرونة التنظيم هى الامر الواجب . فتغير امكانيات المجتمع وموارده يتطلب اعادة النظر فى معدلات النمو على أساس من قاعدة عريضة هى : الا تزيد معدلات النمو السكانى عن معدلات التنمية الاقتصادية والا كان المجتمع يسير على منحدر هابط، والا يتساوى المعدلان والا كان المجتمع فى حالة جمود اقتصادى والعالم من حـوله يتقدم ، وفى ظـل مجتمع فيـه الدولة تتحمل مسـئولية التنظيم والخدمات الصحيـة والثقافية ، ومن هنـا يصبح الاطار العـريض الذى يوضحه الحديث الشريف (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته) مسئولية تقتضى المشاركة فى التنظيم .

وربما كان المد الدينى الاسلامى فى السنوات الاخيرة عاملا مرتبطا فى أذهان بعض الناس بالحرج فى تنظيم الاسرة ظنا منهم أنه معارضة لارادة الله ، والرسول ﷺ لايستطيع أن يباهى بنـا يوم القيـامة اذا كنا أمة لم تحسن تربية أبنائها ورعايتهم .

٤ ـ شيوع قيم اجتماعية تمجد الانجاب :

هناك قيم خاصة بالانجاب فى المجتمع المصرى تسيطر على فكر كثير من النساء والرجال ، وهى أن مكانة أى منهم الاجتمـاعية تتوقف على مقدرته على الانجاب ، ويسود ذلك بدرجة أكبر فى الريف . وربما لانبالغ اذا ذكرنا أن مكانة المرأة ترتبط بقدرتها على الانجاب حيث تعتبره رمزا لاثبات أنوثتها ومكانتها فى المجتمع ، فالرغبة فى انجاب طفل تظل قائمة شعوريا أو لاشعوريا لدى المرأة خلال سنوات الخصـوبة ، كما أن المـرأة ـ لظروف عديدة ترتبط بقيمتها ومكانتها فى المجتمع ـ تفضل الاستقرار وتعرف أن انجاب عدد أكبر من الاطفال هو وسيلة رئيسية لهذا الاستقرار وتحقيق الامان فى علاقتها مع الرجل ، بل ان الامهات يعتبرن زيادة عدد الابناء حماية لهن وعونا فى الحياة وخاصة فى الشيخوخة كما أن الرجـل يرى فى كبر حجم عائلته قوة وسطـوة فى الريف ـ ومن ثم فهـو يفكر فى

الانجاب وخاصة الذكور ، وقد يكون تفضيله للذكور دافعا مستمرا للانجاب حتى يتسنى له تحقيق مايسمى (عزوة) ٠

ويرى بض علماء الاجتماع أن اباحة الطلاق وعدم تنظيم العلاقة الزوجية وحمايتها واعطاء الحرية للرجل دون قيود يدفع الزوجة لانجاب عدد أكبر من الاطفال كوسيلة تضمن بها الارتباط بالزوج ، كذلك يرى البعض أن تعدد الزوجات يرجع اليه بعض زيادة عدد المواليد ، فقد يكون انجاب الزوجة للاناث بدلا من الذكور سببا فى زواج الزوج من أخرى لانجاب عدد من الاطفال ، الا أن هذا العامل لم يثبت بعد دوره فى زيادة عدد المواليد رغم ذلك ٠

الفصل الثامن

سكان تونس (*)

مقـــدمة :

تعد تونس بسكانها الذين بلغ عددهم نحو سبعة ملايين نسمة سنة ١٩٨٤ دولة ذات شخصية سكانية متميزة نتجت عن العلاقة بين ظروف البيئة الطبيعية والمؤثرات الحضارية التى تعرضت لها على امتداد تاريخها. فهى من الدول القليلة التى شهدت حياة حضرية مستقرة منذ زمن بعيد وخاصة فى السهل الساحلى فى الشرق والشمال . كما تعاقبت عليها موجات حضارية مختلفة ارتبطت بالنفوذ الاجنبى الذى تعرضت له منذ عهد الفينيقيين حتى العصر الحديث .

ويعتقد كثير من المؤرخين أو أولى الموجات البشرية التاريخية التى وفدت الى بلاد المغرب هى الموجة الفينيقية التى جاءت من سواحل شرق البحر المتوسط سالكة طريق البحر ثم استقرت فى تونس،وأسس الفينيقيون مدينة قرطاج ومنها انتشروا على طول الساحل الشمالى لبلاد المغرب، ويمكن أن نرجع بالموجة الفينيقية هذه الى القرن الثانى عشر قبل الميلاد.

كما وفد الى بلاد المغرب كثير من اليهود جاءوا فى عدد من الهجرات البشرية يمكن توقيتها على وجه التقريب فيما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن السادس عشر الميلادى . وقد نزلت هجراتهم الاولى على الفينيقيين فى تونس بحكم الصلات الجنسية واللغوية التى تربط بين الفريقين ، ثم توالت الهجرات وانتشرت فى مختلف أنحاء البلاد .

وفى النصف الاول من القرن الميلادى الاول وفدت الموجة الرومانية بعد أن أدى الصراع بين روما وقرطاج الى انهيار الاخيرة واحتل الرومان

(*) راجع الفصل السابع من كتاب :
فتحى محمد أبوعيانة ـ جغرافية تونس ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ ١٩٨٩ ـ ص ص ٧٧ ـ ١٢٠ .

تونس ومنها احتلوا الجزء الباقى من المغرب حتى دخلت البلاد كلها ضمن الامبراطورية الرومانية .

وقد جاء بعد الرومان الوندال . وهم شعب جرمانى هاجم شبه جزيرة ايبيريا واستقر فيها . وقد وصلت هذه الموجة الى المغرب فى القرن الخامس الميلادى عن طريق مضيق جبل طارق وتركزت فى تونس حيث كونت مملكة الوندال، وتلتها الموجات العربية السامية فى ثلاث موجات كانت أولها هجرة الخوارج (٦٦١ ميلادية) بعد أن هزمهم على بن أبى طالب فهربوا الى ساحل تونس ولاتزال سلالتهم باقية حتى الان فى جزيرة جربة وفى الواحات الجنوبية .

أما المجموعة العربية الثانية فكانت موجة الفتح العربى . وقد جاءت ابتداء من سنة ٦٦٩م مباشرة من بلاد العرب وبالتحديد من اليمن والحجاز وكان لهذه الموجة الفضل الاكبر فى نشر اللغة العربية والدين الاسلامى . ثم أعقبتها الموجة العربية الكبرى والاخيرة وهى موجة بنى هلال وبنى سليم فى القرن الحادى عشر الميلادى (١٠٤٥م) والتى أدت الى توطيد أقدام العرب والعروبة فى المغرب بدرجة كبيرة .

والواقع أن أبرز المؤثرات الحضارية التى استوعبتها تونس هى تلك المؤثرات العربية التى إنعكس أثرها على حياة السكان ديانة ولغة حتى أصبحوا يتميزون بتجانس سكانى كبير بدرجة تفوق بقية أقطار المغرب العربى الاخرى والتى تكون المجتمعات البربرية عنصرا رئيسيا من عناصر التركيب السكانى بها .

ومنذ نحو قرن ونصف قرن بدأت تونس وبقية أقطار المغرب موجة الاستعمار الاوربى الحديث . ولم يختلط أصحاب هذه الموجة بسكان البلاد الاصليين كما اختلط العرب من قبل ، ولحسن الحظ أنه لم يتح لهم الوقت الكافى لهذا الاختلاط حيث تخلصت تونس من النفوذ الآجنبى منذ منتصف الخمسينيات . ورغم ذلك فقد كان للاستعمار الفرنسى أثر حضارى واضح فى الحياة التونسية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا الى حد كبير .

وتونس من الدول النامية ذات النمو السكانى المرتفع . وقد نتجت الزيادة الطبيعية المرتفعة للسكان فى الوقت الحاضر عن هبوط معدل الوفيات منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية خاصة فى العقود الاخيرة، وأدى ذلك الى تزايد سكانى كبير حدا بالحكومة الى تبنى سياسة رسمية لتنظيم الانجاب بمختلف الوسائل .

وترتفع الكثافة السكانية فى تونس بدرجة تفوق بقية أقطار المغـرب العربىبعامة ، ولايتوزع السكان على رقعة البلاد توزيعا منتظما بل تتباين الاقاليم فى حجم السكان ونمط توزيعهم وذلك بسبب التباين فى الظروف الجغرافية بين شمال البلاد ووسطها وجنوبها ، أو بين مناخ البحر المتوسط فى الشمال والمناخ شبه الصحراوى (الاستبس) فى الوسط والمناخ الصحراوى فى الجنوب ٠ وتمتد هذه الاقاليم المناخية المتعاقبة امتـدادا عرضيا من الشرق الى الغـرب ، وتتنـاقص كميـة الامطـار من ١٥٠٠ ملليمترا فى الشمال الغربى الى أقل من ١٠٠ ملليمترا فى الجنوب،كما يتزايد انحراف الامطار عن المتوسط السنوى فى نفس الاتجاه ، وتختلف أنماط الحيـاة تبعا لذلك،فتسود الزراعة المستقرة التقليدية والحديثة فى الشمال والشرق والحياة شبه البدوية فى الوسط والجنوب الشرقى ثم البداوة الحقيقية فى الجنـــوب ٠

وقد ساعد الاستعمار الفرنسى على تعميق عدم التوازن بين الاقـاليم التونسية ، فقد اهتم الفرنسيون بتنمية الاقليم الشمالى الرطب والاقاليم الساحلية الشمالية الشرقية وأهملوا الاقاليم شبه الجافة والجافة فى الوسط والجنوب٠وترتب على ذلك تركز الاستيطان الاوربى فى العهد الاستعمارى فى الاقليم الشمالى الرطب الذى تطـورت فيه المراكـز الحضرية الرئيسية حيث كان أربعة أخماس الاوربيين فى تونس يعيشون فى المدن ٠

وقد أدت العلاقات الاقتصادية القوية بين تونس والدول الاوربية الى نمو الموانىء الساحلية الكبرى : تونس وبنزرت وسوسة وصفاقس ٠ وتعد تونس العاصمة ـ وأكبر مدن البلاد ـ المهجر الرئيسى للوافدين من بقية الاقاليم ، وقد تعاظم دورها فى ذلك عقب الأستقلال مباشرة حيث أصبحت ذات هيمنة طاغية على المستوى القومى ٠

بيانات السـكان :

تعد تونس من بين الدول العربية والافريقية القليلة التى يتوفر لديها قدر واف من البيانات السكانية ، فقد بدأت سلسـلة التعدادات بها منـذ مايزيد على مائة سـنة وان كانت قـاصرة فى بدايتهـا سـنة ١٨٨٦ على الفرنسيين فقط الذين أصبح عدهم يتم كل خمس سنوات بعد ذلك وحتى سنة ١٩٠٦ عندما شمل التعداد الطائفة الاوربية مجتمعة ، ثم بدىء فى سنة ١٩٢١ فى تعداد السكان التونسيين ٠

ولا تتميز تعدادات السكان فى السنوات ١٩٢١ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٦ بالدقة

حيث اعتمد على كشوف الضرائب بدلا من استمارات الاستبيان • أما التعدادات التى تلت ذلك فقد توفر لها أكبر قدر من الدقة وخاصة التعدادات الاربعة التى أجريت منذ الاستقلال (١٩٥٦ و ١٩٦٦ و ١٩٧٥ و ١٩٨٤) ، وتوضح بيانات التعدادات الاخيرة مدى التغير العددى والنوعى لسكان تونس فى عهد الاستقلال •

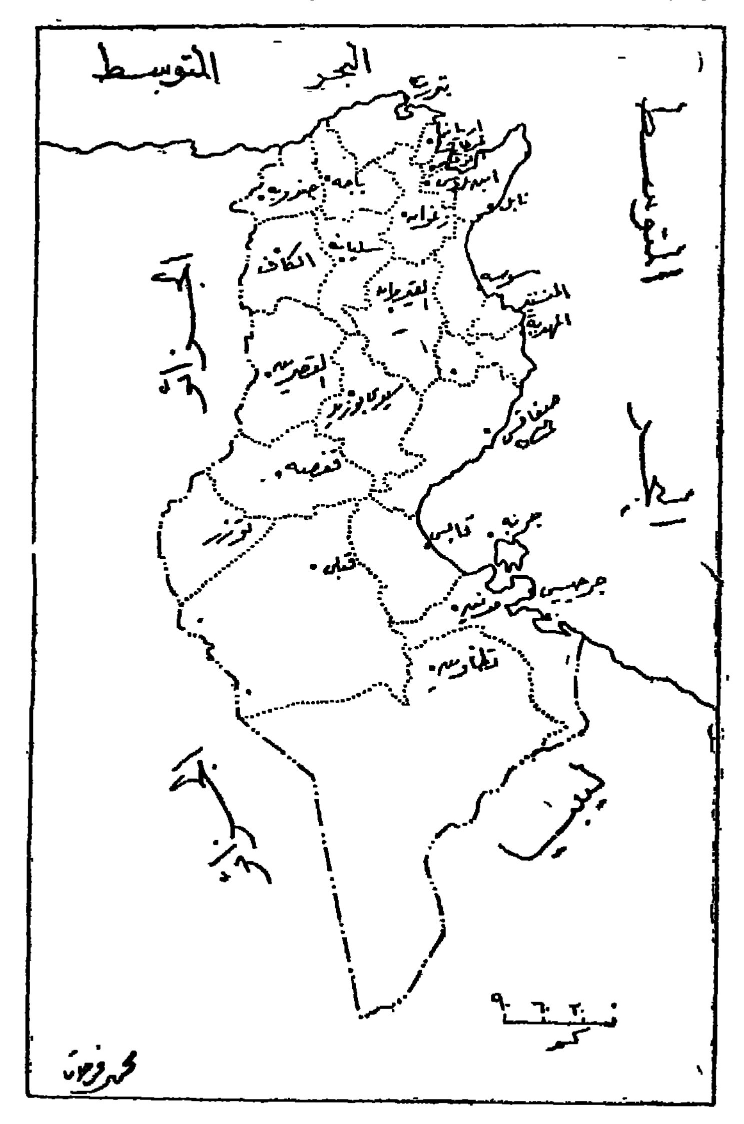
أما الاحصاءات الحيوية فترجع الى سنة ١٨٨٦ بالنسبةللاوربيين والى سنة ١٩٠٨ للتونسيين وان كانت البيانات المتاحة عن التونسيين قليلة وغير وافية قبل سنة ١٩٥٧ ، ربما باستثناء سكان مدينة تونس • وعلى العموم فان تسجيل المواليد يعد أكثر اكتمالا من تسجيل الوفيات ، كما تحسنت احصاءات الحالة الزواجية فى السنوات الاخيرة تحسنا كبيرا وان كانت غير مفصلة بدرجة تجعل التحليل الديموغرافى صعبا ، وأصبح من السهل توزيع الظاهرات الديموغرافية على أساس الولايات التى تنقسم اليها تونس وعددها ثلاث وعشرون ولاية (شكل رقم ٥٤) تضم عددا من المعتمديات، وتضم كل معتمدية عددا من العمادات (الشياخات) •

نمو السكان :

قدر عدد سكان تونس سنة ١٨٦٠ بحوالى ١ر١ مليون نسمة من بينهم نصف مليون يعيشون فى الريف والحضر ، والباقى هم البدو الرحل وشبه الرحل • ومن المحتمل أن سكان تونس فى بداية عهد الاحتلال الفرنسى سنة ١٨٨١ لم يتعدوا رقم المليون نسمة بكثير • وفى ذلك الوقت كان بتونس نحو ٠٠٠ر٣٠ يهودى نصفهم بمدينة تونس والباقى فى الموانىء وجزيرة جربه والمدن الداخلية • كما كان بالبلاد نحو ٠٠٠ر١٠ أوربى معظمهم من المالطيين والايطاليين وعدد قليل من اليونانيين والفرنسيين •• وكان سكان مدينة تونس يتراوحون بين ٨٠ ــ ٩٠ ألف نسمة تليها القيروان(٠٠٠ر٢٠) ثم بنزرت وسوسة وصفاقس بأحجام متواضعة •

وقد تضاعف عدد السكان تقريبا فى أربعين عاما (١٨٨١ ــ ١٩٢١) وعاشت تونس بذلك مرحلة النمو السكانى البدائى الذى يتصف بارتفاع معدلى المواليد والوفيات وبانخفاض معدل الزيادة الطبيعية،الا أن تحسن الظروف الاقتصادية بعد الحرب العالمية الاولى ومواجهة الامراض الوبائية أدى الى هبوط معدل الوفيات وبالتالى تزايد أعداد السكان بسرعة ودخلت تونس مرحلة النمو السكانى المتزايد ، وتضاعف سكانها فى خمسة وثلاثين عاما (١٩٢١ ــ ١٩٥٦) حيث وصل عددهم الى ٨ر٣ مليون نسمة فى تعداد ١٩٥٦ • (جدول رقم ٧١) ثم تضاعف العدد تقريبا بعد ذلك فى فترة

زمنية أقل بلغت ثمانية وعشرين عاما (١٩٥٦ ــ ١٩٨٤) ليصل عــددهم الى حوالى ٧ مليون نسمة فى التعداد الاخير سنة ١٩٨٤ ٠



شــكل رقم (٥٤)
الولايات التونســية

والملاحظ على معدل النمو السكانى أنه أخذ اتجاهـا صاعدا منـذ العشرينيات ، والاقرب الى الظن أن هذا المعدل لم يكن يتجاوز نصف فى المائة حتى سنة ١٩٢٠ ثم ارتفع ليبلغ واحد فى المائة خلال العشرينيات ثم ٢٪ فى بداية الخمسينيات ثم وصل الى ٥ر٢٪ فى منتصف الستينيات ثم مال الى الثبات بعد ذلك رغم ما شهده المجتمع التونسى من تحول اقتصادى واجتماعى بصفة عامة وتبنى الدولة لسياسة تحديد النسل منذ منتصف الستينيات بصفة خاصة ٠

وقد كان النمو السكانى حتى عهـد قريب مرتبطا أساسـا بانخفاض معدل الوفيات كما ذكرنا وخاصة وفيات الاطفال ، الا أن هذا المعدل قد بلغ فى السنوات الآخيرة مستوى منخفضا للغاية بحيث يبدو أن انخفـاض الوفيات مستقبلا سيكون بطيئا جدا ان اعتراها هبـوط ٠ ويبقى النمـو السكانى فى المستقبل رهنا بمستويات الخصوبة السائدة ومعدلات المواليد فى المقام الاول ، وعموما أظهرت بيانات تعدادى السكان فى سنتى ١٩٧٥ ، ١٩٨٤ أن معدلات النمو السكانى لم تنخفض بل اعتراها تزايد طفيف مما يعكس حقيقة هامة هى أن مستويات الخصوبة مازالت مرتفعة فى تونس ٠

جـدول رقم (٧١)

تطور عدد سكان تونس فى الفترة ١٩٢١ ـ ١٩٨٤(١)

	عـدد السـكان			معدل النمو السنوى (٪)	
	التونسيون	الاجانب	جملة السكان	التونسيون	جملة السكان
٦ مارس ١٩٢١	١٨٧٤٩٨١	٢١٨٩٥٨	٢٠٩٣٩٣٩	—	—
٢٠ ابريل ١٩٢٦	١٩١٩١٥١	٢٤٠٥٥٧	٢١٥٩٧٠٨	٥ر٠	٨ر٠
٢٢ مارس ١٩٣١	٢١٤٣٠١٠	٢٦٧٦٨٢	٢٤١٠٦٩٢	٢ر٢	٢ر٢
١٢ مارس ١٩٣٦	٢٣٢٥٢٣٥	٢٨٣٠٧٨	٢٦٠٨٣١٣	٦ر١	٦ر١
١ نوفمبر ١٩٤٦	٢٩٠٤٥٢١	٣٢٦٤٣١	٣٢٣٠٩٥٢	١ر٢	٩ر١
١ فبراير ١٩٥٦	٣٤٤١٦٩٦	٣٤١٤٧٣	٣٧٨٣١٦٩	٨ر١	٨ر١
٣ مايو ١٩٦٦	٤٤٦٦٥١٧	٦٦٨٣٤	٤٥٣٣٣٥١	٥ر٢	٨ر١
٨ مايو ١٩٧٥	٥٥٤٩٠٩٢	٣٩١١٧	٥٥٨٨٢٠٩	٣ر٢	٣ر٢
٣٠ مارس ١٩٨٤	—	—	٦٩٦٦١٧٣	—	٥ر٢

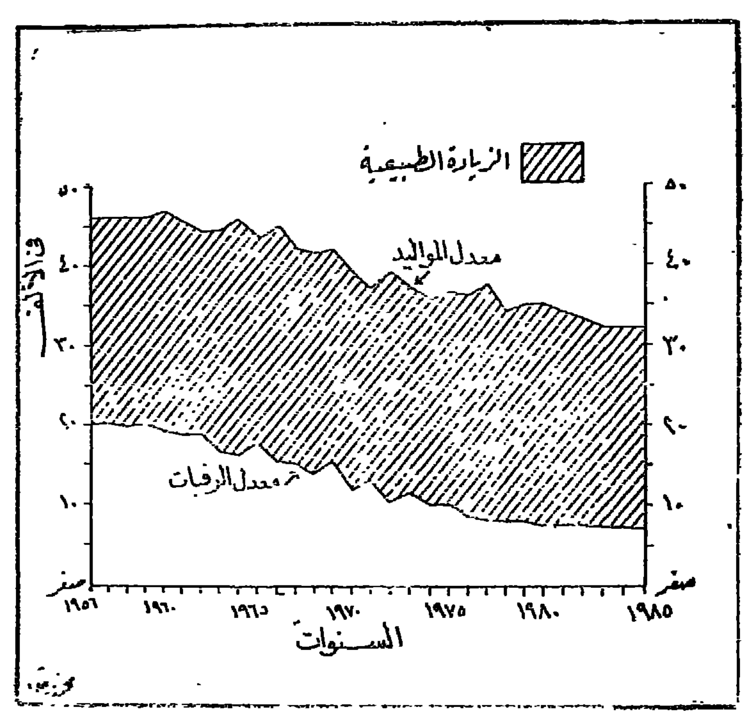
---

(١) المصـــدر :
منصر الرويسى والمنجى بشير : الوضع الديموغرافى وآفاقه المستقبلية ضمن كتاب : جامعة تونس ـ المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر ـ العمران والتنمية فى تونس ـ تونس ـ ١٩٨٦ ـ ص ٤٨ ٠

مكونات النمو السكانى :

المواليد :

يبين الجدول رقم (٧٢) والشكل رقم (٥٥) تطور معدل المواليد فى تونس على امتداد ثلاثين سنة (١٩٥٦ – ١٩٨٥) ويبدو منه أن هذا المعدل ظل ثابتا تقريبا طوال السنوات العشر الاولى من هذه الفترة متراوحا بين ٤٥ الى ٤٦ فى الالف ، ثم بدأ فى الهبوط التدريجى بعد ذلك حتى وصل الى ٣٢ فى الالف سنة ١٩٨٥ ، أى هبط بنسبة الثلث تقريبا خلال العقدين الاخيرين .



شكل رقم (٥٥)

تطور الزيادة الطبيعية فى تونس فى الفترة ١٩٥٦ – ١٩٨٥

والواقع أن الخصوبة فى تونس قد شهدت هبوطا عاما منذ منتصف الستينيات ، ولا يدل انخفاض معدل المواليد على ذلك فقط بل تدل عليه أيضا مقاييس الخصوبة الاخرى ومنها معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة ومعدل الخصوبة الكلية ومعدل التكاثر الاجمالى (جدول رقم٧٣).

ويرتبط الهبوط فى مستوى الخصوبة فى تونس ببعض العوامل أبرزها

التغير الاجتماعى والاقتصادى الذى شهده المجتمع التونسى فى العقود الاخيرة وارتبط به ارتفاع فى متوسط السن عند الزواج ومن ثم تناقص نسبة المتزوجات فى أعمار مبكرة .

جدول رقم (٧٢)

تطور معدل المواليد ومعدل الوفيات فى تونس فى الفترة ١٩٥٦ - ١٩٨٤ (١)

السنة	المعدل فى (الالف)		معدل الزيادة الطبيعية	السنة	المعدل فى (الالف)		معدل الزيادة الطبيعية
	المواليد	الوفيات	٪		المواليد	الوفيات	٪
١٩٥٦	٤٦ر٤	٢٠ر٢	٢ر٦	١٩٧١	٣٦ر٨	١٣ر٢	٢ر٣
١٩٥٧	٤٦ر٥	٢٠ر٦	٢ر٦	١٩٧٢	٣٩ر٠	١٠ر٥	٢ر٩
١٩٥٨	٤٦ر٣	١٩ر٨	٢ر٦	١٩٧٣	٣٦ر٩	١١ر٤	٢ر٥
١٩٥٩	٤٦ر٢	٢٠ر٤	٢ر٦	١٩٧٤	٣٥ر٦	١٠ر٠	٢ر٥
١٩٦٠	٤٦ر٧	١٩ر٣	٢ر٦	١٩٧٥	٤٦ر٥	٩ر٩	٢ر٦
١٩٦١	٤٥ر٤	١٩ر٢	٢ر٦	١٩٧٦	٣٦ر٠	٨ر٧	٢ر٧
١٩٦٢	٤٤ر٣	١٩ر٣	٢ر٥	١٩٧٧	٣٧ر٤	٨ر١	٢ر٩
١٩٦٣	٤٤ر٦	١٧ر٢	٢ر٧	١٩٧٨	٣٤ر١	٨ر٠	٢ر٦
١٩٦٤	٤٦ر٢	١٦ر٤	٣ر٠	١٩٧٩	٣٤ر٨	٨ر١	٢ر٧
١٩٦٥	٤٣ر٥	١٧ر٨	٢ر٥	١٩٨٠	٣٤ر٨	٧ر٦	٢ر٧
١٩٦٦	٤٥ر١	١٥ر٣	٢ر٧	١٩٨١	٣٤ر١	٧ر٦	٢ر٧
١٩٦٧	٤٢ر١	١٥ر٢	٢ر٥	١٩٨٢	٣٢ر٩	٧ر٤	٢ر٦
١٩٦٨	٤١ر٣	١٣ر٩	٢ر٥	١٩٨٣	٣١ر٨	٧ر٣	٢ر٥
١٩٦٩	٤١ر٩	١٥ر٣	٢ر٦	١٩٨٤	٣١ر٨	٧ر٣	٢ر٥
١٩٧٠	٣٨ر٨	١٢ر٣	٢ر٦	١٩٨٥	٣٢ر٠	٧ر٠	٢ر٥

وقد سلكت تونس منذ بداية الستينيات سياسة ترمى الى الحد من التزايد السكانى وسنت قوانين تهدف الى تنظيم الزواج والسلوك الانجابى

---

(١) المصدر :

(1) Marcoux, A., "La Croissance de la Population de la Tunisie", Population, Mars, 1971, p. 107.

منصر الرويسى : الوضع الديموغرافى وآفاقه المستقبلية - ضمن كتاب - جامعة تونس - المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر - العمران والتنمية فى تونس - تونس - ١٩٨٦ - ص ٥١ .

مثل قانون فبراير ١٩٦٣ الذى رفع السن الادنى للزواج من ١٥ ـ ١٧ سنة للاناث ومن ١٨ الى ٢٠ سنة للذكور ، والقانون الخاص بالوسائل الواقية من الحمل التى كانت ممنوعة (سنة ١٩٦١) والقانون المتعلق بتحرير الاجهاض من كل قيد وفى اطار القانون (١٩٦٥ ، ١٩٧٣) ، وقد أنشأت الحكومة جهازا يعنى بمتابعة سياسة (التنظيم العائلى) عرف منذ سنة ١٩٧٣ باسم الديوان القومى للاسرة والعمران البشرى .

وقد أسهمت كل هذه الجهود وما طرأ على مكانة المرأة فى المجتمع من تغير بسبب التعليم والعمل وتزايد نسبة سكان المدن ـ أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر فى تغيير السلوك الانجابى والميل الى الحد من عدد المواليد ويتضح من دراسة أجريت سنة ١٩٨٣ أن ٩٧٪ من النساء المتزوجات على دراية بوسائل الوقاية من الحمل وأن قرابة ٤١٪ منهن تستعملن احدى هذه الوسائل .

جدول رقم (٧٣)

التغير فى معدلات الخصوبة فى تونس فى الفترة ١٩٦٦ ـ ١٩٨٤(١)

فئات السن للاناث	معدل الخصوبة العمرية الخاصة ١٩٦٦/١٩٦٧	١٩٨٤	نسبة الهبوط ٪
١٥ ـ ١٩	٧٧ر٧	٣١ر٠	٥٧ر٣
٢٠ ـ ٢٤	٢٨٤ر٠	١٨٩ر٤	٣٣ر٤
٢٥ ـ ٢٩	٣٢٤ر٦	٢٥٥ر٧	٢١ر٢
٣٠ ـ ٣٤	٢٩٦ر٨	٢١٤ر٢	٢٧ر٨
٣٥ ـ ٣٩	٢٢٨ر٢	١٥٠ر١	٣٤ر٢
٤٠ ـ ٤٤	١١٣ر١	٦١ر٩	٤٥ر٢
٤٥ ـ ٤٩	٣٣ر١	١٨ر٢	٤٥ر٠
معدل الخصوبة الكلية	٦ر٨	٤ر٦	٣٢ر٠
معدل التكاثر الاجمالى	٣ر٣	٢ر٣	٣٠ر٣

الوفيـــات :

يبين الجدول رقم (٧٢) والشكل رقم (٥٥) تطور معدل الوفيات فى

---

(١) المصـــدر :
منصر الرويسى والمنجى بشير ـ المرجع السابق . صص ٦٤ ـ ٨٤ .
أما نسبة الهبوط فمن حساب المؤلف .

تونس منذ سنة ١٩٥٦ ، ومنه يتضح أن هذا المعـدل قد هبط من ٢٠ فى الالف فى تلك السنة الى ١٥ فى الالف سنة ١٩٦٦ ثم الى نحو ٩ فى الالف سنة ١٩٧٦ حتى بلغ ٧ فى الالف فقط سنة ١٩٨٥ ، أى أنه هبـط بنسـبة الثلثين فى مدى ثلاثين عاما ، وأصبحت تونس بذلك من الدول ذات نسبة الوفيات المنخفضة فى العالم (المغرب ١٥ فى الالف والجزائر ١٣ ومصر ١١ والولايات المتحدة ٩ سنة ١٩٨٢)(*) .

وتعد وفيات الاطفال الرضع والاطفـال دون الخـامسة من المؤشرات الهامة للوقوف على مستوى الوفيات السائد ، وقد انخفضت نسبة وفيات الرضع (دون السنة) فى تونس من ١٥٩ فى الالف سـنة ١٩٦٠ الى ٦٥ فى الالف سنة ١٩٨٢ وبنسبة هبوط وصلت الى ٥٩٪ ، كذلك هبطت معدلات وفيات الاطفال (من ١ ــ ٤ سنوات) من ٣٦ فى الالف سنة ١٩٦٠ الى ٦ فى الالف سنة ١٩٨٢ .

ويرتبط هذا الهبوط الكبير فى مستوى الوفيات بتونس بالتوسع الكبير فى الخدمات الصحية فى البلاد منذ بداية عهد الاستقلال ، وانعكس ذلك بدوره على تزايد الفـرق بين معدل المواليد والوفيات وبالتـالى اتجـاه الزيادة الطبيعية الى التزايد (لان معدل الوفيات يهبط بنسبة أكبر من معدل المواليد) ومن ثم استمر معـدل النمـو الطبيعى للسكان مرتفعـا ولا تختلف تونس فى ذلك عن معظم الدول النامية .

وقد أدى الهبوط فى معدلات الوفيات بتونس الى تزايد أمد الحيـاة للسكان ، فقد ارتفع أمد الحياة للذكور من ٤٨ سنة فى عـام ١٩٦٠ الى ٦٠ سنة عام ١٩٨٢ وللاناث من ٤٩ سنة الى ٦٣ سنة (الجـزائر من ٤٦ سنة الى ٥٥ سنة للذكور ومن ٤٨ الى ٥٩ للاناث ، ومصر من ٤٦ ــ ٥٦ للذكور ومن ٤٧ ــ ٥٩ للاناث) .

تقدير حجم السكان فى المستقبل :

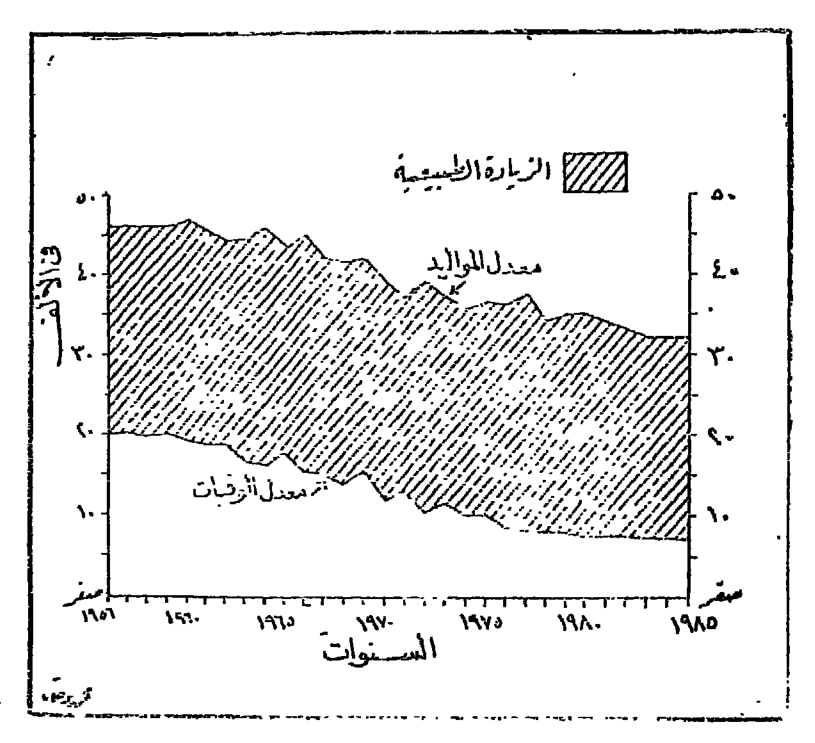
سبق القول بان معدل النمو السـكانى فى تونس والذى يقـدر بنحو ٢ر٢٪ فى الوقت الحاضر يعد من المعدلات المرتفعة التى تجعل البلاد تعيش مرحلة التضخم السكانى الذى تعانى منه دول نامية كثيرة ، ورغم هبوط

(*) تقدر الامم المتحـدة أن معـدل المواليد فى تونس مكتمل بنسبة ١٠٠٪ ، أما معدل الوفيات فهو مكتمل بنسبة ٧٣٪ ، وأنه يقدر فى الفترة من (٧٥ ــ ١٩٨٠) بنحو ١١ فى الالف .

مكونات النمو السكانى :

المواليد :

يبين الجدول رقم (٧٢) والشكل رقم (٥٥) تطور معدل المواليد فى تونس على امتداد ثلاثين سنة (١٩٥٦ - ١٩٨٥) ويبدو منه أن هذا المعدل ظل ثابتا تقريبا طوال السنوات العشر الاولى من هذه الفترة متراوحا بين ٤٥ الى ٤٦ فى الالف ، ثم بدأ فى الهبوط التدريجى بعد ذلك حتى وصل الى ٣٢ فى الالف سنة ١٩٨٥ ، أى هبط بنسبة الثلث تقريبا خلال العقدين الاخيرين .



شكل رقم (٥٥)
تطور الزيادة الطبيعية فى تونس فى الفترة ١٩٥٦ - ١٩٨٥

والواقع أن الخصوبة فى تونس قد شهدت هبوطا عاما منذ منتصف الستينيات ، ولا يدل انخفاض معدل المواليد على ذلك فقط بل تدل عليه أيضا مقاييس الخصوبة الاخرى ومنها معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة ومعدل الخصوبة الكلية ومعدل التكاثر الاجمالى (جدول رقم٧٣) .

ويرتبط الهبوط فى مستوى الخصوبة فى تونس ببعض العوامل أبرزها

التغير الاجتماعى والاقتصادى الذى شـهده المجتمع التونسى فى العقـود الاخيرة وارتبط به ارتفاع فى متوسـط السن عنـد الزواج ومن ثم تناقص نسبة المتزوجات فى أعمار مبكرة ٠

جـدول رقم (٧٢)

تطور معدل المواليد ومعدل الوفيات فى تونس فى الفترة ١٩٥٦ ــ ١٩٨٤(١)

السنة	المعدل فى (الالف)		معدل الزيادة الطبيعية %	السنة	المعدل فى (الالف)		معدل الزيادة الطبيعية %
	المواليد	الوفيات			المواليد	الوفيات	
١٩٥٦	٤٦ر٤	٢٠ر٢	٢ر٦	١٩٧١	٣٦ر٨	١٣ر٢	٢ر٣
١٩٥٧	٤٦ر٥	٢٠ر٦	٢ر٦	١٩٧٢	٣٩ر٠	١٠ر٥	٢ر٩
١٩٥٨	٤٦ر٣	١٩ر٨	٢ر٦	١٩٧٣	٣٦ر٩	١١ر٤	٢ر٥
١٩٥٩	٤٦ر٢	٢٠ر٤	٢ر٦	١٩٧٤	٣٥ر٦	١٠ر٠	٢ر٥
١٩٦٠	٤٦ر٧	١٩ر٣	٢ر٦	١٩٧٥	٤٦ر٥	٩ر٩	٢ر٦
١٩٦١	٤٥ر٤	١٩ر٢	٢ر٦	١٩٧٦	٣٦ر٠	٨ر٧	٢ر٧
١٩٦٢	٤٤ر٣	١٩ر٣	٢ر٥	١٩٧٧	٣٧ر٤	٨ر١	٢ر٩
١٩٦٣	٤٤ر٦	١٧ر٢	٢ر٧	١٩٧٨	٣٤ر١	٨ر٠	٢ر٦
١٩٦٤	٤٦ر٢	١٦ر٤	٣ر٠	١٩٧٩	٣٤ر٨	٨ر١	٢ر٧
١٩٦٥	٤٣ر٥	١٧ر٨	٢ر٥	١٩٨٠	٣٤ر٨	٧ر٦	٢ر٧
١٩٦٦	٤٥ر١	١٥ر٣	٢ر٧	١٩٨١	٣٤ر١	٧ر٦	٢ر٧
١٩٦٧	٤٢ر١	١٥ر٢	٢ر٥	١٩٨٢	٣٢ر٩	٧ر٤	٢ر٦
١٩٦٨	٤١ر٣	١٣ر٩	٢ر٥	١٩٨٣	٣١ر٨	٧ر٣	٢ر٥
١٩٦٩	٤١ر٩	١٥ر٣	٢ر٦	١٩٨٤	٣١ر٨	٧ر٣	٢ر٥
١٩٧٠	٣٨ر٨	١٢ر٣	٢ر٦	١٩٨٥	٣٢ر٠	٧ر٠	٢ر٥

وقد سلكت تونس منذ بداية الستينيات سياسة ترمى الى الحـد من التزايد السكانى وسنت قوانين تهدف الى تنظيم الزواج والسلوك الانجابى

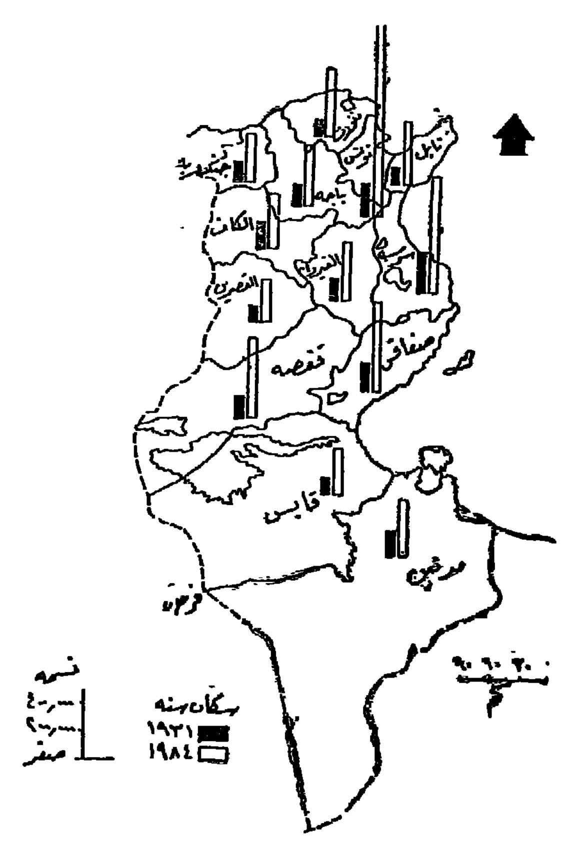
(١) المصـــدر :

(1) Marcoux, A., "La Croissance de la Population de la Tunisie", Population, Mars, 1971, p. 107.

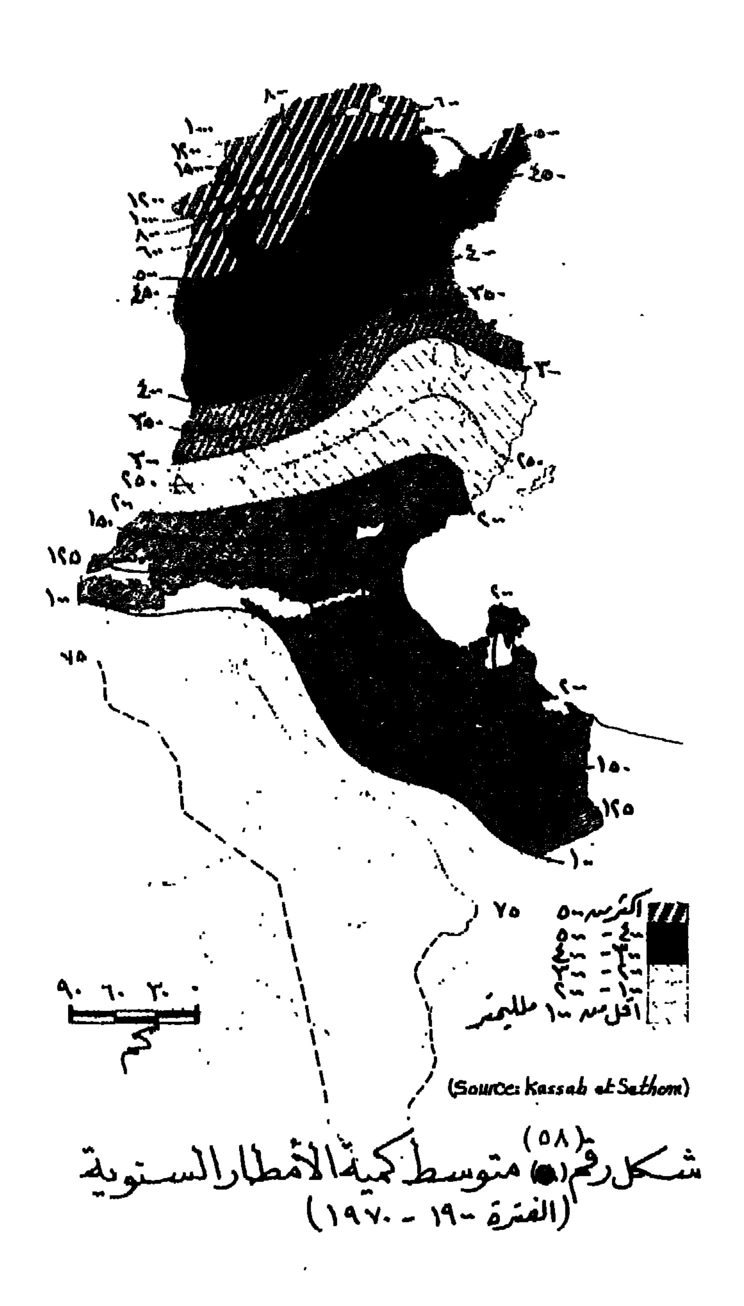
منصر الرويسى : الوضـع الديموغـرافى وآفـاقه المستقبلية ــ ضمـن كتاب ــ جامعة تونس ــ المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر ــ العمران والتنمية فى تونس ــ تونس ــ ١٩٨٦ ــ ص ٥١ ٠

التعدادات حيث يتزايد نصيب الشمال باستمرار ويتناقص نصيب الجنوب أما اقليم الوسط الغربى والوسط الشرقى (الساحل) فنسبة السكان بهما متوازنة الى حد كبير طوال هذه الفترة ٠

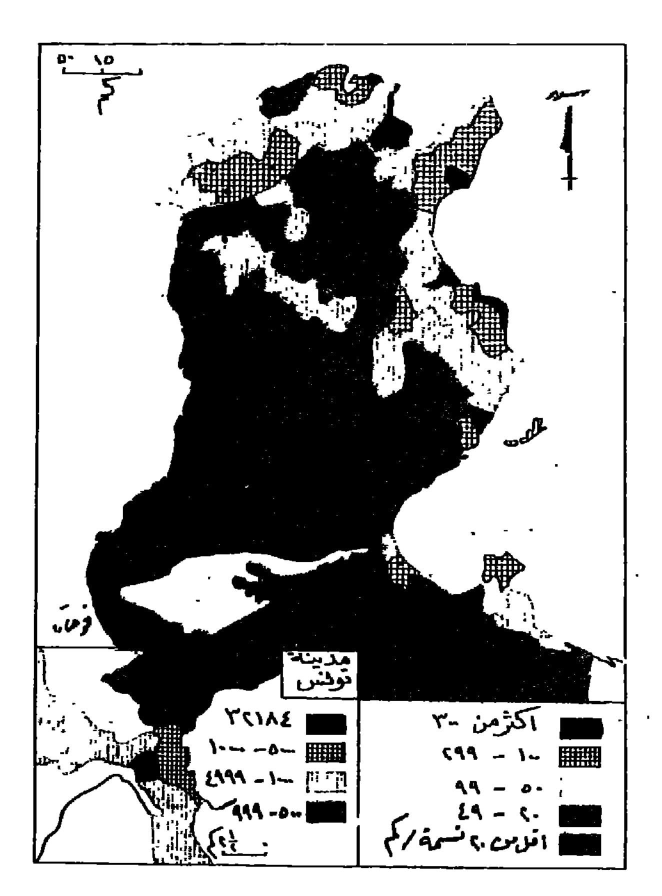
وبالاضافة الى ذلك فمن الملاحظ أن الاهمية النسبية لسكان الشمال الشرقى والشمال الغربى والوسط الشرقى والجنوب تكاد تكون متساوية سنة ١٩٢١ ثم بدأت تتباين بعد ذلك ومال التركز السكانى نحو الشمال الشرقى على حساب الشمال الغربى والجنوب ، ويعكس ذلك ظاهرة هامة هى أن السكان فى تونس يتحركون جغرافيا بدرجة كبيرة من اقليم لاخر، وان كان الشمال الشرقى يمثل أهم قطب جاذب للوافدين والشمال الغربى والجنوب أهم الاقاليم الطاردة وانعكس ذلك على تزايد سكان الولايات الشمالية والوسطى تزايدا كبيرا فاق ولايات الجنوب (شكل رقم ٥٦) ٠



شكل رقم (٥٦)
نمو سكان الولايات التونسية (١٩٣١ – ١٩٨٤)



شكل رقم (٥٨) متوسط كمية الأمطار السنوية
(الفترة ١٩٠٠ - ١٩٧٠)



شكل رقم (٥٧) كثافة السكان في تونس (١٩٧٥)

وتعكس خريطة توزيع السكان فى تونس مدى الارتباط بين أنماط التوزيع والموارد الطبيعية للاقاليم (شكل رقم ٥٧) فالساحل الشرقى يحتوى على أخصب السهول وتتوفر به المياه ومن ثم تقوم به الزراعة،كما يمثل الواجهة المطلة على عالم البحر المتوسط ومنطقة الالتقاء بين تونس والعالم الخارجى ، ولذلك استقطب الاغلبية الساحقة من المدن وكذلك النشاطات التجارية والصناعية والسياحية ، وتاتى المناطق الوعرة نسبيا فى الشمال الغربى وسلسلة جبال الظهر وكذلك المناطق الاكثر جفافا فى نطاق الاستبس وفى الصحراء عكس ذلك تماما ، فهى أقل جاذبية للسكان بل وطاردة لهم ، ولذلك تنخفض الكثافات السكانية بطريقة مطردة مع انخفاض كمية الامطار .

وبالاضافة الى ذلك فان التباين الاقليمى بين تونس الساحلية الشرقية من بنزرت الى جربة وتونس الداخلية يرتبط بالعوامل التاريخية والبشرية التى جعلت الواجهة الساحلية تستقطب النسبة الاكبر من القوة العاملة بها من داخل البلاد وهؤلاء أسهموا بنصيب كبير فى دعم اقتصاد المناطق الساحلية وتطوير زراعاتها وصناعاتها الحديثة وكذلك نشاطها السياحى الذى تعاظم دوره فى اقتصادياتها منذ أوائل السبعينيات ، ولا ريب أن الاستثمارات الضخمة التى أنجزت فى الاقليم الساحلى الشرقى منذ الاستقلال فى مختلف الميادين والتى بلغت نحو ٩٠٪ من الاستثمارات فى تونس ساعدت على جعل المنطقة الشرقية قبلة كل التونسيين .

ومعنى ذلك أنه فى خلال الخمسين سنة الاخيرة أسهمت حركة السكان الجغرافية فى انتقال نسبة كبيرة من سكان المناطق الداخلية نحو المناطق الساحلية الشرقية ، ومعنى ذلك أن الكثافات السكانية المرتفعة فى الوقت الحاضر والتحضر السريع للواجهة الساحلية الشرقية هو نتيجة الهجرات الداخلية نحو ساحل تونس الشرقى ، والنزوح من الريف نحو المدن وتاثر التوزيع الحالى للسكان كذلك بهجرة العمال التونسيين نحو الخارج ، وقد ساهمت هذه التحركات السكانية فى تقلص نسبى لسكان الريف وارتفاع مطرد لسكان المدن ، وتراجع نسبى لسكان المناطق الداخلية ونمو متواصل لسكان ولايات الواجهة الشرقية .

توزيع الكثافة السكانية :

انعكس التزايد فى حجم السكان فى تونس منذ مابعد الحرب العالمية الاولى على تزايد مضطرد فى متوسط الكثافات السكانية بها ، فقد تزايدت

فى المناطق الريفية المجاورة التى تسود بها زراعة كثيفة معتمدة على الامطار (بعلية) وعلى الرى (سقوية) ، ولكنها تنخفض فى مناطق الزراعة البعلية الواسعة والمساحات الغابية أو الاراضى غير الصالحة للزراعة كما هى الحال فى معتمديات أوتيك وماطر وسجنان وجومين فى ولاية بنزرت حيث تتراوح الكثافة بين ٤٥ ـ ٧٠ نسمة فى الكيلو متر المربع .

ومن الظاهرات التى تلفت النظر فى الشمال التونسى انخفاض الكثافة فى ولاية زغوان رغم انتمائها للواجهة الساحلية الشرقية وقربها من العاصمة فقد بلغ متوسط الكثافة بها ٤٣ نسمة/كم٢ سنة ١٩٨٤ وهى تشبه فى ذلك الكثافة فى اقليم التل الاعلى واقليم الوسط الغربى . ولما كان انخفاض الكثافة فى الاقليمين الاخيرين يرجع أساسا لظروف المناخ الصحراوى السائد بهما وضعف النشاط الزراعى فان الوضع يختلف فى ولاية زغوان الرطبة والغنية بتربتها الخصبة وامكاناتها الزراعية والصناعية المتنوعة ، فقد عرفت هذه الولاية نمط الملكيات الواسعة فى عهد الحماية الفرنسية،واستمر هذا النمط سائدا بعد الاستقلال متمثلا فى الضيعات العمومية والوحدات الانتاجيةالحكومية والخاصة فى الوقتالحاضر والتى تمارس زراعة الحبوب معتمدة على الامطار ومستخدمة الالات الزراعية على نطاق واسع مما أدى الى ضعف الكثافة السكانية خاصة أن الولايات لايوجد بها الا عدد قليل من المدن والقرى ولاتزيد نسبة التحضر بها عن ٢٥٪ مقابل ٥٣٪ كمتوسط قومى .

وعلى ذلك فان أعلى الكثافات فى تونس توجد فى المواجهة الساحلية الشرقية ، وتتركز بوجه خاص فى اقليم تونس العاصمة ، والمنطقة الحضرية لبنزرت ـ منزل بورقيبة وساحل بنزرت وحول سوسة والمنستير والمهدية ، والمجمعة الحضرية لصفاقس الكبرى وأخيرا قابس الكبرى وجزر جربة وقرقنة .

أما المنطقة الاخرى التى ترتفع فيها الكثافة السكانية فى تونس وان كانت اقل من الواجهة الساحلية الشرقية فهى منطقة المرتفعات الجبلية الشمالية الغربية (جبال خمير ومرتفعات باجة) ويصل متوسط الكثافة بها الى ٨٠ نسمة فى الكيلو متر المربع فى المتوسط ، وليس هناك من تفسير لارتفاع الكثافة فى جبال خمير سوى أنها كانت تمثل الملاجىء منذ عهد بعيد وجذبت اليها سكان السهول المجاورة هربا من الحروب واستبداد السلطات الحاكمة ، وخاصة أنها بقيت خارج التدخل الاستعمارى الزراعى ويتضاءل فيها النشاط التعدينى الى حد كبير ، ولذلك بقيت منطقة عزلة

استمرت فيها الروابط الاجتماعية التقليدية الموروثة متينة ولم تتفكك حتى بعد الاستقلال ولم تشهد نزوحا ريفيا الا مؤخرا • وعلى العموم فان ولاية جندوبة والتى تضم كل جبال خمير تتصف بكثافة سكانية عالية تصل الى ١١٦ نسمة/كم٢ وهى بذلك الولاية الوحيدة داخل الجمهورية التى تصل فيها الكثافة الى رقم يشبه مثيله فى الولايات السبع الاخرى الواقعة على الساحل الشرقى •

مناطق الكثافة السكانية المنخفضة :

تسود الكثافة المنخفضة (أقل من ٦٠ نسمة/كم٢) فى مناطق واسعة من تونس ، ويبدأ نطاق الكثافة المنخفضة من اقليم التل الاعلى فى ولايتى الكاف وسليانة ، ويرجع ذلك الى مظاهر السطح الجبلية والتى يتخللها سهول ممتدة تسود فيها زراعة الحبوب البعلية الواسعة والتى تستخدم الآلات على نطاق كبير ، بالاضافة الى ذلك تتصف هذه المنطقة بالملكيات الواسعة التعاونية والخاصة فى أخصب أراضى المنطقة مما تسبب فى تقلص سوق العمل وظهور نزوح ريفى مبكر ومتزايد ومستمر منذ مايزيد على نصف قرن •

وتستمر الكثافة فى انخفاضها تدريجيا نحو الجنوب فى اتجاه نطاق الاستبس حيث تتراوح بين ٣٠ ـ ٤٥ نسمة فى الكيلو متر المربع ، وتتمثل فى نطاق الاستبس الاعلى(ولاية القصرين) أو الادنى(ولاية سيدى أبوزيد) وتقل الكثافة عن ٣٠ نسمة/كم٢ بالاتجاه جنوبيا •

والواقع أن اقليم الاستبس الذى تتراوح أمطاره بين ٤٠٠ ـ ١٥٠ ملليمتر اقليم قليل السكان يتميز توزيعهم فيه بالتبعثر (شكل رقم ٥٨)، شهد تنمية زراعية علمية فى بعض مناطقه وقد ارتبط بها العمل على توطين البدو ونمت بعض مدنه ومنها القيروان من ٣٤٠٠٠ نسمة سنة ١٩٥٦ الى ٧٢٠٠٠ نسمة فى ١٩٨٤ ، أما فى الاستبس الاعلى فمازالت البداوة المتنقلة هى الحرفة السائدة وترتبط بزراعة الحبوب وجمع حشائش الحلفا لصناعة الورق ، وقد أنشىء فى مدينة القصرين فى السنوات الاخيرة مصنع لصناعة عجينة الورق من الحلفا مما أدى الى نمو سكانى كبير لهذه المدينة الصغيرة •

ومن الظاهرات المرتبطة بتوزيع المدن فى نطاق الاستبس أن كثيرا منها يتخذ كمحطات مرحلية Stepping Stones للمهاجرين نحو المدن الكبرى •

أما النطاق الصحراوى فى جنوب تونس والذى يقع الى الجنوب من خط مطر ١٥٠ ملليمتر فان الكثافة منخفضة فيه للغاية ولايحوى أكثر من

١٥٪ من السكان رغم أن مساحته تصل الى ٥٥٪ من مساحة البلاد ، ومن ثم تنخفض فيه الكثافة الى أقل من ١٠ نسمة فى الكيلو متر المربع ويتركز السكان به فى المراكز العمرانية الحضرية والتعدينية والواحات مثل قفصة والجريد ونفطة وقبلى وكذلك فى شبه جزيرة جرجيس حيث تسود زراعة الزيتون وكذلك فى القرى الجبلية فى مرتفعات القصور حيث يعيش سكان مستقرون وأشباه بدو .

الهجـــرة

عرفت تونس الهجرة السكانية منذ عهد بعيد ، وتمثل ذلك فى انتقال عدد من سكان الجنوب والاستبس فى سنوات الجفاف الى الشمال التونسى الرطب والاخضر ، وكانت هذه الهجرات اما مؤقتة أو دائمة حسب حدة أزمات الجفاف ومدى قدرة المهاجرين على الاندماج فى الاقاليم الشمالية والحصول على وسيلة عيش دائمة ، كذلك عرف التونسيون هجرة مبكرة نحو الخارج فى فترة الحماية بل وقبلها نحو الغرب الى الجزائر الشرقية أو نحو الشرق الى طرابلس وأحيانا الى مصر وان كانت بأعداد قليلة .

ولكن تونس شهدت منذ الثلاثينيات من هـذا القرن ظاهرة هجرية جـديدة تمثلت فى النـزوح الريفى Rural Exodus بالمعنى الديمـوغرافى المعاصـر ، وارتبطت تلك الظاهرة بعدة عوامل لعـل أبرازها استحواذ المستعمرين الاوربيين على نحو خمس الاراضى التونسية السهلية الرطبـة فى الشمال ، وقد ترتب على ذلك تغيرات عميقة فى الريف التونسى لعـل من أبرزها حدوث أزمات اجتماعية ارتبطت بالتزايد السكانى الكبير الذى شهدته تونس منذ أوائل الثلاثينيات مما أدى الى ارتفاع الكثافة السكانية بكل الاقـاليم والى تفكك فى الروابط الاجتمـاعية التقليدية ، وتحـولت مناطق كثيرة الى مناطق طرد سكانى لاعـداد متزايدة من سكانها نحـو المراكز الحضرية فى الشمال الشرقى والشرق .

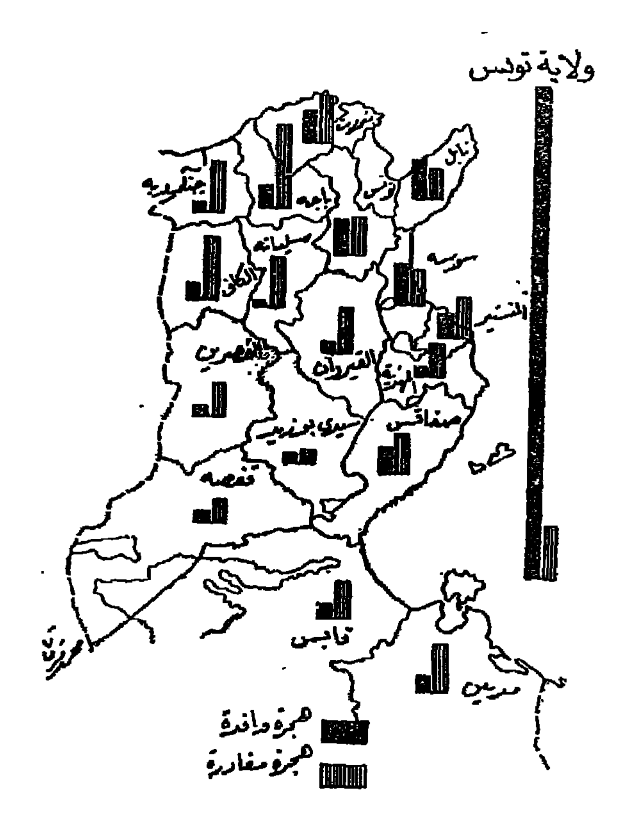
ومنذ أوائل الستينيات ـ أى بعد الاستقلال ـ بدأت الهجرة التونسية باعداد ليست قليلة نحو الخارج خاصة نحو فرنسا وغرب أوربا ، وساعد على ذلك عوامل الجذب القوية على أثر التطور الاقتصادى الكبير الذى شهدته أوربا وتوفر فرص العمل بسهولة ، ثم تلا ذلك هجرة بأعداد كبيرة نحو ليبيا المجاورة وذلك فى أوائل السبعينيات بعد التطور الكبير فى انتاج البترول بها وتزايد عوائده وتوفر فرص العمل بمعدلات كبيرة للوافـدين من الخارج ، وكان لهذه الهجرات الخارجية أثر كبـير على ريف تونس ومدنها وعلى كثافة السكان بأقاليمها المختلفة ومستويات العمل بها .

الهجـرة الداخلية :

أوضحت بيانات التعـدادات السـكانية فى تونس منذ سنة ١٩٢١ أن تيارات الهجرة الريفية نحو المدن لم تبدأ الا فى أوائل الثلاثينيات،فبينما كانت نسبة نمو سكان الريف والحضر متقاربة فى الفترة التعدادية ٢٦ ــ ١٩٣٦ ، أخذ معدل النمو السكانى للمدن فى التزايد على حساب الريف وذلك بشكل مطرد حتى بلغ أقصاه عام ١٩٦٦ ، ففى الوقت الذى زادت فيه نسبة النمو السكانى فى الريف من ٥ر١٪ سنويا فى الفترة التعـدادية ٣٦ ــ ١٩٥٦ الى ٨ر١٪ فقط فى الفترة من ٥٦ ــ ١٩٦٦ ، ارتفعت نسـبة النمو السـكانى فى الحضر الى ٩ر٢٪ فى الفـترة الاولى ثم الى ٩ر٣٪ فى الفترة الثانية ٠ ولكن ابتداء من منتصف الستينيات تراجعت نسبة نمـو سكان الريف والحضر معا لانخفاض معدل النمو السكانى القومى من ٦ر٢٪ سنويا فى الفترة ٥٦ ــ ١٩٦٦ الى ٣ر٢٪ فى الفترة ٦٦ ــ ١٩٧٥ ، وذلك لاسباب من أهمها تزايد تيار الهجرة الخارجية التونسية نحو أوربا وليبيا وكذلك بداية انخفاض معدل المواليد وان كان هبوطا طفيفا ٠ فقد أظهرت بيانات تعداد سـنة ١٩٨٤ أن تقـلص النزوح الريفى الذى بدأ فى الفترة التعدادية ٦٦ ــ ١٩٧٥ قد استمر بعد ذلك وتبع هذا التحول انخفـاض مواز لنسبة نمو سكان المدن ، فقد ارتفع معدل نمو سكان الريف الى ٢٪ سنويا مقـابل ٣٪ لسـكان الحضر وذلك رغم انخفـاض هجـرة العمال التونسيين نحو الخارج منذ سنة ١٩٧٤ وحتى الوقت الحاضر ٠

وقد أدت الهجرة من الريف للحضر الى تحـول جذرى فى المجتمـع التونسى ولعل أبرز نتائجها التناقص المستمر فى عدد سكان الريف وتزايد مقابل لسكان الحضر ، فقد تزايدت نسبة سكان المدن من ٣٠٪ من جمـلة سكان تونس سنة ١٩٣٦ الى ٣٥٪ سنة ١٩٤٦ ثم الى ٤١٪ سـنة ١٩٥٦ و ٤٨٪ سنة ١٩٧٥ ثم الى ٥٦٪ سنة ١٩٨٤ وقد أصبحت تيارات الهجـرة الداخلية اليوم أكثر فأكثر تيارات هجرة بين المدن أكثر منها بين الريف والمـدن أى أن النزوح الريفى الذى كان ظاهـرة مهيمنـة منـذ منتصف الثلاثينيات وحتى أوائل الستينيات ــ تقلص وأصبح أقل أهمية من الهجرة بين المـدن ٠

ورغم أن كل الاقاليم فى تونس قد شهدت هجرة داخلية الا أن تياراتها لم تبدأ فى وقت واحد كما لم تكن بمعدلات متشابهة ، وتتباين هذه الاقاليم فى العوامل الكامنة لطرد المهاجرين أو جذبهم كما تتباين فى النتائج التى ترتبت على الهجرة السكانية بها ٠



شكل رقم (٥٩)
صافى الهجرة بين الولايات التونسية (١٩٧٥)

مناطق الطـرد :

شهدت أقاليم الوسط والجنوب التونسى هجـرة مبكرة منـذ منتصف الثلاثينيات ، واتجهت هذه الهجرة نحـو الشمال ، وقـد كانت أقـاليم الجفارة ومطماطة وقابس ونفزاوه والجريد والاستبس الاعلى والادنى بما فيها منطقة القيروان والساحل ، أهم المناطق التى دفعت بالمهاجـرين فى الفترة التعدادية ٣٦ ــ ١٩٥٦ ٠ وقـد ارتبطت هذه الهجـرات بسنوات الجفاف الطويلة التى بدأت فى سنة ١٩٣٦ واستمرت حتى سنة ١٩٤٨ ، وعانت منها أقاليم الوسط والجنوب معاناة شديدة ٠

ولعبت تونس العاصمة الدور الرائد كمركز جذب للمهاجرين (شـكل رقم ٥٨) ، كما شاركها فى ذلك الوطن القبلى (نابل) والمنطقـة الشرقية الممتدة فى اقليم بنزرت حتى صفاقس واقليم قفصة التعدينى ، وترتب على

ذلك تزايد سكان هذه المناطق،فقد تضاعف عدد سكان مدينة تونس ـ على سبيل المثال من ٢٦٥٠٠٠ الف نسمة الى ٥٩٠٠٠٠ نسمة فى عشرين عاما (١٩٣٦ ـ ١٩٥٦) ٠

أما الاقليم الشمالى الغربى الذى كان يتميز باستقرار سكانى فى الماضى عكس الوسط والجنوب فقد بدأ يشهد هو الاخر تيارات هجرة مغادرة تصاعدت حدتها بعد الاستقلال بل أصبحت ولايات هذا الاقليم وهى باجة وجندوبة والكاف وسليانة أهم مصدر للمهاجرين نحو العاصمة حتى اليوم ٠ تليها فى ذلك منطقة الجنوب الشرقى وساحل سوسة ٠ وقد كانت البطالة الجزئية والكلية وتفاقمها بين العمال الريفيين بالاضافة الى ارتفاع معدلات التزايد السكانى وظهور أزمات اجتماعية لم تكن تعرفها المنطقة من قبل ـ الدافع الرئيسى وراء حركة النزوح الريفى من ولايات الشمال الغربى نحو العاصمة ٠

أما منطقة الطرد الاخرى وهى منطقة الساحل فتمثل منطقة طرد ريفى وحضرى مبكر ، وهى منطقة مكتظة بالسكان وتزايدت معدلات الهجرة منها فى أعقاب الازمات الاقتصادية التى شهدتها منذ منتصف الاربعينيات ، فقد قل انتاج الزيتون وتدهورت الصناعات التقليدية بسبب اغراق السوق بالصناعات المستوردة من فرنسا بأسعار رخيصة ، كما أن قطاع الصيد ظل تقليديا دون تطور وارتبط ذلك كله بتزايد سكانى كبير واشتداد أزمة البطالة مما أدى الى ظهور حركة هجرة كبيرة نحو العاصمة على وجه خاص ، وقد شذت مدينة سوسة عاصمة اقليم الساحل عن هذه القاعدة حيث تعد مركز جذب محلى لتعدد وظائفها بسبب مينائها والخدمات المختلفة التى تؤديها ٠

وتبين بيانات تعداد سنة ١٩٨٤ أن كل المناطق الداخلية بما فيها الاستبس الاعلى والاستبس الادنى واقليم قفصة والمعتمديات التعدينية قد تحولت من مناطق جاذبة الى مناطق طاردة للسكان ٠

وهكذا أصبحت المناطق الداخلية طاردة للسكان بدرجة كبيرة،وتأخذ تيارات الهجرة المغادرة اتجاها عاما من الغرب الى الشرق أى من الداخل نحو الساحل ٠

مناطق الجذب :

تمثل تونس العاصمة منطقة الجذب الرئيسية لحركة الهجرة الداخلية فى تونس ، وقد ظلت تيارات الهجرة فى معظمها تتجه اليها حتى أوائل

السبعينيات حتى ظهـرت أقطـاب جـديدة لجذب المهاجـرين مرتبطـة بالمشروعات الصناعية والسياحية والخدمات فى الواجهة الساحلية الشرقية وذلك منذ أوائل السبعينيات وخاصة فى الوطن القبلى وفى بنزرت ـ منزل بورقيبه وفى جربة وجرجيس ٠ وقـد أظهـرت بيانات تعداد ١٩٧٥ آنه بالاضافة الى مدينة تونس كمنطقة جـذب رئيسية فان ولايات الواجهـة الساحلية الشرقية أصبحت جاذبة للسكان وهى بالترتيب ولايات المنستير والمدنين والمهدية وسيدى بوزيد ونابل وسوسة حيث كان صافى الهجرة فى صالحها جميعا (شكل رقم ٥٩) ٠

وقد ساعدت الاستثمارات العامة الضخمة التى شهدتها ولاية قابس منذ سنة ١٩٧٠ والتى تمثلت فى المجتمع الصناعى لقابس ـ غنوش الى جعل ولاية قابس من الولايات الجاذبة للمهاجرين حيث حققت هجرة صـافية موجبة بلغت ٣ر١٪ فى الفترة من ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ ٠

وتشذ ولاية سيدى أبوزيد عن بقية الولايات الداخلية فى أنها تحولت الى منطقة جاذبة للسكان ، وقد استفادت من انشاء ولاية جديدة بعد سنة ١٩٧٠،كما شهدت توسعا فى الاراضى الزراعية المعتمدة على الرى لزراعة الخضر وكذلك التوسع فى زراعة الزيتون والاشجار المثمرة وخاصة اللوز٠

الهجرة الخارجية :

الهجرة الخارجية الوافدة :

لم تلعب الهجـرة الخارجية للتونسيين دورا فى الوضـع الديموغرافى بتونس الا منذ نحو عقدين فقط،وقبل ذلك كانت تونس تستقبل المهاجرين الاجانب من الاقطار المجاورة خاصة من ليبيا والجزائر وايطاليا واليونان ثم من فرنسا بعد اعـلان السيطرة الفرنسية على تونس فى سنة ١٨٨١ ، وكانت تونس تعانى نقصا فى السكان حتى أواخر القرن التاسع عشر مما أدى الى جذب الايدى العاملة الاجنبية لسد هذا النقص ثم عملت سـياسة الحماية الفرنسية على جلب وتوطين أعداد كبيرة من الفرنسيين ، وقـد تزايدت أعداد الاجانب بشكل مطرد لتصل الى ٢٢٠٠٠٠ر٢٢٠ نسمة سـنة ١٩٢١ أى بنسبة ١٠٪ من جملة السكان ثم ظلت هذه النسبة ثابتة تقريبا حتى سنة ١٩٥٦ ـ عام الاستقلال حيث بلغ عدد الاجانب ٣٤١٥٠٠ نسمة٠

وقد تغيرت اتجاهات الهجرة الخـارجية نحو تونس منـذ الاستقلال وارتبط ذلك بعـوامل داخلية ارتبطت باستعـادة تونس لسيطرتها على مظاهر الانتاج والخدمات التى كانت تستوعب عددا كبيرا من الاجـانب

وترتب عليها خروج الفرنسيين والايطاليين على نطاق كبير ، وبعـوامل خارجية تمثلت فى التحولات الضخمة التى شهدتها الدول المجاورة ، فقد استقلت ليبيا والجزائر وظهر البترول بهما واستثمرت عوائده فى التنمية مما أدى الى عودة الاغلبية الساحقة من الليبيين والجزائريين الى بلادهم وقـد ترتب على ذلك انخفـاض حـاد فى عـدد الاجـانب فى تونس من ٣٤١ر٥٠٠ نسمة سنة ١٩٥٦ الى ٣٨٠٠٠ نسمة فقط سنة ١٩٧٥ ، وتدنت نسبتهم من ١٠٪ من جملة السكان عند الاستقلال الى ١ر٥٪ سنة ١٩٦٦ ثم الى حوالى نصف فى المائة فقط سنة ١٩٧٥ وربما وصـلت الى ما دون ذلك سنة ١٩٨٤ ٠

الهجرة الخارجية المغـادرة :

لم تشـهد تونس هجـرة نحو الخـارج الا حـديثا وذلك على عكس الجزائر التى كانت الهجرة منها نحو الخارج مبكرة ، وقد بدأت الهجرة الخارجية المغادرة باعداد قليلة عقب الاستقلال ثم تزايدت تدريجيا بعـد ذلك حتى سـنة ١٩٦٤ وتراوحت بين ٢٠٠٠ ـ ٩٠٠٠ مهاجرا سـنويا فى هذه الفترة (٥٦ ـ ١٩٦٤) ، وارتبطت هذه الاعـداد بخـروج اليهـود التونسيين وكذلك بهجرة العمال الزراعيين لدى المستعمرين الذين هاجروا لفرنسا بصفة نهائية ٠ وقد بلغت الهجرة الخارجية المغـادرة أوجهـا فى الفترة من ١٩٦٤ ـ ١٩٧٣ حيث زاد عدد المهاجرين زيادة كبيرة وبمتوسط سنوى بلغ ١٨٥٠٠ مهاجرا ، وارتبطت هذه الهجرة بتوفر فرص العمـل فى الاسواق الاوربية خاصة فرنسا والمانيا الاتحادية وهولنده ثم فى ليبيـا عقب الارتفاع الكبير فى عوائد البترول بها ٠

وقد قدر عدد المهاجرين التونسيين نحو الخارج بحوالى ٢٥٠ر٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٧٥ أو ما يعادل ٤ر٤٪ من مجموع سـكان تونس فى تلك السنة ، وتوجد الاغلبية الساحقة من هذا العدد فى فرنسا وليبيا ، وقد قدر أن نسب المهاجرين التونسيين فى الفترة من ٦٩ ـ ١٩٧٤ كانت تتوزع على النحو التالى : ٤٣٪ فى فرنسا ، ٣٦٪ فى ليبيا والبقية فى المانيا الاتحادية وغيرها من الدول خاصة دول غرب أوربا ٠

والمهاجرون التونسيون الى أوربا غالبا مايكونون من القسم الشمالى من تونس وتنطبق عليهم ظاهرة الانتقاء الهجرى بجلاء ، فمعظمهم من الايدى العاملة الشابة (٧٣٪ من العمال التونسيين فى فرنسا دون ٣٠ سنة وفى المانيا تصل الى ٩٠٪) وأغلبهم من المؤهلين ٠ أما العمال المهاجـرون الى ليبيا فهم من الجنوب التونسى وغالبا مايكونون فى أعمار أكـبر من

مهـاجرى أوربا (٥٦٪ منهم أكثر من ٣٠ سنة) كما أن معظمهم من غـير المؤهلين • وتنعكس العلاقات السياسية المتغيرة بين تونس وليبيا على عدم استقرار أعداد المهاجرين التونسيين فى ليبيا فقد تعرضوا عدة مرات الى الطرد لعل آخرها طرد نحو ٣٠٫٠٠٠ عامل تونسى فى أغسطس ١٩٨٥ •

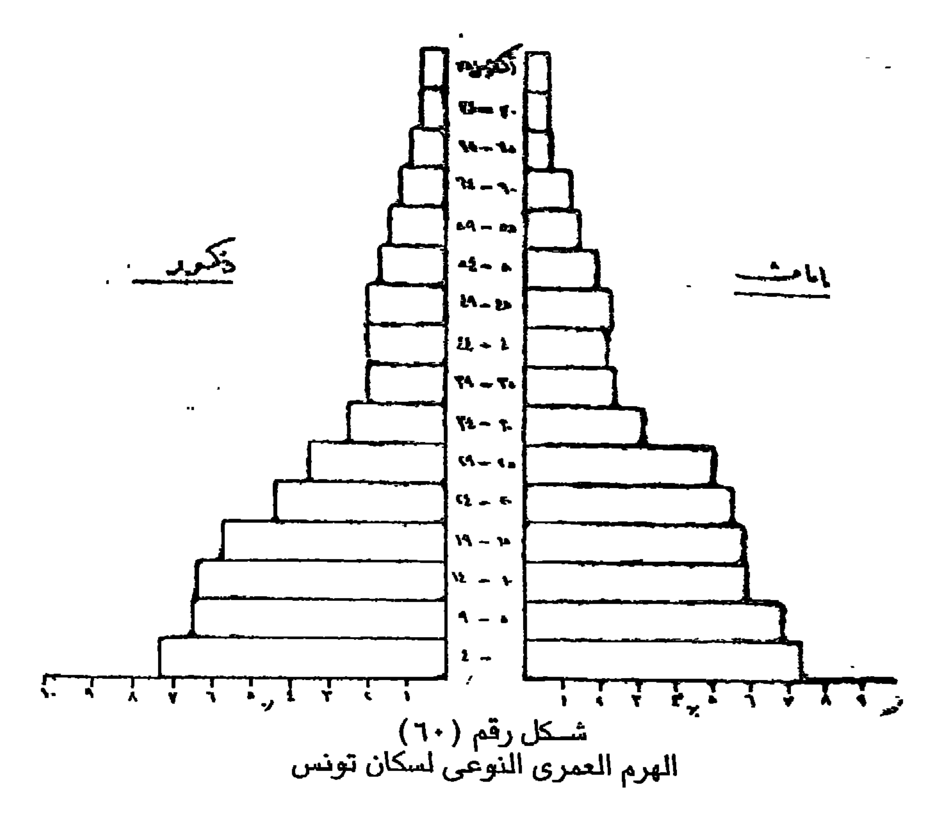
وقد تميزت الهجرة الخارجية للتونسيين بعدم الانتظام منـذ منتصف السبعينات • فقد أصبح عدد المهاجرين العائدين يفوق عدد المغادرين وقد ارتبط ذلك بضيق سوق العمل فى أوربا والعـلاقات المتأرجحة بين ليبيـا وتونس • ورغم ذلك فمازالت ليبيا من أهم الاسواق الخارجية التى يتجه اليها التونسيون •

وقد قدر العدد الصافى للمهاجرين التونسيين فى الخارج بعد موجـات العودة من أوربا وليبيـا بنحـو ٣٠٠٫٠٠٠ مهاجـرا سنة ١٩٨٤ ، ورغم الصعوبات التى تواجه الهجرة الخارجية التونسية فانها مازالت توفـر للبلاد موارد هامة من العملة الصعبة ، فقد تزايدت تحويلات العاملين فى الخارج من ٢٢ مليون دينار سنة ١٩٧١ الى ٧٢٫٣ مليون سنة ١٩٧٧ ثم الى ٢٤٦ مليون دينار سنة ١٩٨٤ • ومازال الدخل من الهجرة من العملة الصعبة يأتى فى المرتبة الثالثة بعـد الدخل الصـافى من حصيلة تصـدير واستيراد البترول والغـاز والفحم (٣٣٩ مليون دينـار سـنة ١٩٨٤) ، والسياحة (٣٥٧ مليون دينار سنة ١٩٨٤) •

وقد لعبت الهجرة التونسية دورا كبيرا فى اقتصاديات تونس وأسهمت فى التخفيف من مشكلة البطـالة ومن الضغط الشديد للنزوح الريفى على المدن التونسية خاصة مدن الجبهة الساحلية الشرقية وساعدت فى استكمال بعض جوانب التنمية السكنية والزراعية والنقـل ، ومع هـذه النتـائج الايجابية فقد كان لها نتائج سلبية لعل من أبرزها أنها عملت على دخول المجتمع التونسى مرحلة الاستهلاك المتأثر بالغرب وزادت من حركة السكان فى أنحاء البلاد وعملت على استقرار كثير من العائدين من الخارج فى المدن •

بعض مظاهر تركيب السكان :

تتباين مظاهر التركيب السـكانى فى المجتمع التونسى شأنه فى ذلك شأن بقية المجتمعات • وتتحدد أبرز هذه المظـاهر فى التركيب العمـرى النوعى ، والتركيب الاقتصادى والتركيب الاجتماعى كالحالة التعليمية والزواجية وغيرها •



شكل رقم (٦٠)
الهرم العمرى النوعى لسكان تونس

(١) التركيب العمرى النوعى :

يعد التركيب العمرى النوعى نتاجا لمكونات النمو السكانى من مواليد ووفيات وهجرة ، ويوضح الجدول رقم (٧٦) توزيع السكان حسب السن والنوع ، ومن أرقام هذا الجدول والتى يمثلها الهرم العمرى النوعى للسكان شكل رقم (٦٠) يتضح أن المجتمع التونسى مجتمع فتى بدرجة كبيرة يدل على ذلك الارتفاع الكبير فى نسبة الصغار (٠ ـ ١٤ سنة) والتى تصل الى ٣٨٪ من جملة السكان ، وهى نسبة عالية تدل على ارتفاع مستويات الخصوبة ، وذلك رغم انخفاض هذه النسبة من ٥ر٤٦٪ سنة ١٩٦٦ الى ٨ر٤٣٪ سنة ١٩٧٥ ، ويرجع ذلك الانخفاض بصفة أساسية الى انخفاض معدل الوفيات وخاصة فى الاعمار المبكرة والتى تشكل وفياتها نسبة كبيرة من جملة الوفيات ، وكذلك الانخفاض الذى طرأ على مستويات الخصوبة منذ منتصف الستينيات وان كان انخفاضا قليلا .

والهرم العمرى النوعى للسكان فى تونس عريض فى قاعدته ثم يتدرج الى الداخل كلما ارتفع لأعلى تبعا للاعداد السابقة من المواليد والوفيات التى أسهمت فى تحديد شكله ، وهو عريض عند القاعدة نتيجة أعداد الاطفال التى تحل على المجتمع كل عام مما يؤدى الى التجديد المستمر لقاعدته وبالتالى قلة نسبة الاعمار الوسطى والكبيرة .

وقـد أدى انـخفاض نسبة الصـغار فى الفترة من ١٩٦٦ ـ ١٩٨٤ الى تزايد فى نسبة متوسـطى السن (١٥ ـ ٦٤ سـنة) من ٥٠٪ من مجمـوع السكان فى سنة ١٩٦٦ الى ٥٧ر٨٪ سنة ١٩٨٤ وكبـار السن (٦٥ +) من ٥ر٣٪ الى ٣ر٤٪ فى العامين المذكورين .

جـدول رقم (٧٦)

التوزيع النسبى لفئات السن للذكور والاناث ونسبة النوع لسـكان تونس ١٩٨٤ (٪ من جملة السكان)(١)

نسبة النوع	ذكور	اناث	فئات السن
٠ ـ ٤	٧ر٤	٧ر٣	١٠١
٥ ـ ٩	٦ر٩	٦ر٨	١٠٢
١٠ ـ ١٤	٦ر٤	٥ر٩	١٠٨
جملة ٠ ـ ١٤	٢٠ر٧	٢٠ر٠	١٠٣
١٥ ـ ١٩	٥ر٧	٥ر٨	٩٨
٢٠ ـ	٤ر٤	٥ر٠	٩٠
١٥ ـ	٣ر٥	٤ر٠	٨٦
٣٠ ـ	٢ر٥	٣ر١	٨١
٣٥ ـ	٢ر٠	٢ر٣	٨٦
٤٠ ـ	٢ر٠	٢ر١	٩٣
٤٥ ـ	٢ر٠	٢ر٢	٩٢
٥٠ ـ	١ر٧	١ر٩	٩١
٥٥ ـ	١ر٤	١ر٤	٩٩
٦٠ ـ	١ر١	١ر٢	٩٧
جملة ١٥ ـ ٦٤	٢٦ر٣	٢٩ر٠	٩١
٦٥ ـ	٠ر٩	٠ر٧	١١٧
٧٠ ـ	٠ر٦	٠ر٦	٩٦
٧٥ +	٠ر٦	٠ر٦	١٠٠
جملة ٦٥ +	٢ر١	١٩ر	٦٩
	٤٩ر١	٥٠ر٩	٩٧

وقد تم حساب العمر الوسيط لسـكان تونس فى الفـترة من ١٩٦٦ ـ ١٩٨٤ كما يبدو فى الجدول رقم (٧٧) ومن الواضح أن العمر الوسيط قد تزايد فى العشرين سنة الاخيرة من ١٦ر٨ سنة فى تعداد ١٩٦٦ الى ١٩ر١ سنة فى تعداد ١٩٨٤ ، ويرجع ذلك كما سبق القول الى انخفـاض مستوى الخصوبة السائد وانخفاض معـدل الوفيات فى مختلف فئـات السن مما انعكس على تزايد أمد الحياة فى البلاد .

(١) المصدر : منصر الرويسى والمنجى بشير ـ المرجع السابق ـ ص٩٦ أما نسبة النوع فمن حساب المؤلف .

جـدول رقم (٧٧)

تطور فئات السن الرئيسية والعمر الوسيط للسكان فى تونس فى الفترة ١٩٦٦ ـ ١٩٨٤ (٪)(١)

فئات السن	١٩٦٦	١٩٧٥	١٩٨٤
أقل من ١٥	٥ر٤٦	٨ر٤٣	٩ر٣٧
١٥ ـ ٦٤	٠ر٥٠	٧ر٥٢	٨ر٥٧
٦٥ سنة فأكثر	٥ر٣	٥ر٣	٣ر٤
الجمـــلة	٠ر١٠٠	٠ر١٠٠	٠ر١٠٠
العمر الوسيط بالسنة	٨ر١٦	٧ر١٧	١ر١٩

وبدراسة نسبة النوع ـ عدد الذكور لكل مائة من الاناث ـ كما وردت فى الجدول رقم (٧٦) يبـدو أن المجتمع التونسى متوازن فى مجموعه فى عدد الذكور والاناث مع زيادة طفيفة فى عدد الذكور فى فئات السن الصغرى (دون ١٥ سنة) وزيادة فى عدد الاناث فى فئات الاعمار الوسطى (١٥ ـ ٦٤) ، وربما كان مرجع ذلك هو تأثير الهجرة الخارجية المغـادرة على فئات السن المنتجة وذلك بالاضافة الى عوامل ديموغرافية أخرى مرتبطة بتزايد معدلات الوفيات لدى الذكور بدرجة أكبر منها لدى الاناث وذلك بالتقدم فى السن مع ماهو معروف عن تزايد أمد الحياة للاناث أكـثر منه للذكـور .

(٢) التركيب الاقتصادى للسكان :

بلغ عدد السكان فى سن العمل ٤ر٢ مليون نسمة سنة ١٩٦٦ أو ٦ر٥٣٪ من جملة السكان ولكن عـدد العاملين كان أقـل من ذلك بكثير حيث لم يتجاوز ٠٠٠ر٠٩٣ر١ نسمة منهم ٠٠٠ر٠٢٧ر١ من الذكور بمعـدل نشاط بلغ ٥ر٨٣٪ بينما الاناث لم يتجـاوز عددهم ٦٦٤٦٩ نسمة بمـعدل ٦٪ فقـط . وقـد تزايد حجم القـوى العـاملة فى تعـداد ١٩٨٤ ليصـل الى

---

(١) المصـــدر :

Kassab, A., et Sethom, H., Géographie de la Tunisie, Tunis, 1980, p. 113

الرويسى وستهم ـ الوضع الديموغرافى وآفاقه المستقبلية ـ ضمن كتاب : جامعة تونس ـ العمـران والتنمية فى تونس ـ تونس ـ ١٩٨٦ ـ ص ٩٦ .

٦٠٠ر١٦٨١ر١ نسمة من الذكور و٤٥٥٥٠٠ نسمة من الاناث أى أن مجموعهم بلغ ٩ر٢ مليون نسمة بنسبة ٣١٪ من جملة السكان فى تلك السنة ٠

ويختلف توزيع السكان حسب النشاط الاقتصادى (جدول رقم ٧٨) ولكن كما هو متوقع فى تونس كدولة نامية فان أعلى نسبة ستكون من نصيب أنشطة القطاع الاول ، رغم تزايد نسبة العاملين فى القطاع الثانى والثالث ٠ ومن الواضح أن العاملين فى القطاع الاول (الزراعة والرعى والغابات والصيد) تناقصت بوضوح منذ الاستقلال من ٦ر٦٧٪ سنة ١٩٥٦ الى ٥ر٢٦٪ سنة ١٩٨٤، (جدول رقم ٧٨) بينما أدى التوسع فى المشروعات والخدمات الى تزايد العاملين فى القطاع الثانى (الصناعة) من ١٠٪ سنة ١٩٥٦ الى ٥ر٣٤٪ سنة ١٩٨٤ ٠ وكذلك القطاع الثالث (الخدمات) من ٢٣٪ الى ٨ر٣٣٪ فى هذين العامين ٠ ويلاحظ من الجدول تزايد نسبة السكان فى فئة (غير مبين) بما يعنى تزايد الانشطة الهامشية والعمالة المؤقتة التى تشمل العمال الموسميين فى القطاعات الثلاثة ، وقد تزايدت نسبة غير مبين من ٩٪ سنة ١٩٥٦ الى ١٧٪ سنة ١٩٧٥ وان كانت قد انخفضت الى ٣ر٥٪ من جملة العاملين سنة ١٩٨٤ ٠

جدول رقم (٧٨)

التطور النسبى للعاملين فى تونس حسب النشاط الاقتصادى(١)

النشاط	١٩٥٦	١٩٦٦	١٩٧٥	١٩٨٤
الزراعة والغابات والصيد	٧ر٦٧	٠ر٥٢	٥ر٣٢	٥ر٢٦
الصناعات الاستخراجية	٢ر١	٨ر١	٧ر١	١ر٢
الصناعات التحويلية	٢ر٦	٩ر٧	٨ر١٤	٢ر١٩
التشييد والاشغال العامة	٢ر٢	٥ر٤	٨ر٨	٢ر١٣
الماء والكهرباء والغاز	٠ر٢	٣ر١	٧ر٠	—
التجارة والبنوك والتامينات	٨ر٤	٧ر٥	٧ر٧	٩ر٧
النقل والمواصلات	٠ر٢	٠ر٣	٥ر٣	٨ر٤
الخدمات	٤ر٦	٣ر١٣	٤ر١٣	١ر٢١
غير مبين	٣ر٩	٣ر١٠	٨ر١٦	٢ر٥
الجملة النسبية	٠ر١٠٠	٠ر١٠٠	٠ر١٠٠	٠ر١٠٠

(١) المصدر : تعدادات السكان فى السنوات المذكورة نقلا عن :
Kassab, A., et Sethom, H., Geographie de la Tunisie, Tunis, 1980, p. 193.
Europa Publications Limited, The Europa Yearbook 1987, p. 2702.

وقد أدى التطور فى مجال التصنيع والخدمات منذ الاستقلال الى تزايد نسبة العاملين فى هذين القطاعين ، فقد تبنت الدولة سياسة التخطيط من خلال خطط خمسية مما أدى الى استثمارات ضخمة فى البنية الاساسية وفى التعليم والصحة والسياحة ، ورغم ذلك ومع الهجرة نحو الخارج فلازالت القوة العاملة التونسية تعانى بطالة مزمنة خاصة البطالة المقنعة، وقد بلغ عدد المتعطلين عن العمل ٣٥٠ر٧٠٠ نسمة سنة ١٩٨٤ بنسبة ١٦ر٤٪ من حجم القوة العاملة فى تلك السنة ، وهى نسبة عالية بشكل واضح ٠

وقد أنشأت الدولة مكتب التكوين المهنى والاستخدام سنة ١٩٦٧ للوقوف على احتياجات السوق من الايدى العاملة وللمساعدة فى ايجاد فرص العمل ، وقد هدفت الخطة الخمسية (٧٧ – ١٩٨١) الى خلق ٢٣٣٠٠٠ فرصة عمل بمتوسط ٤٦٠٠٠ فرصة سنويا ولكن رغم ذلك فان العرض من العمالة يفوق الطلب ومما يزيد المشكلة حدة عودة عدد من العاملين بالخارج لضيق سوق العمل الاوربى وتأرجح سوق العمل الليبى وضعف تيار الهجرة نحو الدول العربية البترولية فى الخليج ٠

(٣) الحالة التعليمية :

يعد التعليم من أهم مظاهر التنمية البشرية فى تونس ، وتبين الارقام المتاحة أنه يحظى بأهمية كبرى يدل عليها التناقص فى نسبة الامية من ناحية والتزايد فى أعداد الملتحقين بمراحل التعليم المختلفة من ناحية أخرى ٠

وتبلغ الامية فى تونس ٤٦٪ من جملة السكان (١٠ سنوات فأكثر) سنة ١٩٨٤ ٠ وهى رغم ذلك نسبة عالية تشبه بعض الاقطار العربية الاخرى مثل مصر التى بلغت فيها النسبة ٤٩٪ سنة ١٩٨٦ ٠

والملاحظ من بيانات الجدول رقم (٧٩) أن نسبة الامية قد هبطت بنسبة الثلث تقريبا فى نحو عشرين عاما ٠ ففى سنة ١٩٦٦ كان أكثر من ثلثى السكان فى تونس أميين ، ثم أصبحت النسبة ٤٦٪ سنة ١٩٨٤ ٠

ومن الواضح أن نسبة الامية فى الريف تقترب من ضعف مثيلتها فى الحضر وهذا أمر متوقع حيث يحظى الحضر بخدمات تعليمية تفوق الريف،اضافة الى تزايد الاهتمام بالتعليم فى الحضر عنه فى الريف ، وبالاضافة الى ذلك تزداد نسبة الامية بين الاناث بشكل واضح حتى أن أكثر من ثلاثة أرباع الاناث فى الريف سنة ١٩٨٤ غير قادرات على القراءة والكتابة ٠

جـدول رقم (٧٩)
تطور الامية فى تونس حسب النوع فى الحضر والريف
(٪ من جملة السكان ١٠ سنوات فأكثر)(١)

السنة والنوع	١٩٦٦			١٩٧٥		
	حضر	ريف	جملة	حضر	ريف	جملة
ذكــــور	١ر٣٩	٧ر٦٤	٩ر٥٣	٢ر٣٠	٩ر٥٤	٣ر٤٢
انـــاث	٣ر٦٨	١ر٩٢	٤ر٨٢	٧ر٥٢	٣ر٨٤	٩ر٦٧
المجموع	٢ر٥٣	٣ر٧٨	٩ر٦٧	٤ر٤١	٣ر٦٩	٩ر٥٤

السنة والنوع	١٩٨٤		
	حضر	ريف	جملة
ذكــــور	٥ر٢٣	٠ر٤٨	٦ر٣٤
انـــاث	٢ر٤٣	٢ر٧٦	١ر٥٨
المجموع	٢ر٣٣	٩ر٦١	٢ر٤٦

وتتفاوت الولايات الثلاث والعشرون تفاوتا كبيرا فى نسبة الامية بها، ولكن الملاحظ أن الولايات الساحلية تتناقص بها هـذه النسبة فتصـل فى ولايات تونس الى ٩ر٣٢٪ والمنستير الى ٩ر٣٥٪ وصفاقس الى ٣ر٤٠٪ ، بينما تتزايد بالاتجاه نحو الداخل ونحو الجنوب فتصل الى ٧ر٦١٪ و٦١٪ و ٥ر٦٠٪ فى ولايات القيروان وسيدى بوزيد والقصرين على الترتيب ٠

ويمكن اتخاذ التعليم الابتدائى مثالا على تزايد الاهتمام بالخـدمات التعليمية فى تونس ، ويبين الجدول رقم (٨٠) تطور بعض مؤشرات هذا التعليم منذ سنة ١٩٦٢ ٠

ومن الواضح أن عدد المدارس قد تضاعف فى ربع قرن ، بينما تزايد

---

(١) المصـــدر :
ـ التعدادات العامة للسكان والسكن لسنوات ١٩٦٦، ١٩٧٥، ١٩٨٤ ٠
ـ المعهد القومى للاحصاء عن :
جامعة تونس ـ المعهـد الاعلى للتربيـة والتكوين المستمر ـ العمـران والتنمية فى تونس ـ تونس ـ ١٩٨٦ ـ ص ٢٨١ ٠

عدد الفصول الى نحو أربعة أمثال ما كانت عليه فى سنة الاساس كما تزايد عدد التلاميذ مرتين ونصف مرة خلال هذه الفترة ٠

جدول رقم (٨٠)

تطور بعض مؤشرات التعليم الابتدائى فى تونس منذ ١٩٦٢ – ١٩٨٧(١)

السنة	عدد المدارس	عدد الفصول	عدد التلاميذ	نسبة الزيادة فى عدد التلاميذ (سنة الاساس = ١٠٠٪)
١٩٦٢	١٥٢١	٦٧٥٧	٥٢٧٣٧٣	١٠٠
١٩٧٢	٢٢٣٨	١٣٤٢٠	٨٨٣٧٣٤	١٦٧
١٩٨٢	٢٩٣٧	١٧٠٢٥	١١٤٢٠٦٠	٢١٦
١٩٨٧/٨٨	٣٦٠٥	٢٢٠٢٦	١٣٣٨٩٠٥	٢٥٤

وفى سنة ١٩٨٤ ، كانت نسبة المقيدين فى التعليم الابتدائى ٩٤٪ من الاطفال فى سنة التعليم (١٠٠٪ بنين و ٨٧٪ بنات) ، كما كانت نسبة المقيدين فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى (الابتدائى من سن ٦ سنوات والثانوى يبدأ من سن ١٢ سنة) نحو ٧٥٪ من الاطفال فى سن التعليم (٨٣٪ بنين و ٦٦٪ بنات) ٠

---

(١) المصـــدر :

أ – الحوليات الاحصائية للبلاد التونسية – المعهد القومى للاحصاء نقلا عن : جامعة تونس – المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر العمران والتنمية فى تونس – تونس – ١٩٨٦ ٠

ب – وزارة الاعلام – معلومات عن تونس – مطبعة لابراس (ب٠ت) ص ص ١٧ – ١٨ ٠

الفصل التاسع

التحركات السكانية والمرأة العربية

رؤية اقليمية

كانت التحركات السكانية ولاتزال تؤلف واحدة من أهم الظواهر التى ارتبطت بالانسان عبر عصوره التاريخية المتعاقبة ، وقد ترتبت عليها نتائج ديموغرافية واجتماعية واقتصادية فى أقاليم العالم المختلفة حتى أن خريطة التوزيع السكانى والحضارى لعالم اليوم تعد نتاجا لعوامل أبرزها التحركات السكانية على مر العصور ٠

ورغم أن التحركات السكانية ظاهرة قديمة فانها تحدث الان على نطاق أوسع بكثير جدا مما كانت عليه فى الماضى وأصبحت تتعدى كل الحدود السياسية وتشمل فئات متباينة من البشر ، وتعاظم دورها فى العقود الاخيرة حتى أصبحت مساوية للتدفقات الهجرية من أوربا عبر الاطلنطى خلال الفترة من ١٨٤٠ ــ ١٩٣٠ والتى قدرت بنحو ٥٢ مليون نسمة ٠ وساعد على ذلك ظهور مناطق جديدة للجذب السكانى مثل الشرق الاوسط وغرب أوربا واستمرار الهجرة الى الولايات المتحدة وكندا واستراليا ٠

وبصرف النظر عن التباين فى تعريف مفهوم التحركات السكانية تعريفا مقبولا وشاملا الا أنه يكاد يكون هناك تمييز واضح بين الهجرة باعتبارها تغييرا لموطن الاقامة وبين بعض أشكال التحركات البشرية الاخرى مثل تحركات البدو الرحل والرعاة ٠ فهذه تحركات موسمية تختلف عن الهجرة بمفهومها وأنماطها المعروفة سواء كانت داخلية أو دولية دائمة أو مؤقتة قسرية أو طوعية ٠

وقد عرف العرب انماطا عديدة من التحركات السكانية التاريخية خاصة فى شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام عندما انتقلت أعداد كبيرة من المهاجرين العرب خارج أوطانهم حاملين المؤثرات الحضارية العربية ثقافة ولغة الى مناطق بعيدة فى جنوب شرق آسيا وشرق افريقيا وشمالها ٠ كذلك شهد العصر الحديث أنواعا من التحركات السكانية الخارجية تمثلت فى انتقال عدد كبير من المهاجرين العرب نحو أوربا والامريكتين واستراليا٠

والواقع أن العالم العربى قد شهد كل أنواع التحركات السكانيـة فى القرن العشرين ٠ وقد نتجت هذه التحركات عن عوامل متعددة سـياسية واجتماعية واقتصادية ، وتميزت فيما بعد الحرب العالمية الثانية بظهور تيارات قوية متجهة من الاقطار التى ترتفع فيها نسبة السكان الى الموارد Population Resource Ratio الى الاقطار التى تنخفض فيها هذه النسبة الى حد كبـير ٠

وعلى العموم فان التحركات السكانية فى العالم العربى يمكن أن تنقسم من حيث المدى والاتجاه الى ثلاثة أنماط كبرى هى التحركات الدورية أو الموسمية والتى تعرف بالانتقال الفصلى Transhumance والهجرة الداخلية أو المحلية ثم الهجرة الدولية ٠ وتتناول هذه الورقة تحليل النمط الاخير وخصائصه العمرية والنوعية ونتائجه على المرأة العربية ودورها الاسرى والاقتصادى فى كل من مناطق الاصل والوصول وذلك بغية الوصـول الى وضع سياسة سكانية تتكامل مع بعض قضايا المرأة فى العالم العربى ٠

حجم الهجرة العربية الدولية :

ليس من السهل الوقوف على حجم الهجرة العربية الدولية سواء تلك التى تضمها تيارات الهجرة العربية ـ العربية ، أو الهجـرة العـربية ـ الخارجية ٠ الا أن تاريخ التحركات السكانية الحديثة قد أماط اللثام عن منابع هجرية رئيسية تدفقت منها تيارات متباينة الحجم نحو داخل الوطن العربى وخارجه ،وأظهرت بعض البيانات المتاحة أن هناك دولا عربية تميزت شعوبها بالحراك الجغرافى المبكر وفى مقدمتها لبنان واليمن ، وأخـرى فتحت أبوابها للمهاجرين الذين تدفقوا بأعداد فاقت عدد سكانها الاصليين كالكويت والامارات ٠

ويوضح الجدول رقم (٨١) المنابع الكبرى للهجرة العربية الدولية ، ومن الواضح أن أهم هذه المنابع وهو لبنان لايتضمنه الجدول ، ومرجع ذلك غيـاب بيانات موثوق بهـا عن الهجـرة اللبنـانية وان كانت بعض التقديرات قد أوصلت عدد المهاجرين اللبنانيين بالخارج الى نحـو ٤ر٤ مليون مهاجرا ، ويشمل هـذا الرقم عدد المغتربين اللبنانيين والمنحدرين من أصل لبنانى فى جميع أنحاء العالم(١) ، ورغم أن هذا الرقم تقديرى وربما يكون غـير مبالغ فيه ـ فان مقـارنته مع بقية الدول المذكـورة فى الجدول يعد أمرا غير منطقى ٠ ولعل أبرز دلالة لهذا الرقم هو أن الشعب

---

(١) عبد الرءوف فضل الله ـ لبنان : دراسة جغرافية ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٦ ٠

اللبنانى أكثر شعوب العالم العربى فى حركة الهجـرة الخـارجية وربما لا يضاهيه شعب آخر فى ذلك ، وقد بدأت هجرته الحـديثة منذ أواخـر القرن الماضى واتجهت تياراتها الرئيسية الى الامريكتين واستراليا فى المقام الاول ، ولاشك أن ايقاع الهجرة زاد بشكل حاد طوال المحنة اللبنانية التى بدأت فى سنة ١٩٧٥ وبشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخ هذا القطر .

جـدول رقم (٨١)
حجم الهجرة الدولية المغادرة فى بعض الدول العربية

الدولة	السنة	عدد السكان	عدد المهاجرين بالخارج	٪ من عدد السكان
فلسطين(١)	١٩٨١	٤٥٦٨٥٠٠	١٥٨٤٩٠٠	٧ر٤٣
اليمن الشمالى(٢)	١٩٨٦	٩٢٧٤١٧٣	١١٦٨١٩٩	٦ر١٢
مصـر(٣)	١٩٨٦	٥٠٤٥٥٠٤٩	٢٢٥٠٠٠٠	٥ر٤
تونس(٤)	١٩٨٤	٦٩٦٦١٧٣	٣٠٠٠٠٠	٣ر٤
الجزائر(٥)	١٩٧٥	١٦٠٣٠٠٠٠	٧١٠٦٩٠	٤ر٤
المغرب(٥)	١٩٧٥	١٨١٧٧٠٠٠	٢٢٦٠٢٥	٢ر١
السودان(٦)	١٩٧٧	١٦٩٤٩٠٠٠	٢٢٩٠٠٠	٤ر١

(١) منظمة التحرير الفلسطينية ـ المكتب المركزى للاحصاء ـ المجموعة الاحصائية الفلسطينية ـ عدد ٤ ـ دمشق ١٩٨٢ .
عن : حسن صالح ـ سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا ـ عمان ـ ١٩٨٥ ـ ص ٤٠ ، ولا يشمل هذا الرقم عدد الفلسطينيين بالاردن .
(٢) الجمهورية العربية اليمنية ـ التعداد العام للمساكن والسكان ـ فبراير ـ ١٩٨٦ ـ النتائج الاولية ـ طبعة أولى ـ مارس ـ ١٩٨٦ ـ ص٤ .
(٣) جمهورية مصر العربية ـ التعداد العام للسكان والاسكان والمنشآت ١٩٨٦ ـ النتائج الاولية ـ ابريل ـ ١٩٨٦ ـ ص ١ .
(٤) حافظ ستهم «الانسان والمكان» ـ فى كتاب : جامعة تونس ـ العمران والتنمية فى تونس ـ تونس ـ ١٩٨٦ ـ ص ١٤٢ .
(٥) على لبيب ـ عمال المغرب العربى بأوربا ـ العودة الصعبة ـ فى كتاب المعهد العالى للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية ـ الكويت ـ ١٩٨٦ ـ ص ٣٠٣ . وتمثل هذه الارقام عدد المهاجرين الى فرنسا فقط وهم الغالبية العظمى من المهاجرين من البلدين .
(٦) عدد العاملين فى الخارج ـ تقدير . عائشة عبد الله (١٩٧٨) عن : جورج ديب ـ الاطار القانونى للهجرة الدولية ـ السياسات السكانية فى لبنان ـ بيروت ١٩٨٢ .

أما الهجرة الفلسطينية فتشمل هجـرة قسرية وطوعية فى آن معـا ٠ وتختلف فى دوافعها ونتائجها حيث نجمت فى المقام الاول عن الاسـباب السياسية ، وقد ترتب عليها هجرة وتهجير قرابة ثلثى الشعب الفلسطينى خارج أرضه (٣٥٪ فى الاردن و ٢٩٪ فى الاقطار العربية و ٥ر٤٪ فى باقى دول العالم سنة ١٩٨١)(١) ٠

ويعد الشعب اليمنى من أكثر الشعوب العربية فى حركة الهجرة الدولية حتى أن واحدا من كل ثمانية يمنيين موجود خارج البـلاد سنة ١٩٨٦ ٠ ويبين الجدول رقم (٨١) أن أكبر عـدد من المهاجرين قد خرج من مصر وان كانت نسبة الهجرة بها تصل الى ٥ر٤٪ سنة ١٩٨٦ ٠ وقد تزايد هذا العدد بعد ذلك خاصة بعد تطور الحرب العـراقية الايرانية واتجاه عـدد كبير من العمالة المصرية الى العراق والذى قدر عـدد المصريين به قـرابة مليون وربع مليون مهاجرا(٢) ٠ كما يوضح الجدول أن حجم الهجرة التى خرجت من أقطار المغرب الثلاثة تونس والجزائر والمغرب قـد تجـاوزت المليون مهاجرا أكثر من نصفهم كان من الجزائر ٠ وتتشابه نسبة الهجرة المغادرة فى كل من تونس والجزائر وان تباينت تواريخ المقارنة ٠

تيارات الهجرة الدولية فى الوطن العربى :

خضعت تيارات الهجرة الدولية فى الوطن العربى فيما بعد الحـرب العالمية الثانية للظروف السياسية والاقتصادية ، وتجلى ذلك بوضـوح فى تيارات هجرة وافدة على بعض الاقطار العربية لعل أبرزها هجرة اليهود الى فلسطين والتى كانت ومازالت مرتبطة بأسباب سياسية ودينية وحدثت بسببها هجرة قسرية تعد بنفس أهمية الحركة الوافدة ٠

وبالاضافة الى ذلك هناك تيار من الهجرة الاجنبية التى وفدت على الوطن العربى تمثلت فى التيار الاسيوى الوافـد من شبه القـارة الهندية وجنوب شرق آسيا نحو أقطار النفط العربية فى منطقـة الخليج ، ويبقى هذا التيار ضمن النمط الاقتصادى الكلاسيكى للهجرة ٠ أما تيارات الهجرة العربية فيتمثل أحدها فى التيار العربى نحو الاقطار المتقدمة والثانى نحو الاقطار العربية الاخرى التى ترتفع فيها نسبة الموارد الى السكان ارتفاعا كبيرا للغاية ٠ ويتضمن التيار الاول الهجرة العـربية من شمال أفريقيـا

---

(١) حسن صالح ــ سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا ــ عمان ــ ١٩٨٥ ــ ص ٤٠ ٠

(٢) نادر فرجانى ــ الهجرة الى النفط ــ بيروت ــ ١٩٨٣ ــ ص٨٠ ٠

والشرق العربى نحـو الدول الصـناعية فى غـرب أوربا والى الامريكتين واستراليا والثانى يتضمن هجرة العمالة العربية الى دول النفط الغنية ٠

ويوضح الجدول رقم (٨٢) حجم الهجرة الدولية الوافـدة فى معظم الاقطار العربية ٠ ويبدو أن الدول المذكـورة تنقسم الى فئتـين كبيرتين

جـدول رقم (٨٢)

حجم الهجرة الدولية الوافدة فى معظم الاقطار العربية(١)

الدولة	السنة	عدد السكان (بالالف)	عدد الاجانب (بالالف)	٪ من عدد السكان
الامـارات	١٩٨٥	١١١٧	٧١٣	٦٣ر٨
الكـويت	١٩٨٥	١٦٩٥	١٠١٥	٥٩ر٩
قطـــر	١٩٨٥	٢٤١	١٢٦	٥٢ر٣
البحـرين	١٩٨٥	٤٣٥	١٥٩	٣٦ر٥
السـعودية	١٩٨٥	١٢٦٤٣	٣٨٧٨	٣٠ر٧
عمـــان	١٩٨٥	١٢٩٣	٣٢٠	٢٤ر٧
ليبيـــا	١٩٨٠	٢٩٢٠	٦٥٢	٢٢ر٣
الاردن	١٩٧٩	٢١٠٠	٨٩	٤ر٢
موريتانيـا	١٩٧٧	١٣٣٩	٢٨	٢ر١
السـودان	١٩٧٣	١٤١١٢	٢٤٨	١ر٨
تونـــس	١٩٧٥	٥٥٤٩	٣٩	٠ر٧
المغـــرب	١٩٨٢	٢٠٤٢٠	٦٢	٠ر٣
مصـــر	١٩٨٦	٥٠٤٥٥	١٠٨	٠ر٢

---

(١) المصـــادر :

أ ـ دول الخـليج : تقـديرات الاسـكوا استنـادا الى التعـدادات والمسوحات الرسمية مراجع : المعهد العربى للتخطيط بالكويت واللجنـة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية ـ ١٩٨٦ ـ ص ١٣٨ ٠

ب ـ ج٠م٠ع ـ التعداد العام للسكان والاسـكان والمنشآت ١٩٨٦ ـ النتائج الاولية ـ أبريل ١٩٨٧ ٠

جـ ـ المملكة الاردنية الهاشمية ـ التعداد العام للمساكن والسكان ـ النتائج الرسمية للمحافظات ـ ١٩٨٤ ٠

د ـ U.N. Economic Commission for Africa, Demographic Handbook for Africa, 1988, Table 24 p. 96.

احداهما تشمل دول الخليج العربية التى تستأثر كما هو متوقع بالغالبية العظمى من المهاجرين حتى أن بعض هذه الدول يعد مثالا فريدا فى العالم فى ارتفاع نسبة الاجانب الى السكان الاصليين به كما هى الحال فى دولة الامارات العربية المتحدة والكويت وقطر • أما الفئة الثانية فهى على طرف النقيض حيث تتدنى نسبة الهجرة الدولية الوافدة بها الى حدود لاتكاد تذكر • وغنى عن القول أن تيارات الهجرة الخارجية تتجه فى معظمها من أقطار الفئة الثانية نحو أقطار الفئة الاولى فى مسارات تحكمها عوامل الجذب والطرد •

والواقع أن التيارات القوية للهجرة فى الوطن العربى تدل على أن هذا الاقليم يمر فى الوقت الحاضر بمرحلة تغييرات ديموغرافية واجتماعية واقتصادية ضخمة أسهمت الهجرة الدولية بدور كبير فى احداثها • ورغم تعدد مظاهر الهجرة فى هذا الاقليم الا أنه يمكن تقسيمها الى أنماط لكل منها سماته المميزة وهى الهجرة الدولية الوافدة والهجرة الدولية العربية ـ العربية والهجرة المغادرة (الخارجية) •

أ ـ الهجرة الدولية الوافدة :

يمثل هذا النوع من الهجرة ماتعرض له الوطن العربى من هجرات غير عربية وفدت اليه من خارجه سواء من نطاق السفانا الافريقى جنوبا أو من النطاق الاسيوى شرقا أو من خارج هذين النطاقين • ويبدو ذلك بوضوح فى هجرة أعداد كبيرة من غرب أفريقيا الى السودان والاستقرار فيه مثل جماعات (الفلاتة) الذين تعتمد عليهم الزراعة فى أرض الجزيرة• كما تعرضت دول الخليج العربى مبكرا لهجرة عناصر فارسية وبلوخستانية وهندية ، ولعبت هذه الهجرات دورا كبيرا فى التركيب العرقى واللغوى للسكان فى هذه الدول •

الهجرة اليهودية الى فلسطين :

تعد الهجرة اليهودية التى تدفقت على فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر أخطر الهجرات الدولية التى شهدها الوطن العربى فى تاريخه الحديث • وقد بدأت منذ أواخر العصر العثمانى عندما أنشئت أول مستعمرة يهودية فى أرض فلسطين سنة ١٨٣٧ وقدر عدد اليهود آنذاك بنحو ١٥٫٠٠٠ يهودى ، وتزايد عددهم تدريجيا حتى وصل الى ٢٢٫٠٠٠ يهودى سنة ١٨٨١ ، وبلغ عدد المهاجرين ٨٤٣٠٠ مهاجرا فى الفترة من ١٨٥٠ ـ ١٩١٤ وقدم معظمهم من روسيا القيصرية وشرق أوربا • وتزايد عدد المهاجرين اليهود بشكل واضح فى عهد الانتداب

البريطانى (١٩١٩ - ١٩٤٨) حتى أصبح عددهم ٤٨٢٫٨٥٧ مهاجرا خلال هذه الفترة ، ثم تصاعد منحنى الهجرة الوافدة بعد قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ حتى قدر عدد المهاجرين نحو ١٫٧ مليون مهاجرا فى الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٨٢ من أوربا والاتحاد السوفيتى ومن الشرق الاوسط .

وقد ارتبطت الهجرة اليهودية الوافدة بطرد جماعى للفلسطينيين من بلادهم ، فقد هجر اليهود أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطينى سنة ١٩٤٨ ، وشهدت الاعوام التالية أعدادا من الفلسطينيين المهجرين الذين تحولوا مع سابقيهم الى لاجئين فى الضفة الغربية وقطاع غزة والاقطار العربية المجاورة . وقد تزايد عدد اللاجئين بعد سنة ١٩٦٧ بعد استمرار طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة عقب احتلالهما فى تلك السنة.

وهكذا يتضح أن الهجرة اليهودية الى فلسطين تمثل أكبر حركة هجرة استيطانية شهدها الوطن العربى فى تاريخه الحديث . وأدت الى تغير جذرى فى الهيكل الديموغرافى لفلسطين ، فبعد أن كانت نسبة العرب ٦٥٫٢٪ من جملة سكان فلسطين البالغ عددهم ٢٫١ مليون فى مايو ١٩٤٨، انخفض تدريجيا بعد ذلك ليصل الى ٣٥٫٩٪ فقط من جملة السكان وقدرهم ٥٫٣ مليون نسمة سنة ١٩٨٢(١) .

هجرة العمالة الاسيوية الوافدة :

شهد الوطن العربى بعد الحرب العالمية الثانية نمطا فريدا من أنماط الهجرة الوافدة صاغه وحدده النفط العربى واستثمار عوائده فى دول الخليج وليبيا ، وأدت الطفرة الاقتصادية التى شهدتها هذه الدول الى تزايد هائل للطلب على القوى العاملة زاد من حدته التخلف الكبير فى الموارد البشرية المحلية ، وتمكنت هذه الاقطار من جلب قوى عاملة عربية وغير عربية بأجور عالية عوضتها عن المناخ الصحراوى القاسى مما أدى الى تدفق كثيف للغاية للعمالة الوافدة باتجاه هذه الاقطار .

وكانت الكويت منطقة الجذب الاولى للهجرة العمالية الوافدة منذ أواخر الاربعينات وسرعان ما حذت أقطار خليجية أخرى حذوها فى استيراد العمالة مما أدى الى تزايد كبير بشكل لم تشهده منطقة الخليج من قبل وتزايدت معدلات النمو السكانى حتى وصلت الى أرقام فريدة تتراوح بين ٢٠٪و٣٠٪ سنويا فى بعض الأقطار الخليجية فى الفترة من ١٩٦٥-١٩٧٠ .

---

(١) حسن صالح - المرجع السابق - ص ٢٥١ .

وقد اشتد تيار الهجرة نحو أقطار الخليج منذ سنة ١٩٧٤ بصورة واكبت تصاعد أسعار البترول واستثمار عوائده وصاحب ذلك التدفق الهجرى القيود التى وضعت بشأن الهجرة نحو الدول الصناعية الغربية، وأدى تزايد الطلب على القوة العاملة الاجنبية فى دول النفط الى اتجاهها نحو شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا لتامين احتياجاتها منها وأدى ذلك الى تصاعد مفاجىء فى أعداد الاسيويين من عدة آلاف سنة ١٩٧٥ الى أكثر من نصف مليون سنة ١٩٨٠ (٥٦٤ ألف مهاجر) جاء معظمهم من الهند (٤٢٪) ، والفلبين (٢٣٫٣٪) وكوريا (٢١٫٤٪) وبنجلاديش (٥٫٤٪) وسرىلانكا (٤٫٣٪) وتايلاند (٣٫٦٪) •

ويبين الجدول رقم (٨٣) أن التيار الاسيوى يعظم بشكل ملفت للنظر فى دولة الامارات العربية (٤٧٫١٪ من الاسيويين فى الخليج) وسلطنة عمان (١٥٫٧٪) والسعودية (١٤٫٢٪) ، أى أن أكثر من ثلاثة أرباع الاسيويين يوجدون فى هذه الاقطار الثلاثة ويتوزع الباقى بنسب متقاربة فى الكويت وقطر والبحرين •

ب ـ الهجرة الدولية العربية ـ العربية :

ليست هجرة العرب بين أقطارهم وليدة العصر الحديث بل انها ظاهرة سكانية متواصلة شهدها الوطن العربى على امتداد تاريخه الطويل خاصة بين الاقطار المتجاورة فى المشرق والمغرب • وترتب على تلك الهجرات المبكرة اختلاط سكانى وتبادل ثقافى واقتصادى على نطاق واسع •

غير أن أبرز ظاهرات التحركات السكانية الدولية العربية المعاصرة تلك التى ارتبطت بالهجرة المؤقتة للعمل فى دول النفط الغنية ، وقد بدأت هذه الظاهرة كما سبق القول عقب الحرب العالمية الثانية مرتبطة فى ذلك باستخراج النفط العربى وتعاظم انتاجه وعوائده ، وتزايدت بشكل حاد منذ منتصف السبعينيات عقب الطفرة الاقتصادية التى أحدثها ارتفاع أسعار البترول واستثمار عائداته فى مجالات التنمية المختلفة بدول الخليج•

وقد خضعت الهجرة الدولية العربية ـ العربية لعوامل الطرد فى دول المنشأ وعوامل الجذب فى دول الاستقبال ، الا أن اتجاه تيارات الهجرة وحجمها وتوزيع انماطها حدده التباين فى توزيع الثروة البترولية فى الاقطار العربية وفى مستويات التنمية التى أخذت بها مما أدى الى خلق تيارات هجرة قوية من الدول ذات الدخل المنخفض نحو الدول الغنية •

ومن الواضح أن منابع هجرة العمالة العربية تتركز فى ثلاث دول

مشرقية هى مصر واليمن والاردن حيث تستأثر بقرابة ثلثى حجم العمالة المغادرة (٦٣ر٨٪) ودولتين مغربيتين هما الجزائر والمغرب واللتين يصل نصيبهما الى حوالى ربع حجم العمالة المغادرة (٢٢ر٣٪) ، ومعنى ذلك أن نحو ٨٦٪ من العمالة العربية تخرج من هذه الاقطار الخمسة وتتوزع على الدول العربية الاخرى (جدول رقم ٨٣) .

جـدول رقم (٨٣)

حجم العمالة العربية المهاجرة فى بداية الثمانينيات(١)

الدولة	العدد	٪	الدولة	العدد	٪
مصـــر	٢٠٠٠٠٠٠	٤٤ر٠	اليمـــن الديمقراطية	٨٠٠٠٠	١ر٧
الجزائر	٦٥٠٠٠٠	١٤ر٣	تونـــس	٨٠٠٠٠	١ر٧
اليمـــن	٦٠٠٠٠٠	١٣ر٢	ســـوريا	٨٠٠٠٠	١ر٧
المغـرب	٣٦٦٠٠٠	٨ر١	عمـــان	٥٠٠٠٠	١ر١
الاردن	٣٠٠٠٠٠	٦ر٦			
السودان	٢٠٠٠٠٠	٤ر٤			
لبنـــان	١٤٠٠٠٠	٣ر١	الجمـلة	٤٥٤٦٠٠٠	١٠٠ر٠

ويبين الجدول رقم (٨٤) حجم تيارات الهجرة العربية نحـو دول النفط ومنه يبدو أن أكبر التيارات تتجه نحو السعودية والكويت ودولة الامارات وليبيا ، وقد أثرت هذه التيارات تأثيرا جذريا فى تركيب القوة العاملة بهذه الاقطار حيث أصبحت تمثل مايزيد على ثلثى حجم العمالة بها بل تقترب من أربعة أخماس هذا الحجم فى الكويت وقطر والامارات.

وجدير بالذكر أن الهجرة العربية ـ العربية هى فى الاساس هجـرة مؤقتة للعمل وغير اندماجية ـ ربما باستثناء الهجرة الى العراق ـ ومن ثم فهى ليست هجرة استيطانية ، كما لايقوم تفاعل اجتماعى قـوى بين المكونات الوافدة والمواطنين فى قوة العمل والسكان .

---

(١) المصـــدر :

المعهد العربى للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتمـاعية لغربى آسيا ـ سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية ـ ١٩٨٦ ـ عن:
Nazli Choucri and Peter Breeke, Migration in the Middle East, 1983.

جدول رقم (٨٤)

الهجرة الدولية نحو دول النفط العربية بالخليج وليبيا بالالف (١٩٨٠)(١)

دول مستقبلة / دول مصدرة	السعودية	الامارات	الكويت	قطر	البحرين	عمان	دول مجلس التعاون	ليبيا (١٩٧٦)
الاردن/فلسطين	٣٥٧	٣٧	٢٠٤	١٧	٣	٥	٨٠٣	١٨
اليمن الشمالى	٣٢٢	٦	٥	٢	٢	(*)	٣٣٧	—
مصر	٢٠١	٢١	٦١	٤	٣	١٠	٣٠٠	٣٨٠
اليمن الجنوبى	١٥٣	٩	١٢	٢	٢	(*)	١٧٨	—
سوريا	٤٤	١١	٤١	٢	(*)	١	٩٩	١٧
السودان	٧٢	٣	٢	١	(*)	١	٧٩	٩
لبنان	٣٨	١١	٢٥	١	(*)	٣	٧٨	٧
عمان	٤١	٢١	٧	٣	٢	(*)	٧٤	—
العراق	٥	١	٤٥	(*)	(*)	(*)	٥١	—
جملة العرب	١٤١٣	١٢٠	٤٠٢	٣٢	١٢	٢٠	١٩٩٩	٤٣١
ايران	١٣	١٥	٤١	٥	٤	(*)	٧٨	—
دول آسيوية	٩٤	٣١١	٥٦	٥٨	٣٧	١٠٤	٦٦٠	—
دول أخرى	٤٥	١١	٤	٢	٣	٨	٧٣	٨٨(**)
الجملة	١٥٦٥	٤٥٧	٥٠٣	٩٧	٥٦	١٣٢	٢٨١٠	٥١٩
٪	٥٥ر٧	١٦ر٣	١٧ر٩	٣ر٤	٢ر٠	٤ر٧	١٠٠ر٠٪	—

---

(١) المصـــدر :

أ ـ ج٠س٠ بيركس ، س٠ سنكلير ـ ١٩٨٠ ـ الهجرة الدولية والتنمية بالمنطقة العربية (جدول ١٤) ٠

ب ـ مساعد العميم ـ العوامل المحددة لمستويات الاستخدام ٠ ومعدلات مختلف نوعيات الهجرة (دراسة حالة الكويت) فى سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية ـ ١٩٨٦ ـ ص ٣٢٣ ٠

جـ ـ ج٠ س٠ بيركس ، س٠ سنكلير ـ السكان والهجرة الدولية فى الدول العربية : المعطيات الاساسية ـ بيروت ـ ١٩٨٠ ٠

(*) أقل من ٥٠٠

(**) يشمل ٥١ ألف تونسى

ج ـ الهجرة العربية الخارجية :

سبق القول أن الموقع الجغرافى المتوسط للوطن العربى أسهم بدور حاسم فى تاريخه الديموغرافى حيث تأثر بالهجرات الاجنبية الوافدة كما خرجت منه تيارات هجرة متباينة الحجم والاتجاه • واتجه العرب فى هجرتهم الخارجية الى كل قارات العالم وان كانت الامريكتان قد حظيت بالنصيب الاكبر فى الهجرة اللبنانية ومثلها غرب أوربا فى الهجرة المغربية•

التيار اللبنانى نحو العالم الجديد :

عرف سكان لبنان الهجرة الخارجية منذ عهد الفينيقيين عندما طافوا بأجزاء واسعة من حوض البحر المتوسط للتجارة والتبادل الحضارى ، واستمرت الهجرة اللبنانية عبر الحقب التاريخية المتعاقبة مدفوعة بالعديد من العوامل • وقد اشتد تيارها مع أواخر القرن التاسع عشر نحو أمريكا الشمالية والبرازيل • وبلغ متوسط عدد المهاجرين سنويا فى الفترة من ١٨٦٠ ـ ١٩٠٠ حوالى ٣ آلاف شخص وارتفع الى ١٥ ألف فى الفترة ١٩٠٠ ـ ١٩١٤ وانخفض الى ٤٤٠٠ نسمة من ١٩٢١ ـ ١٩٢٩ • ومع بداية الخمسينيات حتى منتصف السبعينيات ضعف تيار الهجرة نتيجة الاستقرار وتحسن الظروف •

ولكن بعد سنة ١٩٧٥ ـ ومع اندلاع الحرب الاهلية الاخيرة فى لبنان تدفقت أفواج من المهاجرين نحو الخارج بمعدلات كبيرة • وقدر صافى الهجرة الخارجية من لبنان فى الخمس سنوات الاولى من المحنة (٧٥ر١٩٨٠) بنحو ٢٧٦ر٠٠٠ نسمة •

وليس هناك تقدير دقيق عن الهجرة اللبنانية الخارجية ، وان كانت وزارة الاعلام اللبنانية قدرت عدد المغتربين اللبنانيين والمنحدرين من أصل لبنانى فى جميع أنحاء العالم سنة ١٩٧٩ بنحو ٤ر٤ مليون نسمة نصفهم تقريبا فى البرازيل (٤٥٪) والثلث فى الولايات المتحدة وكندا (٧ر٣١٪) والسدس فى دول أمريكا اللاتينية الاخرى (٦ر١٥٪) •

التيار المغربى نحو غرب أوربا :

ارتبط تيار الهجرة المغربية نحو غرب أوربا بالعلاقات الثقافية التى ربطت دول المغرب بفرنسا • وقد أصبحت المهجر الرئيسى للعرب فى أوربا حيث تستحوز على نحو ٥ر٨٨٪ من مجموع العرب المقيمين فى أوربا والذين قدر عددهم بنحو ٧ر١ مليون عربى سنة ١٩٧٩ •

وقد بدأت الهجرة المغربية الى فرنسا سنة ١٩١٥ وكانت هجرة قسرية

ابان الحرب العالمية الاولى شملت نحو ١٩٢٠٠٠ عاملا ، عاد معظمهم الى بلادهم بعد انتهاء الحرب ٠ أما الهجرة التلقائية للعمل فقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية لزيادة الطلب على العمالة الاجنبية فى أوربا الغربية وقد بلغ عدد المغاربة فى التعداد العام لفرنسا سنة ١٩٥٤ نحو ٢٢٧٢٠٠ نسمة كان أغلبهم من الجزائريين ٠ وتعاظم حجم تيار الهجرة المغربية بعد الاستقلال بدرجة كبيرة واستمر عدد الجزائريين ممثلا للنسبة الاكبر من المهاجرين المغاربة فى فرنسا حتى اقترب من ثلثى حجم هذه الهجرة سنة ١٩٧٥ كما يبين الجدول رقم (٨٥) ٠

جدول رقم (٨٥)
تطور حجم الهجرة المغربية الى فرنسا (١٩٤٦ ــ ١٩٧٥)(١)

السنة	الجزائر	المغرب	تونس	الجملة
١٩٤٦	٢٢١١٤	١٦٤٥٨	١٩١٦	٤٣٤٨٨
١٩٥٤	٢١١٦٧٥	١٠٧٣٤	٤٨٠٠	٢٢٧٢٠٩
١٩٦٢	٣٥٠٤٨٤	٢٩٣٢٠	٢٤٩٤٠	٤١٠٣٧٣
١٩٦٨	٤٧٣٨١٢	٨٤٢٣٦	٦١٠٢٨	٦١٩٠٧٦
١٩٧٥	٧١٠٦٩٠	٢٢٦٠٢٥	١٣٩٧٣٥	١١١٠٤٥٠

التيار العربى نحو استراليا :

وهو من التيارات الثانوية للهجرة العربية الخارجية٠وقد بدأ منذ أوائل القرن العشرين وتزايد تدريجيا بعد ذلك ٠ فقد ارتفع عدد المهاجرين الى استراليا من حوالى ٢٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٠١ الى نحو ٥٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٤٧ ثم الى ٢٦٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٦١ حتى وصل عددهم الى ٩٩،٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٧٨ ٠

وينتمى معظم المهاجرين العرب فى استراليا الى لبنان ومصر وهما البلدان اللذان كونا الجسر القديم بين الوطن العربى واستراليا ، ففى سنة ١٩٧٨ كان بها ٤٧٩٠٠ شخصا ولدوا فى لبنان و ٣٠٨٠٠ شخصا ولدوا فى مصر ، ويضاف الى ذلك مواليد العرب فى استراليا وبلغ عددهم ٤٨٠٠٠

---

(١) المصـــدر :
على لبيب ــ عمال المغرب العربى بأوربا ــ العودة الصعبة فى كتاب : المعهد العربى للتخطيط والاسكوا ــ سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية ــ ١٩٨٦ ــ ص ٣٠٣ ٠

مولودا منهم ٢٩٧٠٠ لبنانى وسورى و ١٤٣٠٠ مصرى ، واذا أضيف هذا العدد الى مجموع العرب الذين ولدوا خارج استراليا يكون اجمالى المهاجرين العرب ١٤٦٠٠٠ نسمة من الجيلين الاول والثانى .

الخصائص العمرية ـ النوعية للمهاجرين فى الوطن العربى :

اذا كانت الهجرة الدولية فى الوطن العربى متعددة الانماط فان لها خصائص مميزة أبرزها أن التيار الاكبر من حركة السكان الخارجية هو تيار القوة العاملة . كذلك فان الحجم الاكبر من المهاجرين العرب خارج أوطانهم يتكون من الذكور فى سن العمل .

وتبدو ظاهرة الانتقاء العمرى النوعى فى الهجرة من كل الاقطار العربية دون استثناء ولكنها تظهر بشكل حاد فى الهجرة من اليمن حيث تكاد تكون فى معظمها هجرة ذكور للعمل فى الخارج ، فقد بلغت نسبة المهاجرين الذكور ٦٨٫٨٪ من جملة عدد اليمنيين فى الخارج وعددهم ١٫١٦٨٫٢٠٠ وفق تعداد ١٩٨٦ . كما بلغت نسبة النوع ٢٢١ من الذكور مقابل كل مائة من الاناث .

ويبين الجدول رقم (٨٦) نسبة النوع فى أهم دول استقبال المهاجرين وارسالهم ، ومنه يبدو بوضوح ظاهرة الانتقاء الهجرى العمرى النوعى فى مناطق الاستقبال حيث تتكاثف الهجرات الوافدة،ويتركز التراكم الهجرى للذكور خاصة فى المرحلة العمرية الوسطى (٢٠ ـ ٥٠ سنة) وتلك حقيقة أظهرتها كل تعدادات الدول النفطية المستوردة للعمالة على نطاق واسع. ويرجع ذلك فى المقام الاول الى أن هجرة العمالة نحو الدول النفطية ليست هجرة استيطانية بل مؤقتة ، ومن ثم تكون هجرة ذكور لايصطحبون عائلاتهم فى الاعم الاغلب وتشتد رغبة الاقطار المستوردة للعمالة فى هذا النوع من الهجرة .

ومن الواضح أن سرعة وفود المهاجرين الى دول النفط الخليجية قد أدى الى زيادة كبيرة فى نسبة الذكور وان كانت بيانات الكويت فيما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٨٠ تشير الى أن نسبة الاناث بين المهاجرين قد زادت بعد سنة ١٩٧٠ عما كانت عليه سابقا . وتعد نسبة النوع بين المهاجرين الذين هم دون سن الخامسة عشرة طبيعية فى الكويت والامارات مما يشير الى أن معظم هؤلاء ربما ولدوا فى بلدان الاستقبال ، فاذا استمروا فيها واذا تدنت سرعة التدفقات الجديدة بين المهاجرين فان نسبة النوع بينهم ستعكس زيادة فى نسبة الاناث بين البالغين أيضا .

جـدول رقم (٨٦)

نسبة النوع فى أهم دول الهجرة الوافدة والمغادرة ولدى المهاجرين
فى منطقة الخليج(١)

فئات السن	نسبة النوع لـدى المهاجرين(٢)	دول استقبال			دول ارسال		
		السعودية	الكويت	الامارات	اليمن	الاردن	مصر
أقل من ٥	١٤٤	١١٣	١٠٣	١٠٥	١٠٦	١٠٨	١٠٦
٥ – ٩	١٤٨	١١٣	١٠٥	١٠٥	١٠٧	١٠٩	١٠٦
١٠ – ١٤	١٧١	١٢٠	١٠٣	١٠٦	١٠١	١١١	١٠٥
١٥ – ١٩	٢٥٥	١٤٣	١١٧	١٠١	١٠٢	١١٠	١٠٧
٢٠ – ٢٤	٣٨٣	١٦٥	١٣٧	٢٢٦	١٠١	١٠٥	١١١
٢٥ – ٢٩	٤٠٨	١٧٥	١٦٥	٣٦٦	٧٨	٩٥	١٠٩
٣٠ – ٣٤	٤٢٠	١٧٨	١٦٧	٤٣٨	٦٠	٩٦	٩٨
٣٥ – ٣٩	٤٤٦	١٧٤	١٨١	٤٥١	٦١	٩٦	٩٣
٤٠ – ٤٤	٤٤٢	١٥٦	٢١٣	٤٦٥	٦٧	١٠١	٩٥
٤٥ – ٤٩	٤٤٥	١٤٠	٢١١	٣٩٠	٧٤	١٠٥	٩٥
٥٠ – ٥٤	٣٥٥	١٣٥	٢١٤	٢٨٠	٧٨	١٠٨	٩٧
٥٥ – ٥٩	٣٣٧	١٢٠	١٧١	٢١٣	٨٢	١١٣	٩٦
٦٠ – ٦٤	٢٣٥	١٢١	١٢٦	١٥٥	٨٥	١٠٩	٩٥
٦٥ – ٦٩	١٧٨	١٠٦	١١٤	١٣٣	٨٦	١٠٦	٩٦
٧٠ +	—	—	٩١	١١٨	٩١	١١٠	٩٢
المتوسط	٢٨٦	١٣٥	١٣٤	٢٢١	٩٣	١٠٦	١٠٣

(١) مصدر البيانات :
تقديرات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ كشوفات البيانات الديموغرافية ... بغداد ١٩٨٥ .
(٢) متوسط نسبة النوع لدى المهاجرين الوافدين فى السعودية والكويت والامارات والبحرين وقطر .

والاناث المهاجرات يدخلن البلاد المستقبلة بصفتهن أفراد أسرة وليس للعمل وذلك باستثناءات قليلة بطبيعة الحال ـ ورغم التزايد فى استخدام الاناث غير المواطنات فمازال معظمهن يفضل البقاء فى المنزل مما يخفف الدوافع لخفض الخصوبة بينهن . ونتيجة لذلك يزداد عدد الاطفال غير المواطنين فى البلدان المستقبلة للمهاجرين .

وكما سبق القول تعد اليمن ـ وهى دولة هجرة مغادرة رئيسية ـ مثالا واضحا على الاخلال فى توزيع السكان عمريا ونوعيا بها بسبب الهجرة. ويظهر ذلك بوضوح فى انخفاض عدد الذكور عن الاناث فى المدى العمرى ٢٥ ـ ٦٥ سنة ، ويبلغ غياب الذكور عن المجتمع أقصاه فى فئة العمر ٣٠ ـ ٣٤ حيث بلغت نسبة النوع ٦٠ من الذكور مقابل كل مائة أنثى . ويعنى ذلك ضمنا غياب الازواج الاباء لفترات طويلة مما يحدث تصدعا فى النسيج الاجتماعى للدولة .

أما الهجرة العربية نحو الخارج ـ أى نحو أوربا أو الامريكتين أو استراليا فهى هجرة استيطانية فى معظمها . وتتباين تيارات الهجرة العربية نحو الخارج عن التيارات العربية ـ العربية فى ظاهرة الانتقاء النوعى . فرغم أن الانتقاء الهجرى النوعى هو سمة مميزة لكل الهجرات الخارجية فانه ليس بالتطرف الذى يظهر فى هجرات العمالة داخل الوطن العربى . أما الانتقاء العمرى فتتشابه فيه التيارات الداخلية والخارجية الى حد كبير حيث تتجه الاعمار الوسطى للهجرة بصرف النظر عن الدوافع والمسافة .

ويغلب على الهجرة العربية الخارجية هجرة الاسر ، فقد شهدت الهجرة المغربية الى فرنسا ـ على سبيل المثال ـ تزايدا كبيرا فى عدد الاسر المهاجرة وعملت فرنسا من جانبها على دعم تجمع الاسر لتحقيق هدفين أولهما : الحصول على رصيد من القوة العاملة يتكون من أبناء المهاجرين لتعويض آبائهم فى الدورة الاقتصادية الفرنسية ، وثانيهما الحد من تحويل العملة الصعبة الى بلد المنشأ .

وجدير بالذكر أن تيار العودة للهجرة المغربية فى أوربا ضعيف رغم أن دول الاستقبال تحث عليه وتشجعه بعض دول الارسال كالجزائر الا أن الغالبية العظمى من المهاجرين المغاربة يتحولون من مهاجرين مؤقتين الى دائمين ويؤدى عامل الوقت الى استقرارهم اجتماعيا ومن ثم يميل المنحنى العمرى النوعى الى الاتجاه نحو الشكل الطبيعى بمرور الوقت لغلبة هجرة الاسر واتجاه المهاجرين الى التئام الشمل الاسرى .

الهجرة الدولية والمرأة العربية :

أدت التحركات السكانية الدولية التى شهدها الوطن العربى فى العقود الاخيرة الى تأثير قوى فى البنية الاقتصادية والاجتماعية فى دول المنشأ ودول المهجر فى آن معا ٠ ورغم أن الدراسات قد حاولت تحليل آثار الهجرة ونتائجها على التغير الاجتماعى خاصة فى دول الخليج الا أن القليل منها الذى تناول تأثيرها على المرأة العربية ودورها المتغير فى المجتمع ٠ وربما كان ذلك راجعا الى قصور البيانات من ناحية أو لقلة حجم الهجرة النسائية من ناحية أخرى ٠

وتؤثر الهجرة على المرأة تأثيرا متعدد الجوانب سواء كانت مهاجرة مستقلة أو معولة ٠ فالمرأة المهاجرة تعد دالة لعوامل متشابكة فى بيئتها الاصلية وعوامل الجذب فى البيئة المستقبلة ، شأنها فى ذلك شأن الرجل المهاجر ، كذلك فان هجرة الذكور المتزوجين الذى لايصحبون زوجاتهم فى المهجر تؤثر بطريق مباشر على دور المرأة ونمط حياتها وعلاقاتها الاجتماعية ، وهناك بعض الادلة على أن الهجرة الدولية من قبل النساء تولد ـ على الارجح ـ تغييرات بنيوية أساسية فى المجتمع أكثر مما تفعله الهجرة المماثلة للرجال ، بل ويصل هذا التأثير الى تقليل معدلات الانجاب لدى المرأة من خلال مايعرف بالابالة التطوعية Abstinence فى اطار المتغيرات الوسيطة المؤثرة فى الخصوبة ، كما تؤدى هجرة الذكور غير المتزوجين الى تأخير تكوين الاسر المستجدة من خلال ارتفاع متوسط السن عند الزواج لدى الذكور والاناث معا ٠

ويمكن تناول تأثير الهجرة الدولية على المرأة العربية من زاويتين : **الاولى** تأثير الهجرة على المرأة العربية فى مناطق الاستقبال وبالتحديد فى دول الخليج العربية ٠ **والثانية** تأثيرها على المرأة فى مناطق الارسال٠وفى كلتا المنطقتين قد تضم المرأة طبقة موسرة تتيح لها امكانيات الارتقاء الحضارى من خلال التعليم والاسهام فى النشاط الاقتصادى أو قد تضمها طبقة دنيا تقل فيها فرص تعليم المرأة بل وتزداد معاناتها من خلال انخفاض مستوى العيش وتدنى الخدمات الصحية وقيام المرأة بأعمال مضنية خاصة فى المناطق الريفية ٠

الهجرة الدولية للاناث :

من الصعب الوقوف على حجم الهجرة الدولية للمرأة فى الوطن العربى وذلك نابع من صعوبة التأكد من حجم المهاجرين العرب بصفة عامة ، وان كانت بعض الدراسات قد اتخذت بعض المؤشرات للوقوف على حجم

الهجرة النسائية من خلال نسبة الاعالة حيث تكون المرأة فى أغلب الاحيان ضمن أسرتها المهاجرة ٠

وتتباين الدول العربية فى تشجيع هجرة الاسر ، فبعض الدول المستقبلة كالسعودية وعمان لاتشجع أصطحاب المهاجرين الذكور لاسرهم الا فى حالات محددة ٠ وسواء كان عدم اصطحاب الاسرة قرارا فرديا أو مرتبطا بنظم الدولة المستقبلة فمن المؤكد أن عدد الاناث المهاجرات أقل بكثير من عدد الذكور المهاجرين ٠ وبالاضافة الى ذلك فان الانتقال المؤقت للاسرة مع عائلها ليس نمطا مميزا لكل المهاجرين من الجنسيات المختلفة، فعلى حين تعتبر هذه الظاهرة عادية بالنسبة للمهاجرين ذوى المستويات المهنية العالية،فان المهاجرين الادنى مهارة والاقل دخلا يكونون بمفردهم٠

وفى ضوء البيانات المتاحة عن عدد الاناث المهاجرات فى دول النفط العربية بالخليج والتى تستأثر بالنسبة الاكبر من حركة الهجرة الدولية العربية يمكن أن تتضح بعض جوانب الهجرة النسائية فى الوطن العربى ويبين ذلك الجدول رقم (٨٧) ٠

جدول رقم (٨٧)

الهجرة الوافدة فى دول الخليج العربية سنة ١٩٨٤ (باستثناء عمان)(١)

الدولة	عدد الاناث الوافدات	٪ من جملة المهاجرين بالدولة	عدد العاملات الوافدات	٪ من قوة العمل الوافدة
السعودية	٥٢٩٥٦٠	٢١ر١	٣٧٩٩٣	٢ر٩
الكويت	٣٦٤٩٩٠	٣٧ر٤	٦٤٦٠٤	١٣ر٦
الامارات	٢٦٠١٤٧	٢٥ر٥	٤٠٧٨٣	٦ر٠
قطر	٥٦٣٠١	٣٣ر٤	٨٢٦١	٩ر٢
البحرين	٣٥٣٨٠	٢٤ر٨	٨٩٩٣	٩ر٠
الجملة	١٢٤٦٣٧٨	٢٥ر٩	١٦٠٦٣٤	٦ر٠

---

(١) المصدر :

الارقام المطلقة مصدرها : الامم المتحدة ــ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ــ كشوفات البيانات الديموغرافية ــ بغداد ــ ١٩٨٥ ٠ أما النسب فمن حساب المؤلف ٠

ورغم أن بيانات الجدول المذكور هى عن عدد الاناث الوافدات ـ عربيات وغير عربيات ـ فمن المتوقع أن الغالبية العظمى منهن اناث عربيات وفدن اما فى صحبة ذويهن (هجرة أسر) أو للعمل فى الدول المذكورة ٠

وتبين أرقام الجدول رقم (٨٧) أن المرأة تشكل ربع حجم المهاجرين فى أقطار الخليج ، وان كانت النسبة تنخفض الى الخمس فى السعودية وتقترب من الخمسين (٢/٥) فى الكويت كذلك يبدو أن نسبة ضئيلة من هؤلاء الاناث يسهمن فى النشاط الاقتصادى بهذه الاقطار حيث تصل النسبة الى ٩ر١٢٪ من حجم الهجرة النسائية ٠ ومعنى ذلك أن امرأة واحدة من بين كل ثمان اناث مهاجرات ـ هى التى تعمل اما مستقلة أو فى صحبة اسرتها والباقيات وفدن معولات ٠ وتتباين هذه النسبة بين دول الخليج النفطية تباينا كبيرا حيث تصل أدناها فى السعودية وأعلاها فى البحرين وبفارق كبير ٠ ويرتبط ذلك بالمستويات التعليمية للمهاجرات ارتباطا وثيقا كما تبين أرقام الجدول رقم (٨٨) ٠

جدول رقم (٨٨)
نسبة الامية لدى الاناث المهاجرات فى بعض دول الخليج
(الاناث ١٥ سنة فأكثر) ١٩٨٤(١)

الدولة	نسبة الامية لدى الاناث الوافدات ٪	نسبة العاملات من جملة الوافدات ٪
السعودية	١ر٥٦	٢ر٧
الامارات	٩ر١٩	٧ر١٥
الكويت	٦ر١٩	٧ر١٧
البحرين	٥ر١٣	٤ر٢٥

ومن الواضح أن التباين فى نسبة المهاجرات العاملات الى جملة المهاجرات لايتمشى مع نسبتهن من حجم القوة العاملة فى كل دولة ٠ ولعل

---

(١) المصدر :
الامم المتحدة ـ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ كشوفات البيانات الديموغرافية ـ بغداد ـ ١٩٨٥ ٠

ذلك مرجعه اختلاف حجم القوة العاملة فى هـذه الدول الى جملة السكان من ناحية واختلاف دور المهاجرين بعامة فى القوة العاملة بها من ناحية أخرى ومن هنا تأتى الكويت فى مقدمة الاقطار التى تسهم المرأة الوافدة بالنسبة الاكبر فى القوة العاملة بها بينما يصل الحد الادنى لهذا الاسهام فى السعودية ٠

وتعمل الاناث المهاجرات فى كثير من قطاعات النشاط الاقتصادى وتتركز النسبة العالية منهن فى قطاع الخدمات المجتمعية والشخصية،ففى سنة ١٩٨٤ بلغت هذه النسبة فى الكويت ٨٥ر١٪ من جملة العمالة النسائية الوافدة وفى الامارات ٧٣ر٥٪ (مقابل ٨٨٪ ، ٩٢٪ للمواطنات العاملات على الترتيب) ٠ وأبرز هذه الخدمات التدريس والتمريض ٠

وجدير بالذكر أن هناك فرقا جوهريا بين معدلات النشاط الاقتصادى العمرى للاناث الوافدات فى أقطار الخليج العربية ومعدلات المواطنات بها حيث تتدنى معدلاتهن الى الى حد كبير خاصة عند طرفى المنحنى ، وفى المتوسط يصل معدل النشاط الاقتصادى للمرأة الوافدة بالسعودية أكثر من أربعة أمثال معدل المواطنات ، وفى الكويت ثلاثة أمثال وفى الامارات أحد عشر مثلا مما يدل على المرأة بها مازالت بعيدة عن الاسهام فى النشاط الاقتصادى فى البلاد بشكل لامثيل له فى أقطار الخليج الاخرى ٠

وعموما فان معدل النشاط الاقتصادى الخام للمرأة الخليجية منخفض رغم ارتفاع نسبة تعليم الاناث فى بعض الدول كالبحرين والكويت،ويعود ذلك لاسباب أبرزها العادات والاعراف السائدة التى تنظر الى عمل المرأة كأمر غير مرغوب فيه ٠ اضافة الى انخفاض المستويات التعليمية للمرأة الخليجية (بلغت نسبة الامية لدى الاناث ١٥ سنة فأكثر سنة ١٩٨٤ نحو ٦٦ر٧٪ فى السعودية و ٦١ر٨٪ فى الامارات و ٤٨ر١٪ فى الكويت و٤٥ر٣٪ فى البحرين) ٠ وأدى ذلك الى الاستعانة بعمالة نسائية من الخارج ٠ ومن المفارقات الغريبة فى هذا المجال أنه بينما يسمح فى معظم الاقطار للنساء الاجنبيات بالعمل فى مجالات متنوعة فانه يحظر على النساء المحليات العمل فى هذه المجالات ٠

تاثير الهجرة الدولية على المرأة الخليجية :

رغم أن المرأة العربية فى منطقة الخليج تتعرض لما يتعرض له المجتمع بأكمله من تحول اجتماعى وثقافى انعكس على تحررها وتعليمها واسهامها فى الحياة الاجتماعية ، الا أن الاعتماد على العمالة الاجنبية وكذلك بعض

جدول رقم (٨٩)

معدلات النشاط الاقتصادى العمرية للاناث فى بعض دول الخليج سنة ١٩٧٤ (١)

فئات السن	السعودية		الكويت		الامارات	
	وافدات	مواطنات	وافدات	مواطنات	وافدات	مواطنات
١٥ – ١٩	٤ر٧	١ر٩	٩ر٧	١ر٣	٨ر٢	١ر٣
٢٠ – ٢٤	٩ر٧	٥ر٥	٣١ر٤	١٦ر٤	١٨ر٨	٦ر٦
٢٥ – ٢٩	٢٦ر١	٤ر٠	٣٨ر٦	٢٧ر١	٢٨ر٩	٤ر٣
٣٠ – ٣٤	٢٤ر٥	٣ر٤	٣٥ر٨	٢١ر٨	٣٥ر٨	٢ر٩
٣٥ – ٣٩	٢٢ر٥	٢ر٤	٣٦ر٤	٨ر٦	٣٢ر٧	٣ر٢
٤٠ – ٤٤	٢٢ر٣	٢ر١	٣٨ر٢	٤ر٥	٣٦ر٧	٢ر٣
٤٥ – ٤٩	٢٠ر٩	٢ر٩	٣٨ر٢	٣ر٠	٣٥ر٨	٢ر٣
٥٠ – ٥٤	١٦ر٦	٣ر٩	٣٧ر٣	٢ر٢	٢٢ر١	٢ر٢
٥٥ – ٥٩	١٤ر٣	٣ر١	٣٢ر٧	١ر٣	١١ر٨	٢ر١
٦٠ – ٦٤	١٣ر٥	٢ر٩	١٥ر٢	٠ر٦	٨ر٣	١ر٣
٦٥ +	٣ر١	١ر٥	—	—	٢ر١	٠ر٥
المتوسط	٧ر٢	١ر٦	١٧ر٧	٥ر٨	١٥ر٧	١ر٤

الظروف السائدة قد حالا دون قيام المراة بدورها التربوى والاجتماعى والاقتصادى على الوجه الاكمل ، فقد تخلت المرأة فى العديد من الاحوال عن وظائفها المنزلية ودورها الطبيعى فى تربية الاطفال وتنشئتهم وذلك نتيجة التوسع فى استخدام الخادمات والمربيات الاسيويات توسعا فاق الحاجة اليهن وحتى أصبح استخدامهن مظهرا للمباهاة الاجتماعية أكثر منه حاجة حقيقية لتشغيلهن .

والواقع أن استخدام المربيات الاسيويات قد تزايد بشكل واضح فى المنازل الخليجية حتى ان احدى الدراسات ذكرت بأنه من بين كل ثلاث أسر عربية خليجية حضرية من الطبقات العليا أو الوسطى توجد أسرة واحدة على الاقل تعتمد على المربيات الاسيويات . ولاشك أن ذلك يؤدى الى التأثر بالمؤثرات الاسيوية فى الصفات والمكونات الثقافية للاجيال الخليجية الجديدة وما يحمله ذلك من خطورة . فالمربيات الاسيويات

(١) المصدر :
الامم المتحدة – اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا – كشوفات البيانات الديموغرافية – بغداد – ١٩٨٥ .

يمارسن ـ ولو عن غير قصد ـ تأثيرا خطيرا على التكوين النفسى والقيمى والثقافى لاطفال الاسر الخليجية ، ولا يقتصر هذا التأثير على اللغة العربية ومفرداتها ، وانما يتعداه الى اكساب النشىء قيما وعادات وتقاليد غريبة عن القيم والعادات والتقاليد العربية .

وقد أدى التدفق الهجرى ـ فى اطار سياسات توظيف عوائد النفط فى دول الخليج الى نتائج منها نمـو الاجهـزة البيروقراطية الرسمية وشبه الرسمية وتداعى أخـلاقيات العمل بين الخليجيين والتحيز ضـد العمـل اليدوى المنتج وكذلك عمل المرأة . وقد انعكس ذلك كله على دور المـرأة الاقتصادى ـ خاصة نساء جماعات النفوذ الاجتماعى والاقتصادى ـ حتى أصبح عملها فى القطاع الرسمى ليس عمـلا حقيقيا بقـدر ماهـو مجـال لتمضية وقت الفـراغ .

ولاشك أن هذا الوضع نشـأ نتيجة مقـدرة الاقطـار الخليجية على الحصول على احتياجاتها من العمالة الوافدة بأجـور محدودة بالمقـارنة بايراداتها النفطية مما جعـل الحكومات تتسـامح ازاء اهمال العـاملين المحليين وتعتمد على العمالة الوافدة . وقد أصبح استئجار الوافدين سلوكا عاما تمارسه كافة القوى ابتداء بالدولة وانتهاء بالافراد سواء بهدف القيام بالانشطة الانتاجية أو بالخدمات الشخصية فى المنازل أو فى مجال الاعمال والخدمات الحكومية حتى لو كان المحليون أنفسهم قادرين على انجـاز هذه الاعمـال .

الهجرة الدولية والمرأة العربية فى مناطق الارسال :

اذا كان للهجـرة الدولية أثر واضح على المـرأة العـربية فى مناطق استقبال المهاجرين ونقصد هنـا الاثار السلبية التى انعكست على المـرأة الخليجية على وجه الخصوص ، فان لها آثارا سلبية من ناحية أخرى على المرأة فى مناطق الارسال . واذا كان تدفق المهاجرين وسهولة الحصول على الايدى العاملة فى أقطار النفط العربية قد أدى الى تخلى المرأة عن دورها فى تنشئة الاطفال مثلا ، فان هجرة الذكور بمعدلات كبيرة أدت الى تزايد أعباء المرأة وتغير دورها فى مناطق ارسال المهاجرين . وقد سبق القـول بأن نمط هجرة الاسر يكاد يكون مرتبطا بالفئات المهاجرة ذات المهـارات العالية ومن ثم يقل تأثير الهجرة على المرأة فى هذه الفئات وربما انعكس على تغيير نمطها الاستهلاكى أكثر من انعكاسـه على دورها فى التربيـة الاسرية .

وفى ضوء تزايد هجرة العمالة الدنيا ـ كالعمال ذوى المهاراتالمنخفضة

والذين يشكلون قطاعا كبيرا من تيارات الهجرة نحو أقطار الخليج والعراق وليبيا فان مسئولية الاشراف على الاسرة فى غياب الازواج المهاجرين تقع على كاهل الاناث • ويمتد هذا الاشراف فى الريف ليشمل شئون الارض الزراعية والانشطة الاخرى • والملاحظ أن هذه الفئة من النساء اللائى يتولين مهمة الاشراف على أسرهن أثناء هجرة الازواج يؤدين أدوارا أكبر مما تؤديه النساء الاخريات ، بل يقمن بأدوار تدخل فى نطاق مسئولية الرجال مثل متابعة العمل الزراعى فى الحقل واستئجار العمال الزراعيين لاداء العمل بها ومنها اتخاذ القرارات التى يناط بالرجال اتخاذها مثل اجراءات زواج البنات وتجهيزهن •

الا أن من أبرز نتائج الهجرة الدولية للعمالة العربية ليس التاثير فى مجال القيم الجماعية أو المجتمعية فقط بل امتدت لتشمل العلاقات الاسرية فهجرة العمالة العربية الى الدول النفطية قد صاحبها فى معظم الاحيان انفصال بين العائل وأفراد عائلته لمدة طويلة نسبيا مما أدى الى اضعاف الروابط العائلية وخلق نوع من التفكك الاسرى وتنشئة جيل من الاطفال فى ظل عائلات وحيدة الوالد ، حيث يكون الاشراف على تربية الاولاد وتعليمهم من مهام الامهات فقط بدلا من أن يكون مهمة مشتركة بين الوالدين •

وفى دراسة ميدانية أجريت فى بعض القرى المصرية عن الهجرة ونتائجها تبين أن هجرة الازواج للاقطار العربية أثرت على المهام الملقاة على المرأة الريفية خاصة لدى جماعات صغار الحائزين للارض الزراعية والاجراء الزراعيين ، ويبدو ذلك فى مقارنة أنماط مشاركتهن قبل سفر أزواجهن وبعد سفرهم ، كما أظهرت الدراسة أن المرأة واجهت مشكلات تربية الاولاد والسيطرة عليهم خاصة الذكور منهم ، وفى كثير من الحالات تغيرت العلاقات بين المرأة وزوجها الى الاسوأ مما أثر فى الترابط الاسرى بل والانفصال العائلى فى بعض الحالات •

ويبدو تأثير الهجرة الدولية على المرأة العربية فى مناطق الارسال واضحا فى اليمن ، حيث تتضافر عوامل عديدة لتزيد من حدة المشكلات التربوية ودور المرأة فيها • وأبرز هذه العوامل ارتفاع نسبة المهاجرين الذين يتركون عائلاتهم فى اليمن وكذا ارتفاع نسبة الامية لدى النساء اليمنيات (٩٧٪ سنة ١٩٧٥) • ولاشك أن انتشار الامية الابجدية مؤشر صادق على انتشار الامية التربوية بين النساء اليمنيات • وذلك بالاضافة الى تدنى مكانة المرأة فى نظر المجتمع اليمنى مما قد يولد لديها شعور

بالدونية وعدم الاهلية للشئون التربوية ، وكل ذلك يقلل من مقدرتها وكفاءتها الفعلية على تربية الابناء وتعليمهم حتى أن العديد من الاطفال فى المناطق الريفية اليمنية التى غاب عنها عائل الاسرة لم يعد من الممكن اخضاعهم لسلطة الأم ، كما أن العديد من الاطفال الذين يضطرون للعمل كبديل للرجال فى سن مبكرة يميلون الى تقليد الرجال فى تناول القات ولفائف التبغ وغيرها من العادات وذلك حتى قبل سن البلوغ .

ورغم أن الدراسات الميدانية التى أجريت فى مناطق ريفية مصرية على سبيل المثال قد اثبتت تغيرا فى دور المرأة الاجتماعى والاقتصادى ، فان بعض الباحثين يرى انه ليس من المؤكد أن أوضاع الهجرة الدولية ستؤدى الى تغيير الدور الاجتماعى للمرأة فى المجتمعات العربية كما يتصورها البعض اذ عادة ماتقع المرأة فى غياب زوجها تحت سيطرة فرد آخر من افراد عائلتها على الرغم من تزايد عبء المسئوليات الملقاة على عاتقها خاصة فى مجال تربية الاطفال وتنشئتهم .

نحو سياسات للهجرة الدولية تتكامل مع بعض قضايا المرأة العربية :

أدت الهجرة الى اقطار النفط العربية الى تغيرات اجتماعية واقتصادية ملموسة فى المجتمع العربى المستقبل للمهاجرين والمرسل لهم . ولما كان معظم المهاجرين من الذكور الذين تركوا أسرهم فى بلادهم الاصلية فقد أدى ذلك الى تزايد فى أعباء الاناث خاصة فى الريف فى الوقت الذى ادت فيه الهجرة الوافدة الى تخلى المرأة العربية الخليجية عن دورها الطبيعى فى التربية الاسرية . ومن هنا فان أية سياسة للهجرة الدولية ينبغى أن تأخذ الافكار التالية فى الاعتبار حتى تتكامل مع بعض قضايا المرأة العربية:

١ ــ غنى عن القول أن التكامل الاجتماعى والتئام شمل الاسر المهاجرة يقوم بدور هام فى تحقيق التوافق الهجرى مع مجتمع الاستقبال ذلك لانه رغم مايحققه المهاجرين من نجاح اقتصادى فى المهجر الا أن الروابط الوثيقة مع الاسرة والتئام شملها تعد أكثر أهمية،ولدى المهاجرين ذوى الدخل الاكثر انخفاضا فان الاسرة لاتوفر العون المعنوى فقط بل تكون أيضا مصدرا من مصادر الامن الاقتصادى والمساعدات المتبادلة .

٢ ــ ليس من شك فى أن تحسين مركز المرأة العربية وتعزيز دورها الاجتماعى ــ الاقتصادى يعد هدفا هاما يؤثر على حياة الاسرة وحجمها تاثيرا ايجابيا . ومن هنا فان العمل على التئام شمل الاسر المهاجرة هو أحد العوامل الهامة فى الوصول الى هذه الغاية . ويرتبط بذلك العمل على دمج المرأة واشتراكها بشكل كامل فى جميع مراحل عملية التنمية .

٣ ـ من الثابت أن عدم تشجيع أرباب الاسر على اصطحاب أسرهم يعد أحد العوائق التى تحول دون مساعدة المرأة العربية فى تحقيق المساواة مع الرجل فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعها . ذلك لان تحمل المسئوليات الاسرية والعناية بالاطفال عملية مشتركة بين الرجل والمرأة . ومن هنا فان وضع سياسة تشجع على التئام شمل أسر المهاجرين العرب هو تعزيز لمركز المرأة ودورها فى المجتمع كما يسهم فى تحقيق التنشئة الاجتماعية السليمة لجيل عربى سوى .

٤ ـ يعد تشجيع المرأة العربية المحلية فى المهجر للاشتراك فى القوة العاملة المنتجة أحد الاسس الهامة للسياسة السكانية المرتبطة بالهجرة ويرتبط ذلك بعدم تقييد حريتها وتوفير الفرص والظروف التى تمكنها من الجمع بين أنشطتها خارج المنزل ودورها فى تنشئة الاطفال والاعمال المنزلية ـ والحد من الاعتماد على المربيات الاجنبيات اللائى يعهد اليهن بتحمل تبعات المرأة العربية فى التربية الاسرية .

٥ ـ من الامور الهامة للاقطار المصدرة للعمالة ضرورة العمل على تنفيذ برامج تستهدف تحسين وحماية الحقوق القانونية للمرأة ومركزها من خلال الجهود التى ترمى الى ازالة العوائق التى تعترض تعليم المرأة وتدريبها ورعايتها صحيا واجتماعيا حتى تقوم بدورها الطبيعى كام ومربية يقع عليها عبء كبير فى التحول الاجتماعى .

٦ ـ يرتبط بسياسة الهجرة الدولية فى الدول المستقبلة العمل على معاملة المهاجرين وأفراد أسرهم الذين يصحبونهم معاملة مساوية لتلك التى يعامل بها مواطنو الدول المضيفة فى مجال الحقوق الاساسية وشروط العمل والضمان الاجتماعى والصحى والتعليمى والخدمات الاجتماعية الاخرى .

وتتمشى هذه الافكار المرتبطة بصياغة سياسات الهجرة الدولية وعلاقاتها بقضايا المرأة العربية مع ما جاء من توصيات المؤتمر الدولى للسكان (مكسيكو ١٩٨٤) والتى طالبت الدول المستقبلة للمهاجرين ألا تأخذ فى اعتبارها الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية لبلدانها فحسب بل أيضا رفاهية المهاجرين وأسرهم والنتائج الديموغرافية للهجرة ، وتعزيز الاوضاع الطبيعية فى الحياة الاسرية للعاملين من المهاجرين .

الفصل العاشر

الأبعــاد الديموغرافية لمشــكلة البطـــالة

فى العـــالم العـــربى

تعد مشكلة البطالة من المشكلات الحادة التى تواجه كثيرا من الاقطار العربية وتؤثر فى بنائها الاقتصــادى والاجتماعى بل والســياسى الى حد كبير ٠ وليست هذه المشكلة وليدة الاوضاع السكانية المعاصرة فقط بل جاءت نتيجة لمجموعة من العوامل الديموغرافية المترابطة والمتراكمة فى آن معا٠ فعلى امتداد العقود الثلاثة الاخيرة يعيش العالم العربى مرحـلة تحـول ديموغرافى انعكس على حجم السكان وايقاع النمو ، فقد تبنت دوله خططا للتنمية كان هدفها تحديث الهيكل الاقتصــادى من ناحيــة والتوســع فى الخدمات الصحية والتعليمية من ناحية أخرى ، وترتب على ذلك تزايد فى أعداد السكان ، ومن ثم فى حجم القوة العاملة بمعدلات فاقت قــدرات كثير من الدول العربية على استيعابها ٠ وشهدت الدول العربية ظهــور قطاع كبير من السكان قادر على العمل وراغب فيه ولا يستطيع الحصول عليه مما أصبح مظهرا من مظاهر اهدار جزء من الثروة البشرية فى هذه الدول وتعاظم حجم العاطلين بها ٠

وترتبط مشكلة البطالة بكثير من المتغيرات الاقتصادية والاجتمــاعية لعل أبرزها قدرة المجتمع على توفير فرص العمل للقادرين عليه وتوجيه العمالة الى أنشطة انتاجية وخدمية متكاملة،وفوق ذلك كله مدى استيعاب سوق العمل المحلية للاعــداد التى تضاف سنويا الى حجم القــوة العاملة والتى تزيد فى مجموعها عن الاعداد التى تنسحب من هذه السوق بســبب الهجرة أو بلوغ سن التقاعد أو الوفاة ٠

ويهدف هذا الفصل الى تحليل الابعاد الديموغرافية لمشكلة البطالة فى العالم العربى ٠ وترتبط هذه الابعاد بخصائص القوة العاملة بعامة الا أن أبرزها الجوانب المرتبطة بمستويات البطــالة وارتباطها بحجم الســكان وتركيبهم العمرى النوعى ، ودور الهجرة فى تلك الظاهرة وتباينهــا من

قطر لاخر وانعكاسها على الفوارق الحضرية ـ الريفية،وكذلك الخصائص التعليمية للعاطلين واتجاهها المستقبلى فى ضوء تزايد التعليم وتناقص فرص العمل فى كثير من الاقطار العربية .

مصـادر البيانات :

ليست بيانات القوة العاملة فى الدول العربية كاملة أو متكاملة ، كما أن المتوفر منها لايعطى صـورة دقيقة عن حجمها وتوزيعها الاقليمى أو خصائصها الديموغرافية . وتتباين هذه الدول فيما بينها تباينا كبـيرا فى مدى توفر مصادر البيانات ـ وأهمها التعدادات السكانية ، ويصـل هذا التباين أقصاه بين الدول العربية فى شمال أفريقيا من ناحية،ودول جنوب شبه الجزيرة العـربية من ناحية أخـرى ، ففى الوقت الذى ترجـع فيه التعدادات السكانية الحديثة فى مصر مثلا الى مايزيد على مائة سنة فان هناك دولا لم تجر تعدادا سكانيا الا منذ ثلاثين عاما مثل السعودية (أول تعداداتها فى عامى ١٩٦٣/٦٢) ، وسلطنة عمـان التى لم تجر تعـدادا لسكانها على الاطلاق حتى الوقت الحاضر ، وان كان من المتوقع اجراؤه فى القريب العاجل .

وعلى ذلك فليس من السهل فى معظم الاقطار العربية دراسة تطـور منحنى البطالة على امتداد فترة طويلة للوقوف على اتجاهه وخصائصه بل والتوزيع الاقليمى لهذه الظاهرة ، ولاريب أن العيوب التى تشـوب التعدادات السكانية فى الاقطار العربية انما ترجع الى عوامل أبرزها غياب الوعى الاحصائى وتدنى المستويات الثقافية وارتفاع نسبة الامية ووجـود نسبة غير قليلة من السكان البدو فى بعض الاقطار وصعوبة حصرهم بدقة. ولكن الملاحظ فى السنوات الاخيرة أن الوعى الديموغرافى أفضـل من ذى قبل فى كثير من الاقطار العربية حيث أنشئت بها أجهزة متخصصة فى جمع البيانات السكانية والوقوف على خصـائص العمالة والبطـالة ، وارتبط بذلك تزايد نسب التعليم والاتجاه الجاد للتعرف على حجم الظـاهرات السكانية وأبعادها ومنها ظاهرة البطالة .

ورغم أهمية البيانات التعدادية فى تحليـل جـوانب القـوى العاملة والبطالة فى الدول العربية الا أن التباين فى السنوات التى أجريت فيهـا التعدادات وعدم توافق البيانات ـ سواء فى تعريف الافراد العـاطلين أو تحديد بداية سن العمل ، يحول دون الوصول الى نتائج مشتركة بين الدول العربية ويشكل صعوبة فى تحليل هذه الظاهرة .

وتعد المسوح الاحصائية بطريقة العينات مصدرا آخرا من مصادر دراسة البطالة ، وقد أجرت بعض الدول العربية مسوحا حديثة لعل أبرزها مصر والمغرب والجزائر وبعض دول الخليج ، ويعد مسح القوى العاملة فى حضر المغرب سنة ١٩٨٤ من أهم مصادر دراسة البطالة فى المدن المغربية ٠

وربما كانت البيانات المنشورة من قبل هيئات محلية أو دولية من المصادر الهامة التى تضيف الى دراسة ظاهرة البطالة فى العالم العربى وأبرزها منشورات هيئة الامم المتحدة خاصة مكتب العمل الدولى (ILO) الذى يستقى بياناته من مصادر متعددة منها تعدادات السكان وبيانات العمالة من ادارات القوى العاملة ، وكذلك اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لجنوب غربى آسيا (الاسكوا) والتى تهتم بنشر البيانات السكانية عامة عن الدول العربية الاسيوية ومصر ٠

مشكلة تعريف البطالة ومفهومها :

يعد التعرف على حجم البطالة بالعوامل الديموغرافية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية المختلفة مرتبطا بتعريف البطالة ومن هو «العاطل»٠ واذا كان المفهوم الاساسى الذى يحدد النشاط الاقتصادى لا يختلف من دولة عربية لاخرى ، فان السكان ذوى النشاط الاقتصادى يمكن تعريفهم بوجه عام بأنهم «الافراد الذين يشتركون فى تقديم العمل لتقديم السلع الاقتصادية والخدمات ، ويتضمن ذلك ليس فقط العاملين وقت الحصر بل وكذلك المتعطلين – أى القادرين على العمل والباحثين عنه» ٠

ومعنى ذلك أن العاطلين يتحددون بدقة فى ذلك القطاع من القوة العاملة القادر على العمل والباحث عنه ولايجده ، غير أن المشكلة فى ذلك هى تحديد من هو العاطل وذلك فى اطار اجابة سؤال العمل فى التعداد وما اذا كان الفرد عاملا أو متعطلا أو اذا كان خارج القوة العاملة ٠ وكذلك فى تحديد الحد الادنى للسن الذى يعد فيه السكان ذوى نشاط اقتصادى ٠ فقد كان الحد الادنى لسن العمل فى مصر وليبيا ٦ سنوات ، والمغرب ١٠ سنوات والكويت وسوريا ١٢ سنة ، وتونس ١٥ سنة ، غير أن التعدادات الاحدث فى معظم الدول العربية قد اتخذت سن الخامسة عشرة السن الادنى التى تحدد دخول سوق العمل ٠

واضافة الى ماسبق فان أبرز مشكلات التعاريف الخاصة بالبطالة تلك المرتبطة بثلاث فئات تؤدى الى تفاوت معدلات البطالة بين الاقطار العربية وهى :

أ ـ العاملون لدى أسرهم بدون أجر : وخاصة فى المجتمعات الريفية حيث الزراعة هى الحرفة الرئيسية للسكان (فى سنة ١٩٨٠ بلغت نسبة العاملين فى الزراعة من جملة القوى العاملة فى السودان ٧١٪ وموريتانيا واليمن ٦٩٪ ومصر والمغرب ٤٦٪ وتونس ٣٥٪ وسوريا ٣٢٪ والجزائر ٣١٪ والعراق٣٠٪) ، وهذه الفئة تدخل فى التعدادات ضمن القوة العاملة دون تفرقة بين نشاط المرأة التى تقوم بأعمال عرضية فى الحقول وأعمال أخرى ، وكذلك دون تحديد الذين يعملون فى فترات محددة ويبقون عاطلين فى فترات أخرى ، ومعظم أفراد هذه الفئة عموما قد يكونون من الصغار فى سن التعليم أحيانا ، وكذلك من الاناث اللائى يقمن بأعمال حقلية بالاضافة الى أعمالهم المنزلية .

ب ـ العمال الهامشيون : وهم الافراد حديثو السن الذين ينتقلون من مرحلة الدراسة الى سوق العمل ، أو الكبار الذين يتركون العمل تدريجيا بسبب الاحالة الى المعاش أو عدم القدرة على العمل بسبب التقدم فى السن . وعامة تشترك التعدادات العربية فى اتخاذ سن الرابعة والستين حدا أقصى للحالة العملية .

جـ ـ الافراد العاطلون ولا يبحثون عن عمل : وتمثل هذه الفئة قطاعا يتباين حجمه من دولة لاخرى حسب حجم السكان وفرص العمل المتاحة والظروف الاقتصادية السائدة ، وفى وقت التعداد قد يوجد عدد منالافراد بدون عمل ولكنهم لايبحثون عنه لاسباب عديدة مما قد يضيف الى حجم البطالة فى المجتمع سواء كانت بطالة دائمة أو موسمية ، حقيقية أو مقنعة.

مستويات البطالة فى العالم العربى :

قدر عدد سكان العالم العربى بنحو ١٩٨ مليون نسمة سنة ١٩٨٦ موزعين على احدى وعشرين دولة تتشابه فى معظم الخصائص الديموغرافية والاجتماعية ، فهى تتصف بمعدل نمو سكانى مرتفع وبتركيب عمرى شاب وتزايد أمد الحياة وانخفاض متوسط السن عند الزواج وبغلبة الحياة الريفية التقليدية وبارتفاع فى معدلات النمو الحضرى وهيمنة العواصم على اتجاه حركة السكان الداخلية بها ، وتتشابه الدول العربية فى ذلك مع كثير من دول العالم النامى الاخرى .

بيد أن أقطار الوطن العربى تختلف فيما بينها فى مظاهر أخرى لعل أبرزها التباين فى حجم السكان والقوة العاملة وموارد الثروة الاقتصادية، وقد ترتب على ذلك تباين فى مستويات التنمية والبناء الاقتصادى ومدى

استيعاب القوة العاملة ، ومن ثم ظهور مناطق جذب ومناطق طرد وفق تلك المستويات ، والملاحظ بصفة عامة أن الدول الاكثر سكانا تمثل مناطق الفائض فى القوة العاملة وبالتالى ترتفع فيها معدلات البطالة ، كما تدفع بقطاع من قوتها العاملة الى الهجرة نحو مناطق الجذب ذات الحجم السكانى الصغير ومستويات التنمية العالية .

وتتباين مستويات البطالة فى الاقطار العربية تباينا كبيرا هى الاخرى وترتبط فى ذلك بعوامل أبرزها مستويات التنمية فى كل قطر واجمالى ناتجه القومى فى ضوء حجم سكانه وبنائه الاقتصادى ومقدرته على استيعاب الزيادة السنوية فى قوة العمل به ، وتصديره للعمالة أو استقباله لها .

وعلى ذلك يصبح تحليل مستويات البطالة فى العالم العربى - بل وأبعادها الديموغرافية - مرتبطا فى المقام الاول بتقسيم الدول العربية وفق مستويات التنمية والدخل ، وربما كان تقسيم البنك الدولى للانشاء والتعمير سنة ١٩٨٨ مناسبا لهذا الغرض . فقد قسمت الاقطار العربية الى أربع مجموعات وفق التصنيف العالمى اعتمادا على نصيب الفرد من الناتج القومى وهى : **المجموعة الاولى** وتضم السودان وموريتانيا، **والثانية** تضم اليمن والمغرب ومصر وتونس والاردن وسوريا **والثالثة** تضم الجزائر وعمان والعراق ، أما **المجموعة الرابعة** فتضم ليبيا ودول مجلس التعاون الخليجى باستثناء سلطنة عمان .

وتختلف معدلات البطالة فى هذه المجموعات اختلافا كبيرا كما يبدو من الجدول رقم (٩٠) ، فيرتفع فى دول المجموعتين الاولى والثانية التى تصدر العمالة فى معظمها الى دول المجموعة الرابعة وبعضا من دول المجموعة الثالثة . ورغم أن دولا من المجموعتين الاولى والثانية مثل مصر قد فتحت باب الهجرة نحو الخارج منذ أوائل السبعينات ، فقد استمرت ظاهرة البطالة فى التزايد بين المتعلمين حاملى الشهادات المتوسطة والعالية ، فمن بين الوافدين الى سوق العمل والذين يقدر عددهم بحوالى ٤٠٠ ألف سنويا ينتمى النصف تقريبا الى حاملى تلك الشهادات .

ورغم اختلاف سنوات المقارنة واختلاف مصادرها فى الجدول رقم (٩٠) فانه يمكن القول بأن أعلى معدلات البطالة - وهى نسبة العاطلين الى مجموع القوة العاملة بكل دولة - تسود فى الجزائر ومصر وموريتانيا والمغرب والاردن والسودان ، ففى هذه الدول الست يبدو أن أكثر من عشر حجم القوة العاملة عاطل ، بل انها ترتفع الى الخمس فى كل من الجزائر

وتونس مما يعكس ضخامة هذه المشكلة واحتمالاتها السلبية المستقبلية فى هذه الاقطـار ٠

وعلى الجانب الاخر تتناقص معدلات البطالة بشكل ملحوظ فى العراق ودول مجلس التعاون الخليجى والتى لاتزيد فيها المعدلات عن واحد فى المائة الا قليلا ٠ وغنى عن القول أن هذه الدول تعتمد فى بنائها الاقتصادى على قوة عاملة وافدة بنسبة كبيرة تسهم فى عمالتها الوطنية فى مجـالات التنمية المختلفة بها ٠ ولاشك أن نمط البطالة وخصـائصها بين العمـالة الوطنية بهذه الاقطار يختلف عن مثيله فى بقية الاقطار العربية فانخفاضه الى هذا المستوى يرتبط بضآلة أعـداد العاطلين من جهـة ونسبتهم الى مجموع القـوة العـاملة من جهـة أخـرى ، وذلك رغم أن الخصـائص الديموغرافية للعاطلين فى دول الخليج لاتختلف كثيرا عن مثيلتها فى الدول العربية الاخرى خاصة من حيث السن والنوع ٠

ورغم صعوبة تقدير حجم البطالة فى العالم العربى لاختلاف التعريف كما سبق القول لتباين تواريخ التعدادات والمسوح فـان استقراء بيـانات الجدول رقم (٩٠) قد تعطى تقديرا عاما عن هذا الحجم والذى يتراوح بين ٥ر٤ ــ ٥ مليون نسمة وبما يعادل ١٠٪ من جملة القوة العربيةالعاملة فى منتصف الثمانينيات(١) ٠

التركيب العمرى ــ النوعى والبطالة :

يسهم التركيب العمرى والنوعى بدور كبـير فى تحديد حجم القـوة العاملة فى المجتمع ونسبة العاطلين منها ، واذا كان عدد العاملين ونسبتهم

---

(١) المصـــادر :

١ ــ الامم المتحدة ــ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسـيا ــ كشوفات البيانات الديموغـرافية وما يتصـل بها من بيـانات اقتصـادية واجتماعية ــ بغداد ــ ١٩٨٥ ٠

٢ ــ ج٠م٠ع ــ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ــ التعـداد العام للسكان والاسكان والمنشآت ١٩٨٦ ــ النتائج الاولية ــ ابريل ١٩٨٧ ٠

٣ ــ المملكة المغربية ــ النشرة الاحصائية السنوية للمغرب ــ ١٩٨٧ ٠

٤ ــ الجمهورية الجزائرية ــ الديوان الوطنى للاحصائيات ــ الجزائر بالارقام ــ نشرة ١٩٨٩ ٠

٥ ــ الجمهورية التونسية ــ المعهد القومى للاحصاء ــ مسح السكان والعمالة ــ تونس ــ ١٩٨٠ ٠

٦ ــ المعهد العربى للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ــ سياسات استخدام وانتقال العمالة العربية ــ بغداد ــ ١٩٨٦

جـدول رقم (٩٠)
حجم البطالة ومعدلاتها فى الدول العربية

	الدولة والسنة		عدد السكان	حجم القوة العاملة	٪	عدد العاطلين	٪ من القوه العاملة
(١)	السودان	(١٩٨٣)	٢١ر٥٩٣ر٠٠٠	٦ر١٦٥ر٠٠٠	٢٨ر٥	٦٦٣ر٤٦٩	١٠ر٥
	موريتانيا	(١٩٧٧)	٨٤٩ر٨١٠	٢٥٢ر٨٨٠	٢٩ر٧	٣١ر٦٤٣	١٤ر١
(٢)	اليمن	(١٩٨٦)	١١ر٦١٩ر٤٣٩	٢ر٥٥٥ر١٦٠	٢٢ر٠	(**)	(**)
	المغرب	(١٩٨٢)	٢٠ر٤١٩ر٠٠٠	٥ر٣٥٧ر٠٧٨	٢٦ر٢	٦٤٢ر١٨٢	١٢ر٠
	مصر	(١٩٨٦)	٤٨ر٢٠٥ر٠٠٠	١٣ر٦٧٨ر٠٠٠	٢٨ر٤	٢ر٠١٢ر٠٠٠	١٤ر٧
	تونس	(١٩٨٠)	٦ر٣٦٩ر٠٠٠	١ر٥٧٦ر٩٠٠	٢٤ر٨	٣٢٥ر٠٠٠	٢ر٦
	الاردن	(١٩٨٤)	٢ر٥٩٨ر٦٢٠	٥٥٢ر٣٥٧	٢١ر٢	٣٢ر٩٦٢	٩ر٠
	سوريا	(١٩٨٤)	١٠ر٠٩٩ر٠٤٩	٢ر٣٨١ر٧٨٥	٢٣ر٦	٦٧ر٢٧٠	٢ر٨
(٣)	الجزائر	(١٩٨٧)	٢٢ر٨٠٧ر٠٠٠	٥ر٣٤١ر١٠٢	٢٣ر٤	١ر١٤٨ر٢٧٨	٢١ر٤
	عمان	(١٩٨٦)	١ر٢٩٣ر٠٠٠	٣٦٩ر٠٠٠	٢٨ر٥	(**)	(**)
	العراق	(١٩٨٤)	١٥ر٠٧٧ر٩٧٦	٣ر٧٧٩ر٩٧١	٢٥ر١	٢٣ر٨٠٠	٠ر٩
(٤)	السعودية	(١٩٨٥)	١٢ر٦٤٢ر٢٠٠	٤ر٣٤٢ر١٠٠	٣٤ر٤	(**)	(**)
	الكويت	(١٩٨٤)	١ر٦٣٤ر١١٨	٥٩٨ر٠٩٨	٣٦ر٦	٨ر٥٢١	١ر٤
	الامارات	(١٩٨٤)	١ر٣٥٢ر٨٧٦	٧٣٧ر٩٧٨	٥٤ر٦	١ر٥٤٥	٠ر٢
	ليبيا	(١٩٨٦)	٣ر٩٠٠ر٠٠٠	(**)	(**)	(**)	(**)
	البحرين	(١٩٨٤)	٤١٠ر٠٤٩	١٧٦ر٨٥٣	٤٣ر١	٢ر٤٤٣	١ر٤
	قطر	(١٩٨٥)	٢٤١ر٠٠٠	١٠٢ر٠٠٠	٤٢ر٣	(**)	(**)

(**) بيانات غير متاحة .

الى اجمالى السكان وصفاتهم الديموغرافية تختلف باختلاف المجتمعات وخصائصها ومستويات التنمية بها ، فان خصائص البطالة تماثل ذلك الى حد كبير ،فمن الواضح أن الهيكل العمرى للسكان يسهم فى مقدار مساهمتهم فى الانتاج ، ففى سن التعليم يحجم كثير من الافراد عن الدخول فى سوق العمل حتى يتفرغوا للعلم والتدريب تمهيدا للمساهمة فى قوة العمل مستقبلا ، كذلك يتقاعد الافراد عن العمل فى أعمار معينة تختلف باختلاف الحالة العملية وقوانين العمل والمقدرة الجسمانية والذهنية . ونقل مساهمة الاناث عن الذكور بحكم طبيعة وظيفتهن فى المجتمع واضطرارهن احيانا للتفرغ للعمل المنزلى بعد الزواج ، كما تختلف مساهمة السكان فى قوة العمل باختلاف البيئة نظرا للتفاوت بين الريف والحضر واختلاف نمط الحياة بينهما .

ورغم تباين الدول العربية فى حجم القوة العاملة ومداها العمرى ، فانها تتجانس فى نسبة السكان الذين يعرفون (بالنشيطين اقتصاديا) والذين يمثلون ذلك القطاع الذى يقع بين سن الخامسة عشرة والرابعة والستين ، فهى تزيد قليلا عن نصف السكان (يبلغ متوسطها نحو ٥٤٪) ، اما قطاع الصغار دون الخامسة عشرة وهم رصيد القوة العاملة فى المستقبل فتصل نسبته الى نحو ٤٣٪ من جملة السكان (جدول رقم ٩١) . وعلى ذلك فالمجتمع العربى مجتمع فتى فى تركيبه العمرى ، ويبدو ارتفاع نسبة الصغار به اذا قورنت بالعالم (٣٤٪) أو بالدول الاكثر تقدما (حوالى ٢٠٪ فقط) ، وقد ترتب على ذلك تدنى نسبة الكبار وانخفاض العمر الوسيط والذى وصل الى حوالى ١٧ سنة مقابل ٢٢ سنة للعالم ككل ونحو ٣٠ سنة للدول الاكثر تقدما .

وفى ضوء هذا التركيب العمرى ، فان نسبة الاعالة النظرية فى العالم العربى تصل الى مستويات عالية ، ذلك لان كل مائة من السكان فى سن العمل يسهمون فى اعالة ٨٥ من الصغار والكبار معا ، (مقابل ٥٤٪ فى الدول الاكثر تقدما،٦٧٪ فى العالم) وتصل نسبة الاعالة الحقيقية الى ثلاثة أمثال النسبة النظرية ، وبمعنى آخر فان كل مائة من العاملين فعلا يعولون نحو ثلاثمائة من السكان غير العاملين .

ويعيش العالم العربى فى الوقت الحاضر مرحلة تحول ديموغرافى واقتصادى واجتماعى انعكست على التغير فى خصائص القوة العاملة ومجالات الانشطة الاقتصادية التى تسهم فيها ، ولعل أبرز مظاهر التغير هو انخفاض أهمية الزراعة كوسيلة للعيش مما انقص فرص العمل بالنسبة للعمال الهامشيين والموسميين فى أعمار العمل المبكرة وكذا كبار السن.وقد انخفضت نسبة العاملين فى الزراعة منذ منتصف الستينيات فى معظم الاقطار العربية وبدرجات متفاوتة ، ففى الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٨٠ شهدت

جــدول رقم (٩١)
فئات السن الكبرى فى العالم العربى والعالم
(٪ من جملة السكان سنة ١٩٨٣)(١)

الفئــة	أقل من ١٥ سنة	من ١٥ ــ ٦٤	٦٥ فاكثر	العمر الوسيط بالسنة
العــــالم العـــــربى	٤٣	٥٤	٣	١٧
الدول الاكثر تقدما	٢٢	٦٥	١٣	٣٠
العــــــــــالم	٣٤	٦٠	٦	٢٢

الجزائر أكبر انخفــاض فى تلك النســبة حيث هبطت من ٥٧٪ الى ٣١٪ وبنسبة هبوط بلغت ٤٦٪ ، وتلتها سوريا والعراق (من ٥١٪ الى ٣١٪) وبنسبة ٤٠٪ ثم المغرب (من ٦١٪ الى ٤٦٪) وتونس (من ٤٩٪ ــ ٣٥٪) ثم مصر (من ٥٥٪ ــ ٤٦٪) والسودان (من ٨٢٪ الى ٧١٪) ، وقد شهدت هذه الدول تزايدا فى نسبة العاملين فى الصناعة والخدمات بنسب متفــاوتة هى الاخرى ٠

وقد أظهرت البيانات المتاحة أن معدلات الاسهام فى النشاط الاقتصادى تتفاوت حسب النوع تفاوتا كبيرا يوضحه الجدول رقم (٩٢) ، فترتفــع نسبة الذكور العاملين الى جملة السكان الذكور فى دول مجلس التعــاون الخليجى حيث تزيد هجرة العمالة الوافدة لتصل الى ثلاثة أرباع الذكور فى الامارات وثلثى عددهم فى قطر وأكثر من نصفهم فى الكويت ، ويختلف الامر بالنسبة لبقية الدول التى تتراوح نسبة الذكور العاملين بها من ٣٨٪ الى ٤٨٪ من جملة السكان الذكور ٠ أما الاناث فتتفاوت معدلات اسهامهن فى القوة العاملة تفاوتا كبيرا بين الدول العربية مرتبطة فى ذلك بمستويات التعليم ومكانة المرأة ٠ ومن الواضح أن التباين فى نسب الاناث العاملات أوسع بكثير من مثيله لدى الذكور ليصل الى نسبة ١ : ٤ تقريبا فى الاردن ومصر على سبيل المثال ٠

معدلات البطالة حسب العمر :

ليس هناك تجانس فى معدلات البطــالة العمرية للذكــور والاناث فى الدول العربية ٠ ومع ذلك فمن الملاحظ أن هذه المعدلات غالبا ما تكــون مرتفعة فى الاعمار المبكرة (١٥ ــ ١٩ و ٢٠ ــ ٢٤) حيث يصــل معــدل البطالة الى ضعف المعدل القومى أو أكثر من ضعفــه ، وما يلبث منحنى

---

(١) المصــــدر :

— L'Institut National D'études Demographiques, Population et Sociétés, No. 171, Paris, 1983.

— Omran, A. R., Population of the Arab World, New York, 1980.

جدول رقم (٩٢)
معدلات المشاركة فى القوة العاملة حسب النوع
فى الدول العربية للسكان ١٥ سنة فأكثر (٪)

الدولة	السنة	ذكور	اناث
السودان(١)	١٩٧٣	٨٩ر٦	٢١ر٧
موريتانيا(١)	١٩٨٤	٨٢ر٤	٢٨ر١
اليمن(٢)	١٩٨٤	٧٩ر٢	٨ر٣
المغرب(١)	١٩٨٢	٨٠ر٨	١٦ر٩
مصر(٢)	١٩٨٤	٧٤ر١	٥ر٧
تونس(٣،٤)	١٩٧٥	٧٢ر٨	١٧ر٠
الاردن(٢)	١٩٨٤	٦٦ر٧	٩ر٤
سوريا(٢)	١٩٨٤	٨٣ر١	٩ر٨
لبنان(٢)	١٩٨٤	٦٧ر١	٢٠ر٥
الجزائر(١*)	١٩٨٢	٨٠ر٦	٦ر١
عمان(٢)	١٩٨٤	٧٤ر٦	١٠ر٣
العراق(٢)	١٩٨٤	٧٥ر٦	١٥ر١
السعودية(٢**)	١٩٨٤	٧٣ر٤	٩ر٥
الكويت(٢**)	١٩٨٤	٦٤ر٦	١١ر١
الامارات(٢*)	١٩٨٤	٦٧ر٥	٢ر٩
ليبيا(٣،٤)	١٩٧٣	٧٨ر٤	٦ر٩
البحرين(٢**)	١٩٨٤	٧٨ر٤	١٩ر٥
قطر(٢)	١٩٨٤	٧٣ر٤	٩ر٥

البطالة العمرى أن يتناقص بشدة مع التقدم فى العمر ليصل الى أدناه فى فئات السن ٤٠ ـ ٤٩ و ٥٠ ـ ٥٩ حيث يكون الذكور عاملين ، أما بعد الستين فيتدنى المعدل ليقترب من الصفر،ولعل فى بيانات التركيب العمرى النوعى للعاطلين فى مصر والجزائر مايدل على ذلك (جدول رقم ٩٣) .

(١) منظمة العمل الدولية ـ الكتاب الاحصائى السنوى ـ ١٩٨٥ .
(٢) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ كشوفات البيانات الديموغرافية ومايتصل بها من بيانات اقتصادية واجتماعية ـ رقم٤، ١٩٨٥ .
(٣) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ـ الكتاب الاحصائى السنوى للبلاد العربية ـ العدد الخامس ـ عمان ـ ١٩٨٢ .
(٤) هدى زريق وفادية سعادة ـ دور المرأة فى تعبئة الموارد البشرية ص ١٨٧ . ضمن كتاب السكان وتخطيط وتنمية الموارد البشرية فى العالم العربى ـ منظمة العمل الدولية وجامعة القاهرة ـ ١٩٨٧ ـ ص ١٨٧ .
(*) السكان ٢٠ سنة فأكثر .
(**) المواطنون فقط .

جـدول رقم (٩٣)

معدلات البطالة حسب السن والنوع فى مصر والجزائر

فئات السن	مصـــــر ١٩٨٦ ذكور	مصـــــر ١٩٨٦ اناث	الجـــزائر ١٩٨٧ ذكور	الجـــزائر ١٩٨٧ اناث
٦ – ٩	٤ر٤١	١٢ر٦٠	—	—
١٠ – ١٤	٣ر٨٠	٤ر٣٧	—	—
١٥ – ١٩	٢٠ر٨٨	٥٣ر٥٩	٦٥ر٥٨	٤٦ر٧٨
٢٠ – ٢٤	٣٣ر٠٦	٥٥ر٩٤	٣٣ر٧٤	١٨ر٦٧
٢٥ – ٢٩	١٥ر٠٩	١٧ر٣٨	١٦ر٢٩	٧ر٥١
٣٠ – ٣٤	٤ر٨٦	٣ر٢٦		
٣٥ – ٣٩	٢ر٨٩	—	١٠ر١٧	٣ر٤٩
٤٠ – ٤٤	٢ر٣٦	—		
٤٥ – ٤٩	٠ر٧٦	—	١٠ر٤١	٢ر٧٤
٥٠ – ٥٤	٠ر٨٩	—		
٥٥ – ٥٩	٠ر٧٩	—	١٣ر٤٥	٣ر٦٨
٦٠ +	—	—	٦ر١٦	٠ر٨٧
الجمـــــلة	١٠ر٣٩	٢٤ر١٤	٢٢ر١٩	١٣ر٢٥

وبالمثل يمكن ملاحظة نمط عام لبطالة الاناث حسب العمر ، فترتفع المعدلات بدرجة كبيرة فى الاعمار المبكرة (١٥ – ٢٤) حيث تكون نسبة عالية منهن غير متزوجات وأنهى الكثير منهن مراحل التعليم المتوسط أو العالى ويبحثن عن عمل ، ثم يعقب ذلك انخفاض تدريجى بحكم الظروف الاجتماعية التى تجعل كثيرا من المتزوجات فى هذه المرحلة العمرية يعزفن عن العمل لرعاية أطفالهن ، وان كان المنحنى العمرى للعاطلات يبدأ فى التزايد الطفيف بعد ذلك عندما يصبح عدد من الاناث أرامل أو مطلقات

(١) المصـــدر :
الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – تعداد السكان ١٩٨٦ نتائج العينة – المجلد الاول – خصائص السكان والاسكان – اجمالى الجمهورية – جدول رقم ١٤ – ص ص ٧٥ – ٧٦ .

(2) Collections Statistiques, Recensement General de la Population et de l'Habitat, 1987, Serie Analysie Vol. I., p. 30.

مايلبثن فى البحث عن عمل ، وفى أحوال أخرى يبدأن فى البحث عن عمل عقب وصول أطفالهن الى سن مناسبة لايحتاجون فيها الى تفرغ الام لرعايتهم ، وكما هى الحال فى بطالة الذكور فان معدل البطالة يختلف بشدة بعد سن الستين حيث تتقاعد الاناث بعد ذلك وتكاد هذه الانماط تتكرر فى كل الدول العربية دون استثناء ٠

وغنى عن القول أن معدلات البطالة العالية بين الاشخاص فى سن العمل دون الرابعة والعشرين هى محصلة طبيعية لمعدل النمو السكانى المرتفع وغياب فرص العمل التى تواكب هذه الزيادة ، ومن هنا فان ارتفاع معدل المواليد وتدنى معدل الوفيات أدى الى زيادة أعداد السكان فى سن العمل المبكرة بمعدل فاق القدرة الاستيعابية لسوق العمل فى كثير من الاقطار العربية ٠

ولا تشذ دول الخليج العربية عن النمط السائد للتعطل العمرى النوعى الذى سبق ذكره ، فقد شهدت هذه الدول نموا اقتصاديا مرتفعا خلال السبعينيات خاصة فى النصف الثانى منها٠وترتب على ذلك انخفاض معدلات التعطل للخليجيين الى حدودها الدنيا،فلم يتجاوز معدل التعطل الاجمالى الخمسة فى المائة فى الامارات والكويت (جدول رقم ٩٤)،وترتفع

جدول رقم (٩٤)

معدلات البطالة حسب السن للقوى العاملة المواطنة
فى بعض دول مجلس التعاون الخليجى (٪)(١)

فئات السن	الامارات العربية ١٩٨٠	البحرين ١٩٨١	الكويت ١٩٨٣
١٥ ـ ١٩	١ر٩	٤٦ر٩	١٨ر٨
٢٠ ـ ٢٤	٤ر٢	١٦ر٤	٥ر٠
٢٥ ـ ٢٩	٢ر٢	١ر٦	١ر٥
المجموع	٤ر٤	١٩ر٢	٤ر٣
٣٠ فاكثر	٢ر٦	٣ر٠	٠ر٥
المجموع	٣ر٣	١١ر٥	٣ر٤

(١) المصدر :
المعهد العربى للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية ـ الكويت ـ ١٩٨٦ ـ ص ١٤٥ ٠

هذه المعدلات فى فئة العمر ١٥ ــ ١٩ سنة حيث تتراوح من ٩ ــ ٣٥٪ (باستثناء البحرين سنة ١٩٨١) ثم فى الفئة ٢٠ ــ ٢٤ سنة ، أى فى الفئات التى تشهد الانتقال من التعليم الى الدخول فى سوق العمل ، وبمعنى اخر فان ارتفاع هذه المعدلات فى الاعمار المبكرة يعكس التسرب من التعليم ودون مباشرة النشاط الاقتصادى٠ويؤكد هذا الاستنتاج التوزيع النسبى للمتعطلين حسب حالة التعطل حيث شكل المتعطلون الجدد أكثر من ٧٠٪ فى كافة التعدادات الكويتية ، وما يفوق عن نصف اجمالى المتعطلين فى البحرين سنة ١٩٨١ ٠

معدلات البطالة حسب النوع :

تتفاوت معدلات البطالة حسب النوع بين الدول العربية تفاوتا كبيرا، ويبدو التباين واضحا فى معدلات بطالة الاناث أكثر منه فى معدلات الذكور وبين ذلك الجدول رقم (٩٥) ٠ وتظهر بيانات هذا الجدول أن الحد الاقصى لمعدل بطالة الذكور يصل الى أكثر قليلا من خمس حجم القوة العاملة فى الجزائر وأكثر قليلا من العشر فى كل من المغرب ومصر ٠ وفيما عدا هذه الدول الثلاث تنخفض المعدلات بشكل واضح فى بقية الدول خاصة دول الخليج النفطية ٠ ومعنى ذلك أن هناك شخصا عاطلا من كل خمسة أشخاص من الذكور فى سن العمل بالجزائر مقابل شخص من بين كل عشرة أشخاص فى مصر والمغرب ، وشخص من كل ثلاثين فى سوريا والاردن ، وينخفض المعدل الى شخص واحد من بين كل مائة شخص فى دول الخليج العربية وربما يرجع المعدل المرتفع فى الجزائر الى تعريف العاطل كما ورد فى تعداد مارس ١٩٨٧ حيث اعتبر العاطلين هم هؤلاء الافراد الذين يصل سنهم الى ١٦سنة فأكثر ولم يسبق لهم العمل ويبحثون عنه وكذلك الافراد الذين سبق لهم العمل ولكنهم بدون عمل وقت التعداد ٠

أما التباين فى معدلات البطالة للاناث فهو أوسع مدى من الذكور ، فيصل الى أقل من واحد فى المائة فى العراق والى ٢٤٪ فى مصر والاردن ، ومن المعروف أن اعتبار المرأة داخل قوة العمل فى معظم الاقطار العربية دون الواقع بكثير ، وذلك لان نسبة كبيرة من العاملات لدى ذويهن بدون أجر فى المناطق الريفية يتم استبعادهن من القوة العاملة مما يؤدى الى انخفاض اسهام الاناث فى القوة العاملة وبالتالى تناقص عدد العاطلات منهن ، الا أنه من الواضح أن عدد الاناث الباحثات عن عمل لاول مرة قد تزايد فى الدول العربية فى العقد الاخير لانهن يمثلن فى الواقع الاضافة العددية للبطالة فى البلاد بسبب النمو السكانى من ناحية وماتضيفه المعاهد

التعليمية بمستوياتها المختلفة من خريجات يضفن الى سوق العمل باستمرار فعلى سبيل المثال تزايد عدد الاناث العاطلات فى الجزائر من ٢٣٣١٠ امرأة فى تعداد ١٩٧٧ الى ٦٥٢٦٠ امرأة فى تعداد ١٩٨٧ وزاد معدل البطالة لديهن من ٤ر١١٪ الى ٢ر١٣٪ فى التعدادين المذكورين على الترتيب وفى مصر تزايدت أعداد العاطلات من ٢٩٣٠٠٠ أنثى سنة ١٩٧٦ الى ٨٥٣٠٠٠ سنة ١٩٨٦ ، وارتفع معدل البطالة لهن من ٧ر٢٩٪ الى ٦ر٤٠٪ من جملة القوى العاملة (٦ سنوات فاكثر) فى التعدادين المذكورين على الترتيب .

جدول رقم (٩٥)

معدلات البطالة حسب النوع فى بعض الدول العربية(١)

الدولة والسنة		معدل الذكور (٪)	معدل الاناث(٪)
المغرب ١٩٨٢		٠٠ر١٢	٩٠ر١١
مصر ١٩٨٦		٣٩ر١٠	١٤ر٢٤
الاردن ١٩٨٤		٧٠ر٣	٨٠ر٢٣
سوريا ١٩٨٤		٠٠ر٣	٤٠ر١
الجزائر ١٩٨٧		١٩ر٢٢	٢٥ر١٣
العراق ١٩٨٤		٠٢ر١	٢٤ر٠
الكويت ١٩٨٤	مواطنون	٤٠ر٣	٤٠ر٢
	غير مواطنين	٧٠ر٠	٢٠ر٢
الامارات ١٩٨٤	مواطنون	٠٠ر١	٣٠ر٢
	غير مواطنين	١٠ر٠	٦٠ر٠
البحرين ١٩٨٤		٤٧ر١	٨٢ر٠

والملاحظ على تطور معدلات البطالة حسب العمر فى العقدين الاخيرين

---

(١) المصدر :
١ - الامم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا - كشوفات البيانات الديموغرافية ومايتصل بها من بيانات اقتصادية واجتماعية - بغداد - ١٩٨٥ .
٢ - ج.م.ع : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - تعداد ١٩٨٦ .
٣ - المغرب : النشرة الاحصائية السنوية للمغرب - ١٩٨٧ .
٤ - الجزائر : الديوان الوطنى للاحصائيات - الجزائر بالارقام - نشرة ١٩٨٩ .

أنها شهدت تغيرا واضحا حسب كل فئة عمرية نوعية ، ولعل من أبرز مظاهر هذا التغير أن فئات السن الدنيا ٦ – ٩ ، ١٠ – ١٤ سنة قد شهدت انخفاضا ملحوظا فى معدلات البطالة للذكور والاناث معا ، ولعل فى مصر مثال واضح على ذلك فيما بين تعدادى ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ كما تبين أرقام الجدول رقم (٩٦) • ويبدو من هذا الجدول أن انخفاض النسبة فى هذه

جدول رقم (٩٦)
التغير فى معدلات البطالة العمرية النوعية فى
الفترة ٧٦ – ١٩٨٦ فى جمهورية مصر العربية[١]

فئات السن	ذكور		اناث	
	١٩٧٦	١٩٨٦	١٩٧٦	١٨٩٦
٦ – ٩	٣٦ر٠٧	٤ر٤١	٨٠ر٠٣	١٢ر٦٠
١٠ – ١٤	١٥ر٨٧	٣ر٨٠	٤٤ر٨٠	٤ر٣٧
١٥ – ١٩	٨ر٢٤	٢٠ر٨٨	٢٨ر٨٠	٥٣ر٥٩
٢٠ – ٢٤	١٢ر٨٧	٣٣ر٠٦	٣٤ر٠٧	٥٥ر٩٤
٢٥ – ٢٩	٣ر٧١	١٥ر٠٩	٧ر٨٠	١٧ر٣٨
٣٠ – ٣٤	٠ر٨٤	٤ر٨٦	١ر٤٥	٣ر٢٦
٣٥ – ٣٩	٠ر٤٥	٢ر٨٩	١ر١٣	—
٤٠ – ٤٤	٠ر٤٤	٢ر٣٦	١ر٣٩	—
٤٥ – ٤٩	٠ر٤٤	٠ر٧٦	١ر٣٩	—
٥٠ – ٥٤	٠ر٥٥	٠ر٨٩	٢ر٠٠	—
٥٥ – ٥٩	٠ر٦١	٠ر٧٩	٢ر٤٩	—
٦٠ – ٦٤	٠ر٥٤	—	٢ر٧٦	—
الجملة	٥ر٥٧	١٠ر٣٩	٢٩ر٧٣	٤٠ر٦

الاعمار المبكرة مرتبط باتجاه هذه الفئات الى الاستمرار فى التعليم بمراحله المختلفة والعزوف عن الانخراط فى سوق العمل مبكرا • وبالمقابل زادت معدلات البطالة بشكل واضح بين التعدادين فى الاعمار الوسطى من ١٥ – ٤٥ للذكور و ١٥ – ٣٠ للاناث اللائى يبدو معدلهن العام مرتفعا ليصل الى

---

(١) المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – تعداد السكان والاسكان – ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ •

نحو ربع حجم القوة العاملة النسائية . وقد انحصرت معدلات البطالة لهن فى السن ٦ ــ ٣٤ سنة فقط حيث تظهر الارقام ــ مع فرض دقتها أنه لاتوجد بطالة بين الاناث بعد هذه السن . وقد يكون ارتفاع هذا المعدل فى الفئات الوسطى من الاناث راجعا الى تعريف البطالة وفق التعريف الدولى لها والتى شملت السكان الذين لايعملون ويبحثون عن عمل وقت التعداد . ولاشك أن الاناث بعد سنوات الزواج المبكرة قد يبحثن عن عمل بعد ذلك مما يعكس ارتفاع معدلات البطالة لديهن فى تلك السنوات خاصة فى المدى العمرى ١٥ ــ ٢٤ وهما الفئتان اللتان غالبا ماتكن نسبة المتزوجات عالية بهما وتكون المرأة فى ذلك الوقت قد أنجبت وتميل الى العمل خارج منزلها مما ينعكس على ارتفاع عدد العاطلات منهن فى تلك السن المتوسطة .

ويأتى تفاقم مشكلة البطالة فى الاقطار العربية والتغير فى معدلاتها العمرية متفقا مع الظواهر الديموغرافية خاصة معدلات النمو السكانى الكلى خلال العقدين الاخيرين ، فقد أدت الزيادة فى حجم القوى العاملة من خلال تصاعد الوزن النسبى لفئة السن ١٥ ــ ٦٤ سنة (فى مصر مثلا ارتفعت نسبة السكان فى هذه الفئة العريضة من ٥٤٪ سنة ١٩٦٠ الى ٦٣٪ سنة ١٩٨٦) الى تزايد حجم العمالة والبطالة معا خاصة فى ضوء التناقص فى فرص العمل المتاحة فى سوق العمل .

وكما سبق القول فان معدلات العمالة والبطالة تتأثر الى درجة ما بنفس الظروف السائدة فى المجتمع ، وبرغم أنه يبدو واضحا أن زيادة فى العمالة تحدث نقصا معادلا لها فى البطالة الا أن ذلك لايحدث تلقائيا بل ان البطالة حين تزيد فقد ينسحب بعض العاطلين من صفوف القوة العاملة (مثل الفئات الصغرى ٦ ــ ١٤) وبذلك لايسهمون فى رفع معدلات البطالة العمرية النوعية والكلية .

النمو السكانى والبطالة :

يتصف العالم العربى بصفات الدول النامية فى مستويات النمو الطبيعى للسكان ، فبعد أن ظلت معدلات النمو ثابتة تقريبا فى عقدى الخمسينيات والستينيات مابين ٢٪ ــ ٥ر٢٪ سنويا ، مالبثت أن تزايدت فى عقدى السبعينيات والثمانينيات لتصل الى ٣٪ بل وأكثر من ذلك فى بعض الدول العربية ، ويعكس هذا المعدل المرتفع مدى التزايد فى الحجم الكلى للسكان فى العالم العربى من ٢ر٧٦ مليون نسمة سنة ١٩٥٠ الى ٣ر٩٧ مليون سنة ١٩٦٠ ثم الى ١٩٦ مليونا سنة ١٩٨٦ .

ومن الواضح أن معدلات النمو السكانى فى العالم العربى تعد من أعلى المعدلات فى العالم ، وتدل على أن الدول العربية تعيش فى قلب مرحلة التحول الديموغرافى التى تمر بها دول كثيرة فى العالم النامى ، وقد نجم ذلك كما هو معروف عن ارتفاع معدلات المواليد والتى تزيد عن ٤٠ فى الالف سنويا فى معظم الدول العربية وذلك مقابل انخفاض معدلات الوفيات الى النصف تقريبا خلال نحو عشرين عاما بسبب تحسن الاوضاع الصحية حتى أصبحت تدور حول ١٤ فى الالف تقريبا٠وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال ارتفاع فى معدلات النمو الطبيعى ومن ثم تزايد مطرد فى أعداد من هم فى سن العمل ٠

ويبين الجدول رقم (٩٧) اتجاهات النمو السكانى ومعدلات نمو القوة

جدول رقم (٩٧)

معدل نمو السكان والقوة العاملة بالدول العربية(*) (١٩٨٠ – ٢٠٠٠)(١)

الدولة	عدد السكان (بالمليون)		معدل النمو السكانى ٪		معدل نمو القوة العاملة ٪	
	١٩٨٦	٢٠٠٠	١٩٨٠ – ١٩٨٦	١٩٨٦ – ٢٠٠٠	١٩٨٠ – ١٩٨٥	١٩٨٥ – ٢٠٠٠
السودان	٢٣	٣٤	٨ر٢	٩ر٢	٨ر٢	١ر٢
موريتانيا	٢	٣	٦ر٢	٨ر٢	٧ر٢	١ر٣
اليمن	١٠	١٥	٨ر٢	٩ر٢	٧ر٢	٣ر٣
المغرب	٢٢	٣٠	٥ر٢	٢ر٢	٧ر٢	٧ر٢
مصر	٥٠	٦٧	٧ر٢	٢ر٢	٦ر٢	٧ر٢
تونس	٧	١٠	٣ر٢	٢ر٢	١ر٣	٨ر٢
الاردن	٤	٦	٧ر٣	١ز٣	٤ر٤	٢ر٤
سوريا	١١	١٧	٥ر٣	٣ر٣	٥ر٣	٠ر٤
الجزائر	٢٢	٣٣	١ر٣	٩ر٢	٦ر٣	٧ر٣
عمان	١	٢	٧ر٤	٢ر٣	٢ر٥	٧ر٢
العراق	١٦	٢٧	٦ر٣	٦ر٣	٧ر٣	٠ر٤
السعودية	١٢	٢٠	١ر٤	٨ر٣	٤ر٤	٥ر٣
الكويت	٢	٣	٤ر٤	٩ر٢	٢ر٦	٥ر٣
الامارات	١	٢	٦ر٥	٨ر٢	٢ر٥	١ر٢
ليبيا	٤	٦	٩ر٣	٦ر٣	٧ر٣	٥ر٣
الجملة	١٨٧	٢٧٥	—	—	—	—

(١) المصدر : البنك الدولى للانشاء والتعمير ـ تقرير عن التنمية فى العالم ـ ١٩٨٨ – جدول رقم ٢٧ ، جدول رقم ٣١ ٠

(*) لايشمل لبنان لعدم توفر بيانات عنها ، كما لايشمل جيبوتى والبحرين وقطر ٠

العاملة فى العالم العربى ، ومن الواضح أن معدلات النمو السكانى ستظل مرتفعة ، واذا استمرت على ماهى عليه فى منتصف الثمانينيات فستؤدى الى تضاعف حجم السكان فى فترة تتراوح بين ٢٥ ـ ٣٥ سنة ، وفى ضوء التقديرات المناسبة عن الجوانب الديموغرافية الاساسية (الخصوبة ـ الوفيات ـ الهجرة) فانه يمكن تقدير سكان العالم العربى بحوالى ٢٨٠ ـ ٣١٠ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠ .

وقد قدر عدد السكان فى سن العمل (الطاقة البشرية) فى العالم العربى بحوالى ٩٥ مليون نسمة فى منتصف سنة ١٩٨٣ ، ويزدادون سنويا بمعدل يصل الى ٣٪ سنويا ، بينما قدرت القوة العاملة بحوالى ٤٤ مليون نسمة، ويبدو من البيانات المتاحة أن قطاع الزراعة مازال هو القطاع الرئيسى الذى يضم أكبر نسبة من العمالة فى معظم الاقطار العربية تزيد عن ٤٠٪ ورغم أن الزراعة لاتسهم بأكثر من ٧٪ من الناتج المحلى الاجمالى ، الا أنها مسئولة فى الوقت ذاته عن أكثر من ٤٠٪ من الزيادة السنوية للعمالة الكلية ، فى حين أن تضخم العمالة فى قطاع الخدمات لايعكس بالضرورة تطورا متناسقا فى البنية الاقتصادية أو الاجتماعية نظرا لارتباط هذا القطاع ببعض الفروع الطفيلية غير المنتجة . أما القطاع الصناعى فمازال يحتل المركز الاخير كمصدر لتشغيل الايدى العاملة .

ويتضح مما سبق ومن الجدول رقم (٩٧) أن الطاقة البشرية ستستمر فى الزيادة بمعدلات مرتفعة تقدر بما يتراوح بين ٣ ـ ٣ر٥٪ سنويا خلال عقد التسعينيات ، ويقدر بعض الباحثين استمرار هذا النمط حتى منتصف القرن القادم على الاقل . أما الزيادة فى قوة العمل فلن تقل عن معدلات الزيادة فى الطاقة البشرية ، ولاشك أن معدلات نموها فى المستقبل ستعتمد على التغير فى معدلات الاسهام فى قوة العمل خاصة مشاركة المرأة فى العمالة وكذلك على مدى الاعتماد على العمالة غير العربية فى دول الخليج العربية.

وتعد البطالة وارتفاع مستوياتها من أبرز نتائج النمو السكانى فى العالم العربى وكذلك تزايد نسبة الذين يدخلون سوق العمل عاما بعد عام،وقد شهدت الدول العربية ذات الحجم السكانى الكبير نسبيا مثل مصر والسودان وسوريا والمغرب ظهور البطالة بمعدلات عالية ، ليس فقط البطالة الكاملة بل البطالة الجزئية أو المقنعة . فبالرغم من أن هناك مايقرب من ١٨٪ من مجموع القوة العاملة المصرية تعمل خارج مصر ، فان البطالة قد بدأت فى الظهور بشكل سافر منذ الستينيات كما توضح أرقام الجدول رقم (٩٨) حيث وصل معدل الزيادة السنوية للعاطلين الى نحو أربعة أمثال معدل

النمو السكانى فى الفترة التعدادية الاخيرة ، وتزداد هذه الظاهرة بشكل حاد بين شباب الحضر أكثر منها بين شباب الريف كما سيتضح فى الصفحات التـــالية :

جـدول رقم (٩٨)

نمو السكان والقوى العاملة والبطالة فى مصر (١٩٦٠ ـ ١٩٨٦)(١)

(معدل النمو ٪ سنويا)

التعداد	عدد السكان بالالف		القوة العاملة بالالف		العــاطلون	
	العدد	معدل النمو	العدد	معدل النمو	العدد	معدل النمو
١٩٦٠	٢٥٨٤١	—	٧٨٢٢	—	١٧٤٠٠٠	—
١٩٧٦	٣٦٦٢٦	٢ر٢	١١٠٣٧	٢ر٢	٨٤٧٠٠٠	١ر١١
١٩٨٦	٤٨٢٠٥	٨ر٢	١٣٦٧٨	٢ر٢	٢٠١٢٠٠٠	٠ر٩

وتبعا للتقرير الاقتصادى الموحد سنة ١٩٨٤ ، فان جملة العاطلين عن العمل الى جملة السكان ذوى النشاط الاقتصادى قد بلغت ١٢٪ فى المغرب وتونس مما يدل على وجود أكثر من مليون عاطل عن العمل فى هـذين القطرين وحدهما ، أما فى السودان فيذكر التقرير أن سوق العمل الداخلية غير قادرة على استيعاب أكثر من ١٢٪ من حجم الباحثين عن العمل،وفى سوريا تدل البيانات أنه فى عام ١٩٨٢ تم تعيين ٢٠٪ فقط من عدد الباحثين عن العمل الذين تم تسجيلهم فى مكاتب التشغيل السورية فى هذا العام .

ورغم أن الدول العربية المستوردة للعمـالة تسهم فى استيعاب نسـبة ليست قليلة من القوة العاملة من الدول العربية الاخرى الا أن الطلب على العمالة الفائضة لايخضع لسياسة ثابتة أو منتظمة فى هذه الاقطار.فقد شهد بعضها عدم تناسق بين العرض والطلب للموارد البشرية مما سـيؤدى الى الانتقال من مرحلة البطالة المقنعة داخل القطاع الحكومى بها الى البطالة المكشوفة لمواطنى البلاد المستوردة للعمالة،ويبدو أن هذه الظاهرة قد بدأت فى الظهور منذ أوائل الثمانينيات .

---

(١) المصـــدر :
الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ تعدادات السكان فى السنوات ١٩٦٠ ، ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ .
جامعة القاهرة ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ البطالة فى مصر ـ القاهرة ـ ١٩٨٨ ـ ص ص ٥١٤ ـ ٥٨٤ .

ورغم أن دولا عربية قد بدات فى اتباع سياسة رسمية لضبط النمو السكانى مثل مصر وتونس ، فان نتائج هذه السياسة لم يظهر أثرها بعد على حجم القوة العاملة ولا على انخفاض معدلات البطالة ، ومن ثم اتسع الفرق الزمنى بين فترة الممارسة لتحديد النسل وبين نتائج تلك الممارسة على القوة العاملة ، فاذا قدر مثلا أن سنوات ١٩٩٠ - ١٩٩٣ ستشهد توسعا أكبر فى استخدام وسائل تنظيم الاسرة وأن التحول الاجتماعى والاقتصادى سيزيد الوعى بالمشكلة السكانية وضرورة الحد منها عند كل أسرة فان نتائج ذلك لن تؤدى الى تخفيض معدل زيادة القوى العاملة قبل سنة ٢٠٠٨ - ٢٠١١ مثلا ، ولذلك يتعين على المجتمع توفير فرص عمل بأعداد متزايدة حتى هذا التاريخ .

النمو السكانى ومعدلات التعطل :

سبق القول أن العالم العربى يعيش فى الوقت الحاضر مرحلة انتقال ديموغرافى ترتبط فى المقام باستمرار ارتفاع معدلات الخصوبة مع هبوط معدلات الوفيات ، ومن ثم تزايد معدلات النمو الطبيعى وأعداد من هم فى سن العمل . ويبدو تأثير النمو السكانى مباشرة فى التركيب العمرى - النوعى للعاطلين من خلال تركز البطالة فى صغار السن (١٥ - ٢٤) من ناحية وارتفاع نسبة البطالة بين الاناث وظهور فوارق واضحة بين معدلات البطالة فى الحضر والريف من ناحية أخرى .

وقد تبين مما سبق أن نسبة البطالة فى فئة صغار السن تتجاوز ضعف معدل البطالة القومى فى بعض الدول العربية مثل مصر والجزائر واليمن والمغرب ، وتتشابه هذه الاقطار فى ذلك مع بقية الدول النامية حيث تبين من دراسة شملت ٢٠ دولة أن البطالة تتركز فى فئة صغار السن وبين المتعلمين على وجه الخصوص ، ويعكس هذا التركز للبطالة عدم توافق فئة صغار السن داخل الاطار الكلى للسكان نتيجة للتحول الديموغرافى الذى ارتبط بارتفاع معدلات الخصوبة وأثر بالتالى فى التوزيع العمرى للسكان لصالح فئات صغار السن أو المعالين الصغار .

ومن أبرز الاسباب الاخرى التى أدت الى تركز البطالة فى فئات صغار السن فى الدول العربية ذلك التوسع الكبير والسريع فى التعليم غير المخطط تخطيطا سليما والذى نجم عنه عدم وجود فرص مناسبة يعمل بها الخريجون .

أما الارتفاع الكبير لمعدل بطالة الاناث فى الاعمار المبكرة (١٥ - ٢٤)

فيمكن تعليله بتحيز سوق العمل لصالح الذكور تجنبا لمشكلات تشغيل الاناث الخاصة بأجازات الوضع وتربية الاطفال فضلا عن خلل الهيكل التعليمى للاناث ، فرغم ارتفاع نسبة الامية لدى الاناث أكثر منها لدى الذكور ،فانه فى بعض الدول العربية مثل مصر تزيد نسبة الاناث الحاملات على شهادات متوسطة أو دون المتوسطة عن الذكور ، هذا بالاضافة الى اعتبارات الحالة الزواجية للمرأة العاملة حيث تبين ارتفاع نسبة البطالة بين غير المتزوجات مقارنة بالنسبة المناظرة للمتزوجات .

الهجـرة والبطـالة :

تعد الهجرة من العمليات الديموغرافيـة الهامة التى تؤثر فى القـوة العاملة والبطالة . وللهجرات السكانية فى العالم العـربى أنماط مختلفة أبرزها الهجرة الداخلية خاصة من الريف للحضر ، والهجرة الخـارجية للعمالة من دول التضخم السكانى الى دول الخليج النفطية وليبيا . ورغم أن بعضا من الباحثين ينظر للهجرة كعامل من عوامل تخفيف المستويات البطالة السـائدة فى بعض الدول العـربية مثـل مصر والسودان والاردن وتونس ، فان تاثيرها يبدو قليلا وذلك فى ضوء التزايد المستمر فى حجـم القوة العاملة وانخفـاض المقـدرة الاقتصـادية لتلك الدول على استيعاب الاعداد المتزايدة من المستجدين فى سوق العمل .

واذا كانت الهجرة تعتمد فى حجمها وتياراتهـا على مايعرف بعـوامل الطـرد وما يقابلها من عـوامل جذب فى منطقتى الاصـل والوصـول ، وأن من نتائجها الاقتصادية توفير القوة العاملة الملائمة والمتنوعة فى المهجر فان ذلك لاينطبق الا على فئات محددة من المهاجـرين الذين تحتاجهم سوق العمل ، وتبقى قطاعات كبيرة من المهاجرين فى أعمال هامشية أو بلا عمل ، وتبدو تلك الظاهرة بوضوح فيما يترتب على الهجرة من الريف للحضر من تزايد فى أعداد العاطلين بالمدن خاصـة فى الدول التى تمثـل الهجرة الداخلية بها مكونا هاما من مكونات النمو الحضرى كمـا فى مصر والسودان وسوريا وتونس والمغرب .

اما الهجرة الخارجية فان تاثيرها يختلف عن ذلك حيث يتباين عدد المهاجرين وخصائصهم وفق دول الاستقبال من ناحية والقواعد التى تفرض على تشغيل العمالة الوافدة من ناحية أخرى ، فدول النفط الخليجية مثلا اتبعت منذ سنوات سياسة الانتقاء الهجرى المقنن واتجهت اليها أعداد من العاملين الذين يكونون قطاعا هاما من المدربين وحاملى الشهادات وهؤلاء لايخففون من أعباء البطالة فى بلادهم الاصلية بقدر ما يمثلون استنزافـا

لنعقول على الارجح ، ولكن ذلك يختلف مع الهجرة الخارجية نحو العراق وليبيا حيث تقل القيود المفروضة على العمالة العربية الوافدة حتى أصبح معظم المهاجرين يمثلون قطاعات من العمالة الدنيا أو الوسطى وقد يحدثون نوعا من البطالة فى المهجر أكثر من تخفيف مستويات البطالة فى بلادهم الاصلية • وفى مصر مثل واضح على ذلك ، فلم تقتصر ظاهرة الهجرة الخارجية على تخفيف فائض الايدى العاملة بل الذى حدث هو أن أعلى الكفاءات البشرية فى مصر وأكثرها تدريبا فضلا عن العمالة ذات المهارات المتوسطة قد هاجرت الى دول النفط ، ومعنى ذلك أن هذه الهجرة لم تخفف من وطأة البطالة ولكن الذى حدث أنها حرمت مصر من أفضل ما لديها من عقول وأيد عاملة مما تسبب فى اختلال توزيعات القوة العاملة وحالتها المهنية والتعليمية والتدريبية وماترتب على ذلك من آثار سلبية على سياسات استخدامها وبالتالى تحقيق التوازن بين العرض والطلب •

الهجرة الداخلية والبطالة :

تمثل الهجرة الداخلية أحد مكونات النمو السكانى فى أقاليم الدولة ، وترتبط بمجموعة من العوامل المتشابكة التى تعكس فى النهاية عدم التوازن الاقليمى ومدى الخلل فى توزيع الثروة بين الاقسام الادارية داخل الدولة ودالة للتباين بين أقاليم الغنى والفقر سواء على مستوى المحافظات والاقضية أو بين الريف والحضر •

واذا كانت بيانات الهجرة محدودة للغاية فى التعدادات العربية وغاية مايمكن الحصول عليه هو صافى الهجرة المتراكم فى مكان العد حتى تاريخ اجراء التعداد ، وبعض الخصائص النوعية للمهاجرين ، فان بيانات البطالة بين المهاجرين غير واردة بها ـ ربما باستثناء الجزائر وتونس ـ ويصبح الوقوف على العلاقة بين الهجرة والبطالة أمرا مرهونا بالمسوح الاحصائية التى أجرتها بعض الدول •

ورغم أن الهجرات الداخلية ذات أنماط عدة وتيارات متقاطعة فان نمطها الرئيسى هو النمط المباشر أو نمط القفزة الكبرى من الريف الى الحضر وخاصة العاصمة،وهى أكثر أنماط الهجرة تأثرا بالبطالة فى مناطق الاصل وتأثيرا فيها فى مناطق الوصول ، وتنعكس نتائجها فى المدن الكبرى على البطالة الكلية أو الجزئية أو الهامشية •

وتمثل العواصم العربية دون منازع أقطاب الجذب الهجرى الرئيسية

فى أقطارها ، وتتباين نسبة المهاجرين الداخليين من عاصمة لاخرى وان كانت السيطرة للمدن الكبرى ، حيث تتركز بهـا أعلى نسبة من المهاجرين الوافدين . ففى القاهرة والجيزة معا على سبيل المثال يتركز نحو ٤٠٪ من جملة المهاجرين الداخليين فى مصر ، واذا أضيفت اليها بقية القاهرة الكبرى لارتفعت النسبة الى النصف . وتزداد هذه الظاهرة بشكل واضح للغـاية فى بعض العواصم الاخرى ـ خارج نطاق دول النفط فى شبه الجزيرة العربية ـ حتى أن مدينة عمان الكبرى استحوزت بمفردهـا على نحـو ثلثى حجم الهجرة الداخلية فى الاردن سنة ١٩٧٩ (الضفة الشرقية فقط) واستحوزت الخرطوم على نحو ٧٠٪ من مجموع الهجرة الكلية للمراكز الحضرية فى السودان ، وهذه المراكز عددها ستة تستقبل نحو ٦٥٪ من جملة المهاجرين الداخليين فى الدولة . وتقل النسبة فى بعض العواصم الاخرى مثل دمشق التى استحوزت على نحو ربع حجم الهجرة المحلية فى سوريا سنة ١٩٧٠ . وفى تونس اتجه أكثر من نصف عدد المهاجرين الذين تم عدهم فى تعـداد ١٩٦٦ نحو محافظة تونس بمفردها .

وقد اقترنت الهجرة الداخلية فى معظم الاقطار العربية بدوافع اقتصادية من أبرزها انخفاض الدخول وانتشار البطالة فى الموطن الاصلى ، فقـد تبين فى تعداد سنة ١٩٧٦ بمصر مثلا أن البحث عن عمل كان أهم أسـباب الهجرة (٢٥٪ من اجمالى المهاجرين وارتبط بهؤلاء المهاجرين أعداد كبيرة من المرافقين ارتفعت بالنسبة الى ٤٧٫٥٪) . الا أن الهجرة غالبا ما تتم من أقاليم بطالة الى مناطق أكثر معـاناة منها . فقد كانت المحـافظات الحضرية الرئيسية (القاهرة ، والاسكندرية والسويس والاسماعيلية) على امتداد الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٨٦ من أكثر محافظات مصر معاناة من ارتفاع معدلات البطالة . الا أن ذلك لم يمنع من تدفق حـركة المهاجرين اليهـا طوال الفترة التعدادية المذكورة .

ويبدو من الجدول رقم (٩٩) أن معدلات البطالة فى الحضر تفـوق مثيلاتها فى الريف سواء فى مصر أو فى المغرب خاصة بالنسبة للذكور ، أما الاناث فلا تتمشى معدلات بطالتهن مع ذلك حيث يزيد المعـدل فى الريف عنه فى الحضر وذلك للتوسـع فى الخـدمات التعليمية فى الريف والزيادة السكانية التى تدفع بأعداد كبيرة منهن فى سوق العمل لاول مرة .

ويبدو الانتقاء العمرى النوعى فى معدلات البطالة فى المناطق الحضرية حيث تتركز بطالة الذكور والاناث معا فى فئة السن ١٥ ـ ٢٤ بمعـدلات عالية ثم ماتلبث أن تنخفض مع التقدم فى السن (جدول رقم ١٠٠) .

جدول رقم (٩٩)
الفوارق الحضرية والريفية للبطالة فى مصر والمغرب
(المعدلات ٪ من القوة العاملة)(١)

النوع	مصر ١٩٨٦			المغرب ١٩٨٢		
	حضر	ريف	جملة	حضر	ريف	جملة
عدد المتعطلين (بالألف)						
ذكور	٥٦٢	٥٩٦	١١٥٩	٢٣١٦٠٧	٢٨٤٥٢٥	٥١٦١٣٢
اناث	٤٦٤	٣٨٨	٨٥٣	٩٠٦١١	٣٥٤٣٩	١٢٦٠٥٠
جملة	١٠٢٧	٩٨٥	٢٠١١	٣٢٢٢١٨	٣١٩٩٦٤	٦٤٢١٨٢
المعدل (٪ من القوة العاملة)						
ذكور	٩ر١٠	٣ر٩	٠ر١٠	٢ر١٣	١ر١١	٠ر١٢
اناث	٨ر٣٤	٤ر٥٠	٦ر٤٠	٥ر١٦	٠ر٧	٩ر١١
جملة	٨ر١٥	٧ر١٣	٧ر١٤	٠ر١٤	٥ر١٠	٠ر١٢

وتتكرر الفوارق الحضرية الريفية للبطالة فى دول عربية أخرى منها موريتانيا على سبيل المثال والتى ترتفع معدلات البطالة بها فى المدن اكثر من الريف ، كما يتركز العاطلون فى فئة السن ١٥ ـ ٢٥ سنة ، فقد وصل معدل البطالة القومى الى ١ر١٤٪ سنة ١٩٧٧ ، وبلغ أعلى معدل فى العاصمة نواكشوط (٥ر٢٨٪) وتيرس زمور(١ر٢٣٪) ونواديبو(٣ر١٧٪) . ويرجع ذلك كما هو متوقع الى تزايد حجم الهجرة الداخلية الوافدة الى هذه الاقاليم الثلاثة والتى تتوفر فيها أسباب الجذب الهجرى وفرص العمل والتعليم والصحة . وقد أظهرت بيانات التعداد سنة ١٩٧٧ أن ثلثى السكان الذين تم عدهم فى هذه الاقاليم كانوا من المهاجرين الوافدين .

وقد أظهرت بيانات مسح أجرى فى الفترة من سبتمبر ـ ديسمبر سنة ١٩٧٩ أن المعدل العالى للبطالة فى موريتانيا والذى بلغ ١٤٪ من حجم

---

(١) المصـــدر :
١ ـ ج.م.ع ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ تعداد السكان والمساكن ـ ١٩٨٦ ـ النتائج الاولية .
٢ ـ المملكة المغربية ـ النشرة الاحصائية السنوية للمغرب ـ ١٩٨٧ ـ ص ٢٤ .

القوة العاملة قد نتج عن عوامل أبرزها التحضر المرتفع وتوطين البـدو ، وكذلك تزايد حجم القوة العاملة بسبب النمو السكانى وتزايد مخـرجات التعليم وارتفاع معدلات الهجرة الوافدة .

جـدول رقم (١٠٠)
معدلات البطالة فى حضر مصر والمغرب
حسب السن والنوع (٪ سنة ١٩٨٤)(١)

فئات السن	مصر		المغـرب	
	ذكور	اناث	ذكور	اناث
١٥ – ٢٤	١٩ر٩	٤٤ر١	٢٤ر٦	٣٠ر٣
٢٥ – ٣٤	٦ر٤	٧ر١	١١ر٥	٢٠ر٣
٣٥ – ٤٤	٠ر٣	صفر		
٤٥ – ٥٩	٠ر٤	٠ر٢	٧ر٩	١٥ر٠
الجملة(*)	٥ر٥	١٤ر٢	١٦ر٦	٢٣ر٨

الهجرة الدولية والبطـالة :

اذا كانت الهجرة الدولية تسهم – ولو بقـدر محـدود – فى تخفيض معدلات البطالة فى الاقطار المصدرة للعمالة الا أنها تؤدى الى تغيير تركيب القوة العاملة فى الدول المستقبلة . ولاتتوفر بيانات تفصيلية تفيد فى تحليل هذه الظاهرة الا فى بعض دول الخليج النفطية والتى تسهم العمالة الوافدة فيها بأكثر من نصف حجم القوة العاملة بل وتقترب فى البعض الاخر من ثلاثة أرباع القوة العاملة .

وقد أدت الهجرة الوافـدة على منطقة الخـليج الى التأثير فى نسبة التعطل بين القوى العاملة الوطنية .. وربما كانت الكويت مثالا على ذلك ، فقد بلغت نسبة البطالة بين المواطنين ٧ر٦٪ من جملة القوة العاملة سنة

(١) المصـــدر :
الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – مسح القوى العاملة ١٩٨٤ – د ن : البطالة فى مصر – ص ١٠٤ .
El-Yazidi, E., Analysis of Underemployment in Urban Morocco, 1984, C.D.C. Annual Seminar, 1988, Research Monograph Series No. 18, p. 436.

(*) بيانات السن للحضر فقط ، أما الجملة فهى للحضر والريف معا .

١٩٦٥ ارتفعت الى ٩ر٨٪ فى تعداد ١٩٧٠ ، الا أنها أخذت تنخفض بعد ذلك حتى وصلت الى ٨ر٦٪ فى تعداد ١٩٧٥ والى ٩ر٤٪ فى تعداد ١٩٨٠ ثم الى ٤ر٢٪ فقط وفق نتائج بحث القوة العاملة سنة ١٩٨٣ ٠

والواقع أن التغير فى حجم صافى الهجرة كان أحد العوامل الرئيسية التى أثرت على نسبة البطالة تلك ، فقد صاحب ارتفاع حجم صافى الهجرة من ١١٧١٣٤ نسمة فى الفترة التعدادية (١٩٦٠ - ١٩٦٥) الى ١٤٣٨٨٩ نسمة فى الفترة (١٩٦٥ - ١٩٧٠) ارتفاع فى نسبة البطالة للقوة العاملة المواطنة من ٧ر٦٪ فى تعداد ١٩٦٥ الى ٩ر٨٪ فى تعداد ١٩٧٠٠ومن ناحية أخرى فقد لوحظ أن انخفاض حجم صافى الهجرة بين تعدادى ١٩٧٠ - ١٩٧٥ الى ٨٦١٢٦ نسمة صاحبه انخفاض فى نسبة البطالة بين المواطنين الى ٨ر٦٪ فى تعداد ١٩٧٥ ٠

غير أنه رغم ارتفاع حجم صافى الهجرة فى الفترة التعدادية (١٩٧٥ - ١٩٨٠) الى ١٥٣٣٢٩ نسمة فان نسبة البطالة بين المواطنين واصلت انخفاضها الى نحو ٩ر٤٪ فى تعداد سنة ١٩٨٠ وما بعده٠وكان ذلك نتيجة للسياسة السكانية الجديدة التى اتبعتها البلاد للحد من قدوم الوافدين مما أثر على انخفاض حجم صافى الهجرة الى حوالى ٩١٠٠٠ نسمة٠وبالاضافة الى ذلك فقد وضعت الحكومة قيودا على التعيينات الجديدة للوافدين خاصة فى القطاع الحكومى مما أثر على انخفاض نسبة البطالة بين المواطنين لنحو ٤ر٢٪ وفق نتائج بحث القوة العاملة بالعينة سنة ١٩٨٣ ، وذلك كله بالاضافة الى وجود عوامل أخرى تؤثر فى نسبة البطالة بين المواطنين مثل تفضيل نوع معين من الاعمال وغير ذلك ٠

التركيب التعليمى للعاطلين :

رغم أنه لاتتوافر بيانات كافية عن التركيب التعليمى للعاطلين فى العالم العربى ، فان المتاح من هذه البيانات عن بعض الدول يعطى صورة عن العلاقة بين التعليم والبطالة واتجاه العلاقة فى معظم الدول العربية، ففى مصر على سبيل المثال ، تنخفض نسبة العاطلين الاميين ثم تتزايد بالتدريج بالتقدم فى مراحل التعليم لتصل أقصاها فى التعليم المتوسط ، ففى تعداد ١٩٧٦ بلغ عدد العاطلين أكثر من نصف مليون نسمة (٥١٣٤٠٠) بزيادة قدرها ٣٤٦٨٠٠ نسمة عما كانوا عليه فى تعداد ١٩٦٠، وقد بلغ نصيب المؤهلين النسبى حوالى ٧٨٪ من جملة الزيادة فى عدد المتعطلين خلال هذه الفترة ، ومن ثم تبرز حقيقة هامة فى اتجاه التركيب التعليمى للمتعطلين وهى أن البطالة المشاهدة تتجه سريعا الى أن تكون

بطالة متعلمين فى المقام الاول حتى أصبحت نسبة البطالة داخل قوة العمل المؤهلة تفوق كثيرا مثيلتها داخل قوة العمل غير المؤهلة ٠

وبالاضافة الى ماسبق فان تعاظم سرعة نمو معـدل البطالة للمؤهلين بدرجة تفوق معدل نمو البطالة لغير المؤهلين قد أدى الى ارتفاع نسبى للفئة الاولى من جملة العاطلين حيث زادت من ١ر٢٤٪ عام ١٩٦٠ الى ٣ر٦٠٪ عام ١٩٧٦ ، وذلك على الرغم من ضآلة النصيب النسبى للمؤهلين داخل قوة العمل حيث لم يتعد هذا النصيب ٣ر٨٪ عام ١٩٦٠ وارتفع الى ٥ر٢١٪ عـــام ١٩٧٦ ٠

كذلك فان معدلات النمو السنوية للبطالة بين الاناث المؤهلات تفـوق المعدلات المناظرة بين المؤهلين من الذكور ، وقـد أدى ذلك الى ارتفـاع النصيب النسبى للاناث من جملة المتعطلين المؤهلين من ٢ر١٨٪ سنة ١٩٦٠ الى ٣٤٪ سنة ١٩٧٦ ٠

وترجع ظاهرة بطالة المتعلمين فى مصر الى منتصف الستينيات عندما استشعرت الدولة مخاطر هذه المشكلة وتبنت سياسة تعيين الخريجين،وفى ضوء مجانية التعليم تزايد عدد الملتحقين بمراحل التعليم المختلفة وتزايدت بالتالى أعداد الحاصلين على شهادات متوسطة وجامعية ٠ ورغم التوسع فى عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية مما أدى الى استيعاب أعـداد كبيرة من العمالة الجديدة المؤهلة الا أن الفجوة بين عدد الخريجين وعدد العاملين منهم تزايدت ومن ثم تصاعدت أعداد العاطلين من حملة الشهادات المتوسطة والجامعية ٠ ففى السنوات الســت (١٩٧٥/٧٤ ــ ١٩٨٠/٧٩) كان هناك أكثر من مائة ألف شخص حصلوا على شهادات عالية ولم يجدوا عمـلا ٠ وازداد الفارق فى الثمانينيات بدرجة كبيرة ، فعلى امتداد الفترة من ١٩٨٣/٨٢ حتى ١٩٨٧/٨٦ بلغ عدد الخريجين من الجامعات والمعاهد العليا ٦٦٤١٠٠ خريجا لم يعمل منهم سوى ١٨٣٤٠٠ خريجا فى الحكومة والقطاع العام منذ سنة ١٩٨٢ ٠ ويمثل فائض الخريجين ٤٨٠٦٠٠ شخصا يمثلون تقريبا حجم بطالة المتعلمين فى مصر والذين تخرجوا من جامعات ومعاهد عليا منذ سنة ١٩٨٣/٨٢ حتى سنة ١٩٨٧/٨٦ ٠

ويكاد النمط السائد فى اتجاه بطالة المتعلمين فى مصر يتكـرر فى الدول العربية الاخرى ، فقد توسعت الدول العربية فى التعليم وتزايدت أعـداد الخريجين من التعليم المتوسط أو العالى ولم يصحب ذلك توسع مماثل فى فرص العمل ، حتى أصبحت نسبة الاميين العاطلين أقل من نسبة المتعلمين العاطلين ٠ ويوضح الجدول رقم (١٠١) مقارنة بين مصر والجزائر فى هذا

جدول رقم (١٠١)
التوزيع النسبى للعاطلين فى مصر والجزائر حسب الحالة التعليمية والنوع (٪)(١)

الحالة التعليمية	مصر						الجزائر		
	١٩٦٠			١٩٧٦			١٩٨٧		
	ذكور	اناث	جملة	ذكور	اناث	جملة	ذكور	اناث	جملة
أمى	٤١ر٧	٦٣ر٤	٤٦ر٠	٣٢ر٢	١١ر٨	٢٧ر١	٣٢ر١	١٨ر٠	٣١ر١
يقرأ ويكتب	٣٣ر٦	١٤ر٨	٢٩ر٨	١٤ر٧	٦ر٤	١٢ر٦	٣ر٣	٠ر٥	٣ر١
ابتدائى ومتوسط	٢٠ر٩	١٧ر٣	٢٠ر٢	٤٢ر٠	٦٢ر٢	٤٧ر٠	٥٦ر٥	٦٢ر٤	٥٦ر٩
فوق المتوسط	٠ر٥	١ر٥	٠ر٧	١ر٧	٣ر٧	٢ر٢	٧ر٢	١٥ر٢	٧ر٧
جامعى	٣ر١	٣ر٠	٣ر١	٩ر٤	١٥ر٨	١١ر٠	٠ر٨	٣ر٨	١ر٠
الجملة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

(١) المصدر :

– ج٠م٠ع – الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – التعداد العام للسكان سنة ١٩٦٠ (جدول رقم ٣٦) وسنة ١٩٧٦ (جدول رقم ١١)٠

Office National des. Statistiques : Collections Statistiques, Recensement General de ia Population et de l'Habitat 1937, Serie Analyses, Vol. I.

المجال ومنه يبدو التشابه فى الثقل النسبى لبطالة المتعلمين خاصة حملة المؤهلات المتوسطة وفوق المتوسطة والتى بلغت نحو ثلثى عدد العاطلين فى كل من البلدين فى عامى ١٩٧٦ و ١٩٨٧ على الترتيب ٠

ويتكرر نمط بطالة المتعلمين واتجاهه المتصاعد فى دول الخليج العربية النفطية بشكل أو بآخر ، فيبدو من التوزيع النسبى للمتعطلين حسب الحالة التعليمية (جدول رقم ١٠٢) ارتفاع نسبة المتعطلين من حملة الشهادات المتوسطة ودون المتوسطة فقد تراوحت هذه النسبة فى بداية الثمانينيات من ٥ر١٧٪ من جملة العاطلين فى الامارات الى ٣٩٪ فى الكويت الى ٤٦٪ فى البحرين ٠ وقد فاقت نسب الاناث مثيلتها لدى الذكور بفارق كبير حيث بلغت نسبتهن ٥٢٪ و ٦٢٪ و ٤٣٪ على الترتيب مقابل ٥ر١٦٪ و ٣٧٪ و ٥٩٪ للذكور على الترتيب أيضا ٠

وتشير البيانات المتاحة أن أزمة «خريجين» بدأت تظهر فى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية منذ بداية الثمانينيات بشكل خاص لتشمل الجنسين معا وان كانت الخريجات أقل حظا فى دخول سوق العمل من الخريجين ، فقد بلغت نسبة المتعطلات الحاصلات على «شهادة جامعية» ٢٣٪ فى الامارات وحوالى ١٠٪ فى الكويت سنة ١٩٨٥ و ١١٪ فى البحرين سنة ١٩٨١ وذلك مقابل ٤ر٢٪ و ٤ر١٪ و ٨ر١٪ للذكور فى هذه الدول على الترتيب ٠

وعلى العموم فان التغير فى التركيب التعليمى للعاطلين فى العالم العربى وتزايد مستويات البطالة لدى المتعلمين قد ارتبط بما طرأ على المجتمع العربى من تقدم ملحوظ فى عملية التعليم ٠ فرغم أن نسب الامية مازالت عالية فى معظم الاقطار العربية (٨٥٪ فى اليمن و ٨٠٪ فى موريتانيا و ٧٤٪ فى السودان و ٤٩٪ فى مصر) الا أنها شهدت انخفاضا كبيرا وبنسب متفاوتة فى كل الاقطار العربية خلال العقدين الاخيرين ٠ وترتب على ذلك زيادة نسبة المقيدين فى المراحل التعليمية المختلفة وزيادة عدد المؤهلين بشهادات متوسطة وعالية سواء للذكور أو الاناث ، ويمكن القول أن ظاهرة بطالة المتعلمين ستستمر فى التزايد اذا لم تنجح المجتمعات العربية فى استيعابها وتبنى سياسات متكاملة للوصول بها الى حدودها الدنيا ٠

جـدول رقم (١٠٢)
التوزيع النسبى للمتعطلين حسب الحالة التعليمية والنوع
فى بعض دول مجلس التعاون الخليجى(١)

الحالة التعليمية والنوع	الامـارات ١٩٧٥	الامـارات ١٩٨٠	البحـرين ١٩٨١	الكويت ١٩٧٥	الكويت ١٩٨٠
الذكـــور :					
أمـــى	٧٥ر٩	٥٥ر٩	٢٥ر٤	٥٧ر٦	٤٣ر٣
يقـــرأ ويكتب	١٧ر٣	٢٥ر٢	٢٣ر٣	٢٤ر٢	١٨ر٢
ابتدائية واعدادية	٤ر٩	١٢ر٣	٣١ر٦	١٦ر٨	٣١ر٨
ثانوية ودون الجـامعية	١ر٤	٤ر٢	١٧ر٨	١ر٢	٥ر٣
جامعية فما فـوق	٠ر٥	٢ر٤	١ر٨	٠ر٢	١ر٤
الجمـــلة	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠
الانـــاث :					
أميـــة	٤٠ر٨	٩ر٦	٣٦ر٢	٥٠ر١	٣١ر٢
تقـرأ وتكتب	٣ر٧	١٥ر٤	١٨ر٠	٧ر٧	٦ر١
ابتدائية واعدادية	٢٢ر٢	١٥ر٣	١٩ر٩	٣٠ر٢	٤٣ر٧
ثانوية ودون الجامعية	٢٩ر٦	٣٦ر٦	٢٣ر٩	١٠ر٩	١٩ر١
جامعيـة فما فـــوق	٣ر٧	٢٣ر١	١٠ر٩	١ر١	٩ر٩
الجمـــلة	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠
المجمـــوع :					
أمـــى	٧٥ر٤	٥٤ر٥	٣١ر٥	٥٧ر٤	٤١ر٨
يقـــرأ ويكتب	١٧ر١	٢٥ر٠	٢٠ر٢	٢٣ر٧	١٧ر٤
ابتـدائية واعـدادية	٥ر٢	١٢ر٤	٢٥ر٠	١٧ر٢	٣٢ر٧
ثانوية ودون الجامعية	١ر٨	٥ر١	٢١ر٤	١ر٥	٦ر٢
جامعيـة فما فـوق	٠ر٥	٣ر٠	١ر٨	٠ر٢	١ر٩
الجمـــلة	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

(١) **المصدر** : تقديرات الاسكوا اعتمادا على المسوحات والتعدادات الرسمية ، عن : اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا (الاسكوا) ـ سياسات الاستخدام وانتقال العمـالة العربية ـ بغـداد ـ ١٩٨٦ ـ صص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

خاتمـــــــة

رغم نقص البيانات المتاحة عن البطالة فى الاقطار العربية وتباينها فان هناك سمات مشتركة عامة للابعاد الديموغرافية لهذه الظاهـرة فى معظم هذه الاقطار . فمن الواضح أنها مشكلة حادة يصـل حجمها الى أكثر من عشر القوة العاملة فى بعض الدول كبيرة الحجم السكانى نسبيا مثل مصر والمغرب والجزائر والسـودان وتونس ، بينما تنخفض فى الدول صغـيرة الحجم السكانى المستوردة للعمالة وهى دول النفط الخليجية وليبيا .

وترتفع معدلات البطالة العمرية ارتفاعا كبيرا بين الاشخاص فى سـن العمل المبكرة (١٥ ـ ٢٤) ويرجع ذلك لعـوامل من أهمها تزايد أعـداد السكان الذين يدخلون سوق العمـل سنويا بسـبب الزيادة الطبيعية التى تفوق الزيادة فى فرص العمل المتاحة . ورغم أن معدلات البطالة لدى الاناث تفوق مثيلتها لدى الذكور فانها تتباين بشدة بين الدول العربية مرتبطة فى ذلك بمستويات التعليم ومكانة المرأة وبعوامل ثقافية واجتماعية أخرى .

وتبدو مستويات البطالة مرتفعة فى المناطق الحضرية عنها فى المناطق الريفية وقد جاء ذلك فى الواقع مواكبا لتزايد ظاهرة التحضر التى تشهدها الاقطار العربية وهيمنة العواصم على هجرة السكان الداخلية الى حد كبير. فقد شهدت المدن العربية الكبرى تنمية اقتصادية واجتماعية جعلتها أقطابا قوية للجذب الهجرى مما أدى الى تدفق أعداد كبيرة من سكان المنـاطق الريفية فى سن الشباب بحثا عن عمل .

وبالاضافة الى ماسبق فان نمط التركيب التعليمى للعاطلين متشابه الى حد كبير فى معظم الاقطار العربية ، فتنخفض معدلات البطالة بين الاميين بينما تزداد بين المتعلمين لتصل اقصاها لدى حمـلة الشـهادات المتوسطة خاصة لدى الاناث.وقد أصبحت مشكلة بطالة المتعلمين من المشكلات الحادة فى كثير من الدول العـربية بل بدأت تظهـر أيضـا فى بعض دول الخليج النفطية وهى التى توسعت فى الخدمات التعليمية لسكانها توسعا كبـيراً فى العقدين الاخيرين .

المراجع والمصادر الرئيسية

أولا ـ المراجع والمصادر العربية :

١ ـ البنك الدولى للانشاء والتعمير ـ تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩١ ـ ترجمة مؤسسة الاهرام ـ القاهرة ـ ١٩٩١ ٠

٢ ـ تومبسون و٠ ولويس د٠ : مشكلات السكان ـ ترجمة راشد البراوى مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ ٠

٣ ـ جمال حمدان : شخصية مصر ـ (ج ١ ـ ٤) عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٤ ٠

٤ ـ جمال حمدان : جغرافية المدن ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ٠

٥ ـ جامعة القاهرة ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ البطالة فى مصر ـ القاهرة ـ ١٩٨٨ ٠

٦ ـ الجمهورية الجزائرية ـ الديوان الوطنى للاحصائيات ـ الجزائر بالارقام ـ نشرة ١٩٨٩ ٠

٧ ـ الجمهورية العربية اليمنية ـ التعداد العام للمساكن والسكان ـ فبراير ـ ١٩٨٦ ٠

٨ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : زيادة السكان فى جمهورية مصر العربية وتحدياتها للتنمية ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ ٠

٩ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : حركة السكان داخل الجمهورية العربية المتحدة ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ ٠

١٠ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ التعداد العام للسكان والمساكن ١٩٨٦ ـ القاهرة ـ ١٩٨٧ ٠

١١ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : مجموعة الاحصاءات الحيوية للجمهورية العربية المتحدة ـ من سنة ١٩٣٠ ـ يوليو ١٩٦٨ ٠

١٢ ـ جورج د٠ باركلى : أساليب تحليل البيانات السكانية (مترجم) القاهرة ـ ١٩٦٨ ٠

١٣ ـ حافظ ستهم ـ الانسان والمكان ـ ضمن كتاب جامعة تونس ـ العمران والتنمية فى تونس ـ تونس ـ ١٩٨٤ ٠

١٤ ـ حسن عبد القادر صالح ـ سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا ـ عمان ـ ١٩٨٥ ٠

١٥ ـ حسن محمد حسين : البحث الاحصائى ـ أسلوبه وتحليل نتائجه ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ٠

١٦ ـ حسين أنور خليل ـ قياس الهجرة الداخلية فى ج٠م٠ع ١٩٧٦ ـ ١٩٨٦ ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ الجامعة الاردنية ـ يونية ١٩٩١ ٠

١٧ ـ رياض طباره : السكان والموارد البشرية والتنمية فى العالم العربى اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ النشرة السكانية ـ ع ٢٠ ـ ١٩٨١ ٠

١٨ ـ عبد الرءوف فضل الله ـ لبنان : دراسة جغرافية ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٦ ٠

١٩ ـ عبد الفتاح محمد وهيبة : فى جغرافية السكان ـ دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٧١ ٠

٢٠ ـ فتحى محمد أبو عيانة : مشكلات السكان فى الوطن العربى ـ بيروت ـ ١٩٨٦ ٠

٢١ ـ فتحى محمد أبو عيانة : جغرافية سكان الاسكندرية ـ مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الاسكندرية ، ١٩٨٠ ٠

٢٢ ـ فتحى محمد أبو عيانة : مدخل الى التحليل الاحصائى فى الجغرافيا البشرية ـ بيروت ـ ١٩٨٦ ٠

٢٣ ـ فتحى محمد أبو عيانة : سكان البحرين ، ضمن كتاب «دولة البحرين» ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥ ٠

٢٤ ـ فتحى محمد أبو عيانة : جغرافية تونس ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ ١٩٨٩ ٠

٢٥ ـ فتحى محمد أبو عيانة : سكان الامارات العربية المتحدة ، ضمن كتاب «دولة الامارات العربية المتحدة» دراسة مسحية شاملة ـ معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٢٦ ـ فتحى محمد أبو عيانة : السكان والعمران الحضرى ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ، ١٩٨٤ .

٢٧ ـ محمد السيد غلاب ومحمد صبحى عبد الحكيم : السكان:ديموغرافيا وجغرافيا ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٢٨ ـ محمد صبحى عبد الحكيم : الهجرة الى القاهرة ، المجلة الجغرافية العربية ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ١٩٦٨ .

٢٩ ـ محمد عبد الغنى سعودى : هجرة العمالة فى شرقى افريقيا، المجلة الجغرافية ، السنة الخامسة ، العدد الخامس ، ١٩٧٢ .

٣٠ ـ محمد محمد سطيحة : دراسات فى علم الخرائط ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧٢ .

٣١ ـ منصر الرويسى والمنجى بشير : الوضع الديموغرافى وآفاقه المستقبلية ضمن كتاب : جامعة تونس ـ العمران والتنمية فى تونس ـ تونس ـ ١٩٨٦ .

٣٢ ـ المملكةالاردنية الهاشمية ـ التعداد العام للمساكن والسكان ـ النتائج الرسمية للمحافظات ـ ١٩٨٤ .

٣٣ ـ المملكة المغربية ـ النشرة الاحصائية السنوية للمغرب ـ ١٩٨٧ .

٣٤ ـ موسى سمحه ـ أنماط الهجرة واتجاهاتها فى جنوب غربى آسيا ـ خلال السبعينيات ـ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ الهجرة الدولية فى العالم العربى ـ ١٩٨٥ .

٣٥ ـ نادر فرجانى : الهجرة الى النفط ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ـ ١٩٨٣ .

٣٦ ـ هيئة الامم المتحدة : المبادىء العامة للبرامج القومية للاسقاطات السكانية كعامل مساعد فى تخطيط التنمية ، ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٣٧ ـ هيئة الامم المتحدة : العوامل الديموغرافية والقوة البشرية،ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٣٨ ـ هيئة الامم المتحدة : تعمر السكان ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٧ ٠

٣٩ ـ هيئة الامم المتحدة : منظمة العمل الدولية ـ الكتاب الاحصائى السنوى ـ ١٩٨٥ ٠

٤٠ ـ هيئة الامم المتحدة : اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ كشوفات البيانات الديموغرافية ٠٠٠ بغداد ـ ١٩٨٥ ٠

ثانيا ـ المراجع والمصادر الافرنجية :

1. Abou-Aianah, F. M. et al. "Geographic Variations of Fertility Rates in Arab Countries" Bull. of Fac. of Arts, Alex. Univ., Vol. XXV-1971.
2. Abou-Aianah, F. M. "Internal Migration in Egypt" Bulletin de la Société de Geographie d'Egypte, 1973.
3. Atlaseco; Atlas economique Mondial 1985., Paris, 1985.
4. Ackerman, E. A. "Population and Natural Resources", the Study of Population, edited by : Hauser, P. M. and Duncan O., Chicago. 1959.
5. Ackerman, E. A. "Geography and Demography", The Study of Population, edited by : Hauser, P. M. and Duncan O., Chicago, 1959.
6. Beaujeu-Garnier, J. (Mme) Geography of Population Translated by Beaver, S. H., Longmans, London, 1968.
7. Birks J. and Sinclair C., International Migration in the Arab World, Kuwait, 1978.
8. Blake G. H. "Israel : immigration and Dispersal of Population", Populations of the Middle East and North Africa, edited by Clarke, J. and Fisher, W. B. London, 1972.
9. Bogue, D. J. "Internal Migration", The Study of Population, edited by Hauser, P. M. and Duncan, O., Chicago, 1959.
10. Boute, J. M., "Exploratory Analysis of Data Concerning Indians and Pakistanis in Africa", Population of Tropical Africa, edited by Calddwell, J. C., and Okonjo, C., London, 1968.
11. Cairo Demographic Center; Annual Seminar, 1988, Research Monograph Series, No. 18. Cairo, 1989.
12. Chapion, J. and Stewart, P. "Population Densities around the Clock". Readings in Urban Geography, edited by Mayer, H. and Kohn, C., Chicago, 1969.
13. Clarke, J. Population Geography, Pergamon Press, London, 1969.
14. Clarke, J. and Fisher, W. Population of the Middle East and North Africa, London, 1972.
15. Coale, A. J. "Estimates of Fertility and Mortality in Tropical Africa", The Population of Tropical Africa, edited by Calddwell, J. and Okonjo, C., London 1968.

16. Conning, A. W. "Latin American Fertility Trends", International. Population Conference, Liége, 1975.

17. Davis, K. "The Origin and Growth of Urbanization in the World", Readings in Urban Geography, edited by Mayer, H. and Kohn, C., Chicago, 1969.

18. Duncan, O. D. "The Measurement of Population Distribution", Population Studies, No. 1., 1957.

19. Europa Publications Limited, The Europa Yearbook, 1987.

20. Fisher, W. B. "Lebanon : an ecumenical Refuge", Population of the Middle East and North Africa, edited by Clarke, J. and Fisher, W. London, 1972.

21. George, M. V. Internal Migration in Canada, Ottawa, 1970.

22. George. P. Geographie de la Population, que sais-je ?, 1187, Paris, 1973.

23. Gerard, M. et Henry L. "La Mortalite Infantile en France suivant le Mélieu Social", International Population Conference, Liege, 1973.

24. Gibbs, J. P. (ed) Urban Research Methods, N. J. 1967.

25. Gregory S. Statistical Methods and the Geographer, London, 1971.

26. Haggett, P. Geography : A Modern Synthysis, New York, 1972.

27. Hall, P. The World Cities, London, 1972.

28. Harris, C. "A Functional Classification of Cities in the United States", Geogr. Rev. 33. 1943.

29. Hawley, A. H. "Population Composition", The Study of Population, edited by Hauser, P. and Duncan O., Chicago, 1959.

30. Huntington, E. Principles of Human Geography, New York 1951.

31. Insitut. National d'Etudes Demographiques, (INED) Population et Sociètés, 1982-1992.

32. Kassab, A. et Sethom, H., Geographie de la Tunisie , Tunis, 1980.

33. Kirk, D. "Major Migrations Since World War I." Population Geography, A Reader, edited by Demko, G. et al., New York, 1970.

34. Kormos, I. B. and Kosinski, L. "Population Mapping" Inernational Geographical Union, Bruges, 1973.

35. Lebon, J. An Introduction to Human Geography, London, 1969.

36. Leo, E. S. "Theory of Migration", Population Geography, edited by Demko; G. et al., N. Y., 1970.

37. Lowry, J. World Population and Food Supply, London, 1971.

38. Monkhouse, F. J. and Wilkinson, H. Maps and Diagrams, London, 1961.

39. Omran, A. R., Population of the Arab World, New York, 1980.

40. Perpillou, A. Human Geography, London, 1971.

41. Population Council, Reports on Population and Family Planing, No. 15 January, 1974.

42. .... : Population and Development Review, Vol. 9, No. 2, June 1983.

43. Republique Algerienne : Collections Statistiques Recensement General de la Population et de l'Habitat, 1987.

44. Romaniul, A. "Infertility in Tropical Africa", The Population of Tropical Africa, Caldwell, J. and Okonjo, C., (eds), London, 1968.

45. Thompson, W. and Lewis, D. Population Problems, McGrawahill Book Company, New York, 1965.

46. Trewartha, G. "The Case For Population Geography", And. of Assoc. of Amer. Geogr., 1953, Vol. XLIII.

47. Tugault, Y. "Les Migrations Internationales", Population, Juin, 1974.

48. U. N. O. : Population Bulletin of the United Nations, No. 7, 1963, New York, 1965.

49. U. N. O. : Demographic Yearbook, several years.

50. U. N. O. : Methods of Analysing Census Data on Economic Activities of the Population, New York, 1968.

51. U. N. O. The Determimant, and Consequences of Population Trends, New York, 1953.

52. U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1977.

53. The World Almanac and Book of Facts, New York, 1990.

54. Zelinsky, W. A. Prologue to Population Geography, Prentice-Hall, Inc., London, 1970.

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية	٩٢/٤٨٢٧
الترقيم الدولى	I. S. B. N 977-5116-81-3

الفنية للطباعة والنشر
٤٨ شارع جوده - راس التين - الاسكندرية
تليفون ٨٠٣٢٥٠